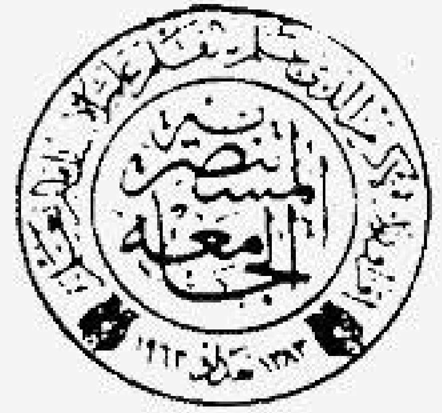


مجلة آداب المستنصرية

تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

العدد الخامس عشر

١٥



الرئيس القائد صدام حسين

مجلة آداب المستنصرية

- بدأت باسم (مجلة الجامعة المستنصرية) في السنة الدراسية ١٩٦٩/ ١٩٧٠ وصدر منها للاختصاصات كافة خمسة أعداد ، وكانت تصدر عن رئاسة الجامعة .
- حملت اسمها الجديد (مجلة آداب المستنصرية) في العام الدراسي ١٩٧٥/ ١٩٧٦ وكانت تصدر عن كلية الآداب ، وتم اصدار ١٤ عدد منها لحد الآن .
- ابتداء من العام الدراسي ١٩٨٢/ ١٩٨٣ أصبحت قطرية تنوب عن مجلات كليات الآداب في الجامعات العراقية استناداً الى قرار مجلس الوزراء المرقم (٥) باجتماعه الاعتيادي الثلاثين في ١٢/ ٨/ ١٩٨٣ .
- تعمل هيئة تحرير المجلة على إصدار عددين سنوياً وقد يكون معدل الاصدار أكثر من ذلك مستقبلاً اذا استمرت بصفتها القطرية المعمول بها حالياً .
- هيئة تحريرها في الوقت الحاضر على النحو الآتي : ـ

لجنة المجلة

كلمـــة المجلـــة

تحية طيبة وبعد :

يسر هيئة تحرير المجلة صدور العدد الخامس عشر من دوريتها المتخصصة بالعلوم الانسانية في كليات الآداب ، ليكون في متناول الباحثين والمثقفين داخل القطر وخارجه ، وإننا اذ نقدر للزملاء المختصين من الاشقاء العرب في الجامعات العربية ، اهتمامهم بمتابعة اعداد المجلة ، وابداء ملاحظاتهم في تثبيتها والتنبيه الى الوسائل المضافة لتطويرها ، نؤكد أن المجلة تعتز بهذه الملاحظات وتعتمدها في نزوعها نحو آفاق الاغناء والتجديد . وفي هذا السياق من الدأب المتواصل في التوجه نحو الافضل ، أخذت هيئة التحرير ، تيسير نشر البحوث التي تردها من اساتذة الجامعات العربية الشقيقة ، بعد مرورها بالتقويم العلمي المشروع ، لتأكيد التوجه القومي في وحدة الفكر العربي ، وتطبيق مبدأ تبادل نشر البحوث العلمية في الدوريات التي تصدر من جامعات الوطن العربي ، وهو هدف يتصدر توصيات معظم المؤتمرات والندوات التي تعقدها الكليات المتناظرة في الجامعات العربية بعامة وجامعات دول الخليج العربي بخاصة ضمن الأنشطة الثقافية لاتحاد الجامعات العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج .

إن هذا التصور يترجم التوجه القومي الذي تسعى اليه القيادة السياسية في قطرنا العراقي المناضل وتدعمه وتنفذه وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وجامعتنا السيدة ، الجامعة المستنصرية استهداءاً بالفكر القومي النير الذي يقوده الرئيس القائد صدام حسين ــ حفظه الله ورعاه ــ وإننا متأكدون من أن البحث العلمي المتطور ، والعمق الثقافي الملتزم في الاوساط الجامعية العراقية والعربية . ، يصبان عطاءها في اهداف امتنا المجيدة بالوحدة والحرية والاشتراكية ، ويدعمان اقتدار العراق العظيم في قادسية العرب الثانية ، لرد العدوان الفارسي الباغي من البوابة الشرقية للوطن العربي والله ولي التوفيق .

حميد خلف الهيتي
عميد كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

المحتويـــات

اللغة العربية وآدابها

اللغة العربية وآدابها


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

انتصار اللغة العربية في مصر

د. احمد نصيف الجنابي

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

قد تمر في حياة الامم مراحل تبذل فيها جهود عظيمة ويكون لها دور خطير في تغيير مسار التاريخ ، جهود تتعاون فيها أنماط كثيرة من الرجال ، ثم يأتي من بعدهم أجيال ، واجيال ، فينسى طول الامد ماقام به الاسلاف من جهود عظيمة .

وهذا ماحدث بعد فتح العرب المسلمين لمصر .. لقد تغير مسار التاريخ بعد ذلك الفتح ، وتغيرت السياسة وتغيرت الادارة وتغيرت العقيدة ، وتغيرت اللغة . ولم يحدث ذلك بعصا سحرية ، بل باعمال جليلة وتضحيات عظيمة ، وكان طليعتها اثنا عشر ألفاً من المؤمنين المجاهدين . وكان معهم القواد العاملون ، والاداريون الماهرون ، والقراء المتقنون ، والمفكرون الافذاذ .

ولكل نمط من هؤلاء، نمط من التأثير في «تعريب مصر».

فللمجاهدين فضل في تحرير الناس عسكرياً من المستعمر الكافر، الممتهن لكرامة الناس.

وللفقهاء فضل في توجيه الناس الذين يدخلون في الاسلام، الى مايصلحهم، وما يجب أن يعرفوه من مبادىء هذا الدين، الذي جاء رحمة للعالمين.

وللقراء الفضل في تعليم الناس طريقة أداء كتاب الله بالطريقة التي تنسجم مع لغة الكتاب العزيز.

وللمفسرين الفضل في تعليم الناس مالا يعرفونه من معاني هذا الكتاب الكريم، الذي جعله الله نوراً يهدي به من يشاء من عباده.

وكان يرافق كل نمط من هذه الأنماط، لون من ألوان التعريب، لانه لابد للمسلم غير العربي من أن يتعلم العربية: لغة القرآن، اذ لاتصح صلاته وأذانه واقامته الا باللغة العربية. ولا يستطيع أن يتعلم العلوم العربية المنبثقة عن القرآن إلا بتعلم اللغة العربية.

وكان السياسيون والاداريون يدفعون عجلة التعريب خطوات الى الامام بفضل القرارات الحكيمة التي فصلها البحث.

وكان الفقهاء والقراء والمفسرون قد كونوا مدارس فكرية، تجمع حولها كثير من العرب ومن المعربين الذين دخلوا الاسلام، ولهذا نجد كثيراً منهم يندفعون بحماس الى تعلم العربية ويتقنونها اتقاناً لافتاً للنظر، كما حدث لورش، المقرىء المصري المشهور.

والبحث يعالج العوامل المختلفة التي ادت الى عملية التعريب، ويبين كل الجهود المبذولة في هذه السبيل، ليعيد للذاكرة الناسية تلك الاعمال الجليلة التي غيرت تاريخ مصر، وعقيدتها ولغتها، وإن ذلك لكبير.. ولعل فيه ذكرى....

وجعلته في أربعة مباحث:

الأول: رواد التعريب في مصر.

الثاني: العوامل الحاسمة في عملية التعريب

الثالث: العوامل المساعدة في عملية التعريب

الرابع: متى حدث الانتصار النهائي للغة العربية؟

وآمل أن أكون قد وفقت.

«والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

وهو حسبي ونعم الوكيل.

المبحث الأول

رواد العروبة في مصر

كان الفتح الاسلامي او الفتح القرآني لمصر (سنة ٢٠ – ٢٥هـ) إيذاناً بميلاد عهد جديد: وبدت ملامح هؤلاء الفاتحين واضحة، منذ الايام الأولى للفتح. فقد كانوا يعملون بمبادىء واضحة لااعوجاج فيها. قال ابن عبد الحكم: «أرسل المقوقس الى عمرو بن العاص: إنكم قد ولجتم في بلادنا والححتم على قتالنا، وطال مقامكم في أرضنا، وأنتم عصبة يسيرة، وقد أظلتكم الروم وجهزوا اليكم، ومعهم من العدة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل، وأنما أنتم أسارى في أيدينا، فأرسلوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله يأتي الامر فيما بيننا وبينكم على ماتحبون ونحب، وتقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولانقدر عليه ولعلكم تندمون ان كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم، فابعث الينا رجالا من أصحابكم نعاملكم على ماترضى نحن وهم (١)».

فلما أتت رسل المقوقس (عمرو بن العاص) حبسهم – عنده – يومين وليلتين، ثم رد عليه مع رسله: أن ليس بيني وبينك إلا إحدى ثلاث خصال: إما إن دخلتم في الاسلام فكنتم إخواننا، وكان لكم مالنا، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون، وإما أن نجاهدكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فلما جاءت رسل المقوقس إليه، قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قوماً الموت أحب اليهم من الحياة، والتواضع أحب من الرفعة، ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وانما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم، مايعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد. واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويتخشعون في صلاتهم.

فقال المقوقس عند ذلك: (لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد)

هذه حقيقة هؤلاء الفاتحين العرب المسلمين......

لقد حملوا نور الايمان في قلوبهم...

---

(١) فتوح مصر /٦٥

وحملوا قوة الوحي القرآني في صدورهم...

وحملوا السلاح المادي بأيديهم...

وهي عناصر القوة التي بها تزول الجبال، ويتغير العالم...

أجل.. وقد تغير العالم على أيديهم ولقد لفت نظر المؤرخين جميعاً قديمهم وحديثهم ماصارت اليه مصر بعد الاسلام...

لقد غيرت لغتها.. نهائياً بعد حين ولأول مرة في التاريخ.. وغيرت دينها كذلك، وإن ذا لكثير!!

وأول مانلحظه – بعد انتهاء عملية الفتح توزيع الفاتحين في الفسطاط والجيزة والاسكندرية وكان عددهم اثني عشر الفاً وثلاثمائة (٢) وهناك رواية أخرى تقول إنهم خمسة عشر الفاً وخمسمائة(٣).

والذي أميل اليه وأرجحه هو الرواية الأولى بدليل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص حين طلب منه المدد:

(واعلم ان معك اثني عشر الفاً ولا يغلب اثنا عشر الفاً من قلة) وهؤلاء هم أداة التغيير والتبديل الحقيقية. والعوامل الأخرى جاءت مساعدة...

لقد أغفل جمهور المؤرخين الذين أرخوا لحياة اللغة العربية في مصر هذه الأداة الحقيقية للتغيير واقتصروا على أسباب هي في الحقيقة عوامل مساعدة وليست عوامل حقيقية. فأهملوا القدوة الحسنة والنماذج العليا من القادة الصحابة الذين دخلوا مصر والتابعين لهم بإحسان وقد أحصى السيوطي الصحابة منهم في كتابه (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) فزادوا على ثلاثمائة – ناهيك بالتابعين بعدهم – وكان فيهم قراء الصحابة والمتفقهون منهم في جميع مجالات الفكر الاسلامي. ففيهم القضاة وفيهم الاداريون وفيهم المفسرون وفيهم القراء، وفيهم قادة الفكر، وقادة الجيش.

ومن الأمور المعروفة عن عمر بن الخطاب، الذي فتحت مصر في عهده أنه رسم سياسة تعليمية أصبح تعليم الناس بمقتضاها من واجبات أولئك الأفراد الممتازين الذين كان يبعثهم على البلاد المفتوحة، بالاضافة الى الأشخاص الذين يكلفهم رسمياً لتعليم القرآن (١).

---

(٢) الولاة والقضاة /٨ .

(٣) الولاة والقضاة /٨ .

(١) ابن سعد ٢/ ١١٢ (ط بيروت ١٣٧٧هـ) ، وفتوح مصر /١٦٧ .

وإن عمرو بن العاص الذي فتح مصر كان من القراء، وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن (٥)، وكان له مصحف خاص. ولا غرابة في ذلك، فقد صحب النبيّ عليه الصلاة والسلام ، ووعى عنه القرآن. وقد اقرأه النبي القرآن وعلمه مافيه من سجدات (٦)

وتنسب اليه قراءة (حامية) الواردة في قوله تعالى: (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة (٧) ويقرر الطبري أنّ قراءة (حامية) ، هي قراءة جماعةمن قُراء المدينة وعامة قراء الكوفة (٨) .

وذكر الامام ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) أنها قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وهم من القراء السبعة (٩) ، المشهود لهم من الامة بالامانة والامامة في اختصاصهم .

أمّا «عقُبة بن عامر» (المتوفى ٥٨هـ) فقد كان منْ قُواد الفتح ، وصاحب مزايا كثيرة ، جعلته مؤهلاً للقيادة الفكرية والعسكرية والادارية .

فقد كان يقرأ ويكتب ، فصيح اللسان ، شاعراً ، عالماً بالفقه والفرائض وكان مفتي مصر (١٠) .

ولا غرابة في ذلك فقد اسلم مبكراً ، وخدم النبّي عليه الصلاة والسلام ، فكان يرافقه في أسفاره ، وكثيراً ماكان يجلس في مسجد الرسول يسمع القرآن من النبّي الكريم . وأحياناً يسأله أنْ يقرِئه إياه ، كما يرجو أن يجيبه عن بعض الاسئلة التي تعنّ له عند القراءة (١١) .

وكان له مصحفه الخاص الذي كتبه بخطه . ولشدة عناية المصريين به فقد بقي الى القرن الرابع الهجريّ . فقد رآه المؤرخ المصريّ «ابن يونس» ت ٣٤٧هـ ، وسجل ملاحظاته

(٥) ابن الجزري : غاية النهاية ١/٦٠١ .
(٦) فتوح مصر /٩٧ ، ٢٤٩ .
(٧) سورة الكهف ، الآية ٨٦ .
(٨) تفسير الطبري ١٦ /١٠٩ .
(٩) كتاب السبعة في القراءات /٣٩٨ .
(١٠) فتوح مصر / ٢٩٤ والولاة والقضاة /٣٧ وتذكرة الحفاظ ١/٤٢ — ٤٣ والاصابة ٤/ ٢٥٠ .
(١١) فتوح مصر /٢٨٩ والولاة والقضاة /٣٧ والنجوم الزاهرة ١/ ١٢٨ .

عليه ، فقد رتب السور على غير ترتيب مصحف عثمان ، كما لفت نظر ابن يونس جودة خطّ «عقبة» فنصّ عليها (١٢) .

ولهذا عُدّ من الصحابة القُرّاء (١٣) .

فقد كان «عُقبة بن عامر» صاحب مدرسة فكرية واسعة ، وكان له تلاميذه الكبار الذين نصت عليهم كتب طبقات الرجال المفكرين والعلماء (١٤) .

ومن الصحابة الذين دخلوا مصر وكانوا ذوي مكانّة عالية في العلم والمعرفة ومن ذوي الاقدام الراسخة في الدعوة ، عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس :

فالأول شهد فتح مصر وأختطّ بها ، وبنى فيها قصراً على تربيع الكعبة . كما أنّ لأهل مصر عنه أحاديث (١٥) .

أما «ابن عباس» (ت٦٨هـ)، فدخل مصر في خلافة عثمان (١٦) رضي الله عنه (٢٤ـ٣٥هـ) وهو على قدر كبير من فهم القرآن (١٧). وهو من الصحابة الذين كان لهم مصحف خاص(١٨) وملامحها واضحة في كتابيه. مسائل نافع بن الازرق وكتاب اللغات في القرآن ، وصاحب مدرسة ذات منهج متميز في التفسير ، وقد احتفظ بشيء من تلك الملامح تلاميذه وبقي كثير من آثار تلك المدرسة في كتاب «الناسخ والمنسوخ» لابي جعفر النحاس، اذ رواه الاخير عن استاذه «يموت بن المزرع»(١٩)

(١٢) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ١٢٧/١ والاصابة ٢٥٠/٤ (وابن يونس : مؤرخ مصر) .

(١٣) تذكرة الحفاظ ٤٢/١ والاصابة ٢٥٠/٤ وحسن المحاضرة ٢٣٠/١ ولطائف الاشارات ٥١/١ .

(١٤) تذكرة الحفاظ ٤٣/١ وحسن المحاضرة ٢٥٩/١ ، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣ .

(١٥) فتوح مصر /٩٧ وحسن المحاضرة ٢١٤/١ .

(١٦، ١٧) الذهبي : معرفة القراء الكبار ٤١/١ وتذكرة الحفاظ ٤٠/١ والاصابة ٩٣/٤ وغاية النهاية ٤٢٥/١ حسن المحاضرة ٢١٤/١ .

(١٨) السجستاني : كتاب المصاحف /١٩ .

(١٩) النحاس في الناسخ والمنسوخ ، صفحات : ١٤٧، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، الخ .

ومثل هؤلاء كثير من الصحابة الكرام (٢٠)

ومن التابعين : عبد الله بن مالك اليحصبي «ت٧٧هـ» (٢١) وعبد الرحمن بن جبير(٢٢) «ت ٩٧هـ» وعبد الرحمن بن هرمز «ت ١١٧» ، وغيرهم كثيرون جداً..

فكان هؤلاء وتلامذتهم خلال الأيام أهم أسباب التحول الحقيقي ، يحملون بيدهم القرآن وبقلوبهم نوره يحدوهم دائماً قول النبي عليه الصلاة والسلام «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» هم رواد التعريب الحقيقيون.

ولو أردنا أن نكتب عن تاريخ الدعوة على أيدي هؤلاء الرواد الأفذاذ لطال بنا الحديث ولاحتجنا الى كتاب كامل.

لكن الذي يهمنا — في هذا البحث — هي العوامل الحاسمة في عملية التعريب ، ونتناولها في المبحث الاتي:



(٢٠) في الاصابة وتهذيب التهذيب لابن حجر وغاية النهاية وحسن المحاضرة شيء كثير .

(٢١) تهذيب التهذيب ٣٧٩/٥ .

(٢٢) تهذيب التهذيب ١٥٥/٦ .

المبحث الثاني

العوامل الحاسمة في عملية التعريب:

ولكن الذي نتحدث عنه هو موضوع اللغة العربية وأنتشارها في مصر ، وما هي العوامل الحاسمة في الأنتشار؟

ومهمة الباحث أن يبين الآراء المطروحة حول الموضوع ويناقشها مناقشة موضوعية وهي في الحقيقة اراء مختلفة تتباين الى درجة التناقض أحياناً.
فما الآراء حول العوامل الحاسمة؟

يمكن تصنيف الاراء التي طرحت حول العوامل الحاسمة في انتشار اللغة العربية ، وانتصارها على اللغتين القبطية واليونانية، الى مايأتي:

صنف جعلوا هجرة القبائل العربية — بعد الاسلام — سبباً في التعريب.
وصنف ربطوا ربطاً وثيقاً بين انتشار الاسلام والعربية.
وصنف لم يذكروا هذا الارتباط بأية صورة.. بل تجاهلوه .
وصنف وقعوا في تردد واضطراب بين اثبات هذا العامل ونفيه!!
ومن الفريق الثاني: الاستاذ «وولنر» . والدكتور شكري فيصل والمستشرق «أوليري» والدكتور أحمد مختار عمر.

فالاستاذ «وولنر» يقول في كتابه (مكانة اللغات في التأريخ والسياسة) «إن هذه اللغة التي حملها الفاتحون العرب لم تكن قوتهم تعتمد على السيف فحسب، بل على نار الايمان الذي يهب معتنقيه حماسة حادة ويبيد من طريقه العقائد القديمة والخرافات» .

ويقول في موضع آخر من كتابه المذكور : «ان الاسلام كان اكثر من عقيدة كان طريقة جديدة في الحياة وأصبح في التوظئراً للعلوم وحمل اللغة العربية لغة مقدسة ولغة علمية» .

ويبدو الاقرار بهذا الالتحام واضحاً في قول الدكتور شكري فيصل «فحيث انتشر الاسلام واستقرت قواعده كان انتشار العربية ولهج الناس بها، وأين استطاع الاسلام أن يعفي على للديانات السابقة حاولت العربية أن تعفي كذلك على اللغات السابقة. وفي

(٢٣) H·C· Woolner: languages in history and Politics PP.10,149

هذا التوازي وهذا الامتزاج ، يتبدى أثر الفتوح الاسلامية في اللغة العربية، فقد حملها الاسلام على جناحيه ونفحها من قدسيته فكانت تقترن في اذهان المؤمنين في هذه المناطق بهالة من التقديس والاكبار» .

وقد تحقق هذا لديّ عندما سافرت الى باكستان في صيف ١٩٨٠م (رمضان ١٤٠٠هـ) اذ وجدت المسلمين هناك يتشوقون الى تعلم اللغة العربية ويتساءل كثير منهم عن السبيل التي يتعلمون بها لغة القرآن ولغة محمد رسول الاسلام الذي يؤمنون به ، ويحبونه الى درجة أجدني عاجزاً عن وصفها ، وأجدني عاجزاً عن اللحاق بهم فيها .

ولما علموا أنني (عربيّ مسلم) ، تسابقوا الى معانقتي في المسجد ، ودعوني الى بيوتهم وقد وجدت منهم من الكرم ماجعلني احتقر بضاعتي واشعر أنني لم امارس الكرم في حياتي !! حتى قال لي أحد اخواني في الاسلام مادمت مسلماً تتكلم بلغة محمد ، فاترك الفندق وانزل في بيتي لأنك أخي !! فهل بعد هذا كرامة للعروبة المؤمنة ؟

اما المستشرق المعروف «أوليري» (O'Leary) الذي درس أثر الاسلام في اندحار اللغة القبطية فقال : «كان انتشار الاسلام — بلاشك — عاملاً من عوامل احلال اللغة العربية محل القبطية » . ووافقه الدكتور احمد مختار على ذلك (٢٤) !

ومن الفريق الأول الدكتور بهيّ الدين محمد زيان — وقد جاء رأيه مفصلاً في فقرتين من كتابه «حياة النشر في مصر» (٢٥) ، فقد قرر :

(أ) أنّ مصير اللغة العربية بات بيد القبائل المهاجرة الى مصر وليس هناك من دراسات نحوية ولغوية مما أضعف نشاط الحياة اللغوية !! وفي ذلك يقول : «فإن البوادر تدل على أن اللغة العربية قد تركت للقبائل العربية التي نزلت بمصر ، وكان وجود بعض الرجال الذين يعرفون النحو والعربية من العهد الاول يعتبر من الظواهر اللافتة كما أن هذا الامر على مايبدو — قد أطمع المشتغلين بهذه المادة في الرحلة الى مصر مثل مافعل عبدالرحمن إبن هرمز الذي رحل الى مصر وتوفي بالاسكندرية ، فقد ذكر أنه من أوائل من وضع العربية بالمدينة ولا نعرف عنه كثيراً ، غير أن رحلته الى مصر في هذا العهد — تعد امراً لافتا في مجال الحياة اللغوية والدراسات النحوية .

(٢٤) تاريخ اللغة العربية في مصر /٢١ .

(٢٥) حياة النشر في مصر . رسالة دكتوراه بآداب القاهرة (رقم ١٦٩ رسائل) .

على أن عدم وجود المواد اللغوية في حياة العرب في مصر ، وإن كان قد أضعف من نشاط الحياة اللغوية ، فانه في الوقت نفسه قد دفع الى اتجاه آخر من حياة اللغة العربية ، وهو العناية بالجمع الادبي : جمع النصوص الادبية لغاية لغوية وأدبية . حقيقة أننا لم نسمع بهذا الجمع على صورة واسعة في العهد الاول ، غير أننا نعرف أن العرب قد اكثروا من الوفادات الادبية ذات الشهرة ، كما عاش في وسطهم بعض العناصر اللغوية الفصيحة التي عرفت بامتياز لغوي مثل « بني هذيل » . وكان منهم في مصر من حل عهد عمر إبن الخطاب عدة شعراء عرفوا بهذه الفصاحة منهم : بدر بن عامر الهذلي وابو إيصال الهذلي » .

(ب) والفقرة الثانية التي تترتب على هذا أن لغة الكثرة الكاثرة من هذه القبائل ضعيفة ركيكة . وفي هذا يقول : «ان هذه اللغة في مصر ، قدبدت — احياناً — هزيلة ضعيفة لضعف القوة في أصحابها عن التعبير بها في مجالات مختلفة . ومن شواهد — ذلك أنك تجد بعض شعر القبائل العربية الوافدة ضعيفاً او تجد تفككاً في العبارة اومخالفة في استعمال أدوات الربط فيها ، وكل هذا يوضح لنا ضعف هذه اللغة ، عند اصحابها ، فنجد شاعر يستعمل في شعره الفاظاً تدل على أنه لم يكن واجداً غيرها ، فيستعمل الشاذ او يميل الى التخفيف يقول بعض الشعراء :

وظَلْتُ أنادي الكساء قيساً ليدخلني وقد حضر الغذاءُ
وهذاك القصيرُ من تُجيب ولو يسطيع ما نفض الخلاءُ

وقد نصّت المعاجم اللغوية على ان استعمال «ظلت » شاذاً كما أنك واجد استعمال هذاك في اول البيت، والتخفيف في «يستطيع» من الشطر الثاني مما يشعرك بضعف ، وان جاز هذا الاستعمال من الناحية اللغوية .

واذا بدت هذه اللغة ضعيفة في مثل هذا الشعر فاننا نقدر أن قوة هذه اللغة في حياة البيئة لم تكن بدرجة عالية ، وكل هذا يوضح الى حد كبير سير اللغة العربية في مصر ومبلغ قوتها في الحياة .

والمأخذ على هذا القول من ناحيتين :

الناحية الاولى : من جهة المنهج العام .

الناحية الاخرى : من جهة التفاصيل .

أما من ناحية «المنهج العام» فان هذا البيت الشعري وحتى مجموعة من الابيات لاتمثل بيئة لغوية في عصر من العصور .

فالمنهج السليم يقضي أنْ نجمع النصوص ثم نستخلص منها النتائج المتعلقة بالظواهر اللغوية او النحوية .. لا ان نستدل بالبيت الواحد او بالابيات القليلة على ظاهرة بعينها ! ! فالاستاذ «بهي الدين» قد عكس المنهج بشكل لاتصح معه النتائج .

اما من «جهة التفاصيل» ، فان الكلمات الثلاث التي استدل بها على ضعف لغة الشاعر .. ومن ثم على ضعف اللغة العربية في مصر ، هي كلمات فصيحة كل الفصاحة ، واستعمالها هو استعمال عربي صميم تؤيده النصوص العربية الموثوق بصحتها وبفصاحها .

فالفعل «ظلت» ليس شاذاً في الاستعمال كما ذهب ، معتمداً على نص في اللسان (١٣/ ٤٤١) (٢٦) ، بل هو استعمال جرى به القياس وجاء به القرآن الكريم . قال تعالى (٢٧) «وأنظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً ...» الاية . وهي قراءة مشهورة ومن القراءات السبع (٢٨) .

أما النص الذي جاء في اللسان فيؤيد ما ذهبنا إليه ومن العرب من يحذف لام ظللت ونحوها حيث يظهران ، فان اهل الحجاز يكسرون الظاء على كسرة اللام التي ألقيت فيقولون ظلنا وظلتم والمصدر الظلول والامر اظلل وظلّ . قال تعالى «ظلت عليه عاكفاً» وقريء ظلت . قال ابن سيدة :

قال سيبويه : أمّا ظلت فأصله ظللتُ الا انهم حذفوا فالقوا الحركة على الفاء كما قالوا: خفت . وهذا النحو شاذ . قال والاصل فيه عربي كثير أما ظلْتُ فانها مشبهة بلسْتُ» .

فأستعمال (ظلْت) ، بفتح الظاء ليس شاذاً كما ذهب الباحث ، بل يعد استعماله فصيحاً، لانه لغة القرآن وما جاء به القرآن من الاستعمال فهو أفصح ممّا جاء في غيره : قال ابن خالويه في شرح الفصيح (٢٩) :

«قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة اذا وردت في القرآن فهي أفصح مما جاء في غير القرآن لا خلاف في ذلك» .

---

(٢٦) اللسان «ظلل» ١٣/ ٤٤١ .
(٢٧) سورة «طه» الآية ٩٧ .
(٢٨) قرأ بها القراء السبعة كلهم أجمعون .
(٢٩) المزهر ١/ ٢١٣ .

اما الشاذ فهو استعمال «ظِلت» بكسر الظاء على رأي سيبويه فيما نقل «ابن سيده» .

أما «هذاك» فهي إن دلت على شيء فانما تدل على قوة لغة الشاعر وفصاحته فإنّ هـذا الاستعمال ورد في شعر طرفة وفي معلقته قال (٣٠) :

رأيتُ بنـي الغبراء لا ينكـرونني ولا أهل هـَذّاكَ الطـرافُ المعبّد

أما الحكم على ضعف استعمال الفعل «يسطيع» مخففاً ، فهو حكم ضعيف بـل واهٍ . لأنه قد جاء به التنزيل ايضاً . قال تعالى (سورة الكهف)

«ذلك تأويلُ مالم تسطعْ عليه صبراً» ، بل هو استعمال يدل على ذوق دقيق وسمـوّ في اللغة لأنّ التاء مقاربة لاطاء في المخرج فاجتماعهما ثقيل وهو علة الحذف .

فإذا كانت اللغة العربية في مصر ضعيفة ... وإذا كانت لغة القبائل في جملتها غير فصيحة . فأيّ شيء أثّر في تقدم اللغة العربية في نظر الاستاذ «بهيّ الدين» ؟

إنها الوفادات الأدبية ذات الشهرة وبعض العناصر اللغوية الفصيحة امثال بني هذيل (٣١) وهو يقول في ذلك :

«فإذا نظرنا إلى حياة هذه اللغة في العهد الاول مثلاً ، نجد أنها قد تأثرت بالوفـادات الأدبية التي كانت تصل إلى مصر ، ونجد هذه اللغة تلقتْ بعض الاثار الادبية التي كانت تشيع في الجو العربيّ حول الولاة والامراء ، إلا أنّ مثل هذا الاثر كان ضعيفاً محدوداً ، والسبب في ذلك ـــ حسبما يرى ـــ أننا نجد بجانب هذه الوفادات «أن موقف العرب الذين استقروا في مصر ـــ كان بالنسبة للولاة والامراء ـــ موقفاً عدائياً في الغالب ، وبهذا فقد كانت الحركة الادبية ظاهرة على يد الوافدين من الشعراء والادباء . كما حدث هذا حـول عبدالعزيز بن مروان ، ومن ثمة لم يكن كشعراء القبائل العربية صلة قويّة بالوالي من الناحية الأدبية . وهذا الامر هو الذي جعلنا نلاحظ أن هؤلاء الشعراء لم يستفيدوا من شعراء الولاة استفادة كبيرة) .

إنه لرأي غريب بقدر ما هو بعيد عن الواقع الذي سارت فيه اللغة العربية ، في موكب انتصارها .

---

(٣٠) شرح القصائد التسع المشهورات لابي جعفر النحاس /٢٠١ .

(٣١) حياة النثر في مصر / ١٢٥ .

فإذا كانت اللغة العربية ضعيفة على يد القبائل العربية النازلة في مصر ، وكان نشاط الحياة اللغوية ضعيفاً ...

فما الذي أدى إلى ذلك الانتصار الساحق للغة العربية على اللغة القبطية بعد ثلاثة قرون تقريباً .. ؟! في حين حكم اليونان والرومان مصر قروناً متطاولة ولم يستطيعوا أن ينتصروا لغوياً وان انتصروا عسكرياً ؟

أما الفريق الثالث فمنهم الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف فهي (اولا) تنفي ايّ أثر للمسلمين الفاتحين في انتشار الدين الاسلامي واللغة العربية وذلك أن « العرب الذين استقروا في مصر — ومعظمهم من اليمنية — كانوا يقيمون في الفسطاط او الجيزة او الاسكندرية ، وقد حرم عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه — الاشتغال بالزراعة او امتلاك الارض (ثانياً) فلم يكونوا يعنون بغير السياسة والحكم والحرب ، ولذا لم يختلط العرب بالمصريين في البداية ، ولم يكن لهم تأثير يذكر على القبط سواء أكان هذا التأثير من ناحية انتشار الدين الاسلامي او اللغة العربية » (٣٢) .

ثم تورد رأياً آخر مخالفاً للاول فتقول :

« تبع انتشار الدين الاسلامي انتشار اللغة العربية فيها فأصبحت لغة الكتابة ولغة التخاطب » (٣٣) .

وفي الصفحة نفسها تقول : « إنّ انتشار اللغة العربية بمصر كان ابطأ من انتشار الدين الاسلامي «لأنّ» احتلال العرب كان سبباً في إنعاش اللغة القبطية في اول الأمر».
وبعد هذا بأسطر تُثبت ماكانت تنفيه ، لانها قالت :

اولاً « لابُدّ أن الذين اعتنقوا الدين الاسلامي كانوا يتعلمون اللغة العربية ، لغة القرآن » (٣٤) .

وثانياً : « انّ هجرة القبائل العربية إلى مصر واستقرارها بها قد ساعد على جعل تلك اللغة لغة التخاطب (٣٥)» .هذا قولها بنصه !!

---

(٣٢) مصر في فجر الأسلام ، صفحات : ٢٤ — ٢٤٩ .
(٣٣) المرجع نفسه / ٢٥٩ .
(٣٤،٣٥) مصر في فجر الاسلام / ٢٥٩ .

وخلاصة هذا الموضوع أنّ القبائل العربية التي اتخذت الاسلام ديناً هي العامل الفعّال في انتشار الأسلام وانتشار لغة القرآن . والا فكيف يمكن تصور انتشار اللغة العربية بدون العرب المسلمين المؤمنين بهذا القرآن — دون الكافرين . لان العرب المشركين قد انتشروا في مناطق واسعة من مصر ، قبل الاسلام : انتشروا في الصحراء والوادي والبر والبحر ، لكنهم لم يتركوا أثراً في لغة المصريين بل العكس هو الصحيح .

فالاسلام والعرب المسلمون ولغة القرآن معهم ، كانت اهم الاسباب في انتشار اللغة العربية في مصر — وغيرها — وانتشارها في كل انحاء مصر ، وانتصارها النهائي حتى هذه الساعة . والتلاحم الدقيق بين العروبة والاسلام تلاحم عضوي ، والعروبة بغير اسلام ضرب من الجاهلية ، والاسلام بغير عروبة نمط من الشعوبية .



المبحث الثالث

العوامل المساعدة في عملية التعريب

أولاً: العامل الأقتصادي:

يقرر اللغوي الفرنسي (فندريس) (٣٦) أثر هذا العامل في انتشار اللغة ، وانتصارها في ميدان الصراع اللغوي . ولاغرابة في ذلك ، فالمغلوب يرى في لغة الغالب نموذجاً يحتذى ، كما يقرر العلامة (ابن خلدون) ، لانها — في جانب من جوانبها — تمثل عنده من بيده السلطة الاقتصادية ، وما أقواها من سلطة !!

واهتم العرب المسلمون ، منذ الايام الاولى للاستقرار بتنظيم اقتصاد مصر والرسائل المتبادلة بين امير المؤمنين : عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعمرو بن العاص تكشف بوضوح عن نظرة عمر الثاقبة في استعمال العامل الاقتصادي بدقة (٣٧) .

وعندما وثق عمرو بن العاص من استتباب الامر في مصر ، ابتدأ بتنظيم مالية الدولة(٣٨) والى سياسة قسم من الخلفاء الامويين والعباسيين يرجع الفضل — ايضاً — في استخدام هذا العامل وسيلة لانتشار الأسلام والعروبة في مصر .

ففي سنة (٦٥هـ) فرض (عبد العزيز بن مروان) : والي والده في مصر ، جزيةً على الرهبان قدرها دينار واحد عن كل فرد بحجة انه ليس من العدل أنْ تدفع الطبقات الفقيرة الضرائب ويُعفى منها الرهبان والمطارنة والبطاركة الذين يملكون ثروات ضخمة (٣٩) . وكانوا — قبل ذلك — معفوّين منها . وبذلك وجدت — تحت حكم العرب المسلمين — من اول الفتح ، طبقة ممتازة من المسيحيين ، لاتقع تحت طائلة الاعباء المالية .

وأستناداً الى ماذكره المؤرخ القبطي (سويرس بن المقفع)، فرض الاصبغ بن عبد العزيز المتوفى (سنة ٨٦هـ)، ضرائب على الرهبان الاقباط وعلى أراضيهم ، وامر (الاصبغ) حكام المحافظات وموظفيها — في كثير من مدن مصر العليا والسفلى — ان يعتنقوا الاسلام او يغادروا وظائفهم ، فكان من نتائج هذه السياسة :

---

(٣٦) اللغة / ٣٤٩ — ٣٥٠ .

(٣٧) فتوح مصر / ١٥٨ — ١٥٩ وحسن المحاضرة ١٤٧/١ .

(٣٨) حسن المحاضرة ١/١٤٥ — ١٤٦ .

(٣٩) تاريخ اللغة العربية في مصر /٣٥ .

أن دخل كثير من الاقباط في دين الاسلام : ومن هؤلاء (بيتر) حاكم الصعيد، وأخوه (تيودور) حاكم مريوط ، وعدد من القُسس والرهبان .

أما عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) فانه امر برفع ضريبة الرؤوس عمّن يعتنق الاسلام (٤٠) .

ولذلك رفض رأي من نصحوه باستمرار تحصيل الجزية (٤١)، وحجتهم في ذلك ان سياسته تؤدي الى تناقص واردات الدولة بازدياد اعتناق الاسلام !! وقد ردّ عليهم بقوله الخالد : (إنّ الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً) (٤٢) .

وقد ادت هذه السياسة الى اغراء الاقباط بالدخول في الاسلام .

ثم جاء يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) فأعاد الخراج الذي كان عمر بن عبد العزيز قد رفعه عن الكنائس وعن الأساقفة (٤٣) .

وسار هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٠٨هـ) سيرة اخيه يزيد .

ولكنْ في ولاية (حفص بن الوليد) الثالثة على مصر (سنة ١٢٧هـ) حدث عَوْدٌ الى سياسة عمر بن عبد العزيز ، الرشيدة فاعلن (حفص) اعفاء كل من يُسلم من الجزية ، فأعتنق الاسلام نحو اربعة وعشرين الفاً من الأقباط (٤٤) .

(٤٠، ٤١) ينظر : كتاب الاموال ، لابي عبيد /٤٩ وفتوح مصر /١٥٤ والنجوم الزاهرة ٢٤/١ وحسن المحاضرة ١٤٥/١ .

(٤٢) فتوح مصر /١٥٦ .

(٤٣) سير الآباء البطاركة /٧٢ وفتح العرب لمصر /٤٠٢ - ٤٠٣ .

(٤٤) سير الآباء البطاركة /١١٦ - ١١٧ .

ثانيا : السياسة الادارية

ظل انتشار اللغة العربية في النصف الأول من القرن الأول الهجري بطيئاً، لأن المسلمين — في هذه الفترة لم يستقروا استقراراً كاملاً كما انهم لم يمتزجوا بالسكان الأصليين امتزاجاً تاماً، ولذلك فان انتشار الاسلام لم يكن واسعاً فأستمر استعمال اللغة اليونانية والقبطية في الادارة والشؤون الاخرى (٤٥)، حتى عام ٨٧هـ عندما أصدر والي مصر «عبد الله بن عبد الملك بن مروان»، أوامره باحلال العربية محل هاتين اللغتين (٤٦)، وفي الحال عزل رئيس الديوان القبطي «اشناس» واحل محله «ابن يربوع الفزاري (٤٧).

وتلك لعمري خطوة إدارية إيجابية في تعريب الادارة والدواوين وفيها الاشارة من طرف خفيّ الى المثقفين الاقباط باعتناق الاسلام وتعلم العربية، اذا أرادوا الاحتفاظ بمراكز مرموقة في الدولة. ولاريب في أن (بعض النفوس) تركض وراء المنافع العاجلة؛ فما دام تعلّم العربية، باعتناق الاسلام، يؤهلهم للسلطة، والجاه فأنهم يُقبلون عليه.

وليست النفوس سواء. فمنها من يعتنق العقيدة طواعيةً واقتناعاً، حباً في مرضاة الله. ومن الناس من يقبل العقيدة حباً في الدنيا وتحصيلا للمنافع الذاتية العاجلة ... وكلا الامرين حدث لمن اعتنقوا الاسلام وتعلموا العربية في مصر، لأن ذلك من طبيعة الامور .. «ولكل امريء مانوى».

ولعلّ ماحدث في عهد النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام خير مايؤيدنا. فانّ جماعة «المؤلفة قلوبهم» لم تفلح معهم الاّ المادة والمنفعة العاجلة، لجذب قلوبهم نحو الاسلام والرسول مؤيدّ بالوحي... فكيف بمن انقطع عنه الوحي بعده ؟ !.

(٤٥، ٤٦) يرى المؤرخون العرب المسلمون ان اللغة الرسمية كانت القبطية «انظر الولاة والقضاة /٥٨ — ٥٩ ويرى الباحثون الغربيون ويؤيدهم الدكتور علي عبد الواحد وافي أن اللغة الرسمية كانت اليونانية «Encyc of Islam ' under «Kibt
ينظر :
«واللغة والمجتمع /٨٥». ويرى الدكتور احمد مختار عمر أن كلتا اللغتين كانت مستعملة في الكتابة في ذلك الوقت اليونانية بوصفها اللغة الرسمية في الدواوين والمصالح الحكومية والقبطية لغة العامة وبها تكتب عقودهم، وخطاباتهم ووثائقهم (انظر : تاريخ اللغة العربية في مصر /٢٧)، والى هذا اميل.

(٤٧) الولاة والقضاة /٥٨ — ٥٩ (والخطط ١/٩٨) والنجوم الزاهرة ١/٢١٠.

ولسنا وحدنا نرى هذا الرأي . فمن قبلنا علق الرجل القبطي المعروف «سويرس بن المقفع» على قرار الحاكم بأمر الله الفاطميّ (٣٨٦ — ٤١١هـ) — حين جعل الاسلام شرطاً في تولي الوظائف — بقوله : (إن الحاكم تقدّم في الحال باثبات سائر المسلمين والمتعطلين والمتصرفين من الكتاب الذين يصلحون للخدمة في دواوينه وأعماله ليتخذ منهم من يستبدل به عوض النصارى . وتبعهم خلق كثير من عوامهم واسلم أيضاً جماعة من اليهود . واسلم اكثرهم ، واقتدى بعضهم ببعض وتلاحقوا ، فلم يبق إلاّ نفرٌ يسير ...

والخطوة الثانية ، التي أكملت خطوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان مافعله الخليفة عمر إبن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١هـ). فقد كتب الى واليه بمصر .« أيوب بن شرحبيل» أن ينزع «موازيت» (٤٨) القبط عن الكو ويستعمل المسلمين عليها (٤٩) .

ويزعم الاستاذ «بكر» Becker في كتابه : دراسات تاريخية (وتؤيده سيدة اسماعيل الكاشف) (٥٠) أن عمر بن عبد العزيز لم يكتف بذلك بل حاول إحلال المسلمين محل المسيحيين حتى في الوظائف الصغيرة (٥١). ولكن القرائن التاريخية لاتؤيد هذا الزعم . ولو كان عمر فعل ذلك لقلنا «نعم» ... لكنه لم يفعل ...

والخطوة الثالثة : هي التي خطاها الخليفة العباسي المعتصم ، سنة ٢١٨هـ، حيث أمر باسقاط من في الديوان من العرب ، وقطع اعطياتهم ، فتم له ذلك (٥٢). فساعد هذا القرار على ازدياد التحام العرب بالاقباط . وانه وإن كان قد أدى الى تقليل النفوذ الرسمي للعرب في مصر، فهو في الوقت نفسه قد قوى مركزهم الاجتماعي ومركز اللغة العربية «فلقد كانت النتيجة الحتمية هي محاولة العرب الجدية البحث عن وظائف مدنية لهم ، او الاشتغال بالاعمال الحرّة كالزراعة والتجارة ، والعمل على الاندماج في السكان الاصليين، والسعي لاكتساب صداقتهم ، وإنشاء علاقات أسرية معهم (٥٣) .

غير انا يجب ان نشير الى ان الامتزاج الاجتماعي ابتدأ بين المسلمين والاقباط ، منذ القرن الاول الهجري . كما سنرى في الفقرة الاتية :

---

(٤٨) المرازيت : رؤساء القرى .

(٤٩) الولاة والقضاة /٦٩ .

(٥٠) Becker : Historis che studien S 365

(٥١) مصر في فجر الاسلام /٢٠٠ .

(٥٢) الولاة والقضاة /١٩٣ .

(٥٣) تاريخ اللغة العربية في مصر /٤٧ .

ثالثاً : الامتزاج الاجتماعي

يظهر ان الامتزاج الاجتماعي — بين المسلمين والاقباط — ابتدأ من سنة ٢٠ بعد الهجرة ويبدو أن ذلك التخطيط كان في ذهن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يوافق على عملية الفتح . فقد اشترط للمسلمين على المصريين أن «للمسلمين عليهم النزول لجماعتهم حيث نزلوا ، من نزل عليهم ضيف واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مُفترضة عليهم » (٥٤) .

وهكذا كان للعرب الفاتحين أفراداً وجماعات الحق في أن ينزلوا ضيوفاً على المصريين لمدة اقصاها ثلاثة ايام يتمتعون خلالها بكل مايجب للضيف من حقوق . وقد نظمت هذه المسألة — فيما بعد — بحيث كانت القرية كلها تتحمل نفقات من ينزل عليها من الضيوف العرب . فعند تقدير الخراج المستحق على القرية كان يجتمع عرفاؤها ورؤساء أهلها ويتناظرون فيخرجون ريعها للانفاق على المرافق العامة ، ومنها «الضيافة للمسلمين» فلا بد أن هذا الشكل من أشكال الاتصال — وهو الضيافة — كان له أثره في تقارب العرب والمصريين (٥٥) .

ولاشك في ان الاتصالات اليومية التي تقتضيها مصلحة الطرفين الاجتماعية كانت ذات اثر فعال في تقريب مدة التعريب .

وقد ساعد عملية الامتزاج الاجتماعي ، عملية أخرى كانت ترافقها وتزامنها ، تلك هي عملية امتزاج القبائل بعضها ببعض ، مما اقتضته ظروف الفتح نفسها ، فأدى ذلك الى زوال النعرة القبلية ، وبروز الجانب الاجتماعي الانساني .

ويتضح هذا الذوبان في عمليات ثلاث هي ابرز العمليات التي حدثت .. :

فالعملية الاولى : — هي التي حدثت لمجموعة من القبائل سُميّتْ فيما بعد بجماعة «اهل الراية» . وهذه القبائل هي من : قريش والانصار وخزاعة واسلم وغفار ومُزينة وأشجع وجُهينة وثقيف ودوس وعَبس بن بغيض وحرش من بني كنانة وليث بن بكر ، «وانما سموا أهل الراية ونسبت الخطة اليهم لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدو ماينفرد بدعوة من الديوان ، فكره كل بطن أن يُدعى بأسم قبيلة غير قبيلته فجعل

(٥٤) فتوح مصر /١٥٢ والنجوم الزاهرة ٢/١٥ — ٢١٦ .

(٥٥) القبائل العربية في مصر /٥١ .

لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد . فقال : يكون موقفكم تحتها . فكانت لهم كالنسب الجامع » (٥٦) .

وهذه العبارة الاخيرة التي اوردها المقريزي « فكانت لهم كالنسب الجامع » يفهم منها زوال النسبة الى القبيلة «فبدلاً من أن تدعي كل قبيلة باسمها عند الجهاد يدعى التجمع باسم «أهل الراية».

وبذلك ذلل عمرو بن العاص بذكائه تلك المشكلة. فان هذه القبائل ،وقد كونت تجمعاً معيناً له اسمه ورابطته ومظهره الخاص، كان من الطبيعي أن تتخذ خطة واحدة تقيم فيها معاً، وكانت تلك الخطة حول مسجد عمرو بن العاص نفسه، وكذلك كان من الطبيعي أن تسجّل اسماؤهم في الديوان على أساس هذا الوضع الجديد الذي نجم أصلاً عن مشكلة عددية.

وقد ازدهرت خطة أهل الراية وعمرت بسبب وقوعها حول المسجد واصبحت مع الايام محلة عظيمة (٥٧)، فنتج عن ذلك أمران مهمان:

١ ـ ذوبان تلك القبائل بعضها في بعض وزوال النعرة القبلية .

٢ ـ امتزاج افراد هذا التجمع بالتجمعات الاخرى وبالمصريين انفسهم لكون هذه المحلة من المحلات العظمى والمهمة، مما اعطاها مركزاً اجتماعياً يجذب اليه الناس ويدعوهم الى الاحتكاك بأفراده فعجّل في عملية التعريب.

والعملية الثانية هي التي حدثت لمجموعة من القبائل هي (٥٨) الازد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة، يضاف اليهم نفرٌ من جذامه ولحمه وتنوخ .

عندما عاد المسلمون من فتح الاسكندرية، الى الفسطاط يبنونها، أخبروا أنّ الاسطول البيزنطي في طريقه الى الاسكندرية، فأرسل عمرو بن العاص رجلاً من الازد ليأتيه بالخبر وبعد قليل ثارت في صدور بعض القبائل عاطفة هي مزيج من الحماسة والتدين فتعاقدوا على اللحاق بأخيهم عمرو بن العاص فلما ادركوه في الطريق نظر اليهم في دهشة واعجاب وقال لهم : (تالله ما رأيت قوماً قد سدّوا الافق مثلكُمْ وإنكم لكما قال الله سبحانه «فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً» (٥٩).

(٥٦) فتوح مصر /١١٧ والخطط ٧٦/١ ـ ٧٧ .

(٥٧) فتوح مصر /١٢٧ والقبائل العربية في مصر /٢١٩ .

(٥٨) ابن دقماق : الانتصار ٤٣/٤، والقبائل العربية في مصر /٢١٨ .

(٥٩) سورة الاسراء ، الآية ١٠٤ .

وسرعان ماأطلق إسم «اللفيف» على هذه القبائل . ولما عادوا من الاسكندرية طلبوا من «عمرو بن العاص» أنْ يعدّهم جماعة واحدة ويفرد لهم دعوة مستقلة في الجيش والخطط والديوان، بهذا الاسم .
والعملية الثالثة هي التي حدثت «للعتقاء» .

والعتقاء اسم أطلقه النبيّ الكريم على جماعة من العرب كانوا يهددون ويقطعون الطريق على كل من يذهب الى الرسول.فلما تمكن منهم ، عفا عنهم واعتقهم ، فأسلموا وسمّوا «العتقاء».

وشهدوا فتح مصر وكانوا معدودين في أهل الراية وقد شهدوا فتح الاسكندرية مع عمرو إبن العاص، ولكنهم تأخروا في العودة الى« الفسطاط»، فلم يجدوا مكاناً ينزلون فيه، في خطة أهل الراية، فغضبوا وشكوا ذلك الى «عمرو» ولكن «معاوية بن حديج» أحد المشرفين على الخطط، قال لهم : «أرى أن تظهروا على هذه القبائل» فتتخذوا هذا المكان منزلاً وتسموه الظاهر فأعجبهم هذا الرأي فنزلوا به .

وأصبح هذا الاسم علماً خاصاً بهم واليه ينسبون ومنهم الحارث بن سعيد المحدث وزبيد إبن الحارث عريف العتقاء (٦٠) .

ومن مواليهم :عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقيّ المصريّ (١٢٨ – ١٩١هـ) وهو راوية المسائل عن مالك (٦١). وقد وصفه المحدث« ابن حبّان» بصفات تنمّ عن قوة شخصيته وسعة علمه حين قال: «كان حبراً فاضلاً ، تفقه على مذهب مالك وفرّع على أصوله. وكان زاهداً صبوراً مجانباً للسلطان » (٦٢).

ومنهم ابنه ابو الازهر عبد الصمد بن عبد الرحمن أشهر تلاميذ ورش. ولمكانة أبي الازهر ت ٢٣١هـ، فقد اعتمد عليه الاندلسيون في قراءة ورش (٦٣) .

ومنهم أخو أبي الازهر: موسى بن عبد الرحمن الفقيه ت٢٤٦هـ، وكان معدوداً في فقهاء المالكية (٦٤).

وبروز هؤلاء المصريين العتقيين ولاءً يدل على اندماج العتقاء بالمصريين اندماجاً قوياً ، والاّ ماظهرت منهم هذه الشخصيات الكبيرة من المنتسبين اليهم ولاءً.

---

(٦٠) فتوح مصر ص١٢٠ والقبائل العربية في مصر /٢١٩
(٦١) حسن المحاضرة ١ : ٣٠٣ .
(٦٢) حسن المحاضرة ١/٣٠٣ .
(٦٣) معرفة القراء الكبار : ١٨٧ وغاية النهاية ١ :٣٨٩ وحسن المحاضرة ١ :٤٨٦ .
(٦٤) حسن المحاضرة ١/٤٤٧ .

المبحث الرابع
متى حدث الانتصار النهائي للغة العربية ؟

اختلفت اراء المؤرخين والباحثين في تحديد الفترة الزمنية الي تمّ فيها الانتصار النهائي للغة العربية على اللغتين القبطية واليونانية.

فالمقريزي «ت٨٤٥هـ» يرى أنّ انتشار الاسلام كان بعد المائة الاولى من الهجرة عندما أنزل عبيد الله بن الحبحاب (٦٥) قيساً بالحرف الشرقي، فلما كانت المائة الثانية كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها (٦٦).

والادلة التاريخية الثابتة تنقض قول المقريزي، فانه من الثابت تأريخياً أن قيساً — ممثلة في «عدوان» و«فهم» — اشتركت في الفتح .

أما «عدوان» ،فقد اختطت بمصر ولها سويقة الفسطاط، وهي السويقة التي عند زقاق المكي كما يقول ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ). وكان مرتبعها في بوصير» (٦٧) .

واما « فهم » فقد شهدت الفتح واختطت بالفسطاط (٦٨) وكانت تأخذ مرتبعها في «أتويب وعين شمس ومنوف» (٦٩).

فقيس قد عاشت في مصر منذ الايام الاولى للفتح ممثلة في قبائلها وشاركت في الحياة المدنية لمصر طوال القرن الاول الهجري . وظهر منها الوجوه والامراء وكبار الموظفين . امثال كعب بن يسار (ت٢٠هـ) . وخالد بن قيس الفهميّ (٢٠ — ٦٤هـ) . وحبيب بن اوس وغيرهـــــم.

فقول المقريزي تنقصه الدقة التاريخية وتنقصه الوقائع الثابتة لذلك لايمكن الاعتماد عليه.

أمـا القس (رنـودو) Renaudot — الـذي نشـر رأيـهُ في كـتـاب : «أبحاث نقدية وتأريخية في اللغات المصرية وأدبها» سنة ١٨٠٨م ، فيحدد الفترة الزمنية التي حددها المقريزي فيرى أنه بعد فتح العرب لمصر بقرن تلاشت اللغة القبطية نهائياً

---

(٦٥) عبيد الله بن الحبحاب هو صاحب خراج مصر «من سنة ١٠٣ — ١١٦هـ» .
(٦٦) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب /٥٠ .
(٦٧) فتوح مصر /١١٧، ١١٨، ١٤١ والقبائل العربية في مصر /١٠٩ .
(٦٨) فتوح مصر /١١٨ .
(٦٩) فتوح مصر /١٤٢ .

من معظم القطر المصري، ولم تعد تعرف الاّ بين العلماء الذين كانوا يدرسون تلك اللغة دراسة خاصة (٧٠).

غير أن الادلة التاريخية تنفي هذا الرأي. ومن ذلك ماذكره الشماس يوحنا من أنّ موسى مطران «اوشيم» عندما مثل بين يدي مروان بن محمد حين لجأ الى مصر سنة ١٣٢هـ، لم يستطع أن يتفاهم معه او مع احد من جنده وكان محتاجاً الى مترجم يترجم قوله (٧١). ومايذكره «المقريزي» عن زيارة المأمون لمصر سنة ٢١٦هـ، اذ يقول «وكان لايمشي أبداً الاّ والتراجمة بين يديه من كل جنس» (٧٢).

ويرى كل من «فييت» (٧٣) «Wiet» والاستاذ «كاله» (٧٤) Kahle أن اللغة القبطية فقدت اهميتها في القرن الرابع الهجري او الخامس الهجري (القرن العاشر والحادي عشر الميلاديين).

ويؤيدها من المصريين المحدثين «الدكتور جاك تاجر» (٧٥)، فيقول: لقد كبتت اللغة العربية اللغة القبطية، رويداً رويداً، مثل النبات الذي حرم من الماء والشمس في ظل شجرة كبيرة لقد ظلت اللغة القبطية على قيد الحياة حتى القرن العاشر الميلادي بل ازدهرت في الاديرة، ولكنها منذ القرن الحادي عشر حرمت من العناية فذبلت بسرعة».

ويرى الاستاذ «آدم متز» أن القبط تركوا لغتهم في القرن الرابع «العاشر الميلادي» (٧٦). ويؤيد هذا الرأي الدكتور «علي عبد الواحد وافي» (٧٧).

أما المستشرق «برنْسْ» فيرى (٧٨): في بحث له: أنّ الفترة الحرجة في تاريخ اللغة القبطية هي الفترة مابين القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلاديين (التاسع والحادي عشر

(٧٠) مصر في فجر الاسلام /٢٥٩.
(٧١) تاريخ اللغة العربية في مصر /٤٤.
(٧٢) الخطط ٣٨١/١ ط بولاق».
(٧٣) Ency clop – of Islam under «kibt»
(٧٤) تاريخ اللغة العربية في مصر /٤٩
(٧٥) اقباط ومسلمون، نقلا عن تاريخ اللغة العربية في مصر /٤٩ – ٥٠.
(٧٦) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٨٩/١.
(٧٧) اللغة والمجتمع /٨٦.
(٧٨) The Modern Pronunciation of copic

المجريين) اذ بينهما اخذت اللغة القبطية تتلاشى لغةَ خطاب. ويعزز دعواه بما نقله عن المقريزي — الذي عاش في القرن التاسع الهجري — من أنه وجد نساء الاقباط واطفالهم في الصعيد في وقته يتكلمون اللغة القبطية غالبـــاً .

غير ان هذا الرأي — بالاضافة الى مخالفته جميع القرائن التاريخية الثابتة — وهـو أقرب الى قول من يزعم أنّ اللغة العبرية هي لغة التخاطب في الاتحاد السوفيتي لان اليهـود يتكلمون بها هناك ! !

وبعد استيفاء اهم الاراء في تحديد تاريخ انتصار اللغة العربية على اللغة القـبطية ، نرى أنه يجب ان نفرق بين ثلاثة انواع من الانتصار او بين ثلاثة ميادين لهـذا الانتصار (٧٩)

الميدان الاول : هو الميدان الرسمي المتمثل في الوثائق الرسمية التي صدرت عن الولاة والحكام ، وهي لغة الدواوين ، حيث كانت اللغة اليونانية مسيطرة .

الميدان الثاني : لغة التخاطب اليومي .

الميدان الثالث : لغة الاديرة والكنائس ، حيث كانت اللغة القبطية سائرة الانتصار في الميدان الاول : أما انتصار اللغة العربية في الميدان الرسمي فكان اسبق الميادين لانه يتعلـق بالاوامر الادارية . ولا يحتاج الا الى خلفاء جادين حازمين وولاة منفذين مخلصين . وهذا ماحدث في ولاية «عبدالله بن عبدالملك بن مروان» سنة ٨٧هـ ، وفي خلافة عمـــر إبن عبدالعزيز (٩٩ — ١٠١هـ) تلته خطوات أخرى دعمته وقوته وثبتت مركزه ، وضمنت له الاستقرار والاستمرار .

وان وثائق البردي المصرية ، التي نشرتها دار الكتب المصرية وحققها عالم البرديات «أدولف جروهمان» (٨٠) تؤيد هذه الحقيقة . فمن حيث التأريخ تبدأ هذه الوثائق مـن القرن الاول الهجري . أما من حيث اللغة فمعظمها مكتوب باللغة العربية ونقل فيها الوثائق المكتوبة بغير العربية او الوثائق المكتوبة بلغتين .

الانتصار في الميدان الثاني : أما الانتصار في الميدان الثاني حيث اللغة العربية لغة التخاطب والثقافة العامـة والحديث في المجالس العامة في المسجد والنادي حيث مجتمع القوم ، فقد حدث الانتصار في نهاية القرن الرابع الهجري واوائل القرن الخامس . ويؤيد ذلك اراء جمهرة من الباحثين قدمنا ذكرهم .

(٧٩) تاريخ اللغة العربية في مصر /٥٠ .

(٨٠) A. Grohmann

ويتظافر مع ذلك كون العلماء الاقباط أنفسهم ألفوا كتبهم في القرن الرابع باللغة العربية . ومن هؤلاء «سعيد بن بطريق» الذي كتب «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» و «كتاب البرهان»

ولم يكتف «سويرس بن المقفع» (الرجل القبطي الذي شغل منصب أسقف في كنيسة اشمونين عام ٩٨٥م (القرن الرابع الهجري)

لم يكتف بكتابة مؤلفه «سير الاباء البطاركة» باللغة العربية ، بل صرح في مقدمته قائلا : «فاستعنت بمن أعلم استحقاقهم من الاخوة المسيحيين وسألتهم فساعدوني على نقل ماوجدناه فيها — يعني سير الاباء البطاركة — بالقلم القبطي واليوناني الى القلم العربي الذي هو اليوم معروف عند أهل هذا الزمان باقليم ديار مصر لعدم اللسان القبطي واليوناني من اكثرهم» .

وهذا نص مهم جداً ...

فهو اولا صادر عن رجل قبطي يهمه كثيراً أن يحافظ على لغته حية .

وهو — ثانياً — صريح بأن لغة الكتابة والثقافة في القرن الرابع الهجري هي اللغة العربية وأن الخط الذي يكتب به للمثقفين هو الخط العربي .

ويثبت — ثالثاً — أن اللسان القبطي واللسان اليوناني قد زالا على ألسنة المسيحيين . ولم يعد يتحدث بهاتين اللغتين الا النزر اليسير من الناس لعدم اللسان القبطي واليوناني من أكثرهم» .

الانتصار في الميدان الثالث : أما في الميدان الثالث ، فقد بقيت اللغة القبطية محتفظة ببقائها في قسم من الاديرة والكنائس ، ويتكلم بها بعض الاقباط .

فالمقريزي حين يتحدث في خططه عن «ديرموشة» يقول : أن الاغلب على نصارى هذه الاديرة معرفة القبطي الصعيدي .

والمقريزي عاش في القرن التاسع الهجري او الخامس عشر الميلادي ولا شك في أن اللغة القبطية قد بدأت تأخذ دوراً ثانوياً قبل زمن المقريزي لانه قد وحدت في عام ١٣٩٣م مخطوطات قبطية كتبت عليها تعليقات باللغة العربية ، مما يدل على أن اللغة العربية كانت في ذلك الوقت لغة سائدة وانها صار لها الاستعمال العام . كما يقول «برنس» في كتابه «النطق الحديث للغة القبطية» .

أما أن يتكلم اللغة القبطية بعض الاشخاص او مجموعة منهم فهذا يدل على انهزام هذه اللغة وانحسارها وبقائها على لسان هؤلاء فقط ، وحسب اللغة العربية انتصاراً في هذه الحال .

الخلاصة.... ونتائج البحث :

أن الرواد الاوائل أمثال : ابن عباس ، وابن عمر وعقبة بن عامر ، كان لهم تأثير كبير في ايجاد التربة الخصبة ، والارضية الصالحة لعملية التعريب ، لأنهم أسسوا مدارس فكرية وتدرس كل موادها بالعربية فأي فتح لغوي هذا ؟

وان القبائل العربية التي اتخذت الاسلام عقيدة ونظاماً ، هي العامل الفعّال في عملية التعريب ، وانتشارها في كل المراكز الاساسية السكانية في مصر ، اوجد المناخ اللغويّ الذي يؤثر في عملية التعريب ، لأن اللغة تلقين وطريقة ، قبل أن تكون قواعد ، كما يقرر العلامة ابن خلدون في «المقدمة» .

وهذا هو العامل الحاسم في عملية التعريب .

أما العوامل المساعدة فهي : العامل الاقتصادي ، والعامل الاداري ، والامتزاج الاجتماعي .

فالعامل الاقتصادي أثر في عملية التعريب لان من بيدة مقاليد الامور استفاد منه في جلب جمهرة من الناس الى الاسلام ، فأدى ذلك الى تعريبهم ، وقد ابتدأ أثر هذا العامل واضحاً منذ سنة ٦٥هـ ،

أما السياسة الادارية فيبدأ أثرها منذ سنة ٨٧هـ ، عندما أصدر «عبدالله بن عبدالملك بن مروان» أوامره باحلال العربية ، في دوائر الدولة ، محل اليونانية. وهي خطوة حاسمة في عملية التعريب وهذا يظهر مدى مابذله الامويون في هذه العملية فهل آن لنا أن ننصفهم ؟

أما الامتزاج الاجتماعي ، فابتدأ بعد الفتح ولكنه كان يتأثر بالعوامل السياسية صعوداً وهبوطاً .

أما الانتصار النهائي للغة العربية فيختلف تحديده تبعاً لثلاثة ميادين :

الميدان الاول : هو الميدان الرسمي ، وقد حدث الانتصار النهائي — هنا — في نهاية القرن الاول الهجري ، لأنه يتعلق بالاوامر الادارية وتنفيذها ، ولا يحتاج الا الى رجال ذوي ارادة قوية ، وايمان راسخ ...

أما في أكمال عملية التعريب في الميدان الثاني حيث اللغة العربية لغة التخاطب ، فقد حدث في نهاية القرن الرابع الهجري .

أما في الميدان الثالث ، حيث انتشار اللغة العربية في لغة الاديرة والكنائس ، فلم يحدث إلا في القرن التاسع الهجري . كما فصل البحث .

والحمد لله في الاولى والاخرة .

وهو حسبي ونعم الوكيل .

المراجع

١ — الاصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر (مطبعة السعادة في مصر ١٣٢٣هـ)

٢ — الانتصار لواسطة عقد الامصار ، لابن دقماق ، (ط . بولاق ١٢٥٨هـ)

٣ — كتاب الاموال ، لابي عبيد القاسم بن سلام (ط. مصر)

٤ — البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب ،للمقريزي (ط . مصر)

٥ — تاريخ اللغة العربية في مصر ، للدكتور أحمد مختار عمر ، (ط. القاهرة ١٩٧٠)

٦ — تهذيب التهذيب ، لابن حجر (ط . حيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ)

٧ — تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، (ط . حيدر أباد الدكن — الهند ١٩٥٥ — ٥٦

٨ — حسن المحاضرة للسيوطي (ط.القاهرة ١٩٦٧م)

٩ — حياة النثر في مصر ، للدكتور بهيّ الدين محمد زيّان ، (رسالة دكتوراه بآداب القاهرة ، رقم ١٦٩ رسائل)

١٠ — الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، للاستاذ آدم متس ، ترجمة الدكتور عبدالهادي ابو ريدة (ط.مصر)

١١ — الخطط للمقريزي (ط.بولاق)

١٢ — كتاب السبعة في القراءات ، لابن مجاهد (ط. مصر ١٩٧٢)

١٣ — طبقات ابن سعد (ط . بيروت ١٩٥٧)

١٤ — غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري (ط.مصر ١٣٥١هـ)

١٥ — فتوح مصر واخبارها لابن عبدالحكم ، (ط.ليدن ١٩٢٠)

١٦ — فتح العرب لمصر . تأليف : بتلر . تعريب محمد فريد أبو حديد (ط.مصر) .

١٧ — القبائل العربية في مصر ، للدكتور عبدالله خورشيد البري (ط.مصر ١٩٦٧)

١٨ — لسان العرب لابن منظور (ط. بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ)

١٩ ـــ لطائف الاشارات لفنون القراءات ، للقسطلاني ، (ط. القاهرة ١٩٧٢)

٢٠ ـــ اللغة ، للاستاذ : فندريس ، ترجمة الدواخلي والقصاص (ط. مصر ١٩٥٠) ،

٢١ ـــ اللغة والمجتمع ، للدكتور علي عبدالواحد وافي (ط.مصر)

٢٢ ـــ كتاب المصاحب ، للسجستاني (ط.مصر ١٣٥٥هـ)

٢٣ ـــ معرفة القراء الكبار ، للذهبي (ط.مصر ١٩٦٧ ـــ ١٩٦٩)

٢٤ ـــ مصر في فجر الاسلام ، للدكتور سيدة اسماعيل الكاشف ، (ط. مصر)

٢٥ ـــ المجتمعات الاسلامية في القرن الاول الهجري ، للدكتور شكري فيصل (ط. بيروت ١٩٦٦)

٢٦ ـــ الناسخ والمنسوخ في القرآن ، لابي جعفر النحاس ، (ط. مصر ١٣٢٣هـ)

٢٧ ـــ النجوم الزاهره ، لابن تغري بردي (ط.دار الكتب المصرية ١٩٢٩ وما بعدها).

٢٨ ـــ الولاة والقضاة للكندي (ط. بيروت ١٩٠٨).





المستدرك على معجماتنا

الدكتور خليل بنيان الحسون

كلية التربية / جامعة بغداد

أحيل بحث لي على عالم فاضل من علمائنا ليرى رأيه فيه، وقد كان مما أخذه علي استعمالي «تبدّى» بمعنى بدا، فهو يرى ان الفعل بهذا البناء لايودي هذه الدلالة، وإنما يعني الاتصاف بالبداوة، والأقامة بالبادية.

ولقد كان مما أثار دهشتي أنني رأيت كل المعجمات التي بين ايدينا تقف مع هذا العالم الفاضل، فهي تشير الى ان الفعل «تبدّى» يعني سكن البادية واتصف بالبداوة، ولم يثبت اي منها ان هذا البناء للفعل قد يستعمل بمعنى أصله الثلاثي، على كثرة وروده على

ألسنة البلغاء ، وأقلام الادباء المعروفين بسلامة اللغة، واستواء الاسلوب، ممن يقتدى بأساليبهم ، ويوتم بما يأتون، فضلا عن وروده في شواهد شعرية معتبرة .

وقد غرب عن البال أول وهلة ماكان قد علق فيه من استعمالات هذا البناء، ثم كان اول ماتبادر الى الذهن من ذلك قول عبد الرحمن الداخل المعروف حين طالعته نخلة، بعيداً عن موطن النخل.

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل(١)

ولئن كان هذا الخليفة قد نأى كثيراً عن موطن اللغة ومعدنها مما قد لاينشطُ على الاقرار له بهذا الاستعمال، فقد تهيّأ لنا الوقوع بعد ذلك على طائفة من الشواهد الشعرية المعتبرة؟ جاد فيها هذا البناء مؤدياً المعنى الذي أردناه، كلها من اللباب في مجال الاستشهاد ، ولها من الوثوق والاعتبار النصيب الأوفى ،لشعراء جاهليين واسلاميين وامويين من ذلك قول المرار بين منقذ ضمن قصيدة في المفضليات(٢)

لحسبت الشمس في جلبابها قد تبدت من غمام مبسفر

وقول معن بن اوس المزني:

تبدّى فتدنو ثم تنأى بوصلها لتبلغ مني او لتقتلني قتلا (٣)

وقول زهير بن ابي سلمى:

قامت تبدّى بذي ضال لتحزنني ولا محالة أن يشتاق من عشقا (٤)

وقول قيس بن الخطيم:

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب(٥)

وقوله:

تبدّت لي لتقتلني فابدت معاصم فخمة منها وجيدا(٦)

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٥٤
(٢) المفضليات ص٩٢
(٣) ديوان معن بن اوس المزني ص٥٨
(٤) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص٣٤
(٥) ديوان قيس بن الخطيم ص٧٩
(٦) ديوان قيس بن الخطيم ص١٤٦

وقول عمرو بن معد يكرب:

وبدت لميس كأنها قمر الزمان اذا تبدى (١)

وقوله:

أمن ليلى تبدّى بعد هدء خيال هاج للقلب ادكار(٢)

وقول العرجي:

أرقت بسلع إن ذا الشوق بأرق

لبرق تبدّى آخر الليل يخفق (٣)

وقوله:

تبدّت لنا يوم الرحيل كأنها احمّ المآقي في نعاج الربائب (٤)

وقول ابن الدمينة، وقد ذكر الفعل في شطري البيت:

تبدت لنا من بين استار قبة كشمس تبدت حين زال سحابها(٥)

وقول العجاج:

لما تبدّت ملثا كالمغزل

فاترة الطرف من التدلل (٦)

ومما لاشك فيه أن اقحام أحرف الزيادة في بنية الأصول الثلاثية والرباعية انما هو أمر موكول الى السماع، ولا يمكن الايغال فيه انسياقاً وراء القياس اعتماداً على النظائر. إذ ان زيادة حرف او حرفين او ثلاثة على فعل لاتستلزم أن تبيح زيادة هذه الأحرف على فعل آخر يماثله في دلالته، أو يقاربه في ذلك، لأن أحرف الزيادة لاتؤدي دائماً مايناط بها من الدلالات عند إقحامها في بنية الفعل، فقد تزاد أحرف التعدية، ولا يحدث ثَمّ تعدية، او يزاد الفعل بما يجعله من ابنية المطاوعة، ولا نجد في المزيد شيئاً من دلالته

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب ص٦٨

(٢) ديوان عمرو بن معد يكرب ص٩٩

(٣) ديوان العرجي ص٣٠

(٤) ديوان العرجي ص١٤٦

(٥) ديوان ابن الدمينه ص٢٠٤

(٦) ديوان العجاج ص١٨١

المطاوعة ، وفضلا عن ذلك فقد نجد ان الفعل مع الزيادة لايتعدى دلالته دونها ، بل قد يخرج الاصل بالزيادة عن دلالته المعروفة الى معنى شديد البعد عن معناه مجرداً منها .

ومن اجل ذلك نجد ان المعجمات تعمد عند تعرضها لأصل من الاصول الى ايراد كل مايتحمله هذا الاصل من أحرف الزيادة مع الأشارة الى معناه معها ، سواءٌ أغيرت دلالته أم لم تغيرها وفي خلال ذلك نجد أنها تقتصر على ماهو معروف ، فلا تورد كل احرف الزيادة مع كل أصل، بل نجد أنها قد تنكر صوراً من صور الزيادة ، أو تنبه على عدم شيوعها.

فقد أنكرت معجماتنا زيادة الهمزة والنون على الفعل (دخل) إذ أورد ابن منظور هذا البناء وعقّب عليه بقوله «وقد جاء في الشعر اندخل ، وليس بالفصيح، قال الكميت :

لاخلوتـي تتعاطـى غيـر موضعهـا ولا يـدي في حميت السكن تندخـل»(١)

وقد وجدنا هذا البناء في شعر المتوكل الليثي ايضاً:

اذ يقول :

أنـا الصقـر الـذي حـدثت عنـه عتـاق الطيـر تندخـل اندخـالا(٢)

وأنكر الفراء انفعل من (جاب) فقد ذكر الزبيدي « وانجابت الناقة مدت عنقها للحلب كأنها أجابت حالبها، قال الفراء لم نجد انفعل من أجاب» (٣) .

وانكر الازهري هذا البناء من «حسر» : «وحسر البحر عن العراق والساحل يحسر نضب عنه حتى بدا ماتحت الماء من الأرض قال الازهري ولا يقال انحسر البحر»(٤)

لكن معجماتنا لم تعقب بشيء على انضرج وانسدد وانصار وانقعر وانضاع وانسرق وانجفل وانجال وانقحم، فأكتفت باثباتها وبيان معانيها.

وقد انكر ابن منظور افتعل من نتج ، إذ يقول «وقد قال الكميت بيتاً فيه لفظ ليس بالمستفيض في كلام العرب ، وهو قوله :

ليـنـتـتـجـوها فتنـة بعد فتنـة

والمعروف من الكلام لينتجوها» (٥)

---

(١) لسان العرب ج١٣ ص٢٥٤
(٢) شعر المتوكل الليثي ص١٤٥
(٣) تاج العروس ح٢ ص٢٠٥ (الكويت)
(٤) تاج العروس ح١١ ص١٨ (الكويت)
(٥) لسان العرب ح٣ ص١٩٦

كما انكر هذا البناء من (محا) ، ففي لسان « وامحّى الشيء يمحّى امحاءً انفعل ، وكذلك امتحى اذا ذهب أثره، وكره بعضهم امتحى والاجود امحّى، والاصل فيه انمْحى واما امتحى فلغة رديئة » (١)

لكن معجماتنا لم تعقب بشيء على اخترج وامتنح ، واشتكر واقتشر واكتسر وامتسك واجتعل واقتال » .

ومما انكره اللغويون من ابنية الزيادة أفعل من فتن ، ففي الجمهرة واختلف اهل اللغة في فتنت وافتنت ، فقال قوم لايقال الا فتنة فهو مفتون، وهي اللغة الكثيرة، وقال آخرون افتنته فهو مفتن، وأبى الاصمعي الا فتنت ولم يجز افتنت اصلاً ، وكان يطعن في بيت رؤبه :

ودعـن من عهـدك كـل ديـــدنْ وانصعن اخدانـاً لــذاك الآخــدنُ
يعرضن اعراضاً لدين المفتن

ويقول هذا موضوع على رؤبه، قال ابو حاتم فانشدته لاعشى همدان

لئـن فتنتني لهـي بـالامس أفتنــت سعيداً فامسى قـد قلـى كـل مسلـم

قال هذا آخذ عن مخنث وليس بثبت» (٢)

كما أنكر الاصمعي أحذى: « وقال الاصمعي حذاني نعلا ولا يقال أحذاني» والجوهري يثبته «وقال الجوهري احذيته نعلاً اعطيته نعلا»(٣). وهو ينكر أمحقه، ففي الصحاح «ومحقه الله أي أذهب بركته ، وامحقه لغة رديئة» (٤)

وانكر الأزهري أهجم، ففي تهذيب اللغة « قال الليث هجمنا على القوم هجوماً اذا انتهينا اليهم بغتة، ويقال هجمنا على الخيل، ولم أسمعهم يقولون أهجمنا» (٥)

وانكر ابن سيدة فاعَل من طرح ، ففي تاج العروس « ومن المجاز مطارحة الكلام، وهومعروف يقال طرح عليه المسألة اذا القاها، قال ابن سيدة وأراه مولداً» (٦) .

---

(١) لسان العرب حـ٢٠ ص١٣٩
(٢) الجمهرة حـ٢ ص٢٤-٢٥
(٣) تاج العروس حـ١٠ ص٨٥
(٤) الصحاح حـ٤ ص١٥٥٣
(٥) تهذيب اللغة حـ٦ ص٦٨
(٦) تاج العروس حـ٦ ص٥٧٥ (الكويت)

ولقد بلغ من حذر علماء اللغة في هذا الشأن أنهم حين يروون بناءً من ابنية الزيادة كانوا يبادرون الى نسبته الى راويه، نجد ذلك مبثوثاً بكثرة في معجماتنا الموسعة، وغير الموسعة، ففي لسان العرب « وقطر الماء والدمع وغيرهما.. يقطر قطراً وقطوراً وقطراناً أقطر الأخيره عن ابي حنيفة، وتقاطر، انشد ابن جني:

كأنه تهتان يوم ماطر   من الربيع دائم التقاطر» (١)

وفي تاج العروس «وقارب الفرس الخطو اذا داناه قاله ابو زيد، وقارب الشيء داناه عن ابي سيدة» (٢)

وفيه ايضاً «وتزاحفوا في القتال اذا تدانوا عن ابن دريد والزمخشري» (٣)

وفي لسان العرب « وازدهد العطاء استقله ، ابن السكيت يقولون فلان يزدهد عطاء من اعطاه أي يعده زهيداً قليلا» (٤)

وفي تاج العروس «تهابطوا اجتمعوا وأصلحوا أمرهم، نقله الجوهري عن الفراء» (٥)

وفيه ايضاً «ونقل الجوهري عن ابن السكيت التمظ الشيء أكله» (٦).

وفيه ايضاً «ومما يستدرك عليه تبلّع الشيء تبلّعاً جرعه عن ابن الاعرابي» (٧) .

وجاء في تاج العروس ايضاً «وخات اختطف ، يقال خاتتة العقاب تخوته اختطفته» ثم يقول « وتخوّت الشيء اختطفه عن ابن الاعرابي» (٨)

ومثل هذا كثير في معجماتنا:

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا السياق أن البناء مع الزيادة قد يكون لغة لقوم دون غيرهم فقد ذكر الزبيدي « وفي حديث خزيمة» وذكر السنة ، وغاضت لها الدرة اي نقص اللبن كانغاض لغة حجازية» (٩)

---

(١) لسان العرب جـ٦ ص٤١٨

(٢) تاج العروس جـ٤ ص١٧ (الكويت)

(٣) تاج العروس جـ٦ ص١٣٥

(٤) لسان العرب جـ٤ ص١٨٠

(٥) تاج العروس جـ٢٠ ص١٩٨ (الكويت)

(٦) تاج العروس جـ٢٠ ص٢٧٨ (الكويت)

(٧) تاج العروس جـ٢٠ ص٢٥٨ (الكويت)

(٨) تاج العروس جـ٤ ص٥١٥ (الكويت)

(٩) تاج العروس جـ١٨ ص٤٨١ (الكويت)

وذكر الزمخشري أن أغسق من غسق لغة لبني تميم «وأغسق عن تغلب، قال الزمخشري هي لغة بني تميم ، ومثله دجا وادجى» (١)

وفي لسان العرب « قال الاصمعي استأورت الابل إذا ترابعت على نفار واحد، وقال ابو زيد اذا نفرت فصعدت الجبل، فاذا كان نفارها في السهل قيل استأورت، قال وهذا كلام بني عقيل » (٢)

وفي مقاييس اللغة « يقال ألفت الشيء آلفه إلفاً وأنا آلف، وآلفته وأنا مؤلف» ثم يقول «قال ابو زيد : أهل الحجاز يقولون آلفت المكان والقوم وآلفت غيري حملته على ان يألف» (٣) .

واورد ابن منظور «قال الجوهري وأحر النهار ــ لغة سمعها الكسائي»(٤) . وذكر الزبيدي ذلك في التاج على هذا النحو، «وأحر النهار صار حاراً لغة في حر يومنا سمعه الكسائي، وحكاهما ابن القطاع في الافعال والابنية، والزجاج في فعلت وأفعلت» (٥).

ونقل الزبيدي عن العباب « وفي العباب وفي لغة هذيل أن يوتر الرجل فلا يطلب ثأره يقال التعص» (٦)

ومما ذكر لغة لهذيل ايضاً «انحرد» ففي تاج العروس «والمنحرد المنفرد في لغة هذيل»(٧)

وقد ذكر قبل ذلك « أحرده أفرده ونحاه عن الزجاج» فالذي في لغة هذيل هو بناء انفعل.

وفي تاج العروس « وقال الليث أخفيت الصوت فأنا أخفيه اخفاءً، وفعله اللازم اختفى وقال الازهري الاكثر استخفى لااختفى، واختفى لغة ليست بالعاميه، وقال في موضع آخر أما اختفى بمعنى خفي فهي لغة، وليست بالعامية ولا بالمنكرة» (٨)

---

(١) تاج العروس حـ٧ ص٣٧

(٢) لسان العرب حـ٥ ص٩٦

(٣) مقاييس اللغة حـ١ ص١٣١

(٤) لسان العرب حـ٨ ص٢٥٠

(٥) تاج العروس حـ١٠ ص٥٨٩ (الكويت)

(٦) تاج العروس حـ١٨ ص١٨٣

(٧) تاج العروس حـ٨ ص٢١ (الكويت)

(٨) تاج العروس حـ١٠ ص١١٦

وهذا كله يفسر لنا حرص معجماتنا على اثبات مايتحمله الاصل من أحرف الزيادة ، سواءاً غيرت المعنى ام لم تغيره كما يوضح لنا مانلحظه من انها لايتساوى فيها ماتعرضه من الابنية لكل أصل، فقد يكثر عدد الابنية لطائفة من الاصول حتى تكتمل لها كل صور الزيادة، وقد تقل فلا يذكر لها الا بناء واحد او بناءان كما سترى، مما ينبىء أن مالم يذكر منها انما هو غير موجود ، أو أنه يفتقر الى مايوثق اثباته ، كما يؤكد بجلاء ان الامر في هذه الابنية مرهون بالسماع وموكول اليه .

ولقد كان علماء اللغة حذرين في هذا الشأن الحذر الذي تعكسه نسبتهم البناء الى راويه او الى الناطقين به ان كان يمثل لغة ، وانهم لم يكونوا يرتجلون هـذه الابنية ارتجالا ، وان كان المعنى يغري بذلك .

وخير دليل على ذلك مارأيناه بشأن الفعل «تبدى» اذ لولا الشواهد التي اوردناها لكانت الحجة الدافعة الى الاحجام عن استعماله بمعنى أصله المجرد أقوى مما يغري بذلك، مادامت المعجمات كلها قد خلت من الاشارة الى اثباته بهذا المعنى .

ولقد حفزنا هذا على تتبع المظان المعروفة للشواهد المعتبرة، وهي دواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين والامويين، وكتب الاختيار والنوادر ، وتسقط كل ما ساورنا الشك في وروده في معجماتنا ، ولقد اقتضانا ذلك جهداً كبيراً لكثرة دواوين الشعراء لهذه الفترات الثلاث ، ولكثرة مصادر شعرهم، مع حرصنا على استيفاء كل مايمكن استيفاؤه منها، وصولا الى مااستهدفناه، فقد كان الكثير مما تراءى لنا أنه غير وارد في هذه المعجمات مذكوراً فيها، كما كان الكثير من الدواوين التي نظرنا فيها لايعطينا من هذا الذي استهدفناه شيئاً لاقتصار الشاعر على استعمال ما هو شائع معروف .

ولقد خلص لنا من هذه السياحة الطويلة في دواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين والامويين وغيرها من موارد الشواهد اللغوية ومصادرها طائفة من الالفاظ ثبت لنا أن معجماتنا قد أخلت بها، بلغت مائة واحدى واربعين لفظة، منها مائة واربعة افعال مما جاء على ابنية الزيادة، وسبعة وثلاثون مصدراً مما جاء على وزن تفعال .

وقد وجدنا في هذا كله كفاءً للجهد الذي بذلناه، ولئن كنا نعد المعجمات السبيل الوحيد للاهتداء الى مايمكن استعماله مما يعن على الخاطر من هذه الابنية، وما لايمكن استعماله منها وأنها الحكم الفصل في هذا الصدد، فان اثبات البناء المستدرك الموثق بالشاهد

المعتبر حقيق بأن يعدّ إضافة لاتخلو من فائدته، ويسدُّ خله، وإن كانت هينة جداً بالقياس الى الجهود العظيمة لاسلافنا في هذا الشأن .

وقد تكشف لنا من خلال تتبعنا للابنية التي تراءى لنا أنها قد تكون غير واردة في معجماتنا أن نفراً من المحققين لدواوين الشعراء ، أو جامعي شعرهم يعمدون الى تخطي بعض الغريب الوارد في النصوص التي يحققونها حين لاتسعفهم المعجمات للوصول الى معناه ضمن سياق النص، ولعل من اعتسف سبيل النظر في تراثنا الشعري المحقق قد عن له أمثلة كثيرة من ذلك ، ولعل هؤلاء لمحوا ان بعضاً من المحققين يعمدون الى تفسير معنى البين الواضح مما يرد في البيت او القصيدة ،مغضين النظر عما يقارنه او يقاربه من الغريب الذي يستلزم ذلك حين لاتسعفهم المعجمات للوصول الى معناه ضمن سياق النص وربما كانوا يتحاشون الاشارة الى انهم لم يقعوا على معناه فيما راجعوه من المعجمات، لانهم لايريدون التنبيه على ماقد يعدُّ إخلالاً في جهودهم ، كما وجدنا أن نفراً من المحققين يقدمون على شرح اللفظ اعتماداً على مايلمحونه من معنى أصله المجرد، مما يُدخل في ظن القارىء أن المحقق قد استقى هذا الشرح من المعجم ، في حين أنه أتى بمعناه مما تراءى له من معنى السياق، او معنى أصله المجرد، دون ان ينبه الى أنه مما أخلت به معجماتنا.

من ذلك مافعله محقق شعر عبيد بن الابرص، فقد اورد قوله:

وكل مجتمع لابد مفترق وكل ذي عمر يوماً سيحتنط(١)

وفسرّ احتنط في هامشه بأنها« من التحنيط» وهو معالجة جثة الميت وحشوها بالحنوط» ومـا فعله محقق ديوان النابغة الذبياني ، فقد اكتفى في سياق شرحه للغريب في هذا البيت :

واسمر مارن يلتاح فيه سنان مثل نبراس النهام(٢).

بقوله « ويلتاح :يظهر» .

وما أورده محقق ديوان حميد بن ثور الهلالي في هامش البيت:

اذا خاف جوراً من عدوٍ رمت به مخالبه والجانب المتواسع (٣) اذ جاء فيه « والمتواسع وصف من السعة» .

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص٩٣

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص١١٣

(٣) ديوان حميد بن ثور ص١٠٤

وما ذكره محقق شعر الاخطل ، فقد أورد قوله :

معي فتية ما يسالون بهالك   اذا ماتناشوا اسبلوا سبل الازر (١)

وفسر تناشوا بـ « سكروا »

وما فعله محقق ديوان الطرماح ، فقد أورد قوله :

وهل استمعنّ يُعيد وهن   تهزّج سمر جن اوعوان (٢)

وذكر في هامشه « استسمع بمعنى سمع واستمع سواء »

ولقد كان الاجدى من هذا النحو من التفسير الذي لايضيف إلى ماهو ظاهر من السياق أي شيء ، نقول كان الاجدى منه التنبيه على أن كلا من هذه الابنية هو مما أخلت به معجماتنا .

كما تكشف لنا أنّ نفراً من المحققين لايكلفون انفسهم عناء البحث عن معنى الغريب من ابنية للزيادة في المعاجم ؛ لانّ فيما يلمحونه من معنى الاصل ، ومن دلالة السياق مايغنيهم ويغني القاريء في ظنهم عن ذلك ، فيتبادر إلى الذهن انه بناء معروف ، في حين أن المعجمات لاتثنيه ، وفيما سنسوقه من هذه الابنية المستدركة امثلة على ذلك ، فان الكثير مما اثبتناه منها لم يستوقف الباحثين ، ولا تستثني منهم الا الدكتور عزة حسن في تحقيقه لديوان الطرماح بن حكيم ، وديوان ابن مقبل ، والدكتور احمد راتب النفاخ في تحقيقه لديوان ابن الدمينه ، والاستاذين احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون في تحقيقهما للمفضليات والاصمعيات ، فقد نبه هؤلاء على مالم تذكره معجماتنا مما ورد في النصوص التي حققوها ، وان كانت قد فاتتهم الفاظ فسّروها اعتمادا على ما يلمح من معنى الاصل مجرداً ، دون أن ينبّهوا على عدم ورودها في معجماتنا . وسنشير إلى ذلك في مواضعه .

كما يؤخذ عليهم انهم قد ينبّهون على ابنية بانها غير واردة في المعجمات ، وهي مذكورة فيها .

من ذلك قول الدكتور عزة حسن في هامش بيت تميم ابن مقبل.

خلال سيوف الحي منها مذرع   بطعن ومنها عاتب متسيف (٣)

« المتسيف : نرى انه الذي ضرب بالسيف ، وان لم تذكره كتب اللغة »

---

(١) شعر الأخطل حـ٢ ص٧٢٠

(٢) ديوان الطرماح بن حكيم ص٥٥٣

(٣) ديوان ابن مقبل ص١٩٨

وفي تاج العروس « وتسايفوا وسايفوا واستافوا أي تضاربوا بالسيوف » « وجاء في موضع آخر منه « وتسيفه ضربه بالسيف » (١)
والفعل الاخير يردُّ ماذكره المحقق ، فالوصف مأخوذ منه .

ومنه أيضاً قوله عقب ايراده بيت ابن مقبل .

يسوفان من قاع الهتي كدامة أدام بها شهر الخريف وسيلا(٢)
يقول « آدام بها أي أمطرها ، من الديمة ، ولم تذكر كتب اللغة أدام » .

وفي اساس البلاغة « وديمت السماء وادامت » (٣)

وفي القاموس المحيط « وادامت السماء أمطرت » (٤)

وفي تاج العروس « وكذلك ادامت السماء أي أمطرت ديمة ، الاخيرة عن الزمخشري »(٥)

ومنه ايضاً قوله في هامش بيت الطرماح

اذا غدت تمتحي معاجيل خل اذا ما انتحت كؤده
« امتحى ها هنا بمعنى محا ، ولم أجدها بهذا المعنى في كتب اللغة » (٦) وفي تهذيب اللغة « وامحى الشيء يمحى المحاءت وكذلك امتحى اذا ذهب أثره والاجود امحى .. واما امتحى فلغة رديئة » (٧)

وفي مقاييس اللغة « وامحى الشيء : ذهب أثره كذلك امتحى » (٨) وفي لسان العرب « وامحى الشيء يمحى امحاءً انفعل وكذلك امتحى اذا ذهب اثره وكره بعضهم امتحى والاجود أمحى » (٩)

وفي تاج العروس «وامحى فادعى وامتحى لغة فيه قليلة ، وفي الصحاح ضعيفة »(١٠)

---

(١) تاج العروس حـ٦ ص١٤٩ وص١٥٠
(٢) ديوان ابن مقبل ص٢١٤
(٣) اساس البلاغة ص٢٨٨
(٤) القاموس المحيط حـ٤ ص١١٤
(٥) تاج العروس حـ٨ ص٣٩٦
(٦) ديوان الطرماح بن حكيم ص٢٢٢
(٧) تهذيب اللغة حـ٥ ص٢٧٨
(٨) مقاييس اللغة حـ٥ ص٣٠٢
(٩) لسان العرب حـ٢٠ ص١٣٩
(١٠) تاج العروس حـ١٠ ص٣٣٨

وبصرف النظر عن كون امتحى لغة قليلة اوضعيفة فان المعجمات الموسعة قد ذكرتها خلافاً لما اثبته الدكتور عزة حسن .

وقد وجدنا امتحى في بيت آخر ، وهو قول ذي الرمة

وبعض الهوى بالهجر يمحى فيمتحى وحبك عندي يستجد ويربح (١)

ومن ذلك ايضاً قول الدكتور أحمد راتب النفاخ في هامش بيت لابن الدمينة ، وهو

ويرد ثناياها اذا ما تغورت نجوم يشف الواجدين غيوبها (٢)

يقول « وتغورت النجوم : انحدرت للمغيب ، ولم اجد هذا الحرف بهذا المعنى في كتب اللغة ، الا أن الزمخشري أشار اليه في الاساس » .

ولسنا ندري ماكتاب اساس البلاغة عند النفاخ ، ان لم يكن من كتب اللغة !!.

وفي تاج العروس « وغار نجمك غياراً وتغّور ، قال لبيد :

سريت بهم حتى تغوّر نجمهم وقال النعوسُ نور الصبح فاذهب (٣)

وقد جاء تغور النجم في بيت للحارث بن خالد المخزومي ، وهو قوله :

تسبي الضجيج اذا النجوم تغورت طوع الضجيج انيقة التوسم (٤)

ومن ذلك ماذكره محققا المفضليات في هامش قول محرز بن المكعبر الضبي :

دارت رحانا قليلاً ثم صبحهم ضرب يُصبح منه جلة الهام(٥)

اذ يقولان « وتصيح هي تصوت ، واراد بذلك صوت وقوع الضرب عليها » ولم ترد بهذا المعنى في المعاجم » .

وفي لسان العرب « وصيح صوتَ باقصى طاقته ، يكون ذلك في انفاس وغيرهم» وقد جاء ذلك في تاج العروس ايضاً (٦) .

---

(١) ديوان ذي الرمة ص٧٩

(٢) ديوان ابى الدمينة ص١٨٥

(٣) تاج العروس جـ١٣ ص٢٧٦

(٤) شعر الحارث بن خالد المخزومي ص٩٨

(٥) المفضليات ص٢٥٢

(٦) لسان العرب جـ٣ ص٣٥٣

(٧) تاج العروس جـ٦ص٥٦٠ (الكويت)

ومنه ايضاً ما ذكراه في هامش قول المزردين ظرار الغطفاني

ولاص كظهر النون لايستطيعها سنانٌ ولا تلك الخطا والدواخلُ

موشحةٌ بيضاء دان حبيكها لها حلق بعد الانامل فاضل (١)

يقول المحققان « موشحة فيها طرائف صفر، أي نحاس ، وهذا لم يذكر في المعاجم»

وفي مقاييس اللغة « وشاة موشحة بجنبيها خطأت » (٢) وفي اللسان والتاج « والوشحاء من المعز السوداء الموشحة ببياض اذا كان له خطتان كالوشاح » ، وثوب موشح وذلك لوشي فيه » (٣)

وكل ذلك يشير إلى المعنى الذي تضمنه بيت المرزد في وصف الدرع ، وليس ثمّ ما يشير إلى الطرائق الصفر في البيت .

ومعه ايضاً ماذكره المحققان في هامش قول الجميح

فان تقرّي بنا عينا وتختفضي فينا وتنتظري كري وتغرسي(٤)

اذ جاء فيه « ولفظ اختفض مما اهملته المعاجم »

وقد ورد هذا البناء في العين « وخفضت الشيء فانخفض واختفض »(٥)

وفي الجيم لابي عمرو الشيباني « والتقمسُ اختفاض الضفادع في الماء وانغماسها(٦)

وفي لسان العرب ، في مستهل المادة « وانخفض ضد الرفع خفضه يخفضه خفضاً، فانخفض واختفض » (٧)

وفي القاموس المحيط « واختفض اتحط » (٨)

وفي تاج العروس « واختفض اتحط فانخفض ، نقله الصاغاني »(٩)

---

(١) المفضليات ص٩٨

(٢) مقاييس اللغة حـ٦ ص١١٤

(٣) لسان العرب حـ٧ ص٢١٠ وتاج العروس حـ٣ ص٢٧٣

(٤) المفضليات ص٣٥

(٥) العين حـ٤ ص١٧٨

(٦) الجيم حـ٣ ص١١٢

(٧) لسان العرب حـ٩ ص٤

(٨) القاموس المحيط حـ٢ ص٣٢٠

(٩) تاج العروس حـ١٨ ص٣٢١

ومنه ايضا ما اورداه في هامش بيت المرقش الاكبر

فيارب شلو تخطر منه كريم لدى مزحف أو مكر(١)

فقد جاء فيه « تخطر منه استليته وجاوزنه وخلفته ، وهذا بالتعدية وبهذين المعنيين لم يذكر في المعاجم »

وفي مقاييس اللغة « ومن ذلك تخطرف الشيء اذا جاوزه » (٢) وفي اللسان والتاج «تخطرف الشيء اذا جاوزه وتعداه» (٣) .

ومنه ايضاً ماذكراه في هامش بيت لعبد المسيح بن عسلة العبدي ، وهو قوله .

تمكك اطراف العظام غدية ونجعلهن للانوف خواطما (٤)

اذ قالا « التمكك اخراج المخ من العظم بالشفتين ، او مص جميع مافي الضرع ، وقيل التمكك شدة الاستقصاء عن العظم بالضرس ، وهذا المعنى ليس في المعاجم »

وفي مقاييس اللغة « يقولون تمككت العظم: أخرجت مخه..والتمكك الاستقصاء»(٥)

وفي لسان العرب « ومك العظم مكاً وتمككه وتمكمكه امتص ما فيه من المخ ... التهذيب : مككت المخ مكاً تمككته وتمخمخته اذا استخرجت مخه » (٦) .

وفي تاج العروس « مكه أي العظم يمكه مكاً وامتكه وتمككه ومكمكه مصه جميعه مما فيه من المخ ، وكذلك الفصيل مافي ضرع امه ،والصبي اذا استقصى ثدي امه بالمص»(٧)

ومنه ايضاً ما أثبته المحققان في هامش قول ربيعة مقروم الضبي :

ويوم جراد استلمت أسلاتنا يزيد ولم يمرر لنا قرن أعضب(٨)

اذ جاء فيه « ... استلحمته جعلته لحماً ، ولم يذكر هذا المعنى في المعاجم.

وفي لسان العرب « واستلحم روهق في القتال ، واستلحم اذا احتوشه العدو في القتال » (٩)

---

(١) المفضليات ص٢٣٦

(٢) مقاييس اللغة ج٢ ص٢٥٢

(٣) لسان العرب ج١٠ ص٤٣٦ ، وتاج العروس ج٦ ص٢٩٠

(٤) المفضليات ص٣٠٤

(٥) مقاييس اللغة ج٥ ص٢٧٤

(٦) لسان العرب ج١٢ ص٣٨٠

(٧) تاج العروس ج٦ ص١٧٩

(٨) المفضليات ص٣٠٤

(٩) لسان العرب ج١٦ ص١٠

وذكر الزبيدي « ومن المجاز استلحم الرجل مجهولا اذا روهق في القتال ، وفي الصحاح احتوشه العدو في القتال ، وفي الاساس استلحمه الخطب نشب فيه » (١) .

وكل ذلك يؤدي المعنى الذي أراده ابن مقروم .

ومنه ايضاً ماذكراه في هامش قول عبده بن الطيب

كان غسلة خطمي بمشغرها في الخدمنها وفي اللحيين تلغيم (٢).

اذ قالا « التلغيم تفعيل من اللغام ، وهو زبد تخلطه خضرة مما رعت ، وهذا المشتق لم يذكر في المعاجم » .

وفي لسان العرب « وقال الكلاي الملاغم من كل شيء الفم والانف والاشداق ، وذلك انها تلَغمّ بالطيب ، ومن الابل بالزبد » (٣)

ولئن كان المصدر شتقاً في مذهبهما ، فان ذلك ادعى للاقرار — بوجوده اعتماداً على نص اللسان ، بأية ورود فعله فيه .

ومنه أيضاً ما ذكره المحققان في الاصمعيات ، في هامش البيت الاخير من قصيدة للحكم الخُضْري ، وهو قوله

إذا استقبلتها الريح صدق بخطمها قليلاً ، وحثت من نجاء منحبّ

اذ جاء فيه «منحب من قولهم نحبنا سيرنا : دأبناه ، وهو في اللسان ، ولم يذكروا من هذا الوصف اسم المفعول ، بل قالوا سير منحِّب بكسر الحاء المشددة أي سريع ، ولكن ما فعلناه عن اللسان يؤيد صحة الوصف بوزن المفعول والبيت شاهده» (٤) .

وليس ثمة أغرب من هذا الكلام ، فهو غير مذكور على الرغم من ورود فعله في المعاجم ، ثم هو محتمل الورود استناداً لذلك !

فاذا كان الفعل — مضعفاً — قد ذكر في المعاجم ، وإذا كان قد صيغ من هذا المضعف اسم الفاعل ، فما جدوى قولنا انهم لم يذكروا منه اسم المفعول ؟ ، ومعلوم أن المعجمات لا تسود كل المشتقات للاصل مجرداً او مزيداً .

(١) تاج العروس ج٩ ص٥٧

(٢) المفضليات ص٣٩٩

(٣) لسان العرب ج١٦ ص١٩

(٤) الاصمعيات ص٣٣

وفي اصلاح المنطق « وتقول : سرنا اليها ثلاث ليالٍ منحبات ، أي دائبات ، وقد نحبنا سيرنا أي دأبنا» (١) .

وقد جاء في هامش «منحبات» : «كذا ضبط في (ب) مع لفظ معاً أي بالفتح والكسر»

وفي اساس البلاغة «ونحب القوم في سيرهم ونحبوا» (٢)

وفي تاج العروس «ونحب السفر فلانا إذا سار كثيراً وأجهده» (٣)

فالسائر المُجتهد منحب كما يؤخذ من عبارة التاج .

ومنه ايضاً ما أورداه في هامش بيتٍ في قصيدة الحكم الخضري ذاتها :

إذا غضبت أن يزجر العيس خلفها كست خطمها من كسوة لم تهدّب(٤)

اذ جاء فيه «لم تهدب من هدبة الثوب ، وهي طرفه الذي لم ينسج ، ولم يذكر منه فعل في المعاجم»

وفي الصحاح «وهدبُ وهدّاب الثوب ما على أطرافه ، ودمقس مهدَّب ، أي ذو هدّاب ، وهيدب السحاب ما تهدَّب منه اذا اراد الودق كأنه خيوط» (٥)

ومنه ايضاً ما اثبته المحققان في هامش قول سوار بن المضرب

يقيسان الفلاة كما تغامى خليعا غاية يتبادران (٦)

اذ قالا «تغامى من المغالاة وهي المراماة لينظر ايهما ابعد غلوة وقد جعل المغالاة هنا لسباق الخيل ، وكلمة تغالى بهذا المعنى لم ترد في المعاجم المتداولة»

وفي مقاييس اللغة «وغلا بسهمه غلوا إذا رمى به سهماً اقصى غايته .. وتغالى الرجلان تفاعلا من ذلك» (٧)

وفي اساس البلاغة «وتغالينا بالسهام وترامينا بالمغالي» (٨)

وجاء في لسان العرب «وقد تستعمل الغلوة في سباق الخيل» (٩)

---

(١) اصلاح المنطق ص٣٦٣

(٢) اساس البلاغة ص٦٢٢

(٣) تاج العروس ج٤ ص٢٤٤ (الكويت)

(٤) المفضليات ص٣٢

(٥) الصحاح ج١ ص٢٣٧ وانظر مقاييس اللغة ج٦ ص٤٤ ولسان العرب ج٢ ص٢٧٨

(٦) الأصمعيات ص٢٤١

(٧) مقاييس اللغة ج٤ ص٣٨٨

(٨) اساس البلاغة ص٤٥٤

(٩) لسان العرب ج١٩ ص٣٦٩

وعلى هذا فان «تغالى» لما كانت تعني المراماة ، وهو التسابق في المرمى ، ولما كانت «الغلوة قد تستعمل في سباق الخيل» كما ذكر ابن منظور ، فان ذلك كله يبيح استعمال «تغالى» في سباق الخيل مادام المتسابقان يرميان بانفسهما بأقصى الوسع في الشوط .

ومهما يكن من أمر فان استعمال تغالى في سباق الخيل هو من قبيل المجاز مع المسوغ نفسه ، فلا يعد عدم ذكر المعاجم له إخلالاً

وقد عدّ المحققان من هذا الضرب ماليس منه ، فقد أوردا قول المرقش الاصغر

تحلين ياقوتا وشذراً وصيغة ... وجزعاً ظفارياً ودرّاً توائما (١)

وذكرا في هامشه «تحلين» لبسن الحلي ، وهو متعد بدون الحرف ولم يذكر ذلك في المعاجم »

ولا يدخل هذا في نطاق ما أخلت به معجماتنا ، وانما هو من قبيل النصب على نزع الخافض ، ومن امثلته قول جرير :

«كانت مجربةً تروز بكفّها ... كمر العبيد وتلعب المهزاما

اراد وتلعب بالمهزام» (٢)

وقول عمرو بن معد يكرب

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب (٣).

ومثل هذا كثير في الشعر .

وقبل أن نورد مستدركاتنا يجدر بنا أن نشير إلى أننا قد التزمنا بما يأتي :

١ — إن ما أثبتناه هو مما لم يرد في المعجمات التي بين ايدينا كلها ، وهي : العين الخليل بن احمد الفراهيدي ، والجيم لابي عمرو الشيباني ، والجمهرة لابن دريد ، وديوان الأدب للفاراي ، والبارع للقالي ، وتهذيب اللغة للازهري ، والمحيط في اللغة للصاحب إبن عباد ، ومقاييس اللغة ، ومجمل اللغة لابن فارس ، والصحاح للجوهري ، والمحكم ، والمخصص لابن سيدة ، واساس البلاغة للزمخشري ، والعباب ، والتكملة والذيل والصلة للصاغاني ، ولسان العرب لابن منظور ، والمصباح المنير للفيومي ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي وتاج العروس للزبيدي

(١) المفضليات ص٢٤٩

(٢) المحكم ﺣ٤ ص١٧٣

(٣) سيبويه ﺣ١ ص٣٧

٢ ـ اثبتنا في سياق ايرادنا لابنية الزيادة ما جاء من ابنية الزيادة الاخرى للأصل ، ولم نشر إلى معاني كل منها ، لأن ما نتوخاه هو اثبات البناء المستدرك فقط .

٣ ـ اما المصادر التي استدركناها مما جاء على وزن «تفعال» فقد اثبتنا في سياق ايراد كل منها ما ذكر من مصادره الاخرى في معجماتنا ، كما اوردنا بجانبه ابنية الزيادة لفعله ، لأن وجود البناء إيذان بوجود مصدره .

ماجاء على وزن فعل :

وهو بناء حرصت معجماتنا على ايراده ، حيثما ثبت وجوده في سياق عرضها لما يتحمله كل أصل من أحرف الزيادة .. كما انها انكرت ما جاء منه لبعض الاصول ، ففي لسان العرب ، «وبقّل وجه الغلام يبقل بقلاً وبقولاً وأبقل وبقـل خرج شعره ، وكره بعضهم التشديد ، وقال الجوهري : لا تقل بقـل بالتشديد» (١)

وأنكر ابن سيدة فعل من خطم ، ففي تاج العروس «وفرس مخطم كمعظم : اخذ البياض من خطمه إلى فكه الاسفل فصار كالخطام له ، قال ابن سيدة : ليس على الفعل لأننا لم نسمع خطمّ ، وانما توهموا ذلك» (٢)

وانكر بعضهم طيـن الحائط ، والصواب عنده طانَه (٣) .

واللغويون متفقون على انكار : عيرّ بمعني وزن والصواب عندهم عايَر .

ومن الجدير بالذكر أن صيغة «فعل» قد تكون لغة القوم : فقد ذكر ابو بكر الانباري «وخبـر وأخبر لغتان ومعناهما واحد كما تقول مَهـل وامهل ، ووصى واوصى» (٤)

وفي تاج العروس «ومما يستدرك عليه عضـضه تعضيضاً لغة تميمية» (٥)

وفيه أيضاً «ومما يستدرك عليه وهع الراعي دَّهع تدهيعاً لغة في دهع» (٦)

---

(١) لسان العرب جـ١٣ ص٦٤

(٢) تاج العروس جـ٨ ص٢٨٣

(٣) ديوان الأدب جـ٣ ص٤٣٨

(٤) شرح القصائد السبع الطوال ص٣٧٥

(٥) تاج العروس جـ١٨ ص٤٤٣

(٦) تاج العروس جـ٢٠ ص٥٧٠

وفي المصباح المنير «بَشِرَ بكذا يبشَرَ مثل فرح يفرح وزناً ومعنى .. ويتعدى بالحركة فيقال بَشَرتُه ابشُر بَشراً من باب قتل في لغة تهامة وما والاها ، والتعدية بالتقتيل لغة عامة العرب ، وقرأ السبعة باللغتين» (١)

وقد نسب ابن حسنون المقرىء الاولى لكنانة ، والثانية لتميم (٢) .

وترد صيغة فعل في مواضع كثيرة من مستدركات الزبيدي على صاحب القاموس (٣) ومما أخلت به معجماتنا مما جاء على هذا البناء : ـ

نذّر

وقد جاء بصيغة المصدر في قول العجاج

فغـــادرت منـــه لمـــن لـم يُحـرمِ
ذكـــرو و تـنذيـــراً لأمـــر مبـرم (٤)

ولم تذكر معجماتنا من ابنيته غير أنذر وانتذر وتناذر

غبش

لم تذكر معجماتنا من ابنية غبش مزيداً غير أغبش وتغبش ، وقد اكتفى اكثرهـا بذكر ثانيهما

وجاء غبش بصيغة المصدر في رجز لرؤبة

فـرضى ومـا جمعـت مـن خـروشي
في وخـط بيـع ليـس بـالتغبيش (٥)

مشّشَ

ولم يرد فيها غير امتشّ وتمششَ من مش وقد جاء في الارجوزة ذاتها :

اشكـــو اليـــك شـــدة المعيـــش
دهـــراً تنـقـــى المـخّ بالتمشيـــش (٦)

---

(١) المصباح المنير ﺣ١ ص٤٩

(٢) الغات في القرآن ص٢٧

(٣) انظر مثلا مااستدركه على المواد : كعب وذبح وبقر وستر وسجر وخدع وصدع وسال وكتل ونقل وختم ونام وهشم وهام ودهن .

(٤) ديوان العجاج ص٢٩٦

(٥) ديوان رؤبة ص٧٨

(٦) ديوان رؤبة ص٧٨

آسف

ولم يرد فيها غير آسف وتأسف ، وقد جاء أسف في قول رؤبة ، بصيغة المصدر أيضاً :

فقلت بين الخفض والتأسيف
غير لون اللمة الحصيف (١)

تلف

ولم يرد في معجماتنا من ابنية تلف غير أتلف وقد جاء تلف بصيغة المصدر في الارجوزة ذاتها اذ يقول :ـ

باق بدائي القيد للرسوف
او ناجلُ الاتلاف للتاليف (٢)

دلّف

جاء في معجماتنا من أبنية دلف : أدلف واندلف وتدَلّف
وقد جاء دلّف في ارجوزة رؤبة ، بصيغة المصدر ايضاً :

حمز الليالي أمَدّ التدليف
والدهر إن أضعف ذو تضعيف (٣)

ذبّلَ

لم يرد في معجماتنا من ابنية ذبل غير : أذبل وتذبّل
وقد جاء ذبّل بصيغة المصدر في قول عبده ابن الطيب .

خاظي الطريقة عريان قوائمه
قد شفّه من ركوب البرد تذبيل (٤)

وقد ذكر المحققان في هامشه «التذبيل التضمير من الذبول ولم يذكر في المعاجم»

قصّل

وجاء فيها من ابنية قصل مزيداً : اقتصل وانقصل واقصال
وقد ورد قصّل في ارجوزة لرؤبة بصيغة المصدر ايضاً :

---

(١) ديوان رؤبة ص١٠١
(٢) ديوان رؤبة ص١٠١
(٣) ديوان رؤبة ص١٠١
(٤) المفضليات ص١٤٣

خـردلهـا تفصيلـه ودقّـقـا
يفـرقـن مـن قمـر إذا تحنّـما (١)

حذّم

اكتفت كل معجماتنا بذكر الاصل الثلاثي ، ولم تذكر من ابنيه الزيادة له أي شيء وقد ورد حذّم بصيغة المصدر في قول رؤبة :

تسمـع للجـن بهـا زيـزيمـا
ولـلأداري بهـا تحـذيمـا (٢)

ضيّمَ

لم يرد في معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل ضام غير استضام ، وقد اكتفى بذكر الاصل مجرداً

وقـد جـاء ضيّـم في قـول العجّـاج
يحمـي حُمَيَـاها بعـز عَـرْوَمِ
يـضيـم مـن شاء ولـم يـضيّـمِ (٣)

شيّن

لم تذكر معجماتنا من ابنية شان بمعنى عاب غير شاين ، إذ جاء فيها «والمشاين المعايب القابح» (٤)

وذكرت معه «شيّنَ» إلا انه جاء فيها بمعنى كتب حرف الشين ، ففي لسان العرب «وشيّن شيناً عملها عن ثعلب ، التهذيب وقد شينت شيناً حسنة» (٥) وذكر ذلك الفيروزآبادي والزبيدي ايضاً (٦) .

ولم يرد فيها شيّن بمعنى عاب ، وقد وجدناه بهذا المعنى في قول حسان بن ثابت
تـشيّنـهـم زعمـت بغيـر شيـن ونفسـك لـو علمـت بها تشيـنُ (٧)

---

(١) ديوان رؤبة ص١١٣ والتفصيل : القطع
(٢) ديوان رؤبة ص١٨٤ والتحذيم القطع
(٣) ديوان العجاج ص٣٠٢
(٤) لسان العرب جـ١٧ ص١١٠ والقاموس المحيط جـ٤ ص٢٤١ وتاج العروس جـ٩ ص٢٥٨
(٥) لسان العرب جـ١٧ ص٢٥٨
(٦) القاموس المحيط جـ٤ ص٢٤١ وتاج العروس جـ٩ ص٢٥٨
(٧) ديوان حسان بن ثابت ص٢٥٥

ما جاء على وزن افتعل : —

اشتغب

في معجماتنا من ابنبه الزيادة للفعل شغب :
شغبَّ وشاغب وتشغب وتشاغب فقط
وقد ورد اشتغب في قول رؤبة
في خالدات رُسّب ارسابها
والحرب حين اشتغب اشتغابها (١)

التاج

ذكرت معجماتنا التاج ، وقد جاء فيها بمعنى تغير من الشمس او من السفر وبمعنى عطش. ولم يرد فيها بمعنى لاح.

وقد وجدناه بهذا المعنى في قول النابغة الذبياني.

واسمر مارت يلتاح فيه
سنانٌ مُثل نبراس النّهم (٢)

وجاء فيها من ابنيته الاخرى: الاح ولوّح وتلوّح واستلاح.

انتاح

جاء في معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل:
تاح، تاوح وتنوّح وتناوح واستناح .

وقد اكتفى عدد منها بايراد تناوح فقط، ولم يذكر اي منها انتاح، وقد وجدناه في قول الكميت ابن زيد:

والهيف رائحة لها ينتاحها
طفل العشى بذي حناتم شرق (٣)

احترد

ذكرت معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل حرد أحرد وحرّد وحارد وتحرّد واتحرد، ولم تذكر احترد، وقد وجدناه بصيغة اسم الفاعل في قول الطرماح.

(١) ديوان رؤبة ص٢٣
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص١١٣
(٣) شعر الكميت بن زيد حـ١ ص٢٥٧

فنهى سُبحة اليقين وما
لاقى عطاف والموت محترده(٢)

انتقذ

في معجماتنا من ابنية الفعل نقذ : أنقذ ونقّذ وتنقذ واستنقذ فقط
وقد وجدنا انتقذ في قول الكردس بن زيد من شعراء الحماسية ، بصيغة اسم المكان :

فقد كان لي عما أرى مترحزح
ومنتقذ من جانب الأرض واسع(٣)

كما وجدناه في موضع آخر ، في وبيت لخفاف بن ندبة ، وهو قوله :

فخرّ صريعاً وانتقذنا جواده
وحالف بعد الاهل صماً دكادكا(٤)

اقتمس

جاء في معجماتنا من ابنية قمس : أقمس وقمس وقامس وانقمس فقط
وقد ورد اقتمس في قول العجاج بصيغة اسم الفاعل

كلاهما مقتمس مغتوت
والليل فوق الماء مستميت(١)

يقول شارحه الاصمعي : «والمقتمس المتواري في الماء»

احتنط

ذكرت معجماتنا من ابنية حنط مزيداً : أحنط وحنط وتحنط واستحنط فقط
وقد وجدنا احتنط في قول عبيد بن الابرص

وكل مجتمع لابد مفترق
وكل ذي عُمرٌ يوماً سيحتنط (٢)

---

(١) ديوان الطرماح بن حكيم ص٢٢١ ومحترد : قاصد
(٢) ديوان الحماسة (لابي تمام) ص٢٧٦
(٣) شعر خفاف بن ندبه ص٦٧
(٤) ديوان العجاج ص٤٠٧
(٥) ديوان عبيد بن الأبرص ص٩٣

امتـــزع

اقتصرت معجماتنا على ايراد مزّع وتمزّع من ابنية الـزيادة الاصلـية المجـرد واكتفي بالمد منها بايـراد الثاني منـهما وقد اوجدنا امتزع في قول زهـير

كـذاك تـيـك وقـد جـد النجـاد بهـا
والخيـل تحت عجاج الروع تمتزع(١)

يقول شارحة ثعلب :«يقال مريمزع ويهزع ويقزع اذا مرّ يُسـرع» .

امتصع

ورد امتصع في قول تميم بن مقبـل:

آنـي أنـفـرّ قـامـوص الظـهـيـره والـ
يحـرباءُ فـوق فروع الساق يمتصع (٢):

وذكر محققه في هامشه «ويمتصع أي يحرك ذنبه ويضطرب ، ولم تذكره كتب اللغة» .

وقد ورد «امتصع» في معجماتنا ، إلا أنه لم يأت بهذا المعنى ، ففي لسان العرب «ومصع الفرس يمصع مصعاً قرمزاً خفيفاً ، ومصع البعير مصعاً أسرع ، ومصع الرجل في الأرض يمصع مصعاً وامتصع اذا ذهب فيها (٣)»

وفي القاموس المحيط «وامتصع الفرس ذهب(٤) » وفي تاج العروس «ومصع الفرس مصيعاً ذهب ، والذي في الصحاح مصع الرجل في الارض كامتصع ذهب (٥)»

وقد وجدنا «امتصع ، بالمعنى الذي ذكره ابن مقبل في بيت آخر وهو قول الأخطل :

بـازٌ تظـل عنـاق الطيـر خاشعـةً
منـه ، وتمتـصع الكـروان واللُّبَـدُ(٦)

يقول شارحه السكري «الامتصاع : ضربها باذنابها من خوفه»

(١) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص٢٤٥
(٢) ديوان ابن مقبل ص١٧٨
(٣) لسان العرب حـ١٠ ص٢١٤
(٤) القاموس المحيط حـ٣ ص٨٥
(٥) تاج العروس حـ٥ ص٥١٣
(٦) شعر الأخطل حـ٢ ص٤٤١

وذكرت معجماتنا من ابنية مصع مزيداً ، أمصع ومصّع ، وماصع وانمصع وتماصع.

امتسغ

جاء امتسغ في قول الاخطل :

تنقلّت الديار بها فحلّت بجزّة حيث يمتسغ البعير(١)

يقول شارحه السكري : والامتساغ ان يضرب البعير بخفه موضع لسع الذباب له» ولم يرد بهذا المعنى في معجماتنا

وقد جاء «امتسغ» في القاموس المحيط وتاج العروس بمعنى «تنحّى» (٢) وذكر : امتسغ بهذا المعنى ايضاً (٣) . ولم يرد الاصل «مسغ» إلا في عدد قليل من معجماتنا .

احتاف

اقتصرت معجماتنا على ايراد : حيّف وتحيّف من ابنية فعله المجرد : حاف يحيف» وحوّف وتحوّف من ابنية : حاف يحوف .

وفي لسان العرب .. وتحيّف الشيء أخذ من جوانبه ونواحيه .. وتحيّف ماله نقصه واخذ من أطرافه مثل تحوّفته إذا تنقصته من حافاته» (٤)

وقد ورد احتاف بصيغة المصدر في قول رؤبه :

وآنا عما عفت ذو اعتياف

وآنا في المنطق ذو احتياف(٥)

اضطعف

جاء في معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل ضعف : أضعف وظعّف وضاعف وتضّعف وتضاعف واستضعف .

(١) شعر الأخطل ١ ص٢٦٩

(٢) القاموس المحيط ج٣ ص ١١٣ ، تاج العروس ج ٦ ص ٣٠

(٣) الغباب (حرف الغين) ص٧٦

(٤) لسان العرب ج١٠ ص٤٠٦ ، ٤٠٧

(٥) ديوان رؤبة ص٩٩

ولم يرد في اي منها اصطعف ، وقد وجدناه في قول حسان بن ثابت :

كنتم عبيداً لنا تخولكم
من جاءنا والعبيد تضطعف (١)

فضل :

ذكرت معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل فضل : افضل وفضّل وفاضل وتفضّل وتفاضل استفضل .

ولم يرد فيها افتضل ، وقد جاء بمعنى توشح بصيغة المصدر في قول النابغة الذبياني

تلوث بعد افتضال البرد مترزها
لوثا على مثل دعص الرملة الهاري (٢)

وذكرت معجماتنا تفضل بهذا المعنى ، ففي العين «والتفضل التوشح ..وامرأة فضل ومتفضله وعليها ثوب فضل ، وهو ان تخالف بين طرفيه على عاتقها تتوشح به » (٣) .

انتزل

جاء في معجماتنا من ابنية نزل : أنزل ونزّل ونازل وتنزّل وتنازل واستنزل .

ولم يرد فيها انتزل ، وقد وجدناه في قول حسان بن ثابت ، بصيغة اسم المكان :

وسراميل حسان سرمت
عن كماة أهلكوا في المنتزل (٤)

اختزم

أوردت معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل خزم :
خزّم وخازم وتخزّم وتخازم فقط .

وقد جاء اختزم في قول النابغة الذبياني بصيغة اسم الفاعل

واضحى ساطعاً بجبال حسْمى
دقاق الترب مختزم القتام (٥)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص١٦٤

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص٤٩

(٣) العين حـ٧ ص٤٤ وانظر لسان العرب حـ١٤ ص٤١ والقاموس المحيط حـ٤ ص٣١ ، وتاج العروس حـ٨ ص٦٣ .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ص١٧٥

(٥) ديوان النابغة الذبياني ص١١٤

اختطم

اقتصرت معجماتنا على ايراد : أخطم وخطّم ، واكتفى اكثرها بذكر الثاني منهما.

وقد وجدنا اختطم في موضعين ، في قول مالك بن خالد الخناعي .

كفّت ثوبي لاالوى على أحد
إني شنئت القين كالبكر يختطم (١)

وفي قول عامر المحاري من شعراء المفضليات

لنا العزة القعساء تختظم العدا
بها ثم تستعصي بها أن تخطّما (٢)

اختشى :

جاء من ابنية الزيادة للفعل خشى :

خشّى وخاشى وتخشّى فقط

وقد ورد اخشى بصيغة اسم الفاعل في قول الكميت بن زيد

ولي يهز قناتي غير مختشّى
من وحده طلل يأدوا به طلل(٣)

وجاء في هامشه نقلاً عن المعاني الكبير (مختشئ : متهيب) فهو من الفعل خشى ، ويبدو أن الشاعر همزه اضطراراً ، فلم يرد خشأ في معجماتنا .

انتسى :

ذكرت معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل نسى :

أنسى ونسّى وناسى وتناسى فقط

وقد وجدنا انتسى بصيغة اسم المفعول في قول الاخطل :

وأبوك ذو محنية وعباءة
قمل كأجرب منتسى مورود (٤)

يقول شارحه ابو سعيد السكري «والمنتسى المفرد من الابل المباعد عنها»

---

(١) ديوان الهذليين القسم الثالث ص١٣

(٢) المفضليات ص٣٢٠

(٣) شعر الكميت بن زيد جـ٢ ص٢٠

(٤) شعر الأخطل ١ ص٥٢١

ما جاء على وزن انفعل

انشطب

ورد انشطب في معجماتنا بمعنى سال ففي تهذيب اللغة «ابو عبيدة : المنشطب السائل(١)

ولم يرد فيها منشطب بمعنى مشطّب ، وقد وجدناه بهذا المعنى في قول الاخطل :

ومظلم تعلن الشكوى حوامله
مستفرغ بسجال العين منشطب (٢)

يقول شارحه السكري «المنشطب فيه شطب»

وقد ذكرت معجماتنا المشطّب بهذا المعنى . ففي العين «وسيف مشطب : مشطوب ، فيه شطوب (٣)» وقد تردد ذلك في معجماتنا الاخرى، ولم يرد فيها غير شطّب وانشطب

انطاح

جاء في معجماتنا من ابنية «طاح» مزيداً : أطاح وطوّح وطاوح وتطوّح وتطاوح .

ولم يذكر اي منها انطاح ، وقد وجدناه في قول عبيد بن الابرص بصيغة اسم المفعول :

فأصبح الروض والقيعان ممرعة
من بين مرتفق فيه ومنطاح(٤)

انسمر :

في معجماتنا من ابنية الفعل سمر : أسمر وسمرّ وسامر واسمارّ .

ولم يرد فيها انسمر ، وقد وجدناه في قول ذي الرمة :

وانسمرت أطلاله وألبدا
وهدّ إذ آزأر ثم هدهدا (٥)

ومن الجدير بالذكر أن معجماتنا لم تثبت تسمّرَ وتسامر .

انفتر :

ذكرت معجماتنا من ابنية فتر مزيداً : آفترّ وفتّر واستفتر فقط

(١) تهذيب اللغة حـ١١ ص٣١٧
(٢) شعر الأخطل حـ١ ص٢٤٠
(٣) العين حـ٦ ص ٢٣٩
(٤) ديوان عبيد بن الابرص ص ٥٤
(٥) ديوان ذي الرمة ص١١٧

وقد ورد انفتر بصيغة المصدر في قول الاخطل :

فلما أن تخلّى اللّه منهم
أغاروا إذ رآوا منا انفتارا (١).

انثوى

جاء في معجماتنا من ابنية ثوى : أثوى وثوّى وتثوّى فقط

وقد وجدنا انثوى بصيغة اسم الفاعل في قول أوس بن حجر

أحسّ ركز قنيص من بني أسد
فانصاع منثوياً والخطو مقصور (٢)

ما جاء على وزن : تفعّل

تجوّب :

في معجماتنا من ابنية الفعل «جاب» أجاب وجوّب وجاوب واجتاب وانجاب وتجاوب واستجاب واستجوب

ولم يرد فيها تجوّب ، وقد وجدناه في قول عبد الله بن الزبير

ابى الليل في حوران ان يتجوبا
اذا غار نجم بت أرقب كوكبا(٣)

تنجب

ذكرت معجماتنا من ابنية نجب : أنجب ونجب وانتجب فقط

وقد جاء تنجب بصيغة اسم المفعول في قول القتال الكلاي :

لقد ولدت عوفَ الطعان ومالكاً
وعمرو العلا والحارث المتنجّبا (٤)

تعلج

ورد تعلجّ في قول الكميت بن زيد :

اذا الصبوح لهم اسار ماتركت
بعد التعلج وللنحساء في العلب(٥)

---

(١) شعر الأخطل ج٢ ص٧٢٢

(٢) ديوان أوس بن حجر ص٤٢

(٣) نقائض جرير والأخطل ص٢١

(٤) ديوان القتال الكلاي ص٣٤

(٥) شعر الكميت بن زيد الاسدي ج١ ص١٢٨

وذكر المحقق في هامشه نقلاً عن المعاني الكبير « التعلج : الانتقاص بعد الامتلاء » .

وقد ذكرت معجماتنا تعلجَ ، الا أنه لم يأتِ بهذا المعنى في أي منها .

ففي تهذيب اللغة «علوج صدق وألوك صدق، وماتلّوكت بالوك ولاتعلجت بعلوج»(١)

وفي المحكم «وتعلج الرمل اجتمع » (٢) وفي لسان العرب « وتعلجت الابل أصابت العلجان » (٣) وهوتيت .

وفي معجماتنا من ابنية علج الاخرى : عالج واعتلج واستعلج.

تعضد

جاء في معجماتنا من ابنية الفعل عضد : أعضد وعضّد وعاضد واعتضّد واستعضد .

ولم يذكر أي منها تعضّد وقد وجدناه في قول مالك بن نويره

أتاني بنفر الخير ما قد لقيته
رزين وركبٌ حوله متعضد (٤)

تحذّر

ذكرت معجماتنا من ابنية حذر : حذّر وحاذر واحتذر واحذارّ فقط .

وقد ورد تحذّر في قول عبد المسيح بن عسلة

لاينفع الوحش منه أن تحذره
كأنه معلق منها بخطاف (٥)

وذكر المحققان في هامشه «تحذره اصلها تتحذره مضارع تحذر ، وهذا الفعل ليس في المعاجم ، بل فيها حذر واحتذر »

وقد وجدنا تحذر في موضع آخر ، اذ جاء بصيغة المصدر في قول رؤبة :

والرقيق والتحذير والتحذر
حتى تجلى شردهر منكر (٦)

---

(١) تهذيب اللغة حـ١ ص٣٧٢
(٢) المحكم حـ١ ص١٩٧
(٣) لسان العرب حـ٣ ص١٥٢
(٤) الاصمعيات ص٩
(٥) المفضليات ص٢٨٠
(٦) ديوان رؤبة ص٦١

تعبر

ورد في معجماتنا من ابنية عبر : أعبر وعبّر واعتبر واستعبر فقط
وقد جاء تعبر بصيغة المصدر في قول رؤبة

وهو دهي العلم والتعبر
حتى استقامت بي على التيسّر (١)

تعير

ذكرت معجماتنا من ابنية : عار : عيرّ واعيرّ وتعاير فقط .

وقد وجدنا تعير في قول عروة بن الورد

وعيرني قومي شبابي ولمتي
متى مايشا رهط امرىء يتعيّر (٢)

تفقرّ

لم يرد في معجماتنا ، تفقر بمعنى أصله المجرد وقد جاء فيها بمعنى آخر ، فقد ذكر الصاغاني في التكملة والذيل « وارض متفقرة فيها فقر كثيرة ، أي حفر » (٣)

وفي لسان العرب « وفي حديث القدر قبلنا ناس يتفقرون العلم ، قال ابن الاثير هكذا جاء في رواية بتقديم الفاء على القاف قال والمشهور بالعكس ، قال وقال بعض المتأخرين هي عندي أصح الروايات واليقها بالمعنى ، يعني أنهم يستخرجون غامضه ، ويفتحون مغلقه ، وأصله من فقرت البئر إذا حفرتها لاستخراج مائها » (٥)

وجاء في معجماتنا من ابنية فقر الاخرى :
أفقر وفقر وافتقر وتفاقر .

وقد ورد تفقر مصدراً بمعنى أصله الثلاثي في قول رؤبه

موتى واحياء بشر موقر
يشكون فقراً ليس بالتفقر (٥)

---

(١) ديوان رؤبة ص٦١
(٢) ديوان عروة بن الورد ص٤٠
(٣) التكملة والذيل حـ٣ ص١٥٥
(٤) لسان العرب حـ٦ ص٣٧٠
(٥) ديوان رؤبة ص٦٢

تعمس

في معجماتنا من ابنية عمس مزيداً : عمس وعامس وتعامس .

ولم يرد فيها تعمس ، وقد وجدناه في قول العجاج

أقره الناس وان تفجسا

وان اراد عمسه تعمساً (١)

تقنس

اقتصرت معجماتنا على ذكر : اقنس (٢) ؛واكتفى قسم منها بذكر أصله المجرد .

وقد وجدنا تقنس بصيغة اسم الفاعل في قول عبيد بن الابرص :

سلفاً لارعن ما يخف صبابة

متقنس بادي الحديد لهام (٣)

تقيظ

ورد هذا الفعل في قول الاخطل :

لون غدوة حتى اذا ماتقيظت هواجر من شعبان حام أصيلها(٤)

وتقيظت هنا بمعنى : اشتد حميها

وقد ذكرت معجماتنا هذا البناء الا انه لم يرد فيها بهذا المعنى ، ففي لسان العرب :

«وقاظ بالمكان وتقيظ به اذا أقام به في الصيف » (٥)

وذكرت معجماتنا من ابنيته الاخرى : قيّظ وقايظ واقتاظ

تجخّف

اقتصرت معجماتنا على ايراد اصله الثلاثي ولم يرد فيها اي بناء من ابنية الزيادة له .

وقد وجدنا تجخف في قول الاخطل :

بذي شق على الضبرات حتى

يلين على التجخُّف والشحير (٦)

---

(١) ديوان العجاج ص١٣٥

(٢) اقنس : ادعى الى قنس شريف وهو قسيس ، والقنس : الاصل

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص ص١٣١ . والمتقنس لا بس القوقس وهو اعلى بيعته الحديد .

(٤) شعر الاخطل ج ٢ ض ٦٢٤

(٥) لسان العرب حـ٩ ص٣٣٧ ، وانظر القاموس المحيط حـ٢ ص٣٩٨

وتاج العروس حـ٢٠ ص٢٦٣

(٦) شعر الأخطل حـ٢ ص٤٨٢

يقول شارحه السكري « والتجخيف : الحخيف والشخير : النخير من الانف والجخيف من الصدر خاصة»

تسلّف

ورد هذا البناء بمعنى مضى في قول ابن الرميثة :

هل الله عـاف مـن ذنـوب تـسـلّفـت
أم الله ان لم يـعـف عـنـها بـعـيدها

وقوله

الاهل مـن البـين المفرق مـن يـد
وهـل للـيـال قـد تـسـلف مـن ردّ

وقد ذكرت معجماتنا « تسلّف » الا انه لم يرد فيها بمعنى اصله المجرد ، وانما جاء بمعنى اقترض ، ففي الصحاح واستسلفت منه دراهم وتسلفت وأسلفني » (١)

وفي تاج العروس « وتسلفت منه كذا اقترضت ، نقله الجوهري » (٢)

تعيف

اقتصرت معجماتنا على ذكر أعاف واعتاف من ابنية الفعل : عاف يعاف ويعيف .

وقد وجدنا « تعيف» في موضعين ، في قول عبيد بن الابرص :

ولقد جـرى لـهـم فـلـم يتـعـيـفـوا
تيـس قعيدٌ كـالـوليـة أعـضـب (٣)

وفي قول تميم بن مقبل :

لـه خدميمون وأشـأم سـاحـق
فأيهما مـاشـئـتـمْ فـتـعـيـفـوا (٤)

وقد جاء فيهما بمعنى واحد ، وهو زجر الطير ، من العيافة

(١) الصحاح حـ٤ ص١٣٧٦
(٢) تاج العروس حـ٦ ص١٤٥
(٣) ديوان عبيد بن الابرص ص٣١
(٤) ديوان تميم بن مقبل ص١٩١

تنكف

جاء في معجماتنا من ابنية « نكف » مزيداً أنكف ونكف وانتكف وتناكف واستنكف فقط .

وقد ورد تنكف في قول ابي العباس الاعمى المخزومي :

ولم أر كالحي الذين تحملوا
ولامثلنا عن مثلهم يستنكّف(١)

تحنق

اقتصرت معجماتنا على ذكر احنق وحنق ، واكتفى اكثرها باثبات الاول منهما وقد جاء تحنيق في رجز لرؤبة ، في موضعين اذ يقول في اولهما :

فرد لها تفصيله ودققا
يفرقن من قمرْ اذا تحنقا (٢)

ثم يقول

ان لنا قبضاً وجداً مصلقا
في ارث مجد طالما تحنقا (٣)

تبخل

اقتصرت معجماتنا على ذكر أبخل وبخل فقط واكتفى عدد منها باثبات الثاني منهما وقد ورد تبخل في قول العجاج ، بصيغة المصدر

حتى يدروها على التبخل
لهم بآكال الدسيع العدمل (٤)

تزغل

اكتفت معجماتنا باثبات أزغل فقط من

---

(١) نقائض جرير والاخطل ص١٢
(٢) ، (٣) ديوان رؤبة ص١١٣
(٤) ديوان العجاج ص٢١٤

أبنية الزيادة لأصله المجرد ،ولم يرد في أيمنها غيره ، وقد وجدنا تزغل في قول العجاج بصيغة المصدر

ينتقن بالقوم من التزغل
وهزة المراح والتخيل (١)

تخضم

اقتصرت معجماتنا على اثبات اختضم فقط من ابنية خضم مزيداً

واكتفى اكثرها بذكر أصله المجرد وقد وجدنا تخضّم في قول قرداش بن حوط الضبي بصيغة اسم الفاعل :

غضا الوعيد مما اكون لموعدي
قنصاً ولا أكيلاله متخضما (٢)

تشتم

لم يرد في معجماتنا غير : شاتم وتشاتم ، من ابنية الزيادة للفعل « شتم »

وقد جاء تشتم في قول معبد بن علقمة احد شعراء الحماسة ، بصيغة اسم الفاعل :

فقل لزهير ان شتمت سراتنا
فلسنا بشتامين للمتشتم (٣)

تضجم

ولم يرد فيها غير أضجم وتضاجم ، واكتفى اكثرها باثبات ثانيهما

وقد جدنا تضجم بصيغة اسم الفاعل في قول ابن حُني التغلبي . وهو شاعر جاهلي

وكنا اذا الجبار صعر خدّه
اقمنا له من ميله المتضجّم (٤)

تنهمّ

لم يرد في معجماتنا غيرناهم وانتهم من ابنية نهم ، وأكتفى اكثرها بايراد الاصل مجرداً .

---

(١) ديوان العجاج ص١٩٩ ، والتزغل : النشاط

(٢) ديوان الحماسة (لابي تمام) ص٤٦٥

(٣) ديوان الحماسة (لابي تمام) ص١٧٦

(٤) ديوان العجاج ص٤١٤ استشهد به شارحة الأصمعي ، و المتضجم: المعوج .

وقد جاء تنهمّ بصيغة المصدر في قول العجاج :

فلم يلث شيطان تنهمي
صفعي وزدي بالقوافي الحتم (١)

تجوي

اكتفت معجماتنا بايراد اجوى واجتوى واستجوى فقط

وقد وجدنا تجوى في قول ابن الرميثة وان لم ينازعني رفيقاي ذكرها
تجويت من مطويّ واجتوياتي (٢)

ماجاء على وزن تفاعل

تكالأ

جاء في معجماتنا من ابنية كلأ مزيداً : أكلأ وكالأ واكتلأ وتكلأ واستكلأ فقط

وقد وجدنا تكالأ في قول العرجي

ما أطعم النوم حتى الصبح اكلوه
كما تكالا حذار العورة الحرسق (٣)

ولم يهمزه للضرورة .

تناسأ

وجاء فيها من أبنية نسأ : أنسأ ونسأ وانتسأ واستنسأ فقط

وقد وجدنا تناسأ في قول تميم بن مقبل

تناسأ عن شرب القرينة أهلها
وعاد بها شاء العدو وجاعله (٤)

تهايب

وجاء فيها من أبنية هاب : أهاب وهيّب واهتاب وتهيب فقط

---

(١) ديوان العجاج ص٣٠٧ والتنهم : الزجر
(٢) ديوان ابن الرميثة ص٣١ وتجوى واجتوى : كره
(٣) ديوان العرجي ص١٥٠ وتكالأ الحرس : سهروا
(٤) ديوان ابن مقبل ص٢٤٠ وتناسأ : تباعد

وقد وجدنا تهايب في قول الاخطل بصيغة المصدر :

وأبوكَ صاحب يومِ أذرحَ أذ ابى الـ
محكمان غيرَ تهايُب وضرار(١)

تنازح

اكتفت معجماتنا بايراد انزح وانتزح فقط

وقد جاء تنازح بصيغة اسم الفاعل في قول حسان بن ثابت

ليتم دنيٍّ فاحش وابن فاحش ليتم العروق أصله متنازح (٢)

تهاود

في معجماتنا : هود وهاود وتهود فقط

وقد وجدنا تهاود بصيغة المصدر في قول رؤبة

وقد ترى بيضاً بها خرائدا
اذا مشين مشية تهاودا (٣)

تغامس

وجاء فيها من ابنية غمس : غمّس وغامس وانغمس واغتمس .

ولم يرد فيها تغامس : وقد وجدناه في قول المرقش الاكبر

واعرض أعلام كان رؤوسها رؤوس جبال في خليج تغامس(٤)

تناعص

اقتصرت معجماتنا على ذكر انتعص فقط

وقد وجدنا تناعص في قول عبيد بن الابرص

اذا قبضت عليه الكفُّ حيناً تناعص تحتها أي انتعاص(٥)

---

(١) شعر الاخطل ج٢ص٤١٥

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص٤٦

(٣) ديوان رؤبة ص٤٥

(٤) المفضليات ص٢٢٦ وتغاس : تتغامس أي تتغمس

(٥) ديوان عبيد بن الابرص ص٨٦ ، وتناعص : تحرك .

تحارض

وجاء فيها من ابنية حرض : أحرض وحرّض وحارض فقط

وقد ورد تحارض في قول سويد بن كاهل

وتحارضنا وقالوا انما ينصر الاقوام من كان صرع (١)

تظالع

اكتفت معجماتنا باثبات أظلع وتظلّع فقط وقد وجدنا تظالع في قول زفر بن الحارث

علاك به قوم كأنك وسطهم إذا الحرب شبت ثعلب متظالع (٢)

تواسع

وجاء في معجماتنا : أوسع ووسّع واتسع وتوسّع واستوسع

ولم يرد فيها تواسع ، وقد وجدناه في قول حميد بن ثور

إذا خاف جورا من عدو رمت به مخالبه والجانب المتواسع

تعانف

وجاء في معجماتنا من ابنية عنف : أعنف وعنّف واعتنف فقط

وقد وجدنا تعانف في قول هدبة بن الخشرم بصيغة اسم الفاعل :

رشاشاً كما انهلّت شعيب اسانها عنيف يحرز السير او متعانف (٣)

تباسق

وجاء فيها : ابسق وبسق وتبسق فقط

وقد ورد تباسق في قول الطرماح بن حكيم .

قوم لهم بعد شرق الارض مغربها إذا تباسق اهل الارض في كبد (٤)

تحالق

ذكرت معجماتنا من ابنية حلق : احلق وحلق واحتلق وتحلق واستحلق

ولم يرد فيها تحالق ، وقد وجدناه في موضعين ، في قول الاسود بن جعفر :

سنلقاك يوماً والركاب ذواقن بنعمان او نلقاك يوم التحالق (٥)

---

(١) المفضليات ص٢٠١ ، وتحارض : تفاعل من الحرض وهو الهلاك

(٢) نقائض جرير والأخطل ص١٩ والتظالع من الظلع وهو العرج .

(٣) شعر هدبة بن الخشرم ص١١٥

(٤) ديوان الطرماح بن حكيم ص١٧١

(٥) ديوان الاسود بن جعفر ص٥٤

وفي قول نصيب بن رياح
لملت على ليلى بنفسي ميلة ولو كان في يوم التحالق والنحر(١)
تراهق

وجاء في معجماتنا من أبنية رهق مزيداً : ارهق ورهق وراهق فقط
وقد ورد تراهق بصيغة المصدر في رجز لمليح بن حكيم الهذلي
أمست خلاق الالة السواحق
أكدر يغضي عجل التراهق (٢)

تحالك

وجاء فيها احلولك واحلنكك واستحلك ولم يرد تحالك في اي من معجماتنا
وقد وجدناه في قول طرفة بن العبد بصيغة اسم الفاعل
ومن عامر بيض كأن وجوهها مصابيح لاحت في دجى متحالك (٣)
تحاول

ذكرت معجماتنا أحال وحوّل وحاول واحتال واحتول وتحول وأحول واحوَلّ واحوالّ واستحال

ولم يرد فيها تحاول ، وقد وجدناه بصيغة المصدر في قول الاسود بن خعفر :
حتى اذا كثر التحاول بينهم فَصَّل الامور الحارث بن هشام (٤)
تفاتل

جاء في معجماتنا من ابنية فتل مزيداً : أفتل وفتل وانفتل ونفتّل فقط
وقد وجدنا تفاتل بصيغة المصدر في قول المزرد بن ضرار الغطفاني :
ليالي اذ تضيء الحليم يدلها ومشى حزين الرجع فيه تفاتل (٥)

---

(١) شعر نصيب بن رياح ص٩٧
(٢) التمام في تفسير اشعار هذيل ص٢٢٣
(٣) ديوان طرفة بن العبد ص٧٢
(٤) ديوان الاسود بن جعفر ص٦١
(٥) المفضليات ص٩٤ ، والتفاتل : التثني

تناجل لم يرد في معجماتنا تناجل بمعنى توالد او اختار النجل ، وانما اقتصرت على ايراد تجل لهذا المعنى ، ففي لسان العرب «والانتجال اختيار النجل ، قال وانتجلوا من خبر فحل ينتجل » (١)

وقد ذكرت معجماتنا «تناجل» الا انه جاء فيها بمعنى تنازع ، ففي تهذيب اللغة «وتناجل القوم بينهم اذا تنازعوا »(٢)

وقد وجدنا تناجل بمعنى توالد في موضعين ، في قول المرار بن منقذ :

بين افراس تناجلن به الموجيات محاضير ضير (٣)

وفي قول عبيدة بن قحفان :

سليلة سابقين تناجلاها إذا نسبا يضمهما الكُراع (٤)

وجاء في معجماتنا من ابنية نجل الاخرى : انجل واستنجل

تهازل

اكتفت معجماتنا باثبات : أهزل وهزل فقط

وقد وجدنا تهازل في قول الاخطل

فقد تهازلني المستقتلات وقد يعتادني عند ذات الموتة الائق (٥)

تهايل

ذكرت معجماتنا : أهال وهيّل وانهال وتهيّل

ولم يرد فيها تهايل ، وقد وجدناه في قول ابن الدمينة بصيغة اسم الفاعل

صافحتني بنواعم مخضوبة شبه النبات من النقا المتهايل (٦)

تساجم

لم يرد في معجماتنا من ابنية سجم غير أسجم وسجّم وانسجم

وقد وجدنا تساجم في قول نصيب ابن رياح

بكت شجوها تحت الدجا فتساجمت اليها غروب الدمع في كل مسجم (٧)

---

(١) لسان العرب حـ١٤ ص١٦٩

(٢) تهذيب اللغة حـ١١ ص٨٢

(٣) المفضليات ص٨٥

(٤) اسماء خيل العرب وفرسانها ص٦٢

(٥) شعر الاخطل حـ٢ ص٦٠٢

(٦) ديوان ابن الدمينة ص٧٣

(٧) شعر نصيب بن رباح ص١٣٠

تواسن

ولم تذكر معجماتنا من ابنية وسن غير أوسن وتوسّن واستوسن فقط
وقد وجدنا تواسن بصيغة اسم الفاعل في قول المعطّل الهذلي

سؤال الغني عن أحبة كانه بذكرته وسنان او متواسن(١)

تخاطى

جاء في معجماتنا من ابنية خطا : أخطى وخطّى واختطى واختاط على القلب ، وتخطى .

ولم يرد في اي منها تخاطى ، وقد وجدناه في موضعين ، في قول التمربن تولب .

فان المثبة من يخشها فسوف تصادفه اينما
وان تتخاطاك اسبابها فان قصاراك ان تهرما (٢)

وفي قول رؤبة :

قد كان بفتيه اختلاف الاعصر
ومن تخاطاه المنايا يكبر (٣)

وانت ترى انه جاء في الموضعين على ضرورة اشباع الحركة في موضع الجزم .

تشافى

جاء في معجماتنا من ابنية شفى : أشفى وشفّى واشتفى وتشفى واستشفى فقط
وقد وجدنا تشا في صيغة المصدر في قول رُوبة

لايصلها جاري ولا أضيافي
ذاك التغاتي عنك والتشافي (٤)

تناشى

في معجماتنا من ابنية نشا : أنشى وانتشى وتنشى واستنشى فقط
وقد جاء تناشى في قول الاخطل

معي فتية مايسألون بهالك إذا ماتناشوا اسبلوا سبل الازر

(١) ديوان الهذليين القسم الثالث ص٤٥
(٢) مختارات ابن الشجري القسم الأول ص١٧
(٣) ديوان رؤبة ص٥٨
(٤) ديوان رؤبة ص١٠١
(٥) شعر الأخطل حـ٢ ص٧٢٠

ما جاء على وزن استفعل

استخسأ

جاء في معجماتنا من ابنية خسأ مزيداً أخسأ وانخسأ وتخاسأ فقط

وقد وجدنا استخسأ في قول معن بن اوس المزني ، ولم يهمزه للضرورة :

اولئك لا انتن كانوا فوارسي بهم كنت استخسى العدا وادافع (١)

وليس هو هنا من خسا ، ففي لسان العرب :

«وتخاسى الرجلان تلاعبا بالزوج والفرد ، يقال خساً او زكاً اي فرد او زوج» (٢)

والبيت يشير إلى انه من خسأ مهموزاً

استرجب

في معجماتنا من ابنية رجب : أرجب ورجّبَ وترجّب فقط

وقد ورد استرجب في قول رؤبة

وقلّد الجيد السفا واسترجبا

قرماً رآه في الضلال نكبا (٣)

استرغَب

ذكرت معجماتنا من ابنية رغب : أرغب ورغّب وارتغب وتراغب فقط

وقد وجدنا استرغب في موضعين ، في قول علقمة الفحل ، بصيغة اسم المكان :

ترى الفار عن مسترغب القدر لائحاً على جدد الصحراء من شدّ مُلهبِ (٤)

وفي قول عبده بن الطيب

يغلو بهن ويثنى وهو مقتدر في كفتهن إذا استرغبن تعجيل (٥)

استغضب

في معجماتنا من ابنية غضب : أغضب وغضّب وغاضب وتغضبّ فقط

وقد وجدنا استغضب في قول العجاج

---

(١) ديوان معن بن أوس المزني ص١٠٧

(٢) ديوان رؤبة ص١٥٠ ، واسترغب : استعظم

(٣) لسان العرب حـ١٨ ص٢٢٩

(٤) ديوان علقمة الفحل ص٩٥

(٥) شعر عبده بن الطيب ص٧٨ واسترغب في البيين بمعنى اتسع

دواره يديـر عيـصاً آشبـا
مـن حليـة الجفيّـن حيـن استغضبا (١)

استلعب

لم يرد في معجماتنا استلعب بمعنى لعب وانما جاء فيها لمعنى آخر ، ففي لسان العرب : «والاستلعاب في النخل ان بنيت فيه شيىء من اليُسر بعد الصرام ، قال ابو سعيد : استلعبت النخلة إذا اطلعت طلعاً وفيه بقية من حملها الاول ، قال الطرماح

الحقـت مـا استلعبـت بـالـذي قـد أتـى اذ حـان وقـت الصرام» (٢)

ونردد ماجاء في لسان العرب في معجماتنا الاخرى ، وقد وجدنا استلعب بمعنى لعب في بيتين لكثير عزة ، اولهما قوله

كمـا استلعبـت راد الصمـي حميريـة ضروب بكفيـهـا الشراع سمـود (٣)

وثانيهما قوله

تتارب بيضـاً إذا استلـعبـت كآدم الظبـاء تـزق الكباثـا (٤)

استكت

في معجماتنا من ابنية الزيادة للفعل كت أكتَ واكتتَ وتكاتِ وكتكت فقط .
وقد ورد استكت بصيغة اسم الفاعل في قول رؤبـة

لفتـا وتهزيعـاً سواء اللـفـت
وطـامـح النـخـوة مستكـت (٥)

استرعـد

ذكرت معجماتنا من ابنية رعد : أرعد وارتعد وترعد وترعدد فقط
وقد وجدنا استرعد في قول عامر بن الطفيل :

---

(١) ديوان العجاج ص٩٨
(٢) لسان العرب حـ٢ ص٢٣٨
(٣) ديوان كثير عزه ص١٩٥
(٤) ديوان كثير عزه ص٢١٠
(٥) ديوان رؤبة ص٢٤ واستكت : استمع

واثارت عجاجة بعد نقع   وصهيل مستر سد فاكفهرت (١)

استبطر

اقتصرت معجماتنا على ذكر ابطر فقط واكتفى قسم منها بايراد الاصل مجرداً وقد وجدنا استبطر في قول رؤبة

واستبطرتك بالمليح الشمل
باقي معاني الغانيات الكحل (٢)

استصدر

جاء في معجماتنا من ابنية صدر : أصدر وصدّر وصادر وتصدّر فقط وقد ورد استصدر بصيغة اسم الفاعل في قول رؤبة .

هاد يشقُّ الطرق الدلائلا
مستصدراً عن منهل او ناهلا (٣)

استكمش

في معجماتنا من ابنية كمش : أكمش وكمّش وانكمش وتكمش فقط وقد وجدنا استكمش في قول ذي الرمة :

فاستكمش الورد عنها بعدما صدرت   يحوي الحمام الى أسآرها زمرا (٤)

استنكش

اقتصرت معجماتنا على اثبات انتكش فقط ، واكتفى اكثرها بذكر الاصل المجرد وقد وجدنا استنكش في قول الأخطل بصيغة اسم المفعول :

رقيع المُنى لايستقل بحمله   سؤوم ولامستنكش البحر ناضب

يقول شارحة السكرى : المستنكش : المنزوح . (٥)

(١) ديوان عامر بن الطفيل ص٣٤
(٢) ديوان رؤبة ص١٢٨
(٣) ديوان رؤبة ص١٢٦
(٤) ديوان ذي الرمة ١٩٠ .
(٥) شعر الأخطل حـ١ ص٢٨٩

استشخص

ذكرت معجماتنا من ابنية شخص : اشخص وشخص وتشاخص فقط
وقد جاء استشخص في قول العجاج

اذا السرابُ استشخص الأجذالا
وانتسجت رقارقاً أصحالا
واطّردت دياسقاً أسمالا
واستشخص الآرام والتلالا

يقول شارحه الاصمعي : استشخصها رفعها فارتفعت (١)

استنشط

لم يرد في معجماتنا استنشط بمعنى نشط ، وانما جاء فيها لمعنى آخر ، ففي التكملة والذيل يقول الصاغاني «واستنشط الجلد انزوى وانضم» (٢) وتردد هذا الفعل بهذا المعنى فقط في معجماتنا الاخرى .

وقد وجدنا استنشط بمعنى نشط في قول المثقب العبدي ، بصيغة اسم الفاعل
كالاجدل الطالب رهو القطا مستنشطاً في العنق الاصيد (٣)

استسمع

في معجماتنا من ابنية سمع : أسمع وسمّع وسامع واستمع وتسامع
ولم يرد فيها استسمع ، وقد وجدناه في خمسة مواضع :
في قول القتال الكلابي :

تسمع فيهم إذا استسمعت داعية عزف القيان وقولاً بالعرعار (٤)

وفي قول طفيل الغنوي :

إذا ما دعاها استسمعت وتأنست بسحماء من دون الغلاصم شدقم (٥)

---

(١) ديوان العجاج ص١٧٥
(٢) التكملة والذيل حـ٤ ص١٨٣
(٣) شعر المثقب العبدي ص٥٤
(٤) ديوان القتال الكلابي ص٦٠
(٥) ديوان طفيل الغنوي ص٧٨

وفي قول حسان بن ثابت

الا ابلغ المتسمعين بوقعة تخف لها شمط النساء القواعد (١)

وفي قول الطرماح بن حكيم

وهل استسمعن بُعيد وهن تهزّج سمر جن اوعوان (٢)

وفي قول ابن ميادة

اعرتزمي ميادُ للقوافي
واستسمعيهن ولا تخافي (٣)

استجاف

ورد في معجماتنا هذا البناء ، الا انه جاء فيها بمعنى اتسع ، ففي لسان العرب «ووعاء مستجاف واسع ، واستجاف الشيء واستجوف اتسع قال ابو دواد

فهي شوهاء كالجوالق فوها مستجاف يضل فيه الشكيم

واستجفت المكان وجدته اجوف » (٤)

ولم يرد في اي من معجماتنا بمعنى اصابه داء في جوفه ، وقد وجدناه بهذا المعنى في قول سحيم ، بصيغة اسم المفعول :

لية اذ طرقت موهنا فاضحى بها دنفاً مستجافا (٥)

وجاء في معجماتنا من ابنية جاف الاخرى : أجاف واجتاف و تجوف

استمحق

ورد من ابنية الزيادة للفعل محق : أمحق ومحق وأمحق وامتحق وتمحق

ولم تذكر معجماتنا استمحق ، وقد وجدناه في قول رؤبه

زمزم نجمي أجما وخندقا
وشاعر اتساقه فاستمحقا (٦)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص٦٧
(٢) ديوان الطرماح بن حكيم ص٥٥٣
(٣) شعر ابن ميادة ص٧٣
(٤) لسان العرب حـ١٠ ص٣٧٨ ، وتاج العروس حـ٦ ص٦٤
(٥) ديوان سحيم ص١٩٥
(٦) ديوان رؤبة ص١١٣

استنهق

لم يرد من ابنية الزيادة للفعل نهق غير تناهق ، واكتفى اكثرها بذكر اصله مجرداً
وقد جاء استنهق في قول رؤبة :
بصيغة اسم الفاعل

راح بها في هبوة مستنهقاً
كأنما افتر نشوقاً منشقاً (١)

استجذل

ورد في معجماتنا هذا البناء ، الا انه جاء فيها بمعنى انتصب ، ففي اساس البلاغة «واستجذل إذا انتصب ، وبات فلان جاذلا على ظهر دابته وبات يستجذل على ظهرها اذا نام منتصباً لايضطرب » (٢)

وتردد هذا البناء بهذا المعنى في معجماتنا الاخرى ، ولم يرد فيها بمعنى أصله الثلاثي

وقد وجدنا استجذل بمعنى جذل في قول كعب بن زهير بصيغة اسم الفاعل : (٣)
فاصبح بالجزع مستجذلاً واصبحن مجتمعات سكونا
يقول شارحه ابو سعيد السكري «مستجذلاً فرحاً لأنه قد افلت من القناص ، ومما كان يخاف »

استشعل

في معجماتنا من ابنية يشعل : اشعل وشعل واشتعل واشعال وتشعل فقط
وقد وجدنا استشعل في قول جرير
قد كان دوني من النيران مقتبس اخزيت قومك واستشعلت من ناري(٤)

استنفل

ذكرت معجماتنا من ابنية نفل: انفل ونّفل وانتفل وتنفّل فقط.
وقد وجدنا استنفل في قول رؤبة.:

(١) ديوان رؤبة ص١١١
(٢) اساس البلاغة ص١١٧
(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص١١١
(٤) ديوان جرير ص٣١٣

ان سليمان اذا تستنفله
أهنا معطي نامل وأنوله (١)

استرام

في معجماتنا من ابنيه رآم :آرآم وترأّم وتراءم فقط
وقد ورد استرام في قول العجاج:
رواتم لو ترآم الاثفيّ
طلا الرمادِ استرتم الطليُّ (٢)

استفتن

وفيها من ابنية فتن :أفتن وفتّن وافتتن فقط
وقد جاء استفتن في قول جرير

لاوصل إذ صرقت هند ولو وقفت
لا ستفتنتني وذا السجين في القوس(٣)

ماجاء على وزن تفعال

يأتي هذا البناء في اللغة على صورتين، فهو مصدر بفتح تائه، نحو: التشراب والتهطال والتعداد ووصف بكسرها ،بقولهم: رجل تكذاب وتكلام وتلقام.

ويؤخذ من دلالته فيهما أنه يأتي للتكثير، سواء أكان مصدراً او وصفاً، ففي سيبويه «هذا باب ما تكثر فيه المصدر من فعّلت، فتلحق الزوائد وتبنيه بناءً آخر، كما آنك قلت في فَعَلتُ فَعّلتَ حين كثرّت الفعل، وذلك قولك في الهذر: الهذار، وفي اللعب التلعاب وفي الصفق التصفاق وفي الرد الترداد ،وفي الجولان التجوال والتقتال والتسيار. (٤).

ويستشف من كلام سيبويه أنه يعد هذا البناء وزناً من اوزان مصادر الافعال الثلاثية وان كان يؤدي ما يؤديه بناء فعل المضعف العين الدال على .

(١) ديوان رؤبة ص١٣٣
(٢) ديوان العجاج ص ٣١٢
(٣) ديوان جرير ص٣٢١
(٤) سيبويه حـ٤ ص٨٣-٨٤

والكوفيون يرون غير هذا الرأي، فهم يعدونه مصدراً يفعلَ حقيقةً لادلالة ، ففي شرح السيرا في «اعلم ان سيبويه يجعل التفعال تكثيراً للمصدر الذي هو للفعل الثلاثي ، فتصير التهدار بمنزله الهدر الكثير والتلعاب بمنزله قولك اللعب الكثير، وكان الفراء وغيره من الكوفيين يجعلون التفعال بمنزلة التفعيل والالف عوضاً من التاء »(١).

واذا نظرنا الى معجماتنا في اثناء ايرادها لامثلة مما جاء على هذا البناء ،فأننا نجد أن اللغويين مترددون بين مذهب سيبويه، ومذهب الكوفيين ، فهم يوردونه في احيان مصدراً للفعل الثلاثي، وفي احيان أخرى مصدراً للفعل الرباعـــي.

ففي لسان العرب « ونهق الحمار ينهق وينهقَ وينهق بالضم عن اللحياني نهقاً ونهيقاً ونهاقاً وتنهاقاً »(٢) .

وفيه ايضاً «القتل معروف قتله يقتله قتلاً وتقتالاً» (٣) .

فهو في الموضعين مصدر للفعل الثلاثي ،غير أنه يأتي به في مواضع أخرى مصيراً للرباعي من ذلك قوله

« قال طوّف تطويفاً وتطوافاً» (٤) .

قوله ايضاً «والتضليل تصيير الانسان الى الضلال والتضلال كالتضليل» (٥) .

ونجد مثل هذا لدى الفيروزأبادي، ففي القاموس المحيط«طاب يطيب، طاباً وطيباً وطيبةً وتطياباً» (٦) .

وفيه ايضاً «وحلق رأسه يحلقه حلقاً وتحلاقاً» (٧) الا انه يعده في مواضع اخرى مصدراً للرباعي، نحو«وجوّل تجوالاً واجتال وانجال» (٨) .

---

(١) سيبويه جـ٤ هامش ص٨٤
(٢) لسان العرب جـ١٢ ص٢٣٩
(٣) لسان العرب جـ١٤ ص٦٤
(٤) لسان العرب جـ١١ ص١٣٠
(٥) لسان العرب جـ١٣ ص٤١٨
(٦) القاموس المحيط جـ١ ص٩٨
(٧) القاموس المحيط جـ٢ ص٢٢٢
(٨) القاموس المحيط جـ٣ ص٣٥٢

ونحو « وسجمة تسجيماً وتسجاماً» (١) .

ونجد مثل هذا ايضاً لدى الزبيدي ، ففي تاج العروس« ولمح البرق والنجم لمعاً ، يلمحان لمحاً ولمحاناً محركة في الثاني ، وتلماحاً بالفتح تفعال من لمح البصر» (٢) .

وفيه ايضاً «وكف البيت يكف وكفاً ووكيفاً وتوكافاً قطر» (٣)

إلا أنه يأتي به في مواضع اخرى مصدراً للرباعي نحو قوله «وحمله الامر تحميلاً وحمالاً ككذّاب فتحمله تحملاً وتحمالاً على تفعال كما هو مضبوط في المحكم» (٤). ونحو قوله «ويقال ردّده ترديداً وترداداً فهو مردد »(٥) .

ومع أن المصدر في هذا البناء مفتوح التاء إلاأنه قد يأتي مكسورها في القليل النادر ، ففي المزهر «قال سلامة الانباري في شرح المقامات : كل ماورد عن العرب من المصادر على تفعال فهو بفتح التاء ، الالفظتين : وهما تبيان وتلقاء ، وقال ابو جعفر النحاس في شرح المعلقات ليس في كلام العرب اسم على تفعال الا أربعة اسماء ،وخامس مختلف فيه : يقال تبيان ، ويقال لقلادة المرأة تقصار وتعشار وتبراك موضعان والخامس تمساح (كذّاب) وتمسح أكثر وأفصح» (٦) .

وقد استدرك الزبيدي على الفيروزأبادي ماأخلّ به قاموسه المحيط من امثلة هذا البناء (٧) .

وفيما يأتي الامثلة التي نستدركها على معجماتنا مما جاء من المصادر على هذا البناء.

التلجاء .

لم يرد هذا المصدر في معجماتنا ، وماجاء فيها من مصادر لجأ لجأ ولُجُوء وملجأ ، وتلجئة والاخير مصدر لجأ .

وقد وجدنا هذا المصدر في قول الاخطل .

---

(١) القاموس المحيط حـ ٤ ص١٢٧

(٢) تاج العروس حـ٧ ص١٠٠ (الكويت)

(٣) تاج العروس حـ٦ ص٢٧٠

(٤) تاج العروس حـ٧ ص٣٨٨

(٥) تاج العروس حـ٨ ص٩١

(٦) المزهر حـ٢ ص٩٢

(٧) تيعاث حـ٥ ص١٧٢ (الكويت) تعقاد حـ٨ ص٤٠٢ (الكويت)
توماض حـ٥ ص١٩٨ تلماع حـ٥ ص٥٠٥ تنهاق حـ٧ ص٨٣ تهيام حـ٩ ص١١٣

وقـد فـكـكـت عـن الأسـرى وثـاقـهـم
وليس يرجون تلجاءً ولا دخلا (١)

وذكر من ابنية الزيادة على أصله الثلاثي فضلاً عن لجّا ، لجأ والتجأ وتلجّأ فقط .
التجـواب : ـ

لم يرد في معجماتنا غير « الجوب » مصدراً للفعل جاب ، وقد وجدنا التجواب في قول عبيد ابن الابرص .

دنـا منـكِ تجواب الغـلاة فـقـلّص
بما قـد طـبـاك رعـية وخفوض(٢)

وجاء في معجماتنا من ابنية زيادته : أجاب وجوّب وجاوب واجتاب وانجاب وتجاوب واستجاب واستجوب .
التـكـْذاب :

في معجماتنا : كذب كَذِباً وكِذْباً وكِذاباً وكِذّاباً ، وكُذّاباً ويكون صفة على المبالغة كوُضا وحُسان يقال كَذَب كذّاباً : اي متناهياً » ، وكُذباناً وكُذاباً.

وقد جاء فيها تِكذاب وهو من صيغ المبالغة غير القياسية ، وليس مصدراً اذ يذكر في سياق الاوصاف ، ففي لسان العرب « ورجل كاذب وكذّاب وتكّذاب وكذوب وكذوبة وكـذبة مثال هُمزَة وكذبان وكيذبان وكيذُبان ومَكْذبان ومكذبانه ....» (٣)

وذكرت معجاتنا « تِكذّاباً » ايضاً ، وهو وصف كذلك ، ففي تاج العروس « وعن اللحياني رجل تِكِذّاب وتِصِدّاق بكسرتين وشد الثالث ، أي يكذب ويصدق » (٤)

ولم يرد اي من معجماتنا التكذاب مصدر بفتح تائه ، وقد وجدناه في شعر رؤبة وفي اربعة مواضع ،منها قوله.

بـل البـاعـي بقول التـكـذاب
انـا اذا مـا عُدّ خيـر الانساب(٥)

---

(١) شعر الاخطل حـ١ ص ١٥٩ .
(٢) ديوان عبيد بن الابرص ص ٨٩ .
(٣) لسان العرب حـ٢ ص ١٩٩ .
(٤) تاج العروس حـ٤ ص ١١٥ (الكويت) .
(٥) ديوان رؤبة ص ٨ .

وقولـــــه

وقلتُ في تبيِّــنٍ واستيجاب
شــق ابـو هزوان غير التكذاب (١)

وقولـــه

كـان علينا بـالشبـا عقابهـــا
وحُسدٌ لم ينيكيا تكذابهـــا (٢)

وقولـــه

إن الامور علـمـت أطبـابهـــا
وطاح عن مصدقنا تكذابها (٣)

وقد جاء هذا المصدر في شاهد معروف لدى النحاة لذي الرمة، وهو قوله .

أظـــق ابــن طـــرقـــوت عـتـيـبةِ ذاهـــبـاً
يعـــاديني تكذابـه وجعائلـــــه (٤)

التنفـــاث

مصادر الفعل «نفث» التي ذكرتها معجماتنا
هي :النفث والنفاث والنفثان فقط
وقد وجدنا التنفاث في قول رؤبة

تحبير حبـــر ليس بالتعلـــث
ولايتنفاث الرقـــاة الـنُّـفُـث (٥)

ولم تذكر معجماتنا اي بناء من ابنية الزيادة لفعلة

التـــدراج

جاء في معجماتنا: درج درجاً ودروجاً دروجاناً ودريجـاً.

ولم يذكر اي منها التدراج، وقد وجدناه في قول الكميت بن زيد الاسدي.

---

(١) ديوان رؤبة ص ١١ .
(٢) ديوان رؤبة ص ٢١ .
(٣) ديوان رؤبة ص ٢٣ .
(٤) معاني القرآن حـ١ ص ٤١٥ والاصول حـ١ ص ٢٢٣ .
(٥) ديوان رؤبة ص ٢٧ .

حتى اذا علم الستدراج واتخذت
رجلاه كالدرع آثاراً على الكتب (٤)

وذكرت معجماتنا من ابنية الزيادة لفعله درج وادّرج وتدّرج واستدرج.

التسحاج

اكتفت معجماتنا بذكر السحج مصدراً للفعل سحج، ولم تذكر غيره .
وقد وجدنا التسحاج في قول الاخطل (٢)

غيور طوى طي الملاء بطونها
ولوّجها تسحاجه وصلاصله

وجاء منها من ابنية زيادته سجح وانسجح وتسجح فقيط

التذباح

ورد في معجماتنا الذبح والذباح مصدرين للفعل ذبح، ولم يذكر فيها غيرَهما
وقد وجدنا التذباح في قول زيد الخيل(٣):

ويوماً باليمامة قد ذَبحنا
حنيفة مثل تذباح النقاد

وذُكر من ابنية الزيادة فعله :ذبّح واذبح وتذابح فقط

التفراح

اقتصرت معجماتنا على ذكر الفرح مصدراً للفعل فرح، ولم تذكر غيره
وقد وجدنا التفراح في قول ابن ميادة(٤):

هاج البكاء وعاق منه صدوح
خطباء باكية على التفراح

وذكر من ابنية الزيادة لفعله: افرح وفرّح فقط

(١) شعر الكميث بن زيد حـ١ ص ١٣١ .
(٢) شعر الاخطل حـ١ ص ٣٤٤ .
(٣) ديوان زيد الخيل ص ٥٣ .
(٤) شعر ابن ميادة ص ٣٥ .

التمــــداح.

في معجماتنا مدحه مدحاً ومديحاً فقط ولم يرد فيها سواهما

وقد وجدنا التمداح في قول الكميت بن زيد الاسـدي(١).

فــأنــى وتـمــداحي يـزيـد وخــالــداً
خــلالاً لكــالحاوي وليس لـه إبلُ

وذكر من ابنية الزيادة لفعله مدّح ومادح وامتدح، وانمدح وتمَدّح وتمَادح.

التسهـــاد

ذكرت معجماتنا السُّهد والسُّهُد والسهاد مصادر للفعل سهــد ولم يرد فيها غير هذه المصادر الثلاثـــة.

وقد وجدنا التسهاد في قـول حسان بن ثابت

ألــم تــذر الــعــيــن تــســهــادها
وجرى الدموع وانــفـادهـا (٢).

ولم يذكـــر في ابنية الزيادة لفعلة سوى آسهد وســهد

التسعــار

في معجماتنا سَعَرَ النار والحرب سعراً او قدهمــا وهيجهــما، والسعير والسعر والسعار حر النار ولهبهـا.

ولم يرد فيها التسعار، وقد وجدناه في موضعين، في قول جرير

ونكـــفـــيــهـــم ثـــم لا يـشـكـرون
مــراس الحروب وتسعــارها (٣).

وفي قول الصفار المحاربي

وكيف وقـــد اوقـــدتـــم الــنــار فوقــهـــم
فحرّقهــم تسعارها والتهابها (٤).

وذكر من ابنية الزيادة لفعله اسعر وسعرّ واستعر وتسعرّ.

(١) شعر الكميت بن زيد الاسدي ح٢ ص ١١ .
(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ٧٥ .
(٣) نقائض جرير والاخطل ص ٤٦ .
(٤) شعر الاخطل ح١ ص ٣٧ .

التطيــــار .

في معجماتنا طار طيراً وطيراناً وطيرورة فقط
وقد وجدنا التطيار في قول القائــــل،
وينسب لجهمه بن عوف الدوس :

فـأصبحــت مـثـل النسر طــارت فــراخــه
اذا رام تـطـيـاراً يقال لـه قـع (١)

وذكر من ابنية زيادته اطار وطير وطاير واطير وتطير وتطاير واسـتطار
تكـشـاش

لم يـرد في معجماتنا غير الكش والكشيش مصدرين للفعـل كــش .
وقــد وجــدنــا التـكشـاش في قول رؤبـة .

بـالهَـدْر تـكـشـاش البـكـار المـــرَّع
لله در المحـدثـيـن الـنُّبَّـع (٢)

وذكر من ابنية الزيادة لفعله انكش وتكاش وكشكش فقط .
التهضـاض :

اقتصرت معجماتنا على ذكر الهض والهضيض مصدرين للفعل هضّ .
وقد وجدنا التهضاض في قول الـعجاج

منـا خــراطيـم ورأســاً عـــلــجـا
رأســاً بـتـهـضاض الـرؤوس متهتجا(٣)

وذكر من ابنية الزيادة لفعله : هضّ واتهض واهتض وهضهض .
التحلاف : ـ

في معجماتـنـا حـَلَفَ حـَلْفــاً وحـلَفاً وحلفــاً ومحلوفاً والاخير مما جاء من المصادر على مفعول ، ولم يرد فيها غيرها مصادر للفعل حلف

(١) الحماسة (للبحتري) ص ٢٠٥ وانظر ص ٦٦ من مقدمة المحقق .
(٢) ديوان رؤبة ص ٩٨ .
(٣) ديوان العجاج ص ٣٨٩ .

وقد وجدنا التحلاف في قول رؤبـة :

قولك اقــوالا مــع التحـــــلاف
فيـــه ازدهـــاف ايمـا ازدهـــاف (١)

وذكـر من ابنية الزيادة لفعله : احلف وحلف وحالف واحتلاف و تحالف واستحلف

التعزاف

ذكرت معجماتنا العزف والعزيف والعزوف مصادر للفعل عزف ، ولم يرد فيهما غيـرها.

وقد وجدنا التعزاف في قول المثقب العبدي(٢)

تسمـــع تعـرافـاً لــه رنـــــــةٌ فـــي بـاطـن الارضــــ وفي العرده

وذكر من ابنية الزيادة لفعله : اعزف وتعازف واعزوزف فقط

التخفاق

مصادر خفق المذكورة في معجماتنا هي الخفق والخفوق والخفقان فقط

وقد وجدنا التخفاق في قول مليح بن حكيم الهذلي(٣) :

تـراه كتخـفـــاق الجنـاح ودونـه مــن النيـر او جنبـي ضربـة منكب

وذكر من ابنية الزيادة لفعله : اخفق وخفقَ واختفق فقط

التشواق

اكتفت معجماتنا بذكر الشوق مصدراً للفعل شاق، ولم تذكر غيره

وقد وجدنا التشواق في قول رؤبة :

القيـت مـــن تشواقـهـن كـامــــدا
محى اطلالا وقوياً لا بدا (٤)

التغساق

ذكرت معجماتنا الغسق والغسوق والغسقان مصادر للفعل غسق ، ولم يرد فيها التغـساق

وقد وجدناه في قول الشماح بن ضـرار :

عجبـــت القلـــوص بهـــا اسائـل آيهـا والعيــن تـذري دمـعـة تغساقاً (٥)

---

(١) ديوان رؤبة ص ١٠٠ .
(٢) ديوان المثقب العبدي ص ٣٥ .
(٣) التمام في تفسير اشعار هذيل ص ٢٥٢ .
(٤) ديوان رؤبة ص ٤٤ .
(٥) ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني ص ٧٣ .

ولم تذكر من ابنية الزيادة لفعله غير أغسق وقيل انها لغة تميم ، ففي تاج العروس : « وأغسق عن ثعلب ،قال الزمخشري هي لغة بني تميم ، ومثله دجا وأدجى » (١)

التعلاك

اقتصرت معجماتنا على ذكر التعلك مصدراً للفعل علك ، ولم تذكر غيره

وقد وجدنا التعلاك في قول طرفة بن العبد

وقنا جردٍ وخيل ضمر شربَ من طول تعلاك اللجُمْ (٢)

و لم يذكر من ابنية الزيادة لفعله غير علك واعتلك

التأمال

لم يرد في معجماتنا غير الأمَل والأمل مصدرين للفعل آمل .

وقد وجدنا التأمال في قول عبيد بن الابرص

فاتركي مطّ حاجبيك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال (٣)

ولم يذكر من ابنية الزيادة لفعله غير أمّل وتأمل

التزوال

ذكرت معجماتنا : الزول والزوال والزويل والزولان والزؤول مصادر للفعل زال ، ولم تذكر التزوال

وقد وجدناه في قول عمرو بن معد يكرب

الرمح لاأملا كفي به واللبد لااتبع تزواله (٤)

وذكر من ابنية زيادته أزال وزوّل وزاول وازوال وازول وتزوّل وتزايل واستزال.

التسجال

اقتصرت معجماتنا على ذكر السجل مصدراً للفعل «سجل» ولم تذكر غيره

وقد وجدنا التسجال في قول الكميت بن زيد الاسدي (٥)

تحت الالاءة في نوعين من غُسل باتا عليه بتسجال وتقطار

(١) تاج العروس حـ٧ ص ٣٦ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٩١ .

(٣) ديوان عبيد بن الابرص ص ١١٣ .

(٤) ديوان عمرو بن معد يكرب ص ١٥٣ ، وينسب لابي زيابة التيمي ديوان الحماسة لابي تمام ص ٤٩ .

(٥) شعر الكميت بن زيد حـ١ ص ١٨٣ .

وذكر من ابنية الزيادة لفعله : أسجل وسجّل وساجل وانسجل وتساجل فقط

التسهال

ذكر للفعل سهل في معجماتنا مصدران هما : سهولة وسهالة ، ولم يذكر غيرهما .
وقد وجدنا التسهال في قول امرىء القيس(١)

كحقف النقا يمشي الوليدان فوقه   بما احتسبا من لين مس و تسهال

وجاء من ابنية الزيادة لفعله : اسهل وسهل وساهل واستهل وتساهل واستسهل فقط

التعذال

لم يرد في معجماتنا غير العذل والعَذل مصدرين للفعل عَذل
وقد وجدنا التعذال في قول امرىء القيس في معلقته

الارب خصم فيك الوى رددنه   نصيح على تعذاله غير مؤتل

وورد من ابنية الزيادة لفعله : عذل واعتذل وتعذّل وتعاذل فقط

التقوال :

في معجماتنا من مصادر الفعل (قال) القول والقيل والقال والقالة ولم يرد فيها التقوال.
وقد وجدناه في ثلاثة مواضع ، في قول أمنون بن صريم التغلبي (٢) :

ولا خير فيما يكذب المرءُ نفسه   وتقواله للشيء بالبيت ذاليا (٣)

وفي قول زهير بن ابي سلمى :

اني شهدت كراماً من مواطنه   ليست بعيب ولا تقوال ذي هدر(٤)

وفي قول العباس بن مرداس

دعي عنك تقوال الضلال كفى بنا   لكبش الوغى في اليوم والاسى ناطحاً(٥)

وذكر من امثلة الزيادة لفعله : اقال وقوّل وقاول واقتال وتقوّل وتقاول.

التهمال :

جاء في معجماتنا همل همْلاً وهَمَلاً وهَمولاً وهملاناً ولم يرد فيها غير هذه المصادر

(١) ديوان امرىء القيس ص ١٤١ .
(٢) ديوان امرىء القيس ص ٤٧ .
(٣) الحماسة (للبحتري) ص ١٦٤ .
(٤) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص ٣١٩ .
(٥) ديوان العباس بن مرداس ص ١١٤ .

وقد وجدنا التهمال في قول أوس بن حجر (١)

عيني لابد من سكب وتهمال على فضالة جل الرزد والعالي

وذكر من ابنية الزيادة لفعله اهملّ واهتمل وانهمل واستهمل فقط.

التبسام :

اكتفتْ معجماتنا بذكر البَسْم مصدر للفعل بَسَمَ ولم تذكر غيره.

وقد وجدنا التبسام في قول ذي الرمة (٢) .

وخالسن تبساماً الينا كأنما تصيب بهِ حَبَّ القلوب القوادعُ

ولم يرد فيها غير ابتسم وتبسم من ابنية الزيادة لفعله

التحوام

في معجماتنا حام حوماً وحياماً وحوماناً وحؤوماً ولم يرد فيها غيرها مصادر للفعل .

وقد وجدنا في التحوام في قول جرير (٣)

قلتن صدرت لتصدرن بحاجة ولئن سقيت لطال ذا تحواماً

ولم يذكر من ابنية الزيادة لفعله غير حوم .

التسآم

جاء في معجماتنا تسئم سأماً وسأماً وتسأمة وسآماً وسآمة ،، ولم يرد فيها التسآم

وقد وجدناه في قول الطرماح (٤)

كأنه في القوم عسب السرى بعدوى الخيل وتسآمها

ولم يذكر غير : اسآم من ابنية الزيادة لفعله .

التهمام

وذكر في معجماتنا الهم والهمومه والهمامة مصادر للفعل هم ، ولم يذكر فيها غيرها

وقد وجدنا التهمام في ثلاثة مواضع ، في قول امرىء القيس

---

(١) ديوان اوس بن حجر ص ١٠٢ .

(٢) ديوان ذي الرمة ص ٣٣٨ .

(٣) ديوان جرير ص ٥٤١ .

(٤) ديوان الطرماح ص ٤٤٨ .

أعنـي على التهمـام والذكـرات   يبتن على ذي الهم معتكـرات (١)

وفي مطلع قصيدة لابي داؤد الايادي.

منع النوم مأوى التهمام   وجدير بالهم من لاينام(٢)

وفي قول الاحوص الانصاري

ملا النفس من تهمامها مستريحة   ولابالذي يأتي من الدهر تقنع (٣)

وجاء من ابنية الزيادة لفعله اهم واتهم واهتم وتهمّم واستهمّ فقط.

التطعان:

في معجماتنا ظَعَن ظَعْناً وظَعَنَا وظُعونا ولم يرد فيها عن هذه المصادر الثلاثة .

وقد وجدنا التظعان في قول كثير عزة

واني بذي دوران تلقى بلك النوى   على بردى تظعانها فاحتمالها(٤)

ولم يرد فيه من ابنية الزيادة لفعله غير أظعن وإظعّن.

التأساء :

ذكرت معجماتنا أسا اساً وأسواً مصدرين للفعل، ولم تذكر غيرهما.

وقد وجدنا التأساء في قول أعرابي قتل أخوه ابناً له..

اقول للنفس تآساً وتعزية   احدى يدي أصابتني ولم ترد (٥)

وجاء في معجماتنا من ابنية الزيادة لفعله : آسى وآسى وواسى وائتس وتآسى وتآسى وتواسى .

التحساء

جاء في معجماتنا حسا حَسواً وحُسُوا وحَسَاء وحساً . ولم يرد فيها التحساء

وقد وجدناه في قول الكميت بن زيد الاسدي في موضعين ، احدهما قوله :

اذا الصبوح لهم آسار ماتركت   بعد التعلج والتحساء في العلب (٦)

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ٨١ .

(٢) الاصمعيات ص ١٨٥ .

(٣) شعر الاحوص ص ١٣٧ .

(٤) ديوان كثير عزة ص ٧٨ .

(٥) ديوان الحماسة (لابي تمام) ص ٦٥ .

(٦) شعر الكميت حـ٢ ص ١٢٨ .

والتعلج مما اخلت به معجماتنا ايضاً ، وقد اثبتناه في موضعه ، والموضع الاخر قوله :
فاني قد رأيت لكم صدوداً وتحساء فعله مرتغينا (١)
وورد من ابنية الزيادة لفعله : احسى وحسّى وحاس واحتس وتحس وتحاس
الترجاء

في معجماتنا رجاهُ رجواً ورجاءً ورجاوة ورجاة ومرجاة ، ولم يرد فيها الترجاء
وقد وجدناه في قول العجاج : (٢)

أجلى جلا منه الذي تفقدا
من أملي اليوم وترجاتي غدا

وجاء من ابنية الزيادة لفعله أرجى، ورجى وارتجى و ترجّى
التسعاء :

ذكرت معجماتنا السعي والسعاية والسّعاة والمسعاة مصادر للفعل سعى، ولم تذكر غيرها
وقد وجدنا التسعاء في قول كعب بن زهير (٣)
طليح من التسعاء حتى كأنه حديث تهجى أسارتها سلالهم
وورد من ابنية الزيادة لفعله أسعى وساعى واستسعى فقط.
التهذاء :

لم يرد في معجماتنا غير الهذْي والهذيان مصدرين للفعل هذي
وقد وجدنا التهذاء في قول تميم بن مقبل : (٤)
مجهال رأو الصحى حتى توزعها كما توزع عن تهذاته الخرفا
وجاء من ابنية الزيادة لفعله: اهذى وهاذى وتهاذى فقط.

---

(١) شعر الكميت حـ٢ ص ١٣١ .
(٢) ديوان العجاج ص ٣٤ .
(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٢٤٦ .
(٤) ديوان ابن مقبل ص ١٨٧ .

المصادر والمراجع

اساس البلاغة، للزمخشري، القاهرة ١٩٦٠
اسماء خيل العرب وفرسانها، لابن الاعرابي، ليدن ١٩٢٨ .
اصلاح المنطق، لابن السكيت تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، مصر
الاصمعيات ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، مصر.
الاصول ، لابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي بغداد ١٩٧٣.
تاج العروس ،للزبيدي، مصر ١٣٠٦ وطبعة الكويت
التكملة والذيل والصلة للصاغاني ، مصر ١٩٧٠.
التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني ، بغداد ١٩٦٢ .
تهذيب اللغة للازهري مصر ١٩٦٤ــ١٩٦٧.
جمهرة اللغة لابن دريد
الجيم لابي عمرو الشيباني تحقيق ابراهيم الابياري ١٩٧٤ــ ١٩٧٥ .
الحماسة للبحتري ، بيروت ١٩٦٧ .
ديوان ابن الدمينة تحقيق احمد راتب النفاخ مصر ١٩٦٠ .
ديوان ابن مقبل تحقيق د عزة حسن ، دمشق ١٩٦٢ .
ديوان الادب لاسحاق بن ابراهيم الفارابي ــ تحقيق احمد مختار عمر ، مصر.
ديوان الأسود بن جعفر صنعه د. نوري حمودي القيسي ، بغداد ، ١٩٧٠ .
ديوان امرىء القيس، بيروت
ديوان اوس بن حجر، تحقيق د. محمد يوسف نجم، بيروت
ديوان جرير، تحقيق محمد اسماعيل الصاوي ، مصر.
ديوان حسان بن ثابت، بيروت
ديوان الحماسة، لابي تمام، تحقيق د. عبد المنعم احمد صالح بغداد ١٩٨٠
ديوان حميد بن ثور، تحقيق عبد العزيز الميمني، مصر ١٩٦٥ .
ديوان رؤبة، تحقيق رحيم بن الورد، بيروت ١٩٧٩ .
ديوان زيد الخيل، تحقيق د. نوري حمودي القيسي، النجف ١٩٧٠
ديوان سحيم، تحقيق عبد العزيز الميمني، مصر ١٩٥٠
ديوان شعر ذي الرمة، تحقيق كارليل هنري مكارتني، كمبردج ١٩١٩ .
ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني ، شرح الشنقيطي، مصر ١٣٢٧
ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٨ .

ديوان طفيل الغنوي ، تحقيق محمد عبد القادر احمد ، بيروت ١٩٦٨
ديوان عامر بن الطفيل ، صنعة ثعلب ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ١٩٦٣
ديوان العباس بن مرداس ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٨
ديوان عبيد بن الابرص ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ١٩٦٤
ديوان العجاج ، رواية الأصمعي ، تحقيق د. عزة حسن ، بيروت
ديوان العرجي ، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد ١٩٥٦
ديوان عروة بن الورد ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ١٩٥٣
ديوان علقمة الفحل ، تحقيق لطفي الصقال ، حلب ١٩٦١
ديوان عمرو بن معد يكرب ، تحقيق هاشم الطعان ، بغداد ١٩٧٠
ديوان القتال الكلاي ، تحقيق احسان عباس ، بيروت
ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د. ناصر الدين الاسد ، بيروت ١٩٦٧
ديوان كثير عزة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠
ديوان معن بن اوس المزني ، تحقيق د. نوري حمودي القيسي وحاتم الصياد ، بغداد ١٩٧٧
ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت
ديوان الهذليين ، مصر ١٩٦٥
شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة ثعلب ، مصر ١٩٦٤
شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة السكري ، مصر ١٩٥٠
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابي بكر الانباري ، تحقيق عبد السلام هارون، مصر.
شعر ابن ميادة ، تحقيق محمد نايف ، الموصل
شعر الاحوص ، تحقيق عادل سلمان ، مصر ١٩٧٠
شعر الاخطل ، صنعة السكري ، تحقيق فخر الدين قباوة ، بيروت
شعر الحارث بن خالد المخزومي ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٧٢
شعر خفاف بن ندبة ، تحقيق د. نوري حمودي القيسي ، بغداد ١٩٦٧
شعر عبيدة بن الطيب ، تحقيق د.يحيى الجبوري ، بيروت ١٩٧١
شعر الكميت بن زيد ، جمع وتحقيق د. داود سلوم ، النجف ١٩٦٩
شعر المتوكل الليثي ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، بيروت

شعر المثقب العيدي ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٥٦
شعر نصيب بن رياح ، تحقيق د. داود سلوم ، بغداد ١٩٦٨
شعر هدبة بن الخشرم ، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٧٦
الصحاح ، للجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور ، بيروت ١٩٧٩
العباب الزاخر واللباب الفاخر ، للصاغاني ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد
العين للخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق د.مهدي المخزومي ود ابراهيم السامرائي ، بغداد
القاموس المحيط ، للفيروزأبادي ، بيروت
الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر
لسان العرب ، لابن منظور ، مصر
اللغات في القرآن ، لابن حسنون ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، بيروت ١٩٧٢
المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، مصر
مختارات ابن الشجري ، بيروت
المزهر ، للسيوطي ، مصر ١٩٥٨
المصباح المنير ، للفيومي ، بيروت
معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق احمد نجاتي محمد ، مصر
المفضليات ، للضبي ، تحقيق محمد احمد شاكر وعبد السلام هارون ، مصر ١٩٧٦
مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر .
نفح الطيب ، للمقري ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨
نقائض جرير والأخطل ، لابي تمام ، بيروت ١٩٢٢

النحويون والقراءات القرآنية

زهير غازي زاهد
كلية الآداب / جامعة البصرة

تقديم

هذا بحث حاولت فيه أن القي الضوء على موقف النحويين من القراءات القرآنية. ولما كان هذا الموقف نابعاً من الخلاف المنهجي بين النحويين والقراء وضحت ما امكنني الأسس التي يقوم عليها منهج كل من الفريقين لتتضح مواضع الخلاف وأسبابه. ولم يكن خافيا ان جماعة من النحويين كانوا قراء للقرآن الكريم أو رواة لقراءاته مثل ابي عمرو إبن العلاء والخليل بن أحمد والكسائي والفراء وابن خالويه وغيرهم الا أن هؤلاء غلب عليهم طابع المنهج الذي التزموه وساروا على هديه، فمنهم من تردد بين المنهجين، مرة يميل الى هذا وأخرى الى ذاك فآثار المنهجين واضحة في علمه وما أثر عنه من أراء كالكسائي والفراء وابن خالويه ومنهم من كان يسير على وفق موضوع تصنيفه فان كان في النحو غلب عليه منهج النحويين وان كان في التفسير والقراءات اتضح لديه منهج القراء وذلك كالزمخشري في مواقفه من القراءات سواء كان في الكشاف أو المفصل.

بعد ذلك عرضت مجموعة من القراءات التي كان للنحويين مواقف منها متشددة لاكثرهم ومتسامحة لبعضهم وهي مروية موثقة وقد جعلتها مجالا لتطبيق ماورد من ذكر الخلاف المنهجي بين النحويين والقراء. هذه القراءات تمثل فيها مجالات اللغة الثلاثة، المجال الصوتي والصرفي والنحوي . هذا جهدي، راجياً من الله التوفيق .

* * *

الخلاف المنهجي بين القراء والنحويين :

يتبع موقف النحويين من القراءات القرآنية من الخلاف المنهجي لكل من القراء، والنحويين ، فكل فريق يتبع منهجه ويقف الموقف الذي يمليه عليه . ولتحديد صور موقف النحويين من القراء والقراءات ينبغي لنا أن نلقي الضوء على منهج كل من الفريقين.

١ ــ منهج القراء :

اعتمد القراء في منهجهم على الأسس التالية :

أ ــ النقل والرواية . ب ــ الأداء والعرض .

أ ــ النقل والرواية:

إنّ رواية القراءة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتوثيق هذه الرواية وضبطها وضبط سندها اساس التزم به القراء في قراءاتهم للقرآن الكريم . فسند الرواية واتصال هذا السند حتى يصل الى الرسول ثم تعديل رواة القراءة أصل مهمّ اعتمد عليه رواة القراءات . فجيل الصحابه أخذ القرآن عن الرسول مباشرة ثم روى جيل التابعين قراءاته عن الصحابة ثم أخذها جيل تابعي التابعين عن التابعين وهكذا . ولكل واحد من أصحاب القراءات أسانيده لما يرويه من القراءات . هكذا القراء السبعة (١) والعشرة وغيرهم . وكل له

---

(١) كان القراء ورواة القراءات بعد جيل الصحابة يروون القراءات دون تقسيمها أو تصنيفها الى سبع أو عشر أو غير ذلك وانما كانوا يروون القراءات عن الصحابة منسوبة الى الرسول ومن اوائل المصنفات التي عرفت في هذا الموضوع كتاب «القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلام وفيه جمع قراءة خمسة وعشرين قارئاً، وقد توفي ٢٢٤ﻫ ثم صنف بعده القاضي أبو اسحاق المالكي صاحب قالون كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماماً منهم هؤلاء السبعة وتوفي ٢٨٢ﻫ: ثم جاء بعده ابو جعفر الطبري فصنف كتاباً سماه «الجامع» جمع فيه قراءة نيف وعشرين قارئاً وتوفي ٣١٠ﻫ، حتى جاء ابو بكر بن مجاهد المتوفي ٣٢٤ﻫ فالف كتاب السبعة في «القراءات» اقتصر فيه على قراءات سبعة أئمة اعتبرهم يمثلون القراءة في عصورهم وأمصارهم وهم:

١ــ نافع قارىء المدينة توفي ١٦٩ﻫ ،
٢ــ ابن كثير قارىء مكة توفي ١٢٠ﻫ
٣ــ ابو عمرو بن العلاء قارىء البصرة توفي ١٥٤ﻫ =

شيوخه الذين روى عنهم وهؤلاء رووا عن شيوخهم حتى يصل السند الى الرسول – ص – وقد عد رواة القراءات صحة سند القراءة شرطاً مهماً من شروط القراءة الصحيحة «التي لا يجوز ردها ولا يحل انكارها » (١) .

إنّ اعتماد القراء الرواية أصلاً من أصولهم جعلهم لا يهتمون بالقياس الذي هو أساس من أسس منهج النحويين. فالقارىء ان صحت القراءة لديه بالرواية رواها ولا يهمه أخالفت القياس أم وافقته. فالقراءة سنّة والسنّة تصح بصحة النقل والاتباع في أداء النص، روي عن ابن مسعود قوله : «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتُمْ(٢) وروي عن الامام علي رضي الله عنه : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرأوا كما علمتم»(٣)، وكان كثير من أئمة القراء كنافع وأبي عمرو يقول: «لولا أنه ليس لي أن

= ٤ – عاصم بن ابي النجود قارىء الكوفة توفي ١٢٧هـ
٥ – حمزة بن حبيب الزيات قارىء الكوفة توفي ١٥٦هـ
٦ – الكسائي قارىء الكوفة توفي ١٨٩هـ
٧ – ابن عامر قارىء الشام توفي ١١٨هـ .

وقد اثبتت اسانيد كل واحد منهم ثم جاء ابن الجزري فالف النشر في القراءات العشر حيث أثبت أن القراءة الصحيحة لاتقتصر على هؤلاء السبعة وأنما أضاف اليهم ثلاثة آخرين هم :

١ – ابو جعفر يزيد بن القعقاع ت ١٣٠هـ ٢ – يعقوب بن اسحاق الحضرمي ت ٢٠٥هـ
٣ – خلف بن هشام ت ٢٢٩هـ .

وقد اقتصر عن كل امام بروايتين وعن كل راو بطريقتين وعن كل طريق بطريقين. ثم جاء البنا الدمياطي فألف كتاب «اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر» مضيفاً أربعة قراء الى هؤلاء العشرة وهم :

١ – الحسن البصري ت ١١٠هـ ٢ – ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن ت ١٢٣هـ
٣ – يحيى بن المبارك اليزيدي ت ٢٠٢هـ ٤ – ابو الفرج محمد بن احمد الشنبوذي ت ٣٨٨هـ

(انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٥٤ – ١٠١، التيسير في القراءات السبع للداني ٤ – ١ النشر في القراءات العشر ١/٣٤، ٥٤ – ١٦ ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ايضا، اتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي) .

(١) الابانة لمكي بن ابي طالب ١٨، النشر، ١/٩ .
(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٦
(٣) السابق ٤٧

أقرأ إلا بما قرأت لقرأت حرف كذا وكذا، وحرف كذا وكذا»(١)، وروي عن زيد بن ثابت عن أبيه قال: «القراءة سنة» (٢) وروي أيضاً عن محمد بن المنكدر: «قراءة القرآن سنّة يأخذها الآخر عن الأول »(٣). وروي عن الشعبي انه قال: «القراءة سنّة فاقرأوا كما قرأ أوّلوكم»(٤) وكذا قال الداني: «أئمة القراءة لاتعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصّح في النقل والرواية اذا ثَبَتَتْ عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة لأن القراءةَ سنّةٌ متّبَعَةٌ يلزم قبولها » (٥)

* * *

كان منهج علم القراءات من حيث النقل والرواية أكثر دقة وأكثر ضبطاً من نقل النصوص اللغوية الأخرى وروايتها فهذه النصوص رويت وكثر الوضع والانتحال فيها لأنها كانت عرضة لأسباب الوضع والانتحال.

أما القراءات فقد نقلت عن الصحابة عن رسول الله -ص- وقد كان الرسول شديد الاحتياط في المحافظة على النص القرآني اذ كان دقيق المراقبة لكتّاب الوحي فيما يكتبون من الوحي وقد منع كتابة غير الوحي لكي لايختلط به(٦) منع حتى كتابة الحديث النبوي ليبقي على النص القرآني سليماً مروياً بقراءاته التي أجازها الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه تيسيراً للداخلين في الاسلام من قبائل العرب المختلفة اللهجات. فقد روي عنه الحديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه» (٧) فقد كانت رواية القراءات أكثر دقة وضبطاً من رواية الحديث النبوي نفسه؛ وذلك لأجازة رواية الحديث على المعنى وعدم اجازة قراءة القرآن وروايته على المعنى إلاّ في مجال التفسير، أما القراءات فهي ليست تفسيرا وانما هي قراءة النص نفسه.

---

(١) النشر ١/١٧

(٢) السبعة ٥٠

(٣) السابق ٥١، النشر ١/١٧

(٤) السبعة ٥١

(٥) النشر ١/١٠، ١١

(٦) كتاب المصاحف لا بي بكر السجستاني ٤

(٧) انظر تفسير الاحرف السبعة في: تأويل مشكل القرآن لا بن قتيبة ٢٦، تفسير الطبري ١/١١.. وما بعدها، النشر ١/١٩٠٨ - ٢٢ ..

(ب) العرض والأداء:

العرض والأداء اساس لمنهج القراء ايضا وهو اساس هام في نقل النصوص اللغوية سليمة صحيحة بكل ظواهرها اللغوية. وكان هذا الاساس قد نهجه الرسول – صلى الله عليه وسلم – اذ كان شديد الدقة في تثبيت نصوص الوحي على السن أصحابه فهو يقرأ عليهم الوحي ثم يقرئهم ويستمع اليهم يؤدونه عليه بألفاظه . فكان يعلّمهم قراءة نصوصه ثم يستمع الى كيفية ضبطهم هذه النصوص وأدائهم اياها أداء سليماً . فتلقوا القرآن منه – ص – «حرفا حرفا لم يهملوا منه حركة ولاسكونا ولااثباتاً ولاحذفاً ولادخل عليهم في شيء منه شك ولاوهم» (١) كان قد اتبع ذلك اضافة الى تدوين ماكان ينزل عليه من القرآن الكريم باشرافه ومتابعته لكتاب الوحي (٢) .

روي عن أُبيّ بن كعب أنه قال : « عرض عليّ رسول الله – ص – القرآن وقال : أمرني جبريل أن أعرض عليك القرآن» (٣) ثم قيل للطفيل بن أبي : الى أيّ معنى ذهب أبوك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمرت أن أقرأ القرآن عليك ؟ فقال : «ليقرأ عليّ فأخذوا الفاظه» (٤) وكان – ص – يستقرىء أصحابه القرآن فيستمع اليهم يؤدونه. قال ابن مسعود : « قال لي النبي – ص – إقرأ عليّ . قلت : يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل . قال: نعم . فقرأت سورة النساء » (٥) وقد روي عن ابن مسعود قوله حين طلب اليه ترك ماخالف في قراءته نسخة المصحف التي كتبت في عهد الخليفة عثمان : « كيف تأمرونني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت . وقد قرأت منْ في رسول الله – ص – بضعاً وسبعين سورة وانّ زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان ..»(٦).

(١) النشر ٦/١

(٢) انظر مدى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكتاب الوحي كتاب: تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ص ٥٣.. وما بعدها.

(٣) السبعة ٥٥

(٤) كتاب السبعة ٥٥

(٥) الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج ١٩٦/١٩٥/٢ ، صحيح البخاري ٥٧/٤ روي الحديث عن عمرو بن مرة «.. أقرأ عليك وعليك أنزل. قال. فاني أحب أن اسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء»

(٦) المصاحف ١٦/١

وقد كان الرسول عليه السلام يعرض القرآن جميعاً على أصحابه كل سنة أي يقرؤه عليهم وهم يستمعون اليه وقد كتبت المصاحف في عهد عثمان «على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله كما صرح به غير واحد من السلف كمحمد بن سيرين وعبيدة السلماني وعامر الشعبي» (١) .

ظل العرض والأداء اساساً ثابتاً في منهج القراء بعد الرسول فكل من روى القراءات عن الصحابة رواها كما سمعها وكما أداها وضبطها عليهم كذا كان التابعون ومن جاء بعدهم من الأجيال (٢) .

فهم «لم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط وان اكتفوا في الحديث . قالوا لأن المقصود هنا كيفية الأداء وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء» (٣) .

لذا يمكن اعتبار القراءات القرآنية المرآة الصادقة للواقع اللغوي قبل نزول القرآن الكريم وهي مصدر مهم من مصادر دراسة العربية ولهجاتها المختلفة (٤) في ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية وذلك للاسباب التالية :

١ ـ اهتمام القراء في رواية القراءات بالمنهج العلمي في ضبط القراءة والتشدد في دقة روايتها، لان ذلك يتصل بالعقيدة الدينية التي اعتقدوها وجهدوا للحفاظ عليها .

٢ ـ تحقيق القراء من سند القراءة وذلك باستخدام الجرح والتعديل لرجال السند حتى تصل الرواية الى المصدر الأول وهو الرسول. فما وثّقوه وعدّلوه نقلوه وما جرّحوه ضعفوه اوأهملوه .

٣ ـ دقة رواية القراءة بالأداء وبيان مافيها من ظواهر صوتية أو صرفية أو نحوية ونسبة هذه الظواهر اللغوية الى الناطقين بها من العرب .

٤ ـ كون القراء ورواة القراءات من الحفظة والفصحاء الذين عرفوا بذلك فضلا عن أن كثيراً منهم من العلماء في العربية وقواعدها .

٥ ـ عدم تقييد القراء أنفسهم بقواعد مسبقة يخضعون القراءات لمنطقها كما فعل النحويون وتحررهم حتى من لهجات بيئاتهم في روايتهم القراءة فالقارىء كان يؤدي مايتلقاه من

---

(١) النشر ١/٨

(٢) انظر تفصيل ذلك في اسانيد القراء والناقلين عنهم في كتاب السبعة لا بن مجاهد ، تيسير الداني ، النشر لا بن الجزري غاية النهاية لا بن الجزري .

(٣) اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الاربعة عشر: البنا الدمياطي ٣،٤

(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: للدكتور عبده الراجحي ٨٣

القراءات عن شيخه كما هي دون اعتبار لما يشيع في بيئته اللغوية من ظواهر لهجية. فكان ابو عمرو بن العلاء وهو من القراء السبعة يميل الى تسهيل الهمزة (١) بالرغم من ان بيئته التميمية تميل الى تحقيقها.

وكان ابن كثير يميل الى تحقيق الهمزة في قراءته (٢) بالرغم من ان بيئته الحجازية كانت تميل الى تسهيلها بعامة. وكان عاصم من الكوفة يميل الى الإظهار (٣) على الرغم من ان بيئة العراق تميل الى ظاهرة الادغام وكان هو وابو عمرو بن العلاء البصري يفخمان في قراءتهما (٤) بالرغم من ان بيئة العراق تميل الى ظاهرة الإمالة.

٦ — كثر الخلاف في القراءات بعد هجرة الرسول من مكة الى المدينة حيث كثر الداخلون في الاسلام من مختلف قبائل العرب لذا اهتم الرسول في تيسير قراءة القرآن عليهم فكان حديث الأحرف السبعة في المدينة . لذا فالقراءات المختلفة للنص القرآني هي المجال التطبيقي للهجات العرب ورصد الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية هو رصد للظواهر اللهجية المختلفة التي كانت بها هذه القراءات.

٢ — منهج النحويين :

إن النحويين منذ نشأة النحو اقاموا منهجهم على اساسين هما :

(أ) السماع . (ب) القياس .

(أ) السماع:

هذا الاساس هام في منهج الدراسات النحوية واللغوية وهو المقدم لأنه الأصل الذي تقوم عليه هذه الدراسات.

وقد اهتم جامعو اللغة منذ النصف الثاني من القرن الأول حين بدأ علماء المسلمين يفكرون في وضع الضوابط اللسانية لحفظها من اللحن ومن ثم الحفاظ على صورة النص القرآني وقراءته من الخطأ. فكان لعلماء العربية الأوائل كابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر والخليل إبن احمد الفراهيدي والأصمعي وابي عمرو بن العلاء والكسائي وغيرهم رحلات الى بوادي الحجاز ونجد وتهامة (٥).

---

(١) انظر التيسير ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧. (٢) السابق ٣٣، ٣٦

(٣) السابق ٤٢، ٤٣ (٤) السابق ٤٦ — ٤٩.

(٥) نزهة الألباء ٥٩، انباه الرواة ٢٥٨/٢

لمشافهة الأعراب والسماع منهم مباشرة ليتصلوا بمنابع اللغة وصفائها قبل اختلاطها. وهو أساس سليم للاتصال باللغة ونقلها . ولم يكتف علماء اللغة بالخروج الى البوادي لسماع الأعراب وانما كان لهم طريق آخر يتمم ماسبق وهو اتصالهم بالأعراب الوافدين على الحواضر كالبصرة والكوفة وبغداد فهؤلاء الاعراب كانوا يمثلون لسان قبائلهم واساليبها في النطق. وكان لهم مقاييس للاتصال بهؤلاء الأعراب وأهمها انهم كانوايسمعون ممن لم يشكوا بفصاحته فاذا اختلط لسان أحد هؤلاء الأعراب بهرجوه(١) وتركوه لأنه أطال المكوث في المدينة ففسد لسانه (٢)، هؤلاء الأعراب طريق آخر لنقل اللغة وأساليبها فعنهم كان علماء اللغة يأخذون أشياء ويصححون أو يثوثقون من مسائل وأساليب للنطق في مجال اللفظ او الأعراب .

* * *

الى جانب السماع المباشر كانت الرواية سبيلا آخر اتخذه العلماء للاتصال باللغة ونقلها والرواية نشطت مع نشاط التدوين في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة وانصبت على الأشعار لعصر ماقبل الاسلام بخاصة، وكان رواة متخصصون لذلك منهم ابو عمرو بن العلاء وحماد عجرد وخلف الأحمر والمفضل الضبي وغيرهم،

وقد استعان اللغويون والنحويون بالشعر المروي للاستشهاد في دعم قواعدهم وتثبيت أحكامهم اللغوية في مجال الأستعمال او الاشتقاق وغيرها..

وقد بذل اللغويون جهوداً مضنية في ذلك واستطاعوا أن يبلغوا بالدرس اللغوي مراحل بعيدة إلاّ ان السؤال الذي يلح هنا هو: هل كان استقراء اللغة كاملا شاملا؟ نستطيع أن نتلمس الجواب فيما نقله السيوطي عن الفارابي في تحديد من أخذت عنهم اللغة اذ قال: «ان الذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر مأخذ ومعظمه وعليهم

(١) البيان والتبيين ١/١٦٢، ١٦٣ وانظر الفهرست لا بن النديم ٤٣ — ٥٠ (اسمىء فصحاء الاعراب المشهورين) ، الخصائص ١/٣٨٤، ٢/٥، ٦، ٢٦، ٢٧.

(٢) كما فعل مثلا ابو عمرو بن العلاء مع أبي خيرة الاعرابي حين سأله عن قولهم: «استأصل الله عرقاتهم» فنصب ابوخيرة التاء من «عرقاتهم» فقال له هيهات ياأبا خيرة لأن جلدك وذلك ان ابا عمرو استضعف النصب.
(الخصائص ١/٣٨٤م، نزهة الالباء ٣٢) .

اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.ولم تؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، فانه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري. فانه لم يؤخذ لاعن لخم ولا عن جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا عن قضاعة وغسان لمجاورتهم أهل الشام واكثرهم نصارى يقرؤن بالعبرانية ولا عن تغلب واليمن..»(١)

في هذا القول كان المعول عليهم من العرب ست قبائل في أخذ اللغة وأساليبها عنها واعتماد أهل اللغة عليها ، فإن لم نأخذ هذا القول على سبيل القطع وقلنا : ان فيه مبالغة في التحديد ، وجعلنا قول البصريين : « انما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وهؤلاء(اي الكوفيون)أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكوافح وأكلة الشواريز..»(٢) وغيره من الأقوال التي كان النحويون البصريون يسخرون بها من توسع الكوفيين في سماعاتهم والأخذ ممن ثبتت فصاحته وبنائهم القاعدة على المثال الواحد (٣) .. اذا جعلنا هذه الاقوال من قبيل الملاحاة في الرأي والخصومة في المذهب فاننا نذكر ثلاثة أمور لايمكن ان تكون قابلة لأي تبرير إلاتحديد، المجال الذي بنيت عليه قواعد النحو واهمال جوانب اخرى :

١ — تحديد زمن الاستشهاد وأن انصب الاستشهاد على الشعر بخاصة فقد وقف عند نهاية النصف الأول من القرن الثاني فابن هرمة الشاعر الذي أدرك الخليفة العباسي المنصور، آخرمن يستشهد بشعره ، وهومن المولدين الفصحاء ومن ساقة الشعراء على قول الأصمعي(٤)

٢ — عدم الأخذ ممن سكن المدن ولو من كبار الأدباء وموقف النحويين واللغويين من عدي بن زيد وذي الرمة يوضح ذلك (٥) وكذا اعتراض ابن ابي اسحاق وغيره على

(١) المزهر ٢١١/١، وقد ورد هذا التحديد للقبائل التي أخذت عنها اللغة في كتاب : (مقدمتان في علوم القرآن ، تحقيق أرثرجفري)

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٦٨

(٣) همع الهوامع ٤٥/١

(٤) فحولة الشعراء ٣٢، ٥٣، الاقتراح ٢٧ خزانة الأدب ٤٢٥/١

(٥) كان الاصمعي يقول في عدي بن زيد: «انه لا فحل ولا أنثى» وكان أبو عمرو بن العلاء يقول فيه انه كسهيل في النجوم يعارضها ولا يدخل معها. (انظر: فحولة الشعراء»، الموشح للمرزباني ٦٥) .

اما ذو الرمة فقد كان الأصمعي يلحنه في أشياء من شعره وهو القائل فيه: «ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل من حوانيت البقالين» (الموشح ٥٥، المزهر ٣٧٦/٢)

الفرزدق في أشياء من شعره (١) .

٣ — قلة الاهتمام بالحديث النبوي وقلة الاهتمام بالقراءات القرآنية .

لذلك اقيمت قواعد النحو وأحكامه على رقعة لغوية محدودة الزمان والمكان ، فما وافق من الأساليب العربية هذه القواعد والاحكام كان مقبولا مستساغاً لدى النحويين ومالم يتفق أخضعوه للتأويل والتقدير أوحكموا عليه بالشذوذ أو الندرة او القلة .

من هنا ينبع موقفهم من النصوص التي لاتتفق والقواعد الموضوعة وفق هذه الرقعة اللغوية المحدودة في مكانها وزمانها على الرغم من كون الاستقراء اللغوي لم يكن شاملاً ممتداً الى عصور التطور اللغوي كان خلط جامعي اللغة « بين المستويات اللغوية المختلفة التي كانوا يأخذون عنها ، فقد اعتبروا كل مايسمعونه عربية ونسوا شيئا هاما وخطيرا الأثر هو أن مايسمعونه ينتمي الى مستويات متعددة ينبغي التفرقة الحاسمة فيها بين مستويين مستوى اللغة الفصحى ثم مستوى اللهجات » (٢)

لقد ادّى هذا الخلط الى عدم الوقوف عند دراسة الخصائص ؛ الصوتية والتركيبية لما هو في مستوى الفصحى ولما هو في مستوى اللهجات وما وردت الا اشارات عابرة لهذه الفروق لاترقى الى مستوى الاستيعاب والشمول .

ب — (القياس) :

هو الاساس الثاني الذي يأتي بعد السماع والذي يتخذ من المسموعات مثلاً يحمل عليه مالم يسمع فيأخذ حكم المسموع . ونستطيع أن نحدد صورتين للقياس في هذا المجال .

الأولى: القياس اللغوي: هذه الصورة كانت لدى النحويين الأوائل منذ ابن أبي اسحاق الذي كان شديد التجريد للقياس(٣) وهو الذي فرع النحو وقاسه(٤)، حتى

(١) كان عبد الله بن أبي اسحاق والحسن البصري وابو عمرو بن العلاء.. يلحنون الفرزدق والكميت و«ذو الرمة» وأضرابهم في عدة أبيات أخذت عليهم ظاهراً وكانوا يعدونهم من المولدين، روي ان ابا عمرو بن العلاء كان يقول: «لقد احسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق.
(انظر: الشعر والشعراء لا بن قتيبة ٣٣ ، العمدة ٩٠/١)

(٢) اصول التفكير النحوي للدكتور أبو المكارم ٢٦/٢٧.

(٣) اخبار النحويين البصريين للسيرافي ٢٠، نزهة الألباء ٢٦

(٤) مراتب النحويين لا بي الطيب اللغوي ١٢

القرن الرابع للهجرة أي حتى تأثر القياس بالمنطق الشكلي. هذا القياس كان يعتمد على الاستقراء اللغوي ويتخذ من المسموعات أمثلة يعرض مايراد حمله عليها؛ ومثاله ماكان لدى الخليل وسيبويه والكسائي والفراء والمازني وغيرهم من النحويين واللغويين الذين كانوا قريبي عهد من السماع المباشر للفصاحة من أوطانها. هذه الصورة للقياس سليمة في أبعادها وضرورية للبحث اللغوي اذ هي الوسيلة الطبيعية التي يتخذها الدارس لاستنباط حكم لغوي أو نحوي (١). فهي تتخذ الظواهر الصوتية او التركيبية الشائعة المطردة فتجعلها قاعدة ينبغي اتباعها وترفض ماخالفها واصطدم معها من النصوص مهما كان مصدر هذا النص واعتباره إما لهجة أو تركيباً شاذا. كذا كان موقف ابن ابي اسحاق من الفرزدق في قوله:

وعضُّ زمان ياأبن مروان لم يـــدع   من المال الا مسحتا أو مجلّف (٢)...

واعتراض ابن ابي اسحاق على رفع (مجلف). وكان يكثر الرد على الفرزدق والتعنت له (٣) .

هذا الشائع المطرد يمكن قياس كل مالم يعرف عليه اذا كـان جاريا في مجراه وفي صورته التركيبية. فما قيس على كلام العرب فهو من الكلام العرب»(٤) كما قال المازني و« انما النحو قياس يتبع»(٥) كما قال الكسائي اي اتباع كـلام العرب في صورة التركيب وظواهرها .

ولقد شاعت مصطلحات لدى النحويين واللغويين ظلت مبهمة ولم نجد لها تحديدا علمياً وكانت تتردد وتتخذ أساساً للحكم ومعايير لرفض ظواهر لغوية، كالشائع والمطرد والنادر والقليل والشاذ. وظلت هذه المصطلحات تستخدم دون تحديد إلاّ أنها كثيرا ما استخدمت بتعنت في تخطئة أو رفض الظواهر اللغوية . (٦)

(١) في النحو العربي للمخزومي ٢٠
(٢) نزهة الألباء ٢٧، ٢٨
(٣) أخبار النحويين البصريين ٢٠
(٤) الخصائص ١/٣٥٧
(٥) انباه الرواة ٢/٢٦٧
(٦) تكلم اللغوي ابن جني في الاطراد والشذوذ جاعلا الكلام فيها على أربعة أضرب:
١ – مطرد في القياس والاستعمال . ٢–مطرد في القياس شاذ في الاستعمال .
٣ – المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس .

الصورة الثانية : القياس المنطقي الشكلي : هذه الصورة للقياس تختلف عن سابقتها فهي أبعدت القياس عن مدلوله اللغوي الاستقرائي وادخلته في مجال الجدل المنطقي إذا أصبح القياس هنا له أطراف أربعة هي المقيس والمقيس عليه والعلة والحكم . فهو اذن «عملية شكلية يتم فيها الحاق امر بأمر آخر لما بينهما من شبه أو علة » (١) فقد قال فيه ابن الأنباري بأنه «عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل . وقيل : هو حمل فرع على أصل بعلة .. وهذه الحدود كلها متقاربة ، ولابد لكل قياس من أربعة أشياء : أصل وفرع وعلة وحكم ...» (٢) هذا هو القياس المنطقي الذي بقي مسيطر بعلله وفروعه على النحو .

ومن هنا أطال النحاة الذين أسرفوا في هذه الصورة من القياس الحديث عن العلل وفروعها «وغلوا في ذلك غلواً جعلهم يبعدون في فلسفة القياس وأنواعه النظرية » (٣) مما أضطرهم الى الوان من الفرضيات المنطقية وزيادة التأويل والتقدير على حساب النص العربي وأساليبه المختلفة وصورته المنطوقة مما زاد النحو تعقيداً وابهاماً أدى الى أن ينكر عالم مثل أبي علي الفارسي كلام أبي الحسن الرماني في النحو ، وكان الرماني يمزج كلامه بالمنطق ، قائلا :« ان كان النحو مايقوله ابو الحسن الرماني فليس معنا منه شيء وان كان النحو مانقوله فليس معه منه شيء » (٤) وابو علي الفارسي نفسه كان موغلا في هذا الاتجاه القياسي وقد روي عنه قوله :« أخطىء في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطىء في واحدة من القياس »(٥) واتسع هذا الاتجاه في القياس بعد أبي علي الفارسي وسار به النحاة شوطا بعيدا حتى أفرغوه من مدلوله الاستقرائي في صورته السابقة وصار ذا مضمون منطقي كما حدده ابن الانباري في قوله :« واذا بطل أن يكون النحو رواية ونقلا وجب أن يكون قياسا وعقلا » (٦) .

= ٤ – الشاذ في القياس والاستعمال جميعاً.

ثم ذكر بابا في جواز القياس على مايقل ورفضه فيما هو اكثر.. إلا أن مصطلحات المطرد والشاذ والقليل والكثير في اللغة ظلت غير محددة تحديداً علمياً في مجال مستويات الأداء اللغوي.

(١) اصول التفكير النحوي ١٣

(٢) لمع الأدلة ٩٣

(٣) في النحو العربي للمخزومي ٢٢

(٤) نزهة الألباء ٢٣٤

(٥) السابق ٢٣٣

(٦) لمع الأدلة ٩٩»

«موازنة بين منهجي القراء والنحويين»

من خلال اطلاعنا على الأسس المنهجية لكل من القراء والنحويين نستطيع أن نخرج، بما يلي :

١ ـ المادة المعتمدة: فمادة القراء هي النص القرآني وهو أبلغ نص وافصحه وصل الينا عن العرب ولا خلاف في ذلك. وقد رأينا كيف كانت رعاية هذا النص منذ نزوله ومدى الحفاظ عليه ليظل سليماً من التحريف ثم العناية بتدوينه ابتداء من الرسول ومتابعته لكتاب الوحي ثم الصحابة الذين كانوا شديدي العناية بهذا النص الذي لم يكتفوا بتدوينه وانما كانوا يحفظونه ويحملونه في صدورهم فهم كانوا يسمعونه من الرسول يقرؤه ثم يقرؤنه عليه. وكان كثيرا مايطلب منهم ذلك كما كان مع ابن مسعود وأبي وغيرهما من الصحابة. أما قراءاته فقد نقلت بأوثق طريق لنقل اللغة فقد اعتمدت النقل والرواية ثم العرض والأداء .

* * *

أما مادة النحويين فقوامها:

(أ) مسموعات النحويين واللغويين من العرب في بواديهم مشافهة أو سماعهم من الأعراب الوافدين الى الحواضر . والسماع وحده لايكون كافيا في نقل الظواهر الصوتية والصرفية بصورة دقيقة احيانا .

(ب) مرويات النحويين واللغويين من الشعر والنثر وبخاصة نصوص العصر الجاهلي . فقد دونت هذه النصوص في وقت متأخر اي في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة. لذا فقد تعرضت للوضع والانتحال والنسيان، وانها تأثرت بظاهرة اخرى نتجت عن التدوين ذاته وهي ظاهرة التصحيف والتحريف التي وقع فيها كثير من اعلام اللغة والنحو كالخليل إبن احمد وابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمرو وابي عبيدة معمر بن المثنى وابي الحسن الأخفش والاصمعي والكسائي والفراء والمبرد (١) .

وقد أثر شيوع هذه الظاهرة ثم وقوع كثير من النحاة واللغويين فيها الى الخطأ في تحليل بعض

(١) انظر كتاب شرح مايقع في التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري ص ٥٧، ٧٣، ٧٩، ٨٢، ٨٨، ٩٣، ١١١، ١١٨، ١٢٠، ١٢٨..، وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الاصفهاني ص ٦٩، ٧٠، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٨٦. والخصائص ٢٨٢/٣...

النصوص اللغوية نتيجة لما تصوروه من وجود بعض الظواهر المروية التي دخلها التصحيف(١) إن ظاهرة التصحيف والتحريف كانت سبب ظهور المصنفات للتنبيه على ذلك(٢) ، وقد عقد بعض المصنفين أبوابا لبيان صواب ماوقع فيه العلماء من سقطات (٣) .

٢ — ناقل القراءات لايتدخل في النص وانما ينقله كما أخذه عن شيخه دون تغيير . والامانة احدى صفات رواة القراءات المعدلين كالأمانة في نقل الحديث النبوي . فاذا طعن في أمانة راوي القراءات تركت روايته .

اما النحويون فلاعتمادهم على التقعيد والقياس فقد كانوا يتدخلون في النص .فالتركيب اذا لم يخضع للقاعدة او الحكم او القياس لجأوا الى التقدير والتأويل ، فيكون حينئذ للنص صورتان بسبب هذا التدخل : إحداهما منطوقة كما تروى ، والاخرى ذهنية نحوية يتصورها النحوي . وهذه الصورة الذهنية التي يتخيلها النحويون للنص المنطوق قد تشوه النص احياناً كما يكون في ماسمّوه ببابي التنازع والاشتغال ، وقد تؤدي بالنص الى اسلوب مخالف كما يكون تقدير النحويين في باب النداء (٤) .

٣ — لم يُقسَر العرب على قراءة القرآن بلغة أو لهجة بعينها وانما أعطيت الحرية للسان العربي ان يقرأ هذا النص شرط واحد هو ان تكون القراءة قد سمعت من رسول الله ؛ او قرئت عليه كما رأينا في حديث هشام بن حكيم بن حزام ، الذي رواه البخاري في صحيحه ، وبسببه قال النبي صلى الله عليه وسلم حديث«انزل القرآن على سبعة احرف..» (٥). تيسيراً في قراءة النص القرآني . لذا جاءت القراءات تضم مستويات الأداء اللغوي للعرب

---

(١) أصول التفكير النحوي ٣٣

(٢) من ذلك كتاب مايقع فيه التصحيف والتحريف وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف المذكوران وكتاب الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني .

(٣) لقد عقد ابن جني في الخصائص بابا عن سقطات العلماء ٢٨٢/٣ — ٣٠٩.

والزمخشري في كتاب ربيع الأبرار باب الجهل والنقص والخطأ والتصحيف والتحريف واللحن وما اشبه ذلك» ٦١٨/١... وما بعدها.

(٤) انظر الرد على النحاة لا بن وضاء القرطبي ص ٨٨ ، ٨٩.. وما بعدهما أورد ذلك بشيء من التفصيل في موضوع الاعتراض على تقدير العوامل المحذوفة».

(٥) انظر تأويل مشكل القرآن لا بن قتيبة ٢٦ — ٣١ ، الابانة لمكي بن أبي طالب ٣٤، ٤١ النشر ١٩/١ — ٢٤.

دون حذف أو اهمال . وقد رويت كما قرئت وأديت فمجموعها يمثل اللسان العربي بلغته الفصيحة ولهجاته المختلفة (*) .

أما المادة اللغوية التي اعتمدها النحويون فهي محدودة ذكرناها في موضوع السماع على الرغم من محدودية المادة اللغوية زمانا ومكانا كانوا قد خلطوا بين مستويات الاداء اللغوي فهم لم يحددوا مستوى الفصيحة ثم مستويات اللهجات ولم يكن لهم تحديد علمي لمصطلحات المطرد والشائع والكثير والقليل .... التي ترددت في كتب اللغة والنحو . هذا الخلط أثر في وضع القواعد والاحكام على مختلف الصور التعبيرية وكان من آثاره التأويل والتقدير لما لم يستطيعوا رفضه وهو يخالف القاعدة الموضوعة . هذا الخلط بين مستويات الأداء اللغوي ثم محدودية المادة اللغوية التي اعتمدوها في وضع القواعد انعكس على موقفهم من القراءات القرآنية فهي في نظرهم تخضع للقواعد و الأحكام التي أقاموها على المادة اللغوية الأخرى . ومن الغريب أن قضية لغوية في قراءة قرآنية يلجأ النحوي أو اللغوي لاثباتها ببيت شعر مروي قد لايعرف قائله (١) . لذا قال بعض متأخري النحويين في الأخذ بالقراءات القرآنية واعتبارها مصدراً من مصادر النحو واللغة جاء في شرح التسهيل لأبي حيان : كل ماكان لغة لقبيلة قيس عليه (٢) كما قال السيوطي «كل ماورد ان القرآن قرىء به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم آحادا أم شاذاً » (٣)

٤ — موقف النحويين من الحديث النبوي وقلة الاعتماد عليه ضمن المادة اللغوية ثم الموقف نفسه من كثير من القراءات القرآنية اضاع كثيرا من الجهود في البحث عن العلل والتأويلات بالاضافة الى ضياع نصوص لغوية عربية ينبغي أن لايهملها البحث اللغوي والنحوي .

(*) وهذا كله قبل كتابة المصحف الامام في زمن الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه (الخبير : الاستاذ الدكتور احمد نصيف الجنابي) .

(١) لقد عجب الفخر الرازي من النحويين واعتراضهم على قراءة حمزة بخفض (الارحام) في الآية (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) (النساء — ١) اذ قال : «والعجيب من هؤلاء النحاة انهم يستحسنون اثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين (يقصد البيتين اللذين استشهد بهما سيبويه في الكتاب ٣٨٢/٢ ، ٣٨٣)ولا يستحسنون اثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع انهما كانا من اكابر علماء السلف في القرآن» (التفسير الكبير للرازي ٦٤/٩ ، وانظر موضوع «عطف الظاهر على الضمير المخفوض» من هذا البحث

(٢) الاقتراح ٧٧ ، ٧٨ (٣)السابق ١٤ ، ١٥ .

«مواقف النحويين من القراءات القرآنية»

رأينا مابين النحويين والقراء من خلاف منهجي. فالنحويون اصحاب تقعيد وقياس، فالروايات التي تخرج على قواعدهم وقياسهم كانوا يلجأون بها الى التأويل وتخريجها على التوهم. أما القراء فاصحاب تلق وعرض وأداء فبين الفريقين خلاف منهجي في قبول الروايات والحكم عليها. «ولقد كان أصحاب القراءات والمهتمون بها يدركون هذا الفرق بين منهجي النحو والقراءات ويرون ان منهجهم أوثق وأوضح من هذه الاصول والقواعد التي خضع لها النحاة وحاولوا ان يخضعوا لها العربية»(١).

وللنحويين أنفسهم مواقف مختلفة من القراءات كما اختلفت مواقفهم من المسائل اللغوية والنحوية وهذا الاختلاف قد يكون على مستوى المذهب النحوي بملامحه العامة أو قد يكون في مواقف فردية قد يخالف فيها النحوي جماعة مذهبه ويوافق مذهبا آخر او قد ينفرد هو بالموقف دون ان يتفق مع أحد. والنحويون البصريون بخاصة كانوا يقفون من القراءات القرآنية موقفهم المتشدد من اللغة نفسها في القياس على الأشهر والأكثر وكان كثير من الخلط والتعسف في احكامهم ناتجاً من خلطهم بين مستويات الأداء اللغوي وتمسكهم بالاطراد في مجال القواعد ورفض او تخطئة او تشذيذ اللهجات التي لاتتفق وهذا الاطراد وقد انعكس ذلك على مواقفهم من القراءات القرآنية ايضا باعتبارها نصوصاً لغوية لابد أن تخضع للقواعد والمعايير التي وضعوها فهم لايترددون في تضعيف أو رفض قراءات للسبعة وهي كما ذكرنا قراءات صحيحة متفق عليها (٢) وهم لايترددون في اتهام القراء ورواة القراءات بالضعف والوهم والخطأ كما فعل ابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني والمبرد وابو علي الفارسي وغيرهم.

أما أصحاب المذهب الكوفي فقد اتسعت احكامهم (*) وقبولهم لكثير من القراءات التي

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٨٦ .

(٢) اي القراءات التي توفرت فيها الشروط الثلاثة المطلوبة وهي
أ- صحة السند ب- موافقة العربية ولو بوجه.
ج- موافقة الرسم العثماني

(*) أنني اخالف الاستاذ الباحث في رأيه ، لأن الخليل وسيبويه بصريان ولم يرفضا قراءة ثابتة، والفراء والكسائي كوفيان وقد رفضا كثيراً من القراءات الثابتة (الخبير: الاستاذ الدكتور احمد نصيف الجنابي)

كان موقف البصريين منها الرفض. وهذا ناتج عن موقفهم من اللغة نفسها اذ توسعوا في القياس وقبلوا كثيرا مما كان البصريون يعدونه شاذا اومرفوضا حتى اتهموا بانهم قد أفسدوا اللغة والنحو بهذا التوسع والقبول.(١) واذا عرفنا ان الدراسات الفقهية والقرآنية والرواية كانت اساس ثقافة الكوفيين منذ الايام الأولى من تمصير الكوفة ثم ابتعادها عن التيارات الثقافية الأجنبية، عرفنا ان ذلك كان له هذه الآثار. لذا نرى أن ثلاثة من القراء السبعة من الكوفة هم: حمزة وعاصم والكسائي.

ونتيجة لذلك فقد عدّ الكوفيون القراءات القرآنية مصدرا من مصادرهم اللغوية (*) وهو موقف لغوي سليم.

سنذكر فيما يأتي صورا لمواقف النحويين من القراءات في ظواهرها اللغوية المختلفة. الصوتية والصرفية والنحوية.

أولاً: ظواهر صوتية:

يندرج كثير من الخلاف في القراءات تحت هذا العنوان لأنه يرجع الى قضايا صوتية. فالتغيير في الأصوات يجري في الكلمة أو الألفاظ المتجاورة نحو الانسجام بين أصواتها وجعلها خفيفة في النطق. وهو يكون في الأصوات المتجاورة المتماثلة أو المتقاربة ثم يكون في الأصوات التي يحدث في نطقها ثقل كالضمة يعقبها كسرة فينقلب الصوت الأول أو الثاني الى مثيل لمجاوره واليك نماذج من هذه الظواهر في القراءات وموقف النحويين منها:

١ — المماثلة الحركية:

الآية (الحمدُ للهِ ربّ العالمين). (٢ — الفاتحة)

قرأ الحسن البصري (الحمد لله) (٢) بكسر الدال. وقرأ ابن ابي عبلة (الحمدُ [illegible] لُله) (٣) بضم لام الخفض في لله.

جاءت القراءتان على اوفق لهجتين عربيتين، فقراءة الكسر لهجة بني تميم، وقراءة الضم لبعض بني ربيعة (٤). وقد عللهما الفراء تعليلاً صوتياً اذ قال: وأما من خفض الدال من (الحمد) فانه قال: «هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد،

(١) انظر ذلك مفصلا في كتاب مدرسة الكوفة للمخزومي ٣٢ — ٥٠.

(*) وكذلك فعل البصريون (الخبير: الاستاذ الدكتور احمد نصيف الجنابي).

(٢، ٣) مختصر ابن خالويه ١، المحتسب لابن جني ١/٣٧.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١/١٢٠

فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبل ، فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم . وأما الذين رفعوا اللام فانهم أرادوا المثال الأكثر من اسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان مثل الحُلُم والعقب» (١) .

وعلى الرغم من أن القراءتين مرويتان . رواهما قراء موثوقون . فالنحويون البصريون لم يجوزوهما (٢) . ووصفوهما بالشذوذ في الاستعمال والضعف في القياس (٣) . لم يجوزوا كسر الدال لأنه يؤدي إلى إبطال الاعراب . أما اللام فممتنع لأن «الاتباع» لما كان في الكلمة الواحدة قليلا ضعيفاً كان مع الكلمتين ممتنعاً البتة ، لأن المنفصل لا يلزم لزوم المتصل فاذا كان في المتصل ضعيفاً امتنع في المنفصل البتة ، لأنه ليس بعد الضعف إلاّ امتناع الجواز» (٤) .

هذا القياس الذي احتج به ابن الأنباري للبصريين منطقي يختلف عما كان في كلام الفراء . فمعيار الفراء كان أقرب إلى اللغة وأساليب النطق فيها وهو بعامة شائع في مذهب الكوفيين لذا هم قبلوا القراءتين وبنوا عليهما حكم في «ان الأصل في حركة همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل فتكسر في «إضرب» اتباعاً لكسرة العين وتضم في «اُدخُل» اتباعاً لضمة العين» (٥) .

وإلى جانب القراءتين المذكورتين اخذوا بقراءة حمزة الزيات والكسائي (فلأمِّه الثلث) (٦) بكسر الهمزة (٧) . وهذه اللهجة حكاها سيبويه (٨) وقال الكسائي هي لغة كثير من هوازن وهذيل (٩) .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/١،٤، اعراب النحاس ١٢٠/١

(٢) اعراب القرآن للنحاس ١٢٠/١

(٣) الا نصاف لا بن الأنباري ، المسألة (١٠٧) ٣٩٥/٢.

(٤) السابق المسألة (١٠٧) ٣٩٥/٢، ٣٩٦.

(٥) الا نصاف المسالة (١٠٧) ٣٩٣/٢، مدرسة الكوفة ٣٠٨

(٦) الآية ١١ – النساء .

(٧) الحجة لا بن خالويه ٩٥، تيسير الداني ٩٤

(٨) الكتاب ١٤٦/٤.

(٩) اعراب النحاس ٣٩٩/١

هذه القراءات ظاهرة صوتية هي المماثلة بين الحركات أو التوافق الحركي للمقاطع المتتابعة . فالاصوات المتجاورة يتأثر بعضها ببعض فينقلب الصوت حركة كان أم حرفاً إلى مثيل أو قريب من الآخر ليكون بينهما توافق وانسجام (١) . ففي قراءة (الحمدُ لله) تجاور مقطعان هما : د + الضم ، ل + الكسر . وهنا ينقلب احد الصوتين القصيرين إلى شبيه للأخر للانسجام والتوافق بينهما . هذه الظاهرة الصوتية كانت في لهجات العرب المذكورة .

٢ ـ المماثلة بين الحروف (الادغام) :

ادغام النون في اللام في قراءة الآية (وأنه أهلك عاداً الأولى)

(٥٠ ـ النجم)

قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (عاداً الأولى) منونة. وقرأ نافع وأبو عمرو (عادا لّولى) موصولة مدغمة(٢).

وقد وضحها الداني قائلاً: بضم اللام بحركة الهمزة وادغام النون فيها وأتى قالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو.

والباقون يكسرون التنوين ويسكنون اللام ويحققون الهمزة بعدها»(٣)

وصف المبرد قراءة نافع وأبي عمرو باللحن (٤). وقد روى قوله في تلحين أبي عمرو: «ماعلمت أن أبا عمرو بن العلاء لحن في صميم العربية في شيء من القرآن الا في (يؤده اليك) (٥) وفي (وانه اهلك عادا لّولى)» . وتابعه محمد بن الوليد راوي قوله هذا قائلا: «لايجوز ادغام التنوين في هذه اللام لأن هذه اللام أصلها السكون والتنوين ساكن فكأنه جمع بين ساكنين»(٦) ووصف ابو جعفر النحاس هذا الادغام بالرداءة في العربية حين عرض لقراءة ابن محيصن

(١) الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم نيس ١٢٧، اللهجات العربية للراجحي ١٤٣ علم اللغة العربية للدكتور حجازي ٢٢٩ .

(٢) السبعة ٦١٥ .

(٣) تيسير الداني ٢٠٤. وكذا ابن خالويه في الحجة٣١٠ قد احتج لقراءة الادغام ـ

(٤) اعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٣

(٥) الآية ٧٥ ـ آل عمران .

(٦) اعراب النحاس ٢٧٧/٣

(إنا اذن لملاّ ثمين) (١) قائلا: «وهذا ردىء في العربية لأن اللام حكمها السكون وان حركت فانما الحركة للهمزة، ونظير هذا قراءة أبي عمرو ونافع (وانه اهلك عاد الّولى).»(٢)

أما ابو اسحاق الزجاج فقد احتج لها بأنها لهجة من ثلاث لهجات في هذا الموضع هي (الأولى) بتخفيف الهمزة ثم تخفيفها تلغى حركتها على اللام فتقول (الُولى) ولا تحذف الف الوصل والثالثة أن يقال: (لُولى) فتحذف الف الوصل لأنها انما اجتلبت لسكون اللام فلما تحركت اللام حذفت . فعلى هذا قراءته (عاد لّولى) أدغم التنوين في اللام»(٣) .

وقد ذكرها الفراء محتجاً لها قائلا: « وهي قراءة أهل المدينة جزموا النون لما تحركت اللام.: والعرب تقول قمْ لان، وقمْ ا۟لآن وصمِ الاثنين وصمْ لثنين »(٤) .

الادغام من الظواهر الصوتية وهو ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة اذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة فيختفي أحد الصوتين في الآخر. والذين يذهبون الى الادغام يذهبون اليه طلبا للتخفيف وتقريب الصوت من الصوت كما قال ابن جني(٥). والنون واللام صوتان متقاربان في المخرج وهما من الحروف التي بين الشديدة والرخوة(٦). وكان من مذهب أبي عمرو في القراءة ادغام النون في اللام اذا تحرك ماقبلها (٧) مثل (لن نؤمن لك) (٨) و (تبيّن لكم) (٩) فان سكن ماقبلها لم يدغم مثل قوله تعالى (وتكون لكما) (١٠) .

---

(١) الآية ١٠٦ – المائدة. انظر القراءة في مختصر ابن خالويه ٣٥
(٢) اعراب النحاس ٥٢٦/١ .
(٣) اعراب النحاس ٢٧٦/٣، ٢٧٧ .
(٤) معاني الفراء ١٠٢/٣
(٥) الخصائص ١٤٠/٢ ، الاصوات اللغوية ١٣٤ .
(٦) انظر صناعة الاعراب ٦٩/١، علم اللغة العام – الاصوات د. كمال بشر ٨٩ .
(٧) السبعة ١١٨
(٨) الآية ٥٥ – البقرة .
(٩) الآية ٤٥ – ابراهيم.
(١٠) الآية ٧٨ – يونس .

٣ ـ التخفف من حركة الاعراب:

في الآية (وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم ..) (٥٤ — البقرة)

قراءة السبعة غير أبي عمرو بكسر همزة « بارئكم » أما أبو عمرو فقد روى عنه اسكان همزتها اليزيدي وعباس بن الفضل (١) . وكان ابو عمرو يميل الى التخفيف في قراءته كراهية لتوالي الحركات (٢) . وروي عنه تسكين لام الفعل في مواضع أخرى (٣) هي : (يأمركم) (٤) و(ينصركم) (٥) و(يلعنْهم) (٦) و(يجمعْكم) (٧) و(يعلمكم) (٨) وأشباه ذلك مما توالت فيه الحركات واستشهد لذلك بقول امرىء القيس :

فاليوم أشربْ غير مستحقب إثما من الله ولا واغل (٩)

بتسكين باء «أشرب» .

وللفراء تعليل صوتي للتخفف من الحركة حين تتوالى الحركات ويثقل النطق بها اذ قال (١٠): « وقوله (انلزمكموها) (١١) العرب تسكن الميم التي من اللزوم فيقولون : أنلزمْكموها ، وذلك أن الحركات قد توالت فسكنت الميم لحركتها وحركتين بعدها وأنها مرفوعة فلو كانت منصوبة لم تستثقل فتخفف . انما يستثقلون كسرة بعدها ضمة أو ضمة بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين أو ضمتين متواليتين . فأما الضمتان فقوله (لايحزنْهم) (١٢) جزموا النون لأن قبلها ضمة فخففت كما قال : رُسْل ، . واما الضمة والكسرة فمثل قول الشاعر :

---

(١) السبعة ١٥٤، ١٥٦ ، الحجة لا بن خالويه ٥٤، التيسير للداني ٧٣

(٢) المصادر السابقة .

(٣) انظر السبعة ١٥٥، ١٥٦، الحجة ٥٤

(٤) الآية ٦٧ — البقرة

(٥) الآية ١٩٠ — آل عمران

(٦) ١٥٩ — البقرة

(٧) ٢٦ — الجاثية

(٨) ١٥١ — البقرة

(٩) من شواهد سيبويه ٤/٢٠٤، ديوان امرىء القيس ٢٥٨ «فاليوم فاشرب»

(١٠) معاني الفراء ٢/١٢

(١١) الآية ٢٨ — هود

(١٢) الآية ١٠٣ — الأنبياء

وناع يخبرنا بمهلك سيد   تقطع من وجد عليه الأنامل

وقوله في الكسرتين :

اذا اعوججن قلت صاحب قوم »

هذا التعليل اللغوي كان قد تميز به منهج الكوفيين في النحو لاعتداده بالقراءات واعتبارها مصدرا من مصادره اللغوية بصورة اوسع مما كان لدى المنهج البصري المتشدد .

أما سيبويه فقد كان يرى في قراءة أبي عمرو (بارئكم) اختلاس الحركة (١) الا انه جوز تسكين الحرف المرفوع والمجرور في الشعر وروي الشواهد في ذلك (٢) . وكذا فعل الأخفش الأوسط فهو وصف التسكين بالغلط واتهم من رواه بالوهم ثم قال : «سمعت من العرب من يقول : جاءت رسلْنا ، جزم اللام وذلك لكثرة الحركة » ثم روى الشواهد من الشعر على التسكين (٣) .

فسيبويه قال باختلاس الحركة في القراءة وجوز التخفف من الحركة في حالتي الرفع والجر في الشعر دون غيره من الكلام مما يشير الى عدم قبوله برواية تسكين الهمزة في قراءة أبي عمرو ولا التسكين في الحروف الأخرى المذكورة .

أما من جاء بعده من النحويين فقد قالوا بتلحينها صراحة وممن لحنها ابو العباس المبرد اذ قال : «انه لحن لايجوز في كلام ولا شعر لانها حرف اعراب» (٤) . وكذا لحن قراءة الأعمش وحمزة للاية (ومكر السيء (٥) ولا يحيق المكر السيء الا بأهله(٦))بحذف الاعراب من «السيء» الأولى مرددا قوله السابق . وتبعه في تلحين هذه القراءة ابو اسحاق الزجاج قائلا: «هو لحن لايجوز» (٧) . وقد وافقهم النحاس على ذلك فقال بعد ذكره قول الزجاج : «وانما صار لحنا لأنه حذف الاعراب منه، وزعم محمد بن يزيد (المبرد) ان هذا لايجوز في كلام ولا شعر ؛ لأن حركات الاعراب لايجوز حذفها لأنها دخلت للفروق بين المعاني»(٨).

---

(١) الكتاب ٢٠٢/٤

(٢) السابق ٢٠٣/٤

(٣) معاني القرآن للأخفش ٩٣/١، ٩٤

(٤) اعراب النحاس ١٧٦/١ ، ٧٠٣/٢ (٥)السبعة ٥٣٥ وقرأ باقي السبعة بكسر الهمزة

(٦) الآية ٤٣ – فاطر (٧)اعراب النحاس ٧٠٣/٢

(٨) السابق

وقد كان المبرد أحياناً يبحث عن سبيل لرواية الشواهد بحيث يجعلها موافقة لما يذهب اليه من القاعدة او الرأي . وقد ذكر الزجاج (١) ان المبرد أنشده قول الشاعر :

اذا اعوججن قلت صاح قوّم

وانشده الآخر :

فاليوم فاشربْ غير مستحقبٍ...

وقد روى سيبويه الأول « صاحبْ » بتسكين الباء وروى الثاني «فاليوم اشربْ» دون فاء . وكذا رأينا الفراء قد رواهما فيما سبق ذكره.

وكان بعض النحويين احياناً يتحرجون من تلحين قارىء من السبعة أو غيرهم فيلجأ الى تعليل القراءة ثم يصف رواتها بالوهم كما اتهم ابن جني رواه قراءة ابي عمرو وامثالها بضعف الدراية وانحاز الى قول سيبويه: اختلاس الحركة لاحذفها (٢) . كما علل بعض النحويين قراءة الأعمش المذكورة بأنه كان يقف عند «السيء» الاولى فيسكن فغلط من ادعى عليه حذف الحركة. (٣)

ثانياً: ظواهر صرفية :

وقف النحويون مواقف حادة من القراءات التي خالفت القياس واطراده في ظواهر صرفية . وقد مربنا أن القراء لم يأخذوا بمذهب القياس على الشائع في اللغة بل على الأثبت فيالأثر الأصح في النقل والرواية فالقراءة عندهم سنّة متبعة . (٤) أما النحويون فهم أهل قياس وتقعيد فالشائع الكثير هو المقيس المقبول لديهم وغيره مرفوض أو مضعف حتى في مجال القراءات القرآنية المروية رواية صحيحة .

وقد ترد هنا أيضا بعض الظواهر الصوتية لصلة الظواهر اللغوية في القضية الواحدة أحيانا .

١ — وزن مفاعل وفعائل:

الآية (ولقد مكنا كم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون) (١٠ — الأعراف) .

---

(١) السابق ٢/٧٠٣، ٧٠٤

(٢) الخصائص ١/٧٢، ٧٣

(٣) اعراب النحاس ٢/٧٠٣

(٤) انظر موضوع «النقل والرواية» في «منهج القراء» من هذا البحث ص ٢ .. وما بعدها.

قرأها السبعة (معايش) بالياء وقرأها الأعرج (١) ورواها خارجة بن مصعب عن نافع (٢) (معائش) بالهمز، وكذا نقلت عن ابن عامر وزيد بن علي والأعمش» (٣) .

ووصف البصريون هذه القراءة بالرداءة والخطأ واللحن. قال الأخفش . «قد همزه بعض القراء وهو رديء لأنها ليست بزائدة وانما يهمز ماكان على مثال مفاعل اذا جاءت الياء زائدة في الواحد» (٤) . وقال الزجاج : «جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ» . (٥) وقال المازني : «أصل هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا»(٦) . وتابع النحاس شيخه الزجاج اذ قال : والهمز لحن لايجوز لأن الواحد معيشة ...» (٧) وإنما يستغرب أن أبا بكر ابن مجاهد قال : هو غلط (٨) بعد ذكره اياها.

عدّ النحويون هذه القراءة مخالفة للقياس في جمع هذه الكلمة فحرف العلة اذا كان اصلا في المفرد ردّ الى اصله في الجمع ، فصيغة مفعله تجمع على مفاعل مثل منارة ومناور ومقامه ومقاوم وكذا معيشة ومعايش . أما صيغة فعيله فتجمع على فعائل وحرف العلة فيها زائد مثل قبيلة قبائل ومدينة مدائن وعقيلة عقائل ..

وقف ابو حيان مدافعا عن هذه القراءة رادا تهم النحويين عنها وعن قارئها اذ قال : «ولسنا متعبدين باقوال نحاة البصرة .. فوجب قبول مانقلوه الينا (اي القراء) ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا ، وأما قول المازني : أصل أخذ هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح لأنها نقلت عن ابن عامر وعن الأعرج وزيد بن علي والأعمش »واما قوله : ان نافعا لم يكن يدري ماالعربية فشهادة على النفي ، ولو فرضنا أنه لايدري ما العربية وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها الى التكلم بلسان العرب فهو لايلزمه ذلك اذ هو فصيح متكلم ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء .» (٩).

---

(١) مختصر ابن خالويه ٤٢

(٢) السبعة ٢٧٨ ، اعراب النحاس ١/٦٠٠

(٣) البحر المحيط ٤/٢٧١

(٤) معاني القرآن للاخفش ٢٩٣

(٥) البحر ٤/٢٧١

(٦) البحر ٤/٢٧١

(٧) اعراب القرآن ١/٦٠٠ .

(٨) السبعة ٢٧٨

(٩) البحر المحيط ٤/٢٧١، ٢٧٢

أما الكوفيون فقد جوزوا هذه القراءة لتجويزهم الهمز في مثل هذا الموضع لوروده في كلام العرب . قال الفراء : « وربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف .. وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شبهت بفعلية لكثرتها في الكلام » (١) .

٢ ـ الضمائر :

(أ) الضمير المنفصل (أنا) :

في الآيتين (قال أنا أحيي وأميت) .. ٢٥٨ ـ من سورة البقرة .
و(وأنا أول المؤمنين) . ١٤٣ ـ من سورة الأعراف .

قراءة نافع وأبو جعفر اذا كان بعد «أنا» همزة مضمومة أو مفتوحة باثبات الألف في حالي الوقف والوصل وباقي السبعة بحذف الألف في الوصل ويثبتونها في الوقف . (٢) قراءة نافع من القراءات الصحيحة المتواترة وقد احتج ابن خالويه لاثبات الألف بأنها لهجة عربية (٣). فاثباتها في الوصل والوقف لهجة تنسب الى بني تميم وحذفها الى الحجاز(٤). وكذا الأشموني فقد ذكر ان هذا الضمير فيه خمس لهجات نصحاهن اثبات الألف وقفاً وحذفها وصلاً والثانية اثباتها وصلا ووقفا وهي لهجة تميم... (٥) والمشهور عن تميم أنها قبيلة بادية تميل الى السرعة في الكلام حتى نسب اليها حذف بعض الأصوات إلا أننا اذا نظرنا الى الروايات التي تثبت الألف في «أنا» وجدناها وردت في قراءات بعدها همزة وتميم كانت من القبائل المشهورة بالهمزة ، فقد يكون إثبات الألف هنا في لهجتها توصلا الى تحقيق الهمز (٦) وقد وردت على هذه اللهجة شواهد تثبت الف أنا في الوصل دون أن يكون بعدها همزة وقد عدّ ذلك من ضرورات الشعر كقول الشاعر :

فكيف أنا وانتحالي القوافي   بعد المشيب كفى ذاك عارا (٧)

---

(١) معاني القرآن ١/٢٧٣، ٢٧٤ .
(٢) السبعة ١٨٧ ، التيسير ٨٧ ، الحجة ٧٥ ، ٧٦
(٣) الحجة ٧٦ .
(٤) البحر المحيط ١/٢٨٤ .
(٥) حاشية الصبان ١/١١٤
(٦) اللهجات العربية للراجحي ١٦١
(٧) البحر المحيط ٢/٢٨٨ قال ابو حيان : « والأحسن ان تحمل قراءة نافع على لغة بني تميم »

وبالرغم من ذلك فقد جعل النحاس اثبات الألف في قراءة نافع شاذا في الشعر (١) وكرر وصفها بالشذوذ حين ذكرها في «الاعراف» قائلا : «وقرأ نافع (وأنا أول المؤمنين) باثبات الألف في الادراج والأولى حذفها في الادراج واثباتها لغة شاذة خارجة عن القياس

لأن الألف انما جييء بها لبيان الفتحة وأنت اذا أدرجت لم تثبت فلا معنى للألف. » (٢) والنحاس نفسه في موضع أخر ردّ احتجاج أبي عبيد في اختياره قراءة أبي عمرو (ولا تفرحوا بما أتاكم) (٣) قياساً على ما قبله قائلاً : «لأن كتاب الله لا يحمل على المقاييس وانما يحمل بما يؤديه الجماعة عن الجماعة فاذا جاء رجل فقاس بعد أن يكون متبعاً ...» (٤) ثم يوثق قراءة نافع ويؤكدها في قوله: «وانما تؤخذ القراءة كما قلنا أو كما قال نافع بن أبي نعيم : ماقرأت حرفاً حتى يجتمع عليه رجلان من الأئمة أو أكثر فقد صارت قراءة نافع من ثلاثة أو أكثر ولا نعلم أحداً قرأ بهذا الذي اختاره ابو عبيد إلا أبا عمرو ..» (٥)

والنحاس نحوي مقيد بمنهج النحويين والقياس اساس من أسسه فما خرج على الأعم الأشهر ضعفه وشذذه أو رفضه كما يفعل النحويون البصريون بخاصة الا انه يتأثر أحياناً بشيوخه من الكوفيين الذين كانوا يتوسعون في قياسهم فيقبلون القراءات التي خرجت على قياس البصريين المتشدد ثم تأخذه أثار شيوخه من البصرين فيرجع الى تشددهم في موقفهم من القراءات كما رأيناه في قوليه السابقين ثم ما قال في قراءة ابن عباس الأية (ولم تجدوا كتاباً) (٦) مشذذاً أياها : «هذه القراءة شاذة والعامة على خلافها وقلّ مايخرج عن قراءة العامة الا كان فيه مطعن نسق الكلام يدل على كاتب قال تعالى قبل هذا (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) (٧) .

* * *

---

(١) اعراب القرآن ٢٨٤/١ .

(٢) اعراب القرآن للنحاس ٦٣٦/١

(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد.

(٤،٥) اعراب القرآن ٣٦٦/٣

(٦) الآية ٢٨٣ – من سورة البقرة .

(٧) اعراب القرآن ٣٠٢/١

(ب) ياء المتكلم:

الآية (ماأنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما اشركتمون من قبل (٢٢) ابراهيم)

حرك السبعة سوى حمزة ياء (بمصرخي) الى الفتح وحركها حمزة الزيات الى الكسر (١) وقرأها بالكسر أيضاً يحيى بن وثاب وسليمان ابن مهران الأعمش وجماعة من التابعين (٢) .

وصف النحويون قراءة حمزة هذه بالشذوذ والضعف والوهم بالرغم من كونها صحيحة متواترة لأنهم يرون في ياء المتكلم لغتين هما : «الفتح والتسكين اذ لم يكن قبلها ساكن فاذا كان قبلها ساكن فالفتح لاغير » (٣)

قال الأخفش سعيد فيها : «وهذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب ولا أهل النحو» (٤) فقد بنى حكمه في تلحينها على عدم سماعه هو . وقال الزجاج هذة القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف (٥). أما الفراء فقد جعلها مرة وهماً اذ قال : «ولعلها من وهم القراء من طبقة يحيى (بن وثاب) فانه قلّ من يسلم منهم من الوهم » (٦) وأخرى حاول أن يجد لها دليلا مسموعاً اذ قال : وسمعت بعض العرب ينشد :

قال لها هل لك ياتافيّ قالت له : ما أنت بالمرضى

فخفض الياء من «فيّ» فان يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فيخفض الآخر منهما وان كان له أصل الفتح .. فكذلك الياء من (مصرخيّ) خفضت ولها أصل في النصب » (٧) .

---

(١) السبعة ٣٦٢

(٢) اعراب النحاس ١٨٢/٢، النشر ٢٩٨/٢ .

(٣) اعراب النحاس ١٨٢/٢

(٤) معاني القرآن ٧٥/٢، وكذا اتهم ابو حاتم السجستاني حمزة بالجهل بالعربية ووصف قراءته هذه باللحن. انظر مراتب النحويين ٢٧ .

(٥) البحر ٤١٩/٥ .

(٦) معاني القرآن ٧٥/٢ .

(٧) السابق ٢/ ٧٦ .

وقال النحاس : ان الاجماع على عدم قبول كسر الياء في هـذا الموضع سوى مارواه الفراء ثم عقب قائلا : « ولاينبغي أن يحمل كتاب الله جل وعز على الشذوذ » (١) .

ووقف مكي بن أبي طالب موقف الفراء حائراً فقد قال : « وهي حسنة على الأصول لكن الأصل اذا طرح صار استعماله مكروها بعيداً وقد ذكر قطرب انها لغة في بني يربوع » (٢) .

قراءة حمزة هذه جاءت على لهجة فصيحة هي لهجة بني يربوع وهم من تميم « نص على ذلك قطرب واجازها هـو والفراء وامام اللغة والنحـو والقراءة أبو عمرو بن العلاء وقال ، القاسم بن معين النحوي هي صواب ولا غيرة بقول الزمخشري وغيره ممن ضعفها أو لحنها فانها قراءة صحيحة اجتمعت فيها الاركان الثلاثة ... وهذه اللغة باقية شائعة ذائعة في افواه اكثر الناس إلى اليوم يقولون : مافيّ افعل كـذا .. » واحتج لهـذه القراءة ابن خالويه (٤) .

ودافع ابن الأنباري عن كسر الياء في هذا الموضع محللا اياها تعليلا صوتياً وفجعله هو الأقوى لمافيه من التوافق مع همزة (إني) بعدها إذ قال : « ان ياء الاضافة فيهـا لغتـان : الفتح والاسكان وأما الكسر فقد قال النحويون انه ضعيف في القياس ، وليس كذلك ؛ لأن الأصل في التقاء الساكنين الكسر وانما لم يكسـر لاستثقال الكسرة عـلى الياء فعدلوا إلى الفتح ، الا أنه عدل ههنا إلى الأصل وهـو الكسر ليكون مطابقاً لكسرة همزة (إني كفرت بما اشركتمون) لأنه أراد الوصل دون الوقف ، فلما أراد هذا المعنى كان كسر الياء أدلّ على هذا من فتحها وانما عاب من عاب هذه القراءة لأنه توهم كسرة الياء بالباء على أن كسرة ياء المتكلم لغة لبعض العرب حكاه ابو علي قطرب » (٥).

---

(١) اعراب القرآن ١٨٧/٢

(٢) مشكل اعراب القرآن ٤٠٤

(٣) النشر لا بن الجزري ٢٩٨/٢، ٢٩٩ .

(٤) الحجة ١٧٨

(٥) البيان في غريب اعراب القرآن ٥٧/٢ .

(ج) اتصال الهاء بالفعل المجزوم :

اختلف القراء في اداء كناية الغائب الهاء المتصلة بالفعل المجزوم في قوله تعالى : (يؤده اليك) (١) و (نصله) (٢) فمنهم من وقفها ومنهم من أشمها الكسرة أو الضمة ومنهم من وصلها بياء أو واو (٣) . وقد وردت قراءات عن السبعة بتسكين الهاء المتصلة بالفعل المجزوم،وقراءاتهم متواترة صحيحة كما وردت عن غيرهم من الثقاة كالاعشى(٤).
لقد قرأ حمزة (يؤدهْ) و (نولّهْ .. ونصله) (٥) و (نؤته) (٦) و (ارجه) (٧) و (فالقهْ) (٨) باسكان الهاء (٩) .

وقرأ ابو عمرو برواية (يؤدّهْ) و (نؤتهْ) و (نولّهْ .. ونصله) باسكان الهاء (١٠).
وقرأ عاصم برواية (نودهْ) و (نولّهْ) و (نصلْه) و (فألقه) و (يرضهْ) و (نؤتهْ) باسكان الهاء (١١) .

وصف النحويون قراءة التسكين في الهاء بالخطأ واللحن إذ لم يجوزوها . قال الزجاج : « هذا الاسكان الذي روي عن هؤلاء غلط لأن الهاء لاينبغي أن تجزم واذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل » (١٢). وقال الفراء : « ان القوم ظنوا أن الجزم في الهاء وانما هو فيما قبل الهاء . فهذا وان كان توهما ، خطأ » (١٣) . ثم عاد فذكر مذهبا آخر في جواز تسكين الهاء قائلا : « ان من العرب من يجزم الهاء اذا تحرك ماقبلها فيقول : ضربتهُْ ضرباً شديدا ، اويترك الهاء اذ سكنها وأصلها

(١) الاية ٧٥ — آل عمران (٢)الاية ١١٥ — النساء
(٣) انظر تفصيل ذلك في كتاب السبعة ٢٠٧ — ٢١٢.
(٤) انظر تفسير القرطبي ٤/١١٥، البحر المحيط ٢/٤٩٩
(٥) ١١٥ — النساء. (٦) ١٤٥ — آل عمران
(٧) ١١١ — الاعراف (٨) ٢٨ — النمل
(٩) السبعة ٢١٢ . (١٠) السابق ٢١١
(١١) السابق ٢١٠
(١٢) اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٣٨١، البحر ٢/٤٩٩
(١٣) معاني القرآن ١/٢٢٣ .

الرفع بمنزلة رأيتهمْ وانتمْ ..» (١) ثم عاد الفراء ايضاً في الآية (ارجهْ واخاه) (٢) مؤكدا ان تسكين الهاء لهجة للعرب قائلا : « وقد جزم الهاء حمزة والأعمش وهي لغة للعرب يقفون على الهاء المكني عنها في الوصل اذا تحرك ماقبلها » (٣) . ثم ذكر شواهد على ذلك . والفراء ينزع ، احياناً ممنازع أهل البصرة في موقفه من بعض القراءات ثم يعود إلى نزعته الكوفيه (٤) .

وكذا لم يجوز النحاس قراءة التسكين قائلا: « فأما اسكان الهاء فلا يجوز الا في الشعر عند بعض النحويين وبعضهم لايجيزه »(٥) وزاد على ذلك فاستبعد أن يكون ابو عمرو قرأ بالتسكين قائلا : « فأبو عمرو أجل من أن يجوز عليه مثل هذا والصحيح عنه انه كان يكسر . » (٦) .

وقد وقف أبو حيان مدافعاً عن قراءة أبي عمرو راداً مـن خطأها اذ قال : « وما ذهب اليه أبو اسحاق من أن الاسكان غلط ليس بشيء اذ هي قراءة في السبعة وهي متواترة وكفى انها منقولة عن امام البصريين أبي عمرو بن العلاء فانه عربي صريح وسامع لغة وامام في النحو ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا . وقد اجاز ذلك الفراء وهو امام في النحو واللغة وحكى ذلك لغة لبعض العرب تجزم في الوصل والقطع . وقد روى الكسائي ان لغة عقيل وكلاب انهم يختلسون الحركة في هذه الهاء اذا كانت بعد متحرك وانهم يسكنون ايضاً » (٧) فالكسائي والفراء اذن حكيا نقلا عن العرب ان اسكان الهاء لهجة كما مر وكذا روى ابن جني أن اسكان ضمير الغائب في لهجة أزد السراة (٨) .

وقد مر بنا مذهب أبي عمرو في اختلاس الحركة أو التسكين في مواضع الأسم أو الفعل غير المجزوم . وبهذا احتج ابن خالويه للتسكين في هذه القراءة (٩) .

(١) معاني القرآن ٢٢٣/١ (٢) ١١١ – الاعراف

(٣) معاني القرآن ٣٨٨/١ .

(٤) انظر الدفاع عن القرآن ٥٠ ، ابو زكريا الفراء للانصاري (مظاهر النزعة البصرية ص ٣٧٧)

(٥ ، ٦) اعراب القرآن ٣٤٥/١ ، ٦٣٠ (٧)البحر المحيط ٤٩٩/٢

(٨) المحتسب ٢٤٤/١ (٩)الحجة ٨٦ وانظر ص ٣٥ وما بعدها من هذا البحث موضوع «التخفف من حركة الاعراب»

ثالثاً: ظواهر نحوية:

وقف النحويون مما خالف القاعدة النحوية واطرادها من القراءات موقف الرفض، حيناً والتضعيف والتشذيذ أحياناً وما لم يستطيعوا رفضه منها لجأو فيه الى التأويل والتقدير .. وأتهموا القراء با لخطأ او الضعف في العربية والوهم فقد مرّ أتهام أبي حاتم حمزة بأنه لم يعرف كلام العرب والنحو وبانه يلحن في قراءته . (١) وسيأتي المزيد في **صور القراءات** . وقد وقف رواة القراءات ومفسرو القرأن الكريم مدافعين عن أمانة القراء في نقلهم وفصاحتهم ومعرفتهم العربية هذه المعرفة التي تبعدهم عن الخطأ واللحن فعاصم «جمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد» (٢) وحمزه «كان ثقة كبيرا حجة رضيا ، قيماً بكتاب الله ، مجوداً ، عارفاً بالفرائض والعربية» (٣) .

وقال أبن خالويه في القراءات السبع : «فاني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل واتقان الحفظ المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في اعراب ما انفرد به من حرفة مذهباً من العربية لايدفع ، وقصد من القياس وجهاً لايمنع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار» . (٤)

كما وقفوا ايضاً مدافعين عن منهج القراء المعتمد بالنقل والأداء والرواية غير ملتفتين الى منهج النحويين المعتمد على السماع المحدود نحن العرب ثم القياس على ذلك السماع قال أبو حيان : «ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون وانما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية» (٥) .

يتبين لنا بوضوح انه خلاف منهجي بين الفريقين كما مر بنا انعكس على أحكام كل منهما على الآخر . والنتيجة التي نخرج بها نعود فنؤكدها وهي ان منهج القراء كان أدق في نقل اللغة وأقوم في روايتها ثم ان القراءات كانت تمثل الواقع اللغوي للعرب قبل الاسلام وفي عصره اصدق تمثيل .

---

(١) مراتب النحويين ٢٧ وانظر ص ٣٢ من هذا البحث «قراءة حمزة» ص ٣ .
(٢) غاية النهاية ٣٤٧/١ .
(٣) النشر ١٦٦/١ .
(٤) الحجة ٣٧ .
(٥) البحر المحيط ١٥٩/٣ ، ٢٧١/٤ .

١ ـ الفصل بين المضاف والمضاف اليه:

في قراءة ابن عامر الآية (وكذلك زيّـن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم) (١٣٧ ـ الانعام)

قرأ ابن عامر (زُيّنَ) برفع الزاي و(قتلُ) برفع اللام و(أولادهم) بنصب الدال (شركائهم) بياء وقرأ باقي السبعة (زَيّنَ) بنصب الزاي و(قتلَ) بنصب اللام و(أولادهم) في قراءة ابن عامر فصل بين المضاف (قتل) والمضاف اليه (شركائهم) اواطراد القاعدة خفض (شركائهم) رفعاً (١) .

النحوية هو عدم الفصل بينهما بغير الظرف وحرف الجر لدى البصريين أما الكوفيون فقد أجازوا ذلك أعتماداً على هذه القراءة وغيرها من شواهد الشعر (٢) .

وقف النحويون البصريون بخاصة من هذه القراءة بالرغم من أنها سبعية صحيحـة موقف الرفض فوصفوها بالقبح في القرآن وجوزوا ذلك في الشعر . جعلها النحاس لحناً وذكر فيها أربع قراءات عدّ قراءة السبعة غير ابن عامر أبينها وأصحها (٣) . ووصفها أبو علي الفارسي بالقبح وقلة الاستعمال (٤) وكذا أبن خالويه جعلها قبحاً في القرآن وجائزة في الشعر (٥) والفراء من الكوفيين لم يستحسن هذه القراءة (٦) . وكذا الطبري من المفسرين وصف هذه القراءة بعدم الفصاحة (٧) والزمخشري وصفها بالسماجة (٨)

أما أبن جني فلم يتهم هذه القراءة بشيء من ذلك وانما وصف هذا الفصل في النشر بالصعوبة اذ أورد كثيراً من شواهد الفصل بين المتضايفين في الشعر وأقوال العرب ثـم قال جني ذكر قراءة ابن عامر : «وهذا في النثر وحال السعة صعب جداً لاسيما والمفصول به مفعول لاظرف» ثم قال في موضع آخر : «والفصل بين المضاف والمضـــاف اليه كثير» (٩) .

---

(١) كتاب السبعة ٢٧٠

(٢) انظر في كتاب الانصاف المسألة (٦٠)

(٣) اعراب القرآن ١/٥٨٢ ، ٥٨٣

(٤) خزانة الأدب ٤/٤٢٢ .

(٥) الحجة ١٢٥

(٦) معاني القرآن ١/٣٥٨

(٧) تفسير الطبري ٨/٤٣ ، ٤٤

(٨) الكشاف ٢/٥٤ .

(٩) الخصائص ٢/٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩

لقد احتج النحويون بالاجماع «على امتناع الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول في غير ضرورة الشعر . والقرآن ليس فيه ضرورة »(١) ثم صبغوا حجتهم هذه بشيء من المنطق كما يظهر في قول أبن الانباري «واذا وقع الاجماع على امتناع الفصل به بينهما في حال الاختيار سقط الاحتجاج بها على حال الاضطرار ، فبان انها لم يجز ان تجعل حجة في النظير لم يجزان تجعل حجة في النقيض(٢) .

هذه القاعدة المدعومة بالاجماع على اطرادها ثم المنطق الذي كان يتميز به البصريون من النحويين جعلهم لايبالون بما يتمسك به القراء من أسس في قبول هذه القراءة في أعلى مستوى للاداء . فهي لأحد السبعة وهي «المتواترة المنسوبة الى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القراءة عن عثمان بن عفان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب» (٣) وهي مروية كذلك عن كبار الصحابة من أمثال أبي الدرداء وفضالة بن عبيد (٤) .

كان النحويون في هذا الموقف ووصف هذه القراءة بالكراهة والقبح متأثرين سيبوية واضع القاعدة في قوله : «ولا يجوز : ياسارق الليلة أهل الدار ، الا في شعر كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور » (٥) وكرر قبح هذا الفصل في موضع آخر .(٦)

وهذه القراءة ورد مايشبهها في كلام العرب والشواهد المعتمدة غير قليل (٧). فالقراءة لم تكن منقطعة وانما كانت تمثل مستوى عربياً ، ثم أن القراء وناقلي القراءات رووها وفق منهجهم في النقل والاداء ولم يتصرفوا في تعليلها أو عرضها على قاعدة أو قياس كما فعل النحويون .

* * *

(١) الأنصاف المسألة (٦٠) ٢٢٧/١.

(٢) السابق .

(٣) البحر المحيط ٣٢٩/٤ .

(٤) الاتحاف ٢١٧

(٥و٦) الكتاب ١٧٦/١، ٢٨٠/٢

(٧) انظر تفصيل ذلك في كتاب الخصائص ٤٠٤/٢ — ٤٠٩ خزانة الأدب ٤١٥/٤ — ٤٢٥ كتاب الدفاع عن القرآن ١٠٩ — ١٦٥

٢ ـ عطف الظاهر على الضمير المخفوض:

قرأ حمزة بن حبيب الآية (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) (١) بخفض الارحام وقرأ باقي السبعة (الارحام) منصوبة (٢). والقراءة بخفض الارحام قرأ بها ايضاً ابن عباس وقتادة وابراهيم النخعي والاعمش والحسن البصري ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف (٣). وقراءة حمزة متواترة اتصلت بأكابر الصحابة الذين تلقوا القرآن من الرسول ـ ص ـ بغير واسطة كعلي وعثمان وابن مسعود وزيد بن ثابت (٤) .

وقف النحويون من هذه القراءة وامثالها (٥) مواقف مختلفة بحثا عن العلة لمخالفتها القاعدة النحوية . والقاعدة التي ثبتها سيبويه وتمسك بها من جاء بعده من النحويين وجعلوها معياراً للخطأ والصواب في التعبير هي انه لايجوز عطف الظاهر على المضمر المخفوض لأنه بمنزلة التنوين وسحبوا القاعدة على هذه القراءة .

قال سيبويه : « ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمر المجرور وذلك قولك : مررت بك وزيدٍ وهذا ابوك وعمرو ، كرهوا أن يشرك المظهر مضمراً داخلا فيما قبله ، لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لايتكلم بها الا معتمدة على ماقبلها وانها بدل من اللفظ بالتنوين ، فصارت عندهم بمنزلة التنوين ، فلما ضعفت عندهم

---

(١) آية ١ ـ النساء

(٢) السبعة في القراءات ٢٢٦، تيسير الداني ٩٣

(٣) اعراب النحاس ٣٩/١ ، الانصاف المسألة ٦٥ ، البحر المحيط ١٥٧/٣ ، تفسير القرطبي ٢/٥ .

(٤) البحر المحيط ١٥٧/٣ .

(٥) رد النحويون البصريون بخاصة قول من قال بالعطف على المضمر المخفوض في عطف (المقيمين) على الهاء والميم في الآية (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة..) ١٦٢ ـ النساء قال المبرد: ومن اجاز من غيرهم (البصريين) فعلى قبح كالضرورة والقرآن انما يحمل شرف المذاهب. (الكامل للمبرد ٧٤٨، ٤٧٩) وكذا رد البصريون قول الكسائي والأخفش في العطف على المضمر المرفوع دون توكيده في رفع (الصابئون) في الآية (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون من آمن بالله واليوم الآخر..) (٦٩ ـ المائدة) انظر اعراب القرآن للنحاس ٤٧٠/١ ـ ٤٧٢ ، ٥٠٩، ٥١٠

كرهوا أن يتبعوها الأسم » (١). وكذا الأخفش قال حين عرض للاية فاستحسن القراءة بالنصب « لأنك لاتجري الظاهر المجرور لا على المضمر المجرور » (٢).

ثم جاء النحويون فرددوا كلام سيبويه رادين هذه القراءة فوصفوها باللحن لاتحل القراءة به كما روي عن المبرد (٣) ، كما وصفوها بالقبح الذي كالضرورة ، والقرآن انما يحمل على أشرف المذاهب (٤) . وكذا ابو عثمان المازني شيخ المبرد تمسك بالقاعدة واحتج لها في رده هذه القراءة الا انه جوز ذلك في الشعر (٥) ، والزجاج ايضا ردّ القراءة بالخفض (٦) .وقد مال ابن الانباري إلى رد القراءة بالخفض خلال عرضه لآراء البصريين والكوفيين فيها (٧) . وكذا الزمخشري جعل الجر ليس بسديد(٨) وقبله الطبري جعله غير فصيح من الكلام عند العرب (٩). أما الفراء من الكوفيين فقد خالف أصحابه اذ جعل الخفض في هذه القراءة قبحا اذ قال : « لأن العرب لاترد مخفوضا على مخفوض قد كني عنه ... وانما يجوز هذا في الشعر لضيقه » (١٠) . وكان سائر الكوفيين يقبلها ويحتج بها ويدعم حجته بما ورد من آيات التنزيل من الشواهد العربية(١١). وممن لم يرفضها أيضا يونس والأخفش (١٢) من البصريين ثم ابن مالك وابن عقيل (١٣) وأبو حيان (١٤) من المتأخرين وكذا السيوطي في اجازته الاحتجاج بالقراءات سواء كان متواترا أم أحادا ام شاذا (١٥) .

---

(١) الكتاب ٢٨١/٢ .

(٢) معاني القرآن ٢٢٤/١

(٣) اعراب النحاس ٣٩٠/١، شرح المفصل ٧٨/٣

(٤) الكامل للمبرد ٧٤٩

(٥) اعراب النحاس ٣٩٠/١

(٦) اعراب القرآن ومعانيه للزجاج ورقة ٤٥٥ ، اعراب النحاس ٣٩١/١

(٧) الأنصاف المسألة (٦٥)

(٨) الكشاف ٤٩٣/٣

(٩) تفسير الطبري ٢٢٦/٤ .

(١٠) معاني القرآن ٢٥٢/١، ٢٥٣ .

(١١) انظر ذلك في كتاب الأنصاف المسألة ٦٥، مدرسة الكوفة ٣٨٥، الدفاع عن القرآن ١٠، ١١ وما بعدهما.

(١٢) معاني القرآن للاخفش ٢٢٤/١، الهمع ١٣٩/٢ .

(١٣) شرح ابن عقيل ٢٣٩/٢، ٢٤٠ .

(١٤) البحر ١٥٧/٣ .

(١٥) الاقتراح ١٤، ١٥

هذان موقفان للنحويين : احدهما رفض القراءة بالخفض أو تضعيفها وتشديدها والآخر قبولها والاحتجاج بها على انها اسلوب عربي يرقى إلى مستوى الفصاحة . وهناك موقف ثالث يبدو عليه الحيرة فهو لم يستطع رفض القراءة كما لم يستطع قبولها على أنها من المستوى الفصيح فاضطر إلى التأويل لتوافق القاعدة النحوية . فهذه القراءة لاترد لأنها من القراءات السبع وهي متواترة صحيحة ، فحملوها على وجهين هما (١) :

الأول : ان قوله (والأرحام) ليس مجرورا بالعطف على الضمير المجرور وانما هو مجرور بالقسم . وقد رد الزجاج هذا التأويل وقد سبق أنه ردّ هذه القراءة (٢) .

الثاني : ان قوله (والارحام) مجرور بباء مقدرة غير الملفوظ بها وتقديره وبالارحام فحذفت لدلالة الأولى عليها .

ذكر الرازي هذا الوجه مع ذكر استشهاد سيبويه بشاهدين لهذه المسألة ثم عجب من موقف النحويين قائلا : « انهم يستحسنون اثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون اثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع انهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن » (٣) .

فالتأويل باب من أبواب عدم رفض الشاهد الذي يضطر فيه النحويون إلى التأويل .

(١) الانصاف المسألة (٦٥) ٢٤٨/٢ ، ٢٤٩ ، مدرسة الكوفة ٣٨٥ .

(٢) اعراب القرآن ومعانيه ورقة ٤٥٥ ، اعراب النحاس ٣٩١/١ .

(٣) تفسير الرازي ١٦٤/٩

٣ – وقوع المثنى بالألف بعد «إنّ» :

في الآية (ان هذان لساحران ..) (٦٣ – طه) ست قراءات (١) أربع منها للسبعة .
قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي (إنّ) مشددة النون (هذان) بألف ونون خفيفة (٢)
وقرأ ابن كثير (إنْ هذانّ) بتشديد نون (هذانّ) وتخفيف نون (إنْ) . واختلف
عن عاصم فروى أبو بكر عنه مثل قراءة حمزة والكسائي السابقة .. وروى حفص عنه
(إنْ) ساكنة النون و (هذان) خفيفة النون .

وقرأ أبو عمرو وحده (انّ) مشددة النون (هذين) بالياء .

القرآءات الأربع التي قرأ بها السبعة ذهب النحويون فيها مذاهب مختلفة .

فالأولى (إنّ) بتشديد النون و (هذان) بالألف ، رويت فيها للنحويين أقوال كلها يبحث عن العلة في وقوع المثنى بعد (إنّ) بالألف لا بالياء ، والقاعدة النحوية هي : ان هذه الاداة يقع بعدها الأسم منصوبا ولما كان الواقع بعدها مثنى كان ينبغي أن يأتي بالياء لأن علامة نصب المثنى الياء . فلما قرأ بهذه القراءة خمسة من القراء السبعة فهي لايمكن ردها ولا الاعتراض عليها فما للنحويين فيها إلا سبيلان : أحدهما الأخذ بهذه القراءة دون تأويل وهو مافعله الأخفش الأوسط والكسائي والفراء اذ هي على لهجة عربية فصيحة وهي لهجة بني الحارث الذين يجعلون الإثنين بالألف رفعا ونصباً وخفضاً (٣).
وقد ذكر الفراء وجها آخر في ذلك قائلا: « وجدت الألف من هذا دعامة وليست بلام فعل ، فلما ثنيت زدت عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها لاتنزول على كل حال كما قالت العرب : الذي ، ثم زادوا نوناً تدل على الجماع فقالوا : الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم » (٤) .

(١) انظر معاني الفراء ١٨٤/٢، السبعة ٤١٩، اعراب النحاس ٣٤٣/٢ .

(٢) وكذا قرأ بها من غير السبعة الأعمش وطلحة والشنبوذي (النشر ٣٢١/٢ ، البحر ٢٥٥/٦)
وقرأ أبو سعيد الخدري على ذلك (فكان ابواه مؤمنان) (٨٠ الكهف) وأجاز ذلك سيبويه على ان يضمر في كان و «أبواه مؤمنان » ابتداء وخبر في موضع خبر كان وحكى الحديث النبوي «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه ..» (الكتاب ٣٩٣/٢، اعراب النحاس ٢٨٩/٢، ٣١٣)

(٣) معاني الاخفش ٤٠٨/٢ ، معاني الفراء ١٨٤/٢، اعراب النحاس ٣٤٥/٢ الحجة لابن خالويه ٢١٧، ٢١٨

(٤) معاني الفراء ١٨٤/٢، تفسير الطبري ١٨٠/١٦، ١٨١ .

أما السبيل الآخر فقد ذهبوا فيه مذهبين في التأويل :

١ ــ الاضمار بعد (إنّ) فيكون « هذان ساحران» جملة مــن مبتدأ وخبر خبراً لإنّ. وهو مذهب الخليل وسيبويه وقد أوردا شواهد من الشعر وأقوال العرب بوقوع المرفوع بعد إنّ وقالا بالتأويل الا ان النصب بعدها اكثر في كلام العرب (١) . وتبع هذا القول أبو اسحاق الزجاج أيضاً .

٢ ــ كون إنّ بمعنى أجلْ . وقد ذهب سيبويه أيضاً إلى ذلك وان لم يذكر هذه الآية ، الا أنه استشهد بما أوحى إلى هذا التأويل اذ قال : « أما قول العرب في الجواب » «إنّه» فهو بمنزلة « أجل» واذا وصلت قلت : «إنّ يافتى» وهي التي بمنزلة أجل . قال الشاعر :

بكــر العــواذل فــي الـصبــو ح يلمننـــي وألـــو مهنـــّه
ويـقـلـن شـيـب قــد عــلا ك وقــد كبـرت فقلت إنـــه» (٢)

* * *

وذهب المبرد والزجاج هذا المذهب (٣) .

أما اللام في (لساحران) فهي لاتكاد تقع ههنا وقد تكلم النحويون فيها ، فالوا انها ينوى بها التقديم قال ابو اسحاق الزجاج : « المعنى ان هذان لهما ساحران ، ثم حذف المبتدأ كما قال :

ام الحليـس لـعـجــوز شـهـربــه (٤)

* * *

أما قراءة أبي عمرو بن العلاء وهو من السبعة أيضاً (أنّ هذين لساحران) فهى لم تسلم من الغمز على الرغم من موافقتها للقاعدة النحوية فقد عدّها الفراء جرأة لمخالفتها الكتاب أذ قال : «ولست اجترىء على ذلك» (٥) وقال في موضع أخر : «وقرأ أبوعمرو (إن هذين

---

(١) الكتاب ٢/١٣٤ــ ١٣٦

(٢) السابق ٢/١٥١

(٣) اعراب النحاس ٢/٣٤٣، الحجة لابن خالويه ٢١٨

(٤) اعراب النحاس ٢/٢٤٦

(٥) معاني القرآن ٢/٢٩٣، ٢٩٤.

لساحران) واحتج انه بلغه عن بعض اصحاب (١) محمد – ص – انـه قـال ان في المصحف لحناً ستقيمه العرب ، قال : ولست اشتهي على أن أخالف الكتاب» (٢) .

وذكر ابن خالويه هذه القراءة ضمن غيرها واحتج لهـا وفسر اللحن في قول عثمـان حين رفع اليه المصحف (*) : أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بالسنتها مكملا الكلام «فان قيل : فعثمان كان اولى بتغير اللحن فقيل : ليس اللحن ههنا اخطاء الصواب وانما هو خروج من لغة قريش الى لغة غيرهم »» (٣) .

* * *

أما القراءة بتخفيف «إن» فتوجيهها لدى النحويين هو كون مابعدها مبتدأ وخبر واللام التي في الخبر يسمونها اللام الفارقة أي التي تفـرق بين ان المخففة مـن الثقيلة والنافية ، وعلى تقدير الكوفيين فإن بمعنى «ما» واللام بمعنى «إلا» . (٤)

٤ – إعراب «أي» او بناؤها:

في الآية (ثم لننزعنّ من كل شيعة أيّهم أشدّ على الرحمن عتيا) (٦٩ – مـريم)

عامة القراء على رفع (أيّهم) وقرأها هارون القارىء ومعاذ الهراء وطلحة بن مُصَرّف ورواها يعقوب بنصب (أيّهم) (٥) .

و اختلف النحويون في علة : ضمها فالخليل عدّ ضمها ضمة اعراب وهي مرفوعة على الحكاية وقد جعلها استفهاماً والمعنى عنده : ثم لننزعن من كل شيعة الذي يقال من أجل عتوّه : أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦) ...

وذهب يونس إلى أنّ (لننزعن) بمنزلة الأفعال التي تعلق وتلغى فرفع أيهم بالابتداء(٧).

---

(١) يقصد ماروى عن عائشة ويحيى بن يعمر انه لما رفع المصحف الى عثمان قال: ان فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها» (انظر المصاحف للسجستاني ٣٢، ٣٣)

(٢) معاني القرآن ١٨٣/٢ .

(٣) الحجة ٢١٩

(٤) انظر مشكل اعراب القرآن ٤٦٧، مغني اللبيب ٣٦، ٣٧.

(*) هذا قول لم يثبت عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وقد روى رواية غير ثابتة، وليس كل مايروى صحيحاً ، لأن بعض الناس كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف لايكذبون على من دونه :
(الخبير: الاستاذ الدكتور احمد نصيف الجنابي) .

(٥) اعراب النحاس ٣٢٢/٢، مختصر شواذ القراءات ٨٦ ، مشكل اعراب القرآن ٤٥٨

(٦، ٧) الكتاب ٣٩٩/٢، ٤٠٠، مشكل اعراب القرآن ٤٥٩ ، منازل الحروف للرماني ٦٥

جعل سيبويه قول الخليل بعيداً اذ هو يجوز في شعر او اضطرار ، وكذا لم يجوز قول يونس (١) .

وذهب سيبويه إلى انّ (أيهم) مبني على الضم لانها بمعنى الذي وقد حذف العائد . أما اذا ذكر العائد فهي معربة (٢) .

لقد اختار ابو اسحاق الزجاج قول الخليل في رفع «أيّ» على الحكاية ورد قول سيبويه في بنائها على الضم إذ قال : وقد علمنا سيبويه انه أعرب «أياً» وهي منفردة لأنها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة ؟ (٣) وقال النحاس في ذلك ايضاً : «وما علمت ان احداً من النحويين الا وقد خطأ سيبويه في هذا» (٤) وقد بالغ الجرمي في اتهامه سماع سيبويه في ما روي عن قوله : «خرجت من الخندق — يعني خندق البصرة — حتى صرت إلى مكة لم اسمع أحداً يقول : اضرب أيُّهم افضل» (٥) اي كلهم ينصبون . وقد روي عن المبرد قوله انها مرفوعة على الابتداء أيضاً (٦) .

بالرغم من هذه الأقوال التي خالفت سيبويه أو خطأته من علماء البصرة فقد جعل ابن الانباري قول سيبويه مذهب البصريين في بناء «أيّ» معتمداً على القياس فهي مبنية «كما بنيت» «مَنْ» و «ما» لذلك في كل حال الا انهم اعربوها حملا على نظيرها وهو «بعض» وعلى «نقيضها» فهو «كل» وذلك على خلاف القياس فلما دخلها نقص بحذف العائد ضعفت فردت إلى أصلها من البناء على مقتضى القياس» (٧) وابن الانباري هنا كعادته في المبالغة واستخدام المنطق وعلله في الاحتجاج للبصريين ، ولذا شذذ القراءة بالنصب لانها على لغة شاذة (٨) .

---

(١) الكتاب ٢/٤٠١ .
(٢) السابق ٢/٤٠٠ ، مشكل اعراب القرآن ٤٥٩ .
(٣) اعراب النحاس ٢/٣٢٣
(٤) السابق
(٥) الانصاف المسألة ١٠٢ ٢/٣٨٠ .
(٦) اعراب النحاس ٢/٣٢٤ ؛ مشكل اعراب القرآن ٤٦٠ .
(٧) الانصاف المسألة ١٠٢ ٢/٣٨٠
(٨) السابق

أما الكسائي من الكوفيين فقد عدّ ضمتها ضمة اعراب على الابتداء قائلا : «لننزعن واقعة على المعنى كما تقول : لبست من الثياب .. ولم يقع على أيهم فينصبها» (١). وكذا الفراء قال : معنى لننزعن لننادين فلم يعمل لأنه بمعنى النداء (٢) فهو قريب من رأي الكسائي في تعليل ضم «أي» وهما قريبان من تعليل الخليل ويونس والمبرد والجميع عللّوها اعراباً على الابتداء .

* * *

أما نصب «أي» فقد رواه سيبويه عن هارون عن ناس من الكوفيين يقرؤونها (أيّهم أشد) وهي لغة جيدة» (٣) .

نحن اذن لا نرى خلافاً كبيراً في هذه المسألة بين بصريين وكوفيين يرقى إلى ماعده ابن آلانباري مسألة خلافية احتدم فيها الجدل (٤) .

٥ ـ الفعل «يحسب» في سياق النهي :

في الآية (لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض..) (٥٧ ـ سورة النور) قراءة حمزة وابن عامر (لايحسبنّ) بالياء وباقي السبعة قرأه بالتاء (٥)

بالرغم من ان القراءة بالياء لاثنين من السبعة فقد وقف النحويون مواقف مختلفة منها فمنهم من ردّها وعلل لذلك ومنهم من قبلها مؤولاً إياها وعلل لذلك أيضاً ؛

قال النحاس: «ماعلمت أحداً من أهل العربية واللغة بصريا ولا كوفيا الا وهو يحظر أن تقرأ هذه القراءة . فمنهم من يقول هي لحن لأنه لم يأت الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا ابو حاتم وقال الفراء : (٦) هو ضعيف وأجازه على ضعفه على أنه يحذف المفعول الأول .. ورأيت ابا اسحاق (الزجاج) يذهب الى هذا القول » (٧) .

(١) اعراب النحاس ٣٢٣/٢ .

(٢) السابق ، مشكل اعراب القرآن ٤٦٠ .

(٣) الكتاب ٣٩٩/٢ .

(٤) انظر كتاب الخلاف النحوي ٢٦٧ ـ ٢٦٩ .

(٥) التيسير ١٦٣

(٦) معاني الفراء ٢٥٩/٢ .

(٧) اعراب القرآن ٤٥٢/٢.

لحن ابو حاتم السجستاني في هذه القراءة لأنه لم يكن قد أولها بصورتها الصحيحة لذا علل تلحينه اياها في قوله : « لأنه لم يأت الا بمفعول واحد ليحسبن » وكأن راوي القراءة هو الذي صاغ عبارتها . اما الفراء الذي ذهب الى قوله الزجاج فهو وان ضعف قراءة حمـزة وابن عامر هذه ورجح القراءة بالتاء قد أول قراءة حمزة تأويلا سليما وعلل القراءتين ثم رجح قراءة التاء لانها أفصح في التركيب وأكثر على مارأى . علل تضعيفه لقراءة التاء بأن فعل الظن قليل أن يعطل من الوقوع على أنّ أو عـلى اثنين سوى مرفوعة وقد جعل «الذي» في الآية فاعلاً ثم أوّل هذه القراءة قائلاً «وكأنه جعل «معجزين» اسما وجعل (في الارض) خبرا لهم كما تقول : لاتحسبن الذين كفروا رجالا في بيتك ، وهم يريدون أنفسهم . وهو ضعيف . والوجه ان تقرأ بالتاء (١) .

وقد قبل هذه القراءة مكي بن ابي طالب مؤولا اياها تأويلا موافقا للمعنى والقاعدة النحوية اذ قال : «من قرأه بالياء أضمر الفاعل وهو النبي – ص – و «الذين» و «معجزين» مفعولا حسب . ويجوز ان يكون « الذين » هم الفاعلون وتضمر المفعول الاول لحسب و «معجزين» الثاني والتقدير : لايحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين » (٢) .

وتكرر موقف الفراء من قراءة حمزة ايضا الآية (ولايحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم لايعجزون) (٣) وقد اجازها بتقدير «أن» قبل (سبقوا) فيكون المعنى : لاتحسبن الذين كفروا سابقين ثم قال : « وما أحبها لشذوذها» (٤) ففي الموقفين كان الفراء قد اجاز القراءة بالياء الا انه رجح القراءة بالتاء .

رد البصريون قول الفراء هذا لانهم لم يجوزوا اضمار «أن» الا بعوض ومن أضمرها فقد اضمر بعض اسم (٥) .

لحن ابو حاتم قراءة حمزة وابن عامر هذه ايضا فزعم «ان هذا لحن لاتحل القراءة به ولايسمع لمن عرف الاعراب وعرفه » (٦) وقد عد النحاس هذا تحاملا من أبي حاتم وقال : « القراءة تجوز ويكون المعنى ولايحسبن من خلفهم الذين كفروا سبقوا فيكون الضمير يعود على ماتقدم الا ان القراءة بالتاء أبين»(٧) .والنحاس هنا وافق في قوله الفراء في قوله السابق.

---

(١) معاني الفراء ٢/٢٥٩ (٢) مشكل اعراب القرآن ٥١٣ .

(٢) ٥٩ – الانفال . وقرأ بالياء ايضا حفص وابن عامر (التيسير ١١٧)

(٣) معاني الفراء ١/٤١٦ .

(٤) اعراب النحاس ٢/٦٨٤، الانصاف ، المسألة (٧٧) .

(٥) اعراب النحاس ١/٦٨٢ .

(٦) السابق ١/٦٨٢، ٦٨٣ .

وقرأ ابن عامر (أنهم لايعجزون) بفتح الهمزة وقـد استبعدها أبو حاتم وجوزها أبو عبيد على أن يكون المعنى ولاتحسبن الذين كفروا أنهم لايعجزون وقد ردّ النحاس تجويز ابي عبيد هذا بحجة عدم جواز تقدير المصدر المؤول هنا بل هو محال (١) .

نظر النحويون في تركيب الآية وفقاً لمعاييرهم وقواعدهم التي اتفقوا عليها واختلفوا فيها أيضاً ، لذا رأينا مواقفهم من هذه القراءة مختلفة سواء كان الخلاف في العلة النحوية أم في التقدير الذي يضطر اليه النحوي لجعل الآية موافقة في تركيبها للقياس واطراد القاعدة فتقدير الفراء «أن» يرفضه البصريون لأن لهم معياراً آخر في التقدير . أما القراء فقد رووا القراء على انها من القراءات السبع وهي قراءات صحيحة متواترة وفقاً لمنهجهم الذي سبق إيضاحه .

* *



(١) السابق ٦٨٣/١ .

مراجع البحث

القرآن الكريم

الابانة عن معاني القراءات – مكي بن أبي طالب ، تح د. شلبي ، مكتبة نهضة مصر – الفجالة .

ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة – د. الانصاري ، القاهرة ١٩٦٤ .

اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر – البنا الدمياطي ، القسطنطينية ١٢٨٥ﻫ .

اخبار النحويين للبصريين – السيرافي ، تح الزيني ، خفاجي ط١ ، ١٩٥٥ – القاهرة .

الاصوات اللغوية – د. ابراهيم انيس ، ط٣ ، ١٩٦١م ، دار النهضة العربية ، القاهرة.

اصول التفكير النحوي – د. علي ابو المكارم ، منشورات الجامعة الليبية ١٩٧٣م .

اعراب القرآن – ابو جعفر النحاس – تح د. زهير زاهد ، بغداد ، مطبعة العاني ١٩٧٧ – ١٩٨٠م .

اعراب القرآن ومعانيه – ابو اسحاق الزجاج ، تح هدى قراعة رسالة دكتوراه مطبوعة على الالة الكاتبة – جامعة القاهرة .

الاغراب في جدل الاعراب ولمع الادلة في أصول النحو – ابن الانباري ، تح الافغاني ، ١٩٥٧م ، مطبعة الجامعة السورية .

الاقتراح في علم اصول النحو – السيوطي ، حيدر آباد ١٣٥٩ﻫ ، ط٢ .

انباه الرواة على انباه النحاة – القفطي ، تح ابو الفضل ابراهيم – دار الكتب – القاهرة.

الانصاف في مسائل الخلاف – ابن الانباري ، تح محيي الدين عبدالحميد ط٣ ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٥م .

البيان في غريب اعراب القرآن – ابن الانباري ، تح د. طه عبدالحميد ، طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر – القاهرة ، ١٩٦٩م .

البيان والتبيين – ابو عثمان الجاحظ ، تح عبدالسلام هارون ، ط٢ نشر مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٠م .

تاريخ القرآن – د. عبدالصبور شاهين ، دار القلم ١٩٦٦م ، القاهرة .

تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة ، تح احمد صقر ، ط١ ، ١٩٥٤م

تفسير البحر المحيط – ابو حيان الاندلسي ، مطبعة السعادة بمصر .

تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) — ابو جعفر الطبري ، ط٢ ، ١٩٥٤م . م مصطفى البابي الحلبي بمصر .

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبدالله محمد بن احمد القرطبي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م .

التفسير الكبير — الفخر الرازي ، ط١ ، المطبعة البهية المصرية ، ١٩٣٨م .

التنبيه على حدوث التصحيف — حمزة الاصفهاني ، تحـ الشيخ آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧م .

التيسير في القراءات السبع — ابو عمرو الداني ، تصحيح برتزل ،استانبول ١٩٣٠م .

الجامع الصحيح — لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر — بيروت .

الحجة في القراءات السبع — ابن خالويه ، تحـ عبد العال مكرم ، بيروت ١٩٧١م .

حاشية الصبان على شرح الأشموني ... دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

خزانة الأدب — عبد القادر البغدادي ، تحـ عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٧ ...

الخصائص — لابن جني ، تحـ محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ ...

الخلاف النحوي — د. محمد خير الحلواني ، دار القلم بحلب ١٩٧٤ م

الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين — د. احمد مكي الأنصاري ، توزيع دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م .

ديوان امرىء القيس — تحـ ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م

ربيع الأبرار ونصوص الاخبار — محمود الزمخشري ،تحـ د. سليم النعيمي، مطبعة العاني بغداد ١٩٧٦ ..

الرد على النحاة — ابن مضاء القرطبي ،تحـ د. شوقي ضيف ،دار الفكر العربي ،القاهرة ١٩٦٧.

سر صناعة الاعراب — ابن جني ، تحـ مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٥٤م .

شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، تحـ محيي الدين عبد الحميد ط(١٤) مطبعة السعادة القاهرة ١٩٦٤ م

شرح المفصل — ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ،القاهرة .
الشعر والشعراء — ابن قتيبة ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٤ م .
صحيح البخاري ، مطابع الشعب ١٣٧٨هـ .
علم اللغة العام — الأصوات — د. كمال بشر ، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م .
غاية النهاية في طبقات القراء — ابن الجزري ، نشر برجستراسر ، السعادة
فتح الباري بشرح صحيح البخاري — الحافظ ابن حجر العسقلاني ،المطبعة الخيرية بمصر ١٣١٩ هـ .
فحولة الشعراء — ابوسعيد الأصمعي ، تح خفاجي ، الزيني ، المطبعة المنيرية بالازهر
في النحو العربي — نقد وتوجيه — د. مهدي المخزومي ،المكتبة العصرية ،بيروت ١٩٦٤
الفهرست — ابن النديم ، مكتبة خياط — بيروت ١٩٦٤م
كتاب السبعة في القراءات — ابن مجاهد ، تح.د شوقي ضيف ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٢م .
الكامل في اللغة والأدب والنحو — لأبي العباس المبرد ، تح زكي مبارك ط١ ،١٩٣٦م .
كتاب سيبويه ، تح عبد السلام هارون ، دار القلم بالقاهرة ١٩٦٦م ..
كتاب الاقتراح = الاقتراح
كتاب المصاحف — ابو بكر ابن ابي داود السجستاني ، تح جفري ط(١) ١٩٣٦م القاهرة
كتاب منازل الحروف — ابو الحسن الرماني (رسائل في النحو واللغة) تح د. مصطفى جواد ومسكوني ، نشر وزارة الاعلام العراقية ١٩٦٩ .
الكشاف — جار الله الزمخشري ، دار المعرفة — بيروت
اللهجات العربية في القراءات القرآنية — د. عبده الراجحي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.
المحكم في نقط المصاحف — ابو عمرو الداني ، تح عزة حسن ، دار الثقافة والارشاد بدمشق ١٩٦٠م .
مايقع فيه التصحيف والتحريف — ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري ، تح.د. السيد محمد يوسف مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات — ابن جني تح النجدي وآخرين ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

مختصر في شواذ القرآن – ابن خالويه ، نشر براجستراسر ، م الرحمانية بمصر ١٩٣٤م.
مدخل الى علم اللغة – د. محمود حجازي ، دار الثقافة والنشر بالقاهرة ١٩٧٨م .
مدرسة الكوفة – د. مهدي المخزومي ، مطبعة دار المعرفة – بغداد ١٩٥٥ .
مراتب النحويين – ابو الطيب اللغوي ، تح ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة النهضة مصر بالقاهرة .
المزهر في علوم اللغة وانواعها – السيوطي – تح محمد احمد جاد المولى وآخرين .
مشكل اعراب القرآن – مكي بن ابي طالب ،تح د. حاتم الضامن ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٥م
معاني القرآن – لابي الحسن الاخفش سعيد بن مسعدة ،تح د. فائز فارس ١٩٧٩م .
معاني القرآن – لابي زكريا الفراء ،تح نجاتي والنجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.
مغني اللبيب – ابن هشام ،تح مازن المبارك وآخرين ط(٣) دار الفكر ١٩٧٢ .
المقتضب – ابو العباس المبرد ،تح عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣م .
مقدمتان في علوم القرآن – تح ارثر جفري ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤م .
منازل الحروف = كتاب منازل الحروف .
الموشح – المرزباني ، تح محمد علي البجاوي ، نشر دار النهضة مصر ١٩٦٥م .
النشر في القراءات العشر – ابن الجزري ، مطبعة مصطفى محمد بمصر .
نزهة الالباء .. – ابن الانباري ،تح د. ابراهيم السامرائي ،نشر مكتبة الأندلس ،بغداد.
همع الهوامع شرح جمع الجوامع – السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجذور النظرية لمباحث علم المعاني



الدكتور عبد الرحمن شهاب أحمد
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

مقدمة وجيزة حول مفهوم البلاغة:

مما هو مسلّم به ان البلاغة العربية في اطوار نشأتها الأولى كانت ملاحظات مبثوثة في مصادر مختلفة تنهل من ينابيع شتى في الثقافة والفكر فهناك المتكلمون ، وكتاب الدواوين وهناك من فتنَ بالمنطق وبهر بالجدل وآخرون من المفسرين ممن اختلفت مذاهبهم الامر الذي ادى الى اختلاف تأويلاتهم تبعاً لذلك .

ولايخفى مالفكرة الاعجاز من اثر في البلاغة فقد كانت مدخلاً لدراستها وتشعباً لمفهوماتها حتى اشتبكت الأصول مع الفروع كما هي الحال في الكتب التي أفردت لدراسة الاعجاز كأعجاز القرآن للباقلاني وبيان اعجاز القرآن للخطابي والنكت في اعجاز القرآن

للرماني ومعاني القرآن للفراء وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ودلائل الاعجاز للجرجاني ومثل الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا وبديع القرآن لابن ابي اصيبع ومثل الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز للعلوي .

وقد أصطبغ المنهج البلاغي الذي ورثناه بمنهج المتكلمين واصحاب المنطق ذلك المنهج الذي يقوم على القياس والاستدلال والضبط العقلي كما سأبين وان المتكلمين والمناطقة مع براعتهم في صحة الاستنتاجات الذهنية التي تتسم بالتقرير والتقنين فأنهم كانوا بعيدين في نظرتهم عن الاتجاه الفني في الدرس البلاغي وصلته الحميمة بالادب ولعل مفهوم البلاغة قد اعتراه نصيب كبير من الغموض الذي لانستشف منه قيمة فنية يقول الجاحظ « قيل للفارسي ! ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليوناني ماالبلاغة ؟ قال : تصحيح الاقسام واختيار الكلام . وقيل للرومي ، ماالبلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة . وقيل للهندي ماالبلاغة؟ قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة (١) .

ان مثل هذه التعريفات ان صحّ وصفها كذلك لاتقدم مايكفي لتعزيز منحى تحليلي يبرز جماليات النص الادبي وثمة تحديدات لمصطلح البلاغة على هذه الشاكلة لاتُغني في اضاءة مفهومها كقولهم على سبيل المثل « ماقرُبَ طرفاه وبَعدَ منتهاه » ومثلَ « البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام» ، ومثل «اجابة المعنى والقصد الى الحجة » . والذي يبدو ان هذه العبارات ومثيلاتها لانستطيع ان نقف منها على مفهوم مكتمل ، ونمضي مع الجاحظ وهو يتتبع مفهوم البلاغة فينقل عن صحيفة هندية تتحدث عن معنى البلاغة ولاتقدم اكثر من شروط خاصة بالبليغ فقد نصّت على ان :« أول البلاغ اجتماع الة البلاغة بأن يكون الخطيب مُتخير اللفظ ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ولايدقق المعاني كل تدقيق ولايُنقح الالفاظ كل التنقيح ولايصفيها كل التصفية ، ولايهذبها كل التهذيب ولايفعل ذلك حتى يصادف حكيماً او فيلسوفاً عليماً » (٢) .

وقد نقلها بعض البلاغيين عن الجاحظ فشرحوها وفسروها دون ان يناقشوا قيمتها كما فعل ابو هلال العسكري وابن قتيبة .

---

(١) البيان والتبيين ٨٨/١ .

(٢) البيان والتبيين ٩٢/١ .

ويظلُ الجاحظ باحثاً عما يشفي غُلته في تحصيل معنى شامل للبلاغة فيقول عن البيان «ان يكون الأسم يحيط بمعناه ، ويجلي عن مغزاه وتخرجه عن الشركة ولاتستعين عليه بالفكرة والذي لابدَ منهُ اي يكون سليماً من التكلف بعيداً عن الصنعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل » (١) .

ومن تلك الشرائط التي سجلها المبّرد معبراً عن ضرورة وجودها في [illegible] قوله : «ان حق البلاغة احاطة القول بالمعنى و أختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة ، مقاربه اختها ، ومعاضدة شكلها وان يقرب بها البعيد ويحذف بها الفضول » (٢) .

ويستمر الجدل بين البلاغيين والنقاد فيأخذ شكلا لايخدم فاعلية السياق في النسيج الفني . فعندما يقول العسكري مفرقاً بين الفصاحة والبلاغة : «الفصاحة تمام الة البيان . فهي تتعلق باللفظ لان الألة تتعلق باللفظ دون المعنى والبلاغة انما هي انهاء المعنى الى القلب(٣) يجره ذلك الى ان يدعي في اثناء حديثه عن بيتين انّ اولهما فصيح وبليغ وثانيهما بليغ وليس بفصيح ، يقول ابوهلال العسكري : « قالوا واذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سُمي بليغاً ولم يسم فصيحاً » .

أنشدنا : —

تمرُ الصبا صفحاً بساكنه الفضا ويصدعُ قلبي ان يهبَ هبوبها
قريبة عهدٍ بالحبيب وانما هوى كل نفسٍ حيث حلّ حبيبها

ويعلق العسكري قائلاً : « فالبيت الأول فصيح وبليغ والبيت الثاني بليغ وليس بفصيح» وهكذا لاتستطيع ان تقف على مفهومٍ فني لمصطلح البلاغه وكان طبيعياً انْ يتصدى المتكلمون والمنطقيون لمصطلح البلاغة فيفسرونه بما تضلعوا فيه من ثقافة في القياس والجدل والاستدلال .

ولعلّ مدارس المعتزلة كانت أول الطريق الذي طبع البلاغة بطابع المتكلمين ، ومن الثابت ان أقدم نص فني لمفهوم البلاغة وصل الينا عن المعتزلة هو صحيفة بشر بن المعتمر التي اوردها الجاحظ حيث قال : « مَر بشر بن المعتمر بابراهيم بن جبلة وهو يُعلم فتيانهم

(١) البيان والتبيين ١/١٠٦ .

(٢) البلاغة / ص ٥٨ .

(٣) الصناعتين / ص ١٤ .

الخطابة فوقف بشر فظن انه انما وقف ليستفيد او ليكون رجلاً من النظارة فقال بشر : اضربوا عما قال صفحاً وأطووا عنه كشحاً .ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه وكان أول ذلك الكلام « خذ من نفسك » (١) .

وكانت نتيجه طبيعيه ان تنمو البلاغة في كنف المتكلمين ويعوّل عليهم في الحجج التي تقوم على الاقناع الفكري الذي اخضعوا له الاداء الفني .

وها هو ذا العتابي يقول في اشارته الى مصطلح البلاغه «ان كل من افهمك حاجته فهو بليغ» فالاداء الفني اذن هو في خدمة الافهام عند العتابي والجاحظ .

ويزداد الامر بعداً عن فنية المصطلح البلاغي عندما يقول العتابي في مفهوم البلاغة «انه الباسُ الباطل صور ة الحق » فكأنها ضربٌ من المغالطات المنطقية .

ويعتد الجاحظ مفتخراً بمنهج المتكلمين حيث يقول مظهراً اعجابه « ولأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق اكثر الخطباء وابلغ من كثير من البلغاء . وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعاني وهم أشتقوا من كلام العرب تلك الاسماء وهم أصطلحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف قدوة لكل تابع، ولذلك قالوا العرض والجوهر وأيس وليس، وذكروا الهوية والماهيه واشباه ذلك » (٢).

ولم يلتزم أبوهلال العسكري بما ذكره في مقدمة كتابه « الصناعتين» من انه : «ليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين و انما قصدتُ صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب » (٣) .

فهو يؤكد مفهوم البلاغة مستدلاً بأقوال الحكماء فيقول :« ومما يؤكد ما قلناه من ان البلاغة انما هي ايضاح المعنى وتحسين اللفظ قول بعض الحكماء : البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام» (٤) .

بل ان العسكري يضع عنواناً لما جاء عن الحكماء في «حدود البلاغة» وتكون هذه الاقوال مجرد لقطات توحي اليك ان البلاغه مهارة لاتنفصل عن « الباس الباطل صورة الحق » فمن ذلك قوله ان البلاغه « وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة » ومثل « البلاغة دنو المأخذ وقرع الحجه » .

---

(١) البيان والتبيين /١/١٣٥ .

(٢) البيان والتبيين /١/ ص ١٣٩ .

(٣) الصناعتين / ص ١٤ .

(٤) الصناعتين / ص ٢٠ .

وينقل العسكري عن الجاحظ ان البلاغة «كشف ماغمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل» . ويهمنا تعليق العسكري على هذا الرأي حيث يقول : « والذي قاله امر صحيح لايخفى موضع الصواب فيه على أحد من اهل التمييز والتحصيل وذلك ان الامر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة ، ولايحوج الى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيباً وانما الشأن في تحسين ماليس بحسن ، وتصحيح ماليس ، بصحيح بضرب من الاحتلال والتحليل ، ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير ليخفي موضع الاشارة ويغمض موضع التقصير .... فأعلى رتب البلاغة عند العسكري ان يحتاج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود ،وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم»(١).

وهكذا تصبح البلاغة عند العسكري مهارة منطقية ولايجدي حديث العسكري عن تحسين اللفظ نفعاً فان الجدل قائم حول اللفظ والمعنى في صورة منطقية ولايخلو رأي العسكري من القلق والاضطراب في ادراك علاقة الايصال فيسميها « المعنى والمبنى » وذلك حين يقول « ومن الدليل على ان مدار البلاغة على تحسين اللفظ ان الخطب الرائعة والاشعار الرائقة ماعملت لافهام المعاني فقط لأن الرديء من الالفاظ يقوم مقام الجيد منها في الافهام ، وانما يدّل حسن الكلام واحكام صنعته ورونق الفاظه وجودة مطالعة وحسن مقاطعة وبديع مباديه وغريب معانيه على فضل قائله وفهم منشئه . واكثر هذه الاوصاف ترجع الى الالفاظ دون المعاني »(٢) .

ومع ان أبن الاثير يجعل البلاغة شامله للفظ والمعنى فانه متأثر بالخصوص والعموم نحو ذلك من القضايا حيث يفرق بين الفصاحة والبلاغة بمقتضى الخاص والعام فيقول : «والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني وهي اخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان ، فكل انسان حيوان وليس كل حيوان انساناً وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغاً ، ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه أخر غير الخاص ، وهو انها لاتكون الا في اللفظة والمعنى بشرط التركيب فان اللفظة الواحدة لايطلق عليها ويطلق عليها اسم الفصاحة » (٣) .

---

(١) الصناعتين / ص ٥٩ .

(٢) الصناعتين / ص ٥٩ .

(٣) المثل السائر / القسم الاول ص ٤٨ .

ويضطرب الامر عند ابن سنان الذي لم تشف غلته التعريفات المتيسرة لمفهوم البلاغة حيث انه يعد الاستعاره من الفصاحة والتشبيه من البلاغة ، وهكذا يدور البلاغيون جميعاً حول الجملة والاسناد دون ان يمدوا بنظرهم الى ابعد من ذلك ، فكلٌ يصب في داخل الجملة ما نهله من ثقافة وماأوتي من معرفه فهذا يتحدث في معاني النحو وذاك يشغل نفسه بقضايا السلب والعموم والنفي والاثبات ، ولا يشف على من ينظر في مباحث علم المعاني ان يلحظ ذلك ويجدر بنا في هذا العصر الذي تنوعت فيه فنون الادب وازدهرت فيه الثقافة وانطلق فيه الفكر إلى آفاق حضارية خلاقة أقول يجدر بنا في العصر الحديث ان نتجاوز حدود الجملة الى دراسة اسلوبية متكاملة فالاسلوب كما هو معروف سمة متميزة لشخصية صاحبه يتحكم فيه الموقف والسياق والعاطفي. وطبيعي ان يمتاز كل عصر بخصائص اسلوبية معينة تبعاً للنمط الفكري والجو الثقافي والظروف الاجتماعية بل والطبائع النفسية بل وقد تكون للبيئة نفسها أثر فيّ تمايز الاداء الفني ولعلّ من الاجدى ان ننظر الى العمل الفني برمتــــه .

ونقف على منهج صاحبه فيه نتبين الدقة في التلاؤم والايقاع الصوتي ولون العاطفة فضلاً عن تآزر الجملة مع اختها واللفظة مع سياقها والصياغة مع مضمونها. ومن هنا قد يكون من الخطأ تطبيق منهج محدد مقنن على جميع الاساليب فقد يصح الاخذ بقول الجاحظ «واحسن الكلام ماكان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهره لفظه» في موقف معين ولكنه قد لايصح في موقف آخر لأن الفنون الادبية تعددت كما تشعبت مناحي الثقافة التي أثرت في الاساليب لذا فقد يكون من العبث ان نظلّ «في حلقة مفرغة نترك اللفظ لنصل الى الجملة ثم نغادر الدوران فننتقل من الجملة الى اللفظ» (١).

بين النحو والمنطق :

ويقرر ابن الاثير في معرض التمييز بين عمل النحوي والبلاغي انهما «يشتركان في ان النحوي ينظر في دلالة الالفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي : وتلك دلالة عامــة وصاحب البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة والمراد بها ان تكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والاعراب الاترى ان النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع اعرابه ومع ذلك فانه لايفهم مافيه من الفصاحة والبلاغة»(٢).

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور / ص ١٥ .

(٢) المثل السائر / القسم الاول / ص ٣٩ .

وتلك نظره مهمة جديرة بالوقوف والتأمل ، ولكن لم حدثت هذه التفرقة بين النحوي والبلاغي وما الذي تسبب في هذه الحدية الصارمة ، واذا حاولنا ان نتتبع الصلة بين البلاغة والنحو وجدناها حميمة منذ ان ألف سيبويه كتابه المشهور حيث يقول في «باب الفاعل الذي يتعدى الى مفعوله» وذلك كقوله : ضرب عبدالله زيداً ، فعبد الله ارتفع وشغلت ضرب به ، وانتصب زيداً لانه مفعول به تعدى اليه الفعل والفاعل ، وان قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الاول ، وذلك قولك : ضرب زيداً عبدالله ، لانك انما اردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً ، ولم ترد ان تشغل الفعل بأوله منه وان كان مؤخراً في اللفظ ، فمن ثم كان حد اللفظ فيه ان يكون الفاعل مقدماً وهو عربي جيد كثيراً ، كأنهم انما يقدمون الذي بيانه اهم لهم وهم ببيانه اعنى ، وان كان جميعاً يهمانهم ويعنيانهم» (١)

ويقول عبد القاهر الجرجاني في مبحث «التقديم والتأخير» بعد ان ذكر امثلة سيبويه السابقة وقال صاحب الكتاب — يقصد سيبويه — : وكأنهم يقدمون الذي هم ببيانه أهم لهم وهم بشأنه اعنى وان كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم ... وقال النحويون : — ان معنى ذلك انه قد يكون من اغراض الناس في فعل ما ان يقع بأنسان بعينه ولا يبالون من اوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج ويكثر به الاذى انهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منهم ولا يعنيهم منه شيء ، فاذا قتل واراد مزيداً الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول : «قتل الخارجي زيد» ولا يقول «قتل زيد الخارجي» لانه يعلم ان ليس للناس ان يعلموا ان القاتل له زيد جدوى» (٢)

واذا حاولنا ان نمضي مع عبدالقاهر متتبعين دراسته في التقديم والتأخير وجدناه يعتمد على مباحث سيبويه بدرجة اساسية ففي حديث عبدالقاهر الذي يتصل بتقديم الفاعل على فعله يعني احد أمرين : —

١ — التخصيص أو كما يعبر ان يكون الفعل فعلاً قد اردت ان تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم انه فاعله دون واحد آخر أو دون كل احد» ويمثل له بالمثل المعروف .

اتعلمني بضبٍ أنا حرشته»

(١) الكتاب /١/١٤ .

(٢) دلائل الاعجاز/ ص ١٣٧ .

٢ ـ التأكيد أو كما يعبر «لايكون القصد الى الفاعل على هذا المعنى اي التخصيص السابق ـ ولكن على انك اردت ان تحقق على السامع انه قد فعل وتمنعه من الشك ويمثل له بالبيت : ـ

هما يلبسان المـــجد احسن لـبسة شميمان ما اسطاعا عليه كلاهمـا .

ويعلق عليه قائلا : «ولا شبهة في انه لم يرد ان يقصر هذه عليها ، ولكن نبه لها قبل الحديث عنها» (١) .

ان عبدالقاهر يفيد في نظرته هذه الى التخصيص والتوكيد من سيبويه وربما تضعف القيمة الفنية في هذه التحليلات النحوية لان عبدالقاهر يأخذ مثالا تجريدياً لقاعدة نحوية ويحاول تطبيقها على البيت دون ان يلتفت الى طبيعة البناء الشعري وما تقتضيه من النظر الى جوانب اخرى يقول عبد القاهر : «وهذا الذي ذكرته من ان تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له قد ذكره صاحب الكتاب في اذا قدم فرفع بالابتداء وبنى الفعل الناصب له عليه وعدى الى ضميره فشغل به كقولنا في «ضربت عبدالله» : «عبدالله ضربته» فقال يقصد سيبويه ـ وانما قلت عبدالله فنبهته له ، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء» (٢).

ان تحليل عبد القاهر لتقديم الفاعل على فعله ينظر منه من الوجهه النحوية فحسب دون ان يضع في الحسبان اهمية التحليل المتكامل اذ لاشك ان الفرق كبير بين المثال النحوي والبيت الشعري ، فهو يرى ان قول الشاعر السابق «هما يلبسان المجد» ابلغ في جعلهمـا يلبسانه من ان يقال : يلبسان المجد ويظهر ان عبد القاهر يرجع الأمر الى مسألة العامل في النحو فيقول «فان ذلك من أجل ان لايؤتى بالاسم معرى من جميع العوامل الا لحديث قد نوى اسناده اليه» (٣) .

ثم يقارن بين البيت الشعري والمثال النحوي فيقول «فاذا قلت «عبدالله» فقد اشعرت قلبه بذلك انك قد أردت الحديث عنه فاذا جئت بالحديث فقلت مثلا «قام ، أو قلت : خرج فقد علم ماجئت به وقد وطأت وقدمت الاعلام فيه ، تدخل على القلب دخول المأنوس به» (٤) .

---

(١) دلائل الاعجاز / ص ١٥٦ .
(٢) دلائل الاعجاز / ص ١٥٩ .
(٣) دلائل الاعجاز / ص ١٥٩ .
(٤) نفس المصدر / ص ١٥٩ .

وفي حديث عبد القاهر عن الفروق بين الخبر فنراه يذهب الى ان «الخبر الأسمي» يقتضي ثبوت الصفة وحصولها من غير ان يكون هناك مزاولة ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً وان «الخبر الفعلي » يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت» .

ويظهر ان عبد القادر يتابع ارسطو في هذا المفهوم الذي دونه ابن سينا في حديث ارسطو عن تحقيق الاسم «فالاسم لفظة مجردة من الزمان فهو لا يدل على الزمان كذلك المعنى من الازمنة الثلاثة المحصلة» (١) .

و الحق ان ما اثبته عبد القاهر من أمثلة تقتضي مراجعة علمية بقياس منطقي مقنن فزيد منطلق عند عبد القاهر تماثل ،زيد طويل اي مجرد اثبات صفة. وان قولك «زيدٌ ينطلقُ» فيه مزاولة وتزجيه».

ويستشهد عبد القاهر معززاً وجهة نظره بهذين البيتين : —

لايألف الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمر عليها وهو منطلقُ»
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوءِ نارٍ مني يفاعٍ تحرقُ

حيث يقرر عبد القاهر ان (منطلق) في البيت الاول مجرد اثبات صفة وحصولها فقط ولا يفيد — منطلق — «مزاولة» أو معنى يحدث شيئاً فشيئاً وعلى هذا فلو قيل «يمرُ عليها وهو ينطلق »لم يحسن. ويرى عبد القاهر في البيت الثاني انك لو وضعت الاسم، وقلت نارٌ متحرقة لبنا عنه الطبع» ويجعل ذلك كقولك تماماً: الى ضوء نارٍ عظيمة». والذي يبدو ان هذا التمييز بين الاسم والفعل الذي تحدث عنه عبد القاهر لايختص به الاسم او الفعل لذاته وانما يبرز من خلال تحليلنا للنص الادبي برمتهِ حيث تعطينا التراكيب مثل هذه الدلالات التي نلحظها في قول الشاعر : —

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إليَّ عريفهم يتوسمُ

ان عبد القاهر يحلله تحليلاً جيداً حيث يذكر ان المعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالاً فحالاً وتصفح منه للوجوه واحداً بعد واحد ولوقيل: بعثوا إلي عريفهم متوسماً لم يفد ذلك حق الافادة»(٢).

ولعل ماعناه عبد القاهر لم يأت من دلالهِ الفعل وحده بل ان الالفاظ تعانقت في دلالالتها وتآزرت ضمن التراكيب الذي اكتسب في نهايته الفعل يتوسم دلالته هذه. فدلالة «كلما»

(١) الشفاء / ص ٧ .
(٢) دلائل الاعجاز / ص ١٢٣ .

في أول البيت تنسجم في معناها اللغوي الذي يفيد التكرار مع مشاعر الاحساس بالضيق والسآمة من تكرار معاناته فضلاً عن ارتباط «وردت» بـ«بعثوا» في تلازم نغمي ومعنوي فكل ذلك يؤدي الى ان يكتسب الفعل «يتوسم» فنيته ودلالته التي اشار اليها عبد القاهر.

ويمضي البلاغيون في جدلهم الذي يزج بمباحث علم المعاني في مسائل النحو وقضايا المنطق ويأخذ هذا الجدل صورة مضطربة عند ابن الاثير الذي اختلطت عنده البلاغة والنحو والمنطق في مبحث التقديم والتأخير فقد وهنت حجته واضطرب رأيه وهو ينظر الى عبد القاهر وللزمخشري وسيبويه. يرى ابن الاثير ان من انماط التقديم والتأخير ما يختصص بدلالة الالفاظ على المعاني ولو أخر المقدم أو قدّم المؤخر لتغير المعنى ومنه ما يختص بدرجة التقدم في الذكر لأختصاصه بما هو موجب له ذلك لو تأخر لما تغير المعنى غير انه لانزاع في ان اي تغيير في النسق سيؤدي الى تغير في المعاني.

أما حديث ابن الاثير عن كون التقديم يرد للاختصاص فانه في غاية الغرابة والتناقض فمرةً يرى انه للاختصاص في قوله تعالى «بل اُلله فأعبدْ وكنْ من الشاكرين» (١). فيدعى انه قال «بل الله فأعبد» ولم يقل «بل اعبد الله» لانه اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ومرة يعدّه مختصاً بنظم الكلام كما في قوله تعالى :«اياك نعبد واياك نستعين »(٢).

وهو يرفض مارآه الزمخشري بأن التقديم في هذا الموضع قصدَ به الأختصاص ويرى انه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قدم لمكان نظم الكلام ويعلل « ابن الاثير» بمنطق واهٍ فيدعى انه «لو قال نعبدك واياك نستعين» وهكذا يضطرب الامر عند ابن الاثير بين الحسّ الفني الذي يجعل التقديم بمقتضاه سبباً في فاعليه السياق وجمال التنسيق والاداء وبين الحس الديني الذي تؤثر فيه التعليلات النحويـــــة.

ومن التعليل النحوي المجرد من كل قيمة فنية تعليق ابن الاثير على قوله تعالى «فأوجس في نفسه خيفةً موسى» (٣).

---

(١) سورة الزمر / الآية ٦٦ .

(٢) سورة الفاتحة / الآية ٤ .

(٣) سورة طه / الآية ٦٧ .

اذ يقول :«انما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصداً لتحسين النظم » (١).

وتظلُّ آراء سيبويه النحوية الرافد الاساسْ الذي يستمدُّ منه عبد القاهر مادته وهو يدّون مباحث علم المعاني ضمن نظريته في النظم ففي مبحث الحذف الذي ساقه عبد القاهر في دلائل الاعجاز نجد أصله عند سيبويه حيث يقول «...هذا باب يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار ذلك بمنزله المثل ،وذلك قولك :هذا ولا زعامتك: اي ولا أتوهم زعامتك وقال الشاعر:

اعتادَ قلبكَ من سلمى عـــوائـدهُ وهاج اهواءك المكنونـه الطـــللُ
ربع قواء اذاع المعطـرات بـــه وكل حيران سارَ ماؤهُ خضـــلُ

ويعلق سيبويه قائلاً :كأنه اراد: ذلك ربعٌ او هو ربع رفعه على ذا وما اشبههُ سمعناه ممن يرويه عن العرب» (٢).

ويأخذ الامثلة نفسها عبد القاهر قائلاً — يقصد سيبويه — أرادَ ذاك ربع قواء او هو ربع (٣). ثم يذكر هـذين البيتين:

هل تعرف اليوم رسم الدار والطـــللا كما عرفت بجفن الصيقل الخـــللا
دار لميـه اذْ أهـلي وأهـلـهُـم بالكناسيه ترعى اللهو والغـــزلا

ويعلق عليها قائلاً :«ولم يحمل البيت الاول على ان الربع بدل من الطلل،لأن الربع أكثر من الطلل .والشيء يبدل مما هو مثله أو أكثر منه فأما الشيء من أقل منه ففاسد لايتصور وهذه طريقة مستمرة لهم اذا ذكروا الديار والمنـــازل» (٤).

ان المباحث النحوية كانت الرافد الاساس لعبد القاهر وهو ينظرّ لعلم المعاني فها هو ذا ينقل مباشرة عن سيبويه فيقول:«وضع صاحب الكتاب في ذلك باباً فقال:هذا باب مايحسن عليه السكوت في الاحرف الخمسة لأضمارك مايكون مستقراً لها، وموضعاً لوأظهرته ،وليس هذا المظهر بنفس المظهر وذلك مثل «ان مالاً وان ولد أو ان عدداً». أي بـ«ان لهم مالاً ، فالذي أضمرت هو «لهم» ويقول الرجل للرجل :هل لكم أحد ،

(١) المثل السائر / القسم الثاني / ص ٢١٠ .
(٢) الكتاب : ١٤١/١ .
(٣) دلائل الاعجاز : ص ١٥٩ .
(٤) دلائل الاعجاز : ص ١٧٠ .

وان الناس اليه عليكم فيقول :ان زيداً ،وان عمراً :أي لسنا،ثم أوردَ شاهد سيبويـه وهو قول الاعشى: —

ان محـلاً وان مرتحــــــــلاً وان في النفس ان مضـرا مـهـلا

والحقُ ان هذا الذي ينقلهُ عبدالقاهر عن سيبويه وغيره من النحويين ليس بحاجة الى جدل طويل لأنه لايعني كثيراً بفنية الاداء وفاعلية السيـــاق.

وفي حديث الجاحظ عن الكلام المحذوف يروي هذه القصة عن يونس بن حبيب«ان المهاجرين قال :يارسول الله ان الانصار قدفضلوننا بأنهم أووا ونـصروا وفعلوا وفـعلوا قال النبي عليه السلام: أتعرفون ذلك لهم قالوا :نعم .قال «فان ذاك» ويعلق الجاحظ قائلاً : «ليس في الحديث غير هذا يريد ان ذاك شكر ومكافأة» (١).

ويظهر من كلام الجاحظ ان ذلك امر طبيعي في اسلوب العرب .

ويؤكد العسكري ان الحذف أمر طبيعي في الاداء العربي فيقول« وربما حذفوا الكلمة والكلمتين قال النمر:

فأن المنيه مـــن يخشــــهــــا فسوف تصادفــــه اينـمــا

أي :اينما ذهــــب »(٢).

واذا نظرنا الى حديث عبد القاهر عن الفروق بين الحال وجدناه لايختلف عما ساقه النحويون على الموضوع نفسه في كتبهم بل ان تلك الفروق الحالية من صميم مباحثهم وليس لها أي علاقة بأثر لغوي أو بلاغي ولا بتحليل فنـــي .

يقول عبد القاهر :«أعلمْ ان اول فروق في الحال انها تجيء مفرداً أوجملة والقصد ها هنا الى الجملة وأول ماينبغي ان يضبط من أمرها انها تجيء تارة مع الواو، وأخرى بغير الواو». ثم يستطرد الى تفصيلات نحوية صرفة كقوله:« فمثال مجيئها مع الواو قولك :أتاني وعليه ثوب ديباج.. ومثال مجيئها بغير واو «جاء في زيد يسعى غلامه بين يديـــه». ثم تستمر التفصيلات النحوية فيقول : «ان الجملة اذا كانت من مبتدأ وخبر فالغالب عليها ان تجيء مع الواو كقولك : جاء في زيد وعمرو امامه... فاذا كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال لم يصلح بغير الواو البتة، وذلك كقولك :« جاء زيد وهو راكب».

---

(١) البيان والتبيين ٢٧٨/٢ .

(٢) الصناعتين / ص ١٨٧ .

ولايزال الحديث النحوي مستمراً فيقول :«فاذا كان الخبر في الجملة من المبتدأ والخبر ظرفاً ثم كان قد قدم على المبتدأ كقولنا :«عليه سيف وفي يده سوط» كثير فيها ان، تجيء بغير الواو» ثم يستمر في حديثه عن« ترك الواو فيما ليس الخبر فيه كذلك وأمثلته المستشهد بها من ابن السكيت في« اصلاح المنطق» ويستمر «الفصل» نحوياً تماماً ولم يذكر كلمه واحدة عن علاقة الحال بالبلاغة او التركيب الفني كما وعدنا.بل ينبهه بمناقشة نحوية صرفة بين مذهب الأخفش وبين مذهب سيبويه حول مجيء الجملة من المبتدأ والخبر حالاً بغير واو فيقول :« ولايجوز ان يكون ماجاء من ذلك انما جاء على ارادة الواو واعلم ان الوجه فيما كان مثل قول بشـــار :

خرجت مع البازي بغير ســـواد .

«ان يؤخذ فيه بمذهب ابي الحسن الاخفش فيرفع «سواد» بالظرف دون الابتداء ،وذلك ان صاحب الكتاب ــ يقصد سيبويه ــ يوافق ابا الحسن في هذا الموضـــع» (١).

واذا ماحاولنا ان نقف على آراء عبد القاهر في الاسناد والموازنة التي يسوقها بين التقديم والتأخير في الاثبات او النفي وجدناه يصول في ساحة الجدل المنطقي والمحاكاة النحوية دون ان نستنشق من ذلك أثراً فنياً ولا تحليلاً بلاغياً .

يقول عبد القاهر :« واذا قلت مافعلت كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت انه مفعول واذا قلت ماأنا فعلت كنت نفيت عنك فعلاً ثبت انه مفعول وهاهنا امران احدهما يصح لك ان تقول ماقلت هذا ولاقاله أحد من الناس وماضربت زيداً ولاضربه أحد سواي ولايصح ذلك في الوجه الآخر، فلو قلت: ما أنا قلت أو لاقاله أحد من الناس كان خلفاً من القول وكان في التناقض بمنزله ان تقول لست الضارب زيداً أمس فتثبت انه قد ضرب ثم تقول بعده: وماضربه أحد من الناس ولست القائل ذلك فتبثت انه قد قيل ثم تجيء فتقول وما قاله أحد من الناس والثاني من الامرين انك تقول ماضربت الا زيداً فيكون كلامك مستقيماً ولوقلت ماأنا ضربت زيداً وتقديمك ضميرك وايلاؤه حرف النفي ان تكون ضربته فهما يتدافعان فاعرفه» (٢).

أما مسألة أنشغال السكاكي بالجدل والمنطق فانها اصبحت من المسلمات التي لايختلف فيها اثنان من الدارسين في العصر الحديث، ولكن الذي تجدر ملاحظته ان هذه القضية

(١) دلائل الاعجاز / ص ٢٢٨ . وانظر فلسفة البلاغة ص ٢٧ .
(٢) دلائل الاعجاز / ص ١٥٥ .

قديمه سبقت عصر السكاكي فان عبد القاهر كان بارع الدقة في اخفاء نزعته المنطقية يعينه على ذلك اسلوبه الادبي الذي يتسم بالعذوبة في العبارة والدقة في العرض في مجمل افكاره البلاغية، ومن الادلة الساطعة التي لاتقبل الشك والنزاع على منحى عبد القاهر هذا معالجته المبحث بلاغي وكيف انه استعان فيها بأدواته المنطقية.، يرى عبد القاهر وهو يعرض لبيت ابي النجم :

قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنباً كله لم اصنع

ان الرفع في «كل» أفضل من النصب وحجته في ذلك ان الشاعر لم يرد النصب لانه رأى النصب يمنعه مايريد. اما هذا الذي يريده الشاعر فهو انه اراد انها أم الخيار تدعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئاً البتة لاقليلاً ولا كثيراً ولابعضاً ولاكلاً والنصب يمنع من هذا المعنى ويقتضي ان يكون قد أتى من الذنب الذي أدعته بعضه.

وقد أوحى لعبد القاهر سيبويه بهذا التحليل ولعل سيبويه لم ينجو من الاثر المنطقي واذ يقول سيبويه وهو يعرض للبيت نفسه فيقول «ولايحسن في الكلام ان يجعل الفعل مبنياً على الاسم ولا يذكر علامة اضمار الاول حتى يخرج من لفظ الاعمال في الاول ومن حال بناء الاسم عليه، ويشغله بغير الاول، حتى يمتنع من ان يكون يعمل فيه ولكنه قد يجوز في الشعر.

قال الشاعر وهو أبو النجم العجلي:

قد اصبحت أم الخيار تدعي علي ذنباً كله لم اصنع

فهذا ضعيف لأن النصب لايكسر البيت ولايخل به ترك اظهار الهاء وكأنه قال. كله غير مصنوع» (١).

وهكذا يدخل عبد القاهر من النقل المباشر عن سيبويه الى صريح حجته المنطقية فيقول وقد حمله الجميع على أنه ادخل نفسه من رفع كل في شيء انما يجوز عند الضرورة من غير ان كانت به ضرورة قال .:

لانه لبس وفي نصب «كل» مايكسر له وزناً او يمنعه معنى ارادة ثم يقول واذا تأملنا وجدنا اعمال الفعل في «كل» والفعل منفي لايصلح ان يكون الا حيث يراد بعض لم يكن تقول لم ألق كل القوم ولم أخذ كل الدراهم فيكون المعنى انك لقيت بعضاً من القوم ولم تلق الجميع واخذت بعضاً من الدراهم وتركت الباقي»(٢).

(١) الكتاب ١/٨٥ .

(٢) دلائل الاعجاز / ص ١٤٢ .

ويعلل عبد القاهر افضليه النصب فيقول : «اذاتأملت وجدته يقصد الشاعر لم يرتكبه أي الرفع ولم يحمل نفسه عليه لا الحاجة له الى ذلك والا لأنه رأى النصب يمنعه مايريد وذاك أنه اراد انها تدعى عليه ذنباً لم يصنع منه شيئاً البتة والنصب يمنع من هذا المعنى ويقتضي ان يكون أتى من الذنب الذي ادّعته بعضـــــه »(١).

ويظهر ان عبد القاهر يدور حول القضية المنطقية «سلب العموم» و« عموم السلب » ويستشهد لهذه القضية بقول المتنبي :

ماكُلُّ مايتمنى المرء يدركـــــه   تجري الرياح بما لاتشتهي السفـــن

اذ يحلله تحليلاً منطقياً صارماً قد يكون بعيداً عما قصده المتنبي فيقول : « واعلم انك ادخلت كلاً في حيز النفي وذلك بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديراً فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف نفسه واذا اخرجت كلاً من حيز النفي ولم تدخله فيه لالفظاً ولا تقديراً كان المعنى على انك تتبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها واحداً واحداً والعلة في اذا كان كذلك انك اذا بدأت بكل . كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي واعملتها فيه واعمال معنى الكليه في النفي تقتضي الا يشذ شيء عن النفي » (٢).

ويفتح عبد القاهر الطريق لمن جاء بعده للجدل المنطقي لا البلاغي حيث يقفون من آرائه موقفاً منطقياً مقابلاً في مناقشتها وتوجيهها طبقاً للضبط العقلي ،فها هو ذا الرازي يعترض على عبد القاهر في ان نفي العموم تقيضي خصوص الاثبات عندما يناقشه في تقديم السلب على صيغة العموم وتأخيره عنها فيقول : فاذا قدمت صيغة العموم على السلب وقلت كل ذا لم افعله وفعلت بعضه تناقض.

واما اذا قدمت السلب على الكل فكان النفي نفياً للعموم وهو لاينافي في الاثبات الخاص فاذا قلت لم أفعل كل كذا بل بعضه استقام على هذا يظهر الفرق بين الرفع والنصب في البيـــت الآتـــــي : —

وقـد أصبحـت أم الخيار تـدعـي   عليّ ذنبـاً كلـه لم اصنـــع

فلو رفعت كله ماكان النفي عاماً واستقام غرض الشاعر في تنزيه نفسه عن جملة الذنوب ولو نصبته كان النفي نفياً للعموم وهو لاينافي في اثباته لبعض الذنوب فلا يتم

(١) دلائل الاعجاز / ص ١٨٤ .

(٢) دلائل الاعجاز / ص ١٨٨ .

غرضه. واعلم ان الشيخ – يقصد عبد القاهر – جزم بأن نفي العموم يقتضي ان يكون فاعلاً لبعضه وليس الامر كذلك الا عند من يقول، دليل الخطاب بلى الحق نفي العموم كما لايقتضي عموم النفي لايقتضي خصوص الاثبات »(١).

وهكذا يمهد عبد القاهر الطريق الذين جاءوا بعده للامعان في مناقشة كثير من القضايا على ارضية منطقيه يتضح ذلك في حديث الخطيب القزويني عن القضية ذاتها حين يعرض لتقديم المسند اليه فيذكر « ان المسند اليه يقدم» لانه دال على العموم كما تقول :

«كل انسان لم يقم» فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس لان الموجبه المعدولة المهملة في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن جملة الافراد دون كل واحد منها. فاذا سورت «بكل» وجب ان تكون لافادة العموم لا التأكيد نفي الحكم عن جملة الافراد، لان التأسيس خير من التأكيد، ولو لم تقدم فقلت: لم يقم كل انسان كان نفياً للقيام عن جملة الافراد دون كل واحد ،لان للسالبة المهملة قوة السالبة الكليه المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضعهم في سياق المنفي ،فاذا سورت بكل وجب ان تكون لأفادة الحكم عن جملة الافراد في الصورة الاولى، أعني الموجبة المعدولة المهملة، كقولنا: انسان لم يقم ، وعن كل فرد في الصورة الثانية ،أعني السالبة المهملة كقولنا: لم يقم انسان وانما أفاد الاسناد الى انسان، فاذا اضيفت كل الى انسان وحول الاسناد اليه ، فأفاد في الصورة الاولى نفي الحكم عن جملة الافراد ، وفي الثانية نفيه عن كل فرد منها كان (كل تأسيساً لاتوكيداً) (٢)

وترتبط الدلالة المنطقية بالدلالة النحوية ارتباطاً عميقاً عند بدر الدين الزركشي الذي يعرض لما اسماه بالمجازاة وانعقادها بين جملتين ويتحدث عن الآيات «فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام» و «الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة » و «فأن استقر مكانه فسوف تراني» .

فيقول : فالأولى من جملة المجازاة تسمى شرطاً والثانية تسمى جزاء ويسمى المناطقة الاولى جملتين كان ، فان قيل فمن اي أنواع الكلام تكون هذه الجملة المنتظمة من الجملتين ؟

(١) نهاية الايجاز / ص ١٢٥ .

(٢) الايضاح / للقزويني/ ص ٤٩ .

قلنا : قال صاحب المستوفى «المستوفي في النحو لابي سعيد كمال الدين سعود الفرغاني انما العبرة في هذا بالتالي ، ان كان التالي قبل الانتظام جازماً كانت هذه الشرطية جازمة اعني خبراً محضاً ولذلك جاز ان توصل بها الموصولات كما في قوله تعالى «الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة» وان لم يكن جازماً لم تكن جازمة بل ان كان التالي أمراً فهي في عداد الامر كقوله تعالى : «ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين» وان كانت رجاءً فهي في عداد الرجاء كقوله تعالى «فان استقر مكانه فسوف تراني» (١) .

والحق ان علم المنطق بمختلف مافيه من خبر وطلب واحتمالات الصدق والكذب والوصل والفصل والايجاز والاطناب والمساواة هذه التحديدات التي انحصر فيها علم المعاني ملخص في ثمانية ابواب :—

اولها : احوال الاسناد الخبري .

وثانيها : احوال المسنداليه

ثالثها : احوال المسند

رابعها : احوال متعلقات الفعل

خامسها : القصر

سادسها : الانشاء

سابعها : الفصل والوصل

ثامنها : الايجاز والاطناب والمساواة

وهو يحدد منطقياً — دائراً في تلك «الجملة» اسباب الحصر بقوله «ووجه الحصر ان الكلام أما خبر أو انشاء ثم الخبر لابد له من اسناد ومسند اليه ومسند واحوال هذه الثلاثة هي الابواب الثلاثة الاولى ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلاً او متصلاً به أو في معناه كأسم الفاعل ونحوه هذا هو الباب الرابع ثم الاسناد والتعلق كل واحد منها يكون أما بقصر او بغير قصر وهذا هو الباب الخامس والانشاء هو الباب السادس ثم الجملة اذا قرنت بأخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى او غير معطوفة وهذا هو الباب السابع ولفظ الكلام البليغ اما زائد على اصل المراد لفائدة أو لغير فائدة عليه وهذا هو الباب الثامن» (٢) .

(١) البرهان في علوم القرآن / ص ٣٥٢ .

(٢) الايضاح للقزويني / ص ١٢ .

ومن الجدير بالملاحظة ان الحياة الفكرية في تلك الحقبة طبيعتها تقتضي الجدل والاحتجاج الامر الذي ادى الى ان تختلط المباحث المنطقية بالمباحث النحوية ثم حيث جزا فاً في علم البلاغة الذي كان الاحرى به ان يكرس للاغراض الفنية والقيم الجمالية في الاساليب فوجدنا من الجمل الكلام اربعة «أمر وخبر واستخبار ورغبة» ثم ينقسم الى مايحتمل الصدق والكذب وهو الخبر وما لايحتمله وهو سواه ، بل ان «ثعلباً» يحدد قواعد الشعر فيجعلها : — امراً ونهياً وخبراً واستخباراً » وتستمر التحديدات حتى تصل الاربعة الى عشرة فاذا هي «خبرواستخبار وامر ونهي ودعاء وطلب وعرض وتحضيض وتمن وتعجب.»

ويدلو الاصوليون بدلوهم فيما وجدوه نصب اعينهم من مباحث مهد لهم طرقها المتكلمون فقد فسروا وأولوا من منابع ثقافتهم والامر ومفهومه والنهي ومسائله وكل ذلك يجري ضمن البلاغة وفنونها ولعل الجميع ينهلون مما قاله ارسطو في كتابه «الشعر» ومن المسائل التي تتصل بالعبارة مسألة اشكال العبارة فيما يتناوله معرفة ماالامر وما الدعاء وما الخبر وما الوعيد وما الاستفهام ؟ الى نحو ذلك فان الطلب لفعل شيء أو تركه هو امر» (١) .

وفي معالجة البلاغيين للاستفهام تتجلى قضية منطقية تعكس مدى استيعابهم لمفهوم التصور والتصديق فعبد القاهر يعرض للاستفهام بالهمزة مميزاً بين قولك «افعلت» وبين قولك «انت فعلت» في جدل طويل حصيلته النهائية هي ان الاول اذا كان الشك في الفعل نفسه والاخر اذا كان الشك في الفاعل فيقول عبد القاهر على سبيل المثال : «ومما يعلم به ضرورة انه لاتكون البداية بالفعل كالبداية بالأسم انك تقول : أقلت شعراً قط أرأيت اليوم انساناً فيكون كلامك مستقيماً ولو قلت أأنت قلت شعراً قط أأنت رأيت انساناً اخطأت وذاك انه لامعنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا لان ذلك انما يتصور اذا كانت الاشارة الى فعل مخصوص نحو ان تقول: من قال هذا الشعر ،ومن بنى هذه الدار ، ومن اتاك اليوم » (٢).

ويتضح من ذلك ان عبد القاهر يقوم بتطبيق مفهوم التصور والتصديق مع محاولة الافادة من تحديد ادوات الاستفهام من حيث حملها على دلالة التصور والتصديق مع محاولة

(١) كتاب الشعر / ارسطوطاليس — ت د. شكري عباد ص ١٠٨ .

(٢) الدلائل / ص ٨٥ .

الافادة من تحديد ادوات الاستفهام من حيث حملها على دلالة التصور او دلالة التصديق وهكذا يسير عبد القاهر في طريق المناطقة باحثاً عن استقامة أو فساد في حين ان الاستقامة او الفساد من الناحية الفنية قد تتناقض مع الدلالة المنطقية .

ثم يعرض عبد القاهر لدلالة التقرير في جدل منطقي فيذكر قوله تعالى : «أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم » فيقول : «ولا شبهة في انهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام ، وهم يريدون ان يقرّ لهم بأن كسر الاصنام قد كان، ولكن ان يقر بأنه منه كان وقد اشاروا له الى الفعل في قولهم : « أأنت فعلت هذا» وقال هو — يقصد ابراهيم — في الجواب «بل فعله كبيرهم هذا» ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت او لم تفعل » ثـم يستمر في جدله المنطقي (فان قلت قلت) فان قلت أو ليس اذا قال «أفعلت» فهو يريـد ايضاً ان يقرره بان فعل كان منه الابأنه كان على الجملة فأي فرق بين الحالتين؟.. ويرد على المجادل الذي افترضه قائلا ... فأنه اذا قال أفعلت فهو يقرره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره وكان كلامه كلام من يوهم انه لايدري ان ذلك الفعل كان على الحقيقة واذا قال « أأنت » كـــان قـــد ردد الفعـــل بينه وبين غيـــره ولـم يكـن منه في الفعل نفسه تردد ولم يكن كلامه كلام من يوهم انه لايدري اكان للفعل ام لـم يكن بدلالة انك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود ومشار اليه كما رأيت في الاية» (١).

وقد أثر عبد القاهر في البلاغيين الذين جاءوا بعده اثراً عميقاً يتجلى في هذا الضرب من الجدل الذي يخضع لأقيسة المنطق فمنهم من يتابع في النتيجة المنطقية التي استخلصها بأن الاستفهام في الاية للتقرير كالسكاكي ، ومنهم من يخالفه منطقياً فيرى أن الاستفهام في الاية على حقيقته ، ويسوق لذلك جدلا فكرياً بعيداً كل البعد عن الاثر الفني الذي يستدعيه التحليل النابع من القيم الشعورية والجمالية كما فعل الخطيب التزويني. وهكذا يمضون جميعاً في جدلهم البلاغي والنحوي والمفسر مركزين على اسلوب الاستفهام دون ان ينتبهوا الى النص وما يوحي به من تأثير في فكر المتلقي واحساسه، ولا يجد المفسر حرجاً من استعمال كل ادواته المنطقية والعقلية فها هوذا الزركشي يقول «والتقرير حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده قال ابو الفتاح — يقصد ابن جني — ولا يستعمل ذلك بها وقال في قوله: جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط؟ و«هل» لاتقع تقريراً كما يقع غيرها مما هو للاستفهام وقال الكندي (ابو اليمن: زيد بن

(١) دلائل الاعجاز / ص ١٤٥ .

الحسن بن زيد الكندي أحد علماء اللغة والنحو ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: «هل يسمعونكم» الى ان «هل» تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ الا أني رأيت ابا علي ابن ذلك هو معذور فان ذلك من قبيل الانكار ونقل الشيخ ابو حيان عن سيبويه: ان استفهام التقرير لايكون بـ(هل) وانما تستعمل فيه الهمزة ثم نقل عن بعضهم ان «هل» تأتي تقريراً في قوله تعالى: « وهل في ذلك قسم لذي حجر» والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه صريح الموجب » (١) .

ويتضح من هذا النص ان صاحبه يعمد الى ضبط الاسلوب الانشائي ضبطاً منطقياً دقيقاً ثم يصرح في النهاية بمعالجته المنطقية لهذا الاسلوب دون حرج فيذكر ان «هذه جمل في وجوه الاستدلال والقياس وعلى من اراد استيعاب ذلك نظر في الكتب الموضوعة «في المنطق» وكأن المسألة تحتاج الى مزيد من المنطق، فهو يدخل ماعرف بالاسلوب الانشائي تحت مدخل الدلالة والقياس ويهمنا فقط ان نشير الى ماالمحنا اليه من قبل ان عبد القاهر يتبع الطريق نفسه وان كان يصرح بذلك، اما هؤلاء فلم يجدوا حرجاً من تسمّية الاشياء بمسمياتها .

يقول الزركشي: «وانواع البحث والسؤال تسعة أنواع فأولها: البحث عن الوجود بـ«هل» تقول: هل كان كذا وكذا.. فيقال نعم او لا. والثاني البحث عن أنواع الموجودات بـ«ما» تقول ماالانسان.. فيقال: الحي الناطق. والثالث: البحث عن الفصل بين الموجودات بـ«اي» تقول اي الأشكال المربع فيقال هو الذي يحيط به اربعة خطوط. والرابع: البحث عن احوال الموجودات بـ«كيف» تقول: كيف الانسان.. فيقال منتصب القامة. والخامس: البحث عن عدد الموجودات بـ«كم» تقول: كم مالك: فيقال عشرون درهماً . والسادس البحث عن زمن الموجودات بـ«متى» تقول: متى كان هذا.. فيقال في زمن الرشيد . والسابع: البحث عن مكان الموجودات بـ«أين» تقول: أين زيد.. «فيقال في الدور... والثامن: البحث عن اشخاص الموجودات بـ(من» تقول: من خرج.. فيقال زيد والتاسع: البحث عن علل الموجودات بـ«لمَ» (٢) .

ويظهر من ذلك ان البلاغيين قد ركزوا على الاداة دون اهتمام بسياقها الذي قد تكتسب فيه دلالة جديدة يستلزمها الموقف النفسي والشعوري. فضلا عن «ان التصور ليس بذاته

(١) البرهان في علوم القرآن /٢/٣٣١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن / ص ٢٢ .

حالة عقلية كاملة وانما يتحقق دائماً في سياق كيما يكون مفهوم المعنى تماماً وكذلك الحال في الأسم او اللفظ المعبر عن التصور.. نشاهد انه لايدل على معنى كامل يستقل بنفسه عن السياق الذي يجب ان يوجد فيه»(١).

والحق ان الاثر المنطقي والعناية بأسلوب الجدل والتقنين ليست وليدة العصر الذي برزت فيه اراء السكاكي ومباحث القزويني ولكنها قديمة فاذا مااستقصينا بدقه افكار عبد القاهر الي بثها في ثنايا كتابيه الشهيرين «الدلائل والاسرار» تلحظ اهتمامه بهذا الجانب من الدراسة غير ان عبد القاهر كان ذكياً بارعاً في الافادة من القياس والضبط والاستدلال بطريقة ليست مباشرة حيث كان يخفي ذلك الاثر في مناقشاته الجدلية المعروفة التي يقلب فيها الرأي على جميع وجوهه، والذي تجدر ملاحظته اننا حين نتحدث عن مباحث القزويني والسكاكي من هذه الوجهة لايمكننا ان نغفل اثر الجرجاني فيهما ولنضرب مثلا يعكس مدى افادة عبد القاهر من الدراسات الفلسفية والمنطقية وكيف انه يخفي ذلك بذكائه اللّماح يقول عبد القاهر «يؤتى المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه.. واذا كان هذا كذلك فينبغي ان ينظر الى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل ان تصير الى الصورة التي بها يكون الكلام اخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً وتؤدي في الجملة معنى من المعاني الي لاسبيل الى افادتها الا بضم كلمة الى كلمة وبناء لفظة على لفظة.. وهل يتصور ان يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه ادل على معناها الذي وضعت له عن صاحبتها على ماهي موسومة به حتى يقال ان «رجلا» ادلّ على معناه من «فرس» على ما سُمي به» (٢).

واذا ماعدنا الى ابن سينا وجدناه يقول « .. واما القول في اللفظ المؤلف وهو اللفظ الذي قد يدل جزؤه على الانفراد دلالة اللفظ اي اللفظة التامة.. فان قولنا : الانسان كاتب «قول» لان الانسان جزء من هذه الجملة ويدل والقول ايضاً حكمه حكم الالفاظ المفردة في انه لايدل من حيث كونه قول الا بالتواطؤ الحاجة الى القول هي الدلالة على مافي النفس والدلالة أما ان تراد لذاتها وأما ان تراد لشيء آخر يتوقع من المخاطب ليكون منه والتي نراه لذاتها هي الاخبار وما على وجهها واما محرفه لتحريف التمني والتعجب وغير ذلك فانها كلها ترجع الى الاخبار والتي تراد لشيء يوجد من المخاطب فأما ان يكون ذلك ايضاً

(١) المنطق الصوري والرياضي / ص ٤٤ .

(٢) دلائل الاعجاز / ص ٨٨ .

دلالة او فعلا غير الدلالة فان اريدت الدلالة فتكون المخاطبة استعلاماً واستفهاماً وان أريد عمل من الاعمال او فعل من الافعال غير الدلالة فيقال انه من المساوىء التماس ومن الاعلى امر ونهي ومن الادنى تضرع»(١) .

وعندما يعرض عبد القاهر للاسم الموصول الذي يعالجه معالجه منطقية محضة مستمدة من ابن سينا حيث يضع عنواناً فيقول «فصل من الذي خصوصاً» ويوجز رأيه في «ان الذي... اجتلب ليكون وصله الى وصف المعاني بالجمل كما اجتلب «ذو» ليتوصل به الى الوصف بأسماء الاجناس ، يعنون بذلك انك تقول: مررت بزيد الذي ابوه منطلق . فنجدك قد توصلت بالذي الى ان اثبت زيداً من غيره بالجملة التي هي قولك: «ابوه منطلق» (ولولا) الذي لم تصل الى ذلك»(٢) .

ويقول ابن سينا: «والاقوال قد تتركب على سبيل تركيب الحدود والرسوم بأن تأتي بعضها مقيدة لبعض وهي التي تصلح ان نورد بين اجزائها لفظة «والذي» كقولنا: الحيوان الناطق المائت فانه يصلح ان يقال فيه : الحيوان الذي هو الناطق الذي هو الميت»(٣) .

وقد دعا السكاكي وابن الاثير الى الذوق والطبع ولكن مانصيب هذه الدعوة من التطبيق في كتاباتهم فملاك الامر عند السكاكي «الذوق السليم والطبع المستقيم» ثم يغفل عن هذه الدعوة المرعاة حيث نرى الصرامة المنطقية في حصول ثبوت متصور وحصول انتقاء ومتصور ومثل الحصول ذهنياً وخارجياً ويدخل ساحة التصور والتصديق فيقول عن الطلب ان الطلب من غير تصور اجمالا او تفصيلاً لايصلح وانه يستدعي مطلوباً لامحالة ويستدعي فيما هو مطلوب. الا يكون حاصلا وقت الطلب والطلب اذا تأملت نوعان : نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان الحصول، ونوع يستدعي فيه امكان الحصول او المطلوب بالنظر الى ان لاواسطة بين الثبوت والانتفاء يستلزم انحصاره في قسمين حصول ثبوت متصور وحصول انتقاء متصور وبالنظر الى كون الحصول ذهنياً وخارجياً يستلزم انقساماً الى اربعة اقسام حصولين في الذهن وحصولين في الخارج ثم اذا لم يزد الحصول في الذهن على التصور أو التصديق لم يتجاوز أقسام المطلوب سنة: حصول تصور أو تصديق

(١) كتاب الشفاء / ص ٣١ .

(٢) دلائل الاعجاز / ص ٢١٣ .

(٣) الشفاء / ص ٣١ .

في الذهن وحصول انتقاء تصور أو تصديق فيه، حصول ثبوت تصور أو أنتفائه في الخارج وطلب حصول التصور في الذهن لايرجع الا الى تفصيل مجمل او تفصيل مفصل بالنسبة ووجه ذلك، ان الانسان اذا صحّ منه الطلب بأن ادرك بالاجمال لشيء «ما» او بالتفصيل أو بالنسبة لشيء «ما» ثم طلب حصولا لذلك في الذهن، وامتنع طلب الحاصل توجه الى غير حاصل، وهو تفصيل الجمل او تفصيل المفصل بالنسبة» .

ويحدثنا ابن الاثير عن براءته من الأثر المنطقي ولكنا سرعان ماننظر في كتابه المثل السائر نلحظ انه لم يكن بمأمن من الأنغماس في الجدل الذي لانحسُ فيه بأية قيمة فنية وفي معرض انكار ابن الأثير لتأثره بالفكر المنطقي المقنن يعترف من حيث لايدري بسيطره ذلك الأثر على مباحثه التي لم تخلُ من الرغبة في المجادلة المنطقية اذ يقول «اعلم ان المعاني الخطابية قد حصرت اصولها واول من تكلم في ذلك حكماء اليونان غير ان ذلك الحصر كلي لاجزئي» ثم يتحدث عن «المعاني» التي أتى بها الشعراء المحدثون ويرد على معارضيه بطريقة (فان قلت. قلت) قائلاً «فأن قلت ان هؤلاء وقفوا على ماذكره علماء اليونان وتعلموا منه قلت لك في الجواب . هذا شيء لم يكن ولاعلم ابو نواس شيئاً منه ولامسلم بن الوليد ولا ابو تمام ولا البحتري ولاابو الطيب المتنبي وغيرهم ثم يقول في اندفاع تكتنفه المغالطة « فاذا ادعيت ان هؤلاء تعلموا ذلك في كتب اليونان قلت لك هذا باطل بي أنا فاني لم اعلم شيئاً مما ذكره حكماء اليونان ولاعرفته ومع هذا فانظر الى كلامي »!!

ثم يمضي ابن الاثير في دفع الاثر المنطقي ونفيه عنه في تلك القصة التي يقول فيها «لقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا واتساق الكلام الى ذكر شيء لابي علي ابن سينا في الخطابة والشعر وذكر ضرباً من ضروب الشعر اليوناني ... وقام فأحضر كتاب «الشفاء» لابي علي، وقفني على ماذكره فلما وقفت عليه استجهلته » (١) .

واذا نظرنا الى كلامه كما دعانا وجدناه يتحدث عن استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات فيقول مثلاً : «واعلم انه اذا كان الشأن احدهما خاص والاخر عام ... فان استعمال العام في حالة النفي ابلغ من استعماله في حالة الاثبات ومثال ذلك الانسانية والحيوانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولايوجب نفيها نفي الحيوانية وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الانسانية ولايوجب اثباتها اثبات الانسانية » (٢) .

(١) المثل السائر / القسم الثاني / ص ٢٠٣ .

(٢) المثل السائر / القسم الاول / ص ٢٢٩ .

ثم يعبر ابن الاثير عن حدة انفعاله وهو يلقى رجلاً متفلسفاً يعارضه الحديث عن فصاحة القرآن فيرد عليه ابن الأثير قائلاً : « اعلم ان لاستعمال الالفاظ اسراراً لم تقف عليه انت ولاائمتك مثل ابن سينا والفارابي ولامن اضلهم ارسطو طاليس وافلاطون » (١) .

ولعله في حديثه عن استعمال العام والخاص يتابع من اضلهم ارسطو طاليس وافلاطون كما يزعم فيذهب الى ان الصفتين الواردتين على شيء واحد اذ لزم من وجود احدهما وجود الاخرى النفي بها في الذكر ولم يحتج الى ذكر الاخرى لانها تجيء ضمناً وتبعاً او ان يبدأ بها في الذكر اولاً ثم تجيء الاخرى بعدها وأما الصفات المتعددة فأنه ينبغي أن يبدأ في الذكر بالادنى مرتبة ثم بعدها بما هو أعلى منها الى ان ينتهي الى آخره هذا في مقام المدح فان كان في مقام الذم عكست القضية » (٢)

ويستمر ابن الاثير في متابعة اصحاب المنطق والقياس الذين حمل عليهم واتهمهم بالضلال فيقول «فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم الى القاء يده فليس بكاتب ولاشبيه له الاصاحب الجدل فكما ان ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخاطبية » (٣)

ويلج حازم من الباب ذاته فيقول : « اعلم ان الانعطاف في الكلام من جهة الى اخرى أو غرض الى آخر لايخلو من ان يكون مقصوداً اولا فيذكرالغرض الاول لان يستدرج منه الى الثاني وتجعل مأخذ الكلام في الغرض الاول صالحة مهيأة لان يقع بعدها الغرض الثاني موقعاً لطيفاً وينتقل من احدهما الى الاخر انتقالاً مستطرفاً » (٤) .

وهكذا يصطبغ المنهج البلاغي الذي ورثناه بمنهج المتكلمين واصحاب المنطق ، ذلك المنهج الذي يقوم على القياس ، والاستدلال والضبط العقلي ، ومن مكرور القول ان المتكلمين ، والمناطقة بعيدون في نظرتهم عن الروح الفني الذي يبعث الحس الجمالي في الاساليب الادبية ، اما عن النحوي والبلاغي فانهما يتعاملان مع البناء اللغوي ومن هنا فان العلاقة بينهما حميمة ولكن النحويين المتأخرين هم الذين تسببوا في هذا الخلاف الكبير الذي وقع بينهما والذي بلوره ابن الاثير –كما اسلفنا – حيث انهم كانوا قد قصروا نظرتهم على ضبط اخر الكلمات دون النظر الى الجانب الفني في تحليل الظواهر النحوية.

---

(١) المثل السائر / القسم الثاني / ص ٢٠٣ .

(٢) المثل السائر / القسم الثاني / ص ٢٨ .

(٣) المثل السائر / القسم الثاني / ص ٢٥٠ .

(٤) المنهاج / ص ٦٢ .

المصادر والمراجع

١ — الايضاح في علوم البلاغة — الخطيب القزويني . مطبعة السنة المحمدية . القاهرة.

٢ — البرهان في علوم القرآن — الزركشي . ط البابي الحلبي .

٣ — البلاغة — لابي العباس بن يزيد المبرد . ت د رمضان عبد التواب .

٤ — البيان والتبيين — الجاحظ .ت. عبد السلام محمد هارون — القاهرة ١٩٤٨م .

٥ — دلائل الاعجاز — للجرجاني — الطبعة الخامسة . دار المنار، القاهرة ١٣٧٢هـ .

٦ — كتاب الشعر — ارسطو طاليس .ت. شكري عياد . دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

٧ — كتاب الشفاء — لابن سينا .ت. د. ابراهيم مدكور . الهيئة المصرية العامة للكتاب

٨ — كتاب الصناعتين — لابي هلال العسكري .ت علي محمد البجاوي وابي الفضل ابراهيم ط١ ، القاهرة ١٩٥٢ م .

٩ — فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور — د. رجاء عيد ، مطبعة أطلس . القاهرة.

١٠ — الكتاب — لسيبويه .ت عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧م ..

١١ — المثل السائر — لابن الاثير .ت. د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، ط نهضة مصر.

١٢ — المنطق الصوري والرياضي — د. عبد الرحمن بدوي .طبع الكويت ١٩٧٧م.

١٣ — منهاج البلغاء — ابو الحسن حازم القرطاجني .ت محمد الحبيب بن الخوجة . تونس ١٩٦٦م .

١٤ — نهاية الايجاز — فخر الدين الرازي . مطبعة الآداب — القاهرة ١٣١٧هـ .



قراءة في مقدمة ابن خلدون عن الادب ونقده



علي حداد
كلية التربية / جامعة بغداد

تقديم :

تقرأ في كتاب من كتب رجالات الفكر والمعارف من أجدادنا الخالدين فتجد نفسك محاطاً بدهشة لاتشوبها ريبة، ومنشغلاً بملاحقة سؤال تتزاحم علاماته أمامك كلما قرأت صفحة جديدة من صفحاته، وتتسع حدقتاك بالتعاطف الحميم والانشداد اليهم. فكل كتاب من كتبهم ملتقى لمعارف شتى،وافق غني بعطاء العقول وخلجات الأنفس وجهد المجتهدين. ولا تسأل من أين لهم هذا؟

فقد كان العلم ديدنهم، والاخلاص لقضية المعرفة وكدهم الذي لايكلون في مساره، ومركبهم الذي يمخرون به عباب العلوم والآداب، ليعودوا في كل مرة محملين بلآلئه، ومزدهين بأثواب الكبرياء التي وهبها لهم حب العلم والزهد بما سواه ، والاعتكاف في محاريبه بلا منة او شكوى. هل احدثك عن ابن سلام أم الجاحظ ، أم ابن قتيبة ، أم

الأصفهاني، أم التوحيدي..أم..أم؟ وكل واحد منهم موسوعة، بما تراها تحتويه هذه الكلمة، وحين تقف لتعد السنين التي عاشوها، وتنظر الى جهد كل منهم وما قدمه، وتقسم الأول على الآخر تجد أن عقد السنين ينفرط امام ناظريك ، والارقام تتسرب من بين يديك . لأن من يشغلونك هم اكبر من الارقام، بالعزم والاجتهاد والانعتاق من ربقة الهم اليومي ومتاعبه الى مساحات الزمن الخالد.

اما كتبهم فهي زاد للروح حاو لكل صنوف المعرفة، ومن أيما جهة جئتها عدت وقد امتلأت واغتنيت بما تشاء وما لاتشاء. اقرأ طبقات الشعراء ، واقرأ الحيوان والبيان والتبيين، وأقرأ الشعر والشعراء، وأقرأ الأغاني ،وأقرأ الامتاع والمؤانسة والاشارات الالهية، وأقرأ.. وأقرأ. وستقول معي: إن لي ولك اجداداً ، كانوا كباراً، وكان كل جانب من حياتهم وعطائهم كبيراً، وكبيراً لدرجة أن كل مسألة تثار تصلح موضوعاً وقضية يدار حولها ومنها وفيها النقاش الذي لاينتهي الا مع بدء قضية توثق وشائجها باختها السابقة.

وابن خلدون واحد من أولئك الاجداد الكبار في عطائهم وفي قاماتهم التي تتطاول متخطية عصرها لتخاطبنا نحن، أهل هذا العصر بما نتمنى أن نسمعه . انهم كبار ، ودع عنك تفصيلات حياتهم التي ستجد فيها مايوقفك في دائرة الارتباك والتردد، تبعاً للذات وخصائص ماتشتهيه عند كل منهم، وللعصر وما يدعو اليه وما يفرضه. فلا تشغل نفسك بما تراه عندهم احياناً من رغبات هي عند البشر أجمعين. ولا يعلو عليها الا العبقري.. الذي يرفعه حب آخر يستنزف وقته (١) .

وابن خلدون اسم كبير أمام ابصار غيرنا، ودع عنك إنما نراه نحن العرب أهله بعين الفخر والتبجيل ، فاسمه واحد من الاسماء الكبيرة في قوائم الانسانية. أليس هو من أوائل العلماء الذين انشأوا علماً استقرت اركانه وتوطد بنيانه بعدهم بقرون ذلك هو علم الاجتماع؟

ولسنا هنا بصدد اطناب الحديث عن مكانة هذا الرجل العلمية، والعلماء والباحثون والناس يشهدون له بعلو المكانة. ولن نلاحق هنا كل ماقدمه من عطاء بل سيستغرقنا تتبع لجانب واحد منه. فاذا كان ابن خلدون عالماً اجتماعياً وباحثاً تأريخياً في الحضارة العربية

---

(١) قادنا إلى هذه الانعطافة في الحديث ما وجدناه في حياة ابن خلدون من مواقف وسلوكيات للسياسة واساليبها وللمطامح والمطامع واندفاعاتها دور كبير في مسايرته لها . انظر كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، الصفحات ٥٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١٠٠ ، ١٣٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

الاسلامية، وفقيهاً، ورجل دين وقضاء.. واذا كان رجل سياسة ،شغل من مناصبها الرسمية وغير الرسمية ماشغل،فأن واحداً من آفاق شخصيته هذه هو الذي نتبعه فيه.ذلك هو اهتمامه بالادب ونقده وملاحظاته واراؤه فيه.

لقد كان ابن خلدون شاعراً له في هذا النمط من الابداع قصائد ترتفع في الجودة الى مصاف الجودة في الشعر، وتنخفض الى مصاف شعر العصور المتأخرة، في الأغراق بشؤون هذا الفن الصغيرة.ولقد كان ابن خلدون رجلا موسوعياً نظر الى الحياة وامتدادات شؤونها عن بعد يستوعب مساحة بقدر مايتسع له العقل ومداركه. وطبيعي أن ترصد عينه الذكية حالة الأبداع العظيم التي يشملها العطاء الأدبي ليكون له فيه حديث واراء.

واذا كان لابن خلدون اكثر من كتاب فان اهتمامنا منصب هنا على مقدمته الاكثر شهرة لكتابه الشهير «العبر وديوان المبتدأ او الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر».إذ نعاود النظر هنا في فصول منها خص بها ابن خلدون علوم اللسان العربي وهي عنده أربعة: النحو، الذي به «تتبين أصول المقاصد بالدلالة» (١). وعلم اللغة، وهو بيان الموضوعات اللغوية (٢). وعلم البيان، وهو عنده علم «متعلق بالالفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني»(٣). ثم علم الادب الذي سيقف عنده سعي بحثنا ،لنتتبع ما فاض به ابن خلدون من كلام فيه.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٠٥٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٥٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٦٤ .

الفصل الأول

عن ابن خلدون .. تفصيلات خاصة

تقول الكتب التي ترجمت له انه : ولي الدين ابو زيد ، وذلك لقباً وكنية ، فهو (ولي الدين) ، واكتسب هذا اللقب بعد توليه القضاء بمصر . وهو ابو زيد من اسم ابنه الاكبر. اما اسمه فهو : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون (١) ، لينتهي نسبه الى وائل بن حجر ، احد صحابة الرسول محمد (ص) الذي اسلم مع جمع من ابناء قبيلته كندة ، وهي من اليمن ، وقد انتقل احد اجداد ابن خلدون ، وهو خالد بن عثمان — وقد أصبح اسمه (خلدون) تبعاً لعاده اهل الاندلس والمغرب في تعظيم الاسماء فخالد (خلدون) (وزيد) (زيدون) وعبد (عبدون) (٢) — الى الأندلس فنزل قرمونة اوائل القرن الثالث الهجري لينتقل بعدها الى اشبيلية — وخلدون هذا هو جده الذي علقت ابوته به وبآبائه واعمامه قبله فصار اسمه عبد الرحمن بن خلدون — وقد طابت الاقامة لاجداده في الأندلس حتى اواسط القرن السابع الهجري ، حيث نزحت هذه العائلة الى تونس ، التي ولد فيها عبد الرحمن في غرة رمضان من سنة ٧٣٢هـ (٣).

فهو اذن — ودع عنك ذلك الذي اثاره طه حسين من شك بنسبه — (٤) سليل اسرة

---

(١) ينظر : التعريف ، ص ١ . وللاستزادة عن اخبار عائلته ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٠ .

(٢) يقول مصطفى جواد في كتابه «قل ولا تقل ، الجزء الأول ص ٢١ : «أما زيدون وخلدون وحمدون وأمثالهن فهي مفتوحة الأوائل سماعاً ، لأن الوزن مقتبس وليس أصيلا» .

(٣) التعريف ، ص ١٥ .

(٤) يشك طه حسين في صحة نسب ابن خلدون معتمداً على قول ابن خلدون نفسه : «لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة ، ويغلب على الظن أنهم اكثر ، وانه سقط مثلهما عدد لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس ، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة ، فيكونون زهاء العشرين ثلاثة لكل مائة سنة» التعريف ، ص ١ .
فيرى طه حسين أن المؤلف نفسه يشك في صحة نسبه . «واذا كان المؤلف يشك في صحة ذلك النسب فأولى لنا نحن أن نشك في انتساب أول خلدون إلى وائل»

عربية نابهة وبيت علم ورياسة ، إذ كان لبني خلدون نشاط سياسي يمتد الى أيام الثورات التي قامت ضد سلطان بني أمية في القرن الثالث الهجري (١) .

واذن فقد نشأ ابن خلدون في كنف عائلة موفورة الحظ من الحياة والشهرة فدرج ليتلقى معارف الطفولة والصبا على يد والده ، معلمه الأول — وكلما اضيفت الى عمره سنوات اضيف الى مايتقنه معارف وعلوم (٢) . ويبدو ان توجهه المعرفي سار باتجاه المعارف الدينية والفقهية ، إذ قرأ القرآن وحفظه وتفقه في القراءات ودرس شيئاً من التفسير والحديث النبوي . وبديهي أن تتساوق مع ذلك دراسة للنحو العربي وعلوم اللغة ، ثم الشعر ، الذي حفظ منه ماساهم في تفتح موهبته الشعرية لاحقا (٣) .

واذا شئت ان تتابع تفصيلات حياته ومامر به وأنت قادر على وضع ذلك في مراحل عدة ، أولاها مرحلة الولادة والنشأة التي مر ذكرها .تليها مرحلة تمتد من بلوغه سن الثامنة عشرة ، حيث تجاوز مرحلة الدراسة والتثقيف ، لتبدأ مرحلة العمل والانشغال بالوظائف الرسمية . فقد أصبح كاتباً للسر والأنشاء لسلطان تونس سنة ٧٦٠هـ لينهج في الكتابه

(طه حسين ، الاعمال الكاملة ، المجلد ٨ ، ص ١٤) ثم يبرر شكه هذا فيقول : «فإن العرب منذ عهد النبي إلى فتح اسبانيا لم يستعملوا الكتابة الا نادراً ، وليس لدينا ما يؤيد أن ذلك النسب قد وصل كتابة إلى أسرة خلدون أو إلى النسابة ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) الذي كان أول من تكلم عنه . وليس بوسعنا أن نصدق كل ما تسطره لنا كتب الأنساب : أولا ، لأنها كتبت في عهد متأخر ، وثانياً لانها لا تستند إلى أساس تأريخي ، واخيراً لأنه يمكن الأعتقاد أن الأنساب العربية كباقي التقاليد العريقة قد نسخت في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، أما لأسباب سياسية ، او ملفاً لكبار الأغنياء» (طه حسين ، ص ١٤) .

غير أن ما يلاحظ أن طه حسين يعود في أماكن اخرى من بحثه ليعتمد هذا النسب في تقرير بعض ما يتعلق بشخصية ابن خلدون وحياته . يقول مثلا : «ولئن صدقنا نسبها — يقصد عائلة ابن خلدون — الذي يرجعها إلى قبيلة كنده ، فأنا نميل إلى الاعتقاد أن للوراثة دخلا كبيراً في المعارك السياسية التي خاض مؤلفنا غمارها (طه حسين ، ص ١٤) . ويقول في مكان آخر وهو يبرر بعض تفصيلات حياة ابن خلدون منذ مقتبل شبابه : «ومن ذلك الحين ثارت في نفس الفتى شهوة الصراع والدس التي عرفت بها أسرته منذ قرون ، إذا جاز لنا أن نصدق رواية انتسابها لقبيلة كندة اليمنية» (طه حسين ، ص ١٦) .

(١) التعريف ، ص ٣ . وابن حزم ، ص ٤٦٠ .

(٢) التعريف ، ص ١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، وينظر : السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٤٥/٤ .

سبلاً جديدة ، محرراً الرسائل – كما يقول – من قيود السجع التي كانت قاعدة الكتابة يومذاك ، وعدل عنها الى الأسلوب السهل المرسل (١) . وفي هذه المرحلة برزت خصائص شاعريته فنظم شعراً كثيراً يقول عنه انه « توسط بين الاجادة والقصور » (٢) وفي هذه المرحلة حقق لنفسه شهرة بيّنة في المغرب والأندلس . وبعد سنتين من اشغاله منصبه هذا تولي خطة المظالم (القضاء) ليمضي فيها بضع سنين ، شعر بعدها بفتور في اهتمام السلطان به ، ثم جفوة اخذت تزداد سعة ، مما دفعه الى التفكير بالانتقال الى الأندلس ، وقد فعل ذلك ، بعد ان صرف زوجته واولاده – وكان قد تزوج وانجب – الى اخوالهم في قسنطينة ، بالجزائر ، ووجه وجهته نحو الأندلس ، فوصل غرناطة وحظي بعناية اميرها واحتفاء أدبائها وعلمائها ، إذ كانت شهرته قد سبقته اليها (٣) . غير أن الأقامة في غرناطة لم تطب له اكثر من سنتين غادرها بعدها .

وحدث حادث في غرناطة هزّ كيانه واثر به حد الالم ، ذلك مانكب به صديقه الأديب والشاعر والوزير لسان الدين بن الخطيب ، صاحب كتاب (الاحاطة في تاريخ غرناطة) ، إذ اتهم بالزندقة ، وافتى بعض الفقهاء بتكفيره ، فاحرقت جثته بعد ان قتل خنقاً سنة ٧٧٦هـ (٤) . واذ رأى ابن خلدون ذلك انتابته مشاعر دفعته الى البحث عن العزلة والانقطاع الى العلم بعيداً عن الحياة الرسمية ومشاغلها ومؤامراتها ، وما يلحق العالم والأديب منها . فكأن ماحدث لصاحبه يد هزت كيانه هزة عنيفة جعلته يبصر ماحوله . وهكذا غسل يده – ولو الى حين – عن مطامع السياسة ومناصبها ، وغادر الأندلس ليستقر في احدى مناطق تونس المنعزلة منقطعاً للعلم والدرس والقراءة (٥) . وفي هذه الفترة – وهي مرحلة ثالثة في حياته – بدأ بكتابة مؤلفه الضخم (العبر) ، وكان قد بلغ الخامسة والأربعين من العمر . وبعد ان قضى ربع قرن بكاملة يخوض معترك السياسة وغمارها .

لم يدم هذا الأمر الا لسنين معدودة ، تحركت بعدها نوازعه للرياسة واحتلال المناصب ولكن الأمور لم تعد تجري كما تشتهي سفن ابن خلدون ، مما جعله قلقاً من الاقامة في تونس ،

(١) يقول : «وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل ، أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الاسماع لضعف انتحالها ، وخفاء العالي منها على اكثر الناس بخلاف المرسل ، فانفردت به يومئذ» (التعريف ، ص ٧٠) .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

(٤) المقري ، نفح الطيب ، ١١١/٥ .

(٥) التعريف . ص ٢٣٠ .

ودعاه الى التماس وسيلة يغادرها فيها. وهذا مافعله، إذ قصد المشرق سنة ٧٨٤هـ، فوصل الأسكندرية في طريقه الى اداء فريضة الحج ، كما ادعى . ولم يفعل ذلك ، إذ قصد القاهرة ليحظى بتكريم أهلها وسلطانها ، وليقيم فيها مدرساً للفقه والحديث في الجامع الأزهر وفق المذهب المالكي . واحتفى به السلطان برقوق سلطان مصر آنذاك ، فعينه قاضياً لقضاء المالكيه ، ثم قاضياً لقضاء مصر كلها . واتيح له في هذه المرحلة أن يذهب الى بلاد الشام ويقيم في حلب فترة . وشاءت له ظروفه أن يلتقي القائد المغولي (تيمورلنك) ويكون له معه ماذكره في كتابه التعريف (١) .

وطابت الاقامة لابن خلدون في مصر قاضياً ومدرساً في الازهر ، وعالماً يشرح آراءه في العمران وأسس الملك ونشأة الدول ، فكانت اقامته في مصر مدة ثلاث وعشرين سنة ، حتى وفاته في السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ٨٠٨هـ (٢) وقد بلغ السادسة والسبعين ، ودفن فيها (٣) .

ابن خلدون ، ثقافته ، كتبه ، أدبه ، مقدمته :

(١)

تعددت مؤلفات ابن خلدون كما ذكرها الأدباء والمؤرخون.. ووراء هذا التعدد في المؤلفات ثقافة خاصة اتسعت آفاقها وتنوعت مصادرها لتتجسد في شخصية امتلكت سمات وسمت بها، وعقلية فذة استوعبت اكثر ما امتدت اليه يده من المعارف، تبدع في مجالات تكاد تكون أول من وطأتها ، معبرة في ذلك عن بنية فكرية ناضجة تخطت عصرها في خصائص كثيرة لتستشرف العصور التالية التي وقفت مبهورة أمام ماقدمه ابن خلدون . وهنا يزدحم الذهن بتساؤل ملح، فما الذي جعل ابن خلدون دون سواه عقلية كبيرة تمتاز بما انمازت به؟ وما الذي اتيح له دون غيره من العلماء والفقهاء والمؤرخين ليكون اماماً في معارف طريقة اهتدى اليها وحده؟

ونقول: نعم لقد التقت عدة خيوط نسجت منها عقلية ابن خلدون بنسيج خاص به. صحيح ان ثقافته (تربيته)العامة التي تلقاها في نشأته ،وكما يقول طه حسين: «لم تكن خارقة»(٤)

---

(١) المصدر نفسه . ص ٣٦٦ .

(٢) كان ابن خلدون قد استدعى عائلته من تونس . ولكنهم غرقوا قبل وصولهم مصر . ويبدو أن لهذه الحادثة ، وكبر سنه اثراً في موته فجأة .

(٣) ينظر : السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٤٦/٤ .

(٤) طه حسين ، الاعمال الكاملة ، ١٥/٨ — ١٦ .

بمقياس عصرنا ، غير أنها وكما يقول طه حسين أيضا «كانت عظيمة جدا بالقياس الى مستوى التربية في وطنه» (١) وسواء أكانت تربيته قد اختلفت بكثير او قليل عما تلقاه سواه من أهل عصره، أو من سبقه من أهل العلم والمعرفة أم لم تختلف ، فأن هذه المعارف الأولية وحدها ليست هي كل شيء. يمكن القول أنها تحدد للرجل منهم مساره وانماط اهتمامه ، ولكنها بحاجة الى مايكملها ، وما يكملها عند ابن خلدون عقلية راجحة لها من الحساسية بمستجدات الواقع ومتغيراته وظروفه وملابساته مايجعلها نسيج وحدها بالتوهج الذكي والعين السريعة والذهن المرتب القادر على تصوير الأمور وتبريرها. تلحق بها حياة خاصة بانعطافاتها وتداخل اوضاعها وازدحامها بالاحداث ، وما عاشه الرجل من ظروف السياسة ومشكلاتها ، وما تولاه من مناصب في البلدان العديدة ، ورحلاته وتنقلاته النشطة دوماً، وتلك الروح الطماحة الى تبوء من المناصب أهمها وأبرزها، ومخالطته لأنماط من الأمم والشعوب والدول والممالك، وأصناف من الرجال، الملوك والسلاطين والحكام والعلماء ، ومن اليهم من البارزين. ولاتنس وانت تخصص أن وجود ابن خلدون في عصر تكاملت عند حده المعارف والعلوم العربية الاسلامية في صنوف العلوم والآداب ثم اندفعت نحو التدهور والانحسار، متساوقة مع ماأصاب حياة الأمة وحضارتها وانهيار انظمتها السياسية، ولا سيما نظام الخلافة، وتعددت الدويلات والسلاطين، ومطامع الأقوام الأخرى الى قيادة الحكم، وتراجع دور العرب وانحسار مدّهم الحضاري. كل ذلك وضع في ذهن ابن خلدون اسئلة تلاحقها اسئلة، عن قيام الدول ونشوء الحضارات ومساراتها ونهوضها وانعطافاتها ، ثم اضمحلالها، لتترك المجال لغيرها، تبدأ ذات المسيرة. ومما تهيأ له من ثقافة واخلاص لقضية المعرفة واهتمام ذكي بالظرف وما يحوطه، راح يقرأ تاريخ العرب ، نشوءً حضارياً وتأثيراً انسانياً . وراح يؤشر ملاحظاته عليه . ثم نظر الى التاريخ ، فجمع وبوب واستخلص ولاءم وساق الحالة الى اختها وأجاب عن السؤال بقرينة تؤيد الجواب ، عن وجود البشر وانتقالات الدول وأطوارها ، وفق دراسة «أدت به الى الرؤية الواضحة والهيمنة على تفكك هذا التاريخ الواقعي ، عن طريق تعميم وقائع تتكرر ، واقامة العلاقات المتبادلة بين مختلف انواع الأحداث . وهذه المسيرة قادته الى مفهوم شامل للتأريخ ، والى تحليل للبنى الاجتماعية والسياسية وتفسير تطورها» (٢) . ليصوغ بعد ذلك كله قوانينه التي حملها كتابه الكبير (العبر) في مقدمته . تلك القوانين التي مثلت فتحاً انسانياً جديداً في مهاد المعرفة ، لواتيح لها من العلماء والباحثين العرب في

(١) نفس المصدر السابق

(٢) ايف لأكوست ، العلامة ابن خلدون ، ص ٧٧ .

عصر ابن خلدون او بعده من واصل المسيرة بذات النهج الذي ابتدعه ابن خلدون لقدموا للأنسانية مدرسة عربية متطورة في الفكر الأجتماعي . وليت اللاحقين له وعوا قوله في خاتمة المقدمة : « هذا الكتاب الأول الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه ، وقد استوفينا من مسائله ماحسبناه كفاية ، ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوض من مسائلة على اكثر مما كتبنا ، فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله ، وانما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله ومايتكلم فيه . والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً الى ان يكمل » (١) . ولكن ذلك لم يحدث حتى القرون الحديثة ، حين ابتدع الغرب هذا الأتجاه العلمي اوادعاه .

(٢)

حفظ لنا الزمان — فيما يتعلق بكتبه — بعضاً منها ، ولم يخلد البعض الآخر الا في الكتب التي اشارت الى اسمائها وشيء مما تضمنته. فما وصلنا كاملاً كتابه الكبير او تاريخه (العبر) وهو في سبعة مجلدات ، تضمن الدراسة التأريخية التي شملت أغلب اجزاء الكتاب فيما يتعلق بتأريخ العرب وغيرهم من الأقوام ، اذ تتبع مسيرة البشرية منذ بداية الخليقة الى نهاية القرن الثامن ، سالكا في ذلك نهجاً جديداً خالف به من تقدم من المؤرخين ، حين أهمل الترتيب الزمني (السنوي) للاحداث وقسمها على فصول . وفضلاً عن الدراسة التأريخية هذه ، فقد شمل مؤلفه كتابين آخرين هما : المقدمة ، او ماسمي بـ(مقدمة ابن خلدون)(٢) ، وهو أخطر مؤلفات هذا الرجل ، ففيه طرح البعد النظري لدراسته التأريخية تلك ، وما استقر في ذهنه من آراء ونظريات وقواعد في تفسير فلسفة التأريخ والاجتماع . اما الكتاب الآخر فهو كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً) ، وقد الحق ذيلاً لتأريخه (٣) وقد تطرق فيه الى مايخص عائلته ونشأته وتفصيلات حياته واحداثها . وفيه اورد اشعاره ورسائله الأخوانية — ويبدو ابن خلدون مبدعاً في كتبه الثلاثة هذه بشكل او آخر . ففي المقدمة كانت نظرياته الجديدة . وفي تأريخه كان اسلوبه الجديد في ترتيب الاحداث وما اورده من المعلومات عن الاقوام من غير العرب لاسيما البربر (٤) اما في التعريف فلعله من اوائل المؤرخين العرب الذين كتبوا مذكراتهم الشخصية . ومن

---

(١) المقدمة ، ص ١١٦٩ .

(٢) ينظر عبدالرحمن بدوي ، مؤلفات ابن خلدون ص ٢٩ وما بعدها .

(٣) طبع مستقلا في القاهرة عام ١٩٥١ ، وحققه محمد بن تاويت الطنجي .

(٤) ينظر : العبر ، الاجزاء الخاصة بدراسته للبربر .

كتبه المطبوعة الاخرى كتابه (شفاء المسائل لتهذيب المسائل)(١) . اما كتبه التي ذكرت ولم تصلنا فهي : شرحه للبردة وكتاب في الحساب ورسائل في المنطق ورسائل في اختصار فلسفة ابن رشد واختصار لفلسفة ابن عربي وغيرها من الكتب التي ذكرها له ابن الخطيب في كتابه الاحاطة (٢) .

(٣)

ولابن خلدون وجه آخر غير وجه العالم والمؤرخ والفيلسوف الاجتماعي ، إنه وجه الأديب الكاتب والشاعر ، فلقد سعى أن يكون اسلوبه مظهراً جديداً في الكتابة الرسمية والأدبية في عصره . وبمقدار ماناله من الحظ في مؤلفه الذي اقامه على اسلوب منطقي وتعبير سائغ واضح ، فأن القارىء المتمعن لطريقته لن يجد له خصائص معينة تجعله صاحب أسلوب خاص في الكتابة كالجاحظ وابي حيان مثلاً ، إذ «لم يكن لديه من قوة التعبير مايتفق وقوة التفكير» كما يقول طه حسين (٣) ، «فقد أفلح في التعبير عن مذهب فلسفي كامل ، ولكنه لم يستطع أن يسبغ على فلسفته لغة خاصة به فأنا نجد في مؤلفه لغة الفقهاء والنحويين وعلماء المنطق» (٤) .

وكان لابن خلدون رسائل اخوانية (٥) ، يمكن عدها قطعاً انشائية تمثل بعضاً من عنايته بأسلوب كتابته . ويصف ابن الخطيب أدبه بأنه «خلع بلاغة ورياض فنون ومعادن ابداع يفرغ عنها يراعة الجرىء ، شبيهة البداءات بالخواتم في نداوة الحروف وقرب العهد بحرية المداد ونفوذ امر القريحة واسترسال الطبع» (٦) .

وكان له شعر ، إذ «لم يكن ابن خلدون عقلاني التفكير وحسب ، ولكنه كان كذلك مرهف الحس رقيق الشعور» (٧) . وقد لاحظ بعضهم أن شعرة «تبدو عليه مسحة من التصوف ، وانه ينحو في كثير من قصائده منحى الشعراء الصوفيين في صوغ الغزل الروحي ،

---

(١) حققه محمد بن تاويت الطنجي ونشر عن مطبعة عثمان يالسن باستنبول عام ١٩٥٨ .
(٢) ينظر : المقري ، نفح الطيب ١١١/٥ .
(٣) طه حسين ، الاعمال الكاملة ، ٣٢/٨ . وعبدالرحمن بدوي ، مؤلفات ابن خلدون ص ٢٩.
(٤) المصدر نفسه .
(٥) أورد كثيراً منها في كتابه «التعريف» .
(٦) المقري ، ٤١٤/٤ .
(٧) موافي ، ابن خلدون ناقد التأريخ والأدب ، ص ٢٩ .

وقد كان ابن خلدون على مايظهر يجيش بنزعة صوفية » (١) . ومما يغلب على اغراض شعره اقتصار معظمه على قصائد المناسبات من تهان ومديح وتذكير بالصحبة والصداقة وما الى ذلك من أمور ذاتية . ويغلب عليه فنياً أنه شعر ذهني يهتم بالفكرة ، ويقوم على أساس البناء المنطقي ، اذ تقل فيه أهمية الصورة ويغلب على بعضه انه شعر تقليدي لما شاع في تلك المراحل من شعر (٢) .

(٤)

والمقدمة هي أشهر مؤلفاته واخطرها، ففيها طرح البعد النظري لدراسته التأريخية اللاحقة وما استقر في ذهنه من آراء ونظريات وقواعد في فلسفة التأريخ والاجتماع واصفاً تطور الامم وانتقالاتها في أدوار الحضارة، مبيناً عوامل ذلك والمؤثرات الي تطبعه سيمائها وانعكاس تلك الاحوال في الاجتماع والسياسة والدين والعلوم والآداب وأضراب الفنون. وبمقدمته هذه يرجع الفضل اليه في «أن الآداب العربية تستطيع أن تفخر بأنها كانت الأولى في وضع الفلسفة الاجتماعية في قالب علمي» (٣).

اما فلسفته فكان فيها «من فلاسفة التأريخ وفلاسفة المعرفة والعلم، وباحثاً اجتماعياً ملماً بكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية محاولا أن يتوصل الى تفسيرات علمية لها» (٤) وتتكون المقدمة من خطبة الكتاب العامة، وتستغرق عدة صفحات منها، تحدث فيها عن التأريخ وأهميته، ونظرته له، ومنهجه في دراسته(٥) .

ثم تأتي مقدمتها التي اسهب في الحديث فيها عن فضل علم التأريخ وتحقيق مذاهبه والالماح الى مايعرض للمؤرخين من الخطأ او السهو (٦).

وبعد الخطبة والمقدمة بدأت مادة الكتاب الرئيسة . وقد قسمها الى أبواب ستة، لكل باب فصول متعددة تختلف في مادتها وحجمها. وأدار موضوعات الابواب الخمسة الأولى في العمران والمجتمع والسياسة واحداث التأريخ واصنافها، والتعليم وطرقه وسائر وجوهه.

---

(١) عنان ، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، ص ٣٤ .

(٢) للاطلاع على نماذج من شعره ينظر كتابه (التعريف) ، الصفحات ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٣٣١ .

(٣) طه حسين ، الاعمال الكاملة ، ٢٩/٨ .

(٤) مهيل عثمان ، من مقدمة ابن خلدون ، ص ٧ .

(٥) المقدمة ، ص ٢ وما بعدها .

(٦) المقدمة ، ص ١٢ وما بعدها .

ثم يتناول في فصول عدة تضمنها الباب السادس العلوم الموجودة في عصره، من علوم القرآن، والحديث النبوي والفقه والفرائض، والعلوم الطبيعية من طب وحساب وجبر وهندسة وكيمياء ثم التصوف والعلوم الآلهية، حتى اذا انتهى الى العلوم اللسانية بدأ بالحديث عن مايختص باللسان العربي منها، من نحو ولغة وأدب.



الفصل الثاني
في مفهوم الأدب ونقده :

(١)

يرى ابن خلدون إن الأدب علم «لاموضوع له ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها»(١). فاذا كان لكل علم موضوع يفهم من خلاله، وينظر اليه على انه دليله الذي يتقصى ما يقع فيه ،فيفسره ويقرب مناحيه، فأنه لايرى الأدب كذلك ، لأنه يراه مقصوداً لذاته «وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الأجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب» (٢) .

حتى اذا وقفنا على حد هذا العلم وجدناه يرتضي ماقاله من سبقه كونه: «حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف»(٣) .

وهذا المفهوم يبدو أوسع مما وقفت عنده كلمة أدب حين اقتصرت على ذلك النوع من الابداع القائم على استخدام الكلمة على نحو خاص يخلق منها عملا فنياً معبراً — غير انك حين تنظر الى ماارتضاه ابن خلدون تجده لايقف عند ذلك لأنه يجعله شاملا لما هو غير الشعر والنثر، والاخذ من كل علم بطرف يجعله اقرب الى مفهوم الثقافة ومستلزماتها ولكن مايجعل ابن خلدون على ادراك واع لخاصية مفهوم الأدب ذلك الأهتمام الجاد الذي يوليه للغة حين يعلي مكانها في البناء الأدبي . فهو يراها ملكة أساس ينبغي العناية بها كلياً لايداع عمل أدبي مهم. وهو يرى ان الملكة اللغوية هذه لاتحصل «بالنظر الى المفردات وإنما هو بالنظر الى التراكيب ، فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع» (٤) .

وعلى هذا الأساس فأن على من أراد الاجادة في أحد فني الأدب أن يجمع «من كلام العرب ماعساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة ، وسجع متساو في الأجادة ومسائل

(١) المقدمة ، ص ١٠٦٩ .

(٢) و(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥٤ .

من اللغة والنحو مبثوثة اثناء ذلك متفرقة، يستقرىء منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به مايقع في اشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة» (١) .

وحين تبحث عن المصادر التي تكون دليلك في ادراك طبيعة هذا الفن عند العرب، يرشدك ابن خلدون الى «أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها» (٢) . حتى اذا وجد أنه بلغ الغاية في تحديد مفهوم الأدب ومسائله اخذ بالحديث عن اقسام الفن القولي (اللفظي) حيث وضعه في ثلاثة أقسام حد لكل منها حدوده ورتب له مواصفاته وهي عنده : الشعر والنثر، والقرآن، فالشعر «هو الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية» (٣) والنثر: «وهو الكلام غير الموزون» (٤) . اما القرآن فهو وان كان من المنثور فانه «خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها» (٥) . ثم سعى الى تحديد سمات كل نوع منها إذ إن «لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند اهله لاتصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه» (٦) . فالشعر يختص بأساليب لاتعني من يهتم بالنثر كلياً، كالوزن مثلاً. كذلك تتمايز الفنون القولية هذه بالاغراض «مثل النسيب المختص بالشعر» (٧)

اما النثر «فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة.. ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقاً ولا يقطع اجزاءً، بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولاغيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم» (٨).

أما القرآن فقد نظر اليه على أنه اسلوب خاص قائم بذاته في القول الأدبي وهذه المسألة كما نرى تقييم خاص لأسلوب الصياغة القرآنية قائم على أساس تقديس كونه كتاباً منزلاً

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٥٣ .

(٢) المصدر نفسه . وهذه الكتب التي ذكرها تسير في ذات الاتجاه الذي ارتضاه لمفهوم الأدب في اطار واسع يشمل آفاقاً متعددة من العلوم والمعارف، امتلأت بها صفحات هذه الكتب .

(٣) و(٤) و(٥) و(٦)، المقدمة ص ١٠٩٣ .

(٧) المقدمة، ص ١٠٩٣ .

(٨) المصدر نفسه .

من الخالق. ولهذا الرأي الذي تبناه كثير من الفقهاء والعلماء — وابن خلدون احدهم— امتداد تأريخي لعلنا نرى بدايته منذ البعثة النبوية ، فقد حير القرآن بأسلوبه وصياغة الفاظه رجالات قريش وساداتها ومتكلميها ،حين سمعوه ،وكذلك وصفوه بأنه ليس من الشعر ولا هو من سجع الكهان أو أساليب الاستخدام اللفظي السائدة عندهم (١) . وقد تعمقت هذه النظرة لاحقاً عند الدارسين، لمسألة الاعجاز القرآني، اذ كانت واحداً من وجوه هذا الاعجاز عندهم وقبل ابن خلدون قال الباقلاني «إن نظم القرآن جنس متميز وقبيل عن النظير متخلص » (٢) .

(٢)

وحين ينظر ابن خلدون الى أدب عصره محاولا تطبيق أفكاره التي قالها في تثبيت حدود كل فن ادبي وما ينماز به لايفوته أن يتطرق الى مسألة التداخل بين فني القول، الشعر والنثر، فقد «استعمل المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الاسجاع والتزام القافية وتقديم النسيب بين يدي الاغراض ، وصار هذا المنثور اذا تأملته من باب الشعر وفنه ،ولم يفترقا إلا في الوزن» (٣) .

واذا كان جائزاً مستساغاً في الكتابة الأدبية عند التراسل بين الأصدقاء، وفي الاخوانيات فان ابن خلدون يرى ان ذلك مذموم في المخاطبات السلطانية والكتابة للملوك « والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في الأقل النادر ، وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف» (٤) وسبب ذلك كما يراه أن «أساليب الشعر تباح فيها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والاطناب في الأوصاف وضرب

(١) ذكرت الكتب التي عرضت هذه المسألة أن قريشاً بعثت عتبة بن ربيعة إلى النبي محمد (ص) ليكلمه ويسمع منه ، وكان من أهل الفصاحة وبليغ الكلام . وقد سمع من الرسول بعض آيات القرآن . وحين عاد إلى قومه ، قال لهم أن ما سمعه ليس من جنس كلامهم ، ولو كان كذلك لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد عليه . وقال الوليد بن المغيرة عن القرآن الكريم : « والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما تقول ذلك بشر» . وللمزيد يمكن مراجعة الكتب التي تطرقت إلى قضية اعجاز القرآن.

(٢) الباقلاني ، اعجاز القرآن ، ص ١٥٩ .

(٣) المقدمة ، ص ١٠٩٤ .

(٤) المقدمة ، ص ١٠٩٥ .

الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات» (١).. وما حمل أهل عصره على ذلك «الا إستيلاء العجمة على السنتهم، وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد أمده في البلاغة وانفساح خطوته وولعوا بهذ المسجع، يلفقون به ماينقصهم من تطبيق الكلام على المقصود» (٢) . ولا يفوته القول أن هذه الظاهرة واضحة في أدب المشرق: «وأكثر من أخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر أنحاء الكلام كتاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد، حتى إنهم ليخلون بالاعراب في الكلمات والتصريف اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لايجتمعان معها فيدمجون ذلك الصنف من التجنيس، ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس» (٣).

واذا عاد ابن خلدون الى مسألة الابداع في فني القول (الشعر والنثر) ، فأنه يرى أن الندرة الأبداعية فيهما معاً لاتجتمع في شخص واحد الا نادراً، إذ إن الاجادة في صناعة ما انما هي ملكة، والصناعة وملكاتها «لاتزدحم وان من سبقت له اجادة في صناعة فقل أن يجيد اخرى اويستولي فيها على الغاية» (٤) . وقياساً على ذلك فان عدم الأجادة في الفنين معا «ملكة في اللسان، فاذا سبقت الى محله ملكة اخرى قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة»(٥) .

ويبدو هذا الرأي غير بعيد عن رأي قال به الجاحظ عند تطرقه الى المسألة ذاتها ، إذ يقول — وقد خصص حين عالج مسألة الأجادة في فن الشعر ، فهو يلاحظ أن هناك تفاوتاً بين الشعراء في الأجادة لبعض اغراض الشعر دون غيرها ، فمنهم من يحسن المديح ويعجز في الهجاء ، ومنهم المجيد في الغزل دون سواه ، وهي مسألة لا تتعدى طبيعة الانسان، وهي عند الجاحظ طبيعة وعند ابن خلدون ملكه ، ونرى أنهما لفظتان لمسمى واحد — « وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام وتكون له طبيعة في التجارة وليست له طبيعة في الفلاحة ، وتكون له طبيعة في الحداء او في التغبير او في القراءة بالالحان وليست له طبيعة في الغناء ..... ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والأسجاع ولايكون له طبع في قرض بيت شعر » (٦) .

(١) و(٢) المصدر نفسه .

(٣) المقدمة ، ص ١٠٩٦ .

(٤) و(٥) المصدر نفسه .

(٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢٠٨/١ . وينظر : علي حداد ، الشعر والشعراء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، بحث في مجلة الطليعة الأدبية . العدد ١٢ كانون الأول ١٩٨١ ، ص ٢٨ .

ولاتقتصر المسألة عند ابن خلدون على اتقان واحد من نوعي الأدب والاجادة فيه وانما يجعلها قضية اساسية تشمل مختلف صنوف الصنائع والملكات . لاسيما اللغة التي يخصها بالحديث «فالأعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لايستولي على ملكة اللسان العربي ، ولايزال قاصراً فيه ولو تعلمه وعلمه » (١) .

(٣)

لم يترك ابن خلدون قضية اللفظ والمعنى تمر دون أن يدلو بدلوه فيها ويحدد موقفه منها . وقضية اللفظ والمعنى ليست بالقضية المستجدة في عصر ابن خلدون ، فقد دار حولها الحديث منذ المراحل الأولى لقيام ملامح حركة نقدية عربية ، إذ انقسم النقاد القدامى بين مرجح للفظ على المعنى او مرجح للمعنى على اللفظ . وقد برزت أول مابرزت في ملاحظات وردت في صحيفة بشر بن المعتمر (ت. ٢١٠هـ) (٢) . واخذت جانباً من اهتمام الجاحظ (ت. ٢٥٥هـ) الذي اعطى اللفظ حقا يفوق حق المعنى (٣) . اما قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) فرأى «أن المعاني كلها معروضة للشاعر ، وله ان يتكلم منها فيما أحب وآثر ، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة » (٤) . حتى اذا وصلنا زمن عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) وجدناه قد ثار على هذه الثنائية ، واحل محلها نظرية النظم او التأليف ، اذ يرى ان «الالفاظ لاتتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ، ولامن حيث هي كلم مفردة — وان الالفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما اشبه ذلك مما لاتعلق له بصريح اللفظ . ومايشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر » (٥) .

---

(١) المقدمة ، ص ١٠٩٦ .

(٢) أوردها الجاحظ في البيان والتبيين ، ١/١٣٦ وفيها يقول ابن المعتمر : «ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما» . وعن المعنى يقول : «والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال» .

(٣) يقول الجاحظ : «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك» «الحيوان ، ٣/١٣١» .

(٤) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص ٦٥ .

(٥) عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص ٥٠ .

وتعود المسألة الى سابق عهدها عند ابن الاثير (٦٣٧هـ) الذي يفصل بين اللفظ والمعنى، ويجعل الالفاظ في خدمة المعاني : « فاذا رأيت العرب قد أصلحوا الفاظهم ، وحسّنوها ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها ، فلا تظنن أن العناية إذ ذاك انما هي بالالفاظ فقط ، بل هي خدمة منهم للمعاني » (١) . حتى اذا وصلنا زمن حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) وجدناه قد قال الحكم الفصل حين عاد بالقضية الى ما أقره الجرجاني فآمن بالوحدة العضوية داعيا الى الترابط بين الألفاظ والمعاني ، موسعاً مفهوم ذلك (٢) .

وحين نعود الى مارآه ابن خلدون في هذه المسألة نجده قد محض الالفاظ عنايته . فمع أنه كان يرى أن الكلام «الذي هو العبارة والخطاب انما سرّه وروحه في افادة المعنى » (٣) اذ ليس للفظ المفرد المجرد فائدة إن لم يعط معنى ، فأن ذلك لايقوده الى تقديم المعنى على اللفظ في البناء الابداعي ، فهو يقول : « اعلم إن صناعة الكلام نظماً ونثراً انما هي في الالفاظ لافي المعاني ، وانما المعاني تبع لها وهي أصل » (٤) . فالبناء الأبداعي عنده ليس ذاته البناء اللفظي الذي نفصح به عن دواخلنا في الكلام العادي الذي يكون الغاية منه المعنى ، وانما هو صناعة واتقان لايقع الا للمبدع إذ «إن اللسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل شأن الملكات ... والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ ، واما المعاني فهي في الضمائر ، وايضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد ... فلا تحتاج الى تكلف صناعة في تأليفها . (٥) ويشبه المعنى بالماء واللفظ بالاناء الذي يحمله ، « فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لاباختلاف الماء ، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة في نفسها » (٦)

---

(١) ابن الأثير ، المثل السائر ، ٦٦/٢ .

(٢) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص ٣٦٤ . حيث دعا إلى ترابط المبنى بالمعنى المساق اليه واتصالهما ببعضهما ، وإلى الربط بينهما والحالة الشعورية التي تتفجر في العمل الابداعي ، فالغزل غير الفخر أو المديح . واطلق على ذلك تسمية (المنازع الشعرية) التي يقول عنها ، ص ٣٦٥ «إن المنازع هي الهيئات الحاصلة عن كيفيات مأخذ الشعراء في أغراضهم ، وانحاء اعتماداتهم فيها ، وما يميلون بالكلام نحوه ... حتى يحصل بذلك للكلام صورة تقبلها النفس او تمتنع من قبولها» .

(٣) المقدمة ، ص ١٠٩٦ .

(٤) المقدمة ، ص ١١١٠ .

(٥) و(٦) المصدر نفسه .

على أنه ينبغي الايغيب عن البال أن ابن خلدون لايقصد باللفظ هنا الكلمة المفردة بل نظم الكلام أو الأسلوب الذي يقول عنه انه «المنوال الذي تسبح فيه التراكيب او القالب الذي يفرغ فيه . ولايرجع الى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الاعراب، ولاباعتبار افادته أصل المعنى من خواص التركيب ، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولاباعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه ، الذي هو وظيفة العروض ... وانما ترجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب او المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب ، باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصاً ، كما يفعله البناء في القالب او النساج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه » (١)

ويبدو ابن خلدون رائداً في تحديد مصطلح الأسلوب ودلالته في الاستخدام النقدي اذ لم يرد قبله بالدلالة ذاتها التي وردت عنده والتي تلتقي مع مايدل عليه هذا المصطلح اليوم (٢) . وكعادته فقد سعى الى صياغة علمية لنظرية محددة في الأسلوب ، مشترطاً ان يجري على انماط الصياغة العربية واصولها ، ولقد استطاع أن يفرق بين العوامل المشتركة في التعبير في علوم اللسان العربي (من نحو وصرف وبلاغة وعروض) وصياغة هذه التراكيب اللفظية صياغة خاصة تتمثل في صورة ذهنية متفردة منتزعة من اعيان التراكيب يخرجها خيال المنشيء كالقالب أو المنوال ، وان ينتقي التراكيب الصحيحة باعتبار الاعراب والبيان ويرصها في ذلك القالب .

---

(١) المقدمة ، ص ١٠٩٩ .

(٢) يعرف الاسلوب بأنه «طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والأبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها ، ولا سيما في اختيار المفردات وصياغة العبارات والتشابيه والايقاع» جبور عبدالنور ، المعجم الأدبي ، ص٢٠ .

الفصل الثالث

في دراسة الشعر العربي ومذاهبه

اهتم ابن خلدون بايجاد تعريف شامل للشعر على نحو دقيق . فاذا كان التعريف الذي ساد واشتهر ، أن الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى (١) ، فان ابن خلدون لايرى في ذلك رصداً دقيقاً لتعريف الشعر . ويبدو له ان هذا التحديد كان من وضع العروضيين «وصناعتهم إنما تنظر في الشعر من حيث اتفاق أبياته في عدد المتحركات والسواكن على التوالي ، ومماثلة عروض أبيات الشعر لضربها ، وذلك نظر في وزن مجرد عن الالفاظ ودلالتها» (٢) . ويرى ابن خلدون ان هذا لايصلح لاعطائنا تصور شامل لحد الشعر ، لأننا «ننظر في الشعر باعتبار مافيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة» (٣) .

واذا انتهى الى هذا الموقف فأنه يرتضي التعريف التالي ، لمفهوم الشعر ومعناه . فهو عنده «الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة» (٤) .

ويبدو أنه رأى في تعريفه هذا ماينبغي توضيحه ، فراح يفصل فيه قائلا : «فقولنا : الكلام البليغ جنس ، وقولنا : المبني على الاستعارة والأوصاف فصل له عما يخلو من هذه ، فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا : المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل . وقولنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لأن الشعر لاتكون أبياته الا كذلك ، ولم يفصل به شيء . وقولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به ، فصل له عما لم يجر منه على أساليب الشعر المعروفة ، فانه حينئذ لايكون شعراً ، إنما هو كلام منظوم (٥)» ، لان الشعر له أساليب تخصه ، لاتكون للمنثور .

ولا يشارك ابن خلدون الجاحظ رأيه في كون الابداع في الشعر مقصور على العرب وحدهم ، فالشعر عند الجاحظ ماقالته العرب دون سواهم ، لأن البديهة مقصورة عليهم دون الأمم الاخرى ، فهم أفهم وأنطق الخلق ، ولغتهم أوسع وألفاظهم إدق ، أذ « أن

(١) لعل قدامة بن جعفر أول من قال بهذا .ينظر : نقد الشعر ، ص ١٥ .

(٢) و(٣) المقدمة ، ص ١١٠٤ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المقدمة ، ص ١١٠٥

العرب أنطق وأن لغتها أوسع ، وأن الفظها أدلّ ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والامثال التي ضربت فيها أجود وأسير . والدليل على أن البديهة مقصورة عليها والارتجال والاقتضاب خاص فيها» (١) .

واذا كان الجاحظ لايقطع نهائياً بما يحرم الامم الاخرى من ملكة الشعر فأنه يرى أن مالتلك الاقوام منه لايرقى الى ماللعرب من عطاء فيه : «وما الفرق بين اشعارهم وبين الكلام الذي تسميه الروم والفرس شعراً، وكيف صار النسيب في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي الحانهم أنما يقال على ألسنة نسائهم . وهذا لايصاب في العرب الاالقليل اليسير . وكيف صارت العرب تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة فتضع موزوناً على موزون . والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون» (٢) .

أما أبن خلدون فله في هذه المسألة رأي آخر . يقول «إعلم أن الشعر لايختص باللسان العربي فقط ، بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية أو عجمية ، وقد كان في الفرس شعراء وفي اليونان كذلك» (٣) . وحين يعلل أبن خلدون هذا الأمر يقول : « كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر» (٤) .

وهو يتابع الرأي القائل بأن الشعر العربي قائم على وحدة البيت ، فعنده أن هذا الشعر «ينفرد كل بيت منه بأفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح او نسيب أو رثاء . فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت وما يستقل في أفادته ثم يستأنف في البيت الاخر كلاماً آخر كذلك» (٥) .

وفيما يتعلق بالوزن يرى أبن خلدون أن أوزان الشعر العربي — وهي عنده خمسة عشر بحراً ، فكأنه لم يشر الى المتدارك الذي أضافه الاخفش الاوسط (٢٢١هـ) — انما هي ما يساير الطبع العربي ، إذ «ليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن وإنما هي أوزان مخصوصة يسميها أهل تلك الصناعة البحور . وقد حصروها في خمسة

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٣٨٤/١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣٨٥/١ .

(٣) و(٩) المقدمة ، ص ١١٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٩٨ .

(٥) المصدر نفسه . وينظر أيضاً : عبدالحميد الراضي ، شرح تحفة الخليل ، ص ١٧ .

عشر بحراً ، بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظماً» (١).

وعن لغة الشعر يرى ضرورة أن تكون فصيحة واضحة الدلالة خالية من التعقيدات اللفظية والمعنوية . وعلى الشاعر أن يتجنب «الحواشي من الالفاظ والمقعر وكذلك السوقي المبتذل بالتداول والاستعمال ، فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً ، فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة» (٢).

ويعالج ابن خلدون مسألة طريفة يبدو ان لموهبته الشعرية أثراً في إثارة تساؤلاته عنها تلك هي : كيف يصنع الشاعر قصيدته . وقبلها يحاول الاجابة عن السؤال الذي يقول كيف يصبح المرء شاعراً .

إن الوصول الى الشاعرية تبدأ كما يراها من الاهتمام بحفظ الشعر ، الجيد منه خاصة «وعلى مقدار جودة المحفوظ او المسموع ، تكون جودة الاستعمال من بعده ، ثم إجادة الملكة من بعدهما فبأرتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة ، لأن الطبع إنما ينسج على منوالها» (٣) .

ويرى أن حصول الملكة بالحفظ لايقتصر على الشعر وحده بل يشمل الجوانب الابداعية كلها «فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار ، والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها» (٤)

ولا شك عنده في أن نوعية هذا المحفوظ وطبيعته هي التي تحدد مسار الملكة التي يحملها الأديب مستقبلا : «فملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها إنما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام . ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة ، وما ذاك الا لما يسبق الى محفوظهم ويمتليء به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية» (٥) .

وماذا يحفظ من يبتغي أن يصبح شاعراً ؟

---

(١) المقدمة ، ص ١٠٩٨ . وكأن ابن خلدون يشير هنا على نحو غير مباشر إلى البحور المهملة التي تذكرها كتب العروض ، فيما ترسمه للعروض العربي من دوائر وزينة موسيقية . ينظر : شرح تحفة الخليل مثلا .

(٢) و(٣) و(٤) و(٥) المقدمة ، ص ١١١٢ — ١١١٣ .

يجيب أبن خلدون : أنه يحتاج الى حفظ كثير من جيد الشعر ، «وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي منه شعر شاعر من الفحول الأسلاميين ، مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجرير وابي نواس وحبيب والبحتري والرضي وابي فراس» (١) .

وبعد أن يحفظ الأديب كثيراً من الشعر عالي النوعية تبدأ مرحلة لاحقة يراها أبن خلدون ضرورية – اذ عليه «نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هي صادة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتعش الأسلوب فيها ، كأنه منوال يأخذ بالنسيج عليه بامثالها» (٢) .

ولاتظن أن أبن خلدون قد نسي دور الموهبة في هذا السياق . غير أنه يجعل الاجادة منوطة بالحفظ الكثير ، اذ لاتكفي الموهبة والقابلية وحدها : «ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ولا يعطيه الرونق والحلاوة الاكثرة الحفظ ، فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر ، وانما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ»(٣).

ويضع شرطاً رابعاً بعد الموهبة والحفظ ونسيان المحفوظ ، وذلك هو «الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار ، وكذا من المسموع لاستثارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور» (٤)

وعن أي الاوقات أصلح للنظم يقول : إن «خير الاوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر» (٥) .

(١) المقدمة ، ص ١١١٣ . وفيما يذكره ابن خلدون من أسماء يلاحظ أنه يهمل ذكر شعراء ما قبل الأسلام . كما يسقط اسمي شاعرين كبيرين هما المتنبي والمعري . وسوف نرى مبررات ذلك في صفحات لاحقة .

(٢) المقدمة ، ص ١١٠٥ . سبقه إلى ذلك بشر بن المعتمر في صحيفته حيث يقول : «فإن ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة ، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكر ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه بياض يومك وسواد ليلتك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة» تنظر : صحيفة بشر بن المعتمر في البيان والتبيين للجاحظ ، ١/١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المقدمة ، ص ١١٠٦ .

(٥) المصدر نفسه . ولم يكن ابن خلدون سباقاً في ذلك ، فقد مر على هذه المسألة اكثر من ناقد وشاعر عربي قديم ، فنجد لها ذكر في صحيفة بشر بن المعتمر ، وكذلك في وصية ابي تمام البحتري

وحين يبدأ الاديب الشاعر كتابة قصيدته ، وليس أمامه غير اللغة أداة يصنع منها أدبه ينصحه أبن خلدون ، فيقول : «ليجتنب الشاعر أيضاً الحواشي من الالفاظ والمقعر ، وكذلك السوقي المبتذل بالتداول والاستعمال ، فأنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة . وكذلك المعاني المبتذلة بالشهرة ، فان الكلام ينزل بها عن طبقة البلاغة فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة ، كقولهم : النار حارة والسماء فوقنا (١) .

وماذا اذا لم يدن غصن الشعر باثماره لصاحبه فيقطف منها ؟

يقول أبن خلدون : «واذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده ، فان القريحة مثل الضرع يدر بالامتداد ويغرر بالترك والاهمال» (٢) .



(١) و(٢) المصدر نفسه .

الفصل الرابع

الشعر العربي عبر عصوره التأريخية

بعد أن تحدث ابن خلدون عن الشعر باطار نظري مال الى تتبع تطبيقي يستقصي مضامينه ضمن رؤية فيها شيء من خصوصية نظرته للشعر العربي عبر مراحله وعصوره المختلفة ملاحقاً ذلك ضمن أدواره التأريخية .

في البدء نظر ابن خلدون الى الشعر العربي ومكانته عند أهله العرب ، فرآه محط اهتمامهم وموطن عنايتهم ، فقد كان الشعر «ديواناً للعرب فيه علومهم واخبارهم وحكمهم(١)» . وكان الشعر «شريفاً عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلاً يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم (٢)» . واذ انتهى الى ذلك رأى انه من الضروري أن يحدد للشعر العربي مايراه فيه من سمات وخصائص دالة رآها هو . فالشعر «في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى (٣)» .

وحين ينظر الى بنائه يراه «كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير .. وكل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً (٤)» .

وبعد أن قرر قيامه على وحدة البيت يرى انه «اذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو نسيب أو رثاء ، فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت مايستقل في افادته ، ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ، ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بأن يوطي المقصود الأول ومعانيه الى أن يناسب المقصود الثاني ، ويبعد الكلام عن التنافر ، كما يستطرد من النسيب الى المدح ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب او الخيل او الطيف ، ومن وصف الممدوح الى وصف قومه » (٥) .

---

(١) المقدمة ، ص ١١٢٢ .

(٢) المقدمة ، ص ١٠٩٨ .

(٣) المقدمة ، ص ١٠٩٧ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٩٨ .

والشعر عند العرب بناء خاص وطبع وسليقة ، إذ «كانت ملكته مستحكمة فيهم »(١) ومن أراد أن يعرف خصائص هذا الفن عندهم ، وسعى الى اتقانه مثلهم سيجده «من بين الكلام صعب المآخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ، ويصلح أن ينفرد دونما سواه ، فيحتاج من أجل ذلك الى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب »(٢) .

ويرى ابن خلدون أن العرب لم يستعملوا في اشعارهم من الكلام كل مايصح في قياس كلامهم وقوانينه العلمية ، «وانما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطلع عليها الحافظون لكلامهم ، تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية . فاذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم لافيما يقتضيه القياس . ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب في الذهن إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم (٣)» .

(١)

وعند انتقال ابن خلدون الى الحديث عن مراحل الشعر العربي ابتدأ بشعر ماقبل الاسلام (العصر الجاهلي) ، فحدد مكانته ومدى ماحصل عليه شاعره من رفعة المنزلة عند أهل عصره ، حاصلاً على تلك المكانة من قيمة الشعر ذاته عندهم ، إذ كان مهماً مبجلاً ، «وكان رؤساء العرب متنافسين فيه ، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لأنشاده .. وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر ، لتمييز حوكه . حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم بأركان البيت الحرام ، موضع حجهم ، وبيت أبيهم ابراهيم (٤)» .

وعند الحديث عن المعلقات ، وهي ابرز قصائد ذلك العصر واروعها ، كرر ابن خلدون مااورده من سبقه من الأدباء عن سبب تسميتها وتابع من قال إنها سبع لاعشر (٥)

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٩٩ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المقدمة ، ص ١١٢٢ .
(٥) المصدر نفسه ، وفيما يخص المعلقات ينظر : الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، حيث ذكر الزوزني سبع معلقات ، واضاف اليها التبريزي ثلاث اخرى .

غير أن مايذكره من أسماء لأصحاب هذه القصائد يبدو مشوباً بالاضطراب ، فهو حين قال في مسألة تعليقها باستار الكعبة أردف ذلك بقوله : «كما فعل أمرؤ القيس بن حجر ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة إبن عبدة ، والأعشى ، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع» (١) .

ويبدو الاضطراب في جملة مسائل تضمنها هذا النص ، فاذا كان ابن خلدون قد تابع من قال ان المعلقات سبع قصائد فانه لايتفق في أسماء شعرائها مع غيره إذ يضيف اسماء، ويحذف اخرى ، ويستبعد من أصحاب المعلقات عمرو بن كلثوم التغلبي ، ولبيد بن ربيعة العامري ، والحارث بن حلزة اليشكري ، وعبيد بن الابرص ، ليدخل علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) . ثم يضعنا في لجة الاضطراب حين ينهي قبوله بعبارة «وغيرهم من أصحاب المعلقات» ، فهل يذكر هذه الإسماء لمجرد التمثيل دون القصد بالجزم إن هؤلاء هم أصحاب المعلقات ؟ أم انه يرى أن اصحاب المعلقات هم معظم شعراء الجاهلية المجيدين الذين كانوا يحصلون على هذا الامتياز ، فتعلق قصائدهم باستار الكعبة ؟ والا فما علاقة علقمة بن عبده بقضية المعلقات ؟ .

(٢)

وحين وصل الى مرحلة الشعر الأسلامي عده أفضل من شعر المرحلة السابقة (الشعر الجاهلي) لاسباب تطرق اليها . وشغلته قضية طالما اهتم بها من سبقه ، تلك هي موقف الدين الجديد من الشعر .

بدأ الحديث عن انصراف أهل هذا العصر عن العناية بالشعر ونظمه . يقول : «ثم انصرف العرب عن ذلك أول الأسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه . فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ، ثم استقر ذلك ، وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي (ص) وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه (٢) .

واذا عدنا الى مسألة تفضيله للأسلاميين على الجاهليين وجدناه يصنع لها أسبابها . غير اننا ننبه الى أنه لم يقصد بالاسلاميين شعراء صدر الأسلام وحدهم ، جرياً على التقسيم

(١) المقدمة ، ص ١١٢٢ .

(٢) المصدر نفسه .

السائد . انه يجعل هذه التسمية تتسع لتشمل الشعراء الذين وجدوا في صدر الأسلام والدولة الأموية حتى اوائل أيام الدولة العباسية (١)» .

يقول ابن خلدون في مسألة المفاضلة هذه : «فأننا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والأحوص وبشار ... أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد (٢) .

ويرجع ذلك عنده ــ كما عند غيره من الباحثين والمؤرخين ــ الى ماجاء به الأسلام من افكار دينية واخلاقية وروحية وما حمله القرآن من بليغ الكلام وفصيحه الذي كان له تأثيره في نفوسهم ، اذ «إن هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث ، اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما ، لكونها ولجت في قلوبهم ، ونشأت على اساليبها نفوسهم ، فنهضت طباعهم ، وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ، ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها ، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقاً من اولئك وأرصف مبنى واعدل تثقيفاً بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة »(٣) .

(٣)

حين عطف ابن خلدون القول على الشعر العباسي ابتدأ بالحديث عن العصر واهتمام خلفاء بني العباس به ، ضارباً مثلاً بالخليفة هرون الرشيد مشيداً بما كان عليه من المعرفة والرسوخ بفنون الشعر «والعناية بانتحاله والتبصر بجيد الكلام ورديئه وكثرة محفوظه »(٤) «وانظر مانقله صاحب العقد ــ يقصد العقد الفريد ــ في مسامرة الرشيد للأصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ماكان عليه الرشيد من المعرفة بذلك »(٥) .

وقد جعلته دراسته للشعر العباسي يهتم بقضية وجدها ذات مكانة مهمة في شعر هذا العصر ، آثارها شعراؤه بأساليبهم الجديدة وموقفهم من اللغة واستعمالاتها والبلاغة وفنونها . تلك هي قضية (المطبوع والمصنوع)

(١) المقدمة ، ص ١١٢٣ .

(٢) المقدمة ، ص ١١[illegible] .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المقدمة ، ص ١١٢٣ .

(٥) المصدر نفسه .

واذا كان سر الكلام وروحه في افادة المعنى ، فان كمال هذه الافادة في البلاغة . والبلاغة عند ابن خلدون — واخذ ذلك من أهلها — كما يقول «مطابقة الكلام لمقتضى الحال (١) وللبلاغة شروطها التي استقرئت من كلام العرب . وحددت علومها بثلاثة : علم للمعاني وآخر للبيان وثالث للبديع . وهذه العلوم ذات آثار خطيرة في بناء الجملة العربية وتحديد صورتها في عمق دلالتها المعنوية وابداع صياغتها اللفظية .

فاذا كان علم المعاني كما يراه ابن خلدون ، مهتماً بالعلاقات اللفظية (الدلالية) التي تربط بين الالفاظ والتراكيب : «واحوال هذه التراكيب من تقديم وتأخير ، وتعريف وتنكير واضمار واظهار ، وتقييد واطلاق وغيرها ، يفيد الاحكام المكتنفة من خارج بالاسناد وبالمتخاطبين حال التخاطب ، شروط واحكام هي قوانين لفن يسمونه علم المعاني (٢) وغاية ذلك العلم افادة الدلالة وكمالها اللفظي المنطقي ، فان مايحصل في الكلام ويتبع هذه الافادة لمقتضى الحال «التفنن في انتقال التركيب بين المعاني باصناف الدلالات ، لأن التركيب يدل بالوضع على معنى ، ثم ينتقل الذهن الى لازمه أو ملزومه أو شبهه فيكون فيها مجازاً : إما باستعارة أو كناية كما هو مقرر في موضعه (٣) ، ليكون ذلك علم البيان . «ثم يتبع تراكيب الكلام في هذه السجية التي له بالأصالة ضروب من التحسين والتزيين ، بعد كمال الافادة وكأنها تعطيها رونق الفصاحة من تنميق الأسجاع والموازنة بين جمل الكلام وتقسيمه بالاقسام المختلفة الاحكام والتورية باللفظ المشترك عن الخفي من معانيه ، والمطابقة بين المتضادات (٤) ، وذلك هو علم البديع .

وللبلاغة وهي عنده «أصل الكلام العربي وسجيته وروحه وطبيعته »(٥) ، بعلومها أهمية في توسع دلالة المعاني واثراء اللغة بما تمنحه لالفاظها من سعة الدلالة وجمالية التركيب ، وذلك يقودنا — مع ابن خلدون — الى قضية المطبوع من الكلام والمصنوع منه في جنس الكلام ونوعه . فالمطبوع «يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيته من افادة مدلولة المقصود منه ، لأنه عبارة وخطاب ، ليس المقصود منه النطق فقط ، بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه مافي ضميره إفادة تامة ، ويدل به عليه دلالة وثيقة (٦) . ومافيه مـن

(١) المقدمة ، ص ١١١٧ . يعرف السكاكي البلاغة فيقول : « هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب وحقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » ، مفتاح العلوم ، ص ١٩٦ .

(٢) المقدمة ، ص ١١١٧ .

(٣) و(٤) و(٥) المصدر نفسه .

(٦) المقدمة ، ص ١١١٨ .

فنون البلاغة إنما هي محاولة «ليقع التجانس بين الالفاظ والمعاني ، فيحصل للكلام رونق ولذة في الاسماع وحلاوة وجمال كلها زائدة على الافادة (١) . وهو مانجده في كلام العرب قبل هذا العصر — العصر العباسي— «لكن عفواً من غير قصد ولا تعمد (٢)٠

اما المصنوع من الكلام فهوما اغرق صاحبه أدبه (شعراً ام نثراً) بملاحقة فنون البلاغة التي تزين الكلام قصداً وتكلفاً «لأنها اذا برئت من التكلف سلم الكلام من عيب الاستهجان لأن تكلفها ومعاناتها يصير الى الغفلة عن التراكيب الأصلية للكلام ، فتخل بالأفادة من أصلها ، وتذهب بالبلاغة رأساً ، ولا يبقى في الكلام الا تلك التحسينات (٣) .

واذا كانت فنون البلاغة حلية تمنح الكلام رونقها وزينتها ، ومن ثم تصبح فاصلاً بين مصنوع الكلام ومطبوعه ، فان لها شروطاً في الاستخدام ، يراها ابن خلدون ، اهمها عنده «الاقلال منها ... فتكفي في زينة الشعر ورونقه والاكثار منها عيب «(٤) ، يستوي في ذلك عنده الشعر والنثر (٥) .

وراى ابن خلدون أن ما ساد الشعر العربي منذ العصر العباسي الأول حتى عصره ، ذلك الاغراق في استخدام هذه المحسنات . فبعد أن كانت تقع عندهم عفواً ، أصبحت مقصودة لذاتها ، بدء ببشار بن برد وابن هرمة — اخر شاعرين يرى علماء اللغة ورواة الشعر القدماء جواز الاستشهاد بشعرهما في مسائل النحو واللغة ، مع مافي ذلك من خلاف بينهم (٦) — مروراً بمسلم بن الوليد وابي نواس وحتى شعر ابي تمام والبحتري وابن المعتز الذي على يديه اكتملت الصنعة وختم البديع والصناعة اجمع (٧) .

---

(١) (٢) (٣) (٤) المصدر نفسه ص ١١١٩ — ١١٢٠ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) بدأت مع اوائل القرن الثالث الهجري تظهر ملامح الحركة النقدية التي استتبت قواعدها في القرن التالي . ولعل ابرز ما يلاحظ على نقد القرن الثالث الهجري مسيطرة علماء اللغة على سوق النقد ، وهم بطبيعتهم المحافظة واهتمامهم بعلوم اللغة من نحو وفقه فقد حصروا جل اهتمامهم بالشعر القديم (لاسيما الجاهلي) وجعلوه موضع استشهاداتهم في مسائل اللغة وعلومها . ومن هذه النظرة فقد عدوا الشعر الذي يصح الاستشهاد به — ضمن منظار الفصاحة وسلامة اللغة — هو الشعر الذي سبق قيام الدولة العباسية . ينظر : طه احمد ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٤١٥ .

(٧) المقدمة ، ص ١١١٩ .

وينتبه الى مسألة مهمة تقع في مضمار نظرته الى القيم الاجتماعية وتبدلها وانعكاس ذلك في ميادين الصنائع والمعارف والفنون ، وتلك هي نظرة المجتمع الى الشعر . فبعد ان كان هذا الفن ، ومنذ العصر الجاهلي «ديواناً للعرب فيه علومهم واخبارهم وحكمهم ، وكان رؤساء العرب منافسين فيه » (١) اصبحت حالته ، لاسيما اواخر العصر العباسي ، غير ذلك ، إذ «أنف منه لذلك أهل الهمم والمراتب من المتأخرين ، وتغير الحال فيه ، واصبح تعاطيه هجنة في الرئاسة ومذمة لأهل المناصب الكبيرة »(٢) واذا بحثت عن علة ذلك يجيبك ابن خلدون ، واصلاً الأمر بالتغيير الذي حصل في بنية الفئة التي أصبحت متنفذة في شؤون الامة وسلطانها.فقد جاء الى مراتب السلطة أناس من غير العرب،ونهض شعراء العصر يمدحون اولئك المتنفذين من أمراء الترك والعجم «الذين ليس اللسان لهم طالبين معروفهم فقط ، لاسوى ذلك من الاغراض ... فصار غرض الشعر في الغالب إنما هو للكدية والاستجداء ، لذهاب المنافع التي كانت فيه للأولين (٣) .

ولعلنا نجافي الحقيقة اذا ماأخذنا برأي ابن خلدون هذا كلياً . صحيح أن تغيراً في ملكة اللسان قد حصل لأهل هذا العصر ، نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الاقوام التي استفحل أمرها ، لاسيما الفرس والاتراك ، في شؤون الدولة العباسية وصارت لهم سطوة، وجاء شعر هذا العصر على السنة شعراء مع عظمة عطائهم الأبداعي فيه ، فان اتقانهم اللسان العربي لم يكن طبعاً وسليقة كما هو الحال عند العرب السابقين ، «انما تعلموه صناعة» (٤) . ولكن ذلك لم يغض من أمر الشعر بشيء ، ولم يدل بدولته ، بل ان ماحصل كان تطوراً مدهشاً اذ استوى عود الشعر شامخاً ، وتطاولت معالم القصيدة العربية راسخة، تساوق ذلك حركة نقدية مثيرة . وتطاولت على مدى العصور اللاحقة قامات شعراء هذا العصر، وهم من أعظم شعراء العربية الخالدين. وازدهرت اغراض الشعر العربي، ليس المديح والكدية وحدهما ، كما راى ذلك أبن خلدون ، بل وفي اغراضه كلها . بما في ذلك الجديد الذي قدمه جديد الحضارة العربية الأسلامية . ولا ندري كيف ذهب الأمر بابن خلدون الى القول أن شعراء هذا العصر أمثال أبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم كان همهم الحصول على هبات الملوك والحكام وعطاياهم (٥) . وكيف غض بصره عن روائع شعرهم في مضامينه الخالدة والانسانية .

(١) المقدمة ، ص ١١٢٣ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المقدمة ، ص ١١٠٤ .

واذا كان ابن خلدون قد رأى رأيه هذا في الشعر العباسي ، فان مايلفت النظر فيه موقفه من شعر أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري ، يقول : «كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لانهما لم يجريا على أساليب العرب » (١) . ويضيف قوله : «كان شعرهما كلاماً منظوماً نازلا عن طبقة الشعر » (٢) .

واذا عاودت التبصر فيما قاله عن هذين الشاعرين محاولا اختيار السبل المناسبة لتوجيه رأيه فيها ستجد أمامك أكثر من تساؤل . فاذا كان الذي قاده اليه نظره الى البناء الفني لشعرهما من خلال رؤية نقديه تعتمد مقياساً فنياً مستنبطاً من استقراء لخصائص القصيدة العربية في عصور سيادة الملكة والطبع العربيين ، تأثراً بأراء بعض من سبقه من النقاد القدامى الذين كانوا يطالبون الشعراء بالتمسك بما أسموه عمود الشعر الذي وضعوا له قوانين وسمات وحدود ، ذكرها المرزوقي في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام (٣) ، ولذلك قال ابن خلدون أن شعرهما لم يجر على أساليب العرب فكان الذي دعاه الى هذا الموقف مارأه من خروج شعرهما على عمود الشعر ، وكانت غاية ابن خلدون الدفاع عن هذا العمود والالتزام بخصائصه ، فلم لم يقل ما قاله في شعر المتنبي وابي العلاء عن شعر أبي تمام ، وابو تمام فيما نظمه من شعر هو الذي أثار هذه القضيه وترك النقاد يغلون ضجتهم فيها ؟ ومن هنا نرى ان هذه القضيه ليست دافعه الى ما قاله .

لعل ما وجده في مضامين شعرهما من اهتمام بالمعنى الحكيم والفكره المعبرة عن رؤيه فلسفيه ، تجد للأمور مسبباتها وللافكار منطقها ، فرأهما حكيمين أو فيلسوفين أكثر منهما شاعرين ، وقال عن شعرهما انه كلام منظوم ، وهما ليس كذلك . ولو قال هذا عن شعر أبي العتاهيه لكنا معه . ولو أنه قاله عن شعراء الزهد والحكمة ، وهم كثر في العصر العباسي لما عارضه أحد . واذن فليس ذلك ما دعاه الى أن يرى شعرهما كما رأه .

---

(١) المقدمة ، ص ١١٠٤ .

(٢) المقدمة ، ص ١١٠٧ .

(٣) المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، ١/٩ حيث حددها بشروط سبعة فقال :
« إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف — ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سواء الامثال وشوارد الابيات — والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتأمها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، ومشاركة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لامناقرة بينهما . فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر » .

إن عودة الى قضية اللفظ والمعنى ، التي رأينا فيها ابن خلدون بجانب اللفظ اكثر مما هو الى جانب المعنى ، تقدم ـ كما يبدو لنا ـ ايضاحاً لموقفه هذا من شعر المتنبي وابي العلاء . فحرصه على نمط معين من الاستخدام اللفظي ، يعطي للعبارة وصياغتها ، ويقيمها على تصور خاص لمفهوم البلاغة والصياغة والأسلوب ، مما يهب اللفظ أهمية عالية تترك المعنى لاحقاً به . كل ذلك هو مادفع ابن خلدون الى أن يكون في الصف الذي لايرى هذين الشاعرين الكبيرين كما هما عليه .

(٤)

حين وصل الأمر بابن خلدون الى المتأخر من عصور الشعر العربي حتى عصره ، نجده لايكاد يتحدث عن شعر الشطرين (١) . بل يكاد يقصر الأمر على مااستجد في الشعر العربي من فنون ، بادئاً بما حصل في الاندلس من استحداث لانماط شعرية طريفة ، للبيئة الجديدة التي ازدهت فيها حضارة عربية باهرة أثر في شيوعها بما حملته هذه الحضارة من متغيرات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، ومظاهر السلوك واشكال العلاقات التي تربط بين فئات المجتمع الاندلسي وازدهار الحياة الثقافية ، والنشاط المبدع في آفاق المعارف والعلوم ، والبحث الدائب لانسان هذه الحضارة عن الجديد والعصري ، فأهل الاندلس «لما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح ، ينظمونه أسماطاً أسماطاً واغصاناً اغصاناً ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة (٢)» .

وهذا الشعر ليس بديلاً عن الشعر العربي الخالد ، بل جاء وليداً عذباً ورقيقاً ، نشأ في احضان الشعر الموروث بكل عصوره وآفاقه الضاجة بالعطاء الفني الراسخ الجذور .

(١) اخترنا تسمية (شعر الشطرين) مكان الشعر العمودي أو الشعر التقليدي . فالعمودي يقودنا إلى قضية عمود الشعر وشروطه التي تدارسها المرزوقي ، والتقليدي يأخذ بنا إلى قضية التقليد في هذا الشعر وسماته . والتقليد ليست بالسمة الخاصة بشعر الشطرين وحده .

(٢) المقدمة ، ص ١١٣٧ . وينكر عليه هذا الرأي الدكتور مصطفى عوض الكريم ، فيرى أن الذين اخترعوا الموشحات ليسوا ممن يصح أن يطلق عليهم (المتأخرون) فابن عبدربه ونظراؤه من قدامى شعراء الاندلس ، عاشوا فيها قبل أن يبلغ الشعر الاندلسي درجة كبيرة من التنميق وتهذيب المناحي . ويرى أن الشعر المشرقي قد بلغ درجة من التنميق لم يصلها الشعر الاندلسي في أي عصر من عصوره ، ومع ذلك فان المشارقة لم يخترعوا الموشحات ، فن التوشيح ص ٩٩ .

ولذا فقد نشأ الموشح واستقام فناً شعرياً غير بعيد عن سمات ذلك الشعر وخصائصه ، لم يتجاوز اصحابه مافي شعر الشطرين من خصائص الا القليل ، هذا في البناء »(١) . اما في الأغراض فأنهم قد استخدموه لذات الغايات التي استخدموا فيها شعر الشطرين ، فهم «ينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد (٢)» . واذا سألت لماذا اشتهر الموشح ذلك الاشتهار في بيئة الاندلس ، وما اسباب ذلك فضلاً عن مؤثرات البيئة ومستجداتها ؟ يجيبك ابن خلدون : إن هذا الفن قد استظرفه الخاصة والكافة لما فيه من خصائص يراها في سهولة الفاظه ، ولسلاسته وتنميق كلامه (٣) . وفي نظرة تأريخية لنشوء هذا الفن يقول ابن خلدون : «وكان المخترع لها — يقصد الموشحات — بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر القبريري (٤) من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني ، واخذ ذلك عنه أبو عبدالله أحمد بن عبد ربه ، صاحب كتاب العقد — العقد الفريد — ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزّاز ، شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المريّة (٥) » .

ومثلما كان الموشح وليد مظهرين : أحدهما حضاري يتمثل في رقي هذه البلاد وتطور مسارات الحياة فيها ، واخر : فني يمتد طرفاه ليكون احدهما لصيق بالموروث ويكون

(١) يقول طه حسين : « حاول الموشحون ان يحطموا الأطار القديم الذي كان يحيط بالقصيدة ... ولكن فنهم لم يستطيع أن يعمر طويلا » ، ففني في الزجل ، وأصبح لوناً من الوانه الأدب العامي » ، (الوان ، ص ١٥) .

(٢) المقدمة ، ص ١١٣٨ .

(٣) المقدمة ، ص ١١٥٣ .

(٤) المقدمة ، ص ١١٣٨ . ولم يتفق المؤرخون والأدباء في كون الموشح اندلسياً أم مشرقياً ، والرأي الغالب انه نشأ في أواخر القرن الثالث الهجري في الاندلس . اما من قال أنه مشرقي فاعتمد على موشحة تنسب لأبن المعتز . واختلف الذين قالوا باندلسيته ، هل هو مقدم بن معافر أخذه عن ابن عبد ربه ، كما عند المقري وابن خلدون ، او غيره كما رآه ابن بسام . ولمزيد من الاطلاع على مايتعلق بالموشح ينظر :
ابن سناء الملك ، دار الطراز ، تحقيق جودة الركابي ، دمشق ١٩٤٩ .
صلاح الدين الصفدي ، توشيح التوشيح ، تحقيق البير حبيب مطلق ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ .
مصطفى عوض الكريم ، فن التوشيح . وقد كتب مقدمته شوقي ضيف ، ص ٨ .
انخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١٤٢ وما بعدها .

(٥) المقدمة ، ص ١١٥٣ .

الطرف الآخر متسع الأفق لما يتطلبه الواقع الجديد ، فقد نما لون أدبي له ظروف الموشح ذاتها ، غير أنه فرع منه ، إذ «لما شاع فن التوشيح في أهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه ، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعراباً ، واستحدثوا فناً سموه بالزجل ... وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان . وان كانت قيلت قبله بالاندلس »(١) .

واذا كانت تلك الفنون المستحدثة وليدة بيئة الأندلس فأن لأهل المغرب فناً آخر يلحق بها ، إذ « استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخراً من الشعر في اعاريض مزدوجة كالموشح ، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً ، وسموه عروض البلد » (٢) اما في المشرق فأن فنوناً جديدة ، تبتعد كثيراً عن الموشح في مقدار صلتها بالموروث الشعري . وهي وليدة بيئة هجينة ، لاتقدر على أن تستوعب كلياً الشعر الموروث في لغته وصوره وأساليبه لما أصاب المجتمع العربي من تدهور ، وما فرضته الأقوام الاخرى في اختلاطها بالعرب من أساليب كلام وطرائق تعبير ، وهكذا « كان لعامة بغداد فن من الشعر يسمونه المواليا وتحته فنون كثيرة يسمون منها: القوما، وكان كان ، ومنه مفرد، ومنه في بيتين ،ويسمونه دوبيت »(٣) .

---

(١) تنظر ترجمة ابن قزمان في نفح الطيب ، ٢٣/٤. وتنظر المقدمة ، ص ١١٥٣ . ولمزيد من الاطلاع على هذا الفن الشعري ونشأته ينظر : صفي الدين الحلي الكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي ، ص ٩ ، ورضا القريشي ، الفنون الشعرية غير المعربة ، ١١/٢ وما بعدها . وقد أخذ القريشي على إبن خلدون أنه لم يهتم تأريخياً بهذا الفن اذ لم يشر إلى نشأته وأول من نظم فيه .

(٢) المقدمة ، ص ١١٦٠ .

(٣) المقدمة ، ص ١١٦٦. ويرى الدكتور القريشي أن ابن خلدون كان بعيداً عن الواقع حين وضع القوما وكان كان تابعة لفن المواليا ، في حين أنها فنون قائمة بذاتها فالكان كان فن « مستقل منفرد بخصائصه بعيد عن المواليا في مادته اللغوية وحتى في عروضه ، فالمواليا برزخ بين الفنون الشعرية المعربة وغير المعربة . أي يمكن أن ينظم من المواليا في اللغتين الفصحى والعامية . أما الكان كان فأنه أحد الفنون الشعرية غير المعربة. ولايجوز الاعراب فيه . وعلى هذا فأن ماذهب اليه ابن خلدون كان تسجيلا تأريخياً ناقصاً من حيث الفحوى والمحتوى لأنه لم يهتم به كغيره من الفنون الشعرية الاخرى ، ولم يورد له أمثلة تذكر (الفنون الشعرية غير المعربة) ١٣/٣ . ومثل هذا كان رأي القريشي في ماقاله عن فن القوما ، ١١٠/٣ .

وينقل ابن خلدون عن صفي الدين الحلي قوله في ديوانه (١) : «إن المواليا من بحر البسيط ، وهو ذو أربعة أغصان وأربع قواف ، ويسمى صوتاً وبيتين . وإنه من مخترعات أهل واسط . وإن كان وكان فهو قافيةٌ واحدة وأوزان مختلفة في أشطاره ، الشطر الأول من البيت أطول من الشطر الثاني ، ولا تكون قافيته إلاّ مردفة بحرف العلة ، وإنه من مخترعات البغداديين »(٢) .

واذا لم يكن ابن خلدون قد أضاف جديداً من حيث القيمة الفنية أو التاريخية للحديث عن هذه الفنون الشعرية فأن أهمية ماقدمه تتأتى من الرؤية الخاصة التي انطلق منها في نظره اليها ، إذ خصها بالاهتمام في ضوء ماقرره من أن الشعر ليس مقصوراً على لغة دون لغة ، ولا أمة دون أمة ، وإنما هو فطرة في طباع البشر وما قرره من أن البلاغة لادخل لها بالاعراب إذ أنها مطابقة الكلام للمقصود ، فاللغة العامية تتساوى مع اللغة المضرية — عنده — فيما يتصل بالقدرة البلاغية وأصحاب العامية ممن رسخت فيهم ملكتها قادرون على أن ينتجوا فيها شعراً بليغاً عند من يفهم تلك العامية ويدرك مصطلحاتها ويعرف دلالة الفاظها ونظم كلامها (٣) وهذا موقف «يسجل لابن خلدون فهو دليل على أنه يرجع في احكامه إلى أصول عقلية يجعلها ميزاناً وحكماً فيما يعرض له من مسائل ، مختلفاً بذلك عن كثير ممن سبقوه ، ممن اعتمدوا على الاستحسان والاستقباح الذوقي وحده»(٤).

---

(١) لم يرد ذلك في ديوانه بل في كتابه العاطل الحالي ، ص ١٣٢ . ونص قوله : « له وزن واحد واربع قواف على روي واحد ، ومخترعوه أهل واسط ، من بحر البسيط اقتطعوا منه بيتين وقفوا شطر كل بيت منها بقافية وسموا الاربعة صوتا » .
وعن الكان كان قال الحلي : « له وزن واحد وقافية واحدة . ولكن الشطر الأول من البيت أطول من الشطر الثاني ، ولاتكون قافيته الامرادفة قبل حرف الروي بأحد حروف العلة ، ومخترعوه البغداديون ثم تداوله الناس في البلاد ، ص ١٤٨ .

(٢) المقدمة ، ص ١١٦٦ .

(٣) المقدمة ، ص ١١٦٩ .

(٤) عبدالعزيز الأهواني ، ابن خلدون وتأريخ فني التوشيح والزجل ، ضمن أعمال مهرجان ابن خلدون ، المنعقد في القاهرة من ٢ إلى ٦ يناير ١٩٦٢ ، ص ٤٧٣ .

الخلاصة من نقد ابن خلدون :

لم تغلب على أبن خلدون صفة الناقد الأدبي ، فهو مؤرخ وفيلسوف اجتماعي ، وعلاّمة له من الصفات والالقاب العلمية مايناسبه والنقد واحد من وجوهه التي لم تكن خالصة من تأثيرات الجوانب الاخرى في شخصه ، أليس معالجة أحداث التاريخ والتثبت منها ودراستها ، وترتيب موضوعاتها ، واستخلاص النتائج وتحديد المسببات للأسباب مسألة نقدية مارسها أبن خلدون في تعامله مع التاريخ ؟ واذا كان كذلك ، فما الذي يمنع أن يكون في الأدب مثل ماله في التاريخ من آراء وتنظيرات ونقدات وخطرات ؟

فما دام التاريخ في حقيقته «خبر عن الاجتماع الانساني» (١) فأنه انما يتتبع الشؤون الانسانية وتحركها ضمن الامتداد الزماني الذي يكتمل بالحدث وبصورته المتحركة من خلال الفعل الاجتماعي ، الذي يسلك انتقالات ومسارات ، ويتناول علوماً ومعارف تعبر عن الجهد الانساني «وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر مايحدث من ذلك العمران» (٢) . والأدب واحد من وجوه الفعل البشري التي لابد من توظيفها في أتجاه تكتمل به الصورة التأريخية ، وتتجسد تعبيراتها على نحو بين . ومن هنا — على مانراه — تتجلى حقيقة أهتمام أبن خلدون بالأدب .

غير أنك ، وبين الأدب والتاريخ ، ستجد للرجل موقفين واضحين في خصوصية كل منهما تبعاً لتأثيرهما في شخصه ، وتأثير شخصه في نظره اليهما — وشخصه هذا ثقافته ومعارفه واهتماماته وتجاربه .

وليس بين التاريخ والأدب فاصلة موضوعيه نائية البعد ، «فأذا قلنا أن التاريخ خبر عن الاجتماع الانساني فيجب أن نقول قياساً على ذلك : إن الأدب تصوير للاجتماع الانساني ... فالادب والتاريخ يصوران الواقع» (٣) .

ولكنهما عند أبن خلدون متباعدان ، ليس في الرؤية إذ أن «رؤية المورخ للواقع تختلف عن رؤية الأديب له ، فالمؤرخ ينقل الواقع كما هو ، أما الأديب فينقله من خلال مشاعره واحاسيسه» (٤) ، بل هما متباعدان في القيمة التي تستخلص من كل منهما ، وفي الغاية

(١) المقدمة ، ص ٥٧ .
(٢) المصدر نفسه ..
(٣) موافي ، ص ٤٦ .
(٤) المصدر نفسه .

من دراستهما ومحضهما الاهتمام . وفهو لم ينظر الى الأدب بذات العين التي نظر بها الى التاريخ ، فالأدب عنده : «علم لاموضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها»(١) وهو انما يضعه في درجة لايعتمد فيها عليه كونه علماً بيناً في خصائصه ، فيجرده عن أن يكون محدداً بحدود العلوم ، ليضعه في حالة خاصة به لاتتعدى أتخاذه مثالا يحتذى به لاحقاً ، فهو ليس غاية لذاته ، «وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم او المنثور على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون لذلك من كلام العرب ماعساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك» (٢) .

ونتساءل : اين موقفه هذا من التأريخ ، العلم الذي انفق جهده الجهيد في تتبع شؤونه حتى نال شهرته فيه ؟

انه يعرفه فيقول : «إن فن التأريخ — وهو يكرر كلمة فن في وصف له(٣) — فن عزيز المذهب جم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في اخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك (٤)» .

فهو يعطيه أهمية تجعله يعيد التأثير في آفاق الوجود البشري ، لأنه يعده من الفنون التي «تتداولها الأمم والاجيال ، وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال ، وتتنافس فيه الملوك والاقيال (٥)» .

ومن يريد التبحر فيه فهو «محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني .. فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيراً ماوقع للمؤرخين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع (٦)» .

(١) و (٢) المقدمة ، ص ١٠٦٩ .
(٣) تنظر : المقدمة ، الصفحات ٢ ، ١٢ ، ٤٥ .
(٤) المقدمة ، ص ١٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

واذا تسألت : لماذا تكون للتأريخ هذه المكانة ؟

يجيبك ابن خلدون : لأن التأريخ «خبر عن الأجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع ، وسائر مايحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال (١)» .

واذا عاودت النظر في موقفه من هذين المجالين من مجالات المعرفة ستجده وقد نظر إلى التأريخ على أنه علم عظيم الاهمية في ذاته وغايته وما يلحق بهذه الذات وما يتداركه من مسائل ، منطلقاً في ذلك من موقف عقلي بين العلمية . في حين أن نظرته الى الأدب تناءى عن ذلك .

وهذا يتضح في قضيتين الاولى منهما ، يبرزها المنظار النقدي الذي اتبعه في كل من هذين المجالين وما ارتضاه من مقاييس نقدية ، «فبينما غلب عليه المقياس العقلي المنطقي في نقده للتأريخ ، غلب عليه المقياس الذوقي الوجداني في نقده للأدب » (٢) .

ولعل الذي قاده الى ذلك اختلاف نظرته الى الموروث الذي وصله عن سابقيه من الدارسين والعلماء والمؤرخين من أصحاب هذين العلميين .

فبينما رأيناه يقف الموقف المتشدد في نقده لمن سبقه من المؤرخين وما اتبعوه من مناهج واساليب في تقصي شؤون هذا العلم (٣) . نراه يسلك غير ذلك فيما يخص الأدب ونقده حيث انطلق من نظرة موروثة تقول : ان الأدب «هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف ، يريدون من علوم اللسان والعلوم الشرعية ، من حيث متونها فقط »(٤)» .

فهو يرى فيه — اي الأدب «علماً لاينظر الى موضوعه ولكن الى فائدته ، وفائدته تنحصر في الشكل أو في الصياغة لا في المضمون (٥)» ، متجاهلاً بذلك قيمة الأدب في

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٢) موافي ، ص ٤٥ .
(٣) تنظر المقدمة ، ص ١٣ وما بعدها .
(٤) المقدمة ، ص ١٠٦٩ .
(٥) المصدر نفسه .

تصوير الواقع الانساني وفق المؤثرات الشعورية لصاحبه، الفنان الذي ابدعه وبهذا كانت نظرة ابن خلدون الى الأدب وهي القائمة على الذوق وما يمثله الأدب من قيمة خاصة، نظرة مجتزأة ، لم تفطن لما يمكن أن يستتر وراء هذا المقياس الذوقي من مؤثرات الواقع الاجتماعي في الأدب ، الذي يمثل مرحلته وعصره بمقدار مايمكن أن يمثل فيه الخصائص الخاصة لشخصية مبدعة . وبذلك يمكن عده حالة تفسر التأريخ وفق رؤية ذاتية ، يمكن عدّها مصدراً مهماً في كشف الواقعة التأريخية واستجلاء غوامضها .

اما القضية الاخرى التي يظهرها اختلاف موقفه من هذين العلمين فتبدو في غاية البحث والتنقيب وتدارس كل منهما ، إذ كانت الغاية من الأدب «الاجادة في فني المنظوم والمنثور ... فيجمعون لذلك ماعساه تحصل به الملكة » (١) وليس لغرض دراسته لذاته، واستنباط اساليبه وتطورها ، ومذاهبه وما يستجد فيه وما يمكن أن يدخل اليه ويخرج عنه من اغراض وفنون ومظاهر لغةٍ وخصائص موسيقية وبنائية ، معبرة عن تغيرات العصر ومستجدات البيئة . وتلك غاية غير الغاية التي رآها ابن خلدون للتأريخ الذي يرى انه «يوقفنا على أحوال الماضين من الامم .. حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك (١٧)»

ومن هذا التحديد النظري لقيمة كل من هذين العلمين تجد فرقاً في شخصية ابن خلدون الأدبية عن شخصيته التأريخية ، سواء أكان ذلك في طريقة التناول أو اسلوب المناقشة أو منهج البحث ومسار القضية المطروحة ، والنتائج التي ينتهي عندها ومن هذا الأمر نصل الى حقيقة اشتهار مكانة الرجل عالماً تأريخياً وفيلسوفاً اجتماعياً على مكانته ناقداً أدبياً واديباً ناقداً . فليس هو في المكانة الأولى كما هو في الثانية ، لأنه في التأريخ قد سنّ منهجاً وقنن افكاراً ورتب مسائل . اما في الأدب فقد أبدى آراءً ذاتية عبرت عن شخصيته وقناعاته الفنية اكثر مما عبرت عن مواقف موضوعية ثابتة .

ويبدو لك الأمر جلياً عند معاودتك النظر فيما عالجه من مسائل في الأدب ونقده ، تطرقنا اليها في بحثنا هذا . فأنت واجد تفاوتاً واضحاً بينها ، يعيدك الى مقارنة ذلك بما فعله في دراساته التأريخية . فحين كان ابن خلدون جريئاً ثاقب النظر ، ومحدداً لموقف يترك في أحايين كثيرة فجوة واضحة بين مايراه هو وما رآه غيره ، من المؤرخين الذين سبقوه ، تجده في نقده الأدبي أقرب مايكون إلى التقليد والاتباعية لما قد ساد ، وما قيل من افكار وآراء تخطاها النقد العربي التقدم قبله .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

فهو يكرر كثيراً من القضايا التي عالجها النقد قبله، سواء في تعريفه للادب وتقسيمه لفنونه، وسواء في موقفه من قضية المطبوع والمصنوع وقضية المبنى والمعنى ، وسواء في نظرته الى الشعر وفنونه ومراحله.

وتجده يمر على قضايا نقدية خطيرة مروراً سريعاً ، ناظراً اليها نظراً خاطفاً ، غير مانحاً اياها ماوجدناه عنده من اعتماد على التحليل والدراسة والمناقشة ، كالذي فعله مع حوادث تاريخية رأى أن ما اورده من سبقه عنها ، يشذ عن القناعة ويجافي المنطق العقلاني (١) . فهو مثلا يضع للفنون القولية التي يكتنفها الأدب ثلاثة انواع ، إذ جعل الأسلوب القرآني نوعاً ثالثاً لاحقاً للنثر والشعر . ولكنه لم يشر الى مبررات هذا التقسيم والأسس الي قام عليها ومن قال به. ومثل ذلك ستجده في ادعائه أن الشعر العربي قائم على وحدة البيت ،وكذلك في ما رآه في شعر المتنبي والمعري.. ومثل ذلك أمور ومسائل مر ذكرها في ثنايا دراستنا. ولكن هل يلغي ذلك شخصية ابن خلدون الناقد ؟

ونجيب: إن النقد الأدبي في حقيقته منهج للدراسة وصولا الى قناعات فيها من الثبوت ما يوصل الى تحديد مسارات يمكن الركون اليها عند دراسته الأدب، الذي يشكل النقد الأدبي حالة عقلانية تلاحقه وتتبع شؤونه وترسي مواصفاته وقد تسبقه لتحدد له آفاق التوجه اللاحقة ولا شك في أن هذا المنهج قد حدد لنفسه المجالات التي يمضي في تقصيها مثلما حدد لنفسه تفرعات هذه المجالات التي يتابعها في كل زمان وعصر ، لتمثل الخطوط العريضة والأطار العام الذي يسير فيه النقد، فيما تتحدد الخصوصيات فيما يطرحه الواقع الثقافي وتفرضه مستجدات الحياة .

وعند ابن خلدون — وفقاً لهذا الرأي — تجد المسائل النقدية التي هي الأطار العام والهيكل الرئيس الذي اقيم عليه النقد العربي القديم. والناقد — أي ناقد — امام خيارين ، اما موافقة ماقد قال به هذا الاتجاه او التيار النقدي او رفضه واتباع ماقال به التيار الآخر .

---

(١) المقدمة ، ص ١٣ . يقول — قبل أن يورد بعض المواقف والاحداث التي درج على ذكرها المؤرخين القدامى ، والتي رآها لاتتفق ومنطق العقل : ان التأريخ محتاج « إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ... فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق » . ثم يناقش ماوقع للمسعودي وغيره عن عدد بني اسرائيل مع موسى حين عبر التيه . وعن عاد ومدينة ارم . وعن نكبة الرشيد للبرامكة واسبابها . وغير ذلك من الاخبار ، (الصفحات ١٣ وما بعدها) .

فأين تبرز شخصية الناقد اذن؟ ستراها في القضايا التي يستنبطها او يبدعها . او في اكتشاف تحليل جديد لرأي مطروح ، او في قول فصل في قضية لم يكن قد بت فيها نهائياً . وانك لتجد عند ابن خلدون من ذلك ماتطمئن اليه نفسك، لعل ابرزها مسائل طريفة لـه فيها رأي راسخ كقضية الأسلوب في الأدب التي انتهت عنده الى مـاانتهت اليه في العصر الحديث من توجيه واضح . وكقضية البلاغة وعلومها وأثرها في الملكة الأدبية . وموقفه من الشعر ومدى شيوعه عند سائر البشر.

ولعل اهتمامه بشعر عصره ، لاسيما الجديد فيه ، الذي تمثل بفنون ، للبيئة وتأثيراتها يد في شيوعها مما يعبر عن جدية هذا الرجل في تعامله مع الظواهر الادبية . على إننا نرى في اهتمامه بهذه الفنون ما يستدل به على عقلية المؤرخ اكثر مما يستدل به على عقلية الناقد الأدبي . فعنايته بالموشح والزجل وكل الفنون الشعرية الي انتشرت في بيئة الاندلس والمغرب، وهي فنون ذات سمة شعبية، انما كان اقتداء برأيه في المجتمع وعمران المدن وتطور البيئات ، وما يتركه انتقالها من مرحلة الى أخرى من مظاهر ومؤثرات، تنعكس في صناعاتها وفنونها وانماط عيش أهلها. يقول: «إعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة. ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقاً من أحوال ذلك الطور لايكون مثله في الطور الآخر، لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه »(١) .

واذا تدبرت النظر في نقده التطبيقي تلاحظ قلة النماذج الشعرية التي استعان بها . واهتمامه بالموضوع الذي يتطرق اليه اكثر من اهتمامه بما يسناده من شواهد شعرية توضحه وتدل عليه.. اما ما أورده من شواهد فمعظمها من الشعر الأسلامي، وهي غالباً ماتكون ذات الابيات التي اشتهرت واشتهر بها اصحابها وتداولتها كتب النقد وتاريخ الأدب.

وأخيراً لابد ان نتساءل عن قيمة نقد هذا الرجل وأهميته لنا اليوم وله في وقته. فأبن خلدون لم يكن رجلا نظرياً ، كما أوردنا ذلك مراراً . فهو وكما علمت شاعر له من الشعر مايجعله كذلك .

ولكن لنتساءل — ليس غير — ماالذي استفاده من نقده في شعره ؟

يبدو أن الكلام لايتساوق معه فعل مماثل في كل الأحيان ، إن كان قد ساوقه احياناً وتلك بديهة ليس بحاجة الى إطالة في القول .

---

(١) المقدمة ، ص ٣١٠ .

وشعر صاحبنا لايكاد يأخذ بيدك الى اليقين بأن صاحبه ناقد له في ذلك مالاتشك فيه، من تدارس مسائل الشعر واسراء في آفاقه ، إذ أنك لن تحظى بما يجعلك تثق أن شعره تطبيق فعلي لما يقوله. وكن مطمئناً اخيراً ، وأنت تضع لابن خلدون شخصية ثالثة بجانب شخصية المؤرخ الاجتماعي ، وشخصية الناقد تلك هي شخصية الشاعر، وبين كل واحدة من هذه الشخصيات ستجد فرقاً وتفاوتاً فيما تهتم به وتتبناه .



مصادر البحث

* إبن الأثير ، ضياء الدين ابو الفتح
— المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة د. ت.

* الأهواني ، عبد العزيز
— ابن خلدون وتأريخ فني التوشيح والزجل ، ضمن اعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية ، القاهرة ١٩٦٢ .

* ايف لاكوست
— العلامة ابن خلدون ، ترجمة ميشال سليمان ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٦٢ .

* الباقلاني ، ابو بكر محمد بن الطيب
— اعجاز القرآن ، تحقيق احمد صقر ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٥ .

* بالنثيا ، انخل جنثالث
— تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .

* الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر
— البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هرون ، منشورات الخانجي القاهرة د. ت.
— الحيوان ، تحقيق عبد السلام هرون ، منشورات الخانجي ، القاهرة ١٩٦٥ .

* جبور عبد النور
— المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩ .

* الجرجاني ، عبد القاهر ، ابو بكر
— دلائل الاعجاز ، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ١٩٦٩ .

* ابن حزم

- جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هرون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

* ابن خلدون ، عبد الرحمن

- التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥١ .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الكتاب ، بيروت ١٩٦١ .

- مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٧ .

* الراضي ، عبد الحميد

- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٨ .

* الزركلي ، خير الدين

- الأعلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٩ .

* الزوزني ، الحسين بن أحمد ، شرح المعلقات السبع ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ١٩٦٨ .

* السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت د. ت.

* السكاكي ، ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر .

- مفتاح العلوم ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٧ .

* ابن سناء الملك ، هبة الله بن جعفر

- دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق جودة الركابي ، دمشق .

* سهيل عثمان ومحمد دروب

- من مقدمة ابن خلدون ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ١٩٧٨ .

* صفي الدين الحلي ، عبد العزيز بن سرايا
– الكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي ، تصحيح ولهلم هونرباخ ، ويسبادن المانيا ١٩٥٥ .

* طه أحمد ابراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، منشورات الحكمة ، دمشق ١٩٧٤ .

* طه حسين :
– الوان ، دار المعارف بمصر .
القاهرة ١٩٥٨ .
– المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، دار الكتاب ، اللبناني الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٣ .

* عبد الرحمن بدري ، مؤلفات ابن خلدون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٢ .

* علي حداد
– أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، اطروحة ماجستير على الألة الكاتبة كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٨٤ .
– الشعر والشعراء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، بحث في مجلة الطليعة الأدبية ، العدد ١٢ ، السنة السابعة ، كانون الأول ١٩٨١ .

* عنان ، محمد عبد الله
– ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٥٣ .

* الفاخوري ، حنا
– تأريخ الأدب العربي ، المكتبة البوليسية ، الطبعة السادسة بيروت د. ت.

* قدامة بن جعفر :
نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت.

* القرطاجني ، حازم ابو الحسن :
منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتعليق محمد الحبيب ، دار الكتب الشرقية تونس د. ت.

مكتبتنا العربية

* القريشي ،رضا :

-- الفنون الشعرية غير المعربة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ،بغداد ١٩٧٧ .

* الكريم ،مصطفى عوض

-- فن التوشيح ،دار الثقافة ،بيروت ١٩٥٩ .

* المرزوقي، ابو علي أحمد بن محمد

-- شرح ديوان الحماسة ،نشره احمد أمين وعبد السلام هرون ، لجنة التأليف والنشر والترجمة ،القاهرة

* مصطفى جواد، قل ولا تقل، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٠ .

* المقري، احمد بن محمد :

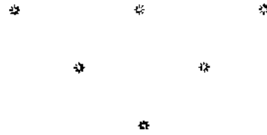
-- نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ،تحقيق احسان عباس ، دار صادر، بيروت ١٩٦٨ .

* موافي، عثمان

-- ابن خلدون ناقد التأريخ والأدب، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٧٦

* وافي ،علي عبد الله

-- عبقريات ابن خلدون ،عالم الكتب ،القاهرة ١٩٧٣ .




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مفهوم المعنى عند الجاحظ

الدكتور ماهر مهدي هلال
كلية الآداب / جامعة بغداد

يعد البحث عن قيم المعنى في العبارة الأدبية ،أصلاً من أصول النقد البلاغي المهمة ،(١) وعنصراً فاعلاً في سياق العملية النقدية ساعد على بلورة المفاهيم النظرية وتقرير مصطلحاتها التطبيقية ، لأن المعنى اول خطرات الشعر (٢) ، بل (هو مناط البنية الأدبية وهو يتصل اساساً بالأجناس الأدبية وخواصها القائمة والمحتملة (٣)

اي ان المعنى يشكل موضع المدلول في تقابله مع الألفاظ الدالة ، ودلالة الشعر على معناه :(موجودة فيه كما يوجد في كل محدود ، معاني حدة .) (٤) .

(١) نصوص النظرية النقدية /٢٢/
تنظر المقدمة التي كتبها الدكتور داود سلوم ، وقد ذكر أن قضية (اللفظ والمعنى) من أصول بحث (النقد البلاغي) واشار الى الجاحظ بقوله (وكتاب البيان والتبيين ، للجاحظ يغص بالأمثلة والنوادر التي تدور حول هذه النقطة بالذات) .

(٢) كتاب الصناعتين /١٣٩/ وفيه يقول ابو هلال : (اذا أردت أن تصنع كلاماً فاخطر معانيه ببالك). وينظر في ذلك /عيار الشعر / ٥٥

(٣) نظرية البنائية في النقد الأدبي /صلاح فضل/٣٠٠/

(٤) نقد الشعر /قدامة بن جعفر/٦٨/

وتتأتى اهمية دراسة المعنى من تباين الرؤية النقدية في صيرورة المعنى الأدبية ، لان فعل الدلالات اللغوية في اساليب التعبير المختلفة ، يحمل ابعاداً ذهنية متفاوتة لتكوين قيم المعنى المعيارية (نظراً لتعدد المداخل الى النظرية النقدية من مختلف مجالات العلوم الإنسانية والفلسفية مما أدى الى تراكم المبادىء والأسس النظرية) (١) .

وعلى هذا الأساس فليس من المركوز في طباع النقاد اجتزاء الحكم من خلال استقراء تلقائي لمفردات اللغة المجردة دون التبصر بما تختزنه هذه المفردات من طاقة معنوية (لأن الشعر مفعم بالمعاني) (٢) وان المثل الأعلى لدى الناقد في تحليله (ان يتبين هوية كل عنصر من عناصر المعنى في المجموع الكلي المركب) (٣) لأن الصياغة الشعرية تصهر التركيب اللغوي بطريقة تحمل الألفاظ دلالة معنوية تتعدى التفسير المعجمي للغة ، وتولد في الألفاظ قدرة على المطاوعة والتأويل (تجعل هدف التحليل البنائي للأدب انما هو اكتشاف معاني الآثار الأدبية) (٤) .

وقد تبنى البلاغيون والنقاد العرب – ومنذ وقت مبكر – في بحثهم عن معادل نظري موصوف قادر على استكناه العبارة الأدبية – نظرة تجريدية صورت العبارة الأدبية بناء ثنائياً عنصراه اللفظ والمعنى – واحتواء هذين البعدين بمقولة تنظيرية هي : اللفظ جسم روحه المعنى – وعلل ابو هلال العسكري هذه الرؤية بقوله :(لأن المعاني تحل من الكلام محلّ الأبدان والألفاظ تجري معها مجرى الكُسْوَة) (٥) . وليس من شك أن القدماء كانوا يميلون في اقرارهم هذه المعادلة بين اللفظ والمعنى – قول العتابي : (الألفاظ أجساد والمعاني أرواح – وانما تراها بعيون القلوب فاذا قدمت منها مؤخراً او أخرت منها مقدماً افسدت الصورة وغيرت المعنى) (٦) .

ولعل ابتداء الجاحظ باب البيان بقوله :(قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني) (٧) قد رسخ في اذهان النقاد هذه الثنائية المجردة في بناء العبارة الأدبية – فقسموا الشعر الى

---

(١) قضايا النقد الأدبي المعاصر/د. سمير حجازي/٣٢/

(٢) فنون الأدب /د.ب–تشارلتن/ت/ زكي نجيب محمود /١٠/

(٣) مناهج النقد الأدبي /ديفد ديتش /ت/ محمد يوسف نجم /٤٤٠/

(٤) نظرية البنائية في النقد الأدبي /٢٩٩/

(٥) كتاب الصناعتين /١٧٥/

(٦) المصدر نفسه /١٦٧/

(٧) البيان والتبيين /الجاحظ/ ج١/٧٥/

أضرب متباينة ، تبعاً لتباين اوصاف اللفظ والمعنى ، واقدم من ذهب هذا المذهب (أبن قتيبة ٢٧٦هـ) (١) وقد نسج على منواله من جاء بعده من البلاغيين والنقاد .

وتعد مقولات الجاحظ في هذا المجال من بواكير المقولات النقدية التي سجلت اشارات واضحة الى امكانية التعامل مع جزئي مصطلح اللفظ والمعنى تعاملا وصفياً حسب مستويات التعبير البياني.

لذلك حظي ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) بعناية الباحثين، واحتلّ مكان الريادة في دراسة البيان العربي، وقد أسهمت الدراسات الوصفية والتأريخية باطرائه وتجلية جهوده ومعارفه في مختلف مجالات البحث العلمي ، وأخص تلك الدراسات سعةً وشمولاً هي التي تناولت جهوده في مجال البلاغة والنقد (٢) . كما حاول بعض الباحثين دراسة حيثيات الجاحظ البيانية في ضوء المناهج والنظريات النقدية الحديثة — ولا بد لنا في ضوء الكثير من مستجدات البحث النظرية من اجراءات تجريبية لنقل بعض المفاهيم والتصورات التي تمكننا من تحديد المصطلحات والارتقاء بها لجعلها فاعلة في ميدان التطبيق والتوجيه الأدبي — وهذا يعني الأخذ بمبدأ تجزئة التشكيلات المكثفة للمصطلحات، التي ترابطت بفعل التقادم الزمني وبفعل التلقائية والمباشرة في النقل. ولعل من أشد المصطلحات حاجة الى هذه التجزئة المصطلح التركيبي (اللفظ والمعنى) —

ومحاولة تحديد قيمة عنصر من عناصر النص ووضعه في منظور نقدي لايعني بطبيعة الحال ان عناصر النص تعمل منعزلة، وانما هي محاولة للوصول الى ادراك كيفية عمل العناصر وعلاقتها داخل النص، وعملية توصيف المعنى كمحور عقلي يعمل في عمق النص

---

(١) الشعر والشعراء /ابن قتيبة/ج١/٦٤/ وينظر /الكامل/للمبرد/ ج١/٢٠-٢٩/ وعيار الشعر لابن طبا طبا /ص٨٣ وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري /ص٦٥ وما بعدها الى ٧٤.

(٢) يقول الدكتور طه حسين : فالعرب لم يخطئوا حين عدوا الجاحظ مؤسس البيان العربي) مقدمة نقد النثر-٣ /وينظر في مكانة الجاحظ البلاغية/ البلاغة في دور نشأتها/ د.سيد نوفل /١٧٠/ والبيان العربي / بدوي طبانة /٦٢/ والنقد المنهجي عند الجاحظ / د. داود سلوم /٨٨/ ومن الدراسات الحديثة التي عنيت بالجاحظ / التفكير البلاغي عند العرب / حمادي حمود /ص١٥٨ وما بعدها — ودراسة ادريس بليملح /١/ رؤية البيانية عند الجاحظ / ودراسة عبد السلام المسدي / المقاييس الاسلامية في النقد الأدبي من خلال (البيان والتبيين) للجاحظ /مجلة الأقلام/العدد/١١/٢٢٣

هي وسيلة لنقل المعقول الى المحسوس : (لأن المعاني لها خصائص موجودة في الاعيان ولها صورة موجودة في الأذهان ولها من جهة مايدل على تلك الصور من الألفاظ وجود في الافهام) (١) .

وهذا امر أدركه النقاد الذين أخذوا بمقولة (اللفظ جسم روحه المعنى) ويدل على ذلك قول ابن رشيق القيرواني: (لأ نا لانجد روحاً في غير جسم) (٢) وهذا يعني أن وحدة النص وفهمه لايتحققان الا بترابط الحسيات العينية والتصورات الذهنية، ومعلوم (ان استجابتنا العقلية والانفعالية ازاء الصورة تعتمد على كونها تمثل الاحساس) (٣) فالمبالغة بتشخيص عناصر العبارة الأدبية ومقارنتها بالصور هو جزء من مستلزمات العملية النقدية لتقريب الصورة من التصور وللأمور كما يقول الجاحظ حكمان (حكم ظاهر للحواس، وحكم باطن للعقول؛ والعقل هو الحجة) (٤).

ومن هذا المنطلق تعامل الجاحظ مع المعنى كقيمة موصوفة بظاهر الحواس، ومتصورة بالأدراك العقلي، ويتجلى ذلك في مقولته الأثيرة عند النقاد ،والتي ساقها تعليقاً على استحسان ابي عمرو الشيباني لقول الشاعر:

لاتحسبن الموت موت البلى ... فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا ... افظع من ذاك لذل السؤال

قال: وذهب الشيخ الى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ،والبدوي والقروي والمدني وانما الشأن في اقامة الوزن ،وتخير اللفظ، وسهولة المخرج ،وكثرة الماء وفي صحة الطبع، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) (٥).

فوضع المعنى مع صياغة المعنى موضعاً تقابلياً؛ ولا يعني قوله هذا بأنه يتعامل مع الشكل تعاملا ايجابياً ويسقط السلبية على المعنى، فقراءة النص بامعان توصل الى دلالات يقينية بأن الجاحظ عندما عرض بموقف ابي عمرو الشيباني من استحسان المعنى، لم يكن في

(١) منهاج البلغاء / حازم القرطاجني /١٩/
(٢) العمدة /ابن رشيق القيرواني /ح١/١٢٤
(٣) مبادىء النقد الأدبي /إ./. رتشاردز /ت/ مصطفى بدوي /١٧٢/
(٤) الحيوان /ح١/٢٠٧/
(٥) كتاب الحيوان /ح٣/١٣١/١٣٢/

حسبانه القول بأن الاستحسان يجب ان يكون للفظ فهذا التأويل بسيط والوصول اليه سهل(١)

ولكن الذي عناه الجاحظ ابعد من هذا ولتفسير ارادته النقدية لابد من الاستدلال بأقواله التي تصف المعنى وتحدد كينونته البيانية ،وبوسائله الدلالية الكاشفة عن انماط تلك المعاني، قال :

(المعاني القائمة في صدور الناس ، المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة .. وانما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، واخبارهم عنها، واستعمالهم إياها ، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل) (٢)

فالمعاني كمادة اولية لصناعة الكلام ، قائمة في صدور الناس جميعاً ، تجول في أذهانهم، تتهيء لعامتهم وخاصتهم بالتلقائية والمباشرة ، كالأمثال الدارجة وكلم العامة ، وقيمة مثل هذه المعاني في معيار الجاحظ النقدي صفر ، لأنها مطروحة في الطريق ، تقابلها معان حية صنعتها الإنسان بالشعر . وأخرجها من مكمنها لتؤدي وظيفتها التصويرية بلغة مختارة قادرة على استكناه تلك المعاني والايحاء بها . فاصبحت ذات قيمة أدبية . ولكن تلك القيم تتفاوت حسب قدرة الوسيلة على التعبير الذي يحليها للعقل ، فالتقابل اذن بين معنى ومعنى والألفاظ المتخيرة ، ليست الاوسيلة تحيي المعنى ، وتكشف مستوره فهي معيار المعنى لأنها حاملة له ، تؤثر في عملية توصيله وتصويره ، فعوّل الجاحظ في تشخيص قيمها بأن جعل نسجها أضرباً وتصويرها اجناساً ، تتباين كتباين القيم الجمالية في ذات النسج والتصوير المادي . وقد عبر الجاحظ عن تصوره لكيفية احتواء الألفاظ للمعاني، وصيغتها التي تحقق الفهم والتجلي، بقوله : (من علم حق المعنى ان يكون الأسم له لافاضلاً ولامفضولاً ولامقصراً ، ولامشتركاً ولامضمناً) (٣) .

لأن الأشتراك والتضمين يشتت المعنى في الألفاظ الدالة لتعدد المدلولات ، فيختل فهمها وادراكها . ولذلك خصص انماط المعاني المتباينة بقرائن وصفية تميزها في الأداء ، قال :

---

(١) ينظر في ذلك / البلاغة تطور وتاريخ / شوقي ضيف /٥٢/ وقضايا النقد الأدبي / محمد زكي عشماوي /٢٧٢/

(٢) البيان والتبيين /ح١/٧٥/

(٣) البيان والتبيين /ح١/٩٢/٩٣

(ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل) (١).

ولايعني هذا بطبيعة الحال ان المعنى لايتحرر من قيد التسمية في صيغ المجاز ، فتلك حالة أخرى يمكن فيها ايراد المعنى بروافد بيانية مختلفة ، ولكن بدلالة القرائن والحالات. وباب المجاز كما يقول الجاحظ (هو مفخر العرب في لغتهم - وبأشباهه اتسعت) (٢).

واستدل على ذلك بقوله: وقد جاء في كلام العرب ان يقولوا: جاءت السماء اليوم وقد قال الشاعر:

اذا سقط السماء بأرض قوم   رعيناه وان كانوا غضابا

فزعموا انهم يرعون السماء، وان السماء تسقط).

وقد عبر الجاحظ عن وعيه لأهمية المجاز في توسيع دلالات الالفاظ، ونقلَ هذا الوعي الى حيز العملية النقدية في تعليقه على قول الشاعر:

والاثم من شر ماتصول به   والبر كالغيث نبته أمرُ.

قال: ولو شاء أن يقول: والبر كالماء نبته أمرُ، استقام الشعر، ولكن لايكون له معنى؛ وانما أراد أن النبات يكون على الغيث أجود) (٣).

واشار الى ان العدول عن معاني الألفاظ الأصلية الى معان مجازية يسوغه ترابط المعاني بسبب من الأسباب، قال: (ويقولون: جاءتنا السماء بأمر عظيم، والسماء في مكانها وقد يقولون ايضاً، جاءتنا السماء ،وهم انما يريدون الغيم الذي يكون به المطر من شق السماء وناحيتها ووجهها) (٤).

فالمعنى البلاغي عند الجاحظ ليس رهين الدلالة اللغوية المباشرة ولا رهين الفاظ بعينها (وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل ان يهيء المعنى؛ عشقاً لذلك اللفظ وشغفاً بذلك الاسم حتى صار يجر اليه المعنى جراً ويلزقه به الزاقاً) (٥).

---

(١) كتاب الحيوان /ج٣/٣٩/

(٢) المصدر نفسه/ج٥/٤٢٦/

(٣) المصدر نفسه /ج٥/٢٤٥/ وينظر /ج٣/٤٧٦/

(٤) رسائل الجاحظ /ج٤/١٦/ رسالة الرد على المشبهة

(٥) المصدر نفسه /ج٣/٤٠/ رسالة المعلمين/ .

ولكن المعنى رهين بدوران الكلمة وتقلباتها في سياق التركيب اللغوي، بأعتبار الكلمة حاملة للمعنى ومصورة له بتقابل الحالات وتلاقي الأسباب، قال: (ورب كلمة لاتوضع الا على معناها الذي جعلت حظه وصارت هي حقه، والدالة عليه دون غيره ورب كلمة تدور مع واصلتها وتتقلب مع جارتها، وإزاء صاحبتها وعلى قدر ماتقابل من الحالات وتلاقي من الأسباب) (١) .

فالمعنى في كل هذه الحيثيات التي ساقها الجاحظ يمثل الجوهر او الماهية الروحية للتعبير اللغوي (وان جوهر الأشياء لاينفصل عن تحققها المادي — ولذلك نجد ان هناك رابطة بين المدرك الحسي والأفكار.) (٢) وان المعاني كما حدّها حازم القرطاجني : (هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان) (٣) وعلى هذا فأن عملية استكشاف المعاني وتعلق الألفاظ بها هو تخصيص لوظيفة اللغة (لأن اسبقية المعاني امر نسبي اذ هي قبل أن تتشكل وتلبس لبوس العلامة (موجودة بمعنى معدومة) ومن هذه المنزلة بين المنزلتين الكون الصريح والعدم الصريح وجدت الألفاظ سبيلاً الى المعاني وتعلقت بها على هيئة ما وتحددت وظيفتها أي — اللغة — باستكشاف عالم المعاني وإحيائه —) (٤)

وهذا ماكان يعبر عنه الجاحظ ، فقد كان مدركاً ان المجال الذي يحقق للمعاني قيمها الشعرية ، هو تجاوز كينونتها الفكرية الأولى (موجودة بمعنى معدومة) الى تحقيق وجودها وصيرورتها لغة مختارة تؤدي وظيفتها التعبيرية ، بتوصيل المعنى وتصويره ، فتكتسب خاصيتها الشعرية والأدبية في الحكم النقدي.

وأحسب أن قدامة بن جعفر (٣٢٧هـ) كان اكثر القدماء وعياً وادراكاً لارادة الجاحظ وتصوره هذا حيث قال :

(ان المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله ان يتكلم منها فيما أحب واثر ، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، اذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة — كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير

(١) رسائل الجاحظ /ج٤/ الجد والهزل /٨٦/٨٧
(٢) نظرية المعنى / مصطفى ناصف /٧١/
(٣) منهاج البلغاء / ٨ /
(٤) التفكير البلاغي عند العرب /١٧٠/

الصور فيها ... وعلى الشاعر اذا شرع في اي معنى كان ان يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى الغاية المطلوبة) (١) .

والتجويد عند قدامة: أن يكون احتواء الألفاظ للمعنى في السياق المنظومة فيه — موحياً بالصورة المتكاملة ، وان لايعلق الشاعر معانيه في سياق لاتتحدد فيه دلالاتها. ولذلك جعل للمعاني نعوتاً تخصصها، تتباين تباين مستويات التعبير في الجودة والرداءة — وإصابة الغرض. وحتى يبلغ الشاعر الغاية المطلوبة في التجويد عليه (أن يذكر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به) (٢) كقول طرفه:

فسقى ديارك غير مُفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

فقوله (غير مفسدها) اتمام لجودة ماقاله ،لأنه لو لم يقل ذلك لعيب كما عيب ذو الرمة في قوله:

ألا يا أسلمي يادار مي على البلى ولا زال منهملا بجرعائه القطر

لأنه اطلق دعاءه ولم يقيده، كما قيده طرفه بقوله (غير مفسدها) فتحولت دلالة السياق في بيت ذي الرمة الى معنى (أفسد الدار التي دعا لها بكثرة المطر) فقصرت لغته عن اداء وظيفتها وتشوهت الصورة .

وهذا ماسماه ابو هلال العسكري (أودُ النظم والتأليف) (٣) وردد ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) قول الجاحظ مُقراً (ان المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق،ولكن العمل على جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف (٤)

ومن الأهمية بمكان ان نذكر إقرار عبد القاهر الجرجاني موقف الجاحظ من المعنى ، لأن الوهم الذي غلبته الدراسات الوصفية انهما متناقضان في فهمهما للمعنى ، ولكن واقع الحال في حيثيات عبد القاهر النقدية يقول غير ذلك :(واعلم أنهم لم يعيبوا تقديم الكلام بمعناه من حيث جهلوا ان المعنى اذا كان ادباً ، وحكمه ، وكان غريباً نادراً . فهو أشرف مما ليس كذلك ... ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه . كالفضة والذهب

(١) نقد الشعر /٦٥/٦٦
(٢) المصدر نفسه/١٤٤
(٣) كتاب الصناعتين /٦٤/
(٤) العمدة /حـ١/١٢٨/

يصاغ منهما خاتم او سوار فكما ان محالا اذ أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته ، ان تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصورة او الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة ، كذلك محال اذ اردت ان تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه .) (١)

ومراد عبد القاهر هنا واضح لايحتمل التأويل ، فهو انما يُقر فاعلية اجراء الجاحظ النقدي بالرد على ابي عمرو الشيباني لأن الجاحظ لايجهل ان معاني الحكمة في الشعر هي اشرف مما ليس كذلك ، بدليل انه وضع (بيتي الشعر آنفة الذكر) ؟ في مختاراته عندما وجد ان المقام يقتضي المقال (٢).

واستطرد عبد القاهر في دفاعه عن موقف الجاحظ ، عندما وجد ان ذلك يرسخ مزيّة النظم التي طرحها بديلاً لثنائية اللفظ والمعنى قال :« اذا كان العمل على ما قد يذهبون اليه من لايجب فضل ومزية الا من جانب المعنى ، وحتى يكون قد قال حكمة وادباً واستخرج معنى غريباً او تشبيهاً نادراً ، فقد وجب اطراح جميع ماقاله الناس في الفصاحة والبلاغة ، وفي شأن النظم والتأليف ، وبطل ان يجب بالنظم فضل وان تدخله المزية ، وان تتفاوت فيه المنازل) (٣) .

والمعنى في النظم الذي يعنيه عبد القاهر هنا هو الغرض الذي تحمله صيغة القصيدة الكلية ليس المعنى اللغوي المباشر في جزئيات الألفاظ (إن قولنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض) (٤) وقال :)وليس الغرض بنظم الكلم ان توالت الفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل .) وعليه فقد عدّ عبد القاهر تقديم المعنى لذاته في النقد داءً دويا — قال : (واعلم ان الداء الدوي الذي أعيي أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه، وأقل الاحتفال باللفظ — وجعل لايعطيه من المزية ان هو اعطى الا ما فضل عن المعنى) (٥) وليس من شك بأنه يقول هذا موافقاً قول الجاحظ ومقراً صلاح رأيه ؛ (واعلم انك لست تنظر في كتاب صنف في شأن

(١) دلائل الاعجاز /١٩٦/

(٢) البيان والتبيين /ج٢/١٧١/

(٣) دلائل الاعجاز /١٩٨/

(٤) المصدر نفسه /١٩٩/٤١/

(٥) المصدر نفسه /١٩٧/١٩٨/

البلاغة، وكلام جاء عن القدماء، الا وجدته يدل على فساد هذا المذهب، ورأيتهم يتشددون في انكاره وعيبه،.. واذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كل مبلغ — ويتشدد غاية التشدد — وقد انتهى في ذلك الى أن جعل العلم بالمعاني مشتركاً وسوّى فيه بين الخاصة والعامة فقال: ورأيت ناساً يبهرجون اشعار المولّدين ويتسقطون من وراءها ولم أر ذلك قط إلا في رواية غير بصير بجوهر مايروى، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي اي زمان كان..) ثم اورد عبد القاهر بعد ذلك نص الجاحظ الذي عرّض فيه بموقف ابي عمرو الشيباني، مصرحاً بأنهم لم يبلغوا في انكار هذا المذهب ما بلغوه (إلا لأن الخطأ فيه عظيم وانه يفضي بصاحبه الى ان ينكر الاعجاز) (١).

وقد وجه عبد القاهر مفهوم الصياغة الشعرية عند الجاحظ توجيهاً يخدم فكرة الاعجاز والنظم عنده — وعبر عن ذلك بقوله: (وجملة الأمر انه لايكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد الى صورة وصنعة) (٢) وهذا الترتيب والقصد خاصية حادثة في المعنى تصورها الألفاظ المنظومة (ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم ان يقولوا اللفظ، وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى، والخاصة التي حدثت فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال:

(والمعاني مطروحة وسط الطريق، وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير)٣).

وهذا يعني ان الجاحظ في رأي عبد القاهر قد تجاوز في نظرته النقدية حدّي اللفظ والمعنى، واعطى القيمة لخصوصيته الصورة الحادثة في النظم، قال — (وكذلك كان عندهم — اي النظم — نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء... وما أشبه ذلك)(٤)

وعلى هذا فقد ردّ عبد القاهر على اولئك الذين جهلوا مراد الجاحظ وتصوروا انه منحاز للفظ في موقفه قال:

(لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم اساساً وبنوا على قاعدة، فقالوا: انه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث، وإنه إذا كان كذلك وجب اذا كان لأحد الكلامين فضيلة لاتكون للآخر ثم كان الغرض من احدهما هو الغرض من صاحبه، ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ خاصة وان لايكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك زعموا

(١) المصدر نفسه /١٩٧/١٩٨/

(٢) دلائل الاعجاز /٢٧٨/

(٣) المصدر نفسه /٣٦٨/

(٤) المصدر نفسه /٤٠/

يؤدي الى التناقض ، وان يكون معناهما متغايراً وغير متغاير معاً ، ولما اقروا هذا في نفوسهم حملّوا كلام العلماء في كل مانسبوا فيه الفضيلة الى اللفظ على ظاهره) (١) .

وانطلاقاً من هذا المفهوم فان الجاحظ لم ينظر الى القيمة الشعرية على انها لفظ ومعنى ، وانما نظر الى الصياغة التي تصهر المعنى فتحدث في اللفظ صورة تعبيرية ترقى الى حد الصور الجمالية المتحققة الصناعات ، وان صياغة المعنى في الشعر تتباين مستوياتها في التعبير كتباين القيم الجمالية في الصناعة والنسج والتصوير ، وقد عبر عبد القاهر عن ذلك بقوله :(واعلم ان قولنا الصورة انما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فكما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة ... بخصوصية تكون في صورة هذا لاتكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر في المصنوعات ...ثم وجدنا بين المعنى في احد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا : للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك : وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ : وانما الشعر صناعة وضرب من التصوير) (٢) .

ورغم ان اهمية المقايسة الظاهرية بين صياغة المعنى في الشعر والصياغات المادية المحسوسة في بناء الموقف النقدي ، فان المعنى الشعري لايكون في ظاهر اللفظ دائما ، لأن تشكيل الصورة في المعنى في صيغ البلاغة المختلفة يحكمها السياق الدلالي اكثر مما يحكمها المعنى الوصفي المباشر ، ولعل الجاحظ كان مدركاً هذا تمام الادراك ، لذلك حاول أن يتجاوز موقفه الوصفي هذا والذي اعتمد فيه المقايسة الظاهرية في حكمه النقدي ، الى الحديث عن المعنى كمدلول ادبي مخصوص، بالبيان ، وقد عبر بوضوح عن ذلك بتوزيع روافد المعنى الدلالية ، وبتعدد وسائل البيان في الكشف عن المعنى ، ونلاحظ اصول هذا الاتجاه في كتابة (البيان والتبيين) حيث وضع (البيان والمعنى) موضعاً استبدالياً يجعل الأستدلال الاصطلاحي بهما واحداً في الغاية التي يجري اليها القائل والسامع وهي الادراك والفهم ... قال :(البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ... لأن مدار الأمر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع

(١) المصدر نفسه /٣٦٨/

(٢) المصدر نفسه /٣٨٩

انما هو الفهم والافهام ؛ فبأي شيء بلغت الإفهام ، واوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع) (١) .

فالبيان كشف عن قناع المعنى (والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان) وعلى قدر وضوح الدلالة البيانية ودقة الاشارة في التعبير البياني (يكون اظهار المعنى) فالبيان عام في استغراق المعنى ،والمعنى حدث مخصوص تحدده الدلالة البيانية، لأن الدلالة انواع تتفاوت قدرتها في احتواء المعنى وايصاله. قال: (وجميع اصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لاتنقص ولا تزيد: اولها اللفظ ، ثم الاشارة، ثم العَقد ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبه،.. ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية اختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير.) (٢) .

وتنوع الدلالة عند الجاحظ يعود الى طبيعة المعاني ذاتها (لأن المعاني مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية واسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة .) (٣) ولذلك وجد الجاحظ (ان اختلاف المعاني وتنزلها في مراتب وطبقات لايتم ادراكها بنفس الصورة فتتفاوت قدرتنا في التعبير عنها.) (٤) .

وتشير بعض الدراسات الحديثة الى أن تفكير الجاحظ في قضية الدلالات المعنوية يتأسس على نظرة شمولية للعالم والكون تنزل بموجبها المخلوقات منزلة الدوال لمدلول يهتدي اليه بالتعقل (ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله، ووجوه مانتج له الاستدلال وسموا ذلك بياناً.) (٥) (لذلك ربط مفهوم البيان بتعامل حي مع حاجات الانسان الحسية وبقدرة الاستدلال والبيان تنكشف تلك الحاجات وينتهي اليها معامله ومعايشه، فيتم التعاون والتآزر وتنعقد بينها الأسباب.. ومن هنا أرتبط مفهوم البيان في مرحلة أولى بغاية التعبير عن خفايا الحاجات والمعاني.) (٦) .

---

(١) البيان والتبيين /ح١/٧٥/٧٦/
(٢) المصدر نفسه /٧٦/
(٣) المصدر نفسه /٧٦/
(٤) التفكير البلاغي عند العرب /حمادي حمود /١٧٠/
(٥) الحيوان /ح١/٣٣/
(٦) التفكير البلاغي عند العرب /١٥٩/

وقد عبر الجاحظ عن رؤياه البيانية. من خلال ماتحمله ظواهر العالم من حوله من معان تدل عليها او يستدل الإنسان لها.. قال:

(ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة، ووجدنا الحكمة على ضربين.

شيء جعل حكمة وهو لايعقل الحكمة، ولاعاقبة الحكمة، وشيء جعل حكمة، وهو يعقل الحكمة، فاستوى بذلك الشيء العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة وأختلفا من جهة أن احدهما دليل لايستدل والآخر دليل يستدل.. واجتمع للانسان أنْ كان دليلا مستدلا. (١) فجاءت الدلالات انواعاً ومراتب اما الأنواع فمن جهة ان الانسان بين عن مراده بوسائل شتى لاتنحصر بالضرورة في اللغة ،واما المراتب فمرتبطة برأي الجاحظ في اقسام المخلوقات وافتراقها في مناهج الدلالة من جهة الاطراف التي يتم بينها التواصل ؛ والبيان من جهة ثانية) (٢) .

وعلل الجاحظ توزيع وسائل الدلالة البيانية باسبابها الاستدلالية حية وجامدة — وهو تعليل مستمد من طبيعة الشواهد التي تأملها في الحياة ذاتها قال: (وجعل بيان الدليل الذي لايستدل تمكينه المستدل من نفسه ، واقتياده كل من فكر فيه الى معرفة مااستخزن من البرهان وحشي من الدلالة واودع من عجيب الحكمة، فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحة الشهادة على أن الذي فيها من التدبير والحكمة مخبر لمن استخبره ،وناطق لمن استنطقه كما يخبر الهزال وكسوف اللون عن سوء الحال وكما ينطق السمن وحسن النضرة عن حسن الحال وقد قال الشاعر وهو نصيب:

فعاجوا فاثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

قال الفضل بن عيسى : سل الأرض : مَن شق انهارك ، وغرس أشجارك وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حواراً . اجابتك اعتباراً) (٣) .

فالدلالات في هذا السياق تتخذ شكل بنية ونسق تجعل الكون وحدّة يتمثلها الإنسان من خلال حركة جزيئاتها الدالة على معانيها (وربما امكن القول بأن جميع ماقاله الجاحظ عن البيان يرجع في اصله الى تصوره العام للعالم تصوراً بيانياً ... اي انه يرى بأن الكون

---

(١) كتاب الحيوان /ج١/٣٣

(٢) التفكير البلاغي /١٥٩/

(٣) كتاب الحيوان /ج١/٣٤/٣٥/

والطبيعة والحيوان والإنسان تعبر عن نفسها باشكال اشارية مختلفة .) (١) وهذا يعني أن البيان بهذا المفهوم العام (ليس رهين جنس الدليل ونوع العلامة ، والمهم هو الانتقال بالمعنى من حال الاختزان والبرهان الصامت الى حال تفضي بالمستدل الى حقيقتها وتمثلها بفكره .) (٢)

ومن هذا المنظور انزل الجاحظ دلالاته البيانية حسب فاعليتها في بث المعنى وتوصيله وحسب قدرتها الخاصة في ابلاغ السامع درجة الإفهام (فبأي شيء بلغت الإفهام واوضحت عن المعنى فذلك هو البيان .) (٣)

فبدأ باللفظ الذي هو اهم مثير للمعنى عند الأنسان ، وهو الأصل في التعبير البياني (لأن مدار الأمر على البيان والتبيين ، وعلى الإفهام والتفهم ، وكلما كان اللسان أبين كان احمد). (٤) ويعني باللسان اللغة ومكان اللغة متميز عند الجاحظ (ومرد هذا في نظرة الى ماتتميز به اللغة من وضوح الدلالة والقدرة الفائقة على التعبير عن المعاني المختلفة) (٥) .

ويتحدد المعنى في هذا المفهوم (بانه مدلول الكلمة من الأشياء والأفكار والمشاعر وان اللفظ هو الدلالة الاسمية لذلك المدلول والأشارة الكلامية المستخدمة لبيانه وظهوره). (٦)

وبيان اللسان او المنطق كما يسميه الجاحظ اهم وسيلة بيانية عند الأنسان لإيصال المعنى بل هو الأصل الذي تحمل عليه الوسائل الأخرى وتشبه به قال: (قد قلنا في الخطوط.. وقلنا في العقد وفي الأشارة ولم شبهوا جميع ذلك ببيان اللسان حتى سموه بالبيان، وقد قلنا في الحاجة الى المنطق وعموم نفعه وشدة الحاجة اليه، وكيف صار اعم نفعاً ولجميع الاشكال اصلا. وهو المشتق منه والمحمول عليه). (٧) ولأن الألفاظ هي وسيلة هذا البيان لأداء المعنى فقد تحدث الجاحظ عن الجوانب الصوتية وعدّها جوهر اللفظ ، فذكر التنافر والتلاؤم في مفردات اللغة وتراكيبها وشخص الكثير من العيوب التي تعتري اللسان

---

(١) الرؤية البيانية عند الجاحظ /٤٧/
(٢) التفكير البلاغي عند العرب /١٦٠/
(٣) البيان والتبيين /ج١/٧٦/
(٤) المصدر نفسه /ج١/١١/
(٥) الرؤية البيانية عند الجاحظ /١٣٤/
(٦) مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ /ميشال عاصي /١٦٩/
(٧) كتاب الحيوان /ج٦/٥/

في نطق الحروف وقد جعل حديثه عن الأصوات مقدمة لباب البيان ، وهو إنما فعل ذلك عن وعي بأهمية المستوى الصوتي في دراسة النص البياني (لأن البيان يحتاج الى تمييز وسياسة. والى ترتيب ورياضة والى تمام الآلة وإحكام الصنعة. والى سهولة المخرج ومهارة المنطق ــ وتكميل الحروف واقامة الوزن، وان حاجة المنطق الى الحلاوة والطلاوة، كحاجته الى الجزالة والفخامة، وان ذلك من اكثر ماتستمال به القلوب وتثنى به الأعناق، وتُزيّن به المعاني(١) .

وفي ضوء هذا السياق الوصفي لاشكال التعبير البياني عند الجاحظ يفرز أحد الباحثين (٢) مستويين من التعبير الدلالي المقتضي للفهم: احدهما: استعمال عادي مألوف يخلو من كل سمة اسلوبية نوعية، وهو المستوى الذي يقترنه بطبقة معينة من المجتمع يسميها العامة حيناً والناس حيناً آخر، وتقتصر فيه وظيفة الاستعمال على مجرد افهام الحاجة دون سياسة في الأداء ،وهذا ماوصمه بمستوى الصغر من الدلالـة.

والثاني : هو استعمال اللغة المطبوع بسمة فنية خاصة ، وينص الجاحظ على أن هذا المستوى لتصريف الظاهرة اللغوية يقتضي (السياسة والترتيب والرياضة واحكام الصنعة) مما يجعل الكلام ذا طابع مميز يحول الظاهرة اللغوية من مجرد الإبانة الى مجرى البيان الفصيح (٣) ويمكن الاستدلال الى اصول هذين المستويين في قول الجاحظ : (فمن زعم ان يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة ــ والخطأ والصواب كله سواء ، وكله بياناً ، وكيف يكون ذلك كله بياناً .) (٤) وقوله : (وان كنت ذا بيان واحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة... فلا تقصر في التماس اعلاها سورة) (٥) .

ومن هذا المنطلق استخلص الدكتور المسدّي اول مقياس انبنت عليه نظرية الجاحظ في تحديد الأسلوب وهو مبدأ (الأختيار) ويعني به ان تكون بنية الألفاظ الصوتية سليمة من التكلف مؤتلفة المخارج ليكون هذا اللفظ موصوفاً بالبلاغة في قدرته على ايصال المعني على مجاري العرب الفصحاء ، ومبدأ الأختيار هذا يتطابق مع قول الجاحظ :

---

(١) البيان والتبيين /حـ١/١٤/

(٢) هو الدكتور عبدالسلام المسدي في بحثه عن الجاحظ في مجلة الأقلام العدد /١١/١٩٨٠

(٣) المقاييس الأسلوبية ... (من خلال البيان والتبيين) مجلة الأقلام /٢٢٩

(٤) البيان والتبيين /حـ١/١٦٢/

(٥) المصدر نفسه /حـ١/٢٠٠/

لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون ، لفظه الى سمعك اسبق من معناه الى قلبك ..) (١) وردد هذا القول في وصف كلام ثمامة بن اشرس ، فقال :(معاني ثمامة الظاهرة في الفاظه الواضحة في مخارج كلامه ... وكان لفظه في وزن اشارته ومعناه في طبقة لفظه ولم يكن لفظه الى سمعك بأسرع من معناه الى قلبك . » (٢)

فبدلالة هذه النصوص يمكن القول بان مبدأ الأختيار البياني :(يجعل التطابق الآلي بين البنية الخارجية للفظ — وهي البنية الألسنية الصوتية وبنيته الداخلية — اي الألسنية الدلالية — بحيث يكون اقتران الدال بمدلوله اقتراناً آلياً لايُفضي الى اي انزياح زمني اوقطيعة دلالية ويطلق الأسلوبيون اليوم على هذه الظاهرة الانتظام النوعي في صلب اجزاء الأثر مما يطبعه بالإئتلاف بين هياكل الدوال وهياكل الدلالات .) (٣) ويعني بذلك ان حضور المعنى عند الجاحظ مقيد بقدرة اللفظ على الايحاء بالمعنى ، ويؤكد (المسدّي) اعتماد الجاحظ على الطاقة الايحائية في الظاهرة اللغوية أكثر من اعتماده على طاقاتها التصريحية باعتبار ذلك من مميزات لغة الخلق الفني وبالتالي لغة الأسلوب الأدبي ، وتتحدد تجليات هذا الضرب من ضروب الايحاء في توظيف الجاحظ الدلالة الاشتقاقية والتشبيه في توليد المعنى : قال : ويدل على أنهم يشتقون من اسم الشيء الذي يعاينون ويسمعون قول سوار بن المضرب :

تغنى الطائران ببين ليلى ... على غصنين من غرب وبان

فكان البان ان بانت سليمى ... وفي الغرب اغتراب غير دان

فاشتق كما ترى الاغتراب من الغرب ، والبينونة من البان وقال جران العود :

جرى يوم رحنا بالجمال نزفها ... عقاب وشجاج من البين يبرح

فأما العقاب فهي منهما عقوبة ... واما الغراب فالغريب المطوح

فلم يجد في العقاب الا العقوبة ، وجعل الشجاج هو الغراب البارح وصاحب البين ، واشتق منه الغريب المطوح ..» (٤) .

---

(١) المصدر نفسه /حـ١/١١٥/

(٢) المصدر نفسه /حـ١/١١١/

(٣) المقاييس الأسلوبية ... (من خلال البيان والتبيين) مجلة الأقلام /٢٢٩/١١/

(٤) كتاب الحيوان /حـ٣/٤٤٠-٤٤١/

ومن ذلك انهم كانوا يضربون على العروس البناء كالقبة والخيمة فيقال بنى عليها اشتقاقاً من البناء، ولايقال ذلك اليوم) (١) .

فالدلالة الاشتقاقية عند الجاحظ تعتمد قدرة اللغة الذاتية على توليد المفردات ، وتمكينها من مواجهة امتداد المعاني اللامتناهي قال : (واسماء حدثت ولم تكن — وانما اشتقت لهم من اسماء متقدمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن ادرك الجاهلية والاسلام مخضرم ... ويدل على ان هذا الأسم أحدث في الاسلام ، انهم في الجاهلية لم يكونوا يعلمون ان اناساً يسلمون وقد ادركوا الجاهلية ، ولاكانوا يعلمون ان الاسلام يكون ... ومن ذلك قولهم « من أشبه أباه فما ظلم » يقول قد وضع الشبه في موضعه ... وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء اذا طالت صحبتهم وملابستهم له) (٢) والشيء يذكر لنظيره كما يقول أبن جني (: فإن المعاني وإن أختلفت معنياتها ... آخذ بعضها برقاب بعض) (٣) .

ويرى الجاحظ ان المجاز بصيغة المختلفة يعمل الى جانب الاشتقاق في توزيع طاقة اللغة المعنوية ، بنقل المعنى الحقيقي الى معان دلالية مختلفة بحكم الصلة والمناسبة السياقية بين الألفاظ والتي اصطلح البلاغيون على تسميتها بعلاقات المجاز، قال : (وللعرب اقدام على الكلام ثقة بفهم اصحابهم عنهم ... وكما جوزوا لقولهم أكل وانما عض ، وأكل وانما افنى ، جوزوا ايضاً ان يقولوا : ذقت ما ليس بطعم ، ثم قالوا : طعمت لغير الطعام .. قال العرجي :

وان شئت حرمت النساء سواكم ... وان شئت لم أطعم نقاحاً ولابردا

وقال الله تعالى :(ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني) (٤) .

وعلاقات المجاز — المسوّغة للنقل — بالمعاني الحقيقية ، علاقات متعددة ومتنوعة بيّن الجاحظ بعضها في معرض حديثه العام عن المجاز دوح تخصيص لنوع العلاقة ، ومن تلك الصيغ التي ذكرها ما علاقته (المجاورة) (٥) في المفهوم الاصطلاحي ، قال :

---

(١) المصدر نفسه /ح١/٣٣٤/

(٢) كتاب الحيوان /ح١/٣٣٠-٣٣٢/

(٣) الخصائص /ح٢/١٣٩/

(٤) كتاب الحيوان /ح٥/٣٢/

(٥) فنون بلاغية /احمد مطلوب/١١٤/

(ومن هذا الشكل الراوية ، والراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزادة ولهذ المعنى سمّوا حامل الشعر والحديث راوية) (١) .

من العلاقات المسوغة النقل المعنى ، التي عرض لها الجاحظ ما سمي اصطلاحاً في علاقات المجاز المرسل (بالاستعددا) او (اعتبار ما سيكون) (٢) قال في تأويل الآية الكريمة (يخرج من بطونها شراب) فالعسل ليس بشراب — وانما هو شيء يحوّل بالماء شراباً أو بالماء نبيذا فسماه كما ترى شراباً اذ كان يحيء منه الشراب) (٣) اي ان العسل سمّي شراباً لاعتبار مايكون .

واشار الجاحظ ايضاً إلى ما اصطلح عليه البلاّغيون بالعلاقة (المحلية) وهي (ذكر لفظ المحل واريد به الحال فيه) قال : ومن هذا الباب الملّة — والملّة موضع الخبزّة فسموا الخبزّة باسم موضعها) (٤) .

ولعل من اوضح صيغ العلاقات المجازية التي عرض لها الجاحظ : علاقة المشابهة قال في مناقلة معنى العسل : (هو المثل في الأمور المرتفعة — فيقولون : ماء كالعسل ويصفون كل شيء حلو ، فيقولون: كأنه العسل: ويقال: هو مسعول اللسان،وقال الشاعر:

لسـانك معسول ونـفـسك شـحـة
ودون الثريا من صديقك مـا لكا (٥)

وعلى هذا جاء قوله : (ان العرب قد تسمي المتعامي اعمى والمتصامم أصم ، ويقولون لمن عملَ من لايعقل: لايعقل وانما الكلام محمول على كلام. وذلك أن المتعامي اذا تعامى صار في الجهل كالأعمى ، فلما أشبهُهُ من وجه سمي باسمه) (٦) فخلص بقوله (سميّ باسمه) الى حد مفهوم مجاز الاستعارة. الذي قرره بعد ذلك في قول الشاعر :

وطفقت سحابة تـغـشـاهـا
تبكي على عراصها عينـاهـا

(١) كتاب الحيوان /حـ١/٣٣٤/

(٢) البرهان في وجوه البيان / الزركشي/حـ٢/٢٧٨/وتسمى هذه العلاقة ايضاً (المستقبلية) /ينظر/ البلاغة العربية في ثوبها الجديد /بكري شيخ أمين /١٠٣/ وفنون بلاغية /١١٣/

(٣) كتاب الحيوان /حـ٥/٤٢٥/

(٤) المصدر نفسه /حـ١/٣٣٣/ وينظر فنون بلاغية /١١٣/ والرؤية البيانية عند الجاحظ/١٩٧/

(٥) كتاب الحيوان /حـ٥/٤٣٠/

(٦) رسائل الجاحظ/ حـ٤/١٤/

قال :(تبكي على عراصها عيناها، عيناها ههنا للسحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء بأسم غيره اذا قام مقامه.) (١) .

وبذلك أظهر الجاحظ خصوصية المجاز في الأستدلال على المعنى الواحد بطرق مختلفة (وهذا الباب مفخر العرب في لغتهم وبأشباهه اتسعت (٢) وهذا التصوّر لأهمية الاشتقاق والمجاز أعطى اللغة زخماً كمياً في التعبير، وهي حالة تنفرد بها اللغة بين سائر وسائل البيان الأخرى وعلى هذا أمكن لأحد الباحثين القول :(اذا كانت هذه الأهمية التي تتميز بها اللغة هي التي جعلت علماء السيمياء المعاصرين يولونها أكبر جهدهم وعنايتهم ويفهمون مجالات الانظمة الاشارية الأخرى ويدرسونها على ضوء مايتوصل اليه علماء اللغة من قواعد وقوانين ،فان الجاحظ قد أدرك ذلك بوعي علمي دقيق فخص اللغة بما لم يخص به غيرها من وسائل البيان (٣) .

والاشارة هي الدلالة البيانية الثانية عند الجاحظ، وهي دلالة ظاهرة ترمزالى معان تدرك بالنظر والتأويل:(والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان) (٤) .

وفاعلية الاشارة في بيان المعنى الخفي، تعتمد انعكاس الحركة الاشارية وتمكنها في نفس المتلقي قال:(فأما الاشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط ، فيكون ذلك زاجراً ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً ...وبعد فهل تعدو الاشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة ،على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها ،وفي الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير...ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة ... وقد قال الشاعر في دلالات الاشارة :.

اشارت بطرف العين خيفة أهلها
إشارة مذعور ولم تتكلم

فايقنت أن الطرف قد قال مرحباً
وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

---

(١) البيان والتبيين /حـ١/١٥٢–١٥٣/
(٢) كتاب الحيوان /حـ٥/ ٤٢٥
(٣) الرؤية البيانية عند الجاحظ /١٣٥/
(٤) البيان والتبيين /حـ١/٧٥/

فجعل الاشارة موحية وناطقة ــ تشارك اللفظ في نقل المعنى من حال الاختـزان الصامت الى حال تفضي بالمستدّل الى الحقيقة، قال: (والاشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ــ ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ماتنوب عن اللفظ). (١) .

فالاشارة عند الجاحظ تحقق مفهومها الدلالي في حالتين : الاولى تكون الاشارة شريكة للفظ وعوناً له تترجم معانيه وتوصلها الى المتلقي:

قال: (ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم) والثانية: اشارة دالة بمفهومها العرفي الذي قرّ في اذهان الناس ،فيعرف معنى الاشارة بصورتها الحركية لطول ترددها ورسوخ مؤداها، قال: (والآخرس يرى الناس يصفقون بأيديهم عند دعاء انسان أوعند الغضب والجد، فيعرف صورة تلك الحركة لطول ترددها على عينيه، كمايعرف سائر الاشارات، واذا تعجب ضرب بيديه كما يضربون.) (٢) .

فالجاحظ بهذا المفهوم (يجعل من الاشارة لغة طبيعية ثانية تنفصل تمام الانفصال عن اللغة الطبيعية التي تتخذ من الصورة الصوتية وحداتها المكونة.) (٣) .

أي أنه يرى في دلالة الاشارة فاعلية خاصة واستقلالاً في التعبير تعين المتكلم على تشخيص المعاني القائمة في الوسط الفكري الذي لاتحيط به اللغة وهي المعاني التي عبر عنها الجاحظ (بخاص الخاص) قال : فما لا أسم له خاص الخاص والخاصيات كلها ليست لها سماء قائمة .) (٤) .

وهنا تأتي أهمية الاشارة في التعبير عن تلك الخاصيات بأدائها الحركي للمعنى، قال: (ولولا الاشارة لما فهموا عنك خاص الخاص....

وليس يكتفي خاص الخاص باللفظ عما أداه). (٥) .

وتشترك الاشارة و(العقد) في الدلالة باليد ، وفي هذا يقول الجاحظ(فمن ذلك حظها وقسطها ــ أي اليد ــ من منافع الاشارة ثم ..حظها في العقد.) (٦) .

(١) المصدر نفسه /ج١/٧٧-٧٨/

(٢) كتاب الحيوان /ج٤/٤٠١/ ، ج٣/١١٦/

(٣) الرؤية البيانية عند الجاحظ /١٢٦/

(٤) كتاب الحيوان /ج٥/٢٠١/

(٥) المصدر نفسه /ج١/٥٠/

(٦) المصدر نفسه /ج١/٤٩/

الا أن وظيفة العقد الدلالية مخصوصة في بيان القيم الحسابية قال الجاحظ : (وأما القول في العقد ، وهو الحساب دون اللفظ والخط .) (١)

فدلالة العقد المعنوية محدودة (بعقد الحساب للأصابع) (٢) ودلالة الاشارة ، دلالة عامة ، تكون باليد وبغير اليد من جوارح الانسان ، ورغم اشتمال الحساب على معان كثيرة ومنافع جليلة كما يقول الجاحظ — الا أنها لاترقى إلى حدّ اللفظ والاشارة في بلاغة التعبير . على أن الجاحظ يرى ان اللفظ والاشارة والعقد ، دلالات مباشرة في ايصال المعنى ، اي ان فاعليتها تنتهي بانتهاء ادائها .

أما الخط ؛ الدلالة البيانية الرابعة عندالجاحظ ، فهو وسيلة تختزن الدلالة وتوصلها إلى أزمان تالية ، وفاعلية الخط عنده تتعدى الزمان والمكان قال :

(اللسان مقصور على القريب الحاضر ، والقلم مطلق في الشاهد والغائب .... والكتاب يقرأ بكل مكان ، ويدرس في كل زمان ؛ واللسان لايعدو سامعه ، ولايتجاوز إلى غيره .) (٣) ولا تنحصر دلالة الخط عند الجاحظ على الكتابة فقط بل تشمل كل الرموز التسجيلية التي اصطنعها الانسان وصورها وكل التشكيلات الرمزية المعبرة عن معان مُدركة ، قال : (وضروب من الخطوط بعد ذلك تدل على قدر منفعة الخط ... وخطاً آخر وهو خط الحائري والعرّاف والزاجر ... وخطوط آخر تكون مستراحاً للأسير والمهموم والمفكر وفي خط الحزين في الأرض يقول ذي الرمة :

عشية مالي حيلة غير انني بلقط الحصى والخط في الدار مولع
أخط وامحو الخط ثم أعيده بكفي والغربان في الدار وقع . (٤) .

فدلالة الخط البيانية تتوزع بين حالات مختلفة لاتعتمد الحروف الكتابية في تأدية المعنى دائماً ، فخط الحزين في الديار المقفرة له دلالة رمزية ، يعبر الانسان بها عن معان مكبوتة لتخفيف حدةّ الانكسار النفسي الذي يعانيه ، وقد لاتكون تلك الخطوط ذات معنى دلالي مباشر بالقياس الى الناظر ، الا انها ذات فاعلية نفسية ، تحوّل اتجاه الضغط الذاتي الى حركة يدوية ، تخط ، وتمحو الخط ، وعلى هذا تستوي كل التشكيلات المخطوطة في أدائها البياني عند الجاحظ ، قال : (وليس بين الرقوم والخطوط فرق ... ولا بين العقود والرقوم فرق ، وكلها خطوط ، وكلها كتاب او في معنى الخط والكتاب

---

(١) البيان والتبيين /ح١/٨٠/
(٢) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن /الزملكاني /٨٣/
(٣) البيان والتبيين /ح١/٨٠/
(٤) كتاب الحيوان /ح١/٦٣/

وكلها صور وعلامات وخلق مواثل ودلالات ... كما استدلوا بالضحك على السرور ، وبالبكاء على الألم ، وعلى مثل ذلك عرفوا معاني الصوت وضروب صور الاشارات ، وصور جميع الهيئات) (١) .

لقد عبر الجاحظ بذلك عن وعيه لأهمية الكتابة والخطوط التشكيلية بمختلف صورها باعتبارها وسيلة تواصل اصطنعها الانسان ليجتاز بها حاجز الزمان والمكان(ان الكتابة او الخط عند الجاحظ تعتبر لغة)(٢) لتماثل الجزئيات المكونه للغة المنطوقة والمكتوبة وهي الحروف.

ولا فرق عنده (بين الحروف المجموعة والمصورة من الصوت المقطع في الهواء ، ومن الحروف المصورة من السواد في القرطاس ... واللسان يصنع في جوبة الفم وهوائه الذي في جوف الفم وفي خارجه ، وفي لهاته ، وباطن اسنانه مثل ما يصنع القلم في المداد والليقة والهواء والقرطاس ... فيعرف منها ما كان في تلك الصور لكثرة تردادها على الأسماع ، ويعرف منها ما كان مصوراً من تلك الألوان لطول تكرارها على الأبصار وعلى مثل ذلك عرفوا معاني الصوت ، وضروب صوت الإشارات ، وصور جميع الهيئات (٣) أي أن الخطوط بمختلف اشكالها وسيلة تمتلك الاستدلال على المعنى — باستقراء الحروف التي تتركب منها المفردات اللفظية والكتابية ، ولا فرق عند الجاحظ بين صوتية الحروف ، وصورها في أيصال المعنى ، فالصوت تدركه الاسماع ، والصورة تدركها الأبصار .

اما الهيئة الدالة على نفسها من غير وسيلة استدلال فقد وسمها الجاحظ (بالنصبة) وجعلها الدلالة الخامسة من دلالات البيان قال : (والنصبة هي الحال الدالة ، التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات(فهي كائنة في ظاهر الهيئات غير الدالة بوسيلة من وسائل البيان الأربعة الأخرى ، قال : (وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد) (٤) .

---

(١) المصدر نفسه /حـ١/٧٠/
(٢) الرؤية البيانية عند الجاحظ /١٣٢/
(٣) كتاب الحيوان /حـ١/٧٠/ (والجوبة) الفجوة /اللسان : مادة —جوب — / وينظر / الرؤية البيانية /١٣٢
(٤) البيان والتبيين /حـ١/٨١ ، ٧٦/

ويمكن القول ان دلالة النصبة مبنية على نظرة تأملية تسترجع شواهد الكون وتربطها بالحكمة المودعة فيها ، لتصل الى معانٍ اعتبارية تدخل اليقين بالبرهان ، وتقر اعتبار تلك المعاني بشواهد العيان . (وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق ، وجامد ، ونام ... فالدلالة في الموات الجامد ، كالدلالة التي في الحيوان الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة ، والعجماء معربة من جهة البرهان ، ولذلك قال الأول (سل الأرض فقل : من شق انهارك ، وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً) (١) .

وبهذا يقرر الجاحظ امكانية الاستدلال على المعنى بدلالات حيّة وجامدة ، ر ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه ، وان كان صامتاً ، وأشار اليه وان كان ساكناً) (٢) . فاعطى المعنى بُعداً عقلياً تجاوز فيه مفهوم (ابي عمرو الشيباني) التفسيري، ويرى (المسدي) في مفهوم الجاحظ الدلالي هذا بعض العناصر المبدئية لنظرية الأسلوب لأن (كل نظرية في الاسلوب تنطلق اساساً من فرضية منهجية قوامها أن المدلول الواحد يمكن بثه بواسطة دوال مختلفة ، وهو ما يؤول بتعدد الأشكال التعبيرية) (٣) وقد جعل الجاحظ «الفهم» قيداً لإدراك المعنى في الاشكال التعبيرية :(فبأي شيء بلغت الافهام واوضحت عن المعنى فذلك هو البيان) ، (٤) والبيان عنده في هذا السياق (ليس رهين جنس الدليل ، ونوع العلاقة ، والمهم هو الانتقال بالمعنى من حال الاختزان والبرهان الصامت الى حال تفضي بالمستدل الى حقيقتها وتمثلها بفكره) (٥).

وعليه فكل دلالة لاتحقق هذا (الفهم والافهام) لايتحقق وجودها في التصور ، أي أن معانيها تبقى في وسطها العائم (موجودة بمعنى معدومة) وهذا يقتضي ان تشترك الدلالات مع بعضها في تقريب المعنى من التصور ، لان الجاحظ كان مدركاً ان المعاني ممتدة الى غير نهاية ، وانه ليس في قدرة اللغة الاحاطة بهذا الامتداد اللامتناهي : (لأن المعاني تفضل الاسماء والحاجات تجوز مقادير السمات ، وتفوق ذرع العلامات) (٦)

وهذا ما دعا الجاحظ الى تعدد وسائل الدلالة للتعبير عن تلك المعاني ، باساليب مختلفة تبعاً لوضوحها وغموضها في ذهن المتلقي قال: (فأن بعض الأمور اكثر اعجوبة، وأظهر علامة

(١) المصدر نفسه /ج١/٨١

(٢) المصدر نفسه /ج١/٨٣/

(٣) المقاييس الأسلوبية من خلال البيان والتبيين /مجلة الاقلام/١١/٢٢٨

(٤) البيان والتبيين /ج١/٧٦/

(٥) التفكير البلاغي عند العرب /ج١/-١٠٥

(٦) الحيوان /ج٥/٢٠١/

وكما تختلف برهاناتها في الغموض والظهور، فكذلك تختلف في طبقات الكثرة) (١).

واذا كان الجاحظ قد اسس منظوره الجدلي على مقولة :

(ان الألفاظ على اقدار المعاني) (٢) فقد وجدناه بالنتيجة قد انتهى الى تجزئة هذه الثنائية لأن من المعاني ما هو خاص يقتضي مستوى في التعبير لايخضع لسلطان التسميات الوضعية (والخاصيات كلها ليست لها اسماء قائمة) (٣) وعلى هذا حدد انماط المعاني بقوله: (والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ أقل مما تحتاج اليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة — ، — ولو جهد جميع أهل البلاغة أن يخبروا من دونهم عن هذه المعاني بكلام وجيز يغني عن التفسير باللسان والاشارة باليد والرأس ، لما قدروا عليه ... وليس ينبغي للعاقل أن يسوم اللغات ماليس في طاقتها ، ويسوم النفوس ماليس في جبلتها ، ولذلك صار يحتاج صاحب كتاب المنطق الى أن يفسره لمن طلب من قبله علم المنطق وان كان المتكلم رقيق اللسان — حسن البيان) (٤) اي انه وجد أن أقدار الألفاظ لاتطرد مع اقدار المعاني في الميزان البلاغي ، لأن المعاني كما استقرت في مفهوم الجاحظ انماط مختلفة الأقدار :

(معان مفردة) بائنة بصورها وجهاتها الوضعية ، (ومعان مشتركة) (وجهات ملتبسة) تقتضي التفسير والتأويل لتحديد خصوصيتها بدلالة القرائن السياقية والعلاقات المجازية (اذ لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى) (٥) .

وقد أرتبطت أساليب التعبير عن هذه المعاني والأستدلال عليها — بصيغة التشبيه والاستعارة والكناية ، تلك الصيغ التي شكلت موضوعية البيان الاصطلاحي في البحث البلاغي عند المتأخرين (٦) .

---

(١) المصدر نفسه /ج٦/١٠/

(٢) المصدر نفسه /ح٦/٨/

(٣) المصدر نفسه /ح٥/٢٠١/

(٤) المصدر نفسه /ح٦/٨/

(٥) كتاب الحيوان /ح٢/١١٥/

(٦) عرفه السكاكي بقوله : (وأما علم البيان : فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان) وقال : (واذا عرفت ان ايراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية ، وهي الانتقال من معنى الى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم احدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك ان علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني) .

ينظر مفتاح العلوم/٧٧ ، ١٥٧/والايضاح/ح٢/٢١٢ومصطلحات بلاغية/٧٣/ وما بعدها.

مصادر البحث ومراجعه

١ — الايضاح في علوم البلاغة — الخطيب القزويني — ت/ لجنة من اساتذة الازهر / اعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى /بغداد/

٢ — البرهان في علوم القرآن /بدر الدين الزركشي (ت/ محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء التراث العربي /مصر/ ط١/ ١٩٥٧

٣ — البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن /كمال الدين الزملكاني/ ت / د. احمد مطلوب ود. خديجة الحديثي/ مطبعة العاني /بغداد /١٩٧٤.

٤ — البلاغة تطور وتاريخ/ د. شوقي ضيف /ط٢ /دار المعارف /مصر

٥ — البلاغة العربية في ثوبها الجديد/ د. بكري شيخ أمين/ دار العلم للملايين ، بيروت ط١ /١٩٨٢/

٦ — البلاغة العربية في دور نشأتها/ د.سيد نوفل/ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/ /١٩٤٨

٧ — البيان والتبيين /الجاحظ/ ت/ عبدالسلام هرون /ط٣/ مؤسسة الخانجي، القاهرة مطبعة السعادة .

٨ — البيان العربي / بدوي طبانة /دار العودة /بيروت /ط٥/ ١٩٧٢/

٩ — التفكير البلاغي عند العرب /اسسه وتطوره الى القرن السادس/ حمادي صمود/ منشورات الجامعة التونسية /تونس /١٩٨١

١٠ — الحيوان /الجاحظ /ت /عبدالسلام هرون /مطبعة الحلبي ط١ [illegible] /مصر

١١ — الخصائص /ابن جني /ت محمد علي النجار /ط٢/ دار الهدى /بيروت /

١٢ — دلائل الاعجاز / عبد القاهر الجرجاني /تعليق /محمد رشيد رضا/ دار المعرفة بيروت /لبنان /١٩٧٨/

١٣ — الرؤية البيانية عند الجاحظ /ادريس بلمليح/ دار الثقافة/ الدار البيضاء /المغرب ط١ ١٩٨٤/

١٤ — رسائل الجاحظ /ت عبدالسلام هرون / مكتبة الخانجي / مصر ط١ ١٩٧٩/

١٥ — الشعر والشعراء إبن قتيبة /ت/ أحمد محمد شاكر/ دار المعارف/ ١٩٦٦/

١٦ — العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده /أبن رشيق القيرواني /ت/ محمد محي الدين عبد الحميد/ مطبعة السعادة/ مصر / ط٣/ ١٩٦٣ /

١٧ عيار الشعر / ابن طباطبا العلوي / ت / د. طه الحاجري ومحمد زغلول سلاّم شركة فن الطباعة/ القاهرة /١٩٦٥ .

١٨ ــ فنون الأدب /هـ.ب تشارلتن / تعريب وشرح زكي نجيب محمود،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط١٩٥٩/٢/

١٩ ــ فنون بلاغية / د. احمد مطلوب / دار البحوث العلمية / الكويت ط١٩٧٥/١/

٢٠ ــ قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث/ د. محمد زكي عشماوي / دار النهضة العربية بيروت /١٩٧٩ .

٢١ ــ قضايا النقد الأدبي المعاصر / د. سمير حجازي/ جـ١/ شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء/ المغرب/ ١٩٨٣/

٢٢ ــ كتاب الصناعتين / ابو هلال العسكري/ ت/ علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم / مطبعة البابي الحلبي / مصر/ ١٩٧١/

٢٣ ــ مبادىء النقد الأدبي / أ.أ رتشاردز/ ت/ مصطفى بدوي، مطبعة مصر /١٩٦٣ /

٢٤ ــ مصطلحات بلاغية / د. احمد مطلوب / ط١ ، بغداد /١٩٧٢ .

٢٥ ــ مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ / د. ميشال عاصي، مؤسسة نوفل / بيروت/١٩٨١/

٢٦ ــ مفتاح العلوم/ السكاتي / مطبعة البابي الحلبي/ مصر ط١٩٣٧/١/

٢٧ ــ المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين ، مجلة الأقلام / عدد خاص/١٩٨٠/١١ ــ بغداد .

٢٨ ــ مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق / ديفد ديتشس/ ترجمة محمد يوسف نجم دار صادر ــ بيروت/١٩٦٧/

٢٩ ــ منهاج البلغاء / حازم القرطاجني/ ت/ محمد الحبيب بن الخوجة ط٢/ بيروت/ ١٩٨١/

٣٠ ــ نظرية البنائية في النقد الأدبي / د. صلاح فضل / مكتبة الانجلو المصرية /١٩٨٠/

٣١ ــ نظرية المعنى في النقد العربي / د. مصطفى ناصف / دار القلم ١٩٦٥ .

٣٢ ــ نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة . جمع وتبويب وتقديم د. جميل سعيد ، د. داود سلوم ، مكتبة الاندلس ، بغداد/ ١٩٧١/

٣٣ ــ نقد الشعر / قدامة بن جعفر / ت/ محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/

٣٤ ــ النقد المنهجي عند الجاحظ / د. داود سلوم/ مطبعة المعارف ، بغداد/١٩٦٠ .

٣٥ ــ نقد النثر / منسوب خطأً إلى قدامة بن جعفر / ت / الدكتور طه حسين / وعبدالحميد العبادي / القاهرة /١٩٣٨/

دراسة في :

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي

روضة المحاسن وعمدة المحاسن

وفصول من كتابه :

بادرة العصر وفائدة المصر



الدكتور . منجد مصطفى بهجت
كلية الآداب — جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

كان من توفيق الله عليّ ، أن أعانني على تحقيق كتاب « روضة المحاسن وعمدة المحاسن» الذي هو ديوان ابي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي من شعراء القرن الخامس الهجري وقد اعتمدت في ذلك على مخطوطة فريدة ، تضمنت فصولاً من كتابه «بادرة العصر وفائدة المصر» والديوان والكتاب يعدّان من المصادر المهمة في دراسة الشعر والنثر في عصر الطوائف والمرابطين .

وحين قدّمت الكتاب للطبع (١) لم يكن الوقت مواتيا لكتابة دراسة عنه ، فأجّلت ذلك الى فرصة تالية .. وهاهي ذي الفرصة تسنح ، حيث أقدم تعريفاً بكتاب «بـــادرة

(١) الكتاب لما يزل معداً للطبع .

العصر» وديوان الجزار السرقسطي ، ممهداً لهما بالوقوف عند وصف موجز لمخطوطة الديوان وقيمتها ، والحديث عن جامع الديوان ومنهجه ، وبعد ذلك لمحة سريعة عن حياة الشاعر .

وقد تناولت الدراسة التعريف بكتاب بادرة العصر ، وأسباب تأليفه وصلته بالديوان ومنهج الجزار وأسلوبه فيه .

وأما دراسة الديوان فقد توقفت عند أبرز موضوعات شعره ، وكانت : الهجاء والرثاء والمديح ، والشعر الاجتماعي ، وموضوعات أخرى ، وختمت الحديث بالسمات الأسلوبية المميزة لشعره ، والمصادر التي اعتمدت في الدراسة ، والله أسأل أن يسدّد خطانا ، ويهدينا سواء السبيل .

وصف مخطوطة الديوان وقيمتها :

المخطوطة التي اعتمدناها هي نسخة فريدة في الخزانة العامة بالرباط تحمل رقم ٢٦٧٩ / ١ك ، وفي الورقة الأولى لمصورة المخطوطة التي بين أيدينا ، وصف للمخطوطة لمفهرس الخزانة ، أو لعله لمفهرس معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، الذي صورنا نسختنا عن طريقه على النحو الآتي :

ديوان ابي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي

اوله : الحمد لله الذي برأ الانسان وخلق ، وأجرى اللسان بالبيان وأطلق ،

وآخره : مبتور ينتهي بأثناء قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين ابا الاصبغ بن الامام وآخر بيت موجود .

تقاسى ساعة فيها كيوم ومن طول السُّرى شهراً كعام

نسخ بقلم أندلسي حديث ، ضمن مجموعة ، وتقع في اولها حوالي ٦٠ ورقة ١٠ أسطر ١٧ × ٢٢ سم

ويتفق أول مابين أيدينا من الديوان ، وآخره ، مع أول ماذكره المفهرس وآخره وفي فهرس معهد المخطوطات فضلاً مما تقدم (١) .

«كتبها أبو عبدالله محمد المفضل نمريط ، ضمن مجموعة من ورقة ١ — ٦٠، يلي الديوان مجموعة كبيرة من القصائد لشعراء مختلفين منهم ابن عبدون ، وابن التعاويذي وغيرهم والمجموعة تتألف من ٨٤ ورقة»

(١) فهرس المخطوطات المصورة ٢/١٦٦ — ١٦٧ .

ومن دراستنا للمخطوطة ، تبين لنا أنها كتبت بخط مغربي مشكول ، وتضمنت تعليقات نفيسة في هوامشها لتفسير الكلمات الغامضة ، وذكر روايات لأبيات الديوان وقد كان الشارح يذيل أكثر شروحاته بعلامتين .

الأولى : (ف) القاف المغربية ، ذات النقطة الواحدة من فوق ، وهو بذلك يميل الى القاموس المحيط للفيروز آبادي — كما تبين لنا — إذ تأتي شروحه مطابقة لشروح تلك المادة في القاموس المذكور .

والثانية : (ط) ونرجح أن تكون رمزاً لاسم ناسخ الديوان الوزير أبي عبدالله محمد المفضل نمريط ، كما تقدم في وصف المخطوطة .

ومن أحد هذه التعليقات نتبين ثقافة الشارح الناسخ ، إذ يخطىء في النقل من النسخة التي ينسخ عنها ، فيقول : «ويمكن أن يقال : إن هذا غلط من الناسخ ، وأن نسخة المؤلف فيها..(١)» .

لقد وصفت عملي في التحقيق في مقدمة الكتاب الذي أعددته للطبع ، وتعد المخطوطة نسخة فريدة في العالم ، وذلك من خلال مراجعتنا لفهارس المخطوطات التي توفرت بين أيدينا ، والمصادر التي وقفت عند الشاعر وعصره .

تكمن قيمة المخطوطة ، في الصورة التي وصلت إلينا فيها ، حيث جاءت الأبيات مشكولة قليلة التصحيف والتحريف قوبلت على نسخة المؤلف (٢) .

ومما يؤسف له ، أن الديوان الذي بين أيدينا ، غير كامل ، إلا أن النقص فيه قليل — كما يبدو — إذ آخر ورقة منه تنتهي بالقصيدة الميمية ، وهي في خمسين بيتاً ، ذكرنا آخر بيت في وصف المخطوطة آنفاً ، ولا نستطيع تقدير الأبيات التي سقطت ، ولكن مايلي آخر ورقة هو من الديوان ، بقرينة الكلمة التي ذيلت بها الصفحة الأخيرة ، «وتنصب» وهي تصلح أن تكون في أول البيت ، من القصيدة الميمية التي جاءت على وزن الوافر .

ومما يؤكد كذلك نقص الديوان ، أن صانع الديوان — ابن مطروح — يشير معتذراً الى أنه أثبت أشعاراً لابن الجزار في المجون والخمريات ، ليطلع على ماله من باع في الفصاحة والبلاغة ولكن واقع الديوان الذي بين أيدينا لايشتمل الا على نزر يسير في الموضوعين السابقين (٣) .

(١) الديوان ورقة ١/٢ الحاشية .

(٢) ينظر : الديوان ص ٤ هـ ٢ .

(٣) تنظر القصائد / ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

وفضلاً عما تقدم ، إن وقوفنا على قصائد أخرى للشاعر في المصادر الاندلسية — هو الآخر — دليل على نقص الديوان كذلك .

إن ما وصل من الديوان ، احتجن عدداً لابأس به من قصائده ، يبلغ اثنتين وخمسين قصيدة ، اجتمع فيها سبعمائة وخمسة وسبعون بيتاً ، لم يرد منها في المصادر الأندلسية ولا غيرها ، إلا خمسةَ عشرَ بيتاً من قصيدته البائية التي مطلعها :

يعيب عليَّ مألوفَ القصابـه ... ومن لم يدرِ قدرَ الشيءِ عابَه

مما يصح أن تستنتج معه أنّ ديوان الشاعر ظلّ قليل التداول بين أيدي الناس ، محجوباً عن الأدباء ، والنقاد الأندلسيين والمشارقة ولذلك لم ترد فيها أشعار ديوانه ، وما نقلته المصادر — مما لم يرد في الديوان — يبلغ حوالي خمسين بيتاً فقط تفرقت على ستة مصادر(١) ألحقتها في مستدرك الديوان استكمالاً له .

إنّ نسخة المخطوطة ، زيادة على ماتقدم من عناصر أهميتها ، احتوت على فصول من كتاب للشاعر ، مفقود سماه : «بادرة العصر ، وفائدة المصر » ولم أقف على ذكره فيما توفر بين يدي من مصادر ، كما لم يرد ذكره في كتب فهارس المخطوطات .

جامع الديوان ومنهجه :

لم ترد أية إشارة في النسخة المخطوطة الى أسم جامع الديوان وصانعه ، ولكن المخطوطة ذاتها تضمنت معلومات عنه ، من خلال حديثه عن الشاعر في مقدمة الديوان ، ولدى البحث ودراسة الديوان وقفت على اشارتين توثقان نسبة جمع شعره اليه .

الأولى : في كتاب التكملة لكتاب الصلة : لابن الأبّار البلنسي (ت٦٥٩هـ) ، والثانية في مخطوطة لمح السحر من روح الشعر ودوح الشجر ، لابن ليون التجيبي (ت٧٥٠هـ)

أما أولى الاشارتين فتَنُصّ على أنه : «محمد بن عبدالله بن يحيى بن محمد بن مطروح التجيبي» من أهل بلنسية ، وأهله من سرقسطة يكنى أبا عبدالله ، كان ورّاقاً يبيع الكتب ، اخبارياً أديباً ، حلو النّادرة ، فكيهاً ، جمع شعرَ أبي بكر يحيى بن محمد الجزّار السرقسطي وسمّاه : «روضة المَحَاسن وعُمدة المُحاسن» ثم يذكر ابن الأبار شيوخه وتلامذته ويقول : «توفي سنة ست وستمائة ، ومولده لأربعين وخمسمائة »(٢) .

(١) تنظر هذه المصادر في مواضعها من مستدرك الديوان .

(٢) التكملة ٥٧٩/٢ رقم ١٥٤٦ .

وثانية الإشارتين ترد في سياق بيتين له في زلل اللّسان بروي العين (١) ، وردا في مخطوطة «لمح السّحر» يستهلهما ابن ليون بقوله : «ولأبي بكر يحيى بن محمد الجزّار السّرقسطي ، وجمع شعره أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مطروح السرقسطي»(٢).

ونعلم من كتب التراجم أن ابن مطروح أنجبَ ابناً أصبح عالماً ، صاحب مؤلفات، هو عبدالله بن محمد (ت سنة ٦٣٥هـ) (٣) .

جرى ابن مطروح في جمعه الديوان ، مجرى المصنفين الأندلسيين أمثال ابن بسام (ت٤٥٦هـ) والشقندي (ت٦٢٩هـ) وابن سعيد (ت٦٨٥هـ) وغيرهم ، الذين كانوا يسعون لاثبات شخصية الاندلس ، في الفنون والآداب ، واظهار محاسنهم وتفوقهم على أدباء المشرق « مفتخراً بمحاسن مصره على سائر الأمصار (٤)» .

ولقد بذل في جمع أبيات الديوان جهداً ووقتاً ، وتحرّى في ذلك الدقة ، مما يجعل الديوان على درجة من التوثيق العلمي ، فهو يذكر أنه جمع أشعار الجزار عن رجال ثقات ، وبذل في ذلك مُدّداً وأوقاتاً ، حتى اجتمع لديه هذا العدد الكبير من أشعار الشّاعر ، مما جعلَه ينكر على ابن بسام أن يجعله من المقلين في ذخيرته (٥) . ووجد في ذلك غلطاً وشططاً ، ثم عاد فاعتذر عن حكم ابن بسام في الشاعر — على سبيل الاحتياط وتواضع العلماء — بأدب جم فقال : «ولعل ابن بسام لم يبلغه من شعره إلا ماأورد(٦)» وربما كان سبب قلة ماوصل من أشعار الشّاعر عند ابن بسام أنه ألّف ذخيرته في وقتٍ مبكر من حياته، وانتهى منه بعد عام ٥١٠هـ(٧) ، ولم يتح له الاطلاع على أشعاره .

ولكن متى جمع ابن مطروح ديوان الشاعر ؟

ليست لدينا أشارة واضحة الى ذلك ، وفي الديوان دلالة عامّة على أنّ الجمع حصل بعد وفاة الجزار ، وليس في حياته وذلك من عبارات التّرحم التي يعطفها على اسمه من قوله : «رحمه الله» و «عفا الله عنه» ، ولكن وفاة الجزار ذاتها مجهولة لدينا !

---

(١) المستدرك على الديوان رقم (٤)

(٢) لمح السحر (مخطوط) ورقة ٢٣/ب .

(٣) صلة الصلة (مخطوط) ٧٢ ، شجرة النور الزكية رقم ٥٨٩ .

(٤) الديوان ٢/ب .

(٥) مقدمة الديوان ورقة ٢/أ .

(٦) نفسه ٢/أ .

(٧) ابن بسام الشنتريني ص ٦٧ .

وبأمكاننا أن نقدر بأنّ ابن مطروح جمع الديوان بعد سنة ٥٧٠هـ ، وذلك مما نجده من آراء نقدية تنم عن نضج وعمق لايدركهما قبل بلوغ الثلاثين من عمره في تقديرنا ، وقد تقدمت الإشارة الى أنه ولد سنة ٥٤٠هـ .

إن جامع الديوان أديب ناقد ، له ذوقه في الانتقاء ، ومذهبه في جمع الديوان يقوم على أساس أختيار محاسن أشعاره في البلاغة والفصاحة ، ولم يبالِ لموضوعات الشعر ، أن يقع تحت طائلة إيراد أشعار خمرية ماجنة ، لأنه يذهب في ذلك مذهب الحاكي ، دون أن تكون لديه رغبة في تلك الموضوعات من شعره ، ومع أن ذلك جائز عند المتأخرين من الأدباء ، فإنّه يشعر بخطورته ، فيسأل الله الغفران في ذلك (١)» .

إن ابن مطروح ، يجمع في ذلك الى الأدب والفكاهة شيئاً من الأناة والاتزان ، هما من أخلاق العلماء المسلمين الى عهد قريب . وواقع الدّيوان يدل على أنه لم يخض في ذلك وكل ماساقه من تلك الأشعار كان قليلاً جداً ، كما تقدم آنفا .

ونلاحظ أنه في انتقائه من كتاب الجزار «بادرة العصر..» الذي تضمن أشعاره في الهجاء يتجنب الشّعر الفاضح ففي قصيدة يقول : « أوردت منها ماغدا من الذمّ القبيح عارياً وأضحى على طريق العتاب جارياً (٢)» ويصرّح في موضع آخر ، بأنه طرحَ كثيراً من أشعاره ، لقبائح ذكرها فيه ، وضمنها في أكثر قوافيه (٣) .

حياة الشاعر :

وردت إشارات سريعة ، عن حياة الشاعر ، تناثرت في المصادر الأندلسية ، نخلص منها الى أنه : ابو بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي (٤) ، وهو تارة يلقب بالجزار(٥) وأخرى بابن الجزار (٦) ، والرّاجح أن يكون اللقب له لا لأبيه ، لما صحّ من أنه كانت مهنته الجزارة فانتسب لها (٧) .

---

(١) نفسه ٢/أ
(٢) مقدمة القصيدة رقم (٣٤) .
(٣) الديوان ورقة ٤١/أ .
(٤) التكملة ٥٧٩/٢ رقم ١٥٤٦ ، لمح السحر ورقة ٢٣/ب
(٥) الذخيرة ٩٠٥/٢/٣ ، النفح ٤٠٤/٣ .
(٦) النفح ٤٦٤/٣ ، ٥٩٨ .
(٧) ينظر قصيدته رقم ٣٦ ، المستدرك (٦) .

لم نجد معلومات عن حياته الأولى ، ونشأته وأسرته (١) ، فنحن نجهل تاريخ ولادته ، فضلاً عن وفاته ، وقد اكتفى ابن سعيد بأن جعله من شعراء المائة الخامسة للهجرة (٢) .
إن ورود أشعاره في «الذخيرة» يؤكد أنه من شعراء القرن الخامس الهجري لأن ابن بسام (ت٥٤٢هـ) اشترط أن لايورد أشعاراً لغير شعراءِ عصره .

ونستطيع أن نقول أن أباه كان فلاحاً ، مغموراً ، فقير الحال ففي الأخبار التي أوردها ابن بسام مقترنة بشعر الجزار ، أن والده تقبل أرضاً للأحباس ، فضاع واجتمع عليه خراج الأرض ، فكتب الجزار الى العامل أبياتاً يستشفع فيها لأبيه ، وفيها يعتذر عن تقصيره ، وكتب، أن الحظ لم يحالفه فيها ، وفيها أشارة إلا أنه ورث عن ابيه سوء الطالع ومن أبياتها قوله (٣) :

يا أبا جعفر لَعَاً من عثارِ(*) وغياثاً فما يقرُّ قراري
كان لي والدٌ وكانَ لعمري من بني العَصر بالفلاحة داري
إكتراها ولم يكنْ مُستخيراً وقتَ شؤمٍ بطالعِ ادبارِ

ولا نعلم متى عمل بالجزارة ، ومتى عدل عنها ، ثم عاد اليها ثانية ، ولكن الإشارة تعددت لذلك في عدد من المصادر حيث أمر الحاجب ابن هود وزيره أبا الفضل بن حسداي أن يوبخه على رجوعه الى الجزارة (٤) ، ويبدو أن دولة الشعر أدبرت عنه ، فلم يحظ بمهنته ماكان يرجو لنفسه من عيشة كريمة ، كما لم يدرك آماله بالشعر ، وهو يسوق لنا اضطرابه في ذلك ويصور محنته بأسلوب درامي فيقول (٥) :

في قصتي عجب فاسمعْ إليّ فما أتتْ بمثل حديثي الأعصرِ الأولِ
رأيتُ قوماً بنظم الشّعر قد وصلوا الى المنى وأنيلوا فوقَ ماسَألوا
فقلتُ : ماليَ لم أسلكَ سبيلهم؟ أليس بي في القوافي يضرب المثل؟
كم بالقصابةِ لأنفكَ في سَغَبٍ وفي المدائحِ عنها للفتى حَوَلُ

(١) ترجم ابن سعيد في المغرب ٣٥٥/٢ لأحد أدباء بلنسيه، « أبو جعفر احمد بن الجزار » ، ونستبعد ان تكون له صلة نسب بشاعرنا .
(٢) رايات المبرزين ١٢٣ .
(٣) المستدرك رقم ٤ .
(*) اي اقالك الله من كبوتك .
(٤) الذخيرة ٣/٢/ ٩٠٥ ، المغرب ٤٤٥/٢ ، النفح ١٥٢/٤ .
(٥) قصيدته رقم ٤٣ .

ويصور لنا الشاعر الدنيا ، وقد قلبت له ظهر المجن ، فيراها خداعة متلونة ، ولذلك يجاريها ويحتال لها ، ولكن دون جدوى اذ فارقه سعده الى حيث النُّحس والشؤم (١) :

إني تلونت للدنيا تلونهـــا واحتلت دهري فما أجدتني الحيل
وليس يحظى يسعد المشترى ابـداً من ليس منتقلاً عن برجه زُحل

لكنه سرعان مايثوب الى رشده ، ويعود الى صوابه ، فيقرر في حكمة بالغة ، أن لامناص من المثابرة والجد ، وعدم الركون الى التواكل ، واللجوء الى الغش والخـداع .

ولا تنال بغير العزّ مأربـــةٌ لايقطع السّيف مالا يسبق الأجل

ولم يكن أثر الفقر والإملاق الذي لازمه شطراً من حياته ، سلبياً ، إذ أنه لايـبالي — وهو في موقف الخصومة والمهاجاة — أن يعترف بها ، فيحاور خصمه ابا الحسن البرجي ويرد على تعييره إياه بقوله (٢) :

ولو ابتليت —وعلى ذلك كائن — بالفقر ماعَيّرتَ ذا استجـداء
والأنبياءُ المرسلونُ استطعموا وبلُوا بداءِ الفقرَ كلَّ بـــلاء
أو ليسَ موسى قد توخى قريـةً مستطعماً فأبـت بكل إباءِ(٣)

وتبقى أشعاره ، خير مانستعين به على حياته وخلاله ، فهي تعكس لنا حدة مـــزاج وغليان طبع فقد أنف الخنا وترفع عن الذل والهوان ، وكان من أجلهما يغضب للحق ، وينتصر لنفسه ، بحجة قوية وبرهان ناصع ، لاسيما اذا كان القصد انتقاص شأنه والتجريح في علمه ، فقد جرّه انتقاد بيت شعري واحد الى تأليف كتابه «بادرة العصر وفائدة المصر» كما هو واضح .

بادرة العصر :

تقدم خلال حديثنا عن قيمة المخطوطة ، أنها احتفظت بفصول من كتاب الجزار الموسوم : «بادرة العصر ، وفائدة المصر» ولم أقف على ذكره في كتب الفهـــارس والمخطوطات ، كذلك لم ترد الإشارة اليه في المصادر الأندلسية ، ويؤلف ماوصل من الكتاب حوالي ثلثي المخطوطة .

(١) تنظر قصيدته ٠٤٣ / ٣٠٢ .

(٢) قصيدته ٣٤ / ٦٤ — ٦٦ .

(٣) اقتباس اشاري من قوله تعالى (الكهف٧٨) في قصة موسى والخضر

والكتاب –كما يتبين– رسالة أجراها الجزار مجرى رسالة السّيف والقلم ، ذكر فيه مثالب الفرائين وضمّنه كثيراً من أشعاره ، ومناظراته التي جرت بينه وبين ابي الحسن علي بن عبد البُرجي نسبة الى بُرجة من أعمال سرقسطة ، وكان البرجي لغوياً وأديباً ، راوية للحديث ، تصدر للإقراء بمدينة الشاعر –سرقسطة وتوفي بوادي آش بحدود سنة خمس وثلاثين وخمسمائة (١) .

لقد ذكر فيه الجزار ، مثالب الفرائين ، لأن أبا ابي الحسن البرجي كان فرّاءً يتجر في الفراء ، ولمّا يجانب الانصاف مع خصمه ، إذ ساق حججه وأقواله ، والرسالة ثمينة في مضمونها وأسلوبها ، وذلك من خلال ماجاء فيها من قيم حضارية واجتماعية ، في الاشارة الى المهن الشائعة آنذاك ، وطرق البيع والشراء ، والأساليب المحرمة منها ..... كذلك يستطيع الدّارس أن يجد منهجاً نقدياً ادبياً يعتمده الشاعر هو المنهج اللُّغوي الذي كان الأساس في استحسان او استهجان الشعر .

ومن أسلوب الجزار في كتابه ، يتجلى لنا أنه كان من ذوي المواهب المزدوجة متمكناً من ناصيتي الشّعر والنثر ، وأنه بلغ في ذلك شأواً بعيداً ، وهو في ذلك لايختلف في كثير عن أدباء عصره المتفرغين للأدب ، والذين زاوجوا بين الشعر والنثر أمثال ابن دراج (ت٤٢١هـ) وابن شهيد (ت٤٢٦هـ) وابن زيدون (ت٤٦٣هـ) وابن خفاجة (٥٣٣هـ) وغيرهم. ولكن كيف أقحم ابن مطروح السرقسطي ، صانع الديوان فصول هذا الكتاب على الديوان ؟

إن النظرة المتأنية للديوان تنفي أن يكون هناك إقحام في الموضوع ، والذي حصل أن صانع الديوان ، الذي أعرب عن إعجابه بشعر الجزار ، حرص على إيراد أكثر مايتسنى له من اشعار الشاعر ، وكان لابد له أن يذكر مناسبة تلك القصائد فجَرَّهُ الحديث عنها الى الاستطراد الى كتاب «بادرة العصر» لأن عدداً من تلك الأشعار جاء فيه .. وبعد أول قصيدتين يسوقهما في الديوان ، الهمزية والبائية يقول : «قال ابو بكر الجزار في كتابه الذي ترجمه بـ «بادرة العصر وفائدة المصر» وهو كتاب ضمن فيه هذا القَصيد ، والذي تقدم..» ويمضي في تقوله عن الكتاب حتى يبلغ قوله : « انتهى القصيد المجاوب به ، وتركت أكثره .. وهذا آخر مافي الكتاب «(بادرة العصر) من شعره » (٢) .

(١) تنظر ترجمته في التكملة (مخطوط) ٥٩/٣ ، الذيل والتكملة ٢٣٧/١/٥ ، صلة الصلة ٨٨
(٢) أول إشارة ترد إلى الكتاب في ورقة ١٠/ب يذكر فيها ان أول الكتاب يبدأ بقصيدته الهمزية (في آخر الورقة ٢/ب) وأما آخر النقول من الكتاب فيأتي في الورقة ٤١/أ .

وأصل الخصومة بين الرجلين ، وأول حلقاتها ، بدأت حين بلغ الجزار أن الفقيه أبا الحسن علي البرجي انتقد عليه قوله :

لم تسمعِ الآذانُ قبل هدائها بحمامةٍ زُفّتْ الى فتخاءِ

والبيت هو الرابع من قصيدة نظمها الجزار في واحد وستين بيتاً ، كان قد أرسلها بمناسبة احتفال الخليفة زهير الصقلبي العامري بالزواج ، ومطلعها (١) :

اليوم حُليَ عاطلُ العلياء اليومَ جرَّ الدهرُ ذيل بهاءِ

وأما وجه الانتقاد فيتمثل في قوله : «إن الفتخاء مؤنثة ، ولا يوصف بها مذكر» فما كان من ابي بكر الجزار إلا أن امتشق يراعه ، ووجه اليه قصيدة فيها اللوم والعتاب والتقريع والانتقاد ، في تسع وثمانين بيتاً ، ومطلعها (٢) :

تُريكَ مضاءَ المرهفات المضاربُ وتكشفُ أسرارَ الأنام التجاربُ

وتأتي قصيدته معرضاً حفلاً ، بالحكمة والموعظة ، فينكر عليه إقباله على جمع المال وكنزه إياه ، ويسخر ويتهكم ممن هذا شأنه ، فكأنّ القيم انقلبت لديه (٣) :

وبالأصغرين المرءُ كانَ معظّماً وما أصغراهُ اليومَ الا المكاسبُ

وينتقل بعد ذلك الى قرناء السّوء الذين يبدو أنهم أحاطوا بالبُرجي ، من كل جانب وينْعَى عليه تغيّره وتبدله ، ونسيانه عهودَ المودة والصفاء ، ولكأنّما عناه بقوله (٤) :

أخٌ كان لي قد كنتُ أحسبُ أنّه دلاصي وسَيفي إنْ نحاني طالبُ
قررتُ به عيناً فلمّا بلوتُه إذا هو ينعى عثرتي ويراقبُ
وقد كانَ حقاً أن يراعي ودّنا ولكن أخوان الزّمان عقاربُ
«أبا حسن» إنّ الحديث مساقُه إليكَ ، فما هذى الأمور العجائبَ

وللوشاية والنميمة دور في إذكاء الأحقاد ، ووّرى نيرانها ، وكان النقد الذي بلغه عن بيته المتقدم آنفاً ، إنما جاء عن طريق أحد هؤلاء في مجلس أحد الأدباء ، باق ابن باق ، والى ذلك يشير في قوله (٥) :

---

(١) قصيدته رقم (١)
(٢) قصيدته رقم (٢) .
(٣) ق ٢/٦ .
(٤) ق ٢/١٧ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ .
(٥) ق ٢/٣١/ — ٣٢ .

وتقدُ أَشعاري وتَرقبُ عَثرتي ... وأقربُ من هذا إليك الكَواكبُ؟
أَتنُطلقُ في نادِ «ابن باقٍ» بنقضها ... كأنّ «ابن باق» في جَمالكَ خاطبُ

لقد فصلت القصيدة حديثها عن المودة والأخوة التي كانت بينهما ، ولا بد أن تكون هناك جملة أمور أَرّثتْ نارَ العداوة والبغضاء بينهما ، وإن وصفه المذكر بالفتخاء ، لايعقل أن يكون السّبب الحقيقي لتلك الخصومة التي استمرت طويلاً ، بل كان القشة التي قصمت ظهر البعير .

لذلك نجد قصيدته البائية ، متشعبة المسالك والطّرائق تنم عن أبعاد الجفوة التي حلّت بينهما ، بحيث جعلت البرجي يترصد الأخطاء ويَسعى في القطيعة والنزاع ، ولا يبالي بالغيبة وأكل لحم أخيه ، دون أن يجاهر بهذه الصفات أمامه ، بل يظهر العفّة والدماثة وصفو الوداد (١) .

وينتهي الجزار في آخر شوط من أشواط قصيدته الطويلة ، الى الفخر ببأسه في الخصومة ، وتمكنّه من خصومه ، ويأتي هذا الفخر مشوباً بالنّقد اللاذع ، والتهكم الموجع فيتهمه في عقله إذ يجعله «أخيرقاً» ثم ينعته تارة «بصير في الشعر» وأخرى بابن العميد — فيمن يشبه بضده — ، وثالثة باسم مخترع «جعسويه» ، وسرعان ماينتقل الى بيت القصيد ، فيسوق دليله الواضح ، وبرهانه الفاضح ، فيما جاء من كلام العرب الفصحاء (٢) :

أما قَالَ للنعمان شاعرُ قومِهِ ... لأنّكَ شمسٌ والملوك كواكبُ ؟
فشبّهه بالشّمس وهي لديهم ... مؤنثةٌ ، هل عابَ ذلك عائب ؟

وأما الحجة العقلية في جواز وصف المذكر بالمؤنث ، فيعبر عنها بقوله (٣) :

وهل تُنسبُ الأشياء إلا لفعلها ... وتعرفُ الا بالمَضاءِ القَواضبُ

ويسترسل في قصيدته متحدياً ، طالباً الحجة والدليل فيما يُزعم ويدعي (٤) :

فرُدَّ على من قالَ هذا بحُجةٍ ... ليَعلم كُلٌ أن خطرك خاضبُ

(١) ق ٢/ ٤٥ — ٤٨ .
(٢) ق ٢/ ٧١ — ٧٢ .
(٣) ق ٢/٧٣ .
(٤) ق ٢/٧٦ والخطر ، نبات يختضب به .

ثم يعود ليختم قصيدته بالاشفاق على ابي الحسن البرجي ، وأنه لولا الخلال التي يتحلى بها ، من حياء ورباطة جأش لأرسل اليه صواعقه (١) :

لأرسلت من شؤبوب نطقي صواعقاً عليك بأفكاري لهن سحائب
ولكنني أُغضي حياءً من العلا وأصفو وإن لم تصفف منك المشارب

ويرى نفسه محمولاً على هذه الخصومة ، مقحماً فيها ، فمن حقه الدفاع عن نفسه وردّ التهم (٢) :

وإني لمصدورٌ فإن كنت نافثاً فعذري باد والظلوم المُطالب
زرعتَ وهذا ما حصدتَ فلا تلم ولا تحسبني أنني لك غالب

ولذلك فأولى به الاقرار بالذّنب والتوبة عنه .

وبعد أن تصل القصيدة إلى أبي الحسن البرجي ، تثور ثائرته وينكر ما نُسب اليه ، ثم يسعى للوصول والوداد ، حيث يصلح ذات البين ، بعض إخوان الشاعر ، وإخوان الجزار ولكن يبدو أن ما بينهما لم يكن ليزول بهذه السرعة والعجالة . فقد أخبره خبير ، بأن البرجي عاد إلى نقده إياه ، فأنكر ذلك ، بعد العهد والعقد اللذين قطعهما ، فأطلع على رقعة بهجائه ، بخطه ومطّه ، ونقطه وضبطه (٣) ، وانتهى الشك إلى يقين ، والظن إلى الحق ... ويسوق لنا أبو بكر الجزار ــ متحلياً بخلق العلماء ــ تلك الرقعة ، بأبياتها الستة والأربعين دون حذف أو خلل ومطلعها (٤) :

أعليّ تعتب شاعرَ الغوغاء متعرضاً جهلاً لوسمِ هجاءِ

ويمكننا أن نلخص منهجه في نقض الجزار ، فقد اختار بحر القصيدة المعابة ذاته «الكامل» كما التزم رويها ، وهو ينكر عليه سبيل الهجاء الذي يجر إلى السّفه ، ويلمزه في نسبه ، ثم يفخر بشاعريته ، ويرميه بالطيش وعدم التعقل ، وذلك لاستماعه إلى أقوال المشائين النّمامين ، الذين استغفلوه وجرّوه إلى هجائه . فينكر عليه احتجاجه ببيت النابغة ، ذلك لأن «الشمس» المشبه به مؤنث مجازي لكن «اللقوة الفتخاء» مؤنث حقيقي وبون بينهما ! يقول (٥) :

---

(١) ق ٢/٨٣ ، ٨٥ .
(٢) ق ٢/٨٦ ، ٨٧ .
(٣) الديوان ورقة ١١/أ ــ ١١/ب .
(٤) الديوان ورقة ١١/ ب .
(٥) البيتان ٣٨ ، ٣٩ .

وحسبتَ أنّ «ذكاءَ» في مدح بها في اللفظ مثل اللقوة الفتخاءِ
هل أُنثت شمس النهار حقيقةً بالطبع قل ، إن كنت خدن ذكاءِ

وإذا كان البرجي يزعم أنه يترفع عن هجاء الجزار ، فإنّ الجزار هو الآخر يزعم ذلك ، وكلاهما خالف قوله دعواه (١) ، ويمضي الجزار في «بادرة العصر» مقارضاً أبا حسن البرجي ، في مقطوعات أخرى (٢) ، وفيها ما فيها من ضروب التفنن في الهجاء، وهو في بعض يسلك سبيل الحوار والمناظرة (٣) ، ويتهم صاحبه بالفُدم والغباء ، والحمق والعماية ، فهل هو الاكواو عمرو ، أقحمت للفرق أو كفاس نحاس ، يلمع ولا يقطع (٤) ، ومن نماذج مقطعاته في ذلك (٥) :

فلما أن تلاقينا لتأنيب وإغضاء
بدت في العين منته إلى سمّاتُ بغضاءِ
فقلت له وقد غصّت به نفسي وأعضائي :
سلامٌ يا «أبا حسن» عليك سلامَ إرضاءِ
سلامٌ مبدلَ الميم على فوديك بالخاءِ

فازورّ جانبه إليّ ، ولم يردّ السّلام عليّ ، فقلت :

أعليّ ما هذا الذي قد غار منك وأنجدا

ويستطرد في ذلك فيسوق لنا أشعاراً كثيرة فيها مناظرات منطقية جليلة ، حتى يجتمع فيها ستة وعشرون ، ما بين مقطوعة وقصيدة لكنه لا يلبث أن يعود إلى القصيدة الهمزية التي أرسلها ابو الحسن البرجي ، فيدير حديثه حولها ، على هيئة حوار علمي هادىء دون تسابب أو قذف ومن ذلك قوله :

«فلما سمعت مقاله راعني ما قاله وقلت : لاشك أنك عزمت على المناظرة ، واستعددت بالتمثل والمحاضرة .

فقال . اجل

---

(١) تنظر الأبيات ٤٢ -٤٦ .
(٢) تنظر المقطوعات ٣ - ٩ .
(٣) تنظر المقطوعات ١٠ - ١٧ .
(٤) الورقة ٢١/ب .
(٥) الديوان رقم ١٠ .

فقلت : فأقول .

قال : قل .

قلت : بأيّ شيءٍ تعترض علينا في قولنا :

لم تسمع الآذانُ قبل هدائها بحمامةٍ زُفّت إلى فتخاء (١)

ويمضي في ذلك مورداً حجة صاحبه في الاعتراض عليه : تشبيهك المذكر الناطق بالمؤنث الصامت ، وتشبيه المذكر بالمؤنث فيه ما فيه ..

ثم تتشعب بالجزار الطرائق وتتفرع المسالك ، وهو يسوق الدليل تلو الدليل ، معتمداً على الإبراه والتمحيص ، من خلال الشواهد الشعرية ، من كلام العرب ، ثم ينتقل إلى تزييف بهرجه في رسالة طويلة (٢) ، يوجهها اليه ، وهي في اكثر من خمسين سطراً ، يبدي فيها ضروب البراعة ، والألمعية في الرد عليه ، وانتقاص ملكته ، بلغة عالية وأسلوب متين مقتبساً من القرآن الكريم مستشهداً بالحديث الشريف ، والامثال والحكم ، وكأنه متورط معه في هذا السبيل ، ويعمد إلى الاسلوب المتندر الساخر الأسلوب «الكاركتيري» بلغة العصر ، خذ مثلاً ما جاء في بعض سطورها (٣) .

«فاذا خرجت من دارك فانفث ثلاثاً عن يسارك ، فبذلك تفرق منك الجن ، وينجلي الغم والحزن ، فاجعل وصيتي نصب عينيك ، ودع من يقول : هون عليك ، فإني أخاف ، أن ترشقك سهام العيون ، فترديك ، وتضيق عليك الأوطان والأعطان ، وتنبتّ بك الأسباب والأسطان ، وخليفتي عليك الشيطان ، واعلم أني دبرت لك «بختجاً» يشفيك من داء الجنون ، ويقيك من سهام العيون ، وهو من أفضل ما تداوى به المتلخنون ، وأفيد به الموسوسون ، وقد اثنى عليه الاطباء المتقدمون ، فقالوا : انه الدماغ ينقي بطون من فضول الفراغ ...» إلى آخر الرسالة .

وتأتي بعد الرسالة قصيدة في اثنين وعشرين بيتاً ، في سخرية لاذعة وتهكم مريع ، ويتوقف بعدها عند مطلع قصيدته الهمزية ليضعه على مشرحة الجراح ، ويجري فيه مبضعه القاسي ، فلا يدع كلمة الا ويكشف عن الخلل فيها ، والشين في معانيها ، في

---

(١) الديوان ٢٤/ أ .

(٢) الديون ٢٦/ أ .

(٣) الديوان ٢٩ /ب .

أكثر من ثلاثين سطراً ، وينتقل بعدها إلى الشعر ثانية ، فيسوق ثلاث قطع شعرية (١)، ليعود إلى بيت من أبيات قصيدة البرجي فيرد عليه بالشعر مباشرة في قصيدة عدة أبياتها احد عشر بيتاً (٢) ، ويبدو انه عاد الى النثر ، الا ان الجامع قدم اعتذاره عنه لانه يخالف منهجه في جمع الشعر دون النثر

ومنهج الجزار الذي يعتمده في النقد يتمثل في أنه يأخذ كل بيت من أبيات قصيدة البرجي ، فيبين الخلل اللغوي ، والتهافت المعنوي فيه .. نستدل ذلك ، من قول جامع الديوان «ابن مطروح» : «وهكذا نقد قصيدته بيتاً بيتاً ، وغادر ذكره في حلية الشعراء ميتاً ، ولم أورد من انتقاده إلا هذا البيت الأول لأن الغرض جمع شعره» (٣) .

ولنا أن نتصور حجم الكتاب ، اذا كان الجزار قد وقف عند أبياته بهذه الأناة والتؤدة لاسيما اذا كان نقد بيت واحد ، يكشف عن سوء أدب البرجي ، وقلة احتراسه من الزلل ، وركاكة النسج ، ودناءة الحشو ، ودمامة اللفظ ، وانقلاب ذمه إلى المدح (٤).

وأطول قصيدة في الديوان همزيته في الموضوع ذاته ، هجاء ابن الحسن البرجي ، أورد منها ابن مطروح – جامع الديوان – سبعة وتسعين بيتاً .. وهي أطول من ذلك ... إلا أن جامع الديوان ترك أكثره لقبائح ذكرها فيه ، وضمنها أكثر قوافيه ، عفا الله عنا وعنه ، ثم يختم عبارته بقوله «وهذا آخر ما في كتابه «باردة العصر» (٥) .

ولاشك أن خصائص النقائض الشعرية تتجلى عند الشاعرين الجزار والبرجي ، في أنهما يلتزمان القافية والبحر ، ولا يخرجان عليهما ، يتضح هذا في ثلاث قصائد طويلة للجزار ومقطوعتين ، وأمّا ما جاء للبرجي ففي قصيدة واحدة فقط (٦) .

وشاعرنا في أشعاره قاضٍ عادل ، ينتصف لنفسه بالحق والبينة ، فهو يورد لقضيته شهوداً منهم ابو محمد :

ولئن دفعت مقالتي وجحدتها فابو محمد أعدل الشهداء (٧)

ويحار المرء – لأول وهلة – في الحكم لأحدهما ، ودفع التهمة عن الآخر ، القوة

(١) القطع هي ٣٠ – ٣٢ .
(٢) القصيدة رقم ٣٣ .
(٣) الديوان ٣٥ /ب .
(٤) الديوان ٣١/ب .
(٥) الديوان ٤١/أ .
(٦) تنظر القصائد « ١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥ ، ١٠٦» وتنظر قصيدة البرجي في الورقة ١١/ب .
(٧) الديوان ورقة ٣٨ /أ .

حجتيهما ـ فيما يدّعيانه ـ من التحلي بالخلق الكريم ، والتخلق بالمودة والمحبة ، ونأيه عن العداوة والبغضاء ، واتهام كل منهما الآخر بذلك ... ولا جرم فإن الجزار ساق بأمانةٍ حجج خصمه ، وذلك على هيئة مناظرة يجريها بينه وبين البرجي ، لكن الأمر يختلف فيما بعد ، إذ يكتفي جامع الديوان بايراد أشعار الشاعر ، لكي لا يخرج عن غرضه وهدفه في جمع الشعر .

إن الرسالة تلتقي في موضوعها برسائل الهجاء من ناحية ، ورسائل العتاب والاعتذار من ناحية أخرى وهما موضوعان يندرجان ضمن الرسائل الأخوية ، وقد شاعا في عصر الطوائف والمرابطين شيوعاً كبيراً وصورا العلاقات الاجتماعية في جانب من جوانبها السلبية كما يرى الدكتور حازم عبدالله خضر ، ولقد تجاوزت النصوص في موضوع الهجاء ـ عنده ـ خمسين نصاً ، فضلا عما جاء في العتاب والاعتذار (١) .

ومن الرسائل النثرية التي ذاعت وحَظيتْ باهتمام الباحثين والدارسين ـ في هذا الباب ـ رسالة ابن زيدون الهزلية ، وقد تضمنت عبارات عديدة ومعاني كثيرة ، في السخرية والاستهزاء ـ بناها على قواعد وفرضيات مستمدة من علوم مختلفة (٢) .

لقد وصلت رسائل في هذا الباب ـ لأبي عبدالله بن شرف (ت ٤٦٠هـ) ، ولأبي الحسن الحصري القيرواني (ت ٤٨٨هـ) وابي المغيرة بن حزم (ت ٤٣٨هـ) وابي مروان بن حيان الاندلسي (ت ٤٥٦هـ) ، وابي مروان بن ابي الخصال ، إلا أنّ رسالة شاعرنا تختلف عن الرسائل المتقدمة آنفاً ، من حيث بواعث التأليف من ناحية ، والاسلوب من ناحية أخرى.

فأمّا باعثه على التأليف ، فالخلاف الذي نشأ بين الشاعر والفقيه أبي الحسن البرجي، بسبب نقده لبيت من أبيات قصيدته البائية ، وقد فصّلنا فيه القول آنفاً .

وأما أسلوبها ، فهي تسلك سبيل النقد اللغوي ، كما ذهب اليه النقاد اللغويون إذ جوهر الرسالة قائم على الخلاف الذي قام بين الجزار والبرجي في جواز تشبيه المذكر بالمؤنث او عدم جوازه .

وفي دراسة علمية متخصصة عن النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين (٣) ، حدّد الدكتور حازم عبدالله خضر ، أبرز الخصائص التي تميز بها النثر من حيث الصياغة

---

(١) النثر الاندلسي ١٧٦ .

(٢) نفسه ١٨٥ .

(٣) النثر الاندلسي ، الباب الثالث ، الفصل الاول ص ٣٥٩ وما بعده .

والأسلوب ، وهي عدم الاستهلال بالحمد والصلاة ، واحتواؤهـا عـلى جمل الدعاء والاعتراض ، والتنويع بين الشعر والنثر ، والاقتباس من القرآن والحديث ، وميلها إلى السخرية والفكاهة ، في معانيها وجنوحها إلى الاطناب ، والمناظرة والحوار ، وهي سمات يستطيع الدارس أن يلمحها في رسالة الجزار ، واضحة جلية ، ولكن على قدر متفاوت.

موضوعات شعره :

لقد عانى يحيى الجزار أكثر موضوعات الشعر العربي ان لم يكن جميعها يلوح لنا ذلك من خلال ما وصل الينا من اشعاره ، ولكن حظ تلك الموضوعات جاء بقدر متفاوت ، وسنتوقف عند هذه الموضوعات ، وفق قدرها وحجمها من الديوان على النحو التالي :

(١) الهجاء والعتاب :

لقد رأينا خلال حديثنا عن كتاب «بادرة العصر» كيف كان للموضوع حظّه من نثر الاندلسيين ، أما في الشعر ، فالأمر على النقيض من ذلك إذ لم يأبه به اعلام الشعر في عصري الطوائف والمرابطين ، أمثال ابن درّاج القسطلي (ت ٤٢١هـ) ، وابن شهيد (ت ٤٢٦هـ) ، وابن زيدون (ت ٤٦٣هـ) وابن وهبون المرسي (ت ٤٨٤هـ) ، وابن عبدون (ت ٥٢٠هـ)، وابن حمديس (ت ٥٢٧هـ) ، وابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ) .

وإنما التقت نزعة الجزار الهجائية ، بشاعرين من عصر الطوائف هما :خلف بن فرج الالبيري المعروف بالسميسر (ت ٤٨٤هـ) ، وابن صارة الشنتريني (ت ٥١٧هـ) ، وقد وصف ابن بسام أشعاره فقال : «ورأيت له عدة مقطوعات في الهجاء ، تربى على حصى الدهناء» (١) .

كذلك اتسق منهجه مع شاعرين من شعراء عصر المرابطين هما : أبو بكر محمد بن أحمد الانصاري المعروف بالأبيض ، المتوفى بعد سنة ٢٢٥هـ ، ابو بكر يحيى بن سهل المعروف باليكّي (ت ٥٦٠هـ) وأشعارهما مبثوثة معروفة في مصادر الأدب الأندلسي (٢).

ولعل السبب في هذا المنزع عند الشاعر ، هو الخصومة التي نشأت بينه وبين أبي الحسن البرجي ولذلك اقتصرت أشعاره في الهجاء عليه ، ولم تتجاوزه إلى غيره ، كما تقدم بنا حين وقفنا عند رسالته : «بادرة العصر..» ، وهو في ذلك يختلف عن شعراء الهجاء في

(١) الذخيرة ٨٣٥/٢/٢ .

(٢) ينظر في ترجمتيهما : المغرب ١٢٧/٢ ، ٢٦٦/٢ .

عصره ومصره . الذين تجاوزوا الأفراد والأشخاص إلى الجماعات، العامة والملوك والسوقة والسادة .

هذا فضلاً عن العوامل الذووية ، وصفاته الشخصية حيث كانت فيه حدة مزاج ، ووعورة خلق إلى جانب حالة الفقر التي كان عليها الشاعر ، وتمرد الأيام عليه ، وانفلاتها من يديه ، كل هذه العوامل جعلته ينساق هذا المساق ، ويذهب هذا المذهب ، حتى اجتمع له حوالي نصف قصائد الديوان في هذا الموضوع فجاءت في احدى وثلاثين مقطوعة وقصيدة . وعدد كثير من قصائده تقدم بنا ضمن كتابه «بادرة العصر ..» وفي مقدمة قصائده بائيته (١) :

تريك مضاء المرهفات المضارب وتكشف أسرار الأنام التجارب

وهي في تسعة وثمانين بيتاً ، تقدمت بنا ، حيث تبينا منهجه في الهجاء ونقض الحجج ، وهي ليست الوحيدة في كثرة أبياتها وطول نفسها ، إذ يحتفظ الديوان بثلاث أخريات ، همزية (٢) ، هي أطول قصائده في هذا الموضوع وفي الديوان قاطبة جاءت في سبعة وتسعين بيتاً ، على أن جامع الديوان أسقط أكثر أبياتها كما يعلق بعد إيراده القصيدة ، والقصيدتان الأخريان ، على روي القاف والهمزة (٣) ، كل منهما في اثنين وعشرين بيتاً ، ويمكننا أن نضيف إلى القصائد الاربع السابقة ، ثلاث أخرى ، ميمية في ثلاثة عشر بيتاً ، ولاميتان واحدة في أحد عشر بيتاً ، والأخرى في ستة أبيات (٤) . وأما بقية أشعاره فتأتي في أربع وعشرين مقطوعة ، تتراوح أبياتها بين بيتين إلى خمسة أبيات .

والتهمة التي غالباً ما يوجهها لصاحبه ، هي تخلفه ونكوصه ، وقدمه وغباؤه ، إلى حد يدعو إلى الغرابة والعجب ، حتى أنه ينسب اليه المتناقضات ، ويرى أن مرضه العضال «الجنون» الذي لا شفاء منه ، ويصف له الدواء المصطنع ، امعاناً في التبكيت ، وايغالاً في السخرية ، وهذا الدواء هو تركيب خاص أعد من صيدلية الجزار ، يصفه كما يصف طريقة استعماله من قصيدته التي مطلعها (٥) :

فخذ أولاً بسفايج (٦) العقل خالصاً من النوك واجرد زغبه وتأنق

---

(١) الديوان رقم ٢ .

(٢) الديوان رقم ٣٤ .

(٣) الديوان رقم ٣٢/٢٩ .

(٤) تنظر قصائده : « ٢١ ، ٣٣ ، ٢٤ » .

(٥) ق ٢٩ .

(٦) يقال : ماأشد سفج هذه الريح : اي شدة هبوبها .

ويختمها بقوله :

وإيـاك لا تَسأَمْ وخُذْ بوصيتي فإنك إن تأخذْ بها لا تُـوفّـق
فهـذا الذي يشفـي جنونك عُنوة على إنّه صعبٌ معاناةُ أحمـق

وواضح أن الشاعر يعمد في قصائده إلى رسم الصور المضحكة الساخرة ، على نحو ما يسمى في عصرنا الحديث بفن «الكاريكاتير» ، وفي ذلك جاء مقطعات شعرية كثيرة منها قوله (١) :

نساءٌ ولكن شانَ أَوجهها اللّحى فلا منةٌ فيكم ولا متعـةٌ ترجى
فأنتـم خشاش الأرض في كل بلدة فليس لمـدح تصلحـون ولا هجا

وقوله (٢) :

لا تطلبـنّ مـن الفـرّاء معـرفـة إن الدّماغ مـن الفراء مقلـوبُ
إن جئـت تسألـه في حاجة عـرضت ظـنّ الغبي بأنّ الجصَّ مطلوب

ومن هذا الوادي قوله (٣) :

تريـدُ لتطفـىءَ أنـوارنـا ومـا يدفـع الحـقُ بالباطـلِ
كاكمـة يسخـر مـن مبصـرٍ وحـافٍ يشيـر إلى نـاعـلِ

وقوله (٤) :

وإنكـم في نـشركـم لعيـوبنـا وطيّكـم مـا أنتـم بسبيلـه
كأعمـى اغتـدى ممـن بـه دلّ ساخراً فاعجـب باعمـى ساخـر بـدليلـه

ومن الاساليب التي اعتمدها في الهجاء ، التلاعب بالالفاظ والحروف ، وتغيير الامثال وتحريفها بقصد السخرية فمن النوع الاول قوله (٥) :

سلام مُبـدَلَ الميـم عـلى فـوديـك بـالحـاء

يريد «السلاح» كانه يرجو له الموت ، ويقول كذلك (٦) :

(١) ق ١٦ وتنظر كذلك ق ١٧ .
(٢) ق ٤ .
(٣) ق ١٨
(٤) ق ٢٠
(٥) ق ١٠ .
(٦) ق ٢٥ .

وإنما قيل : «فراءٌ» لصانعكم على المجاز وكان الأصل «فرار»

واما النوع الثاني فمنه قوله (١) :

قالوا على جهة الاغباء : «أغرب من عنقاء» شكلاً وهذا غير اغبـاء
فقلت : لاتضربوا الامثال بعد بها فانّ اغرب منها عقل فـرّاء

وتنزع بعض مقطعات الشاعر الهجائية ، إلى الفخر بالذات والعجب بالآل والنسب العتيد ، وهذه النزعة تمثل الحد الثاني للسيف الذي يستخدمه الشاعر ، فمن ذلك قوله : (٢)

فـان قليـلا معشر لـستُ فيهـم وان كثيـراً مـن ارى فيهم وحدي
وليـس بمنكـور عـلى الله قـدرةٌ تـريك جميـعً الفـضل في رجل فرد

ويمضي ، على هذا المنوال في مقطعات أخرى يضيق المقام بايرادها .

وتمنحنا قصائده في هذا الباب ، قيماً ومدلولات اجتماعية جمة ، تسلط الضوء على كثير مما سنراه عنده حين الحديث عن شعره الاجتماعي .

٢ ـ المديح

يأتي هذا الموضوع في ديوان الجزار، خافت الضوء، ضعيفاً، خلافاً لما نجده لدى شعراء عصره، من تألق والمعية، إذ كان المديح لديهم ذا منزلة سامية، ومكانة رفيعة، ولا نجد سبباً حقيقياً لانصراف الشاعر عن هذا الموضوع، أكثر من أن الشاعر، أعرب في أكثر من موضع عن تذمره من الحياة، وعدم اعتماده على المديح ، وسيلة للتكسب الشعري.

وكل الذي احتجنه الديوان هو ثلاث قصائد فقط، أول هذه القصائد التي تتصدر الديوان همزيته التي ذكر جامع الديوان، أنها مما كتب بها الشاعر الى الخليفة زهير العامري بمناسبة زواجه، والقصيدة تأخذ طابع قصائد التهنئة والمناسبات، وهي في واحد وستين بيتاً ومطلعها(٣) :

اليـومُ حـلـي عاطـل العـليـاء اليوم جرَّ الدهر ذيـل بـهـاء

توحي لنا القصيدة بأن ذلك الزواج كان مناسبة عامة، أظهر الناس فيه معالم الفرح والسرور، بزواج ملكهم ، حيث أقيمت الاحتفالات ودعوات الولائم وأنفق فيها مال

(١) ق ٥ .
(٢) ق ١٣ .
(٣) ق ١ .

غزير، وحضرها خلق كثير: (١) .

لما رفعت مؤججاً نارَ القـرى فيهِ لدانٍ وافدٍ ولِنـساءِ
لباك مثاليـن في عـدد الدبى زمر يضيق بهنّ كلّ فضاءِ
إن يكثروا عـدداً فقـد أوسعتهم صدراً تضيق له فلا البيداءِ
فرقت شمل المال مغتبطاً بما جمعت من مجدٍ ومن علياءِ

والراجح أن القصيدة، مما أرسل به الشاعر، الى الممدوح – زهير العامري – وأنه لم يرحل الى المرية، كما أنه لم يعش في كنف الممدوح، والا لجاد ديوانه بقصائد أخرى فيه، فقد خلت المصادر من أية إشارة الى رحيله الى المرية، بل اقترنت به مقيماً في سرقسطة الا أنّ آخر القصيدة ،يوحي برحيله الى الممدوح، يقول جامع الديوان: «فلما كان بعد اتمام انشاده هذه القصيدة..»، (٢) ولفظة «انشاده» تحمل دلالة امكانية أن يكون الإنشاد امام الممدوح.

وأبيات القصيدة الأخيرة، تتضمن إشارة واضحة الى أن الخليفة وصل الشاعر بالمال حتى لهج لسانه بالشكر والثناء: (٣) .

أنـت الـذي أنعشتنـي بمكـارم جلّت فواضلها عـن الإحصاءِ
وكسوتني حلل المبرةِ عندمـا كشفتنيَ الدّنيا فكنتَ غطائي
فلأكسونك من بدائعِ منطقي حُللاً مطرزةً بتبرِ ثناءِ
ولأشكرنّك ماتراختْ مدتي شكر الرياضِ لواكفِ الإنماءِ

لقد أظهر الشاعر تفاؤله ، وسروره ، بتلك المناسبة ، ويبدو ان زوجة الممدوح ، كانت ذات محتد كريم ، ونسب عريق ، ونجر رفيع ، ولذلك رأى الشاعر في زواجهما ، تناسباً وتآلفاً ، حتى جعلها بدراً وشمساً مرة ، وفتخاء وحمامة أخرى ، وان امتزاجهما الروحي، يشبه امتزاج الماء بالصهباء .

وغالباً ماينطوي زواج الملوك على غرض دبلوماسي ، وهو نمط شائع بين ملوك الأندلس ، لاسيما في عصر الطوائف ، إذ تكون المصاهرة وجهاً من أوجه الوفاق بعد الصراع ، ومن امثلته ، تزويج ابي بكر بن عبد العزيز ، حاكم بلنسية ، ابنته لأحمد المستعين بن المؤتمن

(١) ق ١/١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٣ .
(٢) ديوانه المخطوط ورقة ٥/ب .
(٣) ق ١ /٥٨ – ٦١ .

حاكم الثغر الاعلى (سرقسطة) ، وكان زواجهما مضرب الامثال في البذخ الثراء (١) . و

واما اشارة الجزار الى مكانة العروس ونسبها فيأتي في قوله :

لله عُرساً ، ياخليفةُ إنها	لمسيرة بمآتم الأعداءِ
فأمر بما تهوى ، يُطعك فإنه	كادَ العروسُ يعد في الأمراءِ
واشكر صنيع المستعين المرتضى	ملك الملوك وسيد الرؤساءِ
لقد انتقاك لسرّه ولجهره	وحباك ممتناً بخير حباءِ
ولئن صفوت له فما اولى وما	أرضاه من كلّ الورى بصفاءِ

وتبقى الأشارة غامضة مبهمة ، إذ لانعرف في ملوك الأندلس — من كان يحمل هذين اللقبين كليهما !

فاما اللقب الأول (المستعين)، فقد اطلق على اثنين من ملوك سرقسطة ، اكبر هو : ابو ايوب سليمان : بن هود حكم سرقسطة خلال السنوات (٤٣١ — ٤٣٨هـ) (٢) . وأصغر هو : ابو جعفر احمد بن يوسف ، وقد تولى الحكم بين عامي (٤٧٨ — ٥٠٣هـ) (٣)

ولاينسجم ان يكون «الاصغر» مقصوداً ، لأن زهيراً الصقلبي، تولى الحكم سنة ٤١٩هـ وقتل سنة ٤٢٩هـ أي أنه توفي قبل تولي المستعين بحوالي خمسين عاماً، ومن المحتمل أن يكون الأكبر سليمان بن هود هو المقصود على افتراض أن الزواج حاصل قبيل توليه السلطة سنة ٤٣١، وقبل وفاة زهير بسنوات قلائل.

وأما اللقب الثاني: « المرتضى» فقد اقترن بعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر: آخر ملوك الأمويين بالاندلس، الذي بويع بالخلافة سنة ٤٠٧هـ، ودخل في معركة مع جيوش البربر في غرناطة، بقيادة زاوي بن زيري الصنهاجي، وقتل فيها، وذلك في سنة ٤٠٩هـ.

ومن المستبعد أن يكون هو المقصود، اللهم اذا افترضنا أن الزواج حصل من ابنته بعد وفاته، والاشارة اليه ، في هذه الحالة تكون غير ذات جدوى أو أهمية، (*) لكن من الواضح أن منزلة

---

(١) دول الطوائف ٢١٦ .

(٢) البيان المغرب ٣/٢٢٢ .

(٣) دول الطوائف ، جدول حكام الاندلس ٤٣٧ .

(*) كذلك من المستبعد ان يكون المقصود ، الأمير عبد الله المرتضى (٤٦٨ — ٤٨٦هـ) الذي استقل بحكم الجزائر الشرقية بعد انقراض الدولة المجاهدية ، اذ من البين أنه تولى بعد وفاة زهير بنحو اربعين عاماً .

المنكح كانت كبيرة، وأن زواج زهير بها كان ضرباً من التكريم حيث يقول : (١)

أعلاكَ قدراً وأصطفاكَ مكارماً حتّى كأنّكَ واحدُ الأنباءِ

ويتوقف الجزار، في ثمانية أبيات عند وصف قصر زهير، الذي يضاهي قصر الجعفري، ويعطينا صورة ماثلة للعيان عن بذخ القصر ورفهه، وتعدد ألوان فرشه، حتّى تناهى حسنه الى حد التوهم في أن يكون قصر سليمان (٢):

وكفاكَ تشريفاً وفخراً أن ترى بـ«الجعفري» مؤهلاً لبناء

قصرٌ غدا فيه السُرور معرّساً يغشى العيونَ بساطعِ اللألاء

وترى نمارقَ صورة مصفوفةٍ موشيّة الأقطار والأرجاءِ

من أبيضٍ في أحمرٍ قد أشبهَا صلف الغواةِ وخجلة العذراء

لولا تناهي حسنه لم تختلف: أنا حللنا منه في صنعاءِ

ولاتعدو القصيدة، قصائد الشعر العربي، في تداولها لمعاني المديح، حيث تذكر النسب العتيد، والكرم والحياء وشجاعة الممدوح، وبأسه، ودهاءه وحسن سياسته لبلاده، وقيادته الحكيمة، وتترجح الخصال المعنوية التي وصفها الشاعر على الحسية، فهو بهجة الدنيا، وزهرة أهلها، وأفعاله كالغرة في جبين الأدهم، وهو ذو بردين، هيبة وعلاء:

زَهَرتْ بوجه «زهير» الدّنيا كما راقتْ بحلْيٍ لبةُ الحسناء

تندى أسرة، وجههِ ويمينهِ في حالةِ السّرّاء والضّرّاء

يابهجةَ الدّنيا وزهرةِ أهلها وسوادِ مقلةِ عينها الحوراء

وأما القصيدتان الأخريان، فقد ذكرهما جامع الديوان متواليتين في آخره، وختم بهما ماوصل من الديوان وهما ميميتان، من دائرة عروضية واحدة، هي المؤتلف.

الاولى: في مدح الفقيه المشاور ابي الوليد، ومعلوماتنا عنه شحيحة، فربما كان «سليمان إبن عبد الله بن محمد بن حفصيل الاسدي، من الحفص بن سليمان القاري، صاحب عاصم الكوفي، ولي قضاء بلده بعد تغلب الروم عليه، وكان فقيهاً أديباً شاعراً» (٣).

(١) ق١/٣٤ .

(٢) ق١/٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، 42 .

(٣) الذيل والتكملة ٤/٧١ رقم ١٧٢ .

جاءت القصيدة في ثمان وثلاثين بيتاً من بحر الكامل، مردفة بالياء والواو ومطلعها:

يسعى الحريصُ ورزقهُ مقسومٌ والحرصُ مرتعهُ الخصيب وخيم

وتستغرق مقدمة القصيدة عشرة أبيات، يدور الحديث فيها -خلافاً لماجرى عليه الشعراء- عن مقادير الله في الرزق، وقضائه في نعمه، وان الحرص والحزم ليسا كلَّ شيء في هذا المجال، وماعلى المسلم الا الادغان والتسليم لله سبحانه، وهو مفهوم اسلامي عقدي، يقره القرآن الكريم والحديث الشريف.

وينتقل بعدها الشاعر الى نفسه، فنلقاه ساخطاً برما، بما وصل به الحال، حتى انه لايقيم أوده لكنه يواسي نفسه ويطيب جراحه، لأن شأن الدنيا أن تتقلب بأهلها، فيتأخر الاحرار تارة ويتقدمون أخرى: (١)

مابالُ دنيايَ الدَّنيةِ لم تُقِمْ أودي أكلُّ مفوّه محروم؟

لاتجزعي يانفسُ إن خَطبٌ غدا فالحرُّ يعثرُ تارةً ويقوم

فكذا الزمانُ بأهلهِ متقّلبٌ لاالبؤس فيه والا النعيم يدوم

ويجعل الجزار هذا الحديث الشجي، عن تقلب الدنيا بالناس، وتأخرها به مدخلا لبث همومه عند الممدوح، الذي يبدو سيداً كريماً من سادة قومه، يقصد ويرجى للملمات(٢)

إن الفقيه «أبا الوليد» المنتقى وزرٌ كفيلٌ بالمراد زعيم

يأيها المحروم مأمول المنى أجَهلت أن عطاءَهُ محتوم

والقصيدة توضح لنا كثيراً من خلال الممدوح وخصاله، في الوقت الذي لايقف على تفصيلات عنه في كتب التراجم، فهو من الخلق بمكان بحيث أن زيارته والسلام عليه أمرٌ لاغنى للمرء عنه، وأبرز صفاته إنه وقور ومتواضع، صاحب ذهن وقّاد، وهو كالدهر حلاوة ومرارة، ليس كريماً فحسب بل هو من قوم يؤدون الزكاة، وهو ذو فضل في قوم ذوي فضل، يتسم بالفصاحة في القول نثراً وشعراً، وهو في ذلك يضاهي شأن يعرب وتميم، يحل بفقهه المعضلات والمشكلات: (٣)

(١) ق٥١/ ٦، ٩، ١١ .

(٢) ق٥١/ ١٢، ١٤ .

(٣) ق٥١/١٥، ١٦، ٣٢ .

لاتعدُ لقياه وزرْه مسلماً ... فلقاؤه يكفيكَ والتسليم
وأنخْ بباب رحابه بَذلَ الرجاء ... ولاتخمْ فالجودُ فيه خيمُ
عقم الزمان عن آن يجيىء بمثله ... إن الزمان بمثله لعقيمُ

وثانية القصيدتين : في مدح ذي الوزارتين أبي الاصبع بن الامام (الذي لم نوفق في الوقوف على ترجمته فيما تسير بين أيدينا من كتب التراجم) وهي أطول من سابقتها ، جاءت (مبتورة) في خمسين بيتاً من بحر الوافر بروي الميم المردفة بالألف ومطلعها (١)

ألمَّ خيالُ فيه عن لمام ... بنارِ مني فحيّا بالسلام

يبدأ قصيدته على جاري عادة الشعراء، بالغزل بطيف الخيال، مع ذكر الأماكن،منى، وذي طلوح ، ولوى أريك، ويمضي في وصف زيارة الطّيف بعد قطعه الصحارى، في غفلة من أعين الرقباء، والسّماء نقية ، يهزم جيوشَ الظلام فيها، بدرٌ تمام ، ونجوم مشرقة، ويمضي في وصف الانواء الجوية الى الفرقدين، وسهيل والشعرى، وبنات نعش، والسهى والجوزاء ، ويجعل البيت الرابع والعشرين حسن التخلص فيقول (٢):

كأنَّ ذرورَ قرنِ الشّمسِ حسناً ... واشراقاً محيّا ابن الامام

ثم يذكر ممدوحه مقروناً بكل الصفات الجيدة، فهو ذو همة قعساء ، وخلال سنية، فصح بنفسه ودهره يومان، جود، وبأس، حافظ للعهد، ولذلك اختاره المستعين لوزارته وقد ورث المنازل العلية عن آبائه الكرام، الذين عرفوا بالمجد العتيد شيباً وشباناً (٣):

ومن تكن الوزارةَ فيه ضلّتْ ... هداه سبيلها أهدى إمامِ
رآه المستعينُ لها فوافى ... به منها على أعلى السّنامِ
وملكه أزمّتها وألقى ... إليه بالمقادرِ والخطامِ

ويذكر ابن الجزار أياديه البيض عليه وعلى أمثاله ،حتى إنه استعبدهم بنعمائه، وبذل وسعه في حماية قواعد جزيرة الاندلس، بعد أن قلَّ الحماة وشحوا :(٤)

وكم لك من يدٍ بيضاءَ فينا ... بها طوّقتنا طوقَ الحمامِ

---

(١) ١/٥٢ .
(٢) ١/٢٤ .
(٣) ٥١/٣١ — ٣٣ .
(٤) قم٥/٤٦ — ٤٧ .

أفضتَ علـى الجميـع بهـا سمـاء فاضحوا رقّ أنعمك العظـامِ
حميت حمى الجزيرة اذ أبيحـت قواعدها وقلّ بهـا المحـامـي

وابن الامام في ذلك ،يقيم عمود الدين، اذ يوشك على الانهدام، وإن أدى بهِ ذلك خوض البحار ومقاساة المتاعب وشظف العيش (١).

وخضتَ لنصرِ ديـن الله فيـهـا بحاراً موجهـا طامي الجمـامِ
نقـاسي ساعـةً فيهـا كيـومٍ ومـن طول السُّرى شهراً كـعـامِ

وأبيات القصيدة الأخيرة، لاتوحي بانتهاء مراد الشاعر، بل من المرجح أن تتمتها سقطت من الديوان (٢).

٣ ـ الشعر الاجتماعي :

أولى الجزار المجتمع الأندلسي، جانباً واضحاً من اشعاره، وذلك يعزى الى صلته القوية بمجتمعه، اذ لم يكن بعيداً عنه ولابد أن ننوّه بأنّ مما يعزز صلة الشاعر بمجتمعه نظمه في الموشحات التي هي ـ اتجاه شعبي ـ كما اتفقت عليه الدراسات، وكانت مهنة الجزارة التي بدأ حياته بها، ثم تركها وعاد اليها ثانية، تقوى ماتّتَهُ بمجتمعه واشعار هذا اللون تنشطر الى جذمين:

أحدهما: ماجاء في وصف المجتمع الأندلسي في عصره، والفخر بالعروبة والاسلام ومفاهيمه في ظروف سياسية مضطربة، أوشكت تلك القيم أن تنفلت منـه.

فاما اشعار المحور الاول، فتبدو في قصائده التي عرض فيها لمهنة خصمه «الفراء»، حيث وصفها على لسـان صاحبها بقوله (٣) :

انا ابن الذي ان قال صدّق قولـه ولم يلكُ بين الناسِ فيـه خـلاف
بأنمـله ماضِ الطعـانِ مثـقـفٌ خطاه الى الطعّن الركينِ خـفاف
اذ ازداد طعـنـاً لاءمَ الدّهـرُ سمتَه ويطـعنُ قصداً والطعـانُ صـداف

ويعود في قصيدة أخرى ليشير الى إبرة الفراء، وأنها ليست ذات أثر فيقـول : (٤)

---

(١) ق٥١/٤٩ ـ ٥٠ .
(٢) ينظر ماذكرناه بصدد الجزء الساقط من الديوان في /قيمة المخطوطة ص٣ .
(٣) ق١٤ .
(٤) ق٣٤/٢٩ ـ ٣١ .

هل رمحك المهموزُ الا إبــــــرةٌ أمنَ الطعينُ بها مــن الإدمـــاءِ؟
او أنّها في عينِ مرمودٍ لمــــــــا منعَتْ ملاحظَـهُ مـن الإغضاء
أبإبرةٍ مثلَ المبـاةِ كسيـــــرةٍ تسطيعُ قلعَ الهضبـةِ الصمّاء؟

ولاجرم أن يباهي الجزار بسكينـه ازاء ابرة الفـّـراء (١) :

تُروى المدى من نجيـعٍ قانىءٍ أبـداً وليس يُدركُ فينا طالبٌ ثــارا

فهو لايجد بأساً في مهنته، بعد أن عابه عليها الوزير الكاتب ابو الفضل بن حسداي، اذ يردّ عليـه قائـــلاً (٢) :

تعيـب، علي مألوف القصابــــة ومن لم يدرِ قدَرَ الشيّء عـابـة
ولو أحكمْتَ منهـا بعض فــنٍ لما استبدَلْتَ منهـا بالحجابــه

ويتفنن شاعرنا في عرض محاسن مهنته بأسلوب ساخر، فيصف في قصيدته مهنته أجلّ وصف، في معرض المباهاة، وكأنه يسطر ملحمة من ملاحم القتال والبأس، بأسلوب بارع ولغـة رشيـقـة :

لعمرُكَ لو نظرتَ اليّ فـيـهـا وحولي مـن بني كلبٍ عصـابـه
لهـالكَ مارأيتَ وقلـتَ: هــذا هزبرٌ صيّرَ الأوضـام غـابـه
لقـد شهدت لنـا كلبٌ وهــر بأنَّ المجد قد حُزنـا لبـابـه
اذا مانحــنُ نازلنـا قبيـلاً رأيتُ الموتَ قد أمضى حرابة
فتكنا في بني العنزيّ فتكـــاً أقرّ الذّعرَ فيهـم والمهـابـه
أبدنا شيبهـم ومتى ظفرنـا يغرٍّ شبَّ ،لم نرحـم شبـابـه

ويصف نحر الجمل والثور، وتمكنه منهما وينتهي الى الفخر فيقول:

نريـقُ دمـاً ولا حرجٌ علينـا ومن نقتلُه لانخشـى عقـابـه
ويبرزُ واحدٌ منـا لألــف فيفنيهـم وتلك مـن الغرابة

ويتجاوز الأمر لدى الجزار هذا، حيث يجعل جميع ذوي المهن عالة عليه، وتبع له، فيشير الى أكثر مهن عصره من قصيدة في تسعة أبيات يقول فيـها (٣) :

(١) ق٢٥/٤ .
(٢) ١/٣٦ - ٢، ٣ - ٤، ٦، ٩ - ١٢، ١٧، ١٨ .
(٣) ق٤ ، وفيها اشارة الى عدد من المهن الشائعة في عصره.

فمنهم الكرّاشُ والسلاخ اليهم السّبارُ والطّباخ
والصنَع المألوفَ والجلادّ ودابغ الجلود والحدّاد
اليهم الرواسي والبلاجي ثم الفتى المدعو بالسراج
ومنهم الفران والزقاق يليهم الرقاق والمواق
وغيرهم من اصحاب المهن .

واذ تشتد خصومته مع الفراء ، ويحتد في الكشف عن عوراته، وترصد معايبه ، يتولى ذلك في قصيدة ميمية ،فيحدثنا حديث العارف الخبير ، وهو ليس ببعيد عن مهنة صاحبه ويتهمه بالتدليس في ابتياع الفراء، وانها ليست ذات جدوى في دفع غائلة المبرد او شدة الحر ،ورائحتها كريهة لاتطاق، ويفصل القول في اساليب بيعها وشرائها، وتخرج الى ضروبٍ محرمة، تقوم على اساس الاستغلال، يلجأ اليها الفراؤون(١) :

ألستم بتدليس الفراء عرفتمُ وذلك ظلمٌ ليس يعدله ظلمُ
تبيعونها من جاهلين بأمرها مزوقة محسومة مالها رسم
وينفع بعضٌ بعضكم في شرائها وفاعل ذا بالشيخ ابليس يأتمّ
مزاينه تفضي الى غاية الربا وذلك ثلم بالديانةِ بل خَرمُ
ومن يك ربحُ السوء أساً لماله وبينٍ عليه فالذي فعَلَ الهدمُ

وقد نهى (رسول الله صلى الله عليه وسلم) عن المزاينة، التي هي بيع مالا يعلم بمعلوم المقدار، ولا يلبث ان يبين حدّ المبيع المباح بقوله: (٢)

إنّ خيرَ البيوع ماكان نقداً ليس ماكان آجلاً بنسية

ومن صور المجتمع التي وقف عندها السرقسطي ، صورة شكوى الناس من العمال واتهامهم بالظلم مع سوء أعمالهم ، فما وقع به عن المستعين بالله بن هود قوله (٣) :

نسبتم الظلم لعمالكم ونمتم عن قبح أعمالكم
لاتنسبوا الجور اليهم فما عمالكم الا كأعمالكم

(١) ق١/٢١، ٧، ٨، ١٢، ١٣
(٢) (المستدرك) ق١١/١٤ .
(٣) (المستدرك) ق١/٩ – ٢ .

وهو اذ يرد تهم الظلم الموجهة للعمال، يخاطب ابا جعفر العامل ،مستشفعاً لا[illegible]ه بعد أن اجتمع عليه خراج أرض اكتراها، ويبدو أن صاحب الشرطة كان قد أعانه، فارتكن اليه واستقوى به يقول متهكماً من قلة خبرة أبيه (١) :

يا أبا جعفر لعا من عثار ... وغياثا فما يقر قراري

كان لي والد وكان لعمري ... من بني العصر بالفلاحة داري

ناقص الرأى تاجر البر والبحر ... وناهيك فارس في التجار

وفي كراء الأرض وخسارته الكبيرة يقول :—

اكتراها ولم يكن مستخبراً ... وقت شؤم بطالع الأدبار

جَدبة بعضها من الشؤم أضحى ... في علو وبعضها في انحدار

لم يزل زارعاً بها حمل بغل ... رافعاً منه نصف حمل حمار

لقد تقدم بنا كيف ان الشاعر ترك الشعر الى الجزارة ، وذلك فيما أجاب به ابا الفضل ابن حسداى، ثم إنه ادركته حرفة الأدب، وجعلته يدع الشعر الى الجزارة تارة، ويرد اليه أخرى، لكنه يبين ماأدركه من نصب ووصب ، فمن ذلك قوله يخاطب صاحب الاحكام بسرقسطة (٢) :

أقل بنيات الخصوم تهدني ... وان عن نظم الشعر [illegible] منصله

ومالي من شيء ادافعه به ... سوى عسرة بكل حالي موكله

ولي مقعد خمسون يوماً مضت بما ... حوته يدى من قابضات مسهله

ويصور الشاعر اضطرابه بين القصابة والشعر ، أدق تصوير وكيف أنه أدركه السغب فيهما ولم يستقر به المقام على واحدة منهما ، حتى أصبح كالغراب الذي اضاع المشيتين:

كم بالقصابة لاانفك في سغب ... وفي المدائح عنها للفتى حول

حتى اذا حكت أثواب المديح، إذاً ... يجود لابسها قول ولا عمل

لما بدا لي ان الشعر مسغبة ... وحظ ناظمه الحرمان والبخل

حسبي القصابةُ لأبغي بها بدلاً ... من قر بالشيء عينا عزه البدل

او كالغراب رأى في جوه حجلاً ... فقال : قد بزني في مشيه الحجل

(١) ق٤/١، ٣، ٤، ١١ — ١٣ .

(٢) ق٦ .

فـلا الى مشيـه المعهود عـاد ولا نـال المراد ، وبان العجـز والكسـل
لإباقصابـة استـولي عـلى أمـلـي ولا بشعرى الى نيـل المنـى اصـلُ

ويعزو أفول نجم شعره الى دهره، فيتناول ذلك بصريح العبارة ويقول (١) :

اشقى لجدك ان تكون اديبـا او ان يـرى فيك الورى تهذيبـا
فـأن استقمت فـان دهـرك كلـه عوج، وإن أخطـأت كنـت مصيبـا

والزاوية الأخرى التي يطل بها شاعرنا على المجتمع الاندلسي، تبدو من خلال قصيدته الرائية التي رد بها على ابي عامر احمد بن غرسيه ، الذي كان من ابناء النصارى البشكنس ونشأ في رعاية مجاهد العامري (*) وقد ذاعت شهرة رسالته الشعوبية التي فضل بها العجم على العرب .

ولم تكن مثل هذه النبرة، لتمضي ، دون تمحيص وتدقيق ، فانبرى له اشهر كتاب الاندلس وردوا عليه، وعرفت في ذلك أربع رسائل ، رسالة أبي يحيى بن مسعدة (٢)، ورسالة أبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسي (٣) ، الذي ترجم له ابن بسام ، والتقاه سنة ٤٧٧هـ، ورسالة أبي الطيب بن مد الله الهواري القيرواني، المتوفى سنة ٤٩٣هـ(٤) وهي أطول الرسائل جميعاً ،ورابعة لابن عباس (٥) ، وقد وردت الاشارة الى رسالة خامسة هي لابي مروان عبد الملك بن ابي عبد الله محمد بن ابي الخصال الأديب المشهور كتبها في جمادى الآخرة سنة ٥٢٨هـ، وكانت وفاته بعدها (٦) .

وكانت رسالة ابن غرسية موجهة الى ابن الجزار، وفيها يعاتبه لتركه مدح مجاهد، واقتصاره على مدائح ابن صمادح التجيبي، ومن الغريب أن لايرد ابن الجزار عليه ، موافقاً او مخالفاً ، وقد وصف ابن بسام بقوله: «وهي رسالة ذميمة غرب في تسطيرها

---

(١) المستدرك رقم (١) .

(*) للمزيد من التفصيلات عن حياة ابن غرسية ، ينظر نوادر المخطوطات ٢٢٤/١ ورسالته ص٢٤٦ – ٢٥٤ وهي كذلك في الذخيرة ٧٠٥/٣–٧١٤ .

(٢) نوادر المخطوطات ٢٥٦/١–٢٩١ .

(٣) نوادر المخطوطات ٣٠٢/١ –٣٠٨، الذخيرة ٧١٥/٣ – ٧٢٢ .

(٤) سمى رسالته «حديقة البلاغة ودوحة البراعة ، المورقة أفنانها ، بذكر المآثر العربية ،ونشر المفاخر الاسلامية والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم الاعجمية» نوادر المخطوطات ٣١٠/١ –٣٣٠، الذخيرة ٧٢٣/٣ – ٧٤٦ .

(٥) الذخيرة ٧٤٦/٣ – ٧٥٥ (٦) التكملة ٦٠٩/٢ رقم ١٧٠٠ .

فلم يسبق لكثرة غلطه فيها وزلله، الى نظيرها، وذم فيها العرب، وفخر بقومه العجم، واراد ان يعرب فاعجم..» (١)

وهناك رأي آخر يزعم أنّ الرسالة وجهت الى الشاعر الأديب ابي عبد الله بن الحداد(٢) ولأي منهما وجهت ، فان صوت الشعوبية في الأندلس ، لم يكن قوياً ، ولم تسفر الشعوبية فيها عن وجهها الصريح كما لم يكن لها انصار كثيرون على نحو ماكانت في المشرق ، ولذلك لم يتجاوز صداها مدى بعيداً .

وعلى كثرة الذين ردوا على ابي عامر بن غرسيه، فان جميعهم اختار أسلوب الرسالة في الرد، وتفرد شاعرنا الجزار السرقسطي في الرد عليه شعراً، في قصيدة، وصل منها عشرة أبيات مطلعها: (٣)

يامفتياً بانتقاض الشرع اعصارا   «إن كنت ريحاً فقد لاقيت اعصارا»

ولا يخوض في تفصيلات الحجج التي يزعم فيها ابن غرسيه فضل الاعاجم على العرب على نحو ماجنحت له رسائل كتاب عصره الذين اغلظوا القول له وردوه بعنف وشدّة بل نجد نبرة الإباء والعزة في ابياته ، ويحرض الناس للنهوض في حماية الدين ازاء تحجج ابن عرسية :

كفاجرٍ منهم في أرضِ دانيةٍ   قد أظهرَ الكفرَ فيها اليوم إظهارا

يا للحنيفيِّ مما حلّ مالكم   لاتنكرون خلافَ الشّرعِ انكارا

هذا « ابن غرسيةٍ » من « لاردةٍ » لهج   بكل كفرٍ صريحٍ يورد النارا

فحذروا الناسَ منَ روميٍّ مذهبه   ولا يرى أحدٌ منكم له جارا

إنّا نرى الآن هذا الدينَ نخذله   ونحن كنا لهُ من قبلُ أنصارا

ونتوقع أن تكون القصيدة مبتورة وأنها جزء من قصيدة طويلة ، وذلك ، لأن الشاعر كان حياً حين الف ابن غرسية رسالته ، فضج كتاب عصره بالرد عليها — كما رأينا — ونقض افكارها ، والذي ينسجم مع سورة الغضب ، وحدة المزاج التي طبع عليها الشاعر أن تجيش قريحة الشاعر بقصيدة طويلة ، تتناول تفصيلات رسالة ، ابن غرسية بالمناقشة، لاسيما أن ديوان الشاعر ينبيء عن نفس شعري طويل .

---

(١) الذخيرة ٣/٧٠٤ .

(٢) نوادر المخطوطات ١/٢٤٦ .

(٣) ق٤٤ .

ونعود إلى المحور الثاني الذي دارت عليه أشعار الجزار في الاطار الاجتماعي ، وهو شعر الآداب والأخلاق الإسلامية ، فقد مضت في هذا الاتجاه عدة قصائد ، منها قصيدته البائية التي كتبَ بها الى بعض اخوانه يصبره على مادهاه فيقول (١) :

عوائدُ هذه الدُّنيا ضروب يحمّل عبأها الفَطِنُ اللبيب

وهي في ثمانية أبيات ، وفيها يقرر حقيقة تقلب الايام ، وتغيّرها بأهلها ، وعدم استقرارها على حال فيقول (٢) :

فلا تفرحْ اذا دنتْ الأماني ولا تحزن اذا دهتِ الخطوب
فغايةَ كلّ عاصفةٍ سكونٌ وغايةُ كلّ ساكنةٍ هبوبُ
يخلّصك المهيمنُ من أذاه فلي مما دُهيت به نَصيبُ

ويتضخم هذا الشعور لديه إلى أن يبلغ نبرةً تصور شكواه من الزمان ، وخيبة أمله فيه بحيث يصفه بالشحّ ، ويبدو أنه عاش ظروفاً سيئة حتى انتهى به الأمر إلى أن يتمنى الموت على الحياة مادامَ العيش يقتضي ذُلّ صاحبه (٣) :

أرومُ الجودَ من زمنٍ شحيحٍ وصَعبُ الروم توقيف الجموح
زمانٌ أقصرُ الأيام فيه كأطولِ ما حكوا عن عمر «نوحِ»
يشيب لهوله الولدانُ ذعراً (*) ويحسدُ حيّة من في الضريح
فزر يا موت أو يا نفسُ فيظي وإلا تعتدي للموت رُوحي
اذا ما العيش قاد اليك ذلاً فإنّ العز في الموت المريح

ولا يلبث أن يسلم أمره إلى قضاء الله سبحانه في عقيدة مؤمنة بالله ، وطوية سليمة :

وما يأتي القضاء على قياس فييأس من صلاح او صلوح

ويتجلى ايمانه بقضاء الله وقدره ، أجل تصوير ، في قصيدة رائية ، قالها في رجل رحل من سرقسطة فاراً منها حذاراً من العدو ، وأظهر في فراره المسير إلى الحج ، فلما أبصر البحر جزع وانصرف ! وفيها يرى أن اجتهاد الإنسان في النجاة لايؤخر الأجل او يقدمه ، وانّ ثوب الخلود عارية ، وما نحاذره أو نرجوه يحول بينه القضاء الجاري ،

(١) ق٣٩ .
(٢) وقد تقدم بنا هذا المفهوم في قصيدته التي يمدح بها الفقيه ابا الوليد ٦/٥١ ، ١٢٠٩ .
(٣) ق٤٥ .(*) اقتباس اشاري من (المزمل: ١٧)

والآمال القريبة لاتختلف عن البعيدة ، فربما لم يدركها الانسان ، لأن الحكم النهائي لله سبحانه ، فالأولى أن يستسلم المرء اليه ، يقول (١) :

يامَن يفرّ من القضاء بنفسه — هيهاتَ من لمقيّدٍ بفرار
تبغي النّجاةَ لها من الدُّنيا ،وهل — ينجو قنيصٌ من مخالبِ ضارِ ؟
أتفرُّ مذعوراً ، كأنكَ خالدٌ — وكأنّ ثوب العمر ، غير معارِ ؟
من فرّ من قَدرٍ ، فليس فراره — الا على قدرٍ عليه جاري
ما كل ما يخشى ويرجى واقع — حال القضا بين السري والسّارى
كم آملٍ أملاً قريباً نيله — قطع الحمام به عن الأوطارِ !
والله يحكمُ لامردّ لحكمه — ومن المحالِ دفاع حكم الباري
سلّم إلى الأقدارِ أمركَ تسترحْ — ما كلَّ مطلوبٍ ينالُ بثارِ

وتسيطر هذه الروح المؤمنة على قصائد أخرى للجزار ، منها قصيدته الميمية التي يمدح بها الفقيه ابا الوليد ، التي يستهلها ، بمعاني التسليم لله ، وقضائه وقدره (٢) :

يسعى الحريصُ ورزقهُ مقسومُ — والحرصْ مَرتعه الخصيب وخيم
لو نالَ بالحزمِ امرؤ حظ الغنى — ماتَ الفتى الكسلان وهو عديم
سبق القضاء بكل ما هو كائن — فمن النهى التفويض والتسليم
قد قَسّم الارزاق بين عباده — ربٌ رؤوف بالعباد رحيم

وللقصيدة الرائية المتقدمة آنفاً ، وجهان آخران ، أحدهما : يسلط الضوء على طبيعة المعركة التي كانت محتدمة في القرن الخامس الهجري بين حكام الأندلس ، وحكام اسبانية الشمالية ، واتخذت أبعاداً منها ، البعد العسكري ، والبعد الفكري ، فهي تصور نكبة المسلمين في الأندلس وضعف شوكتهم والصراع القائم بين الكفر والايمان ، بحيث دفع اضطراب الامور والخطر المهدد أقواماً إلى الفرار والرحيل عن الاندلس ، وصور ذلك ابن العسال (ت ٤٨٧ هـ) ، اثر سقوط طليطلة ، في ابياته المشهورة التي منها (٣) :

حثوا رواحلكم يا أهل اندلسٍ — فما المقام بها الا من الغلط

(١) ق٥٠، وينظر ماجاء آخر القصيدة في مناسبتها .
(٢) ق٥١ .
(٣) نفح الطيب ٣٥٢/٤، وينظر بحث : ملامح من النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الاندلس ص٢٥٨ ، آداب الرافدين العدد ١٢ .

واما الوجه الآخر . فيتمثل في صورة البحر المرعبة ، التي القت في روع شعراء الاندلس ، الخوف والذعر على نحو ما تجلى في أشعار كثيرة لهم(١)، مما دعى ذلك الشاعرَ إلى العودة عن الرحيل ، وايثار الموت في بلده مجاهداً عنه ، فضلا عما للجهاد من مكانة عند الله :

والبحر أصعبُ ميتةً لغريقه ... من ميتةٍ بعواملٍ وشفار
وأحق من نال الشّهاد مقصد ... بالمشرفيّةِ والقنا الخطار
أوليسَ أفضل أن اموتَ مجاهداً ... من أن أموتَ لُقىً غريق بحارِ

ومن مقطعاته في شعر الاداب الاسلامية ماقاله في اللسان (٢) :

إياكَ من زللِ اللّسان فإنما ... عقل الفتى في لفظه المسموع
فالمرءُ يَختبر الاناء بنقره ... ليرى الصحيح به من المصدوع

و سالته « بادرة العصر» تحفل بهذا اللون من الشعر فمن ذلك قوله ، في ضرورة اقتران الفهم والذكاء بطلب العلم (٣) :

ودارسُ كتبِ العلم لا فهمَ عنده ... كساعٍ بلا جدٍ لادراك مأربِ
ينالَ من العلم الذكي نصيبه ... وان هو لم يعكف عليه ويدأبِ
وما ينفع المرءَ الغبيّ دراسةٌ ... أينتفع الأعمى بكل مجرّب؟

وفي الرسالة ذاتها يقول في أدب التعامل مع العدو ، وعدم الغفلة عنه او مداراته (٤) :

وإنّ العدو لكالحية التي ... كمن السمّ في ذاتها
اذا استمكنت لدغت واعتدَت ... ولم تنتفع بمداراتها

ويقول كذلك (٥):

اذا ما تأتتْ في عدوّك فرصة ... فثبْ وانتهزْهَا و ثبةَ الضيّغم الأشرِ
ولاتك مثل المرء أمهل لصه ... لينظر مايقضي فنام وماشعر

وفي ضرورة الاتكال على الاعمال رد على الاحساب يقول (٦) :

---

(١) ينظر : بحث البحر في شعر الاندلس والمغرب ص١٥(حوليات كلية الآداب–جامعةالكويت)
(٢) المستدرك رقم ٥ .
(٣) ق٧ .
(٤) ق٨ .
(٥) ق٩ .
(٦) ق٤٨ كذلك في شعر الاداب ينظر ق٤٩ .

النّاس فرعٌ من أرومٍ واحد فالفَخر بالأحساب كالهذيانِ
كم من حسيبٍ حطّ مجدَ جدوده فهوى وكان موطّد البنيانِ

٤ ـ موضوعات أخرى :

أشرنا فيما تقدم إلى أبرز موضوعات الجزار الشعرية ، ولكي لانحيف على الشاعر ، ونخل في التعريف بأشعاره ، نتوقف وقفة قصيرة ، عند موضوعاته الإخرى ، التي كان مقلاً فيها ، فمن ذلك ماجاء في باب الخمرة والمجون ، وهما يأتيان دائماً مقرونين بوصف الطبيعة ، وفي ديوانه ثلاث قصائد متجاورة في هذا الاتجاه ، وفي المستدرك رابعة ، وأولى قصائده بائية في سبعة أبيات (١) :

وكم ليلةَ أحلى من الأمن بتُّها نديميَ بدرٌ والرحيق رضابُ
سَريتُ اليها والسّماء كأنها غديرٌ لها زهر النجومَ حُبابُ

ويبلغ الوصف عنده مبلغ كبار الشعراء ، فيصور لنا الليل ودخوله في الصّباح وتلابسه:

وشهبُ الدّراري تخفق الجوّ والدجى كما اشتجرتْ يوم الهياج حرابُ
كأن طلوعَ الشّعريين بإثرها رقيبٌ باحدى مقلتيه مُصابُ
وسلّتْ يد الأصباح مرهف فجره فذلّت رقابُ الليل وهي صعابُ

وثانية القصائد طائية يستهلها بالشوق والحنين إلى مدينة « شيقر» والذكريات التي أودعها فيها ، وهي أطول قصائده في موضوعها بلغت أبياتها نحو اربعين بيتاً ، ومن آخرها نفهم أنها رسالة في الجواب على أحد أصدقائه (٢) :

عسى وطنٌ أودى بإلفتنا شحطا يقرّ بنا زلفى وينظمنا سمطا
ألاليت شعري هل يُرى بعدُ سامحا بعهدِ تصاب كنتَ في عقده وسطى
وهل يُسعفني فيك يوماً بأوبةٍ يُضييءُ بها أرجاءَ « شَيَقر » والشطا

وعن مغامراته وفتكاته يحدثنا فيقول :

وكم فتكةٍ للرّاحِ جازتْ بنا المدى بحيث وشيجُ الحبِ والأثلِ والأرطى
ومقصبَةٍ تهفو الرياح فتنثني فتحسبهُا تحت الرياحِ قنا خطا

وفي جمال الطبيعة ، في وطنه الذي غادره جدول الماء ، والصّبا ، والبساتين يقول:

وجدولِ ماء كالمجرّةِ أسبغتَ بحافاتها الأنواء من نسجها بسطا
صفا ماؤه حتى كأنّ انصبابه حسامٌ اذا يُستَلُ أوحيّةٌ رقطا

---

(١) ق٤٠ .

(٢) ق٤١ .

كأنَّ نثيرَ النّور تحتَ يد الصّبا فصوصُ مها او لؤلؤ أعوزَ السّمطا
بساتينُ بزّتْ حُسنَ جنة مأربٍ لذيذُ حلاها ليس أثلا ولاخمطا

ويعود ثانية إلى الخمرة ومعاقرتها في تلك الطبيعة الساحرة :

وعذراء دن بنت تسعين حجة بذلنا لها الارواح في مهرها شرطا
أقمنا بها سوق التّصابى فما ونتْ تردُّ البنان الجعد من يومها سبطا

ولا ينسى ساقيتهم ، ونصيبها من الحسن المتجلي في جمال خدّيها وساقها ، وشعرها حيث ينتهي إلى القول :

تطوف بها غصنيه القد كاعبٌ لها مقلة كالخمر سطوه أواسطى
إلى مثلها يصبو الذي كان صابياً والا فما وفي الصبا في الهوى قسطا

ويختم قصيدته بالحديث عن مرضه الذي حار فيه الاطباء ، ولازمه عاماً ، فاقعده عن الكتابة ، فضلا عن شعوره بكبر السن والشيخوخة ، واقتران ذكر الخمرة بالمرض ، يدنا على أنه ربما كان مدمناً عليها ، والا فكيف ساغ له ان يرفع شكواه إلى الله ، ويرجو السلامة وهو مقيم على معصيته سبحانه :

وعُذراً لتأخير الجواب فإنني ضَعفتُ فلا قَبضاً أطقتُ ولا بسطا
توالى عليَّ السّقم عاماً فحطّني على رغم أنفي عن جدى صحّتي حطا
إلى الله أشكو ما دهاني فقد عدا وأسأله تعجيلَ بُرء فقد أبطا

وثالثة الأثافي في شعر الخمرة والمجون طائية كذلك ، وهي أظهر في موضوعها وأجلى من سابقتيها تمثله في كبر سنه ، وهي في سبعة أبيات فيقول (١) :

وعاطلة حلّيتُ بالمجد جيدها ونظمّتُ من دُرِّ الحباب لها سمطا
أدرتُ حميّاها على الشّرب والدجى بأنجمه حال كزنجية شمطا
أقمت على اللذات فيها مساعداً ووفيت ريعان الشباب بها قسطا

ويدركه السكر في كثرة معاقرتها، فيصور لنا ذلك بقوله:

أغني ولا أذنٌ تعي نَغَم الغنا وأُسقى فلا أسطيع قبضاً ولا بسطا

واما قصيدته التي الحقناها الديوان فهي أربعة عشر بيتاً، يائية موصولة بالهاء، قالها يستهدي فيها مشروباً ، وكانت قصائده الخمرية الثلاث على وزن الطويل ، لكنه اختار

---

(١) ق٤٢ .

وزناً خفيفاً راقصاً يحكي رحلته الماجنة، هو بحر الخفيف، استمع اليه(1):

هاتهـا كوثريـة عسـجـديـة بنـت كـرمٍ رحيقةٍ عطريةٍ
رب خمارة سـريـت اليـهـا والدجـى في ثيـابـه الزنـجيـة
كـم عـقـارٍ بـذلتـه بعـقـارٍ وثياب صبـغتـهـا خـمـريـة

ويختمها بقوله:

هاكَ روضاً مـن التأدّب غـضّـاً بفصول غريبـة مَعنـويّـة
مـن شكـورٍ أهـدي إليـكَ ثناءً حيـن لم يستـطـعْ سواه هَـديـه

ومن موضوعاته التي كان مقلا فيها، شعر المجاوبات، وهو موضوع كثر النظم فيه في عصر الشاعر عصر ملوك الطوائف، وله فيه وقفتان ثنتان، أولاهما مع الوزير أبي الفضل بن حسداي الاسرائيلي الكاتب الشاعر، فقد روى أن الجزار دخل قصر سرقسطة مع الجزارين . في بعض أحوالهم ، فأبصره الوزير ابو الفضل بن حسداي فاعترضه بهذا البيت: (2)

تركـت الشعـر من قِلّـةِ الإصابـه وعدت الى التـحـرف بالقصابـة

فاجابه ابو بكر الجزار بقصيدته على الوزن والقافية. في واحد وستين بيتاً، مناقضاً ومدافعاً عن القصابة:

تعيب على مـألـوف القـصـابـه ومن لم يـدرِ قـدرَ الشيء عَـابـه
ولو أحكمـت منهـا بعض فـنٍ لما استبدلـت منهـا بالحجابـه

وقد تقدمت بعض أبياتها خلال حديثنا عن شعره الاجتماعي الذي صور حرفته، تصويراً ساخراً ويحدثنا — في جواب ابي الفضل بن حسداي — عن اسباب عزوفه عن الشعر الى مهنة القصابة، اذ لم يعد الشعر عنده، باب حياة ورزق ،بعد أن شحّ بنو عصره على اصحابه:

«أبـا الفضل» الوزير أجـبْ نـدائي فـفضلكُ ضامنٌ عنـك الإجـابـه
لعـمـرك مـاتركـتُ الشعـر حتـى رأيـت البخل قـد أمضى شهـابـه

(1) المستدرك ١١ .
(2) ق٣٦ .

وبلغ الأمر بالشاعر اكبر من ذلك، حيث شعر بأنه كان ثقيلا في زيارته أبا الفضل:

وظـن زيارتي اسـتـطـلاب نيــلٍ فنافرني وغـلـظ لي حجـابـه
وذو الهمـم العليـة فـي تجافـي وجنـب كـل مـن يبغي اجتنابـه

وازاد انفلات الأمر من يديه، وعدم استطاعته التكسب بشعره تتشوه الصورة عنده فيمسخ الناس ذئابا مفترسة، لاسيما بخلاءهم ، ويوقع بهم عن طريق مهنته:

ولـمـا صـار أهـل الأرض طـراً. ذئابا صـرتُ مـفـتـرسـاً ذئـابـه
فـمـن لم أسـتـمـلـه بالـقـوافـي وكان البخـل بالمعـروض دابـه
نـصـبـت للؤمـة شـرك احـتيـالي وصدتُ لهاه مـن بـاب القصـابـه

وما دام ابن حسداي قد حرك به ساكنا، وهزه الى الشعر فهو يطالبه بالثمن:

فـأنـت أحـق مـسـؤول بقـصـدي وأفضـل من قـرعت عليـه بـابـه
وقد صيـرت مـاأشكـو كـتـابـاً فصير ماتجـود بـه جـوابـه

ويبدو ان الابيات العشرة التي ختم بها قصيدته، وصارحه بما هو فيه من ضيق عيش وضنك حال لم تهز منه كريماً، ولم تسعفه في حاجته، ولذلك كتب اليه ثانية، يستنجزه ويحثه، ويعنفه عن التأخر (١):

«أبا الفضل» لاترتبْ بفضـلـك إنني حفزتك والمضطر يعـذر في الحَـمـز
ولابدّ من هزّ الكريـم لأنـنـي رأيـت الحسام العضب أمضى لدى الهز
ولو كان يستغـنى الكريـم بطبـعـه عن الهـز لاستغنى الجواد عن الهمز

فماذا يكون جواب ابن حسداي، بعد ماتقدم من الجزار ، لقد أبدى اعجابه بشعره، ووعده بالعطاء ، وكنى عن ذلك، بفرو من الحمد يكسو به، ينتف منه طوراً، ويجزه طوراً آخر:

لعمري لقد طبقت في الشعر مـفـصلا أتيـت بـه عفـواً، وأقللت في الحزّ
سألطف في فَرو من الحمـد تكتسي بـه مقتضى بالنتف طـوراً وبها الجـزّ

فراجعه الجزار ثانية يذكره بوعده، ويستنجزه، ويذكر ضيق السبل به(٢):

---

(١) ق٣٧ .
(٢) ق٣٨ .

وإني لذو بَزٍ من الحمد طرزهُ ... فمالي أراك اليوم تزهد في بَزي(*)
فيؤخذ من قومٍ بعطف تودد ... ويؤخذ من قومٍ إن اعتاض بالزّز(*)
ولم يبق من يعتاضُ غيرك فاقضي لي ... عليك فقد أخلقت وجهي بالجمز (*)

ومن أشعاره في باب المجاوبات ، ما ورد من أنه وعد شاعراً بشيء ، ومطله ، فكتب اليه الشاعر ثلاثة ابيات يعاتبه (١) :

فاذا وعدت وقلت في شيء «نعم» ... لا تخلفن فعن خلافك تُسال
يا صفوتي من أهل ودّي كلهم ... مالي اراك تقول ما لا تفعل ؟

فما كان من الجزار الا أن أحسن التعليل ، في الإجابة على رسالة صاحبه فقال :

في سورة الشّعراء عُذري واضح ... وكفى بما نصّ الكتابُ المنزّلُ
لكنْ أراكَ إلى الملامة جانحا ... ولربَّ عذر واضح لا يُقبلُ
تبغى ليفعلَ شاعر ما قاله ... والله قال : يقولُ ما لا يَفعلُ

وتأتي قصيدته البائية (٢) ، فريدة في موضوع الرثاء ، وهي ذات نفس طويل ، وصل منها ستة وثلاثون بيتاً يرثي بها الوزير ابا يونس بن احمد (٣) ، ويعزّى ابنه أبا عمر ، فيظهر عظم المصاب عليه ، وجلله ، ومطلعها :

ألم يأنِ أن يَغنى العزاء لَبيبُ ... وأن يتَسلى عن أساهُ كئيبُ

وهي في مفهومها العام تدور في اتجاه الندب والبكاء ، واظهار التفجع والاسى لفقدانه إياه :

أجلْ إنها من فَتكة الدَّهر حالةٌ ... تَقضقَض أضلاعٌ لها وجنوبُ
فللدَّمع ما بين الجفونِ تَدفّق ... وللوجد ما بين الضّلوع دَبيبُ
هو البثُ في قلبِ الهُدى منه حَسرة ... وفي صفحةِ العَلياءِ منه نُدوبُ
لئن شقّقت منه السحّاب جيوبَها ... لقد شُققتَ منا عليه قلوبُ
وما هو الا حادثٌ جلّ خطبُه ... ففاض شجى منه وجاش وَجيبُ

(*) البز : نوع من الثياب ، وبز الثانية بمعنى الغلبة وفي المثل :«من عز بز »
(*) الزز : الصفع .
(*) الجمز : ضرب من العدو ، وجمز الرجل في الأرض : ذهب .
(١) ق٤٦ .
(٢) ق٣٥ .
(٣) لم أقف على ترجمته فيما توفر لدي من مصادر .

ويظهر عظم أسفه لفقده إياه ، فقد خامر العقول الخبل ، ولم يصدقوا برحيله :

فلما نَعى نَعى به طاشتْ النّهى   وخامَرها خَبَلٌ هناك عجيبُ
فكدنا — ولم نملكْ عنانَ تشبثٍ —   نشكّ ، وقلنا : غائب سيؤوبُ
فكم مقلةٍ عَبَرى عليك شَجَيّةٍ   وكم كبدٍ حسرى عليك تذوبُ

وينتقل الجزار إلى تأبين أبي يونس ، فيذكر خلاله ومحاسنه في ستة ابيات منها :

ليبكِ عليه العلم والحلم والحجى   بأجفانِ شجوٍ ما لهنّ غروبُ
فتى كان يقتادُ الأبيَّ فينثني   ويقتادُه داعي الهُدى فيُنيبُ
له سيفُ عزم إن نضا حدّه مضى   يفلّ حسامُ الخطبِ وهو رُسوبُ
أديبٌ أريبٌ قلّبُ القلبِ حازِمٍ   رضا ألمعيٌ بالظنونِ مُصيبُ

ويختم الشاعر قصيدته بتعزيه ابنه ابي عمر ، فيقول :

« ابا عمر » إن تكتئبْ فلمثله   وإن تحتسبه فالجزاءُ حَسيب
ومثلك من يَشجى فيرجعُ للتي   هي الذخر فيما نابَه ويَثوبُ

ويأتي وصف الطبيعة ، موضوعاً رابعاً في الموضوعات التي أقلّ فيها الجزار ، اذ لم يفرد الطبيعة بقصائد ، بل جاء وصفه إياها مبثوثاً في موضوعاته الأخرى ، وقد تقدمت لنا إشارة في قصيدته الميمية التي مدح فيها أبا الاصبع بن الامام ، ومنهجه في الوصف لا يخرج عن منهج شعراء الطبيعة في الأندلس ، الذين أثقلوا شعرهم بالتسشبيهات ، ومن أشعاره فيها ما جاء مقترناً بالغزل يقول (١) :

سَرتْ ونواظرُ الرُّقباء رُمدُ   وعينُ الدّهر ريّا بالمنامِ
وقد لَبستْ نجومُ الجوّ بُرداً   أجادت صبغهُ أيدي الظّلام

ويسترسل في ذلك مستهلاً أربعة عشر بيتاً بأداة التشبيه «كأنّ» وهو فيها يشبه الخضراء بالروض تفتح عن بهار في كمام ، والبدر بأمير القوم ، ونجومه بالجنود المبثوثين ، تتقدمها الطلائع ، وهي تكشف أسرار الليل ، قبل انبلاج الصبح ، وهكذا يمضي مع الفرقدين، وسهيل ، والشّعري وبنات نعش والسهى والحوت والجوزاء ، في صور بديعة ، وتشبيهات بليغة ، وقد لاحظنا كيف مَزج الشّاعر وصف الطبيعة مع شعر الخمرة والمجون ، على نحو ما تقدمت أبياته البائية والطائية (٢) :

---

(١) ٥٢/٧ — ٨ .
(٢) تنظر ق رقم ٤٠، ٤١ .

ولشعراء الأندلس وقفة عند الطبيعة الحية ، أفردها زميلي الدكتور حازم عبدالله خضر بدراسة (١) ، وأمّا الجزار فله مقطعه في ثلاثة أبيات ، ارتجلها بعد أن أرّقته البراغيث في ليلة باتها في حصن «بيتول» من عمل سرقسطة ومنها قوله (٢) :

لقد بتّ فيها ليلةً أيّ ليلة — وبرغوثها حولي من الفرح يرقص
كأنّ فراشي تحت جنبيّ طاجنٌ — وزريعةُ الكتانِ فيه تحمّصُ

وقد تردد هذا المعنى عند شاعرين اندلسيين آخرين هما ، ابو الحسن الحصري القيرواني ، وابن حمديس حيث يتفقان على رقص البراغيث ، لكنّها عند الحصري ، ترقص على غناء البعوض ، حيث يصفها بعد حلوله بلنسية ، فيقول (٣) :

ضاقت بلنسية بي — وذاد عني غموضي
رقص البراغيث حولي — على غناء البعوض

ويرى ابن حمديس فيها ذئاباً مفترسة ، بعد أن جعلت دمه خمراً تشربه ، يقول (٤) :

جَعلت دمي خمراً تداوم شربها — مسترخصات منه مالا يرخص
فترى البعوض مغنياً بربابه — والبق تشرب والبراغثُ ترقص

السمات الفنية :

لاحظنا من الدراسة الموضوعية لأشعار ابي بكر الجزار ، تنوعاً موضوعياً في أشعاره ، فلم يقصرها على موضوع واحد ، وإن كانت انصبتها متفاوتة ، وكانت حصة المديح والهجاء متقدمة ، تلتها اشعاره التي صور فيها مجتمعه ومهنته ، وفخره بالعروبة والاسلام في معرض الرد على نزعة الشعوبية ، وأشعاره الحكمية ، في الآداب والاخلاق الإسلامية وموضوعات أخرى كان مقلا فيها ، كشعر الخمرة والمجون وشعر المجاوبات ، والرثاء وشعر الطبيعة .

لقد أغفلت اكثر مصادر الأدب الأندلسي ، ذكره ، حتى أن أديباً أندلسياً وناقداً كبيراً مثل ابن بسام ممن كان له سعة باع ، في تتبع أشعار أهل عصره بالأندلس ، جعل

(١) الطبيعة الحية في الشعر الأندلسي — عصر الطوائف والمرابطين — كتاب معد للطبع . !
(٢) ق٤٧ .
(٣) المطرب ١٩٧ .
(٤) ديوان ابن حمديس ص ٢٨٩ .

شاعرنا في جملة الشعراء المقلين، وكان ثالث ثلاثة ختم بهم سفره القيم الذي ترجم فيه للجانب الشرقي من الأندلس. (١)

إن جامع ديوان الجزار أنكر هذا الموقف على ابن بسام، وانتصف له — وهو الناقد فاجتني من الأيام أشعار الجزار، وباهى به الزمان، وبلغ اعجابه به أن قال فيه: «لو أنشد الصمُّ لشق أسماعها وفتق، ولو تناولته البكم، لأجرى لسانها بالتكلم به وأنطق، أو لافتخرت به الرواة، لكفاها فخراً، او سمعته الخنساء لأنساها صخراً..» (٢) وقال عنه كذلك «لما خص من الشعر بحظ وشاع، ومادة من قوة واتساع وأغراض عذبة المساق، ومعان بديعة الانتظام والاتساق، وألفاظ مصقولة القرائب، وأشعار محفوفة با لحكم والغرائب قد خلصت تخليص الابريز ... فجاءت له حسن الوجوه الصباح وتعلقت بالقلوب تعلق الأرواح بالأشباح» (٣).

وممن ابدى اعجابه بشعر ابي بكر الجزار الشاعرّ الكاتب الناقد، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) فقال فيها: «أفصح عن السحر في مقاله وأجتلى كالسيف غب صقاله، ولّدَ واخترع، وفي كلتا الحالتين برع» (٤).

لقد بلغ عمر شاعرنا الشعري أربعين عاماً (٥)، وعلى الرغم من أنه لم يكن متفرغاً لقول الشعر، كما أنه لم يكن متكسباً به، بشكل متصل، فأن هذا العمر الطويل ينتظر معه نتاج خصب، الا ان كثيراً من شعره فقد، وما بقي من أشعاره يمثل جانباً، ونستطيع أن نلمح مما بين أيدينا من أشعاره الملامح التالية:

خرج الجزار على النهج التقليدي في استهلال القصيدة بالغزل، فقد لاحظنا أن النسبة الغالبة من قصائده، لاتلتزم هذا النهج، لاسيما مدائحه، (٦) وقد زاوج في اكثر من قصيدة بين وصف الطبيعة وموضوعات أخرى، كالشوق والحنين، والغزل والخمرة.

كان الشاعر ذا ثروة لغوية كبيرة، وقد أعرب ابن مطروح، جامع الديوان، عن اعجابه بلغة الشاعر وأسلوبه في النظم، فكان مما وصف به قصيدته البائية في جواب ابن

(١) الذخيرة ٣/٩٠٥ — ٩٠٨.
(٢) ديوانه ١/ب.
(٣) نفسه ١/ب.
(٤) جيش التوشيح ١٤٧.
(٥) ديوانه ١٦/ب
(٦) تنظر القصائد: ١١، ٣٩، ٤١، ٥١.

حسداي «واقول الآن إن قصيدته هذه أجاد سبكها وأحسن، وضمنها المثل الغريب ، والمعنى المستحسن، وبز فيها جميع البلغاء والفصحاء ، جمع فيها بين صحة المعنى، وعذوبة اللفظ المصقول» (١)

ومما يعرب عن ثروة الجزار اللغوية وثقافته احتجاجه في تشبيه ممدوحه زهير العامري بالفتخاء، التي هي مؤنثة ، إذ يصف بها مذكراً، وقد عرضنا لذلك في موضوعه حين الحديث عن كتابه «بادرة العصر» فقد اورد من الشواهد في كلام العرب وأشعارهم في تشبيه الرجال بالحية الأنثى ، الا إنه مع ذلك آثر اليسر والسهولة في لغته وعدم التكلف، وقد حلا له أن يتلاعب بالألفاظ كما نلمح ذلك مجنساً بين كلمتي «فراء» و«فرار» كما في قوله (٢) :

وانما قيل «فراء» لصانعكم على المجاز، وكان الأصل «فرار»

أو في قوله (٣) :

سلام يا «أباحسن» عليك سلام إرضاء
سلام مبدل الميم على فوديك بالحاء

وعلى الرغم من غنى ابي بكر اللغوي، فان لغته الشعرية بقيت تميل الى السهولة والسلاسة لاسيما في قصائده الطويلة التي تتسم بسمة العفوية ، وعدم التكلف في الصناعة اللفظية، وسنستعرض بعض أبيات، قصيدته البائية التي أجاب بها أبا الفضل بن حسداي وهي في واحد وستين بيتاً، لم نجد فيها لفظة حوشية غريبة بل لمحنا اللغة السهلة الواضحة (٤):

تعيب على مألوف القصابة ومن لم يدر قدر الشيء عابه
لعمرك لو نظرت الي فيها وحولي من بنى كلب عصابه
لهالك مارأيت وقلت : هذا هزبر صير الاوضام غابة

ويستخدم المحسنات البديعية باعتدال ، فنلمح الجناس في قوله :

فتكنا في بني العنزي فتكاً أقر الذعر فيهم والمهابه
أبدنا شيبهم ومتى ظفرنا بغر شب لم نرحم شبابه

(١) ديوانه ١٠/أ .
(٢) ديوانه رقم (٢٥) .
(٣) ديوانه رقم «١٠» .
(٤) ديوانه رقم ٣٦/١، ٣ - ٤ .

وتبقى لغة الشاعر محافظة على سمتها ، حتى في موضوعاته التي تستدعي جزالة الالفاظ ومتانتها، ويبدو ذلك واضحاً في قصائده الثلاث التي وردت في الديوان في مدح الخليفة زهير العامري، والفقيهين ابي الوليد، وأبي الأصبع بن الأمام، فمن الأولى قوله (١):

اليوم حلي عاطل العلياء ... اليوم جر الدهر ذيل بهاء
اليوم توجت العلا وتبرجت ... عند المنى في حلة السيراء
أوفى الزمان بعهده لزفافه ... خير النساء لسيد الخلفاء

ومن الثانية قوله (٢) :

إن الفقيه «أبا الوليد» المنتقى ... وزر كفيل بالمراد زعيم
لولا سلوك يمينه سبل الندى ... درست ولم يعلم لهن رسوم
يأيها المحروم مأمول المنى ... أجهلت أن عطاءه محتوم؟

ومن الثانية قوله (٣) :

قدير همه صون المعاني ... وبذل النفس في الهمم العظام
كلا يوميه في جود وبأس ... حميد السعي مرضي المقام
يجود بماله جود الكرام ... ويمنع عرضه منع اللئام

وتواتيه لغته السهلة في قصيدة الرثاء كذلك فمن ذلك ماجاءت في بائيته التي يرثى فيها أبا يونس، ونلمح فيها استخدام المحسنات البديعية بشكل معتدل (٤) :

ألم تر شعب المجد كيف سطت به ... وجرت شعوب الشمل فيه شعوب ؟
دعته المنايا دعوة فأجابها ... وبالكرة ماتدعو بنا فنجيب
ولا زال ريحان الاله وروحه ... ينم على أرواحه ويطيب
يهبن رضا منها ويسلبن عنوة ... وأغرب شيء واهب وسلوب
«ابا عمر» ان تكتئب فلمثله ... وان تحتسبه فالجزاء حسيب

(١) ديوانه رقم ١/١ — ٣ .
(٢) ديوانه رقم ١٢/٥١ — ١٤ .
(٣) ديوانه رقم ٢٦/٥٢، ٢٨، ٢٩ .
(٤) ديوانه رقم ٩/٣٥، ١٤، ٢٨، ٣٤، ٣٥ .

واما في مجال الصورة الفنية ، فقد حالفه الحظ في تشبيهاته التي استخدمها في وصف الطبيعة وقد تقدم بنا بعضها حين عرضنا لشعره في الغزل والمجون ، لاسيما بائيته التي يقول فيها (١) :

وكـم لـيـلـة أحـلـى من الأمـن بتها   نديمي بـدرٌ والرحيـق رضـابُ

ويصف انبلاج الصباح ، وادبار الليل بقوله (٢) :

وسلت يـد الاصبـاح مرهف فجـرهُ   فذلت رقاب الليـل وهي صعـاب

ويبلغ الذروة في التصوير في قصيدته الميمية التي نظمها في مدح ابن الامام حين تأتي مثقلة بالتشبيهات ، وقد استخدم فيها اداة التشبيه «كأن» في بداية أربعة عشر بيتاً ، فالبدر أمير القوم ، يقدم جيشه ، والفرقدان حبيبان ، استكنا للغرام ، وسهيل مروع من ذي انتقام وهو خانق القلب ، كالمعنى ، واما الشعري فقد تبرجت فاشبهت خليع الفتيات ، هكذا يمضي في تشبيهاته مع بنات نعش ، والسهى ، والجوزاء.. فيقول (٣) :

كـأن البـدر منـه أميـر قـوم   سرى منهـن في جيـش لهـام
كـأنّ الفرقـديـن اذا استكنـا   حبيبان استـكـانـا للـغـرامِ
كـأن سهيلها رجـل مـروع   توجس خيفـه مـن ذي انتـقـامِ
كـأن خـنـوقـه قـلـب المعنـى   تشـكـى مـا يـلاقـى من هـيـام
كأنّ تـبـرج الشعـري خـلـيـع   مـن الفتيـات واضعـة اللثـام

ومن صوره الجمياة التي جاءت في قصيدة المديح قوله (٤) :

لمـا رأيـت سماءَ جـودِك زُيـنـتْ   بنجـوم جـود نـوءها مسجـومُ
أرسلـت شيطـان افتقـاري سامعـاً   فلعلـه بشـهـابهـا مـرجـومُ

كذلك نجد صوره البارعة في قصيدة الرثاء ، وهو يصور ألمه وفجيعته بالقدر (٥) :

لئـن شَقّقـت مـن السحابُ جيوبها   لقـد شُقّقـت منـا عليـه قلـوب
الا إنمـا الأقـدار جَيْشٌ خيـولُـه   متـونُ اللّيـالـي والسّلاح خطوب

---

(١) ١/٤٠ .

(٢) ٦/٤٠ .

(٣) ١٠/٥٢ ، ١٣ — ١٦ .

(٤) ٣٧/٥١ — ٣٨ .

(٥) ١١،٥/٣٥ .

وتتكرر المعاني لدى الشاعر في بعض صوره ، فمن ذلك إشارته إلى وسطى العقد تارة بعهد تصابيه ، واخرى بتوسط الشعري بين الكواكب ، مكرراً لفظة القافية فيقول (١) :

ألا ليتَ شعري هل يُرى بعد ساجماً   بعهدِ تصابٍ كنتُ في عقده وسطى

ويقول كذلك (٢) :

تخيّر من دُرّ الكواكبِ عقده   وخُصّ من الشعري العبورِ له وسطى

ومما تكرر في القصيدتين آنفاً قوله (٣) :

وعذراً لتأخيرِ الجواب فإنني   ضَعفتُ فلا قَبضاً أطقتُ ولا بَسطا

وقوله (٤) :

أغنّي ولا أُذُنٌ تَعي نَغَمَ الغنا   وأمضِ فلا أسطيع قَبضاً ولا بسطا

واما أوزان الجزار وموسيقاه التي استخدمها في قصائده ، فالملاحظ أنه مال في قصائده إلى الأوزان الطويلة الهادئة ، بحيث جاءت أربع وخمسون قصيدة عليها ، أي بنسبة ٨٤٪ من مجموع شعره ، واما الأوزان القصيرة المضطربة ، فقد جاءت فيها عشر قصائد فقط بنسبة ١٦٪ ، وقد استطاع السرقسطي أن يحقق تنوعاً في بحوره التي استخدمها ، فقد استخدم ثلثي البحور الشعرية وأهمل ستة بحور فقط .

وإليك جدولاً بالبحور التي استخدمها الشاعر من خلال قصائد الديوان والملحق التي بلغت اربعاً وستين مقطوعة وقصيدة :

البحور الطويلة	العدد	البحور القصيرة	العدد	البحور المجزوءة	العدد
١ – الطويل	٢٥	الخفيف	٣	الوافر	١
٢ – الكامل	٩	الرجز	١	الرمل	١
٣ – الوافر	٨	الرمل	١	الخفيف	١
٤ – البسيط	٦	السريع	١		
٥ – المتقارب	٦	المنسرح	١		

(١) ٤/٤١ .
(٢) ٣/٤٢ .
(٣) ٢٧/٤١ .
(٤) ٧/٤٢ .

وأما النموذج الذي آثره الشاعر لقصائد ديوانه ، من حيث بناء القصيدة ، فقد لاحظنا أن أكثر اشعاره تميل إلى المقطعات الشعرية ، فقد جاء حوالي ثلثي ديوانه بصورة مقطعات شعرية ، واما قصائده الطويلة ، فتؤلف حوالي رُبع الديوان ، وأمّا القصائد التي لا تتجاوز عشرة أبيات فهي أقل نصيباً ، وذلك يتضح من خلال الإحصائية المبسطة لقصائد الديوان وعدد ابياتها مع النسبة المئوية لها :

النـوع	عدد الابيات	عدد القصائد	النسبة المئوية
المقطعـات	٢ — ٦	٤١	٦٤،٢ ٪
المطولات	١١ — ١٠٠	١٧	٢٦،٥ ٪
القصائد	٧ — ١٠	٠٦	٩،٣ ٪

وبعد : فقد بسطنا الحديث في كتاب الجزار «بادرة العصر..» وتوقفنا عند موضوعات شعره والسمات الفنية ، التي اتسم بها شعره ، بأناة وتؤدة ، نرجو أن نكون قد وفقنا فيه نحن بسبيله . ومن الله نستمد القوة والأيد ، وبه نستعين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم .

مصادر البحث ومراجعه

١ — ابن بسام الشنتريني، نزهة جعفر الموسوي، رسالة ماجستير — جامعة بغداد ١٩٧٥

٢ — البحر في شعر الأندلس والمغرب، د منجد مصطفى بهجت — حوليات كلية الاداب — جامعة الكويت، الرسالة الاربعون ١٩٨٦

٣ — البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي (ت٧١٢هـ) حـ١ — ٤ تحقيق كولان وليفي بروفنسال ود. احسان عباس. باريس ١٩٢٩ — ١٩٤٨ بيروت ١٩٦٧ .

٤ — التكملة لكتاب الصلة، ابن الابار البلنسي (ت ٦٥٩هـ) حـ١ — ٢ط العطار، القاهرة

٥ — جيش التوشيح، ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، تحقيق هلال ناجي، ط المنار، تونس ١٩٦٧.

٦ — دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، محمد عبد الله عنان، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٠ .

٧ — ديوان ابي بكر الجزار السرقسطي، مخطوطة الخزانة العامة — بالرباط رقم٢٦٧٩ / ١ك مصورة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٥٥٤.

٨ — ديوان ابن حمديس، تحقيق د. احسان عباس. دار صادر، بيروت. ١٩٦٠

٩ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) . تحقيق د. احسان عباس حـ١ — ٨ط دار الثقافة، بيروت ١٩٧٦ .

١٠ — الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ) السفر الخامس، تحقيق د. احسان عباس، بيروت ١٩٦٥ .

١١ — رايات المبرزين وغايات المميزين، ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٨٥هـ) . تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، ط١ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٧٣ .

١٢ — صلة الصلة، ابنه الزبير (٧٠٨هـ) تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة خياط، بيروت د. ت

١٣ — فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة، تصنيف منير محمد المدني، مراجعة د. محمد مرسي الخولي حـ١ — ٢ط، القاهرة ١٩٧٩ — ١٩٨٠.

١٤ ــ لمح السحر من روح الشعر ودوح الشجر. ابو عثمان سعيد بن ليون التجيبي (ت ٧٥٠هـ) مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ١١٦٢٧ز.

١٥ ــ المطرب من اشعار اهل المغرب، ابن دحية، تحقيق د. مصطفى عوض الكريم ط جامعة الخرطوم سنة ١٩٥٧ .

١٦ ــ المغرب في حلي المغرب، ستة من بني سعيد، آخرهم على بن موسى (ت ٦٨٥هـ) حـ١ ــ ٢ تحقيق د. شوقي ضيف ــ دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

١٧ ــ ملامح من النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي، د.منجد مصطفى بحث مجلة آداب الرافدين العدد ١٢ جامعة الموصل سنة ١٩٨٠ .

١٨ ــ النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين د. حازم عبد الله خضر دار الرشيد للنشر ــ بغداد ١٩٨١م .

١٩ ــ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ابو العباس المقرى (ت ١٠٤١هـ) تحقيق د. احسان عباس، دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨ .

٢٠ ــ نوادر المخطوطات، بتحقيق عبد السلام هارون، المجلد الأول/ المجموعة الثالثة ط٢ مصطفى البابي الحلبي بمصر القاهرة سنة ١٩٧٣ .

موضوعات البحث

الله والانسان والعقل والقلب

في ديوان شمس تبريز

لشاعر الصوفية الأكبر جلال الدين الرومي

نبيل عبد العزيز عيد
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر هو محمد بن بهاء الدين(١) يلقب بجلال الدين وبالرومي والمولوي . اما نسبه فيقال انه ينتمي الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه من ناحية ابيه ومن ناحية امه الى اسرة خوارزشاه .

ولد جلال الدين في السادس من ربيع الاول عام ٦٠٤هـ بمدينة وتوفي في الخامس من جمادى الثاني عام ٦٧٢هـ .

وقد نشأ في بيت تصوف واخذ عن شيوخ الصوفية الفطاحل وما كان لقاء شمس تبريزي بجلال الدين الرومي الا اثارة للشوق الذي اعترى نفس مولانا في بحثه عن المثالية وعن الحب والخير والجمال .

ويروى فروز انفر في كتابه « رساله در تحقيق احوال وزند كانى مولانا» انه كان مطلعاً على علوم عصره ويعلم بأقوال ارباب الحكمة والشرائع وتتبع واستقصاء واحوال

(١) المثنوى المقدمة وتذكرة الشعراء تأليف دولتشاه ص ١٩٢ .

الاولياء وارباب المراقبة وكان ذكياً بالفطرة ووصل الى اقصى درات الاخلاق ومدارج الانسانية ولذلك افرغ قلبه عن كل مايتعلق بالامور الدنيوية واتجه صوب الكمال والى سلم الحقائق.

وديوان شمس تبريزي عبارة عن قصائد وغزليات متفرقة كل واحدة عن الاخرى ويرجع سبب هذه التسمية الى ان مولانا قد ذكر اسمه أو تخلص على خلاف المتبع بين الشعراء باسم شمس تبريزي (١) والتخلص هو ان يذكر الشاعر لقبه الشعري في البيت الأخير أو السابق عليه، وهو مايعرف في الفارسية بالتخلص وقد التزم الشعراء بذكر تخلصهم من الغزل منذ القرن السادس الهجري (٢).

ولا شك في ان سبب هذه القضية يرجع الى ان وجد جلال الدين وهيامه بل وشاعريته وانشاءه الغزل انما يرجع الى محبته لمرشده شمس الدين أو أن جلال الدين كان يعتبر نفسه وشمس تبريز جسدين بروح واحدة وان استعمال شمس تبريزي تخلصاً بدلا من جلال الدين انما هو في الواقع تعبير عن هذه الوحدة التي تمت بينهما.

وقد ضمن مولانا ديوانه الكثير من الآراء والافكار خاصة الجوانب التي تتعلق بالانسان والعقل والقلب وغيرها من الموضوعات التي عالجها وان دلت على شيء انما تدل على مقدمة الشاعر وثقافته الواسعة وادراكه للعديد من الامور التي قد تكون خافية على الأذهان وسوف اتعرض في بحثي هذا الجوانب الهامة من هذه الجوانب التي عالجها مولانا الا وهي الانسان والعقل والقلب في ديوان شمس تبريز.

(١) ذكر مولانا تخلصه من بعض الغزليات باسم خاموش أو خمش لكن بديع الزمان فروزانفر ص ١٥٩ .

(٢) فنون الشعر الفارسي — الدكتور اسعاد عبد الهادي قنديل ص ٢٠٣ — القاهرة ١٩٧٥ م

الانسان في الديوان

ان الموجودات والمخلوقات مثلها مثل المرايا ، فكما ان المرايا الظاهرية تعكس صور الاشياء وفق كبر حجمها أو صغره ؟ كذلك فالموجودات ايضاً مجلى لظهور الحق كل وفق استعداده وقابليته (١) وقد خلق الله الانسان ليجعله اعظم مجلى لظهوره تعالى من حيث ذاته وصفاته وليودع فيه الاسرار العرفانية والانوار الالهية ، وليس كذلك سائر الموجودات فليس لها من هذه الانوار ولا تلك الاسرار نصيب ، وانما اوجدها الله ليظهر فيها بصفتي القوة والأقتدار فحسب وظهور الله في الانسان لا يعني حلولاً أو امتزاجاً أو اتحاداً بالمفهوم الحسي وانما يعني ان الله يظهر بصفاته فحسب في الانسان مع تمايز الله عن الانسان تميزاً تاماً (٢) ، وهذا ما عناه الحق تبارك وتعالى بقوله : «اني جاعل في الأرض خليفة» (٣) .

والصوفية بوجه عام قد مجدوا الانسان في اصله الالهي ، وفيما دعوه اليه من مثل عليا تتلخص في عبارتهم الشهيرة التي تدعو الانسان إلى أن يتخلق باخلاق الله (٤) .

وقد تناول مولانا جلال الدين هذه الفكرة في الديوان بطريقته الخاصة واضفى عليها رونقاً وعمقاً ، فهو يقول في ديوان شمس تبريز : —

— ما بفلك بوده ايم يار ملك بوده ايم
باز هما نجا رويم خواجه كه آن شهرماست

— خودز فلك برتريم وازملك افزونتريم
زين دوجرا نكزريم ، منزل ماكبرياست

الترجمة :

— لقد كنا في الفلك وكنا رفقاء للملائكة ؟
فلتعد إلى هناك ثانية ايها السيد ، فإنها مدينتنا .
— بل نحن أعلى من الفلك واعظم من الملائكة ،
ولم نفوتهما ومنزلنا الكبرياء .

(١) حمد سنكلجي : شرح حال مولا نا محمد البلخي الرومي (بحث في يادنامة مولوي ص ١٠١)
(٢) ابو الوفا الغنيمي التفتازاني : ابن عطاء الله السكندري وتصوفه ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨
(٣) اشارة الى قوله تعالى : «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون» الآية (٣٠) من سورة البقرة (صدق الله العظيم) .
(٤) محمد عبد السلام كفافي : جلال الدين الرومي حياته وشعره ، ص ٥٥ ، بيروت ١٩٧١م

فالشاعر يعتبر الانسان اعظم المخلوقات ، وبقدر ارتقاء افراد النوع البشري في معارج الروح تكون مكانتهم وتكون منزلتهم من الله ، فالانبياء والصوفية هم صفوة البشر ذلك لانهم اقرب الناس الى جوهر البشرية الاجمل ومعدنها الصافي النقي (١) .

والانسان في ديوان شمس تبريز يحظى بمكانة رفيعة، فالشاعر يشير دائماً الى الجانب الروحاني فيه، او يمجد أصله العلوي، ويريد ان يسمو به فوق السؤال، والجدال ، وشكليات العلم والجنس والنوع ، فيقول :-

- الا اى جان جان جان ،جـومى بيني مى يرســى؟

الا اى كان كان كان، جو باما بي جه مى‌ترسى؟

الترجمة :

* * * * * *

- الا ياروح روح الروح ، مادمت ترى، فعم تسأل ؟

الا يامعدن معدن المعدن ، مادمت معنا فما تخشـى؟

- زلا ولم مسلم شوبا بهر شوكـــت كشـــم رود

بقدو ست كشم آخر، كه خانة زادة قدسى

- جه در بحـث اصولى تو؟ جه در بندرفصولى‌تو ؟

جه جنس ونوع من‌جوئي؟ كزين نوعى‌وزين جنس

- اكر دامان جات كيرثى،بترك اي وآن كيـرى،

كه از جملة مبراي؟ نه ازجنس نهانس(٢)

(١) محمد عبد السلام كفافي: اتجاهات انسانية في شعر الصوفية ، ص ١٧ - ١٨) بيروت ١٩٦٢. (وهو عبارة عن مجموعة محاضرات القاها في جامعة بيروت العربية).

(٢) الديوان جـ٢ ص ٤٨٩، غ١١٧٦ .

الترجمة:

* * * * * * *

— تخلص من لا ولم ، فهو يسيرفي اثر كل شوكة اجذبها.
فاني في آخر الأمر سأجذبك الى القدوس ، فانت ربيب الموطن القدسي

— لم تندمج في بحث اصول (العلم)؟ لم تتقيد بفصول (الكتب)؟
عن اي جنس ونوع تبحث؟ انت من هذا النوع وذاك الجنس؟

— عندما تأخذ بطرف الروح عليك بترك هذا وذاك؟
اذ انك مبرأ من الجميع فلا انت جن ولا أنت جنس!!

وادراك الانسان نيل عنصره واستعداده الروحاني الهائل ، أمر ضروري وهام جداً لانه يحمل الشرارة الاولى لانطلاق السائل في طريق الحقيقة ، فالطريق محفوف بالمخاطر والعقبات وادرك هذا الامر هو الكثير بتذليل العقبات وتيسير الصعاب ، ومن هذه الابيات يهتف مولانا بالانسان قائلاً : —

— توحسنى خود راكر ديدى كه افتر زخور رشيدى
جه برمردى ، جه بوسيدى ، درين زندان بخذائي؟

— جه اتازه ممن باشى ، زا الطاف ربيع دل
جه اجون كل نمن خندى؟ جرا عنبر نمن سائى؟

الترجمة :

— آه لو شاهدت حسنك. لادركت انك ابهى من الشمس ،
فبالله عليك لم تذبل وتتجلل في سجن الغبراء هذا ؟.

— لماذا لاتكون غصناً نضيراً من (فيض) الطاف ربيع القلب؟
لماذا لا تبتسم كالزهرة؟ لماذا لاتكون كالعنبر؟

* * *

— جه ادرخم اين دنيا جو باده برزمن جوشى ؟
كه تاجوشى بردن آردازين سربو شى ميائى

— بين حسن خودى نادان ، زتاب جان او تادان ،
كه مؤمن آنيه مؤمن بو دروقت تنهائى (١)

(١) الديوان ج ٢ ص ٤٦٧ غ ١١٣٣.

الترجمة :

— لماذا تظل حباً في دن هذه الدنيا ولا تجيش كالخمر ؟
حتى يسمو بك جيشانك فوق هذا الفلك ! ! .
— تأمل حسنك ايها الجاهل ! انه منسنا رمح الاوتاد، فالمؤمن من صد مرآة المؤمن في وقت الوحدة! .

ومادام الروح الانساني على هذه الصفة من الرفعة والعظمة والشرف، فما الذي يقيد حريته ؟ انه الجسد والجسد يرمز به الشاعر الى تلك الصفات البهيمية الرذيلة التي تكدر صفو الروح ، وبذلك يكون التحرر المطلوب هو التخلص من تلك الرذائل والشهوات ، وفي احيان أخرى يعني الشاعر بالجسد ذلك القلب البشري المعروف، ويكون شوقه الى التخلص منه شوقاً الى الموت، حيث ينتهي كل تعلق له بالمادة: —

— جون رهد شير روح ازين صندوق
اندر آن مرغزار خواهد بود (١)

الترجمة

— عندما يتحرر اسر الروح من هذا الصندوق، سوف ننطلق من ذلك المرج (الروحاني)
والانسان كما يراه مولانا جلال الدين الرومي ينبغي ان يكون وثيق الصلة بالعالم العلوي .
اما بالنسبة لهذا العالم الباقي ،فيجب ان يحرص على الا يربطه به الا أوهى رابطة يسهل عليه التحرر منه، فساعة الرحيل آتية لامحالة: —

— هرجة اندروطن ترا سبكيست
ساعت كوج باز خواهد بود(٢)

الترجمة :

— ينبغي ان يكون كل مايربطك به بالوطن (٣) خفيفاً، حتى ينفك عنك عقد الرحيل بسهولة .

---

(١) الديوان حـ٢ ص ٤٦٧ق ١١٣٣.
(٢) الديوان جـ١ ص ٣٩٦غ ٩٧٨ .
(٣) المقصود بالوطن ليس المعنى الحسي ولكن يقصد الشاعر به الحياة الدنيا التي يرحل عنها الانسان مهما طال به العمر.

العقل والقلب في ديوان شمس تبريز

ان الصوفية مع تقديرهم للعقل وفضله على الانسان، يختلفون مع الفلاسفة وغيرهم من اصحاب النظر العقلي في تقدير اهميته، في حين يحتل العقل عند الفلاسفة ارفع مكانة بين الملكات الانسانية، نجد ان الصوفية لايشاركون هذا الرأي، ويرون انه اداة استغلال محدودة المقدرة، وليس بحجة على سالم يستطيع اثباته بأدلته واقبته، وخاصة فيما يتعلق بما وراء الطبيعة، ونحن نجد هذا الاتجاه لاعند الصوفية الذين يجعلون جل اعتمادهم على الذوق فحسب، بل عند مفكرين بلغوا اسمى المراتب في النظر العقلي واستيعاب طرقه ومناهجه ، كالغزالي وجلال الدين الرومي .

فالغزالي يقول في كتابه «المنقذ من الضلال عن الصوفية وطرقهم» انه لوجمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا الى ذلك سبيلاً» (١) .

ويرى جلال الدين الرومي ان العقل للانسان كالعصا للاعمى وهبة الله ليهتدي به لاليتهجم به عليه (٢) ويرى جلال الدين كذلك ان للعقل عملاً في دائرة الطبيعيات، والرياضيات، اما ماوراء الطبيعة فلا قدرة له عليه لان الدلائل العقلية كلها عرضة للنقص، ففي مقابل كل فرصة يمكن وضع فرصة آخرى (٣) .

ورأي مولانا جلال الدين وهو رأي يوافقه عليه غيره من الصوفية — خلاصة ان العقل ليس اداة المعرفة اليقينية وقدرته على ادراك المعارف يقف عند حد واضح لاسبيل له الى تخطيه .فكل مايسلكه من سبيل للتفكر المنطقي لايوصل الى اليقين (٤). فمثل من يعتمد على شخص ضل الطريق ، في بيداء خالية من الآثار .

يقول جلال الدين الرومي في الديوان:

---

(١) الغزالي – المنقذ من الضلال ص ١٠١ – طبع دمشق – تحقيق جميل صليبا وكامل عياد ، ١٩٦٠ .

(٢) محمد عبد السلام كفافي: اتجاهات انسانية في شعر الصوفية ص ١٩ – ٢٠.

(٣) علي دشتي : سيرى در ديوان شمس ص ٢٠ – طهران ، ١٣٣٧ه.ش

(٤) محمد عبد السلام كفافي: جلال الدين حياته وشعره ص ١٣٢ – بيروت .

– عقل بفروش وجملة حيرت حز
كه ترا سود ازين حزيد آيد
– نه ازان حالتيست اى عاقل
كه درو عقل كسى يديد آيد
– نشود باز آنجنين قفلى
كر صممة عقلها كليد آيد (١)

الترجمة

– بع العقل واشتر الجيرة كلها، فسوف تغنم من هذا الشراء .
– ايها العاقل ،ليست تلك من الحالات، التي يقدر عليها عقل الانسان.
– فمثل هذا القفل لاينفتح، ولوكانت جميع العقول له مفاتيح .

ومن الواضح ان الشاعر يشير هنا الى المراحل العليا في التصوف حيث يعجز العقل تماماً عن الادراك، ولهذا يروض الشاعر الصوفي ان يكون للعقل الحكم والملك فيقول: –

– عقل أكر سلطان اين اقليم بشير
هجو دزد آو نحيه بردار ماست (٢) .

الترجمة :

– لوصار العقل سلطان هذا الاقليم ،
لصلب كاللص على مشنقتنا .

---

(١) الديوان حـ١ ص ٤٠١غ ٩٩١ .
(٢) الديوان حـ١ ص ١٧١غ ٤٢٦ .

القلب في الديوان

القلب كما يقول الامام الغزالي «هو لطيفة ربانية روحانية لها بالقلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان، وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب و المعاتب والمعاقب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في ادراك وجه علاقته» (١).

لكن مولانا جلال الدين الشاعر العاشق المتوهج المشاعر كيف وصف القلب؟ لقد وصفه في هذه الصورة الفنية: —

— ازشبم عشق خال آدم كل شد
صدفتنه وشور در جهان حاصل شد
— صد نشتر عشق برك روح زدند
يكقطره آزان جكيد ونامش دل شد(٢)

الترجمة : —

— من ندى العشق صار تراب آدم طيناً،
فحدث في الدنيا مائة فتنة واضطراب.
— وضربوا عرق الروح بمائة من مشارط العشق ؟.
وقطرت منه قطرة فصار اسمها القلب.

والعلم محله القلب يقول الامام الغزالي «اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المديرة لجميع الارواح ،وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى المكونات.

يقول مولانا مؤكداً هذه الفكرة الصوفية ؛ وهي ان تصفية مرآة القلب من صور الموجودات هو السبيل إلى التقاط صور العلوم الالهية فيقول : —

— انديشه را رهاكن ودل ساده شو تمام
جون روى آنيه كه بنقش ونكار نيست

---

(١) الغزالي: احياء علوم الدين حـ٥ ص ١٣٤٤ — دار الشعب — القاهرة، ١٩٦٩م
(٢) الديوان حـ ٢ الرباعيات ص ٧٧ رباعية ١٤٩ .

– جون ساده شرزنقش همه نقشها دروست
آن ساده رو زروى كى شرسارنيست (١)

الترجمة :

– تحرر من التفكير (في السوي) وكن صافي القلب تماماً ،
كصفحة المرآة التي لا نقش فيها ولا صور .

– فهي حين صفت من الصور تجمعت فيها الصور كلها ،
فتلك الصافية الوجه لا تخجل من وجه احد .

وهذا مبدأ هام عند الصوفية وهي ضرورة تنقية القلب وتطهيره (حتى إذا صار صافياً خالياً من التفكير في الموجودات) اصبح حينئذ مهيأ لتنعكس عليه صور الحقائق والمعارف .

ومولانا جلال الدين شأنه شأن جميع الصوفية كثيرُ التحدث عن القلب ، لانه خير من يعرف له قدره ، وهذه الأبيات من ديوان شمسي تبريز يبدو القلب فيها مكرماً اعظم تكريم ، مبجلاً ابدع تبجيل ، وما ذلك بعجيب ، فهو محل الاسرار القديمة وموضع العشق والعرفان : –

– طواف كعبة دل اكر دلي داري
دل است كعبة معنى جوكل كه بنداري

– هزار بار بياده ، طواف كعبة كنى
قبول حق نشود كردلى بيازارى

– زعرش وكرسى ولوح وعلم فزون باشد
دل خراب كه او رابه هيج نشمارى

– كنوز كنج الهي دل خراب بود
كه در خرابه بود دفن كنج بسيارى

– خموش ، وصف دلت دربيان نميايد
اكر بهر سرموئي دوصد زبان دارى

(١) الديوان جـ١ ص ١٨٢ ق ٤٥٥ .

الترجمة : —

— طف حول كعبة القلب ما دام لديك قلب ،
فالقلب كعبة المعاني ، اما الطين فلا قيمة له .

— طف على قدميك حول الكعبة الف مرة ،
فالحق لا يقبل طوافك لو آزيت قلباً .

— ان القلب العاشق اعظم من العرش والكرسي واللوح والقلم ،
فشأنه أعظم من ان يحصى .

— والقلب العاشق هو كنز الهي ،
(ولاغرو) ففي الخرابات تدفن كثير من الكنوز .

— الا فلتصمت فإن وصف قلبك لا يسعه بيان ،
ولو ان لك في كل شعرة من رأسك مائتي لسان .



المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية:

١ ـ اسعاد عبدالهادي قنديل (دكتورة) ـ فنون الشعر الفارسي ـ القاهرة ـ ١٩٧٥م .

٢ ـ الغزالي ، ابو حامد محمد ـ احياء علوم الدين ـ دار الشعب ـ القاهرة ، ١٩٦٩م .

٣ ـ ابو الوفا الغنيمي التفتازاني (دكتور) ـ الانسان والكون في الاسلام ـ القاهرة، ١٩٧٥م .

٤ ـ ابو الوفا الغنيمي التفتازاني (دكتور) ـ مدخل إلى التصوف الاسلامي ـ القاهرة، ١٩٧٤م .

٥ ـ محمد عبدالسلام كفافي (دكتور) ـ مثنوى جلال‌الدين حـ١ ـ بيروت، ١٩٦٦م.

٦ ـ محمد عبدالسلام كفافي (دكتور) ـ جلال‌الدين الرومي حياته وشعره ـ بيروت ـ ١٩٧١م .

٧ ـ محمد عبدالسلام كفافي (دكتور) ـ اتجاهات انسانية في شعرالصوفية ـ مجموعة محاضرات ـ بيروت ، ١٩٦٢م .

ثانياً: المراجع الفارسية:

١ ـ جلال‌الدين الرومي : ديوان كامل شمس تبريزي ـ طهران ١٣٤٦ ش .

٢ ـ جلال الدين الرومي : بركزيده ديوان شمس تبريز ـ ديباجه وتدوين محمد جعفر محجوب ، تهران ، ١٣٤٢ ش .

٣ ـ شمس‌الدين احمد الافلاكي العارفي : مناقب العارفين، انقرة ، جلد اول ١٩٥٩م، جلد دوم ١٩٦١م .

٤ ـ علي دشتي : سيرى درديوان شمس ، جاب جهارم ، طهران ٢٥٣٥ شاهنشاهن .

٥ ـ فروزانفر ، بديع الزمان : رسالة در تحقيق احوال وزندكانى مولانا . طهران، ١٣٣٣ هـ.ش . (١٩٥٥م) .

ثالثاً : المراجع الاوربية :

1) Brune, E.G.: A literary history of persia V.I. Cambridge 1928.

2) Nicholson, R.A: Selected poem from the Dewan Shamsi Tabriz. Cambridge, 1898.

3) Nicholson, R.A: Rumi poet mystic, london 1950




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

التعليل في اللغة العربية

د. هادي نهر

مقدمة:-

في الصفحات التالية دراسة موضوعية شاملة للتعليل في اللغة العربية ، وهو تراكيب وأنماط عديدة تتردد في القرآن ، واشعار العرب واقوالهم في كلّ زمان ومكان ، يلجأ اليه المرء حين يريد أنْ يوكدّ حكماً أو يُثبت حدثاً بما يطمئنُ النفس بصحّة ذلك الحكم او الحدث ، ويقوّي تأثيره فيها وثقتها به .

وقد انطلق الباحث في ذلك من الظنّ بأنّ صور هذا التركيب وغيره من التراكيب اللغوية في العربية مازال اكثرها عائماً متشعباً ، متعدد المظاهر والانماط ، وهي بعد هذا تفاريقُ في كتب النحو واللغة والتفسير ، لايمكن للدارس أن يهجم عليها إنْ لم ينظر تفاريقها وانماطها بما يمكنّه من تحديد ماهيتها ، واستنباط نظام كلٍّ منها .

وغاية ماأريد هو أن يكون عملي هذا نواةً للبدء في دراسة شاملة للتراكيب اللغوية في العربية فنحن نلمس حاجة ماسة تدعونا الى توجيه النظر نحو التصدي لمعالجة هذه التراكيب وهي حاجة عملية وعلمية تكشف لنا مافي العربية من ثراء وغنىً على مستوى التراكيب والدلالات .

وقد سلك الباحث من اجل ذلك منهجاً قائماً على الوصف واستقصاء تراكيب التعليل في العربية بفرزها من كتب اللغة والنحو والتفسير وصولاً الى تبويبها وترتيب قواعدها وانظمتها على وفق اهميتها العملية ؛ فاذا استقام له ذلك راح يحاول بتواضع أن يدلو بدلوه في بعض مسائل هذه التراكيب مرّجحاً أو مصوباً او رافضاً متى ما اسعفته الحّجة وأيدته البراهين .

فتحدّثت عن العلّة لغةً واصطلاحاً ، وعن وجوه التعليل وصوره في العربية من تعليل بالاسماء أو الجملة او الحروف .

وقد التمست عملي هذا مما وسعته قائمة مصادري من أُمهات كتب النحو واللغة والتفسير وغيرها .

وإنّي لارجو بتقديمي هذا البحث أن أسهم في خدمة اللغة العربية آملاً أنْ أُزيد في مثل هذه الدراسات مستقبلاً بما يحقق لي أملاً أعمل من أجله منذ حين وهو اعداد دراسة مستفيضة شاملة للتراكيب اللغوية في العربية والله المعين أولاً وآخراً .

معنى التعليل في اللغة والاصطلاح :

ترد العلة في بعض معانيها موضع العذر أو السبب ، فمن العذر يقال : لا تعدم خرقاء علةً . يقال هذا لكل معتل ومعتذر . ويقال هذا علة لهذا اي : سبب (١) .

فلكلّ فعل واقع سبب وغرض يسابق من احداثهما ، فلا فعل بدون علّة ، او سبب يوضّح قصد تحصيل الحكم المرتب أو يفسرّ حدوثه ووجوده .

أمّا العلّة او التعليل في الاصطلاح فنعني به «مايتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً ومؤثراً فيه »(٢) او أنّه «علّة الشيء وما يستدلّ به من العلّة على المعلول »(٣) .

فالافعال الحادثة لابدّ أن تكون معلّلة اذ أنّ وقوعها يثير سؤالاً يتردد في النفس : لم كان كذا ، وكذا . فيقال : لكذا وكذا . فالتعليل على هذا نوع من انواع التأكيد والتثبت والاطمئنان بصحة الخبر أو الحكم ، وذكر الشيء معلّلاً مما يقوّي تأثيره في النفس وثقتها به ، وهو بعد هذا ابلغ من ذكره من غير تعليل وذلك لسببين (٤) :

اولهما : انّ النفوس ترتاح الى نقل الاحكام المعلّلة بخلاف غيرها .

وثانيهما . إنّ العلة المنصوص عليها تقضي بعموم المعلول .

ولهذا قد يلجأ الأدباء وغيرهم احياناً الى اختلاق التعليل الوهمي أو غير الحقيقي لوقوع الاشياء وعلى وجه بليغ ، وباعتبار طريف ولطيف تتحصل به زيادة المقصود ، سواء أكان للاشياء المعللة صفة ثابتة ذات علّة معروفة ام غير معروفة ، وهذا مايسمّى عند البلاغيين بـ«حسن التعليل »(٥) .

---

(١) اللسان: مادة (عل)

والتعريفات : للشريف الجرجاني علي بن محمد ص ١٦٠

(٢) نفسه : ١٦٠

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوي محمد علي الفاروقي. ص ١٠٤٥/٣

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن . الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ٩١/٣.

(٥) انظر فيه: الا يضاح لمختصر تلخيص المفتاح . للخطيب القزويني ص ٢٩٤ .والكليات: للكفوي. ابو البقاء ايوب بن موسى الحسيني ص ١٢١ .

اولا :

التعليل بالأسماء : الاسماء التي نعلّل بها قسمان :

فقد تكون مصادراً ، وقد تكون غير مصادر ، ولكلٍ منها انماطه وشروطه وعلى النحو الآتي :

اولاً :

التعليل بالمصدر الصريح (المفعول لاجله) .

المصادر اصلح الالفاظ في العربية تعبيراً عن التعليل ، ولهذا يكاد النحاة يتفقون على ضرورة المصدرية في الاسم المعلّل ، لأنّا إنّما نعلّل الأشياء بالمعاني لا بالذوات ، والمصادر هي التي تُشعر بالعليّة ، اما الذوات فلا تكون علّة للافعال في الغالب . وذلك «من انّ الفعل اما أن يجتذب به فعل آخر كقولك : احتملتك لاستدامة مودتك ، وزرتك لابتغاء معروفك ، فاستدامة المودّة معنىً يجتُذب بالاحتمال ، وابتغاء الرزق معنى يجتُذب بالزيارة وإمّا أنْ يدفع بالفعل الأول معنى حاصل كقولك : فعلت هذا حذر شرّك فالحذر معنى حاصل يتوصّل بما قبله من الفعل الى دفعه ، والمصادر معان تحدث وتنقضي لذلك كانت علّة بخلاف العين الثابتة »(١) .

وقد اطلق النحاة على المصدر الذي يخصص السببية او العليّة مصطلح (المفعول لاجله) وقال عنه سيبويه «هذا باب ماينتصب من المصادر لانه (عذر) لوقوع الامر فانتصب لانه موقوع له ، ولانّه (تفسير) لما قبله» وسماه بـ (المفعول له) (٢) . وسمّاه الفراء في بعض المواضع (تفسيراً)(٣) ، واطلق عليه الطبري مصطلح (الجزاء) (٤) و (المنصوب على

---

(١) شرح المفصل: ابن يعيش ٥٢/٢ .

(٢) سيبويه: ٣٦٧/١ .

(٣) قال معلقاً على قوله تعالى من سورة البقرة ١٩/٢ : «ويجعلون اصابعهم في آذانهم حذر الموت» نصب (حذر) على غير وقوع الفعل عليه – اي ليس مفعولا به – لم يرد انهم يجعلونها حذراً . انما هو كقولك: اعطيتك خوفاً وفرقاً، فانت لا تعطيه الخوف. وانما تعطيه (من اجل) الخوف. فنصبه على (التفسير) ليس بالفعل .

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن: معاني القرآن للفراء ١٧/١ للطبري. محمد بن جرير ٣٤٠/٢٠ .

الفعل (١) ، وسمّاه ايضاً (تفسيراً) (٢) ، وقد عدّه الكوفيون مفعولاً مطلقاً ، وليس فيه دلالة على التعليل ، ولذلك استغنوا بباب المفعول المطلق عن أنْ يترجموا له باباً (٣).

وقد حدّه سيبويه بانّه «ماينتصب من المصادر لانه عذر لوقوع الامر » (٤) او هو عند غيره «علّة الاقدام على الفعل (٥) » او «كلّ فضلة انتصب بالفعل على تقدير اللام (٦) » او هو «مافُعِل الفعل لقصد تحصيله أو بسبب وجوده (٧) » . فيخرج بهذا سائر المفاعيل مما فُعل (مطلقاً) أو (به) او (فيه) او (معه) .

وتكاد هذه التعريفات وغيرها تتفق على أنّ المفعول لاجله علّة ايجاد الفعل «ونتيجة له وثمرة يقصدها الفاعل (٨) » وهو ايضاً غرض الفاعل في فعله ، والغرض لايتميز ولا ينفصل عن الفعل ، لانّ فعل الفاعل ممكن الوجود ، فلا بُدّ له من مرجّح أحد طرفيه : وجوده أو عدمه . فقولك : زرتك طمعاً في برّك . فالطمع علّة في الزيارة ، وهي معلّلة به

وهذا المصدر المعلل يأتي في العربية على نمطين ؛ احدهما : مايجوز فيه النصب والجرّ والآخر : مالا يجوز فيه إلا الجرّ باحد الحروف الدالة على السبب مما سنأتي على ذكرهما في حينه ، علماً بأنّ الاصل في المفعول لاجله ادخال اللام عليه (٩) ، ولهذا سُمّي مفعولاً له ، «غير أن العرب حين حذفت اللام منه نصبت (١٠)» .

(١) نفسه : ٣٤٦/٢

(٢) نفسه ٣٥٤/١

(٣) انظر : شرح اللمحة البدرية . لابن هشام ١٩٠/٢ .

(٤) سيبويه: ٣٦٧/١ .

(٥) شرح المفصل: ٥٢/٢ .

(٦) المقرب: لابن عصفور ١٦٠/١.

(٧) الفوائد الضيائية: للجامي ٣٧٣/١ .

(٨) المقتصد : للجرجاني ٦٦٧/١٠ .

(٩) خص بعض النحاة اللام دون غيرها. وحجته انها الغالب في تعليلات الافعال. فلا يقدر غيرها من نحو (من، الباء، في) مع انها من دواخل المفعول له كقوله تعالى: «خاشعاً متصدعاً من خشية الله» الحشر/ ٢١، وقوله تعالى: «فبظلم من الذين هادوا حرمنا» النساء /١٦٠، وقوله (ص): «دخلت امرأة النار في هرة» فهذه الشواهد وغيرها مما سيأتي لا تدعم من خص اللام وحدها .

(١٠) شرح ملحة الاعراب. للحريري . ص ٥٥ .

ولا يمكن النصب في المفعول لاجله إلا اذا توافرت فيه شروط معينة .

شروط المفعول لاجله : من الواضح أنّ مصطلح المفعول لاجله أو مايرادفه من المصطلحات ، لاتطلق إلا على المصدر المنصوب المفيد تعليلاً (١) الجامع لشرائط معينة وضعها النحاة — على خلاف فيما بينهم — فزيادة على شرط وجوب كون المفعول له مصدراً ، وضعوا لهذا المصدر المعلل شرائط خاصة يمكن ايجازها بالآتي :

اولاً : ان يكون المصدر قلبياً أي من افعال النفس الباطنة (٢) ، كالرغبة والاجلال والتعظيم والخوف . لانّ العلةَ سبب ايجاد الفعل وسبب الشيء متقدّم عليه ، وافعال الجوارح ليست كذلك « ولانّ الجوارح تابعة لمعاني القلوب» .

وقد اجاز ابو علي الفارسي نحو : جئتك ضربَ زيد ، أي لتضربَ زيداً فالمفعول لأجله ليسَ قلبياً اولاً ، وليس مشتركاً مع العامل في الفاعل وهو شرط آخر لبعض النحاة فكأنّ ابا علي لايشترط هذين الشرطين . وقد فصّل الرضي القول في هذا الشرط فرأى أنّ المفعول لاجله على نوعين (٣) : إمّا انْ يتقدّم وجوده على مضمون عامله نحو : قعدت جبناً ، فيكون من افعال القلوب ، وامّا أنْ يتقدّم على الفعل تصوّراً أي يكون غرضاً ، ولا يلزم أن يكون فعل قلبٍ ، نحو : ضربته تقويماً وجئته اصلاحاً .

ثانياً : أن يكون ظاهراً ، فإنْ كان ضميراً فلا بُدّ من حرف التعليل كقولك رجاؤك جئت له (٤) .

ثالثاً : أن يتحدّ بالمعلل به وقتاً ، أي أن يتحدّ وقت الفعل المعلّل والمصدر المعلّل . بأن يقع الحدث في بعض زمان المصدر كـ(جئتُكَ طمعاً) ، أو يكون اول زمان الحدث آخر زمان المصدر نحو . (جئتك اصلاحاً لحالك) و (شهدت الحرب ايقاعاً للهدنة بين الفريقين (٥) وعلى اساس هذا الشرط لايجوز نحو : تاهبتُ السفرَ . لأنّ زمن التأهب غير زمن السفر .

---

(١) فلا يجوز الجر باللام أو النصب على المفعول له في نحو : قتلته صبراً . لان الجر بحرف التعليل يقيد العلة ومغرض عدمها.

(٢) ينسب هذا الشرط لا بن الخباز وغيره. انظر : شرح الفيه ابن معطي لا بن الخباز مصور بدار الكتب المصرية برقم (١٨٢٣) ص ٧٣.

(٣) انظر : شرح الكافية: ١٩٤/١، والمرتجل: لا بن الخشاب ص ١٥٩ .

(٤) انظر : شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ . لا بن مالك ص ٣٩٦.

(٥) انظر : شرح الرضي على الكافية . ١٩٣/١

ومن المعروف أنّ سيبويه وغيره من المتقدّمين لم يشترطوا هذا الشرط (١) .

رابعاً : ومن الشروط التي لم يُتّفق حولها ماذكره بعض المتأخرين (٢) من ضرورة كون فاعل الفعل والمصدر واحد . فلا يجوز نحو : جئتك محبتك اياي .

ولم يشترط ابن خروف وغيره هذا الشرط ، مستشهداً بذلك في قوله تعالى : «يريكم البرق خوفاً وطمعاً (٣) » . ففاعل الارادة هو الله وفاعل الخوف والطمع العباد ، ورُدّ بانّه متحدّ بتأويل الخوف والطمع بالاضافة والاطماع ، أو انّ معنى (يريكم) : يجعلكم ترون . فيكون فاعل الرؤية والخوف واحداً .

وظاهر كلام سيبويه عدم اشتراطه الاتحاد ويشهد له قول امرىء القيس :

أرى أمّ عمرو دمعُها قد تحدّرا
بكاء على عمرو دماً كان اصبرا (٤)

ففاعل التحدر هو (الدمع) وفاعل (البكاء) ام عمرو

خامساً : وقد نصّ بعضهم على شرط كون المصدر غير نوع للفعل (٥) ، وألا يكون من لفظ الفعل (٦) نحو : أجللتك أجلالا . وأنْ يصحّ وقوعه جواباً لـ (لمَ) (٧) واذا سلّمنا بشرط المصدرية باعتباره من الامور التي تتفق وكون الاسم حين يكون معلّلاً ، فالمعاني هي الصالحة للتعليل وغيرها لايصلح غالباً ، وجدنا انّه زيادة على عدم اتفاق النحاة حول بقية الشروط فمنهم من يشترطها ومنهم من لايشترطها كاتحاد المصدر بالفعل زمناً وفاعلاً وهما مما لم ينصّ عليهما سيبويه ولا أحدٌ من المتقدّمين ، إذ لايضير أن يُقال : (تعبت اليوم طلباً للراحة غداً) ، مادام المعنى يشير الى تعليل التعب بطلب الراحة ، وكثيرما

(١) انظر : ارتشاف الضرب . ٦٥٩. وممن قال به الاعلم الشنتمري وابو علي الشلوبين. انظر شرح التصريح : ٣٣٥/١، والهمع : ١٣٢/٣

(٢) انظر عمده الحافظ وعدة اللافظ ٣٩٦. وشرح الفية ابن معطي . ٧٤. والهمع: ١٣٢/٣ .

(٣) الرعد/١٢ .

(٤) انظر : سيبويه ٣٦٧/١ ٣٦/٥ ارتشاف الضرب . ٦٥٩ . وشرح اللمحة البدرية : ٢/ ١٦٢ — ١٦٣.

(٥) انظر : الهمع ١٣٣/٣. قد يكون المصدر من نوع الفعل وقد لا يكون فنحو : جاء زيد ركضاً. اذا قصدنا ان يكون الركض باعثاً على الفعل فلا بد من تقدير اللام والا فهو حال

(٦) شرح المفصل: ٥٢/٢. ومنهج السالك ١٤٤/

(٧) شرح الفيه ابن معطي : ٧٤ .

ينتفي الاتحاد الزمني من نحو : (أقم الصلاة لدلوك الشمس) ففاعل الاقامة المخاطب ، وفاعل الدلوك وهو الميل عن وسط السماء الشمس ، وزمنهما مختلف ؛ فزمن الاقامة متأخر عن زمن الدلوك ، وايضاً فالمصدر ليس قلبياً كما اشترط بعضهم .

أقول نجد أنّ اغلب تلك الشروط لاتسعفه الادّلة والشواهد وإنّ ماقدمه اصحابها من حجج وشواهد يمكن توجيهه بما يتّفق واسقاط الشرط المعين ، فالقول بضرورة الاتحاد بالفاعل مردوّد بما قدّمه سيبويه وغيره مما مرّ ، والقول بالاّ يكون المفعول لاجله من لفظ الفعل أمر بديهي لانّ الشيء «لايكون علة لنفسه (١) » و «لانه يتوصل به الى غيره ،ولا يتوصل به الى نفسه (٢) » .

و الأولى أنْ يشترط هنا أنّ يكون المفعول لاجله من غير معنى الفعل ، إذ لو كان نوعاً لكان مصدراً ، ولانّه لايلزم من المخالفة في اللفظ المخالفة في المعنى كقولك (قعدت جلوساً) . والاعتماد هنا على المعنى العام فان الطمع في نحو : (زرتك طمعاً في علمك) غير الزيارة ، لانّ الشيء كما ذكرنا لايكون معللاً لنفسه .

اما اشتراطهم صحة وقوعه جواباً لـ (لمَ) فذلك أمر لاداعي لذكره اذ لايصحّ في هذا المجال غيره ، فـ (لمَ) سؤال عن علّة الشيء ، كما صحّ وقوع الحال جواب (كيف).

ومن هنا يمكن القول بانّ أكثر مايشترطه النحاة من شروط — خلاف شرط المصدرية — لاطائل فيه ، وهو مما يدعونا الى الجازة ماخالفه ، اذا كان المصدر المعين سبباً لحدث ، أو مسبب عنه ، سواء كان من افعال النفس الباطنة ام من افعال الجوارح الظاهرة ، وسواء أكان مقارناً للفعل في الزمان ام لم يقارنه ، وسواء اتّحد فاعله وفاعل المصدر أم تغايرا.

ولا حاجة لنا بعد هذا من الاطالة في نمط التعليل باسماء الذوات اذ يمكن لهذه الأسماء وغيرها مما فقد الشروط التي ذكرت للمفعول له أن تأتي معللة بشرط جرّها بحرف من حروف التعليل وفقاً لما يقتضيه المعنى ، فيجوز نحو : (قتل كليب في ناقةٍ) ، و(سكر زيد من الخمر) وغير ذلك مما سيأتي بيانه مفصلاً في انماط التعليل بالحروف .

وهذا المصدر المفهم علّة بتوافر شروطه السالفة يجوز فيه النصب والجر ، فأمّا النصب فلانّه «داخل في ضمن الفعل الذي قبله في المعاني على وجه من الوجوه (٣) » ، ولأنّه

---

(١) شرح المفصل: ٥٢/٢.

(٢) المرتجل: ١٥٩ .

(٣) المقتصد: ٣٦٩/١ .

«اشبه المصدر فتعلّق بالفعل بلا واسطة كما يتعلّق المصدر بفعله (١)» .

وسنأتي على بيان عامل النصب في هذا المفعول .

اما الجرّ فللمفعول لاجله من حيث ترجيح النصب أو اختيار الجرّ ثلاثة انماط اصلية هي :

أ — التجرد من (ال) والاضافة نحو : (اجتهد زيد طمعاً في النجاح). وهو الاكثر حتى اقتصر عليه بعض النحاة (٢) ، وتأولـــوا المعرّف بـ(ال) على زيادة (ال) ، والمضاف على الاضافة غير المحضة .

(ب) أن يكون مضافاً نحو : (اجتهد زيد خوفَ الفشل)

(ج) ان يكون معرفاً بـ(ال) نحو : (اجتهد زيد النجاحَ) .

اما في الحالة الاولى فالمختار النصب ، وعن الجزولي انه لايجوز الجرّ في النكرة مطلقاً. لايقال (جئتك لاعظام) . ولم يعرف للجزولي سلف في هذا القول .

وفي تقديري أن الجرّ جائز لغرض بلاغي كارادة التنكير أو التنويع فلك أن تقول : (بكى زيد من غضب) .

ويجوز الجر في النكرة كذلك اذا تعلّق فيه الجار والمجرور وحكمه في ذلك حكم المصدر المضاف الى مفعوله تقول : ترهّب زيد زهداً في الدنيا) او بزهد في الدنيا وعليه قول الشاعر(٣)

مـــن أمّـــكـــم لـرغبـةٍ فيكـم جبـر ومـَـــن تكـونـوا نـاصـريـه ينتصـر

ولو قال : من أمّكم رغبةً فيكم جُبر (بالنصب) لصح له ذلك . فان لم يكن هناك غرض بلاغي ، أو تعلّق . فالنصب هو المختار لايعدل عنه .

واما في الحالة الثانية اعني (حالة الاضافة) فنصبه وجره يستويان كلاهما فصيح (١).

---

(١) الفوائد الضيائية : ١/٣٧٦ .

(٢) من هؤلاء : الجرمي والرياشي والمبرد . وحجتهم ان المفعول لاجله يشبه الحال او التمييز في البيان ، فيلزمه التنكير لزومه لهما. وسنرى بعد حين أن دخول (ال) على المفعول لأجله جائز ، لانه ليس بحال كما توهم بعضهم.

انظر : سيبويه : ١/٣٧٥ اصول النحو : ١/٢٥٢، شرح المفصل ٢/٥٤ . اسرار العربية ١٨٢، الارتشاف : ٦٦١.

(٣) انظر : شرح الرضي : ١/١٩٤. والهمع : ٣/١٣٤ .

(٤) اعلم ان المصدر المضاف : انما يجوز فيه النصب والجر اذا اضيف الى مفعوله فان اضيف الى فاعله او الى زمانه وجب جره تقول : بكي زيد من غضبه . لا يجوز فيه النصب اصلا . وكذلك تقول : ضني زيد من سهر الليل بالجر ، لا يجوز غيره .

قال تعالى :« ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله » (١) وقال جلّ شأنه :« وإن منها لمــا يهبط من خشية الله » (٢)

اما في الحالة الثالثة فالمختار الجر ، والنصب ضعيف مستكره ، ولذلك قلّ في الاستعمال ، ومما يدل على صحة استعماله مع قلته قول الراجز :

لااقعد الجبنَ عن الهيجاء ولو توالت زُمَرُ الاعداء

ويمكن أنْ يكون منه قوله تعالى :« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة .» (٣)، لأنّ القسط جامع للمصدرية وللظهور وللمشاركة في الفاعل والزمان وصالح لتقدير حرف التعليل (٤) .

عامل المفعول لاجله :

نلاحظ مما سقناه من تعريفات للمفعول لاجله أن الاصل فيه النصب باعتباره فضلة . وعامل النصب فيه ماتقدّمه من فعل — وهو الاكثر — في اللغة ، أو أن يأتي عن الصفة أو المصدر ، ومن الاول قول قائل :

ياعاذل المشتاق جهلاً بالذي يبقى ملياً لابلغت نجاحاً

ومن الثاني نحو :(سكوتك عن الحق خيفة من الظلم لايليق بك) . ولاضير عند بعض النحاة في العامل من أن يكون لازماً ، لأنّ في المفعول لاجله دلالة على الفعل وهي التعليل ، والفعل يقتضي التعليل سواء أكان متعدياً ام لازماً « ولانّ المعلول يقتضي العلة ، فلما اقتضاه نصبه » (٥) .

وقد رفض آخرون ذلك ، فرأوا أن المفعول لاجله الواقع بعد الفعل اللازم منصوب على انّه شبه مفعول به ، وليس بينه وبين الفعل نسب ، وربمّا كان سيبويه ومن تابعه اكثر اقتراباً من الحقيقة حين رأى أن المفعول لاجله منصوب بالفعل المتعدي السابق ، وباسقاط

---

(١) البقرة /٢٦٥ .
(٢) البقرة /٧٤ .
(٣) الأنبياء : ٤٧
(٤) انظر عمدة الحافظ. ٣٩٨
(٥) اسرار العربية: ١٨٦ .

اللام حيث يكون الفعل السابق لازماً فهوهنا من قبيل المفاعيل المنصوبة بعد نزع الخافض(١)
ومما يرجح هذا الرأي عندنا اجماع النحاة على جواز جرّ المفعول لاجله بحرف الجر ، « لانّه علّة لمضمونه ولذلك كان الاصل أن يجر باللام ، مثل قمت للادب ، فتحذف اللام واداة التعريف ، ويقال : قمت ادباً (٢) .

وقد أبعد الكوفيون كثيراً حين زعموا ان المفعول لاجله (مفعول مطلق) ، وناصبه الفعل المقدّم عليه لانّه ملاقٍ له في المعنى وإنْ خالفه في الاشتقاق ، مثل : (قعدت جلوساً). فهو عندهم من قبيل المصدر المعنوي . فاذا قلت : (نصحت زيداً تقويماً). كانك قلت : (نصحت زيداً بتقويمي له تقويماً) .

ونُسب الى الزجاج القول بأنّ المفعول لاجله مفعول مطلق منتصب بفعل مقدر من لفظه جُعل عوضاً منه ولذلك لايظهر (٣) ، فهوعلى هذا الاساس صورة من صور المفعول المطلق وتقدير نحو : (قمت ادباً) — على هذا الرأي — (تأدبت بالقيام ادباً) .

وفي الوقت الذي لم تثبت صحة مانقل عن الزجاج فما صرّح به مخالف لما نسب اليه من أقوال بهذا الصدد. فانّه وان كان قد جعله في تأويل مصدر فعله ،لكنه سمّاه (مفعولا له) وجعله على معنى اللام، ففي تفسيره لقوله تعالى: « يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصوا عق حذر الموت) »(٤) مانصّه : «انما نصبت حذر الموت لانه مفعول له المعنى : يفعلون ذلك لحذر الموت ،وليس نصبه لسقوط اللام لانّ جعل اصابعهم في آذانهم من الصواعق يدّل على حذرهم الموت. » (٥) اقول على الرغم من هذا، فانّ مايقرّب لدينا قول البصريين جملة من الاسباب لعل ابرزها جواز دخول اللام على المفعول لاجله فتقول في نحو : (جئتك اكراماً) : (جئتك للاكرام)؛ ولايجوز في نحو: (ضربت ضرباً) أن يقال : (ضربت للضرب).

وسواء ثبت مانسب الى الزجاج ام لم يثبت فانه مردود ايضاً بأنّ صحة تأويل نوع بنوع لاتدخله في حقيقته الا ترى أنّ صحّة تأويل الحال بالظرف من حيث انّ معنى نحو :

(١) انظر: سيبويه : ٣/ ١٢٦، ١٥٤، معاني القرآن: للاخفش ١/١٦٧ ، اللمع: ٥٩، شرح الرضي : ١/١٧٥ .
(٢) القانون في النحو: أو المقدمة الجزولية. للجزولي. ص ٦٠.
(٣) انظر: الارتشاف . ٦٥٩، شرح اللمحة : ٢/١٦٠، شرح الرضي : ١/١٧٥
(٤) البقرة / ١٩ .
(٥) اعراب القران: المنسوب للزجاج . ١/٦٣ .

: (جاءني زيد راكباً). هو : (جاءني زيد وقت الركوب). من غير أنْ تخرج عن حقيقتها(١)

ومن المفيد بعد هذا ان نذكر هنا انه يجوز تقديم المفعول لاجله على عامله ان لم يكن في العامل مانع «ومنع ذلك قوم منهم ثعلب والسماع يردّ عليهم» (٢) واذا قدّمته فيما يجوز فيه حذف اللام قوي فيه ذكر اللام نحو: (للطمع جئتك). ويجوز تركها. ومنه تقديمها مع (أمّا) نحو : (اما تقويماً فانـــا انصحك). وكذلك يجوز حذف العامل اذا قامت قرينة تدل عليه نحو: (ابتغاء مرضاة الله). في اجابة من سأل: (لمَ يحجّ المسلم؟).

ثانياً :

التعليل بالجملة :

مثلما يرد المفعول لاجله مصدراً صريحاً أو غير مصدر كما اسلفنا يرد ايضا بصورة الفعل مع (انْ) او غيرها من الحروف التي تفيد التعليل ،أوبصورة (أنّ) واسمها وخبرها «ألا ترى انك تقول :(سكتُّ عنه أنْ اجترّ مودّته). كما تقول :(اجترار مودّته).. فمن ثم أجريت مجرى المصدر الاول الذي هو جواب لـــه.» (٣) .

وتقول: (سافرت لاتلقى العلوم) أو: (كي اتلقى العلوم)، أو(مرض زيد مما تعب)، وكذا (جئتك أنكّ رغبت فيّ)،(وجئتك أنكّ تريد المعروف). .ولك ذكر اللام نحو: (هاجر زيد لانّ ابواب الرزق ضاقت عليه في بلاده). .«فقد أطرّد في (أنْ) و(أنّ) جواز الاستغناء عن حروف الجر في هذا الباب وغيره.» (٤)، فقولك: (جئتك انك تريد المعروف انما اراد :) (جئتك لانك تريد المعروف) ولكنك حذفت اللام ههنا كما تحذفها من المصدر. (٥).

قال سيبويه: « وسألت الخليل عن قوله جلّ ذكره :«وانّ هذه امتكم أمّةً واحدةً وانا ربكم فاتقون. (٦) فقال : انـّما هو على حذف اللام كأنّه قال: ولانّ هذه امتكـم امة واحدة وانا ربكم فاتقون.....ولو قرءوها (وانّ هذه امتكم امةٌ واحدةٌ). كان

---

(١) انظر الفوائد الضيائية . ١/٣٧٤ — ٢٧٥ .

(٢) الارتشاف : ٦٦١.

(٣) سيبويه : ٢/٣٩٠.

(٤) شرح عمدة الحافظ : ٢٩٧ .

(٥) سيبويه : ٣/١٢٦ .

(٦) الأنبياء : ٥٢

جيداً قد قرىء » (١) وقد ثبت الوجهان الفتح والكسر في قراءة قوله تعالى : « انا كنا ندعوه من قبل إنّه هو البرّ الرحيم» (٢) ، فقد قرأها بالفتح نافع والكسائي وابو جعفر المدني ،وقرأها بالكسر عاصم والاعمش والحسن فمن كسر استأنف ومن فتح اراد التعليل ،بمعنى: كنا ندعوه (لانه أو) (بأنّه) برٌ رحيمٌ . (٣) قال الفراء: انّ الفتح وجه حسن ،وانا اكسر وانمّا قلت حسنٌ لانّ الكسائي قرأهُ » (٤) .

وجعل منه قراءة قوله تعالى «خذْ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم أنّ صلاتك سكن لهم » (٥) ، فالكسر على اعتبار (إنّ) في صدر جملة جديدة والفتح على تقدير لام التعليل .اي: لأنّ صلاتك سبب سكون وهدوء لهم. (٦) .

ومثل هذا كثير ومنه قوله تعالى:« وأتوا اليتامى اموالهم ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم إنّه كان حوباً كبيراً .» (٧) .

وقوله تعالى :«ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشةً وساءَ سبيلاً». (٨)

وقوله تعالى:« اذهب الى فرعون إنه طغى» (٩) .

فالفتح في هذه المواضع جائز في العربية، ولكن القراءة كما يقول ابن مالك:« سنّة متبوعة.» (١٠).

ومن ذلك ايضاً قوله تعالى :«وأنّ المساجد لله فلاتدعوا مع الله احداً.» (١١)، قال

---

(١) سيبويه: ٣/١٢٦ - ١٢٧. وانظر: اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الاربعة عشر. للدمياطي ص ٣١٢

(٢) الطور: ٢٨ .

(٣) الحجة في القراءات السبع. للامام ابن خالويه ط ٤ ص ٣٣٤ . وانظر: املاء مامن به الرحمن لابي البقاء العكبري ٢/٢٤٦ .

(٤) معاني القرآن. للفراء ٣/٩٣ .

(٥) التوبة / ١٠٣ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ١/٤٥١ .

(٧) النساء : ٢ .

(٨) الاسراء: ٣٢

(٩) طه: ٢٤ .

(١٠) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ابن مالك ص ٢٤

(١١) الجن: ١٩

سيبويه : « بمعنى ولانّ المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحـــداً». (١). ومنه : لبيك إنّ الحمد والنعمة لك ، فان شئت قلت: أنّ .«ولو قال انسان :انّ (أنّ) في وضع جر في هذه الاشياء ،ولكنّه حرف كثر استعماله في كلامهم فجاز حذف الجار كما حذف ربّ .....لكان قولاً قويّــاً وله نظــائر.» (٢).

ثالثاً:

التعليل بالحروف :

لم يشر سيبويه — رحمه الله — الى طبيعة المعنى المدلول عليه بالحروف فقد ذكر عن الحرف قوله: « وأمّا ماجاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم، سوف لام الاضافة، ونحو ذلك .» (٣) ، وقد بقيت فكرة سيبويه هذه هي المعروفة عند النحاة من بعده،

الى ان شاع فيما بعد ماجاء في بعض النصوص أنّ الحرف «ماأنبأ عن معنى ليس بأسم ولافعل» (٤) وفي بعضها :«والحرف ماأوجد معنى في غيره. » (٥) وقد صار التعريف الشائع بين النحاة مأخوذاً من ذلك أي: الحرف مادل على معنى في غيره.

ومن المتأخرين من رأى« أنّ الحرف وحده لامعنى له اصلا » (٦) فهو لا يستقلّ بالمفهومية الا ضمن سياق ما، وليس له واقع معنوي سابق على عملية التركيب بخلاف غيره من الاسم والفعل ، ولذلك شاع للحرف تعريف آخر ينص على انّه« مادل على معنى في غيره.» وهذا التعريف يعني بما يفهمه اتباع سيبويه من معنى الحرف . (٧).

ولما كان النحاة لم يحددوا طبيعة المعنى الذي يدلّ عليه الحرف لعدم استقلالـــه بالمفهومية خارج السياق، فقد تعددت معاني الحروف ،وتكلّف بعض النحاة — وخاصة

---

(١) سيبويه ١٢٧/١ .
(٢) نفسه: ١٢٨/٣، ١٥٤
(٣) سيبويه: ١٢/١
(٤) الا يضاح. شرح ابن الحاجب على المفصل للزمخشري.من مصوراتي. عن مخطوط دار الكتب المصرية . رقم ١٨٥٥. وجه الورقة الثالثة.
(٥) شرح التسهيل لا بن ام قاسم الراوي: من مصوراتي. عن مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٦٣. ظهر الورقة الثانية.
(٦) شرح الرضي على الكافية: ٩/١ — ١٠ .
(٧) الحروف والا صوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين . د. هادي نهر مجلة آداب المستنصرية العدد الثامن ص ٢١١. بغداد ١٩٨٤ .

المتأخرين – في انابة (١) الحرف الواحد مناب العديد من المعاني، في حين رفض آخرون انابة الحروف بعضها عن بعض (٢).

وكان البصريون على رأس من رفضوا انابة الحروف مناب بعضها «فالاصل عندهم في كلّ حرف ألاّ يدل إلا على ماوضع له. ولا يدلّ على معنى آخر» (٣).

فان وجد مايدلّ على ذلك من نحو إنابة «حروف الخفض بعضها مكان بعض (٤)» كقوله تعالى: «ولا صلّبنكم في جذوع النّخل» (٥) وقول سويد بن ابي كاهل:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة
فلا عطست شيبان إلا باجدعا

أي (على جذوع النخل) أو (على جذع نخلة) فهو عندهم على ثلاثة انواع احدها: مايمكن تأويله تأويلاً يقبله اللفظ كما جاء في الآية الكريمة فان (في) ليست بمعنى (على) وانما شبّه المصلوب لتمكّنه من الجذع بالحال فيه

وثانيها: مايمكن تأويله على التضمين، وهو أنهم يشربون لفظاً معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه، وهذا عندهم واقع في الافعال «فالفعل اذا كان بمعنى فعل آخر وكان احدهما يتعدّى بحرف والآخر بآخر، فان العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ايذاناً بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيىء معه بالحرف المعتاد مع ماهو بمعناه» (٦) وبذلك «تؤدي كلمة مؤدى كلمتين» (٧).

وثالثها: مايمكن تأويله على الشذوذ. وهو انابة حرف مناب آخر ووضعه موضعه على طريقة لايقبلها البصريون.

---

(١) النيابة في العرف النحوي أن يقع اللفظ المعين موقعاً ليس له بجهة الاصالة مقام ماخلفه في المعنى والوظيفة الاعرابية أو الموقع أو العمل الاعرابيين.

(٢) لم يذكر سيبويه للباء مثلا الا معنى الالصاق. وذكر المبرد لها خمسة معاني في حين ذكر ابن هشام لها خمسة عشر معنى.

انظر: المقتضب: ١/٣٩، ٤٤، ٢/٣٣١، ٤/١٤٢ – ٤٢١ – والمغني: ١:١٥.

(٣) انظر: الانصاف مسالة (٦٧). واعراب القرآن المنسوب للزجاج الباب الثالث والخمسون.

(٤) انظر: الامالي الشجرية. ابو السعادات ابن الشجري ٢/٢٦٧.

(٥) طه: ٧١.

(٦) الخصائص: ٢/٣٠٨. وانظر: المغني ٢/٦٨٥.

(٧) المغني: ٢/٦٨٥.

اما الكوفيون واكثر المتأخرين ، فقد اجازوا انابة الحروف بعضها مكان بعض . ومذهب هؤلاء «اقلّ تعسفاً » (١) ، وهو متفق الى حدٍّ كبير مع طبيعة الحرف وطبيعة المعنى الذي يؤديّه داخل السياق المعين ويدلّ بوضوح على أهمية الاستعمال اللغوي في تحديد معنىً الكلمة ووظيفتها المعنوية والاعرابية .

ومن هنا كثرت الحروف التي تفيد في تخصيص العلية وبيان السببية وبعد استقراء يكاد يكون شاملاً لهذه الحروف أمكن تقسيمها على ثلاثة أقسام : فهناك مايفيد التعليل مع الاسماء ، ومنها مايفيد التعليل مع الافعال . ومنها مايمكن أن يسبق الاسماء أو الافعال مفيداً التعليل . واليك بيان هذه الاقسام واحكامها مفصلاً .

اولاً :

الحروف المعلّلة التي تسبق الأسماء :

١ ــ الى : لم اجد احداً من المتقدمين ذكر معنى التعليل في (الى) وقد ورد مايشير الى ذلك عند أحد المتأخرين وهو (المكودي) عبد الرحمن بن علي بن صالح في شرح الالفية (٢) . وقد أيّد (الملوي) في حاشيته على شرح المكودي ذلك قال : «والى قد تكون للتعليل نحو : جئت اليك اي : لاجلك » (٣) وذلك بعيدٌ عندنا اذ أن الى لم تجرّ مايصلح للتعليل .

٢ ــ إنّ : اذا دخلت إنّ على مضمون الجملة افادت التعليل عند بعض النحاة وهو «نوع من التأكيد » (٤) الذي تفيده إنّ اصلاً ، والجملة التي تدخل عليها إنّ بمثابة جواب عن جملة استفهامية مبدوءة باداة تفيد السببية ، ولهذا يحسن حلول فاء السببية محلّ إنّ .

قال الزركشي : «وغالب التعليل في القرآن فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الاولى . وهو سؤال عن العلة » (٥) . «وتوضيح التعليل إنّ الفاء السببية لو وضعت مكان

(١) المغني : ١١١/١ .
(٢) شرح المكودي على الفية ابن مالك/ ٦٦
(٣) حاشية الملوي بهامش شرح المكودي /٦٦ .
(٤) الاتقان في علوم القرآن : ١٥٦/١ .
(٥) البرهان/ ٩٦/٣ .

إن لحسن» (١) وقد ورد التعليل بـ (إنّ) كثيراً في القرآن . وقد مرّ شيء منه في مبحث التعليل بالجملة ، ومنه قوله تعالى : «واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم» (٢) .

« انكم في العذاب مشتركون» (٣) .

وقد ذكر ابو حيان انّ (إنّ) تفيد تعليل الروع على وجه ، الاستئناف (٤) . وفي دلائل الاعجاز مايؤيد كون إنّ قد تأتي للتعليل «في موضع دون موضع وفي حال دون حال» (٥) .

٣ ــ الباء ،عدّ اكثر النحاة المتأخرين الباء من حروف السبب، فهي تتضمن معنى التعليل عن طريق السبب، كقولك :(بنعمة الله وصلت الى كذا) (٦) . وقد ميّز ابن مالك بين باء السببية، والتعليلية فقد ادرج الاولى في (باء الاستعانة) ورأى انّها « الداخلة على صالح الاستغناء به عن فاعل تعدّاها مجازاً نحو: «فاخرج به من الثمرات» فلو قصد اسناد الاخراج اليها لصحّ وحسن ولكنه مجاز ومنه: كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين، فانه يقال: كتبت القلم وقطعت السكين، والنحويون يعبّرون عن هذه الباء بباء الاستعانة، وأثرت على ذلك التعليل بالسببية من اجل الافعال المنسوبة الى الله تعالى فانّ استعمال السببية فيها يجوز ،واستعمال الاستعانة فيها لايجوز» .

اما باء التعليل «فهي كل باء يحسن موضعها اللام كقوله تعالى:«فبظلم من الذين هادوا حرّمنا .» (٧) .

وقليل من الباحثين من فرّق بين السببية والتعليلية كما فعل ابن مالك . ومن قبلة الازهري (ت ٨٣٧هـ) في جواهر الادب . (٨) .

والنظر السديد يوجب الاخذ برأي ابن مالك والازهري لصحته ولدّقته ،فباء السبب هي الداخلة على سبب الفعل نحو: (مات زيد بالحبّ وبالجوع) و (حججت بتوفيق الله) .

---

(١) نفسه: ٣/٩١

(٢) المزمل/ ٢٠

(٣) انظر الكشاف ٤/٣٥٤ .

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٧٣

(٥) دلائل الاعجاز ٢٤٨ .

(٦) انظر المقتصد : ٢/٨٢٦، الجنى الدني /١٠٣ .

(٧) شرح التسهيل للمرادي . مخطوط. ورقة/ ٢٠ . وانظر: جواهر الادب / ١٨

(٨) انظر : جواهر الأدب / ١٨

وباء الاستعانة تدخل على الاسم الموسط بين الفعل ومفعوله الذي هو لته مثل : (كتبت بالقلم) ... اذ لايصحّ جعل القلم سبباً للكتابة .

٤ ــ على : من المعاني التي ذكرها النحاة لـ(على) معنى التعليل من نحو قوله تعالى ولتكبروا الله على ماهداكم الى» (١)الي: لهدايته اياكم .

وجعل ابو حيان منه قوله تعالى:« ومادذبح على النصب» (٢) بمعنى اللام لانهم كانوا يذبحون لها لاعليها ،ومنه ايضاً نحو: (علام فعلت هذا وتركت هذا).

٥ ــ عن: ادرج الكوفيون ووافقهم ابن السراج (٣)معنى التعليل في (عن) واستشهدوا بنحو قوله تعالى:«وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اباه» (٤) .

أي : لوعد. وقوله تعالى:« ومانحن بتاركي الهتنا عن قولك .» (٥) .

أي: لقولك .ومنه قولهم :(قام فلان عن أكرامك وشتمك عن مزاحٍ).

يريدون من اجـــل.

٦ ــ فاء العطف: قد تفيد فاء العطف التعليل عند الرضي وذلك حين دخولها على السبب ،فتكون بمنزلة لام التعليل نحو قوله تعالى: «فاخرج منها فانك رجيم.» (٦) ولا تنافٍ في ذلك بين السببية والعطف، فقد تفيد (الفاء) السببية وهي مع ذلك عاطفـــة.

٧ ــ في : يرى ابن مالك أنّ ماخفي على أكثر النحويين استعمال (في) دالة على التعليـل مع وروده في القرآن العزيز والحديث والشعر القديم (٧) .ومن ذلك قوله تعالى:« لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذابٌ عظيم.» (٨) وقوله تعالى: « ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسّكم فيما افضتم فيه عذابٌ عظيم » (٩)

---

(١) البقرة / ١٨٥ وانظر : الجني /٤٤٥ ،المغني /١/١٤٣. جواهر الادب/ ٢٢٢. الاشموني ٢/٢٩٤.

(٢) المائدة/ ٣٠ وانظر: منهج السالك / ٢٥٠ والجامع لاحكام القرآن ٣٠/٢٠٥٤ .

(٣) انظر : منهج السالك /٢٥١ .

(٤) التوبة/١١٤

(٥) هود/٥٢. وانظر: الجني/ ٢٦٣. المغني ١/١٤٨، الهمع ٤/١٩٠

(٦) ص/ ٧٧ وانظر: شرح الكافية ٢/٢٦٦ وجواهر الادب /٢٩ .

(٧) انظر: شواهد التوضيح والتصحيح / ٦٧ ــ ٦٨.

(٨) الانفال / ٦٨ .

(٩) النور/١٤

ومن الوارد في الحديث : «عذّبت امرأة في هرّة ..»
و «يعذبان وما يعذبان في كبير (١) .

ومن الوارد في الشعر القديم قول جميل :

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي وهمّوا بقتلي يابثين لقوني

وقول أبي خراش:

لوى رأسه عنّي ومال بودّه اغانيج خود كان فينا يزورها

٨ ـ الكاف : نصّ اكثر النحاة على افادة الكاف معنى التعليل . كقوله تعالى : «واذكروه كما هداكم » (٢) . أي : لهدايته اياكم . وقيّد بعض النحاة هذ الافاده بأن تكون الكاف مكفوفة بـ (ما الزائدة) كحكاية سيبويه : «كما انّه لايعلم ذلك فتجاوز الله عنه» . وفُسّر : لانه لايعلم فتجاوز الله عنه (٣) . واجاز ابن هشام مجيئها للتعليل دون قيد الاقتران بـ (ما) ، فمما جاء مجرداً نحو قوله تعالى : « وي كأنه لايفلح الكافرون » (٤) . اي : اعجب لعدم فلاحهم . ومما جاء مقروناً بما المصدرية قوله تعالى : « كما ارسلنا فيكم رسولاً » (٥) . أي : لاجل ارسالي فيكم رسولاً .

٩ ـ كأنّ : ذكر بعض النحاة افادة (كأنّ) التعليل ، وجُعل منه قوله تعالى : «ويكأنه لايفلح الكافرون » (٦) . أي :اعجب لعدم فلاحهم .

فيجوز على راى الزمخشري أن يكون الكاف للخطاب وقد ضمّ الى (وي) ، وانه بمعنى : لانّه ، واللام لبيان المقول لاجله هذا القول أو لانه لايفلح الكافرون كان ذلك »(٧) .

وجعل ابن هشام من ذلك قول الشاعر :

فاصبح بطن مكة مقشعراً كان الارض ليس بها هشام

(١) انظر : شواهد التوضيح / ٦٨ .
(٢) البقرة/١٩٨ وانظر : شرح اللمحة ١٦٤/٢، المغني ١٧٦/١، الجني /١٣٥
(٣) سيبويه : ١٤٠/٣
(٤) القصص/ ٨٢ .
(٥) البقرة/ ١٥١
(٦) القصص / ٨٢
(٧) الكشاف ٤٣٤/٣ ـ ٤٣٥ .

قال : «فان قيل : فاذا كانت للتحقيق فمن اين جاء معنى التعليل؟

قلت : من جهة أن الكلام معها في المعنى جواب عن سؤال عن العلة مقدر» (١) .

ونقل المرادي عن ابن مالك قوله : «وقيل : إنّ الكاف من كانّ للتعليل وهي مرادفة للام وأن للتوكيد ، والمعنى : لانّ الأرض ليس بها هشام »(٢) .

١٠ — لعل : نسب جماعة من النحاة منهم يونس والكسائي وثعلب والاخفش (٣) . وقطرب والسيرافي والانباري والفارسي (٤) القول بافادة (لعل) للتعليل . وقال بـــه ابن فارس والثعالبي ايضا (٥) . فقد نقل عن يونس أنها للتعليل في نحو قوله تعالى : «لعلكم تذكرون » (٦) و «لعلكم تتقون » (٧) و «لعله يتذكر » (٨) قال : معناه كي تذكروا وكي تتقوا . وتقول : انطلق بنا لعلنا نتحدث أي كي نتحدّث » (٩) . قال ابن يعيش : «إنّها اذا وردت في التنزيل فان اللفظ على مايتعارفه الناس ، والمعنى على الايجاب بمعنى (كي) لاستحالة الشك في اخبار القديم سبحانه »(١٠) .

١١ — من : اثبت بعض النحاة معنى التعليل في (من) وجعلوا منه نحو قوله تعالـــى «مما خطيئاتهم اغرقوا» (١١) وقوله تعالى : «يجعلون اصابعهم في أذانهم من الصواعق»(١٢) ومن الشعر كثير (١٣) .

---

(١) الجني الداني/ ٥٢٠، المغني ١ /٣٢٢ .
(٢) الجني الداني/ ٥٢٠ .
(٣) انظر مانسب لهؤلاء: تهذيب اللغة١/١٠٦، الجني الداني/ ٥٢٧ ، البرهان٤/٣٩٤ على التوالي .
(٤) شرح الكافية ٢/٣٤٦، جواهر الا دب /٢٣٥، الكليات/ ٣١٧، تهذيب اللغة ١/١٠٦
(٥) انظر: الصاحبي/ ١٤١ ، فقه اللغة للثعالبي / ٢٣٦
(٦) الا نعام / ١٥٢
(٧) طه / ٤٤ .
(٨) البقرة/ ٢١ .
(٩) تهذيب اللغة ١/١٠٦
(١٠) شرح المفصل ٨/٨٥ — ٨٦ .
(١١) نوح/ ٢٥. وانظر: المغني ١/٣٢٠ .
(١٢) البقرة/ ١٩. وانظر: الجني/ ٣١٥
(١٣) انظر: ارلمغني: ١/٣٢٠، الاشموني : ٢/٢٨٨، شرح الكافية ٢/٣٢٣.

ثانياً: الحروف المعللة التي تسبق الأفعال :

١ ــ اذ : تتردد (اذ) بين ثلاثة اوجه . فيقال فيها تارة ظرف لما مضى من الزمان وتليها حينئذ جملتان خبريتان نحو : واذكروا اذ انتم قليل » . (١) «واذكروا اذ كنتم قليلا» (٢) وتارة حرف مفاجأة كقول الشاعر :

استقد الله خيراً وارضين بـــه فبينما العُسرُ اذ دارت مياسيـــرُ

وتارة حرف تعليل كقوله تعالى :«ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم» أي : لاجل ظلمكم وشواهد تجردها عن الظرفية وتمحضها للتعليل كثير (٣) .

٢ ــ أنْ : نُقل عن بعض المتأخرين مجيىء (أن) للتعليل من نحو : جئت أن أعطي أي بلا عطاء . على اضما اللام قبل (أن) ، وقرأ بعضهم قوله تعالى :«يبين ألله لكـــم أن تضلوا » (٤) . «لانْ لا تضلوا . وجعل من ذلك قوله تعالى :«عبس وتولى أن جاءه الاعمى » (٥) .

ومن النحاة من يرى أن المفيد للتعليل هنا هو اللام المقدرة لا (أن) ، ومن البصريين من يرى أنّ (أن) مصدرية في نحو قوله تعالى : «يبين الله لكم أن تضلوا» والاصل : كراهية أن تضلوا (٦) . ونرى انه لامانع من التقريرين ، فان كلا منها دال على التعليل سواء أكان بالمفعول لاجله ام بلام التعليل . على الرغم مما في القول باضمار اللام قبل (أن) من تعسف .

٣ ــ أو . ل(او) العاطفة ثلاثة معان فهي اما بمعنى : (الى أن) او (كي) او (الا ان) الاستثنائية . وفي هذه المعاني خلاف . فبما يستشهدون به على مجيئها بمعنى كي قولهم (لالزمنك او تقضيني حقي) وقول امرىء القيس :

---

(١) الا نفال/٣

(٢) الا عراف / ٨٦ .

(٣) انظر : الخصائص : ١٧٢/٢، الجني ٢١٣، المغني٨٢/١، الاعراب /٩٦ – ٩٧.

(٤) النساء/ ١٧٦ . وانظر : البحر المحيط ٤٠٩/٣ .

(٥) عبس/ ٢.

(٦) انظر : المغني ٣٦/١ .

فقلت له لاتبكِ عينك انّما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا (١)

وروى ان سيبوية رأى في بعض المصاحف : «تقاتلونهم او يسلموا» على معنى : حتى يسلموا او الى ان يسلموا ، او الا ان يسلموا (٢) .

ويرى الجرجاني أن قراءة : (او يسلمون) لايفهم منها السببية الا من جهة المعنى وهو ان القتال والاسلام لا يجتمعان وأن القتال ينقطع بالاسلام «واذا علم أنه ينقطع بحصول الاسلام تقرر أنه كان لاجله» (٣) .

وامثلة افادة (او) التعليل على كثرتها موضع خلاف بين النحاة (٤) .

٤ — حتى : لـ(حتى) الداخلة على الفعل المضارع ثلاثة معان :

الغاية بمعنى (الى) ، والاستثناء بمعنى (الا) ، والتعليل بمعنى (كي) والاخيرة يكون ماقبلها سبباً لما بعدها كقوله تعالى : «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة» (٥) وقد اثبت التعليل في حتى اكثر المتقدمين كسيبوية والمبرد . ومن المتأخرين كثيرون منهم ابن يعيش وابن هشام . وانكره بعضهم (٦)

٥ — الفاء السببية : تفيد (الفاء السببية) العطف وهو يفيد الترتيب والتعقيب والسببية وربط الجواء «فاذا قلت : (ما جئتني فأكرمك) فان الترتيب هو (المجيء قبل الاكرام)، والتعقيب (الاكرام يعقب المجيء) والسببية (سبب الاكرام هو المجيء) والجواب كأنها جواب لسؤال مقدر مفهوم من الكلام كأننا قلنا : هل جئتني فاكرمتك» (٧)

واصل منعى الفاء هو التعقيب ثم يدخلها معنى السببية التي هي اخص منه. (٨) .

---

(١) انظر : المقتضب : ٢٨/٢ ، معاني الحروف / ٧٩ ، المقرب: ٢٦٢/١ شرح الألفية مخطوط): للمرادي/ ورقة ١١٢ .

(٢) انظر : المقتصد : ١٠٧٨/٢ ، وشرح المفصل : ٣٣/٧ .

(٣) المقتصد: ١٠٧٨/٢.

(٤) انظر : شرح الألفية للمرادي : ورقة ١١٢ ، وشرح التسهيل للمرادي : ورقة ١٣٢ والاشموني : ٥٥٨/٣ .

(٥) البقرة : ١٩٢ .

(٦) انظر : سيبويه : ١٧/٣، المقتضب : ٣٨/٢، شرح المفصل ٢١٢٠/٧، الجني ٥٠٧، المغني: ١٢٦/١ .

(٧) شرح التسهيل ورقة ١٣٢

(٨) نفسه ١٣٢

وقد اشترطوا لعملها شرطين : كون معناها السبب والجواب والترتيب والتعقيب ، وسبقها بنفي او شبهه او طلب او شبه طلب .

ومن امثلة ذلك قوله تعالى:« لايقضي عليهم فيموتوا » (١) . «لا تفتروا على الله كذباً فيسمتكم بعذاب . » (٢) «ربّنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم » (٣) ومثل ذلك كثير في الشعر (٤) .

٦ــ كأنْ: انفرد الزجاجي بالقول ان (كان) «بمعنى(كي) كقولك: جئت كأن تنظر في أمري .أي: كي (٥) .

٧ ــ كما: اثبت الكوفيون وتابعهم المبرد (كما) من جملة حروف النصب التي تفيد التعليل، بمعنى: (كيما) التي حذفت ياؤها للتخفيف، وانشدوا: لاتظلموا الناس كما لا تظلمـــوا (٦) .

وقد انكر البصريون ذلك، ورأوا ان الكاف في (كما) للتشبيه دخلت على (ما) ، وما ورد على ان الاصل (كيما) حذفت ياؤه ضرورة. والكاف جارة مكفوفة بما، وحذفت النون من الفعل ضرور (٧) .

والراي ماذكره ابن مالك بقوله انّ «الكاف للتعليل وما كافة ، ونصب الفعل بها لشبهها بكي في المعنى » (٨) وربما كانت (كما) بلفظ (كي) . واذا صحّ هذا دفعنا ما في الخلاف من تكلّف وبعـــد

٨ ــ كي (٩) : من الحروف الموضوعة بمعنى العلة والغرض لوقوع الفعل المعين، ولذلك تحمل الاحرف الاخرى عليها فيقال: لام كي، وحتّى بمعنى كي، و(او) بمعنى

---

(١) فاطر/٣٦ (٢) – طه/٦١ (٣)يونس/ ٨٨

(٤) انظر : الاشموني : ٥٦٣/٣، الهمع ١٢٠/٤، ١٢٣ المقتضب ١٥/٢

(٥) حروف المعاني : للزجاجي / ٣٢

(٦) الانصاف : مسألة (٨١) والجني / ٤٥٥ .

(٧) الهمع / ١٠٣/٤ .

(٨) المغني : ١٧٧/١ .

(٩) انظرها في المقتضب : ٩،٦/٢ . شرح المفصل: ١٤/٩، شرح ملحة الاعراب/ ١٠١ المرتجل /٢٠٣، المغني/١٨٢/١، الجني الداني/ ٢٧٨ .

كي. «وهي وان كانت حرفاً واحداً فقد نزلت منزلة حرفين» . (١) ، فتارة تكون حرف جرّ يفيد التعليل، وتارة حرفاً مصدرياً بمنزلة (أن).

فتتعين للجر في اربع حالات (٢).

الاولى: الداخلة على (ما) الاستفهامية للسؤال عن علة الشيء نحو: كيم فعلت هذا؟ أي : لمَ فعلت؟ ولك هنا ادخال هاء السكت عليها فتقول : كيمة.

والثانية: الداخلة على(ما) المصدرية كقول الشاعر :

اذا انت لم تنفع فضرّ فانمّا يرجّى الفتى كيما يضرُّ وينفع

أي: للضر والنفع. ف (كي) حرف جرّ ،وما المصدرية والفعل مصدر مسؤول مجرور بها(٣)

والثالثة: اذا وقعت (كي) قبل (لام الجر) كقول الشاعر:

واوقدت ناري كي ليُبصرَ ضوؤها واخرجتُ كلبي وهو في البيت داخله

فكي حرف جر واللام توكيد لهما .«ولاتكون (كي) ناصبة للفعل بينها وبين الفعل بلام، ولازائدة لانّه لم يثبت زيادتها في غير هذا الموضع، وهذا التركيب قليل. » (٤) .

والرابعة: اذا وقعت قبل (ان) نحو قول الشاعر. :

فقالت: اكلُّ الناس اصبحت مانحاً لسانك كيما ان تغرّ وتخدعا

فهي حرف جر و(ما) مصدرية، و(أن) عند البصريين للضرورة، وعند الكوفيين للجواز والاختيار، لانّ (ان) عند البصريين تضمر وجوباً بعد كي الجارة (٥) .

وتتعين مصدرية ناصبة اذا وقعت بعد اللام كقولك :«جئت لكي اتعلم»

فاللام حرف جرّ وتعليل، وكي مصدرية ناصبة .والجمع بين اللام وكي عند بعضهم (٦) يفيد التأكيد والتبين ؛ وعلى هذا الرأي تكون (كي) هنا غير مصدرية .

---

(١) لم يجوز الكوفيون مجيء (كي) حرف جر فهي عندهم لا تكون الا حرف نصب. انظر الا نصاف

(٢) المغني/١/١٨٢ ، جواهر الا دب / ١٣٢ - ١٣٣ (المسألة ٧٩)

(٣) يجوز هنا أن تكون (ما) كافة و(كي) والفعل مصدر مؤول مجرور بلام مقدرة قبلها ويجوز ان تكون ما) زائدة. وكي ناصبة للفعل.

(٤) شرح التسهيل/ ورقة ١٢٩، الجني الداني/ ٢٧٨ .

(٥) انظر :الا نصاف: المسالة (٨٠).

(٦) أنظر : اللا مات لا بن فارس/ ٧٧٨ .

وقد يجمع بين (اللام) و(كي) وبين (ان) كقول الشاعر:

اردت لكيما أنْ تطيـر بقربتـــي فتتركها شنّاً ببيداء بلقع

وسبب الجمع هو التقارب في المعنى بين هذه الحروف ، واختلافها في اللفظ . (١).

واذا سلمّنا بأنّ (كي) حرف جرّ يفيد التعليل، وحرف نصب يفيد المصدرية ،كما يقول البصريون،فان السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل تفيد (كي) المصدرية التعليل كما تفيده كي الجارة؟ فنقول: انْ كي المصدرية تكون مع مابعدها مصدراً مسؤولاً مجروراً باللام الظاهرة او المقدرة، وعلى هذا لم يجوز أكثر النحاة افادتها التعليل في هذا لموضع، لان اللام هي التي تفيده، ولانّ كي لوكانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل » (٢) لعدم جواز اجتماع حرفين لمعنى واحد . ومن النحاة منْ اجاز افادتها للتعليل هنا. فقد ذهب الرماني هذا المذهب .فقال بعد ان ذكر مجيئها مصدرية ناصبة وجارة في قولهم كيمة.«ومعناها في كلا الوجهين العلة،وذلك ان ماقبلها علّة لمابعدها»(٣) ورأى الانباري انّه « لافرق بين كي الناصبة وكي الجارة في المعنى . » (٤) ، وقد نقل المرادى ذلك عن سيبويه حين قال:

«ومذهب سيبويه أن كي للفظ مشترك يكون حرفاً مصدرياً يفيد التعليل والسبك ويكون حرف تعليل بمعنى اللام ،فاذا دخلت على الفعل دلّت على العلة الغائية فقط، فهو اخص من اللام ،واذا دخلت على الاسم دلّت على العلة مطلقاً غائية وغير غائية كاللام . » (٥)

والذي اراه انه لاتعارض بين الوجهين فدخول كي على الفعل يفيد التعليل سواء اكان ذلك بكي نفسها ،ام باللام مقدّرة او ظاهـرة .

٩ ــ الواو : لم نعثر لغير (الخارزنجي) (٦) القول بمجيء (الواو) للتعليل مستشهداً

---

(١) ٧٧٩.

(٢) المغني ١/١٨٢ .

(٣) معاني الحروف للرماني/ ١٠٠

(٤) الانصاف : المسألة (٧٨)

(٥) شرح التسهيل للمرادي. ورقة / ١٢٩ . ولم اعثر على هذا الرأي في سيبويه.

(٦) هو احمد بن محمد البشي امام الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة . له : تكملة كتاب العين، وشرح آيات ، ادب الكاتب، وكتاب التفصلة. توفي سنة ٣٤٨هـ. ترجمته في بغية الوعاة ١/٣٨٨.

بنحو قوله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم الصابرين » (١) .

وقوله تعالى : « ياليتنا نُردّ ولانُكَذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين » (٢)

أي : ليعلم الذين ، وليعلم الصابرين ، ولنكون .

وجعل ابن هشام الواو في ذلك للمعية (٣) .

ثالثاً : مايفيد التعليل مع الاسماء والأفعال :

لنا مما يفيد التعليل مع الاسم أو الفعل حرف واحد هو اللام . واليك بيانها :

لام التعليل (٤) حرف يكون مابعده علة وسبب لما قبله . وهو حرف جرّ يفيد الاختصاص ومنه تتفرع معان اخرى ، ولهذا قال بعض النحويين : « ان معنى التعليل راجع إلى معنى الاختصاص ، فاذا قلنا : جئتك للاكرام . دلّت على أنّ المجيء مختص بالاكرام ؛ اذ الاكرام سببه دون غيره » (٥) .

وقد اختلفوا في تسميتها على وجوه فمن النحويين من سماها (لام كي) او (اللام التي تكون بمعنى كي) . وقال النحاس : انّ التسمية بلام كي من وضع قطرب (٦) ، وسمّاها المرادي (لام كي) و (لام التعليل) لافادتها ماتفيده كي من التعليل والسببية (٧) وسمّاها الثعالبي (لام السبب) (٨) وهي عند الزجاجي (لام العذر) (٩) وعند المبرد(ايجاباً)وسمّى لام الجحود نفياً (١٠). ولم يطلق عليها سيبويه تسمية معينة(١١) .

(١) آل عمران / ١٤٢ .

(٢) الانعام/ ٢٧ .

(٣) انظر : مانسب للخارزنجي ورد ابن هشام في المغني ٣٥٩/٢، الهمع٥/٢٣٠ .

(٤) هذه اللام مجرورة – كبقية انواعها الجارة – الا مع المضمر . ونقل عن يونس أن جماعة من العرب يفتحونهما . انظر : معاني القرآن للأخفش ١٢٢/١ – ١٢٣، شرح التسهيل للمرادي ورقة ١٩. معاني الحروف / ٥٦ ، لامات ابن فارس ٧٧٨، جواهر الأدب /٣٧ .

(٥) شرح المفصل ٢٦/٨، الجنى الداني/ ١٥٣، لامات الزجاجي/ ٥٤ .

(٦) لامات الزجاجي/١٤٨

(٧) الجنى الداني/ ١٥٦

(٨) فقه اللغة /٢٣٠

(٩) لامات الزجاجي/ ١٥٠ ، حروف المعاني/ ٨٥ .

(١٠) المقتضب : ٧/٢

(١١)سيبويه ٧٠٥/٣

والراجع عندنا أنّ اطلاق التسمية بـ (لام كي) انما هو للام التي ينتصب بعدها الفعل المضارع ، واطلاق (لام التعليل) على اللام الداخلة على الاسم الصريح ، ويطلق (التعليل) على القسمين ايضاً لانه اشمل، وربما لان كي هي الاصل في افادة التعليل والحروف الباقية محمولة عليها .

وذكر بعض النحويين أنّها تكون بمعنى (من اجل) (١) ومثّلوا لذلك بنحو قوله تعالى : « انما نطعمكم لوجه الله » (٢) اي : من اجل وجه الله . وقوله تعالى : « واقم الصلاة لذكري » (٣) وقوله تعالى : « وانّه لحبّ الخيرِ لشديد » (٤)
ولام التعليل هذه على ثلاثة أقسام .

احدها : مايدخل على الاسم الصريح .

وثانيها : لام المستغاث من اجله في قولنا : (يالزيد لبكر) . فزيد مستغاث وبكر مستغاث من اجله ، واللام الداخلة على بكر تفيد التعليل فالتقدير : ادعوك لبكر واستغيثك لأجله ، وهذه اللام متعلقة بمحذوف هو فعل من جملة مستقلة ، اي: ادعوك لبكر ، او اسم يكون حالا من المنادى اي : مدعواً لبكر (٥) .

وثالثها : اللام الداخلة على مصدر مؤول . وهذه اللام يليها فعل مضارع منصوب مختلف في عامل النصب فيه على اوجه ليس هذا مجالها (٦) . ومن الجائز عند النحاة حذف اللام اذا تلاها أنْ وأنّ ، والحذف هنا قياس مطرد (٧) . فتقول : جئت ان تعطيني او لأن تعطيني ، وغضب اخوك أنْ ضربته ، ولان ضربته (٨) .

ومثال الحذف قبل أنّ : جئتك انّك تريد المعروف . أي لانك أولمحبتك المعروف. ومنه قوله تعالى : « وأنّ هذه امتكم امة واحدة » (٩) والمعنى على تقدير اللام على رأي الخليل (١٠) .

---

(١) حروف المعاني / ٨٥ ، اللامات : للهروي/ ٤٩ ، امالي الشجري٢/ ٢٧١ — ٢٧٢ . فقه اللغة / ٢٢٣

(٢) الانسان / ٩

(٣) طه/ ١٤ (٤)العاديات/ ٨

(٥) انظر: الجني الداني/ ١٤٩ المغني ١/ ٢١٠ .

(٦) انظر: الأنصاف المسألة (٧٩)

(٧) جواهر الأدب/ ١١٢ . (٨)انظر: سيبويه ٣/١٥٤، الأزهية/ ٦٧

(٩) الانبياء/ ٩٢

(١٠) سيبويه ٣/١٢٦ ، المقتضب ٢/٣٤٧.

خاتمة : ربمّا يظهر للقارىء الكريم وقد فرغ من قراءة البحث أنّ التراكيب اللغوية في العربية قابلة لرجع النظر تحقيقاً، وتبويباً ،وتوضيحاً، زيادة على ذلك فانّ البحث كما يظنّ الباحث قد تمّخض عن جملة من النتائج نذكر منها الآتي : —

اولاً : حدد البحث مفهوم التعليل في اللغة والاصطلاح النحوي ،وبيّن اسباب لجوء المتحدث اليه، وأوضح انماط التعليل وأساليبه في العربية بكلّ انماطها .

ثانياً: ناقش الباحث الشروط التي وضعها النحاة للمفعول لاجله، وتوصّل الى انّ أكثر هذه الشروط لاتسعفه الادلّة والشواهد، وأنّ ما قدّمه اصحابها من ذلك يمكن توجيهه بما يتفق واسقاط الشرط المعين، واجازة مايخالفه.

ثالثاً: رأى الباحث انّ ارجح الاراء في عامل المفعول لاجله هو رأي سيبويه ومن تابعه ،ودلّ على هذا الترجيح بالحجة.

رابعاً: ردّ الباحث مانسب الى الزجاج من كون المفعول لاجله مفعولاً مطلقاً منتصباً بفعل مقدّر من لفظه جعل عوضاً عنه ولذلك لايظهر، ورأى ان الزجاج لم يصرح بهذا، وان وجد هذا الرأي فهو مردود بأنّ صحّة تأويل نوع بنوع لا تدخله في حقيقته.

خامساً: استطاع البحث انْ يعرض للحروف المفيدة للتعليل وانْ يضع بين ايدي الباحثين حقيقة علمية هي نتاج استقصاء مستفيض، وتنقيب فاحص.

مصادر البحث

(أ) المخطوطات :

١ – ارتشاف الضرب أبو حيان الاندلسي . دار الكتب المصرية، ٨٢٨، ١٠٠٣ - ١١٠٦ نحو .

٢ – الايضاح شرح ابن الحاجب على المفصل للزمخشري . من مصوراتي . عن مخطوط دار الكتب المصرية برقم ١٨٥٥ .

٣ – شرح الفية ابن مالك لابن قاسم المرادي . مخطوط في مكتبة الاوقاف برقم ١٢٢١ .

٤ – شرح الفية ابن معطي لابن الخباز من مصوراتي عن مخطوط دار الكتب المصرية برقم ١٨٢٣ .

٥ – شرح التسهيل . للمرادي من مصوراتي عن مخطوط دار الكتب المصرية برقم٦٣.

٦ – القانون في النحو او المقدمة الجزولية . دار الكتب – ٣٦٢ تيمور .

(ب) الكتب المطبوعة :

٧ – اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الاربعة عشر للدمياطي (أحمد بن محمد) . رواه وصححه وعلّق عليه علي محمد الضباع . مصر ١٣٥٩ هـ .

٨ – الاتقان في علوم القرآن . للسيوطي . ط٣ . البابي الحلبي – مصر ١٩٥١ .

٩ – الازهية في علم الحروف للهروي (علي بن محمد) تحقيق : عبدالمعين الملوّحي. دمشق – ١٩٧١ .

١٠ – اسرار العربية . لابن الانباري . تحقيق : محمد البيطار . دمشق ١٩٥٧ .

١١ – اصول النحو لابن السراج تحقيق . د. عبدالحسين الفتلي . النجف ١٩٧٣ .

١٢ – الاعراب في قواعد الاعراب لابن هشام تحقيق . رشيد عبدالرحمن العبيدي. بيروت ١٣٩٠ ، ١٩٧٠ .

١٣ – اعراب القرآن المنسوب للزجاج . تحقيق ودراسة : ابراهيم الابياري ، القاهرة ١٩٦٣ .

١٤ – الامالي الشجرية ابو السعادات ابن الشجري، دار المعرفة – بيروت .

١٥ – املاء مامنّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن . لابي البقاء عبدالله العكبري . تصحيح وتحقيق. ابراهيم عطوة عوض ط٢ . مصر، ١٣٨٩ – ١٩٦٩ ..

١٦ – الانصاف في مسائل الخلاف ابو البركات الانباري . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . ط٣ . مصر ١٣٧٤ – ١٩٥٥ .

١٧ – الايضاح لمختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزويني . مطبعة الجمالية – مصر.

١٨ – البرهان في علوم القرآن للزركشي (بدر الدين محمد بن عبدالله) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم. ط١ . مصر ١٩٥٨ .

١٩ – جامع البيان عن تأويل القرآن . للطبري (محمد بن جرير) . تحقيق : محمود محمد شاكر . دار المعارف . مصر .

٢٠ – الجامع الاحكام القرآن (تفسير القرطبي) للقرطبي . دار الشعب – مصر.

٢١ – الجنى الداني في حروف المعاني . للمرادي . تحقيق : طه محسن . الموصل / ١٩٧٦ .

٢٢ – جواهر الأدب في معرفة كلام العرب : للاربلي (علاء الدين بن علي) ط٢ / الحيدرية / ١٩٧٠ .

٢٣ – حاشية الملوي لهامش شرح المكودي = انظر : شرح المكودي .

٢٤ – الحجة في القراءات السبع . للامام ابن خالويه . تحقيق : د. عبدالعال سالم ط ٤ بيروت ١٩٨١ .

٢٥ – الحروف والاصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين . د. هادي نهر مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد ٨ . بغداد ١٩٨٤ .

٢٦ – حروف المعاني للزجاجي . تحقيق د. علي توفيق الحمد، الاردن / ١٩٨٤ .

٢٧ – البحر المحيط ابو حيان الاندلسي مصر / ١٣٢٨ هـ .

٢٨ – بغية الوعاة للسيوطي تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم . مصر / ١٩٦٥.

٢٩ – سيبويه (الكتاب) عالم الكتب – بيروت .

٣٠ ـ شرح الاشموني ،الاشموني (نور الدين علي بن محمد) تحقيق . محمد محي الدين . ط٢ ، مصر ١٩٣٩ .

٣١ ـ شرح التصريح على التوضيح للازهري (الشيخ خالد بن عبدالله) ط٢. مصر ١٣٢٥هـ.

٣٢ ـ شرح الرضي على الكافية للرضي الأسترابادي . والاستانة ١٣١٠ هـ .

٣٣ ـ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك . تحقيق : عدنان الدوري . بغداد/ ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ .

٣٤ ـ شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية لابن هشام تحقيق. د. هادي نهر. بغداد/ ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ .

٣٥ ـ شرح المكودي على الفية ابن مالك . للمكودي (عبد الرحمن بن علي بن صالح) القاهرة ـ ١٣٢٠ هـ .

٣٦ ـ شرح المفصل لابن يعيش، المطبعة المنيرية ـ مصر

٣٧ ـ شرح ملحة الاعراب للحريري (محمد القاسم بن علي) مصر / ١٣٠٦ هـ .

٣٨ ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح . لابن مالك . تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبدالباقي . مصر / ١٩٥٧ .

٣٩ ـ فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ، ابو منصور عبدالملك بن اسماعيل (بيروت) .

٤٠ ـ الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب . للجامي (نورالدين عبد الرحمن) تحقيق .د. اسامة طه الرفاعي . بغداد ١٩٨٣ .

٤١ ـ كشاف اصطلاحات الفنون . التهتاوي (محمد علي الفاروقي) كلكتا ١٨٦٢ .

٤٢ ـ الكليات : للكفوي (ابو البقاء ايوب بن موسى) طبعة بولاق / ١٢٨١ هـ .

٤٣ ـ اللامات : للزجاجي ـ تحقيق : د. مازن المبارك، دمشق / ١٩٦٩ .

٤٤ ـ اللامات : لابن فارس . تحقيق : شاكر الفحام . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . المجلد ٤٨ ـ العدد (٤) . ١٩٧٣ .

٤٥ ـ اللامات : للهروي (علي بن محمد) تحقيق وتعليق : يحيى علوان البلداوي . الكويت ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ .

٤٦ ـ المرتجل : لابن الخشاب (عبدالله بن احمد) . تحقيق ودراسة : علي حيدر دمشق / ١٩٧٢ .

٤٧ ـ معاني الحروف : للرماني (علي بن عيسى) تحقيق : د. عبد الفتاح اسماعيل القاهرة / ١٩٧٣ .

٤٨ ـ معاني القرآن : للاخفش . تحقيق : د. فائز فارس . الكويت / ١٩٧٩ .

٤٩ ـ معاني القرآن : للفراء . تحقيق : احمد نجاتي ومحمد علي النجار، الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ .

٥٠ ـ المغني : لابن هشام : تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد . مطبعة المدني/ القاهرة .

٥١ ـ المقتصد في شرح الايضاح : للجرجاني . تحقيق : د. كاظم بحر، بغداد / ١٩٨٢

٥٢ ـ المقتضب : للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٥٣ ـ المقرّب : لابن عصفور . تحقيق : د. عبدالستار الجواري ود. عبدالله الجبوري . بغداد ١٩٧١ .

٥٤ ـ منهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك : لابي حيان الاندلسي . تحقيق : سدني كلازر . نيوهافن ١٩٤٧ .

٥٥ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع . للسيوطي. تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم/ الكويت .

النَّفَس الشعري في القصيدة العربية

الدكتور يونس احمد السامرائي
كلية الآداب/جامعة بغداد

يُعدّ الشعر أقدم الآثار الادبية عهداً ، وقد أختلف في أوليته بالقياس الى النثر ، فذهب بعض الى أنه أسبق من النثر في الوجود وأقدم ، لاتصاله بالحس والشعور والخيال ، وهذه الملكات التي تكاد تنشأ مع الفرد والجماعة ، في حين ان النثر لغة العقل ، ومظهر من مظاهر التفكير وإعمال الرّويّة (٢) :

وذهب بعض آخر الى ان النثر سابق الشعر في الظهور ، ومتقدّم عليه في الوجود فهو يقول في حديثه عن الشعر العربي ونثره .

(١) تاريخ الادب العربي للزيات ٢٨ ط٢٥ .
(٢) ينظر : في الادب الجاهلي ٣٦٣ ط٤ .

(وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأمجاد ، وسمحائها الأجواد ،لتهزّ أنفسها الى الكرم ، وتدلّ ابناءها على حسن الشيم . فنوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تمّ لهم وزنه سموه شعراً ؛ لأنهم شعروا به ، أي : فطنوا) (١) . ولعل مايؤيد هذا الرأي ، ويقوّيه ماذهب إليه بعض الباحثين في حديثه عن الشعر العربي الذي وصل الينا في صورته الناصعة الرائقة ، فهو يقول عن هذا الأمر :

(والمظنون أن العرب خطوْا به من المرسل الى السجع ومن السجع الى الرجز ثم تدرجوا من الرجز الى القصيد)(٢) .

ومهما كان الامر في السّبْق او التقدّم ، فان الشعر العربي قديم ، وان ماوصل إلينا منه ليس بالقليل بالقياس الى النثر حتى قيل :

(ما تكلمت به العرب من جيّد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولاضاع من الموزون عشره) (٣) .

ان الحديث عن الشعر العربي او القصائد الطوال فيه ، يتطلب الخوض في اولية هذا الشعر ، والمصطلح اللغوي للقصيدة ، والمراد بها ، والاسباب الداعية الى تطويلها ، والمفاضلة بينها وبين المقطعة ، والمشهور من الشعراء بالقصائد الطوال . وأثر النفس الشعري فيها الى غير ذلك من أمور .

جاء في التاج :

أصل ق ص ومواقعها في كلام العرب :

الاعتزامُ والتوجّه والنُّهود والنهوض نحو الشيء ... ... (و) القَصْد : مواصلة الشاعر عمل القصائد وإطالته كالإقتصاد . وأقصد الشاعر ... من القصيد ... والقصيد : من الشعر : ماتمّ شطر أبياته — أو أبنيته ، سُمّي بذلك : لكماله وصحّة وزنه .

---

(١) العمدة ١/٢٠ من الجدير بالذكر ان النثر الذي يقارن بالشعر هو النثر الفني الذي يعني به صاحبه عناية خاصة ويقصد به التأثير في النفس ، لما ينطوي عليه من مظاهر الابداع والجمال ، لاالذي يقال في شؤون الحياة الأخرى ، ينظر في الادب الجاهلي ٣٦٣ .

(٢) تاريخ الادب العربي للزيات ٢٨ .

(٣) العمدة ١/٢٠ .

(وقيل) سميّ قصيداً لانه قُصِد واعتُمِد ، وإن كان ماقَصُرَ منه واضطرب بناؤه نحو الرَّمل والرَّجز شعراً مراداً مقصوداً ، وذلك ان ماتمّ من الشعر وتوفرّ أكثرُ عندهم وأشدّ تقدّماً في أنفسهم مما قصر واختلّ ، فسموا ماطال ووفر قصيداً أي مراداً مقصوداً وإن كان الرُّمل والرجز أيضاً مرادين مقصودين ، والجمع قصائد ، وربّما قالوا : قصيدة.

وقيل : سميّ قصيداً لان قائله احتفل له فنقّحه باللفظ الجيّد والمعنى المختار ، وأصله من القصيد ... وقالوا : شعرٌ قُصِّدَ ، إذا نقّح وجُوّد ، وهذّب .

وقيل : سميّ الشعر التامّ قصيداً لان قائله جعله من باله فقصد له قصداً ولم يَحْتَسِه حَسْياً على ماخطر بباله وجرى على لسانه ، بل روّي فيه خاطره ، واجتهد في تجويده ولم يقتضبه اقتضاباً .

ويبدو أن من تكلموا على عمر الشعر أو أوليته لم يتفقوا على تحديد تاريخ موثّق له ، وانما كانت أحكامهم أو أقوالهم فيه عامة مطلقة (١) .

ويبدو أن أوّل ظهور الشعر والرجز كان على هيئة أبيات أو قطع ، وهو أمر طبيعي فيما نحسب في ابتداء كل عمل فني قبل ان ينمو ويتطور ويكتمل ، وقد اشار غير واحد من الادباء وأصحاب المصنفات الى هذا الأمر . ويظهر أن هذا الامر ليس وقفاً على الشعر العربي ، وانما هو عام في أكثر الآداب ، ولعل ماروي عن أرسطو في كتابه (الشعر) دليل على هذا .

وبعد أن بقي الشعر أو الرجز على هيئة مقطعات أو أبيات قليلة ، تقدم بهما الشعراء والرجاز خطوة واسعة فمدّوهما وقصدّوهما ، واختلف فيمن كان له فضل السبق في هذا التطويل والتقصيد .

ويرى بعض المحدثين أن ماذهب اليه الأقدمون في قدم الشعر وتقصيده باطل ، فالشعر عندهم أقدم مما زعموا ، وطويله أعمق مما توهموا ، ويرون أن السبب في هذا البطلان او الوهم هو ضياع الشعر وذهاب اوله (٢) .

ولكن مالمراد بالقصيدة ؟ وما عدد الأبيات التي تحدّها ؟

يراد بالقصيدة تلك التي تبنى على روي واحد وقافية واحدة ، ومن أجل هذا فسيبعد عنها ماكان رجزاً و مزدوجاً ، وان كان قد اطلق عليها احياناً اسم القصيدة (٣) . ذلك

(١) ينظر : ظاهرة المتقطعات في الشعر العباسي ص٣ — ٤ .

(٢) للوقوف من التفصيل في كل هذا يحسن النظر في (ظاهرة المقطعات) (٣ — ٥) .

(٣) ينظر : الوافي بالوفيات ٣٢/٨ .

لان الرجز عند الكثيرين غير الشعر ، وان الراجز غير الشاعر (١) ، كما ان المزدوجة تختلف كثيراً ــ لما فيها من الحرية الواسعة وخاصة في مجال تغيير القافية ــ عن القصيدة ذات القافية الواحدة .

يقول ابن رشيق في حديثه عن تغيير القافية الواحدة .

(وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون منها ، ولم أرَ متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها ؟ لأنها دالة على عجز الشاعر ، وقلة قوافيه وضيق عطفه ماخلاامرىء القيس في القصيدة التي نسبت إليه وما أصححها له ، وبشار بن برد ، قد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر ، وبشر بن المعتمر ، فقد أنشد الجاحظ له اول مزدوجة ، وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح ، وقصيدة في سيرة المعتضد ، ركب فيها هذا الطريق ، لما تقتضيه الألفاظ المختلفة الضرورية ، ولمراده من التوسع في الكلام ، والتلمح بأنواع السجع) (٢) .

وأما حدّ القصيدة ، أو عدد الأبيات التي تتألف منها ، فيظهر أن ليس هناك اتفاق تامّ بين المعنيين بذلك .

فالاخفش يرى أن القصيدة ماكانت من ثلاثة أبيات (٣) ، وابن جني يرى أن في العادة أن يسمّى ماكان على ثلاثة أبيات أو عشرة او خمسة عشر قطعة ، فأما مازاد على ذلك فانما تسميه العرب قصيدة (٤) .

أما ابن رشيق فيقول :

(وقيل إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ، ولهذا كان الايطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس ومن الناس من لا يعدّ القصيدة إلاّ ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد...)(٥).

---

(١) ينظر : ديوان العجاج ١٨ ، ٢٠ — ٢١ .

(٢) العمدة ١/١٨٢ ، للوقوف على ماأشار اليه ابن رشيق ينظر :
شرح ديوان امرىء القيس ١٩٦ ، والحيوان ٤/٢٣٩ ، وشعر ابن المعتز ١/٥١٨ — ٥٩١ ٢/٥٣٦ — ٥٥٩ .

(٣) من الجدير بالذكر ان محققي شروح سقط الزند ، أطلقوا اسم القصيدة على بيتين او ثلاثة او اربعة دون أن يعللوا ذلك (شروح سقط الزند : ٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ .

(٤) التاج : مادة قصد .

(٥) العمدة ١/١٨٨ — ١٨٩ .

ويبدو لنا ان ما ذكره ابن رشيق يمثّل حدّاً وسطاً بين ما ذكر في هذه المسألة . وعلماً فسنأخذ بهذا الرأي وهو أن القصيدة ما زادت أبياتها على العشرة ولو ببيت واحد .

ووقف الادباء والنقاد والشعراء أنفسهم عند المقطعات والطوال من الشعر ، وحاولوا المفاضلة بينهما وبيان أثر كل منهما في الناس والحياة ، والاسباب الداعية اليهما والموضوعات التي تحتمهما ، ويمكن اجمال ما قيل في تفضيل المقطوعات الشعرية على القصائد الطوال ، بأنها :

ادّل على الاختيار، وأكثر سيرورة من سواها، واولج في الآذان، وأعلق بالأفواه، وأوقع في الصدور، وأجول في المحافل ،وأجمع للمعاني ،وأدل على بلاغة صاحبها وايجازه وأخلى من الفضول، وأصلح في بعض المواقف؛ وانها كالقلادة التي تحيط بالعنق وكالغرة اللائحة والسمة الواضحة.

أما الطول فيمكن تلخيص ماقيل في تفضيلها، بأنها:

أقدر على الاستيعاب والشرح والافهام في المواضع المهمة، وأدّل على الشاعرية، والقدرة على القول، وان صاحبها أهيب في النفوس، لما يتمتع به في الطاقة الواسعة ،والجدارة الحقة (١)، بل هي في رأينا أفضل من سواها في افساح المجال للشاعر ليطور ويجدّد ويبدع في فنون الشعر كافة.

تقدم أن الشعر بدأ على هيئة أبيات، ثم ارتأى الشعراء أن يطيلوا هذه الابيات ويمددها حتى تحولت الى قصائد.

ويلاحظ ان هذه القصائد كانت على نوعين: فمنها ماكان على هيئة قصائد قصاروأخرى على شكل قصائد طوال، غير ان رشيق أشار الى مايمكن أن يسمى بالقصائد الوسط ، وان لم يذكر عدد الابيات التي تحدّد هذا النوع من القصائد .قال:
(وكان ابن الرومي يقصّد فيجيد ،ويطيل فيأتي بكل إحسان، وربما تجاوز حتى يسرف وخير الامور أوساطها) (٢).

ولكن ماالمراد بالقصائد القصار؟ او بمعنى آخر ماعدد أبيات أمثال هذه القصائد؟ الحقّ انه ليس هناك إشارة واضحة الى المراد بالقصار من القصائد. فالجاحظ اشار في حديثه عن قصائد الفرزدق بقوله:

---

(١) ينظر ظاهرة المقطعات ص٦ — ٧ .
(٢) العمدة ١/١٨٩ .

(وان احببت ان تروي من قصار القصائد شعراً لم يسمع بمثله، فالتمس ذلك في قصار قصائد الفرزدق؛ فانك لم ترَ شاعراً قطُ يجمع التجويد في القصار والطوال غيره) (١).

وذكر أبو هلال أنه قيل للفرزدق:

(ماصيّرك الى القصائد القصار بعد الطوال؟ فقال: لأني رأيتها في الصدور أوقع، وفي المحافل أجول) (٢). وحين نتصفح ديوان الفرزدق نجده يشتمل على مائة وأربع وثمانين قصيدة، تتوزع بحسب عداد أبياتها على النحو الآتي:

عدد الأبيات	عدد القصائد
من ١١ – ٢٠ بيتاً	٨٠
٢١ – ٣٠	٤٢
٣١ – ٤٠	٣٠
٤١ – ٥٠	١٨
عدد الابيات	عدد القصائد
٥١ – ٦٠	٦
٦١ – ٧٠	٢
٧١ – ٨٠	١
٨١ – ٩٠	١
٩١ – ١١٠	١
١١١ – ١٢٠	١
١٢١ – ١٣٠	١
١٥١ – ١٦٠	١

فاذا افترضنا ان المقصود بالقصائد القصار ماكان يتألف من ثلاثين بيتاً فما دون، فما قيل عن اشتهار الفرزدق بكثرة القصائد القصار لايبعد كثيراً عن الحقيقة، لان الجدول السابق يبين أن عدد قصاره بحسب الافتراض يفوق عدد طواله، اذ هناك اثنتان وعشرون ومائة قصيدة تقع في ثلاثين بيتاً فما دون.

---

(١) الحيوان ٣/٩٨ – ٩٩ .

(٢) الصناعتين ١٧٩ – ١٨٠ .

صحّ هذا فالمراد اذن بالقصائد القصار تلك التي لاتتعدى أبياتها ثلاثين بيتاً، ونستطيع عند واذا ذلك ان ننطلق في بحثنا هذا لنقرر بعض الحقائق فيما يخص هذه القصائد القصار او الطوال لدى شعرائنا عبر العصور الادبية المختلفة .

ولعل مايقوي الرأى في ان المقصود بالقصائد القصار ماكان يتألف منها من ثلاثين بيتاً: الخبر الذي رواه الاصمعي عن مدّ المقطعات الى القصيد، والذي يقول فيه: (ان أدّل من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر مهلهل، ثم ذؤيب بن كعب.» (١).

ومعلوم ان هذا العدد يعدّ كبيراً بالقياس الى عدد أبيات المقطعة الذي لايتجاوز العشرة كما تقدم. وانه صغير بالقياس الى ماوصل اليه عدد أبيات القصائد بعد ذلك لدى الكثيرين من الشعراء ،واذا اصح فان هذا ماتجاوز الثلاثين بيتاً من القصائد يمكن ان يكون من الطوال كما ذكرنا.

والجدير بالذكر ان بعضهم نعت القصيدة الطويلة — وان لم يحدد عدد أبياتها — بالكبيرة، فقد روى: (أن الوليد بن يزيد قال لحماد الراوية :بم استحققت هذا اللقب، فقيل لك الراوية؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه، يأمير المؤمنين او سمعت به، ثم أروي لاكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لاأنشد شعراً قديماً ولا محدثاً الاّ ميزّت القديم منه من الحديث.

فقال ان هذا العلم دأبيك كثير! فكم مقدار ماتحفظ من الشعر؟ قال:

كثيراً . ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام....» (٢)..

انّ عدداً من الشعراء عرف بالقصائد القصار، كما عرف عدد آخر بالطوال، فقد روى انه قيل للنابغة :

(ألا تطيل القصائد كما أطال صاحبك ابن حجر؟ فقال: من انتحل أنتقر) وقالت بنت الحطيئة لأبيها: مابال قصارك أكثر من طوالك ،فقال : لأنها في الآذان اولج، وبالأفواه أعلق) . (وقيل للكميت: ان الناس يزعمون أنك لاتقدر على القصار، قال: من قال الطوال فهو على القصار أقدر) (٣) .

---

(١) الصناعتين ١٧٩ — ١٨٠ .

(٢) الاغاني ٦//٧ .

(٣) الحيوان ٣/٩٨ — ٩٩ وينظر : عيون الأخبار ٢/١٨٤ .

ولعل مايؤيد صحة هذه الأقوال الاحصاء والذي قمنا به للوقوف على عدد القصار والطوال من خلال دواوين هؤلاء الشعراء وسواهم، والذي يبينه الجدول الآتي :

الشاعر	عدد الابيات	عدد القصائد
١ – أمرؤ القيس	٣٧	١
	٤١	١
	٥٥	١
	٥٩	١
	٦١	١
	٦٦	١
	٩٢	١
	٢٥ فما دون	٢١
٢ – زهيـــر	٣٤	١
	٤٠	٢
	٤٤	١
	٤٥	١
	٤٨	١
	٥٩	المعلقة
	٢٧ فما دون	٢٣
٣ – النابغـــة	٣١	١
	٣٢	١
	٣٤	١
	٣٥	٢
	٣٦	١
	٣٩	٢
	٤٣	١
	٥٠	١
	٢٩ فما دون	١٥

الشاعر	عدد الابيات	عدد القصائد
٤ـ الحطيئة	٣٧	١
	٤٤	١
	٤٩	١
	٢٩ فما دون	٢٥
٥ـ الكميت	١٣	٢
	١٧	١
	٢٠	٢
	٣٣	١
	٤٨	١
	١٠٣	١
	١١١	١
	١٣٣	١
	١٤٠	١
	٢٨٣	١



٦ — الفرزدق : مرّ احصاء قصائده

ويظهر لنا من إحصاء أعداد أبيات القصائد الطوال لدى كبار الشعراء من العصور الادبية المختلفة ، انهم قلّما تجاوزوا في ابياتها المائة وان بعض من عرف بالتطويل كان يتجاوز الاربعين باعداد قليلة ، بل رأينا أن جملة من كبار شعراء العصر العباسي ، كأبي تمام والبحتري وابن المعتز والمتنبي وسواهم ، قلّما تجاوزوا بقصائدهم الخمسين بيتاً ، وكأني بهم قد وجدوا أن القصيدة الطويلة لديهم هي تلك التي تستطيع تأدية الغرض المراد بهذا القدر من الأبيات . وفيما يأتي جدول يبين اعداد القصائد واعداد أبياتها لدى عدد من كبار الشعراء:

الشاعر	عدد الابيات	عدد القصائد	أطول قصيدة
١ ــ كعب بن زهير	٣٧	١	٥٦ رائية
	٤٣	١	
	٥٣ ــ ٥٦	٣	
٢ ــ ذو الرمة	٣٣ ــ ٣٩	٤	
	٤١ ــ ٥٠	٨	
	٥١ ــ ٦٠	١٠	
	٦١ ــ ٧٠	٦٠	
	٧١ ــ ٨٠	٤	
	٨١ ــ ٩٠	٥	
	٩٣ ــ ١٠٠	٢٠	
	١٣١	١	١٣١ بائية
٣ ــ الأخطل	٣٠ ــ ٤٠	١٢	
	٤١ ــ ٥٠	٨	
	٥١ ــ ٦٠	٦	
	٧٠	١	
	٨٢	١	٨٢ رائية
٤ ــ جرير	٣٠ ــ ٤٠	٢٠	
	٤١ ــ ٥٠	١٦	
	٥١ ــ ٦٠	١٣	
	٦١ ــ ٧٠	٤	
	٧١ ــ ٨٠	٥	
	٨١ ــ ٩٠	٢	
	١١٦	١	
	١٢٣	١	١٢٣ عينية
٥ ــ بشار	٣٠ ــ ٤٠	٢٧	
	٤١ ــ ٥٠	١٠	

الشاعر	عدد الابيات	عدد القصائد	أطول قصيدة
– بشار	٥١ — ٦٠	٨	
	٦١ — ٧٠	٤	
	٧١ — ٨٠	٨	
	٨٥ — ٨٧	٢	
	٩٥	١	
	١٢١	١	١٢١ دالية
٦ — أبو نؤاس	٣٢ — ٤٠	١٠	
	٨٨	١	٨٨ ميمية
٧ — مسلم بن الوليد	٣٠ — ٤٠	١٣	
	٤٢	٢	
	٥٤	١	
	٦٣	١	
	٧٥	١	
	٧٩	١	
	٨٣	١	
	٩١	١	
	١٠٠	١	١٠٠ دالية
٨ — أبو تمام	٣٠ — ٤٠	٣٧	
	٤١ — ٥٠	٢٢	
	٥١ — ٦٠	١٩	
	٦١ — ٧٠	٣	
	٧١ — ٨٠	٢	
	٨١	١	
	٨٨	١	٨٨ لامية
٩ — البحتري	٣٠ — ٤٠	١٣٧	
	٤١ — ٥٠	٥٧	

الشاعر البحتري	عدد الابيات	عدد القصائد	أطول قصيدة
— البحتري	٥١ — ٦٠	١٢	
	٧٠	١	
	٨٠	١	
	٨١ — ٨٩	٢	٨٩ دالية
١٠ — ابن الرومي	٣٠ — ٤٠	٣٩	
	٤١ — ٥٠	٢١	
	٥١ — ٦٠	١٣	
	٦١ — ٧٠	١١	
	٧١ — ٨٠	٩	
	٨١ — ٩٠	٩	
	٩١ — ١٠٠	٩	
	١٠٥ — ١١٠	٤	
	١١١ — ١١٩	٤	
	١٢٩	١	
	١٣١ — ١٤٠	٣	
	١٤٢ — ١٤٩	٣	
	١٥٢ — ١٥٥	٦	
	١٦١ — ١٧٠	٣	
	١٧٥	١	
	٢١٦	١	
	٢٨٢	١	
	٣٠٣	١	
	٣٣٧	١	٣٣٧ لامية
١١ — إبن المعتز	٣٠ — ٤٠	٤٤	

الشاعر	عدد الابيات	عدد القصائد	اطول قصيدة
	٤١ — ٥٠	١١	
	٥٢	١	٥٢ رائية
١٢ — السرى الرفاء			
	٣٠ — ٤٠	٦٤	
	٤١ — ٥٠	٢٧	
	٥١ — ٦٠	١٢	
	٦٤	١	
	٧٨	١	٧٨ بائية
١٣ — المتنبي			
	٣٠ — ٤٠	٣٤	
	٤١ — ٤٩	٣٧	
	٥٢ — ٥٥	٢	
	٦٦	٢	رائية ولامية
١٤ — ابو العلاء المعري	٣٠ — ٤٠	١٤	
	٤١ — ٥٠	٥	
	٥١ — ٦٠	١٠	
	٦١ — ٦٤	٥	
	٧٥	١	
	٨١	١	٨١ لامية
١٥ — الشريف الرضي	٣١ — ٤٠	٥٢	
	٤١ — ٥٠	٥٤	
	٥١ — ٦٠	٥٦	
	٦١ — ٧٠	٣١	
	٨١ — ٩٠	٨	

الشريف الرضي	٩٢	١	
	١١٢	١	
	١١٨	١	١١٨ رائية ؛
١٦ ـــ ابن الفارض			
	٣٥ ـــ ٣٧	٢	
	٤١ ـــ ٥١	٥	
	٦٠ ـــ ٦٢	٣	
	١٠٣	١	
	١٥١	١	
	٧٣٧	١	٧٣٧ تائية

ويظهر أن هناك أسباباً وموضوعات أو أغراضاً خاصة تتحكم في طول القصيدة ، أو تحتم على الشاعر ان يطيل ويمد في القصيدة ،فمن الاسباب:

الطبيعة التي يفطر عليها الشاعر والمقدرة التي يزود بها ، وهذه القدرة الخاصة ليست وقفاً على الشاعر وحده وانما الناس عامة مزودون بها على اختلاف منازعهم ، وأصناف علومهم وفنونهم وصناعاتهم ، ومن ثَمّ كان الاختلاف بينهم ، والتباين في فنونهم ونتاجاتهم .

وتتقدم ان بعض الشعراء لم يكن بمقدوره أن يمدّ شعره أكثر من أبيات قليلة ، وأن آخرين كانوا على العكس من ذلك ، لم يكن بوسعهم أن يقصّروا شعرهم وحين لاموا بعضهم على التقصير والتطويل ، أجابوا بأنهم قادرون على مايراد فهم لو أرادوا ولكنهم لايفعلون ذلك لأسباب خاصة بهم .

ان ماتذرع به الشعراء من القدرة على التقصير او التطويل لو شاءوا لم يكن على مايظهر موافقاً للحقيقة ، وقد لحظ الجاحظ هذا منذ القديم فقال معلقاً على ماتذرع به الشعراء المسؤولون :

(وهذه الحجج الذي ذكروها.. انما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم وهذا منهم جهل إن كانت هذه الأخبار صادقة، وقد.يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام، وتكون له طبيعة في التجارة وليست له طبيعة في الفلاحة، وتكون له طبيعة

في الحداء او التعبير، اوفي القراءة بالالحان وليست له طبيعة في الغناء.. ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر ،ومثل هذا كثير جداً) (١) .

ان هذه القدرة الخاصة قد تختلف عند الشاعر نفسه ، فهو قد يحسن القريض ولا يجيد الرجز، وقد يجيد الرجز ولا يحسن القريض، وهو قد يعانيهما معاً فيجيدهما(٢) بل نجد بعض الشعراء من يحسن فناً من الشعر أو أكثر وقد لايحسن فناً آخر منه أو أكثر وهو أمر واضح لدى الكثيرين من الشعراء، وعلى هذا فحجج من ادعى بقدرته على التقصير او التطويل لو شاء مدحوضة ومرفوضة. قال ابن رشيق:

(ولا تكاد ترى مقطعاً الا عاجزاً عن التطويل ، والمقصد أيضاً قد يعجز عن الاختصار وكان عبد الكريم (أحد الشعراء في عصر ابن رشيق) بهذه الصفة، لايكاد يصنع مقطوعاً ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع ونحوها.

وكان ابو تمام على جلالته وتقدمه مقصراً في القطع عن رتبة القصائد..»(٣).

ان ملاحظة ابن رشيق هذه تعني أن بعض الشعراء كان معروفاً — بحكم مارزقه من موهبة وطاقة خاصة — بالقصائد الطوال ، وانه لو حاول معالجة نظم القصار لتخلف وقصر، لانه يكون في هذه الحال — قد جانف حقيقة ماعرف به ، وخرج على ماخطر عليه من طبيعة وقدرة. ومن الجدير بالذكر ان لأبي تمام مقطوعات كثيرة تفوق مأثر له من قصائد ، ولكنه لم يستطع ان يبرع في هذه المقطوعات التي تختص بسمات معينة براعته في القصائد.

إنّ ماتقدم يمكن أن يعبر عنه أيضاً بما يسمى بالنفس الشعري، فبعضهم يقدر أن يطيل القصيد، ويبقى محافظاً مع ذلك على مستوى عال من الجودة والبراعة، فلا يضعف ولا يتكلف، وقد عرف الفرزدق بالحفاظ على الجودة والبراعة في الطول كما كان معروفاً بذلك في القصار .

غير أن الشاعر مهما كان قديراً ومتمكناً من الشعر، فانه إذا جاوز الحد وأكثر في ذلك — فلا يمكنه أن يكون بمنجى عن الاسراف الذي يسلمه الى التعسف والتكلف في معاني الشعر ومبانيه وقوافيه.

---

(١) البيان والتبيين ١/٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) نفسه ٤/٨٤ .

(٣) العمدة ١/١٨٨ .

ويظهر ان اكثر مايكون التطويل في اشعار المولدين او المحدثين، وانهم حين يسترسلون في مد قريضهم تنحل قواهم ، ويضطرب كلامهم، قال الجاحظ:

(ونقول: ان الفرق بين المولد والأعرابي: أن المولد يقول بنشاطه و جمع باله الأبيات اللاحقة بأشعار أهل البدو، فأذا أمعن انحلت قوته واضطرب كلامه) (١).

ولعل اكثر الشعراء المولدين مقدرة على التطويل ابن الرومي، فقد أثرت له قصائد أربت على مائتي البيت، بل وصل بعضها الى سبعة وثلاثين وثلاثمائه بيت وهي ذات قافية واحدة وروى واحد،ومع اقتدار الشاعر هذا وضخامة طاقته الشعرية، وتمكنه من اللغة ، فقد لحظ فيه بعض النقاد هذا النوع من التطويل، وأخذ عليه انه كان مسرفاً في هذا، قال ابن رشيق:

(وكان ابن الرومي يقصد فيجيد، ويطيل فيأتي بكل احسان ، وربما تجاوز حتى يسرف وخير الأمور اوساطها) (٢) .

وقد درست بعض قصائده الطوال فوجدت الشاعر يتكيء في قوافيه أحياناً كثيرة — حين تلجئه الضرورة، او ندرة القافية الملائمة على المفعول المطلق الذي يأتي به من كلمة في البيت او الى اشتقاق القافية من كلمة ترد في سياق البيت(٣).

كما لحظت في مطولتين لابن الفارض أحدهما يائيه، والأخرى تائية، ان الشاعر استعمل الفاظاً معينة ذات دلالات ومعان مختلفة لتكون قوافي لقصيدتيه، فلفظة (رى) التي جاءت في اربع قواف، و (زى) التي وردت في ست منها، ومثلها لفظة (كي)، كما ردد لفظة (حى) في سبع قواف ،ولفظة (طي) في عشر . كما لحظت انه كرر القافية في التائية في عشرة مواضع، ولحظت في بعض قوافيه شيئاً من التكلف والتعسف وخاصة في الأكثار من الأسماء الغريبة والمعقدة،لالشيء الا من اجل الاتكاء عليها او الاستعانة بها في اقامة القافية

ولاشك في ان هذا الامر والاكثار منه دليل على الاضطرار الذي يدفع اليه الاسراف والتكلف والخروج على المألوف المتعارف عليه في عدد أبيات القصيدة .

(١) الحيوان ١٣٢/٣ .

(٢) العمدة ١٨٨/١ وينظر: تاريخ الأدب العربي للزيات ط٢٥ ص٢٧٨ .

(٣) اعتمد ابن الرومي على المفعول المطلق في (١٨) ثمانية عشر موضعاً في قصيدة تتألف من (١٥٥) بيتاً . كما اعتمد على اشتقاق القافية من كلمة في البيت في قصيدة تتألف من (٢٠٣) ابيات في (٣١) واحد وثلاثين موضعاً ، كما اعتمد على المفعول المطلق في قصيدة عدتها (٣٣٧) بيتاً في (١٣)ثلاثة عشر موضعاً،وفي اشتقاق القافية من كلمة في البيت في(٢٨)ثمانية وعشرين موضعاً.

ولعل من الأسباب التطويل لدى الشعراء الحرافة والممارسة الطويلة للنظم، ومعلوم ان عمل الشعراء وصناعته لايختلف في طبيعته عن اى عمل او صناعة أخرى فهو يبدأ على هيئة مقطعات او أبيات قليلة، ثم مالبث الشعراء بعد مرانهم عليه وإكثارهم منه أن مدوا هذه المقطعات او الابيات الى قصائد طوال بالقياس الى مابدأوا به.

ومما يعزز هذا ان أغلب مأثره للشعراء في أوائل تعاطيهم هذه الصناعة كان على هيئة مقطعات أو ابيات أو قصائد قصار ، وقد تجمعت لدينا نماذج من أوائل أشعار الشعراء كانت صفة القصر تغلب عليها (١). وهذا شيء طبيعي فيما نحسب ،فان الدربة المستمرة والمران الطويل يساعدان كثيراً على نمو الشاعرية وتطويرها واكتمالها . ولاشك أيضاً في ان لثقافة الشاعر وتضلعه من اللغة واستظهاره للنماذج الكثيرة الجيدة من الأشعار أثراً كبيراً في إنماء مخيلته ، وإمداده في وقت حاجته بما ينثال عليه من خزين تلك الثروة الثرّة في بناء قصيدة وتطويله .

ومما يساعد أيضاً على التطويل والتقصير القافية نفسها ، ومعلوم أن هناك أنواعاً من القافية، منها السهل ، ومنها الصعب ،وقد قسمها أبو العلاء المعري الى ثلاثة انواع قال :
(تنقسم (اي القافية) ثلاثة اقسام : الذلل ، والنّفرّ والحوش ، فالذلل ماكثر على الألسن وهي عليه في القديم والحديث ، والنفرّ : ماهو أقل استعمالا من غيره كالجيم والزاي ونحو ذلك ، والحوش : اللواتي تهجرت فلاتستعمل) (٢).

ولاشك في ان الشاعر يلجأ الى القوافي السهلة اذا ما أراد التطويل ، لوفرتها من جهة ، وخفتها من جهة أخرى . وظهر لنا أن اكثر ماوصل الينا من القصائد الطوال كان على القوافي السهلة او الذلل : كالباء والتاء والراء واللام والميم وسواها .

أما الموضوعات التي تختص بالتطويل او التي تفرض على الشاعر أن يطيل فقد أشار اليها القدامى في معرض النصوص التي رويت عنهم . من ذلك قول أحدهم وقد سئل : هل كانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم ليسمع منها . وقول آخر : يطول الكلام ويكثر ليفهم ... وتستحبّ الإطالة عند الإعذار والإنذار والترهيب والترغيب ، والإصلاح بين القبائل ، كما فعل زهير ، والحارث بن حلزة ومن شاكلهما ... والطوال للمواقف

---

(١) ينظر : ديوان امرىء القيس ٧٩ — ٨٠ ، ١٤٠ ، وبدائع البداءة ١٨ ، والشعر والشعراء ٢٥١/١ — ٢٥٢ ، وديوان عنترة ٦ ، ٩٣ ، ١٢٤ ، وديوان كعب صرف — ص والبيان والتبيين ٢٢٤/١ ، ونور القبس ١٩١ .

(٢) اللزوميات ٣٠/١ .

المشهورة) (١). وقول الشاعر وقد سئل عن سبب تطويله الهجاء (ان الجماح يمنع الأذى) (٢)

وواضح ان الموضوعات المتقدمة تحتم على الشاعر أن يستطرد في شعره ويحدّ في حججه، ويكثر من إيراد النصائح ، ويطنب في تجسيم الأهوال ، بما ينفسح أمامه من مجال القول ، ويتسع من أفانين الحديث من لا يمكن أن يؤديه ، ويقوم به الا الطوال من القصيد .. ومن أجل هذا كان المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز (٣) وهذا يعني ان الشاعر يجد في القصيدة متسعاً من الحرية للتطوير والوصول بالشعر إلى أعلى المراتب الفنية ، فهي أي القصيدة من هذه الناحية أفضل من المقطوعة ، لان الشاعر المطول ، كما يقول ابن رشيق — (إنشاء جرد من قصيدته قطعة أبيات جيدة ، ولا يقدر الآخر أن يمدّ من أبياته التي هي قطعةٌ قصيدةً) (٤) .

ان ما وصل الينا من القصائد الطوال ذات القافية الواحدة والروي الواحد عبر العصور الأدبية ليس قليلاً . إذا ما أخذنا بالمصطلح الذي أطلقناه على القصيدة الطويلة ، وهو ما زاد على ثلاثين بيتاً . فقد بلغت أبيات معلقتي طرفة بن العبد ، وعمرو بن كلثوم ثلاثة أبيات ومائة بيت (٥) ، كما بلغت إحدى قصائد الفرزدق مائة وستين بيتاً .

وفي العصر العباسي كثرت الطوال القصائد وزادت أبياتها وامتدت بامتداد نفس الشعراء ، ومما تجدر ملاحظته أن بعض هذه القصائد الطوال لم يصل الينا منها سوى خبر ، وبعضاً آخر وصل الينا منه نموذج صغير ، في حين ان بعضاً ثالثاً وصل نصه الينا كاملاً . فقد بلغت أبيات بعض قصائد ابن الرومي (٣٣٧) سبعة وثلاثين وثلاثمائة بيت ، كقصيدته التي اولها:

كلّ دمعٍ هُريقَ في الأطلال ‏ ‏ ‏ بعد إقوائها من الحُلاّلِ (٦)

كما أربى بعض القصائد على أربعمائة بيت كقصيدة السوسي التي وصف فيها حاله وتنقله في الاديان والمذاهب والصناعات ، واولها :

الحمد لله ليس لي بخت ‏ ‏ ‏ ولا ثياب يضمّها تخت (٧)

(١) العمدة ١/١٨٦ .

(٢) الحيوان ٣/٩٨ – ٩٩، وينظر : عيون الأخبار ٢/١٨٢ .

(٣) العمدة ١/١٨٦ .

(٤) نفسه ١/١٨٧ .

(٥) شرح المعلقات السبع .

(٦) ديوان ٥/٢٠٥٤ .

(٧) يتيمة الدهر ٣/٤٢٧، وصل الينا منها (١٦) ستة عشر بيتاً .

وقارب بعضها ستمائة بيت كقصيدة دعبل التي ردّ على الكميت فيها فخره ، وأولها:

أفيقـــي مــن مــلامـك يـا ظعينـا   كفـاك اللـوم مــرُّ الأربعينـــا (١)

وبلغت تائية ابن الفارض الكبرى المسماة بنظم السلوك (٧٣٧) سبعة وثلاثين وسبعمائة بيت ، واولها :

سقتنـي حُميّــا الحـب راحـةُ مقلتي   وكأسي حُميّا من عن الحسن جلت (٢)

ووصل بعض آخر منها إلى أربعة آلاف بيت كالقصيدة النونية المنسوبة إلى الناشيء التي ذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل (١) . كما قيل ان أخرى وصلت أبياتها إلى أحد عشر الف بيت وهي المنسوبة إلى علي بن عبدالجبار الهذلي التدنسي (١) وهاتان القصيدتان لم يصل الينا منها بيت واحد .

ومعنى هذا ان الشاعر العربي كان بمقدوره لو أراد ان يكون من أصحاب الملاحم الطويلة .

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٧٨، والجدير بالذكر انه لم يبق من هذه القصيدة سوى (٢٥) بيتاً . ينظر : شعر دعبل (١٩٣ - ١٩٧)

(٢) ديوان ابن الفارض ص ٤٦ .

ومن الجدير بالذكر ان ابا الفرج يشير الى قصيدة كانت تسمى بقصيدة الملاحم منسوبة الى رجل مجهول ، واذا صح هذا فمعنى ذلك ان الشاعر العربي قد جرب هذا الفن وخاض فيه حتى عرف به . قال :

(ثلاثة لم يكونوا قطُّ ولاعرفوا : ابن أبي العَقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرّية ، ومجنون بني عامر) (٢) .

لقد نحينا جانبا المزدوجات الشعرية — كما تقدم — لانها لم تبنَ على قافية واحدة وروى واحد ، ولان الشاعر يتمتع فيها بحرية واسعة وخاصة في مجال القافية ، التي لها الاثر الكبير في تقييد الشاعر وتحديد حريته ، ولكن يجدر بنا أن نذكر ان هذه المزدوجات كثرت في العصر العباسي ومابعده ، فتناولت نظم العلوم والمعارف المختلفة ، وتفاوت عدد ابياتها بتفاوت الموضوعات التي عالجتها وطبيعة الشاعر ، وبلغت أبيات بعضها الآلاف ، غير ان أطول ماوصل منها كان قصيدة الأسواني التي قيل عنها : (لايعلم في الوجود اطول منها وقد سئل قبل موته بسنتين ، كم بلغت قصيدتك الى الآن ، فقال . ثلاثين ومائة الف بيت ، وقد بقي الطب والفلسفة ، لانه نظم فيها أخبار العالم وقصص الأنبياء) (١) .

وأكبر الظن انها كانت مزدوجة ، وليست ذات قافية واحدة فهي تندرج اذن في عداد الشعر المزدوج .

وبعد :

فيتضح مما تقدم أن الشاعر العربي كان يعدّ نفسه إعداداً تاماً حين يتهيأ للشعر فيجتبي الالفاظ المناسبة ويستحضر القوافي الملائمة ، وربما كان يختار الوزن الموافق ، ولم يكن بعيداً عن رسم الهيكل العام لقصيدته وماينبغي ان تشتمل عليه من معان وعدد أبيات ، كل ذلك وفق الفن او الغرض الخاص الذي يطرقه ويقول فيه .

---

(١) الوافي بالوفيات ٢/٣٩/٤٠، والاعلام ٦/٢٠٠، توفي الشاعر سنة ٣٣٥هـ .

المصادر والمراجع

- ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان لمحمد عبد المنعم خفاجي ، دار العهد الجديد للطباعة ط(٢) ١٩٥٨ .
- الاعلام للزركلي ط (٢) بيروت ١٩٤٢ .
- الاغاني لابي الفرج الاصفهاني مصور طبعة دار الكتب .
- الاوراق - اشعار اولاد الخلفاء للصولي ط(٢) بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ط(٤) القاهرة .
- تاج العروس للزبيدي طبعة الكويت .
- تاريخ الادب العربي للزيات القاهرة ط(٢٥) .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتاب العربي - بيروت .
- الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة .
- ديوان ابن الرومي - تحقيق د/ حسين نصار ، القاهرة .
- ديوان ابن الفارض دار صادر بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .
- ديوان ابن تمام تحقيق د. محمد عبده عزام دار المعارف ، بمصر .
- ديوان أبي نواس تحقيق الغزالي ، بيروت ، لبنان .
- ديوان الأخطل ، بيروت .
- ديوان البحتري تحقيق الصيرفي ، مصر ١٩٦٣ .
- ديوان بشار تحقيق ابن عاشور القاهرة ١٣٦٩ - ١٩٥٠ .
- ديوان جرير ، تحقيق الصاوي
- ديوان شعر ذي الرمة تحقيق مكارتني اوفست .
- ديوان السرى الرفاء تحقيق د/ حبيب الحسني ، بغداد .
- ديوان الشريف الرضي/ بيروت اوفست .
- ديوان العجاج / تحقيق د/ عزة حسن بيروت .
- ديوان عنترة .

مكتبتنا العربية

- ديوان الفرزدق .
- ديوان كعب بن زهير / دار الكتب — القاهرة ١٣٦٩هـ — ١٩٥٠م
- ديوان المتنبي /تحقيق البرقوني — بيروت.
- ديوان مسلم بن الوليد / تحقيق د. سامي الدهان — القاهرة .
- ديوان النابغة / تحقيق علي ملكي ، بيروت .
- شرح ديوان امرىء القيس للسندوبي ط(٣) ١٣٧٣هـ — ١٩٥٣م ، القاهرة .
- شرح المعلقات السبع للزوزني ، القاهرة ، مطبعة حجازي .
- شروح سقط الزند تحقيق مصطفى الستار وجماعة ، القاهرة .
- شعر ابن المعتز د/ يونس احمد السامرائي ، بغداد ١٩٧٨ .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق احمد محمد شاكر ١٣٨٦هـ — ١٩٦٦م القاهرة .
- الصناعتين لابي هلال العسكري ، القاهرة ١٩٧١ .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام دار المعارف بمصر .
- العمدة لابن رشيق تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط(٢) ١٣٨٣ — ١٩٦٣ مصر .
- عيون الأخبار لابن قتيبة مصور طبعة دار الكتب .
- فن الشعر لارسطو طاليس تحقيق د/ شكري عياد القاهرة ، ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م .
- في التراث العربي بغداد ١٩٧٥ .
- اللزوميات للمعري تحقيق أمين الخانجي بيروت .
- مجلة آداب المستنصرية العدد الثامن ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م .
- مروج الذهب للمسعودي ، بيروت ١٣٨٥هـ — ١٩٦٦م .
- معجم الادباء لياقوت الحموي طبعة رفاعي — القاهرة .
- معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق عبد الستار فراج ١٣٧٩هـ — ١٩٦٠م .
- نور القبس لليغموري ، تحقيق زلهايم ١٩٤٤ — ١٣٨٤ .
- الوافي بالوفيات ، للصفدي ، بيروت .
- يتيمة الدهر للثعالبي تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط(٢) القاهرة ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م

العلوم الاجتماعية




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تقنين مقياس التفضيل الشخصي على طلبة المرحلة الجامعية في بغداد

الدكتور ابراهيم الكناني
كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

سهام سعيد نعوم
كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

أهمية البحث :

ليس من شك في أن الاهتمام بدراسة الشباب إنما هو تعبير عن الاهتمام بالانسان والمجتمع المنجز. فهم ثروة الامة ولهم دور أساسي في بنائها. فبقدر مايكون عليه شباب الأمة من كفاءة وعلم وخلق يكون تطور الامة ورقيها. ففي طور الشباب تتبلور عناصر الشخصية بشكل واضح ،ويكون اسهام كل عنصر فيها في الانجاز، سواء على المستوى الفردي او الجماعي، أكثر قيمة وخطورة . إن هذا يستدعي حسن التخطيط لحياة الشباب ومستقبلهم ، ففيهم طاقات كبيرة يحسن العناية بها والحفاظ عليها وتوظيفها .

والشباب الجامعي شريحة مختارة من هذا الشباب، ذلك لان ماتكتسبه هذه الشريحة من معارف وسلوك يكون عاملا اساسياً في احداث عملية النهوض التي ينشدها المجتمع في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والتربوية فبمقدار مايحصل من تكامل بين مايتلقاه الشباب من معارف ومايبنيه من عناصر الشخصية تكون المخرجات فاعلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والسياسية .

إن الشباب الجامعي يكتسب أهميته من الدور الهام الذي تضطلع به الجامعة عموماً . فهي تتحمل مسؤولية اعداد الكوادر المتخصصة في المجالات المختلفة التي تسهم في تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وبعبارة أخرى، إعداد العلماء والمفكرين والمدرسين والخبراء المختصين من أبناء الوطن لملء الاطارات التربوية والفنية والاقتصادية والعلمية (نشير في هذا الصدد، وعلى سبيل المثال الى مقررات مؤتمر رؤساء الجامعات العربية الذي عقد ببغداد عام ١٩٦٨ . وأهداف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في العراق) .

يضاف الى ذلك أن الجامعة تتحمل مسؤولية الاعداد الثقافي ، بما فيها اعداد شباب يتميز بمستويات عالية من التهذيب الشخصي ويمتاكون مستوى رفيعاً من المسؤولية الاجتماعية ، ولديهم فكرة عن ثقافة العصر، وتقييم للحضارة البشرية. وبعبارة أخرى فان من أهداف الجامعة الاساسية بناء فكر الانسان وتحقيق قيمه او على رأس هذه القيم، الصدق والمحبة والعدالة والحرية والحقيقة . (٢،ص ٥ — ٦) (١٢،ص ٧ — ٨) .

ولكي تقوم الجامعة بتحقيق هذه الاهداف العريضة التي أسندت اليها لابد أن تركز جهودها على الطالب الذي يعتبر في الواقع ، من أهم محاور أهتمامها، فهي مطالبة بالاهتمام بالجوانب العملية من حياته ، فيما يتعلق بتكوين العادات والمهارات ، وبالجوانب الوجدانية فيما يتعلق بالتهذيب الخلقي والقيمي ، والصحة النفسية ، وبالجوانب المعرفية ، فيما يتعلق بالاخذ بالتفكير العلمي واكتساب المعرفة وصولاً إلى تكوين الشخصية المنجزة في حقول العلم والمعرفة . إن هذه النواحي الثلاث ليست وحدات تعليمية تحققها الجامعة بصورة مستقلة بعضها عن البعض الآخر ، بل هي أوجه متعاضدة لعملية تربوية موحدة منسجمة ، يؤدي تحقيقها إلى تحقيق أهداف التعليم العالي عموماً .

على أن الواقع ، في كثير من البلدان ، يشير إلى أن الجامعة عموماً قد أولت الناحية

المعرفية من حياة الطالب أهتماماً كبيراً ، ووظفت من أجل ذلك كثيراً من طاقاتها ، ممثلة بالمناهج والكتب والكادر التدريسي والاداري والوسائل التعليمية والخدمات المختلفة . وتسعى الجامعة من وراء تحقيق هذه الوظيفة ، الى التأثير في شخصية الطالب ومبادئه ومثله وطريقة تفكيره ودوافعه .

على أن هذا الاهتمام بالجانب المعرفي لايلغي ضرورة إيلاء الاهتمام الكافي للجانب الوجداني من حياة الطالب في البرامج الجامعية . إذ مما لاشك فيه أن الشخصية المنجزة والمتحدية وغير المتكلة والمبادرة والمنظمة والمعتدلة القلق والمتكيفة لمتطلبات الحياة ، لها تأثير كبير في الجانب المعرفي من حياة الطالب . فالطالب الذي يمتلك الكثير من المعارف ولكنه لايمتلك الولاء للانسانية فانه قد يستعمل معارفه ضد الأنسانية بدلا من خدمتها . على هذا الاساس فان دراسة المجال الوجداني لايقل أهمية عن دراسة المجال المعرفي من حياة الطالب .

إن عناصر المجال الوجداني متعددة وتأثيرها في سلوك الطالب متباين وعلى الرغم من اختلاف الباحثين فيما توصلوا اليه في هذا المجال ، فهناك اتفاق في أن الدافعية ، تحتل مكان الصدارة بين عناصر المجال الوجداني المؤثرة في الانجاز الدراسي للطالب وفي سلوكه بعد التخرج .

وتبرز أهمية الدافع في تعلم الطالب من خلال إستثارته للسلوك التعليمي لديه ، فهو يسهم كثيراً في أثارة رغبته للأهتمام بالمجال المعرفي وفي توجيهه للسلوك التعليمي وتعزيزه واستمراره لدى الطالب. وعلى هذا فالسلوك الذي تستثيره الدافعية يتميز بصفات وخصائص لايتميز بها السلوك غير المستثار .

ويلاحظ أن الابحاث العراقية قد اغفلت دراسة الدافعية وأثرها في المجال المعرفي والوجداني ، كما أنها تكاد تكون قليلة في الادبيات الأجنبية ، رغم ظهور إتجاه في الفترات الأخيرة يؤكد الأهتمام بالدافعية في المجال التعليمي .

وقد برز هذا الاتجاه بشكل ملحوظ منذ مطلع الخمسينات عندما بدأ ماكيلاند ومشاركوه بدراسة دافع الانجاز مستندين على الانجاه النظري الذي أعتمده Murray ورفاقه في دراسة الحاجات .

ويفتقر العراق خاصة والوطن العربي عامة لادوات القياس النفسي . ولقد شعر الباحثان بضرورة وجود مقياس للدافعية يمكن الاستفادة منه للاغراض التطبيقية والعلمية . إذ يمكن

إستعمال مثل هذا المقياس لأغراض الارشاد التربوي ، خاصة إذا بذل المرشد جهداً كافياً في مراجعة الفقرات التي ترفع أو تخفض الدرجة الكلية للمقياس . كما يمكن الاستفادة من المقياس لتعرف المرء الذي يطبق عليه الاختبار على نفسه ودوافعه بشكل يستند للقياس الموضوعي . أما من الناحية العملية فللأختبار فوائد جمة في موضوعات علم النفس التطبيقي والفروق الفردية وعلم النفس الاجتماعي والشخصية وفي الاختبارات والمقاييس . وهو يهيء مقدمة ضرورية للحديث عن قياس جوانب الشخصية المختلفة ، والمشكلات المرتبطة بالصدق والثبات والمرغوبية الاجتماعية . كما يهيء أساساً لمناقشة الجوانب المختلفة من نظريات الشخصية بالاضافة إلى أن من أهداف مثل هذا المقياس إتاحة اداة مفيدة في البحث النفسي ويمكن ان يكون لمثل هذا المقياس فائدة في إثارة المناقشات عن نوع العلاقات الشخصية المرغوب فيها في الاتصالات الاجتماعية ، وعن متطلبات العمل من إضطلاع بالمسؤولية ومرونة في التصرف ومدى توفر السمات اللازمة لها في الفرد . كما أنه يفيد في مقارنة مستوى طموح الفرد بمستوى طموح زملائه .

هدف البحث :

يهدف البحث الحالي الى تقنين قائمة التفضيل الشخصي لادواردز على طلبة المرحلة الجامعية في بغداد .

الاساس النظري لقائمة التفضيل الشخصي :

بهدف الوصول الى بعض الحقائق الاساسية عن الشخصية وخصائصها ، أجرى هنري موراي ومشاركوه دراستهم الموسعة عام ١٩٣٤ والتي استغرقت ما يقارب السنوات الثلاث في عيادة هارفرد النفسية في الولايات المتحدة الامريكية.

وقد تعرض المبحوثون في الدراسة الى مواقف إختبارية متعددة تكاد تكون اقرب الى مواقف الحياة اليومية . واستخدم مع المبحوثين مايقرب من (٢٤) إجراءً إختبارياً ، يستغرق كل واحد منها جلسة او جلستين تدوم حوالي الساعة. وكان يطلب من كل مبحوث أن يكتب سيرته الذاتية بهدف الحصول على وصف عن حياته المبكرة ومسيرة نموه وبصورة تفصيلية جداً ، دون الالتفات الى اسلوب التعبير والكتابة. وتتضمن المعلومات المطلوبة منه في السيرة الذاتية شيئاً عن تاريخ العائلة والتاريخ الشخصي والتاريخ الدراسي والخبرات الجنسية والاهداف والطموحات وتقييم الذات والعالم ، وكانت نتائج الكثير من الاختبارات قابلة للمعالجة الكمية والتحليل الاحصائي.

ونتيجة لهذا الجهد المتواصل من قبل (٢٨) باحثاً على (٥١) شخصاً من الذكور معظمهم من طلاب الجامعة، امكن التوصل إلى (٢٠) نوعاً من الضغوط الرئيسية والتي تتفرع الى ضغوط فرعية لتصبح جميعاً (٦٧) ضغطاً رئيسياً وفرعياً. كما امكن التوصل إلى (٣٦) حاجة اساسية، وهذه تتفرع بدورها الى حاجات فرعية، وبذلك يصبح مجموع الحاجات الرئيسية والفرعية (١٦٣) حاجة (١١ص١ — ٧٥١).

وعلى أساس الحاجات التي تم التوصل اليها في دراسات موراي ومشاركيه، تم إختيار (١٥) حاجة من أصل الحاجات الـ (٣٦) الأساسية. ولهذا فان فقرات قائمة التفضيل الشخصي والحاجات التي تقيسها لها أصولها فيما قام به موراي ومشاركوه.

وقد استخدمت طريقة المقارنة الزوجية في بناء القائمة. ويتطلب فهم هذه الطريقة توضيح مفهوم لمرغوبية الاجتماعية والأثر الذي يتركه على إستجابات الافراد نحو الفقرات في مقاييس الشخصية. فمن نقاط الضعف الرئيسية في الطريقة التقليدية في بناء المقاييس هو إحتمال تزييف الأجابة. وقد يكون التزييف نحو الاوطأ مشيراً إلى ميل الفرد للأجابة عن فقرات المقياس بطريقة غير مرغوبة إجتماعياً، أو ان يكون التزييف نحو الأفضل مشيراً إلى ميل الفرد للأجابة عن الفقرات بطريقة مرغوبة إجتماعياً (٦، ص٥٣ — ٥٤).

وقد بحثت دراسات كثيرة في طبيعة العلاقة بين إجابة الفرد عن الفقرة من حيث مدى إنطباق محتواها السلوكي عليه والرغبة الاجتماعية التي تحملها. وكشفت معظمها عن وجود علاقة ارتباطية عالية وموجبة بين هذين المتغيرين *.

(*) نشير فيما يلي إلى بعض هذه الدراسات : —

١— دراسة Edwards (١٩٥٣)، معامل الارتباط ٠,٨٧ (٥، ص٩٠ — ٩٣).

٢— دراسة Navrant Stauffacher (١٩٥٤)، معامل الارتباط ٠,٩٠ (٦، ص — ٢٥).

٣— دراسة Zimm er (١٩٥٤) (٦، ص٢٢).

٤— دراسة Rosen (١٩٥٦) (٦، ص٢٤).

٥— دراسة Hanley (١٩٥٦) معامل الارتباط ٠,٨٦ (٦، ص — ٢٤).

٦— دراسة Kenny (١٩٥٦) (٦، ص — ٢٢).

٧— دراسة Calvin Wright (١٩٥٧) معامل الارتباط ٠,٨٨ (٦، ص١٨).

٨— دراسة Cowen (١٩٥٩) معامل الارتباط (٠,٩٠) (٣، ص٣٦١ — ٣٦٥).

وعلى هذا فان المجيب في كثير من إستجاباته نحو المواقف النفسية يتأثر بالمعايير الاجتماعية السائدة فيقدم الاجابة التي ترضي هذه المعايير وتتفق معها ويتأثر أيضاً بصورة ذاته التي كونها عبر تفاعله مع عناصر بيئته الاجتماعية .

وبطبيعة الحال ، فان هذا الاتجاه يقودنا إلى مناقشة أساوب المقارنة الزوجية ، حيث يوضع الفرد في موقف يتضمن الأختيار بين استجابتين متساويتين أو متقاربتين بالنسبة للمرغوبية الاجتماعية ومختلفتين بالنسبة للظاهرة النفسية المراد قياسها . ويطلب من المستجيب أن يختار الاستجابة التي تكون أكثر إنطباقاً عليه . وبذلك لايستطيع المجيب أن يفاضل بين الاستجابتين بسبب المرغوبية الاجتماعية . ذلك لان كلتيهما مرغوبتان أو غير مرغوبتين إجتماعياً بنفس الدرجة أو بدرجة مقاربة .

إن كل حاجة من الحاجات الخمس عشر في قائمة التفضيل الشخصي تتمثل بـ (٩) فقرات . وتزاوج كل فقرة منها مع فقرات من الحاجات الاخرى التي لها تقدير متقارب في درجة المرغوبية الاجتماعية .

التعريف بالحاجات :

إن قائمة التفضيل الشخصي لادواردز تتضمن (١٥) حاجة وقد أعتمد أدواردز على التعريفات التي استخدمها موراي ومشاركوه في دراستهم «إستكشافات في الشخصية» ، وقد قام أدواردز بصياغة كل حاجة من الحاجات على شكل مظاهر سلوكية محددة ترتبط بالحاجة وتعبر عن وجودها . وقد ترجم الباحثان هذه المظاهر نصاً من كراسة تعليمات قائمة التفضيل الشخصي (*) (الملحق ١) .

إجراءات تقنين القائمة على البيئة العراقية :

١ـ عرضت قائمة التفضيل الشخصي ، بعد أن قام الباحثان بترجمتها إلى اللغة العربية بما يناسبها من اسلوب ،على بعض الخبراء من اساتذة علم النفس والترجمة ** للتأكد من

(*) Edwards Allenl . Edwards Personal Preference Schedu le (Manual)

(**) تألفت مجموعة الخبراء من :
د. عبد الجليل الزوبعي — الاستاذ في علم النفس / جامعة بغداد .
د. موفق الحمداني — الاستاذ في علم النفس / جامعة بغداد .
د. سلمان الواسطي — الاستاذ المساعد في اللغة الانكليزية / الجامعة المستنصرية .

دقة الترجمة عامياً وفي تضمينها المعنى النفسي الموجود في أصل الترجمة . وفي ضوء آراء الخبراء أجريت بعض التعديلات في صيغة الترجمة(*)

٢ـ التجربة الاستطلاعية الأولى :

كان الهدف الاساسي من هذه التجربة هو تحليل فقرات القائمة للتعرف على قوة تمييزها. وقد روعي عند إعداد تعليمات القائمة أن تكون مناسبة لمستوى الطلبة والا تكون مملة. وقد تضمنت التعليمات أيضاً إيضاح الغرض من البحث.

كما طلب في التعليمات ان يجيب الطالب بصراحة وأمانة والا يترك اية فقرة دون إجابة وقد تضمنت أيضاً طريقة الاجابة عن الفقرات مع نموذج للحل الملحق (٢).

وقد أختيرت لأجل ذلك عينة عشوائية من طلبة وطالبات الجامعة المستنصرية وجامعة بغداد والجامعة التكنولوجية بلغ عدد أفرادها (٢٨٧) طالباً وطالبة موزعين على النحو الآتي:

الجدول (١)

توزيع أفراد عينة التجربة الاستطلاعية الأولى

الجامعة	ذكور	إنـاث	المجموع
بغداد	٥٠	٤٨	٩٨
المستنصرية	٤٥	٦٩	١١٤
التكنولوجية	٤٠	٣٥	٧٥
	١٣٥	١٥٢	٢٨٧

تصحيح القائمة :

حسبت درجة الطالب الكلية في قائمة التفضيل الشخصي من مجموع الدرجات التي يحصل عليها من اجابته عن فقرات القائمة والتي يبلغ عددها (١٣٥) فقرة.

(*) بدأ الباحثان بهذه الاجراءات منذ مستهل عام ١٩٨٢ واستمرا في إجراءات البحث بصورة متواصلة .

وقد حددت الأوزان (الدرجات) من (صفر — ٤) لكل بديل يختاره الطالب. فاعطى الوزن (٤) للفقرة التي تنطبق دائماً على الطالب و (٣) للفقرة التي كثيراً ماتنطبق على الطالب و(٢) للفقرة التي تنطبق أحياناً على الطالب و(١) للفقرة التي نادراً ماتنطبق على الطالب و (صفر) للفقرة التي لاتنطبق اطلاقاً على الطالب .

ثم جمعت أوزان جميع البدائل التي أختارها الطالب للحصول على درجته الكلية في القائمة. وطبقت هذه الطريقة في إعطاء الدرجات على جميع الاستمارات البالغ عددها (٢٨٧). وتتراوح الدرجات الكلية لأفراد العينة على القائمة بين (صفر — ٥٤٠) درجة .

تحليل الفقرات :

لأجل الوصول الى القوة التمييزية للفقرات ،رتبت الدرجات الكلية التي حصل عليها أفراد العينة بصورة تنازلية من أعلى الى أدنى درجة ، وبناء على ذلك تم إختيار ال (٢٧٪) من الاستمارات الحاصلة على أعلى الدرجات في قائمة التفضيل الشخصي وال (٢٧٪) من الاستمارات الحاصلة على أدنى الدرجات .

وقد أحتوت كل مجموعة على (٧٧) إستمارة ثم حللت كل فقرة من فقرات القائمة باستخدام الاختبار التائي (t –test) لأختبار قوة تمييزها . وقد تراوحت القيمة التائية لفقرات القائمة بين (٤,٢ — ٢٦,٣) * والجدول (٢) يوضح القيم التائية للفقرات.

(*) إن نتائج القيم التائية لفقرات القائمة تظهر دلالتها المعنوية جميعاً عند مستوى (٠,٠١) .

الجدول (٢)

القيمة التائية للفقرات

رقم الفقرة	القيمة التائية	رقم الفقرة	القيمة التائية	رقم النقرة	القيمة التائية
٨٠	٤,٢	٥٨	٧,٩	١٠٤	٩,٢
٣٢	٤,٥	٦٢	٧,٩	١٢٥	٩,٣
١٠	٤,٦	٩٥	٧,٩	١١٠	٩,٣
١٨	٤,٧	١١٢	٨,٠	٤٤	٩,٤
١٠٨	٤,٧	٤٧	٨,٠١	٥٠	٩,٤
١٠٦	٤,٧	٤٩	٨,٠١	٩٨	٩,٤
١٢١	٤,٨	٥٩	٨,٠١	٥٧	٩,٥
١	٥,٠	٩	٨,٠٣	٦٦	٩,٥
٢٨	٥,٣	٦	٨,١	٩٢	٩,٥
١٣٣	٥,٦	٥١	٨,١	٣٧	٩,٦
٢١	٥,٧	١٠٢	٨,١	١٠٥	٩,٦
٤	٦,١	٣٨	٨,٢	١٢٨	٩,٦
٤١	٦,٤	٢٥	٨,٣	٦٨	٩,٧
٦٤	٦,٤	٣١	٨,٣	٧٦	٩,٧
٥	٦,٧	١٢٧	٨,٣	٩٤	٩,٨
٧٥	٦,٩	٩٦	٨,٤٧	١٣٠	٩,٨
١١١	٦,٩	٢٦	٨,٥	١٢٣	٩,٩٧
٤٦	٧,٠٣	٢٧	٨,٥	٨٦	٩,٩٨
١٤	٧,١	١١٤	٨,٥	١٢٢	١٠,١
٩١	٧,١	٧٨	٨,٦	١١٥	١٠,٢
١٣٥	٧,٣	١١٨	٨,٦	١٧	١٠,٢
٠٧	٧,٥	٣٣	٨,٧	١٢	١٠,٤

رقم الفقرة	القيمة التائية	رقم الفقرة	القيمة التائية	رقم الفقرة	القيمة التائية
١١	٧,٥	٢٩	٨,٨	٧٦	١٠,٧
١٠٠	٧,٥	٦٩	٨,٨	٧٤	١٠,٨
٦٧	٧,٦	٩٧	٨,٨	٨٨	١٠,٨
١٣٤	٧,٧	١٢٠	٨,٩	٢	١٠,٩٩
٤٢	٧,٧	٨	٩,١	٩٣	١١,٨
٣٦	٧,٨٦	١١٩	٩,١	١٢٩	١١,٨
٤٣	٧,٩	١٣١	٩,١	١٠١	١٢,١
٤٥	٧,٩	٢٣	٩,١	١٠٣	١٢,١
٥٦	١١,١	١٣	١٣,٦	٨١	١٢,٥
١٠٧	١١,١	٩٩	١٣,٨	٨٣	١٢,٥
٢٢	١١,٢	٧٠	١٣,٩	٣٩	١٢,٧
٥٥	١١,٢	٧٧	١٤,١	٨٥	١٢,٧
٨٤	١١,٢	٤	١٤,٢	٨٧	١٢,٧
٢٠	١١,٤	١٣٢	١٤,٤	٧١	١٣,٠٢
٣٠	١١,٥	٦٥	١٤,٦	١٠٩	١٣,١
٦٣	١١,٥	٦١	١٤,٧	١٢٦	١٣,١
٧٢	١١,٥	٣	١٥,٩	٩٠	١٣,٣
٨٩	١١,٥	١٥	١٦,٣	٨٢	١٣,٤
١١٦	١١,٥	٤٨	١٨,٤	١٢٤	١٣,٥
٥٤	١١,٧	٥٢	٢٠,١		
١١٣	١١,٧	٥٣	٢٦,٣		
١٦	١١,٨	٣٥	١٠,٤		
١٩	١١,٨	١١٧	١٠,٤		
٢٤	١١,٨	٣٤	١٠,٥		
٧٣	١١,٨	٦٠	١٠,٥		

٣ ـ التجربة الاساسية وتحليلها :

كان الهدف الرئيسي من هذه التجربة هو تحليل فقرات القائمة(*)للوصول الى درجة صدقها وثباتها وبناء معايير القائمة . ولتحقيق ذلك أختيرت عينة عشوائية من طلبة وطالبات الجامعة المستنصرية وبغداد والجامعة التكنولوجية ،بلغ عدد أفرادها (٥٠٠). طالب وطالبة والذين ليس من بينهم أحد من أفراد عينة التجربة الاستطلاعية . وقد وزع أفراد العينة على النحو الآتـــــــي : ـ

الجدول (٣)
توزيع عدد أفراد العينة الأساسيـــة
حسب الجامعـــات والجنـــس

الجامعـــة	ذكور	إناث	المجموع
بغداد	١١٠	١٠٠	٢١٠
المستنصرية	٩٠	٩٥	١٨٥
التكنولوجية	٥٠	٥٥	١٠٥
	٢٥٠	٢٥٠	٥٠٠

صدق القائمة :

اتبع الباحثان أسلوبين مألوفين للوصول الى درجة صدق القائمة هما (١) ترتيب الافراد بالنسبة للحاجات و (٢) العلاقات الارتباطية مع مقاييس أخـــرى .

(*) للحصول على تقدير لاتساق الاجابة ، فقد قورنت الاستجابات لكل زوج من الفقرات في كل عمود ، فاذا كانتا نفس الاستجابة ، توضع علامة (س) في المربع الموجود في قاعدة العمود . فاذا اختلفتا لاتوضع هذه العلامة ثم يعد في النهاية عدد العلامات ويسجل المجموع في المربع المعنون بدرجة الاتساق في اسفل ورقة الاجابة . فاذا كانت درجة الاتساق (١٠) أو اكثر من اصل (١٥) درجة تستبقى ورقة المبحوث اوإن كانت الدرجة اقل من(١٠) تستبعد . إن المعيار (١٠) فأكثر يعتبر مؤشراً على أن إختيار المبحوث للفقرات لم يتم عن طريق الصدفة .

١ ـ ترتيب الافراد بالنسبة للحاجات:

هناك العديد من الدراسات أجريت للمقارنة بين ترتيب الافراد لأنفسهم بالنسبة للحاجات الخمس عشرة التي تتضمنها القائمة ودرجاتهم بالنسبة للقائمة الاصلية (*) وقد أتبع الباحثان هذا الاسلوب، فقد صممت استمارة تتضمن الحاجات ال(١٥) مع توضيح تفصيلي لكل حاجة.

وطلب من أفراد العينة أن يرتبوا هذه الحاجات ترتيباً واقعياً حسب درجة إنطباقها عليهم في الوقت الحاضر، أي أن تدرج بدءاً من الحاجات الاكثر انطباقاً على الطالب الى الحاجات الأقل إنطباقاً (الملحق٣) .

ويبين الجدول (٤) معاملات الأرتباط بين متغيرات القائمة والترتيب الواقعي للحاجات.

ان نتائج العلاقات الارتباطية بين متغيرات القائمة والترتيب الواقعي للحاجات، تؤيد الاستنتاج بأن متغيرات قائمة التفضيل الشخصي ترتبط وبدلالة معنوية عند مستوى ١.و. بالتقدير الواقعي للمتغيرات التي تضمنتها القائمة نفسها ان هذا يعني أن هناك إتفاقاً في إجابات الافراد أنفسهم على القائمة الاصلية والتقدير، الواقعي لمتغيرات القائمة. ومثل هذه النتيجة تتفق مع دراسات بحثت في درجة صدق قائمة التفضيل الشخصي أشار اليها ادور دز في كراسة تعليمات القائمة النسخة الاجنبية (٧ ، ص٢١) وتتفق أيضاً مع نتائج دراسة Mann (٩ ، ص ٢٦٨)

(*) ومن الدراسات التي أتبعت هذا الاسلوب .

١ ـ دراسة Mann . tl (١٩٥٨) (٩،ص٢٦٧ ـ ٢٦٨) .

٢ ـ دراسة Edwards . A:L (١٩٥٩) (٧،ص ـ ٢١) .

الجدول (٤)

معاملات الارتباط بين متغيرات القائمة

والترتيب الواقعـــــي

الحـــاجات	معاملات الارتبـــاط (—) بين متغيرات القائمة والترتيب الواقعي
الأنجـــاز	٠,٤٢**
الخضوع (الاذعان)	٠,٢٥**
الترتيب (النظـــام)	٠,٤٦**
الاستعراضـــس	٠,٢٦**
الاستقلال الذاتي	٠,٢٨**
لانتمـــاء	٠,٤١**
التأمـــل الذاتـــي	٠,٣١**
الاستنجاد	٠,٤٩**
السيطرة	٠,٤٢**
اوم الذات	٠,٥٠**
الرعاية	٠,٣٩**
التغيـــر	٠,٥١**
التحمـــل	٠,٥١**
الجنسية الغيرية	٠,٤٦**
العدوان	٠,٢٥**

(—) حسبت معاملات ارتباط الرتب لكاندال بسبب وجود رتب متكررة اكثر من ثلاث مرات وباستخدام الحاسب الالكتروني .

(**) العلامة الأرتباطية دالة عند مستوى ٠,٠١ .

٢ ـ العلاقات الارتباطية مع مقاييس أخرى :

يتضمن هذا الاسلوب ، البحث في العلاقات الأرتباطية بين متغيرات قائمة التفضيل الشخصي ، ومتغيرات أخرى لها علاقة بمتغيرات القائمة الأصلية بصورة محددة . وقد أجريت دراسات عديدة في هذا المجال(*) وقد اتبع الباحثان هذا الأسلوب لأجل الوصول الى درجة صدق أحد متغيرات القائمة الأصلية .

ولتحقيق ذلك فقد قام الباحثان بتطبيق مقياس دافع الانجاز الدراسي المكيف للبيئة الجامعية (الملحق ٤) على عينة من طلبة الجامعات بلغ عددها (١٠٠) طالب وطالبة والذين سبق أن أجابوا عن قائمة التفضيل الشخصي في التجربة الاساسية وقد بلغ معامل الارتباط بين درجات الطلبة عن الحاجة الى الانجاز في قائمة التفضيل الشخصي ودرجاتهم في مقياس دافع الانجاز الدراسي(*)(٠,٧٠) والعلاقة ذات دلالة معنوية عند مستوى ٠,٠١ وتعتبر هذه العلاقة مؤيدة لصدق المقياس حيث يدل هذا الرقم ان المقياسين يقيسان نفس الخاصية النفسية تقريباً .

(*) ومن هذه الدراسات : ـ

١ ـ دراسة A. L. Edwards (١٩٥٩) (٧، ص٢١ ـ ٢٢)

٢ ـ دراسة D. Gisvod (١٩٥٨) (٨، ص٤٤٥ ـ ٤٤٧) .

٣ ـ دراسة Dunnette وآخرين (١٩٥٨) (٤، ص١٧٨ ـ ١٨١) .

٤ ـ دراسة Appelbaum (١٩٧١) (١٣، ص٤٠٣ ـ ٤١١) .

٥ ـ دراسة L. H. Melikian (١٩٥٨) ((١٠، ص٢٩٦ ـ ٢٩٨) .

٦ ـ دراسة R. M. Allen (١٩٥٧) (١، ص٣٠٧ ـ ٣١١) .

(*) ان المقياس قبل التكييف (الملحق ٥) كان جزءاً من اطروحة دكتوراه لأحد المساهمين في هذا البحث . وقد طبق على طلبة المرحلة الاعدادية في العراق . ثم كيف بعد ذلك لغرض استخدامه في البيئة الجامعية بعد حساب معاملات تمييز الفقرات والصدق والثبات .. ففي مجال التمييز حذفت (٣) فقرات من المقياس ، الأصلي البالغ عددها (٥٢) فقرة ، والفقرات المحذوفة هي :

١ ـ أؤمن في كثير من الأحيان ان النجاح في الدروس يعتمد على الحظ (الفقرة ١ ـ ب في المقياس الاصلي) .

٢ ـ أنا شارد الذهن في أغلب الاحيان جسمي في الصف وعقلي خارجه (الفقرة ٢ ـ ب في المقياس الاصلي)

ثبات القائمة :

ان كثيراً من الابحاث ، بضمها بحث أدواردز صاحب الاختبار الأصلي ، اجأت إلى حساب ثبات قائمة التفضيل الشخصي بطريقة التجزئة النصفية أو إعادة الاختبار . وقد استخدم الباحثان في الدراسة الحالية طريقة التجزئة النصفية بعد تطبيق القائمة على عينة من (١٠٠) طالب وطالبة من الجامعات الثلاث أختيروا من مجموع أفراد العينة الأساسية . ويحتوي الجدول (٥) على معاملات الثبات للحاجات الخمس عشرة والتي تتراوح بين (٠,٤٠ — ٠,٩٢) بعد أن صححت بمعادلة سبيرمن براون . ان جميع معاملات الارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى ا . و .

العلاقة بين متغيرات القائمة:

حسبت معاملات الارتباط (*) بين الحاجات الخمس عشرة والتي تتضمنها القائمة للعينة الاساسية من طلبة وطالبات الجامعات الثلاث وللكليات والاقسام المختلفة والتي بلغت ٥٠٠ طالب وطالبة . كما حسبت معاملات الارتباط أيضاً للطلبه الذكور على حده وكذلك ارتباط الاناث . وعلى العموم ظهر أن معاملات الارتباط منخفضة او سالبة فقد بلغ اعلى معامل إرتباط للعينة الاساسية (٠,٤٤)بين الحاجة الى الانتماء والرعاية .أن هذه النتيجة تتفق مع ما توصل اليه أدوردز في دراسته،حيث بلغ أعلى معامل ارتباط بين المتغيرات(٠,٤٦) وبين الانتماء والرعاية أيضاً (٧، ص٢٠) وهذا الانخفاض في معاملات الارتباط يدل على أن الحاجات التي تتناولها القائمة مستقلة الواحدة عن الاخرى استقلالاً نسبياً وكما يلاحظ ذلك في الجداول (٦، ٧، ٨)

كما ان هذه النتائج تدلل بأن المقياس يقيس بكل جزء من اجزائه خاصية مستقلة نسبياً من خصائص الشخصية .

---

٣ — أتضايق من أسئلة الاخرين عن مستوى تحصيلي في الدروس (الفقرة ٢٢ — آ في المقياس الاصلي) وأختبر صدقه الظاهري عن طريق عرضه على مجموعة من الخبراء في مجال علم النفس وحسب صدقه التلازمي عن طريق حساب العلاقة الارتباطية بين درجة الطالب في الحاجة للأنجاز كما هي في قائمة التفضيل الشخصي وبين الدرجة الكلية للطالب في مقياس دافعية الانجاز المكيف للمرحلة الجامعية .

وحسب الثبات بطريقة التجزئة النصفية وقد بلغ معامل الثبات ٠,٨٢ وأصبح بعد التصحيح بمعادلة سبيرمن براون ٠,٩٢ .

(*) استخدمت معادلة بيرسن في حساب معاملات الارتباط بين الحاجات الخمس عشرة وعن طريق الحاسب الالكتروني .

الجدول (٥)

معاملات ثبات قائمة التفضيل الشخصي

عدد أفراد العينة (١٠٠)

الحاجات	معاملات الثبات
الأنجاز	٠,٨٣٠
الخضوع	٠,٦٨
الترتيب (النظام)	٠,٩٢
الاستعراض	٠,٤٠
الاستقلال الذاتي	٠,٦٣
الأنتماء	,٦٢
التأمل الذاتي	٠,٧٠
الاستنجاد	٠,٦٣
السيطرة	٠,٦٨
لوم الذات	٠,٨٠
الرعاية	٠و٦١
التغير	٠,٧٤
التحمل	٠,٦٣
الجنسية الغيرية	٠,٩٠
العدوان	٠,٧٠

المعايير

إن البيانات الخاصة بالمعايير المتوفرة في الدراسة الحالية قد جمعت من إجابات طلبة وطالبات الجامعات الثلاث في بغداد وهي الجامعة المستنصرية وجامعة بغداد والجامعة التكنولوجية على قائمة التفضيل الشخصي (الملحق ٦) .
وتألفت العينة المعيارية من (٥٠٠) طالب وطالبة موزعين على الكليات المختلفة والاقسام المختلفة أيضاً . بلغ متوسط عمر أفراد العينة الأساسية (٢١,٩٦) سنة وبانحراف معياري قدره (٢,٨) ، كما بلغ متوسط أعمار الذكور (٢٢,٦) سنة وبانحراف معياري قدره (٢,١) . أما بالنسبة للاناث فقد بلغ متوسط العمر (٢١,٦) سنة وبانحراف معياري قدره (١,٨٥) وتتناول المعايير في البحث الحالي جانبين .

١ — المتوسطات .

٢ — المئينات .

المتوسطات :

تم حساب المتوسط والانحراف المعياري للحاجات الخمس عشرة لكل من الذكور والاناث ثم لمجموع أفراد العينة المعيارية ، وكما هو واضح في الجدول (٩) .

الجدول (٦)

معاملات الارتباط بين الحاجات الخمس عشرة للعينة الأساسية (ن=٥٠٠)

الانحاز	الخضوع	النظام	الترتيب	الاستعراض	الاستقلال الذاتي	الانتماء	التأمل النفسي
	٠,١٥ **	٠,١٤ **		—٠,٠٢	—٠,٠٢	—,٢٤ **	—٠,٠٢
		٠,٢٤ **		—٠,١٩ **	—٠,١٣ **	—٠,٠٩ *	٠,٠٨
				—٠,١٨ **	—٠,٠٩ *	—٠,١٩ **	—٠,٠١
					٠,٠٣	—٠,٠٨	—٠,٢١ **
						—٠,١٣ **	—٠,٠٤
							—٠, ٣

جدول (٦)

الاستنجاد	السيطرة	لوم الذات	الرعاية التربية	التغيير	التحمل	الجنسية الغيرية	العدوان
** —٠,٢٥	** ٠,١٨	** —٠,١٧	** —٠,٢٥	** —٠,١٦	** ٠,٢٤	** ٠,٢٥	** —١٢,
** —٠,١٩	—٠,٠٣	٠,٠٤	** —٠,١٧	** —٠,١٩	* ٠,٠٩	** ٠,٢١	** —٠,١٧
** —٠,٢٧	** —٠,١٥	—٠,٠٧	** —٠,١٥	** —٠,١٣	** ٠,٣٥	** ٠,٣٤	** —٠,٢٠
٠,٠٢	—٠,٠٥	—٠,٠٥	** —٠,١٢	٠,٠٦	** —٠,٢٨	* ٠,١٠	٠,٠٥
** —٠,١٦	—٠,٠٣	* —٠,١٠	** —٠,١٥	٠,٠٧	** ٠,١٣	—٠,٠٢	٠,٠٤
** ٠,١٢	** ٠,١٩	—٠,٠٦	** ٠,٤٥	٠,٠٧	** ٠,٢٠	٠,٠٦	** —٠,٢٤
** —٠,١٤	** —٠,١٢	** —٠,١٠	—٠,٠٥	** —٠,١٥	—٠,٠١	** —٠,٢٠	٠,٠٧
	** —٠,٢١	* ٠,٠٩	* ٠,١٥	٠,٠١	** ٠,٢٩	٠,٠٧	—٠,٠٧
		** —٠,٢٣	** —٠,١٦	** —٠,٢٤	—٠,٠٥	٠,٠٣	** ٠,١٨
			٠,٠٥	** —٠,١٧	* —٠,٠٩	** —٠,١٦	** ٠,١٣
				—٠,٠٥	—٠,٠٩	—٠,١٨	
							** —٠,١٦
					* ٠,١٠	٠,٠٥	—٠,٠٥
						** —٠,٣٥	** —٠,١٣
							* ٠,١٠

الجدول (٧)

معاملات الارتباط بين الحاجات الخمس عشرة لعينة الذكور (ن=٢٥٠)

الانجاز الخضوع النظام الترتيب الاستعراض الاستقلال الذاتي الانتماء التأمل النفسي

٠,١٥	٠,١٥	٠,٠٦—	٠,٠٥—	٠,١٩—	٠,٠٣
	**	**		**	
	٠,٣٢	٠,٢٥—	٠,٠٢—	٠,٢١—	٠٠٧—
		**	**	**	
		٠,٢١—	٠,١٨—	٠,١٨—	٠,٠٥—
					**
			٠,١١	٠,٠٥—	٠,٢١—
				*	
				٠,١٣—	٠,٠١—
					٠,٠٢—

الجدول (٧)

الاستنجاد	السيطرة	لوم الذات	الرعاية التربية	التغيير	التحمل	الجنسية الغيرية	، واك
-٠,٢٤ **	٠,١١	-٠,٢٣ **	-٠,٢٥ **	-٠,١٥ *	٠,٢٧ **	-٠,٣٠ **	-٠,١٥ *
-٠,٢٤ **	-٠,٠٣	٠,٠١	-٠,٢١ **	-٠,١٣ *	٠,١٠	-٠,٢٦ **	-٠,١٦ *
-٠,٢٢ **	-٠,١٤ *	-٠,٠٩	-٠,١٦ *	٠,١٣ *	٠,٠٨ **	-٠,٤١ **	٠,٢٣ **
٠,٠٢	٠,٠٣	-٠,٠٢	-٠,٠٤	٠,٠٣	-٠,٣١ **	٠,٠٨	٠,١٥ *
-٠,١٦ *	٠,٠٣	-٠,٠٨	-٠,٠٩	٠,٠١	-٠,١١	-٠,١٠	٠,١٧
٠,٠٨	-٠,٢٤ **	-٠,٠٣	٠,٤٩ **	٠,٠٧	-٠,١٦ *	٠,٠١	-٠,٢٩ *
-٠,٢٢ **	-٠,١٠	٠,١٠	-٠,٠٦	-٠,١٢	-٠,٠٩	٠,٢٠ **	-٠,٠٦
	-٠,٢١ **	٠,١٣ *	٠,٠٣ *	-٠,٠٣	-٠,٢٣ **	٠,١٤ *	-٠,٠٧
		-٠,٢٠ **	-٠,١٧ **	-٠,٢٦ **	-٠,٠٣	٠,٠٣	٠,٢٣ **
			٠,٠٦	-٠,١٤ *	٠,١٦ *	-٠,١٨ **	-٠,٠٩
				-٠,١٢ *	-٠,١٣ *	٠,١٠	٠,١٩ **
					-٠,٠٩	٠,١٨ **	-٠,٠٦
						٠,٣٤ **	-٠,٢٣ **
							٠,١٢ *

الجدول (٨)

معاملات الارتباط بين الحاجات الخمس عشرة لعينة الاناث(ن=٢٥٠)

الانجاز الخضوع النظام الترتيب الاستعراض الاستقلال الذاتي الانتماء التأمل النفسي

٠,١٥*	٠,١٢	٠,٠٢	٠,٠١	٠,٣٠-**	٠,٠٧-
	٠,١٥*	٠,١٥-*	٠,٢٤-**	٠,٠٢	٠,٠٨
		٠,١٥-*	٠,٠١	٠,٢١**	٠,٠٣
			٠,٠٥-	٠,١١-	٠,٢٣-**
				٠,١٣-*	٠,٠٦-
					٠,٠٦-



الجدول (٨)

الاستنجاد	السيطرة	لوم الذات	الرعاية التربية	التغيير	التحمل	الجنسية الغيرية	العدوان
٠,٢٦ **	٠,٢٥ **	—٠,١١	—٠,٢٤ **	—٠,١٧ **	٠,٢٠ **	—٠,٢٦ **	—٠,٠٩
٠,١٥ *	٠,٠٣	٠,٠٧	—٠,١٣ *	—٠,٢٨ **	٠,٠٧	—٠,١٥ *	—٠,١ **
٠,٣٣ **	٠,١٦ *	—٠,٠٥	—٠,١٣ *	—٠,١٤ *	٠,٣١ **	—٠,٣٢ **	—٠,٣٧ **
٠,٠١	٠,٠٩	—٠,٠٩	—٠,٢٠ **	٠,٠٩	—٠,٢٦ **	٠,١٧ **	—٠,٠٣
٠,١٥ *	٠,٠٥	—٠,١٢	—٠,٢٢ **	٠,١٥ *	—٠,١٤ *	٠,٠٦	٠,٠١
٠,١٦ *	٠,١٢	—٠,١٠	٠,٤٠ **	٠,٠٥	—٠,٢٤ **	—٠,١٢	—٠,١٩ **
٠,١٠	٠,١٢	٠,٠٦	—٠,٠٦	—٠,٢٥	٠,٠٤	—٠,١٣	—٠,٠٩
	٠,١٩ **	٠,٠٢	—٠,١٦	٠,٠١	—٠,٣٧ **	٠,١٠	[illegible]
		—٠,٢٤ **	—٠,١٥ *	—٠,١٩ **	—٠,٠٥	—٠,٠٥	٠,١١
			٠,٠٤	—٠,٢٨ **	—٠,٠٣	—٠,٠٤	—٠,١٥ *
				٠,٠١	—٠,٠٦	—٠,٢٧ **	—٠,١٣ *
					—٠,١٤ *	٠,١٠	—٠,٠٢
						—٠,٣٦	—٠,٠٣
							٠,٠٤

الجدول (٩)

المتوسطات والانحرافات المعيارية للحاجات في قائمة التفضيل الشخصي والعينات المعيارية

الحاجات	المتوسطات: ذكور ن = ٢٥٠	المتوسطات: إناث ن = ٢٥٠	المتوسطات: مجموع أفراد العينة ن = ٥٠٠	الانحرافات المعيارية: ذكور ن = ٢٥٠	الانحرافات المعيارية: إناث ن = ٢٥٠	الانحرافات المعيارية: مجموع أفراد العينة ن = ٥٠٠
الانجاز	١٤,٥١	١٤,٢٨	١٤,٤٠	٤,٠٦	٣,٧٤	٣,٩٠
الخضوع	١١,٨٦	١٢,١٧	١٢,٠٢	٣,٣٤	٣,٢٦	٣,٣٠
الترتيب (النظام)	١٣,٧٤	١٣,٧٦	١٣,٧٥	٥,١٣	٤,٦٦	٤,٩٠
الاستعراض	١١,٢٢	١١,٤٥	١١,٣٤	٣,٤٥	٣,٦٥	٣,٥٥
الاستقلال الذاتي	١٤,٦٢	١٤,٣٤	١٤,٤٨	٤,١١	٣,٧٤	٣,٩٣
الانتماء	١٣,٧٣	١٤,٠٠	١٣,٨٧	٣,٨٨	٣,٩٨	٣,٩٣
التأمل الذاتي	١٥,١٨	١٦,١٨	١٥,٦٨	٤,٠١	٣,٩٧	٤,٠٢
الاستنجاد	١٣,٩٢	١٤,٨٥	١٤,٣٨	٤,٢٧	٤,٦١	٤,٤٦
السيطرة	١٤,٨٢	١٣,٦٢	١٤,٢٢	٤,٦٣	٤,١١	٤,٤١
لوم الذات	١٢,٩٦	١٤,٢٣	١٣,٥٩	٤,٣٢	٤,٢٩	٤,٣٥
الرعاية	١٨,٠٠	١٨,٢٤	١٨,١٢	٤,٠١	٣,٩٥	٣,٩٨
التغيير	١٤,٧٠	١٦,٥٤	١٥,٦٢	٤,٠٣	٤,٤٠	٤,٣١
التحمل	١٤,١٣	١٤,٧٤	١٤,٤٤	٤,٧٧	٤,٩٣	٤,٨٥
الجنسية الغيرية	١١,٥٠	٧,٠٨	٩,٢٩	٥,٩٥	٥,٢٤	٦,٠٢
العدوان	١٤,٩٩	١٤,٥١	١٤,٧٦	٣,٨٩	٤,٠٠	٣,٩٥

المئينيات : —

حسبت المئينيات لكل من طلبة الجامعات وطالباتها ولكل حاجة من حاجات قائمة التفضيل الشخصي . والجدولان (١٠) و (١١) يوضحان المئينات لكل من عينه الطلبة (٢٥٠) وعينه الطالبات (٢٥٠) .

الجدول (١٠)

المعايير المئوية لقائمة التفضيل الشخصي للطلبة الذكور في الجامعة «ن = ٥٠٢»

الدرجة	الانجاز	الخضوع	الترتيب	الاستعراض	الاستقلال الذاتي	الانتماء	التأمل الذاتي	الاستجداد
٢٨								
٢٧			٩٩					
٢٦			٩٩				٩٩	
٢٥	٩٩		٩٨				٩٩	٩٩
٢٤	٩٩		٩٨				٩٩	٩٩
٢٣	٩٨		٩٥	٩٩	٩٩		٩٩	٩٨
٢٢	٩٧		٩٣	٩٩	٩٩	٩٩	٩٧	٩٨
٢١	٩٥		٩٠	٩٩	٩٦	٩٨	٩٤	٩٦
٢٠	٩٢	٩٩	٨٩	٩٩	٩١	٩٧	٨٨	٩٣
١٩	٨٨	٩٨	٨٥	٩٨	٨٦	٩٢	٨٥	٨٨
١٨	٨٤	٩٨	٨١	٩٦	٨٠	٨٨	٧٩	٨٦
١٧	٧٨	٩٦	٧٨	٩٦	٧٢	٨١	٧١	٨٣
١٦	٦٩	٩٣	٧٢	٩٤	٦٧	٧٦	٦٢	٧٤
١٥	٥٩	٨٦	٦٦	٨٩	٥٩	٦٦	٥٢	٦٦
١٤	٥٠	٧٦	٦٠	٨٢	٥١	٥٨	٤٣	٥٤
١٣	٤٠	٦٧	٥٣	٧٦	٤٠	٤٦	٣٧	٤٦
١٢	٣٣	٥٩	٤٤	٦٩	٣٢	٣٩	٢٨	٣٧
١١	٢٥	٤٥	٣٤	٥٨	١٨	٣٠	١٧	٣٠
١٠	١٦	٣٧	٢٩	٤٦	١٣	٢٢	١٠	٢١
٩	١١	٢٤	٢٢	٣٣	٩	٢	٧	١٦
٨	٧	١٧	١٤	٢٣	٧	٨	٦	١١
٧	٣	٨	١١	١١	٤	٣	٢	٨
٦	٣	٦	٦	٥	٣	٢	٣	٤
٥	١	٣	٤	٤	٢	صفر	١	٢
٤	صفر	١	٣	٣	١			١
٣			صفر		صفر			
٢					صفر			
١								
صفر								

السيطرة	لوم الذات	الرعاية	التغيير	التحمل	الجنسية الغيرية	العدوان	الدرجة
							٢٨
٩٩		٩٩			٩٩		٢٧
٩٩		٩٩			٩٩	٩٩	٢٦
٩٩		٩٨					٢٥
٩٩		٩٦	٩٩	٩٩	٩٨		٢٤
٩٨	٩٩	٩٠	٩٩	٩٩	٩٦	٩٩	٢٣
٩٤		٨٦	٩٧	٩٦	٩٦	٩٨	٢٢
٩١	٩٨	٨١	٩٢	٩٥	٩٤	٩٧	٢١
٨٧	٩٦	٧٤	٩٠	٩٣	٩٢	٩٣	٢٠
٨٤	٩٤	٦٣	٨٥	٨٨	٩٠	٨٨	١٩
٧٨	٩٣	٥٢	٨٢	٨٣	٨٦	٨٦	١٨
٧٠	٨٩	٤٤	٧٤	٧٥	٨٢	٧٤	١٧
٦٢	٧٩	٣٦	٦٧	٦٧	٨٠	٦٦	١٦
٥٦	٦٩	٢٦	٦٠	٦٠	٧٦	٥٨	١٥
٤٨	٦٢	١٦	٥٤	٥٠	٦٦	٤٤	١٤
٤١	٥٥	١٣	٤٦	٤١	٥٩	٣٢	١٣
٣٢	٤٤	١٠	٣٧	٣٠	٥٢	٢٤	١٢
٢٧	٣٥	٧	٣١	٢١	٤٥	١٦	١١
٢١	٢٨	٦	٢٤	١٣	٣٦	١١	١٠
١٤	٢٢	٣	١٦	٩	٣٣	٨	٩
٩	١٥	١	١٣	٥	٢٨	٦	٨
٦	١١		١٠	٣	٢٢	٤	٧
٣	٧		٥	٢	١٧	٢	٦
١	٦		٣	١	١٣	٢	٥
صفر	٤		٢	١	١٤	صفر	٤
	٢		٢	صفر	٨		٣
	صفر			صفر	٧		٢
	صفر				٥		١
					صفر		صفر

الجدول (١١)

المعايير المئوية لقائمة التفضيل الشخصي للطلبة الاناث في الجامعة (ن = ٢٥٠)

الدرجة	الانجاز	الخضوع	الترتيب	الاستعراض	الاستقلال الذاتي	الانتماء	التأمل الذاتي	الاستنجاد
٢٨			٩٩					٩٩
٢٧		٩٩					٩٩	
٢٦							٩٩	
٢٥			٩٩		٩٩	٩٩	٩٩	
٢٤	٩٩		٩٩		٩٩		٩٨	٩٩
٢٣	٩٩		٩٩			٩٩	٩٦	٩٨
٢٢	٩٩		٩٧		٩٩	٩٩	٩٣	٩٦
٢١	٩٩		٩٤	٩٩	٩٧	٩٦	٩٠	٩٤
٢٠	٩٩	٩٩	٩٣	٩٩	٩٥	٩٤	٨٦	٨٩
١٩	٩٣	٩٩	٨٩	٩٨	٩٣	٩٣	٨٠	٨٤
١٨	٨٥	٩٩	٨٣	٩٧	٨٧	٨٧	٧٤	٧٦
١٧	٨٢	٩٧	٧٨	٩٥	٧٩	٧٩	٦٤	٧٢
١٦	٧١	٩٦	٧٥	٩٣	٧٢	٧٥	٥٥	٦٤
١٥	٦٢	٩٣	٦٥	٨٦	٦١	٦٦	٤٦	٥٥
١٤	٥٤	٨٦	٥٧	٨٠	٥٠	٥٥	٣٤	٤٦
١٣	٤٤	٧٦	٤٦	٧١	٤٠	٤٥	٢٦	٣٦
١٢	٣٠	٦٨	٣٨	٦١	٣٠	٣٤	١٩	٢١
١١	٢٠	٥٤	٣٠	٥١	٢٢	٢٥	١٤	٢٣
١٠	١٤	٤١	٢٤	٤٢	١٦	٢٠	٨	١٨
٩	٩	٢٨	١٩	٣٢	١٠	١٢	٣	١٣
٨	٦	٢٠	١٤	٢٥	٦	٧	٢	١١
٧	٤	١٣	١١	١٤	٤	٤	١	٧
٦	٢	٨	٨	٩	٢	٢		٤
٥	١	٤	٥	٤	١	٢		٣
٤	١	٢	٢	١	١	١		٢
٣	١	١	صفر			١		١
٢	صفر					١		١
١						صفر		
صفر								

السيطرة	لوم الذات	الرعاية	التغيير	التحمل	الجنسية الغيرية	العدوان	الدرجة
							٢٨
٩٩		٩٩	٩٩	٩٩			٢٧
		٩٩	٩٩	٩٩			٢٦
٩٩	[illegible]	٩٩	٩٩	٩٩			٢٥
[illegible]		٩٦	٩٨	٩٨		٩٩	٢٤
[illegible]	[illegible]	٩٢	٩٥	٩٥		٩٦	٢٣
٩٩	٩٨	٨٤	٩٢	٩٢		٩٨	٢٢
[illegible]	٩٥	٧٧	٨٨	٩٠	٩٩	٩٥	٢١
[illegible]	[illegible]	٧٠	٧٩	٨٦	٩٩	٩٢	٢٠
[illegible]	٨٩	٦٠	٧٢	٨٠	٩٨	٨٩	١٩
٨٩	٨٤	٤٩	٦٣	٧٧	٩٧	٨٣	١٨
٨١	٧٩	٤١	٥٨	٧٣	٩٦	٧٦	١٧
٧٥	٧٠	٣٥	٥١	٦٦	٩٤	٦٩	١٦
٦٦	[illegible]	٢٣	٤٢	٥٨	٩٢	٦٠	١٥
[illegible]	٥٤	١٦	٣٢	٥٠	٨٩	٥١	١٤
٥٠	٤٣	١٣	٢٥	٤٢	٨٧	٤٠	١٣
٤١	٣٦	٧	٢٠	٣٩	٨٣	٣٣	١٢
٣٣	٢٦	٤	١٦	٢٣	٨٠	٢٤	١١
٢٠	٢٠	٣	١٠	١٧	٧٤	١٥	١٠
١٥	١٥	٢	٦	١٤	٦٨	١٠	٩
١١	٩	١	٢	١١	٦٢	٧	٨
٧	٦	١	٢	٨	٥٩	٤	٧
٤	٣	صفر		٤	٥٤	٢	٦
٢	٢		صفر		٤٦	٢	٥
	١			صفر	٣٩		٤
صفر	١				٢٩		٣
	صفر				٢١		٢
					١٤		١
					١		صفر

1– Allen, R.M. The Relationship Between the Edwards Personal p. preference Schedule Variables and the Minnesota Multiphasic personality Inventory cales *Journal of Applied psychology*, Vol. 41, No5, 1957 .

2– Brown, J.W and J. Thornton. College teaching. New York, McGraw–Hill 1963 .

3– Cowen. G.L., and Togas, P. The Social Desirability of the Trait Descriptive Terms: Application to Self – concept Inventory. *Journal of Consulting psychology*, Vol. 23, No,4 1959.

4– Dunnette, M.D. Relations Among Scores on Edwards personal Preference Schedule, California Psychol - ogical Inventory and strong Vocational Interest Bl- ank for an Industrial Sample. *Journal of Applied psy - chology*, Vol 42, No.3 1958.

5– Edwards, A.L. The Relationship between the judged Desirability of trait and the probability that The Tr- ait will be Endorsed,*Journal of Applied psychology*,37,1953.

6– Edwards, A.L. The Social Desirability Variables in Per- sonality Assessment and Research. N.Y, Dryden 1957.

7 Edwards, Allen. L. Edwards Personal Preference Sche - dule (Manual). N.Y, Psychological corporation, 1959.

8– Gisvold, D.A Validity study of the Autonomy and Def- erence subscales of the E.p.p.s. *Journal of Consulting psychology*, Vol. 22, No. 6, 1958.

9– Mann, J.H. Self–Ratings and the Epps. *Journal of Applied psychology*, Vol. 42, No. 4, 1958.

10– Melikian, L.H. The Relation ship Between Edwards, and Moclelland's Measures of Achievement Motivation. *Journal of Consulting Psychology* Vol. 22, No. 4, 1958.

11– Murray, H.A & others. Exploration inpersonality N.Y oxford press, 1938.

12– Nibbett,W.R. Higher Education: Demand London, Tavistock, 1969.

13– Wiggins, J.S & others. MMpl Content Scales Interpretative Norms and Correlations with other Scales. *Journal of Consulting and clinical psychology*, Vol. 37 —No 3, 1971



الملحق (١)

توضيح الحاجات في قائمة التفضيل الشخصي في صورة مظاهرة سلوكية

١ ــ الانجاز : أن يبذل الفرد اقصى ما يستطيع ، وان يكون ناجحاً ، وان ينجز مهمة تحتاج الى مهارة وجهد ، وان يعتبر مرجعاً (خبيراً) ذا شأن وان ينجز شيئاً ذا أهمية عظيمة وان ينجز عملاً صعباً بصورة جيدة ، وان يحل المشكلات الصعبة وان يكون قادرا على عمل اشياء أفضل من الاخرين وان يكتب رواية او قصة رائعة .

٢ ــ الخضوع : أن يتلقى اقتراحات الاخرين وان يتوصل الى ما يعتقدونه وان يتبع التعليمات وان يقوم بما هو متوقع منه وان يمتدح الاخرين وان يخبرهم بانهم عملوا عملا جيداً وان يتقبل زعامة الاخرين وان يقرأ عن الرجال العظام وان ينصاع (يتبع) الاعراف (التقاليد) وان يتجنب ما هو غير متعارف عليه وان يترك الاخرين اتخاذ القرارات .

٣ ــ الترتيب : أن يكون عمل الفرد الكتابي منظماً ومرتباً ،وأن يخطط قبل القيام بعمل صعب ، وان يرتب الاشياء ويحفظها بنظام ، وأن يخطط مسبقاً قبل القيام برحلة ، وأن ينظم تفاصيل العمل ، وأن يحفظ الوسائل والملفات وفقاً لنظام (لتنظيم) معين وأن تكون وجبات طعامه منظمة وأن يخصص وقتاً محدداً للأكل ، وأن تكون الأمور مرتبة بحيث تسير بسهولة وبدون تغيير .

٤ ــ الاستعراض : أن يقول الفرد عبارات تدل على الذكاء والفطنة وأن يسرد القصص والنكات المسلية ، وأن يتكلم عن مغامراته وخبراته الشخصية ، وأن يدع الناس يلاحظون مظهره ويعلقوا عليه وأن يقول شيئاً لمجرد معرفة ما سيكون تأثيرها ذلك على الاخرين وأن يتكلم عن انجازاته الشخصية وأن يكون محور الاهتمام ، وأن يستخدم كلمات لايعرف الاخرون معناها وأن يسأل أسئلة يعرف أنه لايستطيع احد الاجابة عنها .

٥ ــ الاستقلال الذاتي : ان يكون الفرد قادراً على الحركة وفقاً لرغبته وأن يقول رأيه في الموضوعات المختلفة وأن يكون مستقلاً عن الاخرين في أتخاذ القرارات وأن يشعر بالحرية في عمل كل ما يريد وأن يقوم باعمال يعتبرها الاخرون غير مألوفة . وأن يتجنب المواقف التي يتوقع فيها أن ينجز اعمالاً بطريقة تقليدية وأن يقوم بعمل الاشياء دون اعتبار لما قد يفكر به الاخرون وأن ينتقد الاشخاص الذين هم في مركز سلطة ، وأن يتجنب المسؤليات والالتزامات .

٦ ــ الأنتماء (التواد) : أن يكون الفرد مخلصاً لاصدقائه ، وأن يشارك في جماعات صميمية (ودودة) وأن يقدم الخدمات لأصدقائه ، وأن يعقد صداقات جديدة ، وأن يعقد من الصداقات قدر المستطاع . وأن يتقاسم الاشياء مع اصدقائه ، وأن يفضل عمل الاشياء مع اصدقائه على القيام بها لوحده ، وأن تكون علاقاته مع اصدقائه متينة ، وأن يكتب رسائل الى اصدقائه .

٧ ــ التأمل الذاتي : أن يحلل الفرد دوافعه ومشاعره ، وأن يلاحظ الآخرين وأن يفهم شعورهم ازاء المشكلات التي يواجهونها ، وان يضع نفسه في مكان الشخص الآخر ، ويحكم على الاخرين من خلال دوافعهم وليس من خلال افعالهم وأن يحلل سلوك ودوافع الاخرين وأن يتنبأ في كيفية تصرفهم في المواقف المختلفة .

٨ ــ الاستنجاد (المعاضدة): أن يجعل الفرد الاخرين يساعدونه عندما يقع في مأزق وأن يسعى للحصول على تشجيعهم وأن يعاملونه بلطف وأن يكونوا متعاطفين معه ومتفهمين لمشكلاته الخاصة ، وأن يحصل على قدر كبير من التعاطف من الاخرين ،وأن يقدم له الاخرون الافضال بصدر رحب ، وأن يواسوه عندما يكون مكتئباً ، وأن يشعر بالمواساة من قبلهم عندما يمرض وأن يثيروا ضجة من أجله عندما يصاب بالاذى .

٩ ــ السيطرة : أن يدافع الفرد عن وجهة نظره وان يكون قائداً للجماعة التي تخصه (ينتمي اليها) . وان يعتبره الاخرون قائداً وأن ينتخب او يعين رئيساً للجنة ، وأن يتخذ قرارات الجماعة ، وان يحسم المناقشات والمنازعات بين الاخرين ، وأن يقنع الاخرين ويؤثر فيهم كي يفعلوا مايريده وأن يشرف ويوجه اعمالهم وان يعلمهم كيف ينبغي عليهم ان يؤدوا اعمالهم .

١٠ ــ لوم الذات : أن يشعر الفرد بالذنب حينما يقترف عملاً خاطئاً وأن يتقبل اللوم عندما تسوء الامور ، وأن يشعر بان المعاناة من الألم والتعاسة تفيد أكثر مما تضر وأن يشعر بالحاجة الى العقاب اذا ارتكب عملاً خاطئاً وان يشعر بالارتياح عندما يرضخ للاخرين ويتجنب النزاع معهم مما لو حاول التصرف حسب رغبته ، وأن يشعر بضرورة الاعتراف بما ارتكب من اشياء يعتبرها خاطئة ، وأن يشعر بالاكتئاب عن عجزه عن معالجة المواقف المختلفة ، ويشعر بالتهيب عند وجود الاخرين الذين يعتبرهم اعلى شأناً منه ويشعر بأنه اقل شأناً من الاخرين في أكثر المجالات .

١١ ـــ الرعاية (العطف) : أن يساعد الفرد أصدقاءه عندما يقعون في مأزق وان يساعد من هم أقل حظاً منه ، وان يعامل الآخرين بلطف وتعاطف وان يسامح الآخرين ، وان يقدم افضالاً صغيرة لهم ، وان يكون كريماً معهم ويشاركهم وجدانياً عندما يصابون بالأذى او المرض ، وان يظهر لهم قدراً كبيراً من المحبة ، وان يجعلهم يثقون فيه وان يطلعونه على مشكلاتهم .

١٢ ـــ التغيير : أن يعمل الفرد اشياءاً جديدة ومختلفة ، وان يسافر ويتجول في البلاد ويتعرف على إناس جدد ، وان يجدد ويغير في حياته اليومية ، وان يجرب الاشياء الجديدة ويختبرها ، وان يأكل في أماكن ومطاعم جديدة ومختلفة ، وان يجرب الاعمال الجديدة والمتنوعة وان ينتقل في البلاد ويعيش في أماكن مختلفة وأن يشارك في الموضات والتقليعات الجديدة .

١٣ ـــ التحمل : أن يستمر بالعمل حتى ينجزه ، وان يكمل أي عمل أو مهمة بدأ فيها ، وأن يبذل أقصى جهده في المهمة التي يقوم بها وأن يستمر في معالجة لغز أو مسألة حتى يتوصل الى الحل ، وان يتم عملا او مهمة قبل البدء في عمل آخر ، وان يعمل الى وقت متأخر من الليل لينجز مايقوم به ، وأن يقضي ساعات طويلة في عمل دون أن يصرفه عنه شيء وأن يبقى ملازماً لعمل أو مشكلة حتى وان بدا له بأنه لايستطيع الوصول الى النتيجة وأن يتجنب مقاطعة الآخرين له اثناء العمل .

١٤ ـــ الجنسية الغيرية : أن يصاحب الفرد أفراداً من الجنس الآخر ، وان يشترك في النشاطات الاجتماعية مع افراد الجنس الآخر ، وأن يرتبط بعلاقة حب مع فرد من الجنس الآخر ، وأن يقبل الافراد الجذابين من الجنس الآخر، وان يعتبره افراد الجنس الآخر جذاباً وأن يشترك في المناقشات حول الجنس وأن يقرأ الكتب والروايات التي يلعب الجنس فيها دوراً رئيسياً ، وأن يصغي الى النكات الجنسية أو يرويها ، وأن يثار جنسياً.

١٥ ـــ العدوان : أن يهاجم وجهات النظر المخالفة لوجهات نظره وان يبين للآخرين رأيه فيهم ، وأن ينتقد الآخرين علناً وأن يتندر عليهم وأن يوبخ الآخرين عندما لايتفق معهم، وأن ينتقم ممن يهينه ، وأن يغضب ويلقي اللوم على الآخرين عندما تجري الامور على عكس مايريد ، وأن يقرأ الصحف التي تهتم بنشر حوادث القتل وغيرها من اشكال العنف .

الملحق (٢)

الفقرات الاصلية لمقياس التفضيل الشخصي الممثلة للحاجات والموزعة علي طلبة الجامعة لحساب تمييزها.

قائمة التفضيل الشخصي:

عزيزتي الطالبة ، عزيزي الطالب :

يتألف المقياس الحالي من عدد من العبارات تدور حول امور قد ترغب فيها وامور قد لاترغبها وقد وضع امام كل عبارة (٥) اختيارات . المطلوب منك ان تقرأ كل عبارة بدقة ، وان تضع علامة (√) تحت الاختيار الذي تعتقد انه يناسبك .

مثال يوضح كيفية الاجابة :

اذا كنت تعتقد ان العبارة الاتية تنطبق عليك دائماً ، فضع علامة (صح) تحت (تنطبق علي دائماً)

محتوى العبارة	تنطبق علي دائماً	كثيرا ماتنطبق علي	تنطبق علي احياناً	نادرا ماتنطبق علي	لاتنطبق علي اطلاقاً
احب ان اعمل باتجاه هدف اضعهنصب عيني .	√				

وهكذا مع بقية الاختيارات .

ان اختيارك يجب ان يكون في ضوء رغبتك وما تشعر به في الوقت الحاضر وليس بناء على مايجب ان تكون عليه رغباتك ومشاعرك . ان هذا المقياس ليس اختبارا لقدراتك ، فليست هناك اجابة صحيحة او خاطئة ، بل يجب ان تكون اجاباتك وصفا لرغباتك الشخصية ومشاعرك . ان اجابتك الصريحة سوف تسهم إلى حد كبير في نجاح هذا المقياس حاول الا تترك اية عبارة دون الاجابة عنها .

وتقبل خالص الشكر والتقدير ،،،

١ـ احب تجنب المسؤوليات والالتزامات .

٢ـاشعر برغبة في السخرية من الناس الذين يقومون باعمال اعتبرها سخيفة .

٣ ـ أحب الاصغاء الى النكات الجنسية او روايتها .

٤ ـ اشعر برغبة في الانتقام ممن يهينني .

٥ ـ لا أحب أنيقاطعني أحد عندما أقوم بعمل ما .

٦ ـ اشعر برغبة في توبيخ (ترزيل) الاخرين عندما لا أتفق معهم .

٧ ـ احب أن اشارك في الموضات والتقليعات الجديدة .

٨ ـ اشعر برغبة في انتقاد الاخرين علناً اذا كانوا يستحقون ذلك .

٩ ـ احب في اصدقائي ان يثقوا بي وان يطلعوني على مشاكلهم .

١٠ ـ احب قراءة الصحف التي تهتم بنشر حوادث القتل وغيرها من اشكال العنف .

١١ ـ احب ان اتحدث عن انجازاتي .

١٢ ـ احب الاستمرار في معالجة لغز او مسألة حتى اتوصل الى الحل .

١٣ ـ احب ان ارتبط بعلاقة حب مع شخص من الجنس الاخر .

١٤ ـ احب ان اتعرف على اناس جدد .

١٥ ـ احب تقبيل الافراد الجذابين من الجنس الآخر .

١٦ ـ احب تقديم الخدمات البسيطة لأصدقائي .

١٧ ـ احب الاشتراك في النشاطات الاجتماعية مع افراد من الجنس الآخر .

١٨ ـ احب ان ابين للآخرين رأيي فيهم .

١٩ ـ لأحب البدء بعمل او مهمة مالم انجز مالدي من عمل .

٢٠ ـ لو أردت القيام برحلة احب ان اخطط لها مسبقاً .

٢١ ـ احب التنقل في البلاد والعيش في اماكن مختلفة .

٢٢ ـ احب ان اقضي ساعات طويلة في عملي دون ان يصرفني عنه شيء .

٢٣ ـ احب مساعدة من هم اقل حظاً مني .

٢٤ ـ احب ان انجز اي عمل او مهمة ابدأ فيها .

٢٥ ـ احب تجريب الاشياء الجديدة واختبارها .

٢٦ ـ احب ان ابذل جهدي في اي عمل اقوم به .

٢٧ ـ احب التجديد والتغيير في حياتي اليومية .

٢٨ ـ احب ان التزم بالاعراف والتقاليد وان اتجنب عمل الاشياء التي تعتبر غير مألوفة للناس الذين احترمهم .
٢٩ ـ احب معاملة الآخرين بلطف وتعاطف.
٣٠ ـ احب السفر والتجوال في البلاد.
٣١ ـ احب ان اهاجم وجهات النظر المخالفة لوجهات نظري
٣٢ ـ احب ان اسامح اصدقائي الذين قد يؤذونني بعض الاحيان .
٣٣ ـ عندما يكون لدي عمل فانني احب ان ابدأ به وابقى مستمراً فيه حتى يكتمل.
٣٤ ـ احب القيام بأعمال جديدة ومتنوعة.
٣٥ ـ احب ان ابذل اقصى جهدي فيما اقوم به.
٣٦ ـ اشعر برغبة في القاء اللوم على الاخرين عندما تجري الامور على عكس ما اريـــد.
٣٧ ـ اشعر بانني اقل شأناً من الاخرين في اكثر المجالات
٣٨ ـ احب قراءة الكتب والروايات التي يلعب الجنس فيها دوراً رئيسياً.
٣٩ ـ اشعر بضرورة الاعتراف بما فعلت من اشياء اعتبرها خاطئة.
٤٠ ـ احب ان ابقى ملازماً لعمل او مشكلة حتى وان بدا لي انني لااستطيع الوصول الى نتيجـــة.
٤١ ـ اشعر بأن ما قاسيته من الالم والتعاسة كان نفعه أكثر من ضرره.
٤٢ ـ اذا ارتكبت عملاً خاطئاً اشعر انه يجب ان اعاقب عليـــه.
٤٣ ـ احب ان اظهر قدراً كبيراً من المحبة نحو اصدقائي.
٤٤ ـ عندما تجري الامور على عكس ما اريد فانني اشعر بأن اللوم يقع عليّ أكثر من غيري
٤٥ ـ يبلغ بي الغضب حداً يجعلني اشعر برغبة في رمي الاشياء وتحطيمهـــا.
٤٦ ـ اشعر برغبة في اخبار الاخرين كيف ينبغي عليهم ان يؤدوا اعمالهم.
٤٧ ـ احب الاشتراك في مناقشات حول الجنس وما يتعلق به من نشاطات.
٤٨ ـ احب ان ادعى لحل الجدل والنزاع بين الآخرين.
٤٩ ـ احب ان تكون لي القدرة على اقناع الاخرين والتأثير فيهم كي يفعلوا ما اريـــده .

٥٠ — احب تجريب الاعمال الجديدة والمختلفة افضل من الاستمرار على القيام بالاعمال القديمة نفسها .

٥١ — عندما اشترك في لجنة احب ان اعين او أنتخب رئيساً لها .

٥٢ — احب ان يعتبرني الاخرون قائداً .

٥٣ — احب في اصدقائي ان يثيروا ضجة من اجلي عندما اصاب بأذى او بمرض .

٥٤ — احب ان يعتبرني افراد الجنس الآخر جذاباً .

٥٥ — احب في اصدقائي ان يظهروا قدراً كبيراً من المحبة نحوي.

٥٦ — احب في اصدقائي ان يعاملوني بلطف.

٥٧ — احب في اصدقائي ان يكونوا متعاطفين معي ومتفهمين لي عندما تكون لدي مشكلة.

٥٨ — احب في اصدقائي ان يشجعوني عندما اجابه الفشل.

٥٩ — احب التنبؤ عن الكيفية التي سيتصرف بها اصدقائي في المواقف المختلفة .

٦٠ — احب ان اصبح مُثاراً جنسياً .

٦١ — احب دراسة سلوك الاخرين وتحليله .

٦٢ — احب ان اسهر حتى وقت متأخر لكي أنجز عملاً .

٦٣ — احب ان اتفهم شعور اصدقائي حول المشكلات المختلفة التي يتعرضون لها .

٦٤ — احب ان اكل في مطاعم جديدة وغريبة .

٦٥ — احب ان اضع نفسي مكان شخص آخر واتصور شعوري في الموقف نفسه .

٦٦ — احب ان اكون كريماً مع اصدقائي .

٦٧ — احب ملاحظة شعور الاخرين في مواقف معينة.

٦٨ — احب كتابة الرسائل لأصدقائي.

٦٩ — احب مصاحبة ذوي الجاذبية من الجنس الآخر.

٧٠ — احب ان اعقد من الصداقات قدر ما استطيع.

٧١ — احب ان اشارك في جماعات يحمل افرادها مشاعر ودية وحميمة بعضهم لبعض .

٧٢ — احب عقد صداقات جديدة .

٧٣ — احب ان اساعد اصدقائي عندما يقعون في مأزق .

٧٤ — احب ان اكون مخلصاً لاصدقائي.

٧٥ — احب ان اقوم بعمل الاشياء بطريقتي الخاصة دون اعتبار لما قد يفكر به الاخرون .

٧٦ — احب ان اشعر بأني حر في ان اعمل ما اريد عمله .

٧٧ — احب القيام باعمال يعتبرها الاخرون غير مألوفة .

٧٨ — احب ان اشارك اصدقائي وجدانياً عندما يصابون بالاذى او المرض .

٧٩ — احب ان اعبر عن رأيي في الشيء كما اعتقد به .

٨٠ — احب ان اطرح اسئلة اعرف انه لايستطيع احد الاجابة عنها .

٨١ — احب ان اكون محور الاهتمام في الجماعة التي اكون فيها .

٨٢ — احب ان يلاحظ الناس مظهري وان يعلقوا عايه عندما اكون في مكان عام .

٨٣ — احب احياناً القيام باعمال لمجرد معرفة ما سيكون تأثير ذلك على الاخرين .

٨٤ — احب قول الاشياء التي يعتبرها الاخرون دالة على روح النكتة والذكاء .

٨٥ — احب ان تكون وجبات طعامي منظمة وان يخصص وقت محدد للاكل .

٨٦ — احب ان اخطط وانظم تفاصيل اي عمل علي ان اقوم به .

٨٧ — احب ان أضع حاجياتي بشكل مرتب ومنسق على منضدتي او المكان الذيِاعمل فيه .

٨٨ — ان اي عمل كتابي اقوم به احب ان يكون دقيقاً ومنسقاً ومنظماً تنظيماً جيداً .

٨٩ — احب ان اضع خطة قبل الشروع باي عمل صعب .

٩٠ — عندما اكون في مجموعة احب تقبل قيادة شخص اخر يتولى اصدار القرار لما تنوي المجموعة عمله .

٩١ — احب تقبل قيادة الاشخاص الذين اعجب بهم .

٩٢ — احب ان امدح من اعجب به .

٩٣ — احب ان اقول للمسؤلين عني بانهم قد احسنوا القيام بعمل عندما اعتقد انهم فعلوا ذلك .

٩٤ — عندما اخطط لشيء ما احب الحصول على مقترحات من اولئك الذين احترم وجهات نظرهم .

٩٥ — اتمنى كتابة رواية او مسرحية رائعة .

٩٦ — احب ان أكون ناجحاً في الاعمال التي أقوم بها .

٩٧ — اتمنى ان انجز شيئاً ذا اهمية عظيمة .

٩٨ — احب انجاز المهمات التي يرى الاخرون انها تتطلب مهارة وجهدا .
٩٩ — اشعر بالاكتئاب من عجزي عن معالجة المواقف المختلفة .
١٠٠ — عندما اكون في مجموعة من الناس احب ان اتولى اتخاذ القرارات عما نزمع القيام به .
١٠١ — احب في اصدقائي ان يقدموا لي العديد من الخدمات البسيطة بصدر رحب .
١٠٢ — احب ان احلل مشاعر الاخرين ودوافعهم .
١٠٣ — احب تقديم الخدمات لاصدقائي .
١٠٤ — اشعر بارتياح عندما ارضخ للاخرين واتجنب النزاع معهم مما لو حاولت التصرف حسب رغبتي .
١٠٥ — احب الدفاع عن وجهة نظري عندما يهاجمها الاخرون .
١٠٦ — احب التمعن بشخصيات اصدقائي واحاول تشخيص العوامل التي جعلتهم كذلك
١٠٧ — احب ان اكون واحدا من القادة في المنظمات والجماعات التي انتمي اليها .
١٠٨ — احب في اصدقائي ان يساعدوني عندما أقع في مأزق .
١٠٩ — احب تحليل دوافعي ومشاعري .
١١٠ — احب ان انتقد الاشخاص الذين هم في مركز المسؤولية .
١١١ — اشعر بالتهيب عند وجود الاخرين الذين اعتبرهم اعلى مني شأنا .
١١٢ — احب في اصدقائي ان يعبروا عن حزنهم عندما اكون مريضاً .
١١٣ — اشعر بالذنب عند القيام بعمل اعرف انه خطأ .
١١٤ — احب ان اشرف على اعمال الاخرين واوجههم متى ما استطعت ذلك .
١١٥ — احب في اصدقائي ان يتعاطفوا معي ويدخلوا البهجة إلى نفسي عندما اكون مكتئبا .
١١٦ — احب ان تكون حياتي على درجة من التنظيم بحيث تسير بسهولة.
١١٧ — احب ان احكم على الاخرين من خلال دوافعهم وليس من خلال افعالهم.
١١٨ — احب ان اتقاسم الاشياء مع اصدقائي .
١١٩ — احب ان تكون علاقاتي مع اصدقائي متينة .
١٢٠ — احب تجنب المواقف التي يتوقع مني فيها ان انجز أعمالاً بطريقة تقليدية .
١٢١ — احب ان استخدم كلمات لايعرف الآخرون معناها غالباً .

١٢٢ — احب ان احتفظ بالرسائل والوصولات وغيرها من الاوراق بصورة دقيقة ومجمعة في ملف وفق نظام معين .

١٢٣ — احب ان يكون عملي منظماً ومخططاً له قبل البدء به .

١٢٤ — احب حل الالغاز والمسائل التي يلاقي الآخرون صعوبة في حلها .

١٢٥ — احب ان اكون قادراً على عمل الاشياء بصورة افضل مما يستطيع الآخرون عملها .

١٢٦ — احب ان اكون قادراً على القول بانني قد انجزت عملا صعباً بصورة جيدة .

١٢٧ — احب ان اكون مستقلا عن الآخرين في اتخاذ القرار حول ما اريد عمله .

١٢٨ — احب ان اتحدث للآخرين عن مغامراتي وعن الاشياء الغريبه التي حدثت لي.

١٢٩ — احب ان اتعرف على آراء مشاهير الرجال والنساء حول المشاكل المختلفة التي اهتم بها .

١٣٠ — احب ان اقرأ عن حياة مشاهير الرجال والنساء .

١٣١ — احب ان اكون مرجعاً معترفاً به في عمل او مهنة او مجال من مجالات التخصص

١٣٢ — احب ان تكون تحركاتي وفق رغبتي .

١٣٣ — احب ان اسرد القصص المسلية والنكات في الدعوات والحفلات الخاصة.

١٣٤ — احب ان التزم بالتعليمات واعمل ماهو متوقع مني عمله .

١٣٥ — احب عمل الاشياء مع اصدقائي أفضل من القيام بها لوحدي .

الملحق (٣)

ترتيب الحاجات في ضوء الواقع لدى طلبة الجامعة

عزيزي الطالب / الطالبة

تحاول الدراسة الحالية قياس عدد من الحاجات النفسية للطالب الجامعي ، وقد اوضح معنى هذه الحاجات النفسية والتي عددها (١٥) حاجة ادناه . الذي نرجوه منك بعد ان تقرأ تفاصيل كل حاجة بأمعان ، ان ترتبها حسب قوة انطباقها عليك في الوقت الحاضر ، اي ان تدرجها من الحاجات الاكثر انطباقاً عليك الى الحاجات الاقل انطباقاً .

مع جزيل شكر الباحثين وتقديرهما .

الحاجات	تفاصيلها	الترتيب الواقعي للحاجات
١ – الانجاز	نزوع الفرد الى انجاز ما يقوم به من عمل بصورة جيدة ، باذلا به اقصى جهد وان يكون العمل ذا اهمية .	
٢ – الخضوع	ان يقبل قيادة الاخرين ، وتعليماتهم ، ومقترحاتهم وان يترك لهم اتخاذ القرارات وان يتبع التقاليد.	
٣ – (الترتيب)	ان يخطط الفرد للعمل قبل القيام به ، وان يرتب اشياءه ويحفظها بطريقة منظمة.	
٤ – الاستعراض	ان يكون الفرد مركز اهتمام الاخرين ، متحدثا لهم عن انجازاته وخبراته ومغامراته الشخصية ، ويهمه ملاحظات وتعليقات الاخرين على اقواله ومظهره .	
٥ – الاستقلال الذاتي	ان يشعر الفرد بالحرية فيما يعمله من اشياء ، وان يقول رأيه في الموضوعات المختلفة ، وان يكون مستقلا عن الاخرين في اتخاذ القرارات .	

٦ ــ	الانتماء (التواد)	ان يكون الفرد مخلصاً لاصدقائه ، وعلاقاته معهم متينة ، وراغباً في العمل معهم ، عاقداً اكبر قدر من الصداقات
٧ ــ	التأمل الذاتي	ان يحلل الفرد دوافعه ومشاعره ، متفهماً شعور الآخرين ازاء المشكلات التي يواجهونها ، محللاً سلوكهم في المواقف المختلفة .
٨ ــ	الاستنجاد (المعاضدة)	ان يعتمد الفرد على مساعدة الآخرين له ، وان يحصل على قدر كبير من العطف والمشاركة الوجدانية والتفهم لمشكلاته .
٩ ــ	السيطرة	ان يكون الفرد قائداً في الجماعة التي ينتمي اليها ، مؤثراً فيهم ، وأن يحسم المناقشات والخلافات بينهم وان يتخذ القرارات التي تخص جماعته بنفسه .
١٠ ــ	(لوم الذات)	ان يشعر الفرد بأنه اقل شأناً من الآخرين في اكثر المجالات ، وان يتقبل اللوم عندما تسوء الامور ، وان يشعر بالخجل والاثم لدى ارتكابه الخطأ ، ميالاً الى الاعتراف به .
١١ ــ	الرعاية (العطف)	ان يساعد الفرد الآخرين ، ويشاركهم عواطفهم حين يقعون في مشكلة ، وان يكون كريماً معهم ومحباً لهم .
١٢ ــ	التغيير	ان يحب الفرد التجديد والتغيير في اعماله وفي حياته اليومية ، وان يقبل على الاعمال الجديدة ، مجرباً لها .

١٣ ــ التحمــل	ان يستمر الفرد في عمل حتى ينجزه ، وان يبقى ملازماً لعمل او مشكلة حتى وان بدا له انه لايستطيع الوصول الى نتيجة منها .
١٤ ــ الجنسية الغيرية	ان يهتم الفرد بالجنس الآخر وان يقرأ الكتب والروايات التي يلعب الجنس فيها دوراً رئيساً ، وان يشترك في مناقشات حول الجنس وما يتعلق به من نشاطات .
١٥ ــ العــدوان	ان يهاجم الفرد وجهات النظر المخالفة لوجهات نظره ، يلوم الآخرين ، معنفاً او منتقداً لهم عندما يختلف عنهم في الرأي .

الملحق (٤)

مقياس دافع الانجاز الدراسي المكيف لطلبة الجامعة

عزيزتي الطالبة / عزيزي الطالب

يتألف المقياس الحالي من عدد من العبارات التي تتناول بعض صفات الطالب في المرحلة الجامعية وما يواجهه من امور فيها . وقد وضع امام كل عبارة خمسة اختيارات (بدائل) المطلوب ان تقرأ منها كل عبارة بدقة وان تضع علامة (√) تحت البدل الذي تعتقد أنه يناسبك .

مثال يوضح كيفية الاجابة .

اذا كنت تعتقد بان العبارة تنطبق عليك دائما فضع علامة (√) تحت (تنطبق علي دائماً) كما في المثال الاتي : —

محتوى العبارة	لا تنطبق علي اطلاقاً	نادراً ما تنطبق علي	تنطبق علي احياناً	كثيراً ما تنطبق علي	تنطبق علي دائماً
عندي ثقة كبيرة في النجاح					

وهكذا مع بقية الاختيارات (البدائل)

ان تحديد اجابتك واختيار البديل المناسب يجب ان يتم بناء على فكرتك عن نفسك وما تعتقده من سلوك المدرسي . وستبقى اجابتك سراً لن يطلع عليها احد سوى الباحث نفسه . لذا يرجى الاجابة بكل صراحة وامانة حاول الا تترك اية عبارة دون الاجابة عنها .

وتقبل خالص شكر الباحثين وتقديرهما

محتوى العبارة	لا تنطبق علي اطلاقا	نادراً ما تنطبق علي	تنطبق علي احياناً	كثيراً ما تنطبق علي	تنطبق علي دائماً
١ . اضع لنفسي مستوى عال من الدراسة احاول الوصول اليـــــــه .					
٢ . احب النشاط والعمل داخل الصف وخارجه .					
٣ . عندما امتحن بعض الموضوعات الصعبة اتوقع الفشل فيها اكثر من النجاح .					
٤ . لدي ثقة كبيرة في النجاح .					
٥ . الجأ الى الغش في الامتحان عندما لاأتمكن من الاجابة على الاسئلة .					
٦ . احب الدراسة لاجل الدراسة وليس لشيء آخر .					
٧ . لأأترك وقت فراغ يفوتني دون ان استغله في الدراسة .					
٨ . افضل ساعات يومي هي عندما اذهب الى السينما او النادي او عندما اتنزه .					

محتوى العبارة	لاتنطبق علي اطلاقاً	نادراً ما تنطبق علي	تنطبق علي احياناً	كثيرا ما تنطبق علي	تنطبق علي دائما
٩ . اشعر ببعض الملل من الدراسة بسبب كثرة الدروس والامتحانات .					
١٠. لايهمني مابذله من وقت وجهد ان كان ذلك يساعدني على تحقيق النجاح .					
١١. اشعر بالمتعة عندما اطالع الكتب الخارجية التي تفيدني في دراستي .					
١٢. استمتع بالوقت الطويل الذي اقضيه في احاديث عامة مع اصدقائي .					
١٣. لااشعر بالراحة حتى انهي واجباتي الدراسية الجامعية .					
١٤. اشعر أن الدراسة مسؤولية كبيرة لااستطيع تحملها .					
١٥. احب الجامعة عندما لا تكون فيها امتحانات وواجبات بيتية.					
١٦. الدراسة عندي سلسلة تحديات وعلي ان اتغلب عليها لاعتبر نفسي ناجحاً .					

محتوى العبارة	لا تنطبق علي اطلاقا	نادراً ما تنطبق علي	تنطبق علي احياناً	كثيراً ما تنطبق علي	تنطبق علي دائماً
١٧. لا تهمني الدرجات الصفية بقدر اهتمامي بأداء عملي الدراسي بصورة جيدة .					
١٨. احاول احيانا بذل الجهد في الدراسة كلما شجعني المدرس على ذلك .					
١٩. اشعر في بعض الاحيان ان المهن الحرة انفع لي من مواصلة الدراسة الجامعية .					
٢٠. اشعر بالرغبة في المثابرة على الدروس حتى وان واجهتني المصاعب في الجامعة وخارجها .					
٢١. لا اميل إلى التنافس في الدروس مع بقية الطلبة .					
٢٢. احاول دائماً ان اتفوق على زملائي في الامتحانات .					
٢٣. اشعر ان الوقت يمر بطيئاً في الصف .					
٢٤. انا في سباق مع الزمن من اجل النجاح .					
٢٥. اهتم بدروسي فقط ولا تهمني مشاغل الحياة الاخرى .					

محتوى العبارة	لا تنطبق علي اطلاقاً	نادراً ما تنطبق علي	تنطبق علي احياناً	كثيراً ما تنطبق علي	تنطبق علي دائماً
٢٦. عندما لا استوعب درساً من الدروس اتركه وانصرف إلى شيء آخر لا يتعلق بالدراسة .					
٢٧. كثيراً ما اشعر بالحاجة إلى تأجيل امتحاناتي الصفية .					
٢٨. انا مصمم على بذل ما لدي من جهد في تحضير دروسي .					
٢٩. احب مطالعة دروسي حتى في اثناء العطل .					
٣٠. اتعب بسرعة من مطالعة الدروس الصعبة .					
٣١. اشعر بالملل من الاستمرار في التحضير للامتحان .					
٣٢. رغم صعوبة بعض الموضوعات الدراسية فانني واثق من حصولي على درجات عالية فيها .					
٣٣. اسعى لان يكون تحضيري اليومي للدروس افضل من بقية الطلبة لكي استطيع المنافسة في الصف .					

٣٤. اعتمد على الطلبة الاخرين في دراستي .

٣٥. انا دائم التفكير في مستقبلي الدراسي .

٣٦. افكر في يومي هذا ولا يهمني ماذا يحدث غداً .

٣٧. اميل إلى الموضوعات السهلة .

٣٨. لدي القدرة على مواجهة صعوبات الدراسة والتغلب عليها .

٣٩. عندما يكون الموضوع الدراسي الذي امامي صعباً اتركه وانصرف إلى موضوع سهل .

٤٠. يؤلمني الحصول على درجة في الامتحان اقل مما اتوقع .

٤١. ابذل جهدي في اي موضوع دراسي وان كان صعباً .

٤٢. اسعى لان اكون في مستوى الطلبة المتفوقين في دروسهم .

٤٣. ارغب في الامتحانات عندما تكون اسئلتها سهلة .

٤٤. لدي صورة واضحة عن مستقبلي الدراسي .

٤٥. لاأجد في دروسي مايدفعني الى المثابرة .

٤٦. عندما لاافهم موضوعا دراسيا معينا احاول بذل كل جهدي لفهمه .

٤٧. انا قادر على حل مايصعب على الطلبة الاخرين حلـــه .

٤٨. استوعب شرح المدرس للموضوعات الصعبة بصورة افضل من الطلبة الاخرين

. اشعر بالراحة عندما يتغيب المدرس لامر ما .

الملحق (٥)

مقياس دافع الأنجاز الدراسي لدى طلبة المدارس الاعدادية

عـزيـزي الطالب ، عزيزتي الطالبة ..

يتألف المقياس الحالي من عدد من العبارات التي تتناول بعض صفات الطالب في المرحلة الاعدادية ، وما يواجهه من امور في المدرسة وقد وضعت كل عبارتين بشكل زوج مستقل. عليك أن تقرأ العبارتين في كل زوج بامعان وان تختار العبارة الاكثر انطباقا عليك وتهمل العبارة الاخرى .

مثال يوضح كيفية الاجابة :

اؤمن في كثير من الاحيان ان النجاح في الدروس يعتمد على الحظ .

اضع لنفسي مستوى عالياً من الدراسة احاول الوصول اليه .

فاذا كنت تعتقد ان محتوى العبارة الأولى اكثر انطباقا عليك من الثانية فضع علامة (√) امام العبارة الأولى اما اذا كان محتوى العبارة الثانية اكثر انطباقا عليك من الأولى فضع علامة (صح) امام العبارة الثانية .

وتقبل خالص شكر الباحث وتقديره

الـفـقــرات

(١ ــ آ) أضع لنفسي مستوى عاليا من الدراسة احاول الوصول اليه .
(١ ــ ب) اؤمن في كثير من الأحيان ان النجاح في الدروس يعتمد على الحظ .
(٢ ــ آ) احب النشاط والعمل داخل الصف وخارجه .
(٢ ــ ب) انا شارد الذهن في اغلب الأحيان ، جسمي في الصف وعقلي خارجه.
(٣ ــ آ) عندما امتحن بعض الموضوعات الصعبة اتوقع الفشل فيها اكثر من توقع النجاح .
(٣ ــ ب) لدي ثقة كبيرة في النجاح .
(٤ ــ آ) الجأ إلى الغش في الامتحان عندما لا اتمكن من الاجابة على الاسئلة .
(٤ ــ ب) احب الدراسة لأجل الدراسة وليس لشيء اخر .
(٥ ــ آ) لا أترك وقت فراغ يفوتني دون أن استغله في الدراسة .
(٥ ــ ب) أفضل ساعات يومي هي عندما اذهب إلى السينما او النادي او عندما اتنزه
(٦ ــ آ) اشعر ببعض الملل من الدراسة بسبب كثرة الدروس والامتحانات .
(٦ـ ب) لا يهمني ما ابذله من وقت وجهد ان كان ذلك يساعدني على تحقيق النجاح
(٧ ــ أ) اشعر بالمتعة عندما اطالع الكتب الخارجية التي تفيدني في دراستي.
(٧ ــ ب) استمتع بالوقت الطويل الذي اقضيه في احاديث عامة مع اصدقائي.
(٨ ــ أ) لا أشعر بالراحة حتى انهي واجباتي المدرسية تماماً.
(٨ ــ ب) اشعر ان الدراسة مسؤولية كبيرة لا أستطيع تحملها.
(٩ ــ أ) احب المدرسة عندما لاتكون فيها امتحانات وواجبات بيتية.
(٩ ــ ب) الدراسة عندي سلسلة تحديات وعليّ ان أتغلب عليها لاعتبر نفسي ناجحاً .
(١٠ ــ أ) لاتهمني الدرجات المدرسية بقدر اهتمامي باداء عملي الدراسي بصورة جيدة .
(١٠ ــ ب)احاول احياناً بذل الجهد في الدراسة كلما شجعني المدرس على ذلك.
(١١ ــ أ) اشعر في بعض الاحيان ان المهن الحرة انفع لي من مواصلة الدراسة.
(١١ ــ ب) اشعر بالرغبة في المثابرة على الدروس حتى وان واجهتي المصاعب في المدرسة وخارجها .
(١٢ ــ أ) لاأميل الى التنافس في الدروس مع بقية الطلبــة.

الفقرات
(١٢ ــ ب) احاول دائماً ان اتفوق على زملائي في الامتحانات .
(١٣ ــ أ) اشعر ان الوقت يمر بطيئاً في الصف.
(١٣ ــ ب) انا في سباق مع الزمن من اجل النجـــاح .
(١٤ ــ آ) اهتم بدروسي فقط ولاتهمني مشاغل الحياة الاخرى .
(١٤ ــ ب) عندما لا استوعب درسا من الدروس اتركه وانصرف إلى شيء اخر لايتعلق بالدراسة .
(١٥ ــ آ) كثيراً ما اشعر بالحاجة إلى تأجيل امتحاناتي الصفية .
(١٥ ــ ب) انا مصمم على بذل مالدي من جهد في تحضير دروسي .
(١٦ ــ آ) احب مطالعة دروسي حتى في اثناء العطل .
(١٦ ــ ب) اتعب بسرعة من مطالعة الدروس الصعبة .
(١٧ ــ آ) اشعر بالملل من الاستمرار في التحضير للامتحان .
(١٧ ــ ب) رغم صعوبة بعض الموضوعات الدراسية فانني واثق من حصولي على درجات عالية فيها .
(١٨ ــ آ) أسعى لان يكون تحضيري اليومي للدروس افضل من بقية الطلبة لكي استطيع المنافسة في الصف .
(١٨ ــ ب) اعتمد على الطلبة الاخرين في دراستي .
(١٩ ــ آ) انا دائم التفكير في مستقبلي الدراسي .
(١٩ ــ ب) افكر في يومي هذا ولايهمني ماذا يحدث غدا .
(٢٠ ــ آ) اميل إلى الموضوعات السهلة .
(٢٠ ــ ب) لدي القدرة على مواجهة صعوبات الدراسة والتغلب عليها .
(٢١ ــ آ) عندما يكون الموضوع الدراسي الذي امامي صعباً اتركه انصرف إلى موضوع سهل .
(٢١ ــ ب) ابذل جهدي في اي موضوع دراسي وان كان صعباً .
(٢٢ ــ آ) اتضايق من اسئلة الاخرين عن مستوى تحصيلي في الدروس .
(٢٢ ــ ب) يؤلمني الحصول على درجة في الامتحان اقل مما اتوقع .
(٢٣ ــ آ) اسعى لان اكون في مستوى الطلبة المتفوقين في دروسهم .

الفـقـرات
(٢٣ ـ ب) ارغب في الامتحانات عندما تكون اسئلتها سهلة .
(٢٤ ـ آ) لدي صورة واضحة عن مستقبلي الدراسي .
(٢٤ ـ ب) لا اجد في دروسي مايدفعني إلى المثابرة .
(٢٥ ـ آ) عندما لا أفهم موضوعا دراسيا معينا احاول بذل كل جهدي لفهمه.
(٢٥ ـ ب) انا قادر على حل مايصعب على الطلبة الاخرين حله .
(٢٦ ـ آ) استوعب شرح المدرس للموضوعات الصعبة بصورة افضل من الطلبة الاخرين .
(٢٦ ـ ب) اشعر بالراحة عندما يتغيب المدرس لامر ما .



الملحق (٦)

الجامعة المستنصرية
كليـــة الآداب
قسم علم النفس

قائمة التفضيل الشخصي

زيزتي الطالبة .... عزيزي الطالب ...

تتضمن هذه القائمة ازواجاً من العبارات حول امور قد ترغب بها وامور لاترغبها وتجد في المثال الاتي توضيحاً لذلك .

آ- احب ان اتحدث عن نفسي للاخرين .

ب- احب ان اعمل باتجاه هدف أضعه نصب عيني .

فعندما تكون راغباً في التحدث عن نفسك للاخرين اكثر من رغبتك في العمل نحو هدف وضعته نصب عينك فعليك ان تختار العبارة (أ) بدلا من العبارة (ب) ولو كنت راغباً بالعمل نحو هدف وضعته نصب عينك اكثر من رغبتك في التحدث عن نفسك للاخرين فعليك ان تختار العبارة (ب) بدلا من العبارة (آ) وربما ترغب في في اختيار كلتي العبارتين (آ) .(ب) وفي مثل هذه الحالة عليك ان تفاصل بينهما وتختار ايهما اكثر رغبة من الاخرى . اما اذا كنت غير راغب بكلتي العبارتين (آ) ، (ب) فعليك ان تختار العبارة التي هي اقرب انطباقا عليك من الاخرى .

كما وتجد ايضا ان بعض ازواج العبارات في القائمة الحالية تتعلق باحاسيسك ومشاعرك نحو بعض الأمور وتجد في المثال الاتي توضيحا لذلك :

آ- اشعر بالاكتئاب عندما اخفق في عمل ما .

ب- اشعر بالتهيب عند التحدث امام الجماعة .

فعندما يكون الاكتئاب نتيجة الاخفاق في العمل اكثر انطباقا عليك من كونك متهيباً لدى التحدث امام جماعة فعليك اختيار العبارة (آ) بدلا من العبارة (ب) اما اذا كان محتوى العبارة (ب) اكثر انطباقا عليك من محتوى العبارة (آ) فعليك ان تختار العبارة (ب) بدلا من العبارة (آ) .

واذا كانت كلتا العبارتين تصفان مشاعرك فعليك ان تختار العبارة التي تعتقد انها تناسبك اكثر فان كانت كلتا العبارتين لاتصفان مشاعرك بدقة فعليك ان تختار منهما الاقرب إلى مشاعرك .

ان اختيارك يجب ان يكون في ضوء رغبتك وما تشعر به في الوقت الحاضر وليس بناء على مايجب ان تكون عليه رغباتك ومشاعرك . ان هذه القائمة ليست اختباراً لقدراتك فليست هناك اجابة صحيحة او خاطئة بل ان اجاباتك يجب ان تكون وصفاً لرغباتك الشخصية ومشاعرك ، وعلى هذا يجب ان تختار احدى عبارتي كل زوج من أزواج العبارة ولا تهمل ايا منها .

وعندما ستنتهي من قراءة هذه التعليمات ستجد في الصفحات القادمة ازواجا من العبارات مشابهة للامثلة التي ذكرت اعلاه .

اقرأ كل زوج من العبارات واختر العبارة التي تصف رغباتك ومشاعرك بصورة افضل ولا تضع اية علامة على هذه القائمة وتجد مع هذه القائمة صحيفة الاجابة مرقمة حسب ماهو وارد في القائمة . تأكد من أن الرقم الذي تختاره في صحيفة الاجابة يتطابق مع رقم الفقرة التي تختارها في القائمة .

تقبل خالص شكر الباحثين وتقديرهم

١ ـ آ) احب ان اساعد اصدقائي عندما يقعون في مأزق .
ب) احب ان ابذل جهدي في اي عمل اقوم به .
٢ ـ آ) احب ان اتعرف على اراء مشاهير الرجال والنساء حول المشاكل المختلفة والتي اهتم بها .
ب) احب ان انجز شيئا ذا اهمية عظيمة .
٣ ـ آ) ان أي عمل كتابي اقوم به احب ان يكون دقيقاً ومنسقاً ومنظما تنظيماً جيداً
ب) احب ان اكون مرجعاً معترفاً به في عمل اومهنة او مجال من مجالات التخصص .
٤ ـ آ) احب ان اسرد القصص المسلية والنكات في الدعوات والحفلات الخاصة
ب) اتمنى كتابة رواية او مسرحية رائعة .
٥ ـ آ) احب ان تكون تحركاتي وفق رغبتي .
ب) احب ان اكون قادرا على القول بانني قد انجزت عملا صعباً بصورة جيدة
(٦ ـ آ) احب حل الالغاز والمسائل التي يلاقي الاخرون صعوبة في حلها
ب) احب ان التزم بالتعليمات واعمل ماهو متوقع مني عمله .
٧ ـ آ) احب التجديد والتغيير في حياتي اليومية .
ب) احب ان اقول للمسؤولين عني بانهم قد احسنوا القيام بعمل عندما اعتقد انهم فعلوا ذلك .
٨ ـ آ) احب ان احفظ وانضم تفاصيل أي عمل علي ان اقوم به .
ب) احب ان التزم بالتعليمات واعمل ماهو متوقع مني عمله .
٩ ـ آ) احب ان يلاحظ الناس مظهري وان يعلقوا عليه عندما اكون في مكان عام
ب) احب ان اقرأ عن حياة مشاهير الرجال والنساء .
١٠ ـ آ) احب تجنب المواقف التي يتوقع مني فيها ان انجز أعمالا بطريقة تقليدية.
ب) احب ان اقرأ عن حياة مشاهير الرجال والنساء
١١ ـ آ) احب ان اكون مرجعاً معترفا به في عمل او مهنة او مجال من مجالات التخصص .
ب) احب ان يكون عملي منظماً ومخططا له قبل البدء به .

١٢ ـ آ) احب ان اتعرف على اراء مشاهير الرجال والنساء حول المشاكل المختلفة والتي اهتم بها .

ب) لو اردت القيام برحلة احب ان اخطط لها مسبقاً .

١٣ ـ آ) احب ان انجز اي عمل او مهمة ابدأ فيها .

ب) احب ان اضع حاجياتي بشكل مرتب ومنسق على منضدتي او المكان الذي اعمل فيه .

١٤ ـ آ) احب ان اتحدث للاخرين عن مغامراتي وعن الاشياء الغريبة التي حدثت لي.

ب) احب ان تكون وجبات طعامي منظمة وان يخصص وقت محدد للأكل .

١٥ ـ آ) احب ان اكون مستقلا عن الاخرين في اتخاذ القرار حول ما اريد عمله .

ب) احب ان اصنع حاجياتي بشكل مرتب ومنسق على منضدتي او المكان الذي اعمل فيه .

١٦ ـ آ) احب ان اكون قادرا على عمل الأشياء بصورة افضل مما يستطيع الاخرون عملها .

ب) احب ان اسرد القصص المسلية والنكات في الدعوات والحفلات الخاصة .

١٧ ـ آ) احب ان التزم بالاعراف والتقاليد وان اتجنب عمل الاشياء التي تعتبر غيرمألوفة للناس الذين احترمهم .

ب) احب ان اتحدث عن انجازاتي .

١٨ ـ آ) احب ان تكون حياتي على درجة من التنظيم بحيث تسير بسهولة .

ب) احب ان اتحدث للاخرين عن مغامراتي وعن الاشياء الغريبة التي حدثت لي.

١٩ ـ آ) احب قراءة الكتب والروايات التي يلعب الجنس فيها دورا رئيساً .

ب) احب ان اكون محور الاهتمام في الجماعة التي اكون فيها.

٢٠ ـ آ) احب ان انتقد الأشخاص الذين هم في مركز المسؤولية .

ب) احب ان استخدم كلمات لايعرف الاخرون معناها .

٢١ ـ آ) احب انجاز المهمات التي يرى الاخرون انها تتطلب مهارة وجهدا .

ب) احب ان تكون تحركاتي وفق رغبتي .

٢٢ ـ آ) احب ان امدح من اعجب به .

٢٢- ب) احب ان اشعر بانني حر في ان اعمل ماريد عمله .

٢٣-آ) احب ان احتفظ بالرسائل والوصولات وغيرها من الاوراق بصورة دقيقة ومجمعةفي ملف وفق نظام معين

ب) احب ان اكون مستقلا عن الاخرين في اتخاذ القرار حول ماريد عمله.

٢٤ -آ) احب ان اطرح اسئلة اعرف انه لايستطيع احد الاجابه عنها .

ب) احب ان انتقد الاشخاص الذين هم في مركز المسؤولية .

٢٥ - آ) يبلغ بي الغضب حدا يجعلني اشعر برغبة في رمي الاشياء اوتحطيمها .

ب) احب تجنب المسؤوليات والالتزامات .

٢٦ -آ) احب ان اكون ناجحا في الاعمال التي اقوم بها .

ب) احب عقد صداقات جديدة .

٢٧ - آ) احب ان التزم بالتعليمات واعمل ما هو متوقع مني عمله .

ب) احب ان تكون علاقاتي مع اصدقائي متينة .

٢٨ - آ) ان اي عمل كتابي اقوم به احب ان يكون دقيقاً ومنظماً تنظيماً جيداً .

ب) احب ان اعقد من الصداقات قدر ما أستطيع .

٢٩ - آ) احب ان اسرد القصص المسلية و النكات في الدعوات والحفلات الخاصة.

ب) احب كتابة الرسائل لاصدقائي .

٣٠ - آ) احب ان تكون تحركاتي وفق رغبتي .

ب) احب ان اتقاسم الاشياء مع اصدقائي .

٣١ - آ) احب حل الالغاز والمسائل التي يلاقي الاخرون صعوبة في حلها .

ب) احب ان احكم على الاخرين من خلال دوافعهم وليس من خلال افعالهم .

٣٢ - آ) احب تقبل قيادة الاشخاص الذين اعجب بهم .

ب) احب ان اتفهم شعور اصدقائي حول المشكلات المختلفة التي تفرض عليهم.

٣٣ - آ) احب ان تكون وجبات طعامي منظمة وان يخصص وقت محدد للاكل .

ب) احب دراسة سلوك الاخرين وتحليله .

٣٤ - آ) احب قول الاشياء التي يعتبرها الاخرون دالة على روح النكتة والذكاء.

ب) احب ان اضع نفسي مكان شخص اخر واتصور شعوري في الموقف نفسه.

٣٥ ــ آ) احب ان اشعر بأني حر في ان اعمل ما اريد عمله .
ب) احب ملاحظة شعور الاخرين في مواقف معينة .

٣٦ ــ آ) احب انجاز المهمات التي يرى الاخرون انها تتطلب مهارة وجهداً .
ب) احب في اصدقائي ان يشجعوني عندما اجابه الفشل .

٣٧ ــ آ) عندما اخطط لشيء ما احب الحصول على مقترحات من اولئك الذين احترم وجهات نظرهم .
ب) احب في اصدقائي ان يعاملوني بلطف .

٣٨ ــ آ) احب ان تكون حياتي على درجة من التنظيم بحيث تسير بسهولة .
ب) احب في اصدقائي ان يعبروا عن حزنهم عندما امرض .

٣٩ ــ آ) احب ان اكون محور الاهتمام في الجماعة التي اكون فيها .
ب) احب في اصدقائي ان يثيروا ضجة من اجلي عندما اصاب بأذى او بمرض.

٤٠ ــ آ) احب تجنب المواقف التي يتوقع مني فيها ان انجزا اعمالا بطريقة تقليدية.
ب) احب في اصدقائي ان يتعاطفوا معي ويدخلوا البهجة الى نفسي عندما اكون مكتئباً .

٤١ ــ آ) اتمنى كتابة رواية او مسرحية رائعة .
ب) عندما اشترك في لجنة احب ان اعين او انتخب رئيساً لها .

٤٢ ــ آ) عندما اكون في مجموعة احب تقبل قيادة شخص اخر يتولى اصدار القرار لما تنوي المجموعة عمله .
ب) احب ان اشرف على اعمال الاخرين واوجههم متى ما استطعت ذلك.

٤٣ ــ آ) احب ان احتفظ بالرسائل والوصولات وغيرها من الاوراق بصورة دقيقة ومجمعة في ملف وفق نظام معين .
ب) احب ان اكون واحداً من القادة في المنظمات والجماعات التي انتمي اليها.

٤٤ ــ آ) احب ان اطرح اسئلة اعرف أنه لايستطيع احد الاجابة عنها .
ب) اشعر برغبة في أخبار الاخرين كيف ينبغي عليهم ان يؤدوا اعمالهم .

٤٥ ــ آ) احب تجنب المسؤوليات والالتزامات .
ب) احب ان ادعى لحل الجدل والنزاع بين الاخرين .

٤٦ ــ آ) احب ان اكون مرجعاً معترفاً به في عمل او مهمة او مجال من مجـــــالات التخصص .

ب) اشعر بالذنب عند القيام بعمل اعرف أنه خطأ .

٤٧ ــ آ) احب ان اقرأ عن حياة مشاهير الرجال والنساء .

ب) اشعر بضرورة الاعتراف بما فعلت من اشياء اعتبرها خاطئة .

٤٨ ــ آ) احب ان اخطط وانضم تفاصيل اي عمل علي ان اقوم به .

ب) عندما تجري الامور على عكس ماارید فانني أشعر بان اللوم يقع عليّ اكثر من غيري .

٤٩ ــ آ) احب ان استخدم كلمات لايعرف الاخرون معناها .

ب) اشعر بانني اقل شأناً من الاخرين في اكثر المجالات .

٥٠ ــ آ) احب ان انتقد الاشخاص الذين هم في مركز المسؤولية .

ب) اشعر بالتهيب عند وجود الاخرين الذين اعتبرهم اعلى مني شأناً .

٥١ ــ آ) احب ان ابذل أقصى جهادي فيما اقوم به .

ب) احب مساعدة من هم اقل حظاً مني .

٥٢ ــ آ) احب ان اتعرف على اراء مشاهير الرجال والنساء حول المشاكل المختلفــة والتي اهتم بها .

ب) احب ان اكون كريماً مع اصدقائي .

٥٣ ــ آ) احب ان اضع خطة قبل الشروع باي عمل صعب .

ب) احب تقديم الخدمات البسيطة لاصدقائي .

٥٤ ــ آ) احب ان اتحدث للاخرين عن مغامراتي وعن الاشياء الغريبة التي حدثت لي .

ب) احب في اصدقائي ان يثقوا بي وان يطلعوني على مشاكلهم .

٥٥ ــ آ) احب ان اعبر عن رأيي في الشيء كما اعتقد .

ب) احب ان اسامح اصدقائي الذين قد يؤذونني بعض الاحيان .

٥٦ ــ آ) احب ان اكون قادراً على عمل الاشياء بصورة افضل مما يستطيع الاخرون عملها .

ب) احب ان اكل في مطاعم جديدة وغريبة .

٥٧ ـ آ) احب ان التزم بالاعراف والتقاليد وان اتجنب عمل الاشياء التي تعتبر غير مألوفة للناس الذين احترمهم .

ب) احب ان اشارك في الموضات والتقليعات الجديدة .

٥٨ ـ آ) احب ان يكون عملي منظماً ومخططاً له قبل البدء به .

ب) احب السفر والتجوال في البلاد .

٥٩ ـ آ) احب ان يلاحظ الناس مظهري وان يعلقوا عليه عندما اكون في مكان عام

ب) احب التنقل في البلاد والعيش في اماكن مختلفة .

٦٠ ـ آ) احب ان اكون مستقلا عن الاخرين في اتخاذ القرار حول ماأريد عمله.

ب) احب القيام باعمال جديدة ومتنوعة .

٦١ ـ آ) احب ان اكون قادراً على القول باني قد انجزت عملا صعباً بصورة جيدة .

ب) احب ان ابذل جهدي في أي عمل أقوم به .

٦٢ ـ آ) احب ان اقول للمسؤولين عني بانهم قد احسنوا القيام بعمل عندما اعتقد انهم فعلوا ذلك .

ب) لا احب البدء بعمل او مهمة مالم انجز مالدي من عمل .

٦٣ ـ آ) لو اردت القيام برحلة احب ان اخطط لها مسبقاً .

ب) احب الاستمرار في معالجة لغزا او مسألة حتى اتوصل الى الحل .

٦٤ ـ آ) احب احياناً القيام باعمال لمجرد معرفة ما سيكون تأثير ذلك على الاخرين .

ب) احب ان ابقى ملازماً لعمل او مشكلة حتى وان بدا لي انني لا استطيع الوصول الى نتيجة .

٦٥ ـ آ) احب القيام باعمال يعتبرها الاخرون غير مألوفة .

ب) احب أن اقضي ساعات طويلة في عملي دون أن يصرفني عنه شيء .

٦٦ ـ أ) اتمنى ان انجز شيئا ذا اهمية عظيمة .

ب) احب تقبيل الافراد الجذابين من الجنس الاخر .

٦٧ ـ آ) احب ان امدح من اعجب به .

ب) احب ان يعتبرني افراد الجنس الاخر جذابا .

٦٨ ـ آ) احب ان اضع حاجياتي بشكل مرتب ومنسق على منضدتي او المكان الذي اعمل فيه .
ب) احب ان ارتبط بعلاقة حب مع شخص من الجنس الاخر .
٦٩ ـ آ) احب ان اتحدث عن انجازاتي .
ب) احب الاصغاء إلى النكات الجنسية او روايتها .
٧٠ ـ آ) احب ان اقوم بعمل الاشياء بطريقتي الخاصة دون اعتبار لما قد يفكر به الاخرون .
ب) احب قراءة الكتب والروايات التي يلعب الجنس فيها دورا رئيساً .
٧١ ـ آ) اتمنى كتابة رواية او مسرحية رائعة .
ب) احب ان اهاجم وجهات النظر المخالفة لوجهات نظري .
٧٢ ـ آ) عندما اكون في مجموعة احب تقبل قيادة شخص اخر يتولى اصدار القرار لما تنوي المجموعة عمله .
ب) اشعر برغبة في انتقاد الاخرين علنا اذا كانوا يستحقون ذلك .
٧٣ ـ آ) احب ان تكون حياتي على درجة من التنظيم بحيث تسير بسهولة .
ب) يبلغ بي الغضب حدا يجعلني اشعر برغبة في رمي الاشياء او تحطيمها .
٧٤ ـ آ) احب ان اطرح اسئلة اعرف انه لايستطيع احد الاجابة عنها .
ب) احب ان ابين للاخرين رأيي فيهم .
٧٥ ـ آ) احب تجنب المسؤوليات والالتزامات .
ب) اشعر برغبة في السخرية من الناس الذين يقومون باعمال اعتبرها سخيفة.
٧٦ ـ آ) احب ان اكون مخلصاً لاصدقائي .
ب) احب ان ابذل اقصى جهدي فيما اقوم به .
٧٧ ـ آ) احب ملاحظة شعور الاخرين في مواقف معينة.
ب) احب ان اكون قادرا على القول بانني قد انجزت عملا صعباً بصورة جيدة.
٧٨ ـ آ) احب في اصدقائي ان يشجعوني عندما اجابه الفشل .
ب) احب ان اكون ناجحاً في الاعمال التي اقوم بها .
٧٩ ـ آ) احب ان اكون واحدا من القادة في المنظمات والجماعات التي انتمي اليها.

ب) احب ان اكون قادرا على عمل الاشياء بصورة افضل مما يستطيع الاخرون عملها .

٨٠ ـ آ) عندما تجري الأمور على عكس ماااريد فانني اشعر بان اللوم يقع علي اكثر من غيري .

ب) احب حل الالغاز والمسائل التي يلاقي الاخرون صعوبة في حلها .

٨١ ـ آ) احب تقديم الخدمات لاصدقائي .

ب) عندما اخطط لشيء ما احب الحصول على مقترحات اولئك الذين احترم وجهات نظرهم .

٨٢ ـ آ) أحب ان اضع نفسي مكان شخص اخر واتصور شعوري في الموقف نفسه.

ب) احب أن اقول للمسؤولين عني بانهم قد احسنوا القيام بعمل عندما اعتقد انهم فعلوا ذلك .

٨٣ ـ آ) احب في اصدقائي ان يكونوا متعاطفين معي ومتفهمين لي عندما تكون لدي مشكلة .

ب) احب تقبل قيادة الأشخاص الذين اعجب بهم .

٨٤ ـ آ) عندما اشترك في لجنة احب ان اعين اوانتخب رئيساً لها .

ب) عندما اكون في مجموعة أحب تقبل قيادة شخص اخر يتولى اصدار القرار لما تنوي المجموعة عمله .

٨٥ ـ آ) اذا ارتكبت عملا خاطئاً اشعر انه يجب ان اعاقب عليه .

ب) احب ان التزم بالاعراف والتقاليد وان اتجنب عمل الاشياء التي تعتبر غير مألوفة للناس الذين احترمهم .

٨٦ ـ آ) احب ان اتقاسم الاشياء مع اصدقائي .

ب) أحب ان اضع خطه قبل الشروع باي عمل صعب .

٨٧ ـ آ) احب أن اتفهم شعور اصدقائي حول المشكلات المختلفة التي تفرض عليهم

ب) لو اردت القيام برحلة احب ان اخطط لها مسبقاً .

٨٨ ـ آ) احب في اصدقائي ان يعاملوني بلطف .

ب) أحب أن يكون عملي منظماً ومخططاً له قبل البدء به .

٨٩ ـ آ) احب ان يعتبرني الآخرون قائدا .
ب) احب ان احتفظ بالرسائل والوصولات وغيرها من الاوراق بصورة دقيقة ومجمعة في ملف وفق نظام معين .

٩٠ ـ آ) اشعر بان ماقاسيته من الالم والتعاسة كان نفعه اكثر من ضرره .
ب) احب ان تكون حياتي على درجة من التنظيم بحيث تسير بسهولة .

٩١ ـ آ) احب ان تكون علاقاتي مع اصدقائي متينة .
ب) احب قول الاشياء التي يعتبرها الاخرون دالة على روح النكتة والذكاء .

٩٢ ـ آ) حب التمعن بشخصيات اصدقائي واحاول تشخيص العوامل التي جعلتهم كذلك
ب) احب احياناً القيام باعمال لمجرد معرفة ماسيكون تأثير ذلك على الاخرين .

٩٣ ـ آ) احب في اصدقائي ان يثيروا ضجة من اجلي عندما اصاب باذى او بمرض.
ب) احب ان اتحدث عن انجازاتي .

٩٤ ـ آ) اشعر برغبة في اخبار الاخرين كيف ينبغي ان يؤدوا اعمالهم .
ب) احب ان اكون محور الاهتمام في الجماعة التي اكون فيها .

٩٥ ـ آ) اشعر بالتهيب عند وجود الاخرين الذين اعتبرهم اعلى مني شأنا .
ب) احب ان استخدم كلمات لايعرف الاخرون معناها غالبا.

٩٦ ـ آ) احب عمل الاشياء مع اصدقائي افضل من القيام بها وحدي .
ب) احب ان اعبر عن رأيي في الشيء كما اعتقد .

٩٧ ـ آ) احب دراسة سلوك الاخرين وتحليله .
ب) احب القيام باعمال يعتبرها الاخرون غير مألوفة .

٩٨ ـ آ) أحب في اصدقائي ان يعبروا عن حزنهم عندما أكون مريضاً.
ب) احب تجنب المواقف التي يتوقع مني فيها ان انجز اعمالاً بطريقة تقليدية .

٩٩ ـ آ) احب ان اشرف على اعمال الآخرين واوجههم متى ماستطعت ذلك.
ب) احب ان اقوم بعمل الاشياء بطريقتي الخاصة دون اعتبار لما قد يفكر به الآخرون.

١٠٠ ـ آ) اشعر بأني اقل شأناً من الاخرين في أكثر المجالات.

ب) احب تجنب المسؤوليات والالتزامات .

١٠١ ـ آ) احب ان اكون ناجحاً في الاعمال التي اقوم بهـــا .

ب) احب عقد صداقات جديدة .

١٠٢ ـ آ) احب تحليل دوافعي ومشاعري.

ب) احب ان اعقد من الصداقات قدر ما استطيع.

١٠٣ـ آ) احب في اصدقائي ان يساعدوني عندما اقع في مأزق.

ب) احب تقديم الخدمات لاصدقائي.

١٠٤ـ آ) احب الدفاع عن وجهة نظري عندما يهاجمها الآخرون.

ب) احب كتابة الرسائل لاصدقائي.

١٠٥ ـ آ) اشعر بالذنب عند القيام بعمل اعرف انه خطـــــأ.

ب) احب ان تكون علاقاتي مع أصدقائي متينـــــــة.

١٠٦ ـ آ) احب ان اتقاسم الاشياء مع اصدقائي.

ب) احب تحليل دوافعي ومشاعري .

١٠٧ ـ آ) احب تقبل قيادة الاشخاص الذين اعجب بهم.

ب) احب ان اتفهم شعور اصدقائي حول المشكلات المختلفة التي يتعرضون لها.

١٠٨ ـ آ) احب في اصدقائي ان يقدموا لي العديد من الخدمات البسيطة بصدر رحب .

ب) احب ان احكم على الآخرين من خلال دوافعهم وليس من خلال افعالهم.

١٠٩ ـ آ) عندما أكون في مجموعة من الناس احب ان اتولى اتخاذ القرارات عمـا نزمع القيـام بـــه.

ب) احب التنبؤ عن الكيفية التي سيتصرف فيها اصدقائي في المواقف المختلفة.

١١٠ ـ آ) اشعر بارتياح عندما ارضخ للآخرين واتجنب النزاع معهم مما لو حاولت التصرف حسب رغبتـــــي.

ب) احب ان احلل مشاعر الاخرين ودوافعهـــــم.

١١١ ـ آ) احب عقد صداقات جديـــــدة.

ب) احب في اصدقائي ان يساعدونني عندما اقع في مأزق.

١١٢ ـ آ) احب ان احكم على الاخرين من خلال دوافعهم وليس من خلال افعالهم.

ب) احب في اصدقائي ان يظهروا قدراً كبيراً من المحبة نحـــوي.

١١٣ ــ آ) احب ان تكون حياتي على درجة من التنظيم بحيث تسير بسهولــة.
ب) احب في اصدقائي ان يعبروا عن حزنهم عندما أكون مريضاً.

١١٤ ــ آ) احب ان ادعى لحل الجدل والنزاع بين الآخريــن .
ب) احب في اصدقائي ان يقدموا لي العديد من الخدمات البسيطة بصدر رحب

١١٥ ــ آ) اشعر بضرورة الاعتراف بما فعلت من اشياء اعتبرها خاطئة.
ب) احب في اصدقائي ان يتعاطفوا معي ويدخلوا البهجة الى نفسي عندما أكون مكتئبــاً

١١٦ ــ آ) احب عمل الاشياء مع اصدقائي افضل من القيام بها وحدي.
ب) احب الدفاع عن وجهة نظري عندما يهاجمها الآخرون.

١١٧ ــ آ) احب التمعن بشخصيات اصدقائي واحاول تشخيص العوامل التي جعلتهم كذلك .
ب) احب ان تكون لي القدرة على اقناع الآخرين والتأثير عليهم كي يفعلوا ما اريــده .

١١٨ ــ آ) احب في اصدقائي ان يتعاطفوا معي ويدخلوا البهجة الى نفسي عندما أكون مكتئبــاً .
ب) عندما أكون في مجموعة من الناس احب ان اتولى اتخاذ القرارات عمـا نزمع القيــام بــه.

١١٩ ــ آ) احب ان اطرح اسئلة اعرف انه لايستطيع احد الاجابة عنهـا.
ب) اشعر برغبة في اخبار الآخرين كيف ينبغي عليهم ان يؤدوا اعمالهم.

١٢٠ ــ آ) اشعر بالتهيب عند وجود الاخرين الذين اعتبرهم اعلى مني شأناً.
ب) احب ان اشرف على اعمال الاخرين واوجههم متى ما استطعت ذلك.

١٢١ ــ آ) احب ان اشارك في جماعات يحمل افرادها مشاعر ودية وحميمة بعضهم لبعض.
ب) اشعر بالذنب عند القيام بعمل اعرف انه خطــأ.

١٢٢ ــ آ) أحب ان احلل مشاعر الاخرين ودوافعهم .
ب) اشعر باكتئاب من عجزي عن معالجة المواقف المختلفــة .

١٢٣ ـ آ) احب في اصدقائي ان يعبروا عن حزنهم عـندما اكون مريضـاً .
ب) اشعر بأرتياح عندما ارضخ للاخرين واتجنب النزاع معهم مما لو حاولت التصرف حسب رغبتي.

١٢٤ ـ آ) احب ان تكون لي القدرة على اقناع الاخرين والتأثير فيهم كي يفعلوا ما اريده.
ب) اشعر بالاكتئاب من عجزي عن معالجة المواقف المختلفة.

١٢٥ ـ آ) احب ان انتقد الاشخاص الذين هم في مركز المسؤولية.
ب) اشعر بالتهيب عند وجود الاخرين الذين اعتبرهم اعلى مني شأناً.

١٢٦ ـ آ) احب ان اشارك في جماعات يحمل افرادها مشاعر ودية وحميمة بعضهم لبعض.
ب) احب ان اساعد اصدقائي عندما يقعون في مأزق.

١٢٧ ـ آ) احب تحليل دوافعي ومشاعري.
ب) احب ان اشارك اصدقائي وجدانياً عندما يصابون بالاذى او المرض .

١٢٨ ـ آ) احب في اصدقائي ان يساعدوني عندما اقع في مأزق .
ب) احب معاملة الاخرين بلطف وتعاطف.

١٢٩ ـ آ) احب ان اكون واحداً من القادة في المنظمات والجماعات التي انتمي اليها
ب) احب ان اشارك اصدقائي وجدانياً عندما يصابون بالأذى او المرض .

١٣٠ ـ آ) اشعر بأن ماقاسيته من الالم والتعاسة كان نفعه اكثر من ضرره .
ب) احب ان اظهر قدراً كبيراً من المحبة نحو اصدقائي.

١٣١ ـ آ) احب عمل الاشياء مع اصدقائي افضل من القيام بها لوحدي.
ب) احب تجريب الاشياء الجديدة واختبارها .

١٣٢ ـ آ) احب التمعن بشخصيات اصدقائي واحاول تشخيص العوامل التي جعلتهم كذلك .
ب) احب تجريب الأعمال الجديدة والمختلفة افضل من الاستمرار على القيام بالأعمال القديمة نفسها .

١٣٣ ـ آ) احب في اصدقائي ان يكونوا متعاطفين معي ومتفهمين لي عندما تكون لدي مشكلة.
ب) احب ان اتعرف على اناس جدد .

١٣٤ ــ آ) احب الدفاع عن وجهة نظري عندما يهاجمها الاخرون.
ب) احب التجديد والتغيير في حياتي اليومية .

١٣٥ ــ آ) اشعر بارتياح عندمــا ارضخ للاخرين واتجنب النزاع معهــم مما لو حاولت التصرف حسب رغبتــــــي
ب) احب التنقل في البلاد والعيش في اماكن مختلفــــة .

١٣٦ ــ آ) احب تقديم الخدمات لاصدقائي .
ب) عندما يكون لدي عمل فانني احب ان ابدأ به وأبقى مستمراً فيه حتى يكتمل.

١٣٧ ــ آ) احب ان احلل مشاعر الاخرين ودوافعهم .
ب) لاأحب ان يقاطعني احد عندما اقوم بعمل مــا .

١٣٨ ــ آ) احب في اصدقائي ان يقدموا لي العديد من الخدمات البسيطة بصدر رحب .
ب) احب ان اسهر حتى وقت متأخر لكي انجز عملاً .

١٣٩ ــ آ) احب ان يعتبرني الاخرون قائــــداً .
ب) احب ان اقضي ساعات طويلة في عملي دون ان يصرفني عنــه شيء .

١٤٠ ــ آ) اذا ارتكبت عملاً خاطئاً اشعر انه يجب ان اعاقب عليــه.
ب) احب ان ابقى ملازماً لعمل او مشكلة حتى وان بدا لي انني لااستطيع الوصول الى نتيجة .

١٤١ ــ آ) احب ان اكون مخلصاً لاصدقائي.
ب) احب مصاحبة ذوي الجاذبية من الجنس الآخر.

١٤٢ ــ آ) احب التنبؤ عن الكيفية التي سيتصرف بها اصدقائي في المواقف المختلفة .
ب) احب الاشتراك في مناقشات حول الجنس و مايتعلق به من نشاطات .

١٤٣ ــ آ) احب في اصدقائي ان يظهروا قدراً كبيراً من المحبة نحــوي ..
ب) احب ان اصبح مثاراً جنسيـــاً.

١٤٤ ــ آ) عندما أكون في مجموعة من الناس احب ان اتولى اتخاذ قرارات عما نزمــع القيــام بــه.
ب) احب الاشتراك في النشاطات الاجتماعية مع افراد من الجنس الآخــر.

١٤٥ ــ آ) اشعر بالأكتئاب من عجزي عن معالجة المواقف المختلفة.

ب) احب قراءة الكتب والروايات التي يلعب الجنس فيهـا دوراً رئيساً .

١٤٦ ـ آ) احب كتابة الرسائل لاصدقائي.
ب) احب قراءة الصحف التي تهتم بنشر حوادث القتل وغيرها من اشكال العنف.

١٤٧ ـ آ) احب التنبؤ عن الكيفية التي سيتصرف بها اصدقائي في المواقف المختلفة
ب) احب ان اهاجم وجهات النظر المخالفة لوجهات نظري.

١٤٨ ـ آ) احب في اصدقائي ان يثيروا ضجة من اجلي عندما اصاب بأذى او بمرض :
ب) اشعر برغبة في القاء اللوم على الاخرين عندما تجري الامور على عكس ما أريـــد.

١٤٩ ـ آ) اشعر برغبة في اخبار الاخرين كيف ينبغي عليهم ان يؤدوا اعمالهم.
ب) اشعر برغبة في الانتقام ممـــن يهينـنـــي .

١٥٠ ـ آ) اشعر بأنني أقل شأناً من الآخرين في أكثر المجالات .
ب) اشعر برغبة في توبيخ (ترزيل) الاخرين عندما لاأتفق معهـــم .

١٥١ ـ آ) احب ان اساعد اصدقائي عندما يقعون في مأزق..
ب) احب ان ابذل اقصى جهدي فيما اقوم بــــه.

١٥٢ ـ آ) احب السفر والتجوال في البلاد .
ب) احب انجاز المهمات التي يرى الاخرون انها تتطلب مهارة وجهداً .

١٥٣ ـ آ) احب ان ابذل جهدي في أي عمل اقوم به.
ب) اتمنى ان انجز شيئاً ذا أهمية عظيمة.

١٥٤ ـ آ) احب مصاحبة ذوي الجاذبية من الجنس الآخر.
ب) احب ان اكون ناجحاً في الاعمال التي اقوم بهـــا.

١٥٥ ـ آ) احب قراءة الصحف التي تهتم بنشر حوادث القتل وغيرها من اشكال العنف.
ب) اتمنى كتابة رواية او مسرحية رائعـــة.

١٥٦ ـ آ) احب تقديم الخدمات البسيطة لاصدقائي .
ب) عندما اخطط لشيء ما احب الحصول على مقترحات من اولئك الذين احترم وجهات نظرهم .

١٥٧ ـ آ) احب التجديد والتغيير في حياتي اليومية .

ب) احب ان اقول للمسؤولين عني بانهم قد احسنوا القيام بعمل عندما اعتقد انهم فعلوا ذلك .

١٥٨ ـ آ) احب ان اسهر حتى وقت متأخر لكي انجز عملا .

ب) احب ان امدح من اعجب به .

١٥٩ ـ آ) احب ان اصبح مثارا جنسياً .

ب) احب تقبل قيادة الاشخاص الذين اعجب بهم .

١٦٠ ـ آ) اشعر برغبة في الانتقام ممن يهينني .

ب) عندما اكون في مجموعة احب تقبل قيادة شخص اخر يتولى اصدار القرار لما تنوي المجموعة عمله .

١٦١ ـ آ) احب ان اكون كريماً مع اصدقائي .

ب) احب ان اضع خطه قبل الشروع باي عمل صعب .

١٦٢ ـ آ) احب ان اتعرف على اناس جدد .

ب) ان اي عمل كتابي اقوم به احب ان يكون دقيقاً ومنسقاً ومنظماً تنظيماً جيداً

١٦٣ ـ آ) احب ان انجز اي عمل او مهمة ابدأ فيها .

ب) احب ان اضع حاجياتي بشكل مرتب ومنسق على منضدتي او المكان الذي اعمل فيه .

١٦٤ ـ آ) احب ان يعتبرني افراد الجنس الاخر جذاباً .

ب) احب ان اخطط وانضم تفاصيل اي عمل علي ان اقوم به .

١٦٥ ـ آ) احب ان ابين للاخرين رأيي فيهم

ب) احب ان تكون وجبات طعامي منظمة وان يخصص وقت محدد للاكل.

١٦٦ ـ آ) احب ان اظهر قدراً كبيراً من المحبة نحو اصدقائي .

ب) احب قول الاشياء التي يعتبرها الاخرون دالة على روح النكتة والذكاء .

١٦٧ ـ آ) احب تجريب الاعمال الجديدة والمختلفة افضل من الاستمرار على القيام بالاعمال القديمة نفسها .

ب) احب احياناً القيام باعمال لمجرد معرفة ما سيكون تأثير ذلك على الاخرين.

١٦٨ ـ آ) احب ان ابقى ملازماً لعمل او مشكلة حتى وان بدا لي انني لااستطيع الوصول الى نتيجة .

ب) احب ان يلاحظ الناس مظهري وان يعلقوا عليه عندما اكون في مكان عام

١٦٩ ــ آ) احب قراءة الكتب والروايات التي يلعب الجنس فيها دوراً رئيسا .

ب) احب ان اكون محور الاهتمام في الجماعة التي اكون فيها .

١٧٠ ــ آ) اشعر برغبة في القاء اللوم على الاخرين عندما تجري الامور على عكس ماااريد .

ب) احب ان اطرح اسئلة اعرف انه لايستطيع احد الاجابة عنها .

١٧١ ــ آ) احب ان اشارك اصدقائي وجدانياً عندما يصابون بالاذى او المرض .

ب) احب ان اعبر عن رأيي في الشيء كما اعتقد .

١٧٢ــ آ) احب ان اكل في مطاعم جديدة وغريبة .

ب) احب القيام باعمال يعتبرها الاخرون غير مألوفة .

١٧٣ ــ آ) لااحب البدء بعمل او مهمة مالم انجز ما لدي من عمل .

ب) احب ان اشعر باني حر في ان اعمل ما اريد عمله .

١٧٤ ــ آ) احب الاشتراك في مناقشات حول الجنس وما يتعلق به من نشاطات .

ب) احب ان اقوم بعمل الاشياء بطريقتي الخاصة دون اعتبار لما قد يفكر به الاخرون .

١٧٥ ــ آ) يبلغ بي الغضب حداً يجعلني اشعر برغبة في رمي الاشياء او تحطيمها .

ب) احب تجنب المسؤوليات والالتزامات .

١٧٦ ــ آ) احب ان اساعد اصدقائي عندما يقعون في مأزق .

ب) احب ان اكون مخلصاً لاصدقائي .

١٧٧ ــ آ) احب القيام باعمال جديدة ومتنوعة .

ب) احب عقد صداقات جديدة .

١٧٨ ــ آ) عندما يكون لدي عمل فانني احب ان ابدأ به وابقى مستمراً فيه حتى يكمل

ب) احب ان اشارك في جماعات يحمل افرادها مشاعر ودية وحميمة بعضهم لبعض .

١٧٩ ــ آ) احب مصاحبة ذوي الجاذبية من الجنس الاخر .

ب) احب ان اعقد من الصداقات قدر ما استطيع .

١٨٠ ـ آ) احب ان اهاجم وجهات النظر المخالفة لوجهات نظري .
ب) احب كتابة الرسائل لاصدقائي .
١٨١ ـ آ) احب ان اكون كريماً مع اصدقائي .
ب) احب ملاحظة شعور الاخرين في مواقف معينة .
١٨٢ ـ آ) احب ان اكل في مطاعم جديدة وغريبة .
ب) احب ان اضع نفسي مكان شخص اخر واتصور شعوري في الموقف نفسه .
١٨٣ ـ آ) احب ان اسهر حتى وقت متأخر لكي انجز عملا .
ب) احب ان اتفهم شعور اصدقائي حول المشكلات المختلفة التي يتعرضون لها .
١٨٤ ـ آ) احب ان اصبح مثاراً جنسياً .
ب) احب دراسة سلوك الاخرين وتحليله .
١٨٥ ـ آ) اشعر برغبة في السخرية من الناس الذين يقومون بأعمال اعتبرها سخيفة .
ب) احب التنبؤ عن الكيفية التي سيتصرف بها اصدقائي في المواقف المختلفة
١٨٦ ـ آ) احب ان اسامح اصدقائي الذين قد يؤذونني بعض الاحيان .
ب) احب في أصدقائي ان يشجعوني عندما اجابه الفشل .
١٨٧ ـ آ) احب تجريب الاشياء الجديدة واختبارها .
ب) احب في أصدقائي ان يكونوا متعاطفين معي ومتفهمين لي عندما تكون لدي مشكلة .
١٨٨ ـ آ) احب الاستمرار في معالجة لغز او مسألة حتى اتوصل الى الحل .
ب) احب في أصدقائي ان يعاملوني بلطف .
١٨٩ ـ آ) احب ان يعتبرني أفراد الجنس الاخر جذاباً .
ب) احب في أصدقائي ان يظهروا قدراً كبيراً من المحبة نحوي .
١٩٠ ـ آ) اشعر برغبة في أنتقاد الاخرين علناً اذا كانوا يستحقون ذلك .
ب) احب في أصدقائي أن يثيروا ضجة من اجلي عندما اصاب باذى او بمرض
١٩١ ـ آ) احب ان اظهر قدراً كبيراً من المحبة نحو اصدقائي .
ب) احب ان يعتبرني الاخرون قائداً .

١٩٢ ـ آ) احب تجريب الاعمال الجديدة والمختلفة افضل من الاستمرار على القيام بالاعمال القديمة نفسها .

ب) عندما اشترك في لجنة احب ان اعين او انتخب رئيساً لها .

١٩٣ ـ آ) احب ان انجز اي عمل او مهمة ابدأ فيها .

ب) احب ان تكون لي القدرة على اقناع الاخرين والتأثير فيهم كي يفعلوا ما اريده .

١٩٤ ـ آ) احب الاشتراك في مناقشات حول الجنس وما يتعلق به من نشاطات .

ب) احب ان ادعى لحل الجدل والنزاع بين الاخرين .

١٩٥ ـ آ) يبلغ بي الغضب حداً يجعلني اشعر برغبة في رمي الاشياء او تحطيمها .

ب) اشعر برغبة في أخبار الاخرين كيف ينبغي عليهم ان يؤدوا اعمالهم .

١٩٦ ـ آ) احب ان اظهرقدراً كبيراً من المحبة نحو اصدقائي .

ب) عندما تجري الامور على عكس ماااريد فانني اشعر بان اللوم يقع علي اكثر من غيري .

١٩٧ ـ آ) احب التنقل في البلاد والعيش في أماكن مختلفة .

ب) اذا ارتكبت عملاً خاطئاً اشعر انه يجب ان اعاقب عليه .

١٩٨ ـ آ) احب ان ابقى ملازماً لعمل او مشكلة حتى وان بدا لي انني لا استطيع الوصول الى نتيجة .

ب) اشعر بان ماقاسيته من الالم والتعاسة كان نفعه اكثر من ضرره .

١٩٩ ـ آ) احب قراءة الكتب والروايات التي يلعب الجنس فيها دوراً رئيساً .

ب) اشعر بضرورة الاعتراف بما فعلت من اشياء اعتبرها خاطئة .

٢٠٠ ـ آ) اشعر برغبة في القاء اللوم على الاخرين عندما تجري الامور على عكس ما اريد .

ب) اشعر بانني أقل شأناً من الاخرين في أكثر المجالات .

٢٠١ ـ آ) احب ان ابذل اقصى جهدي فيما اقوم به .

ب) احب مساعدة من هم اقل حظاً مني .

٢٠٢ ـ آ) احب القيام بأعمال جديدة ومتنوعة

ب) احب معاملة الاخرين بلطف وتعاطف .

٢٠٣ ــ آ) عندما يكون لدي عمل فانني احب ان ابدأ به وابقى مستمراً فيه حتى يكتمل
ب) احب مساعدة من هم أقل حظاً مني .

٢٠٤ ــ آ) احب الاشتراك في النشاطات الاجتماعية مع افراد من الجنس الاخر
ب) احب ان اسامح اصدقائي الذين قد يؤذونني بعض الاحيان .

٢٠٥ ــ آ) احب ان اهاجم وجهات النظر المخالفة لوجهات نظري .
ب) احب في اصدقائي ان يثقوا بي وان يطلعوني على مشاكلهم .

٢٠٦ ــ آ) احب معاملة الاخرين بلطف و تعاطف .
ب) احب السفر والتجوال في البلاد .

٢٠٧ ــ آ) احب ان التزم بالاعراف والتقاليد وان اتجنب عمل الاشياء التي تعتبر غير مألوفة للناس الذين احترمهم .
ب) احب ان اشارك في الموضات والتقليعات الجديدة .

٢٠٨ ــ آ) احب ان ابذل جهدي في أي عمل اقوم به .
ب) احب التجديد والتغيير في حياتي اليومية .

٢٠٩ ــ آ) احب تقبيل الافراد الجذابين من الجنس الاخر .
ب) احب تجريب الاشياء الجديدة واختبارها .

٢١٠ ــ آ) اشعر برغبة في توبيخ (ترزيل) الاخرين عندما لاتفق معهم .
ب) احب ان اشارك في الموضات والتقليعات الجديدة .

٢١١ ــ آ) احب مساعدة من هم اقل حظاً مني .
ب) احب ان انجز اي عمل او مهمة ابدأ فيها .

٢١٢ ــ آ) احب التنقل في البلاد والعيش في اماكن مختلفة .
ب) احب ان اقضي ساعات طويلة في عملي دون ان يصرفني عنه شيء .

٢١٣ ــ آ) لو اردت القيام برحلة احب ان اخطط لها مسبقاً .
ب) احب الاستمرار في معالجة لغز او مسألة حتى اتوصل إلى الحل .

٢١٤ ــ آ) احب ان ارتبط بعلاقة حب مع شخص من الجنس الاخر .
ب) لا احب البدء بعمل او مهمة مالم انجز مالدي من عمل .

٢١٥ ـ آ) احب ان ابين للاخرين رأيي فيهم .
ب) لا احب ان يقاطعني احد عندما اقوم بعمل ما .

٢١٦ ـ آ) احب تقديم الخدمات البسيطة الاصدقائي .
ب) احب الاشتراك في النشاطات الاجتماعية مع افراد من الجنس الاخر.

٢١٧ ـ آ) احب ان اتعرف على اناس جدد .
ب) احب تقبيل الافراد الجذابين من الجنس الاخر .

٢١٨ ـ آ) احب الاستمرار في معالجة لغز او مسألة حتى اتوصل إلى الحل .
ب) احب ان ارتبط بعلاقة حب مع شخص من الجنس الاخر .

٢١٩ ـ آ) احب ان اتحدث عن انجازاتي .
ب) احب الاصغاء إلى النكات الجنسية او روايتها .

٢٢٠ ـ آ) اشعر برغبة في السخرية من الناس الذين يقومون بأعمال اعتبرها سخيفة
ب) احب الاصغاء إلى النكات الجنسية او روايتها .

٢٢١ ـ آ) احب في اصدقائي ان يثقوا بي وان يطلعوني على مشاكلهم .
ب) احب قراءة الصحف التي تهتم بنشر حوادث القتل وغيرها من اشكال العنف.

٢٢٢ ـ آ) احب ان اشارك في الموضات والتقليعات الجديدة .
ب) اشعر برغبة في انتقاد الاخرين علنا اذا كانوا يستحقون ذلك

٢٢٣ ـ آ) لااحب ان يقاطعني احد عندما اقوم بعمل ما .
ب) اشعر برغبة في توبيخ (ترزيل) الاخرين عندما لا اتفق معهم

٢٢٤ ـ آ) احب الاصغاء إلى النكات الجنسية او روايتها .
ب) اشعر برغبة في الانتقام ممن يهينني .

٢٢٥ ـ أ) احب تجنب المسؤوليات والالتزامات
ب) اشعر برغبة في السخرية من الناس الذين يقومون باعمال اعتبرها سخيفة

خصائص السكان في محافظة ذي قار

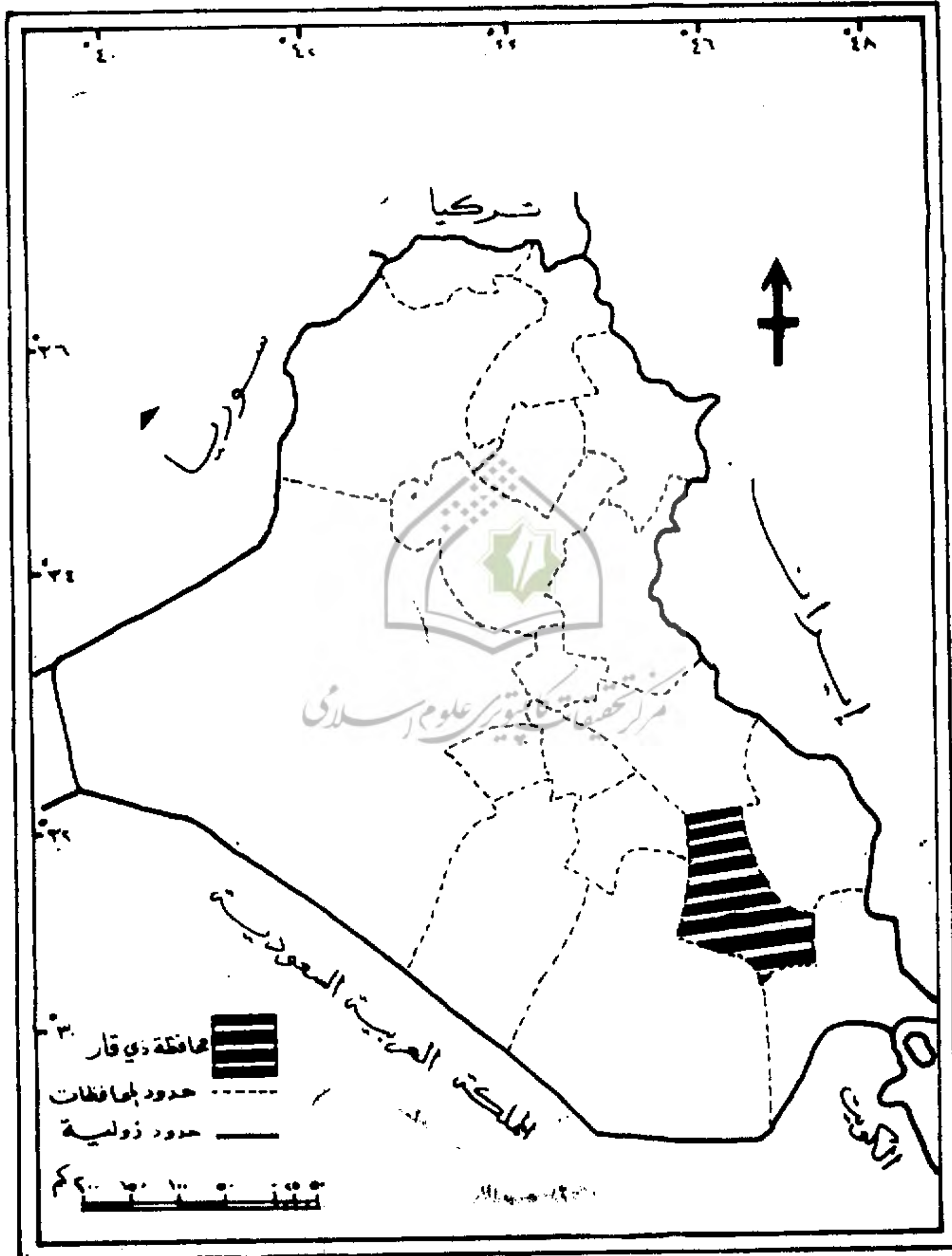
احسان صالح مهدي
كلية الاداب / جامعة البصرة

١ ـ المقدمة :

كانت محافظة ذي قار ، وقبل ان يتم تنفيذ خطة التنمية القومية الشاملة في بداية السبعينات في القطر العراقي ، من اكثر محافظات القطر تخلفاً في جميع القطاعات ، ويعيش سكانها اوضاعاً اقتصادية واجتماعية متردية ، جعلت من المحافظة منطقة طرد رئيسة في القطر تدفع بالسكان إلى الهجرة وبأستمرار هرباً من هذا الواقع المؤلم والعيش في مناطق اخرى من القطر تتوفر فيها فرص عمل وخدمات تفتقر اليها محافظة ذي‌قار .

ان استمرار تدفق السكان وبأعداد كبيرة إلى خارج المحافظة ، قد ترك آثار سلبية بليغة في مختلف جوانب الحياة، والخصائص السكانية تعتبر من اكثر هذه الجوانب تأثراً بعامل الهجرة ومن المحتم ان تكون هذه الخصائص مختلفة بدرجة أو اخرى عما هي في بقية محافظات القطر التي لم تشهد مثل حالتها هذه . ومن هنا تبرز اهمية تناول موضوع الخصائص السكانية في مثل هذه المناطق الطاردة للسكان ، بالدراسة والتحليل ، لمعرفة طبيعة هذه الخصائص والآثار التي تركتها عليها الهجرة واتجاهات التغير التي مرت بها ، والصورة المحتملة لهذه الأتجاهات في المستقبل .

شكل (١)
موقع منطقة الدراسة بالنسبة لمحافظات القطر



المصدر : وزارة الري ، الهيئة العامة للمساحة ، ١٩٨٢ .

وعلى الرغم من ضرورة دراسة جميع الخصائص السكانية في منطقة كمحافظة ذي‌قار ، الا ان عدم توفر المعلومات لبعض الخصائص اضافة إلى ان مثل هذه الدراسة المتسعة تكون اوسع من حدود البحث الذي بين ايدينا ، لذا فأن هذا البحث تناول دراسة الخصائص الرئيسة لسكان المحافظة ، والتي تتوفر عنها الاحصاءات كالنمو السكاني وتوزيع السكان إلى ريف وحضر ، والتركيب العمري والنوعي والاقتصادي لهم ، اضافة إلى الهجرة.

ان محافظة ذي‌قار هي احدى المحافظات الجنوبية في العراق (لاحظ شكل ١) . وتبلغ مساحتها الكلية حوالي ١٣٦٦٨ كيلومتر مربع ، اما عدد سكانها فقد وصل إلى ٦٢٢٩٧٩ نسمة في اخر تعداد سكاني اجري في عام ١٩٧٧ وتقسم المحافظة إلى (٥) اقضية و(١٥) ناحية (لاحظ شكل ٢) .

ان التعدادات العامة للسكان تعتبر المصادر الاساس لمثل هذه الدراسات السكانية ، ولما كان تعداد السكان الذي اجري في عام ١٩٤٧ هو اول تعداد منظم وشامل وأن اخر تعداد قد تم في عام ١٩٧٧ لذا فأن الفترة التي تكون موضوع دراستنا هذه تمتد بين هذين العامين ، مستفيدين من بيانات التعدادات السكانية الأربعة التي اجريت خلالها .

٢ — النمو السكاني :

يلاحظ من الجدول (١) ومن الشكل (٣)، ان عدد سكان محافظة ذي قار ازداد بصورة مستمرة خلال الفترة ١٩٤٧ — ١٩٧٧، فبعد ان كان يبلغ ٣٣٧,٠٥٩ نسمة في عام ١٩٤٧، وصل الى ٤٥٨,٨٤٨ نسمة في عام ١٩٥٧، اي ان معدل نسبة النمو السنوي كان ٢,١٪(١)، وهو اقل من المعدل العام في العراق الذي كان يساوي ٢,٧٪. وفي عام ١٩٦٥ بلغ عدد السكان ٤٩٨٨٥٠ نسمة، اي ان معدل نسبة النمو السنوي كان ١,٠٪ للفترة ١٩٥٧ — ١٩٦٥، في مقابل ٣,٤٪ وهو المعدل العام للنمو في القطر. اما في عام ١٩٧٧ فقد بلغ العدد مامقداره ٦٢٢٩٧٩ نسمة، بمعدل نمو سنوي نسبته ١,٩٪للفترة ١٩٦٥ — ١٩٧٧، وهو اقل من معدل القطر الذي يساوي ٣,٢٪.

---

(١) لقد اعتمدنا في الحصول على نسبة النمو السنوي على المعادلة التالية :
ل=أر ن — ١
حيث ان ل = الحد الأخير   أ= الحد الأول
ر = نسبة التغير   ن= عدد الحدود
المصدر :
عبد الحسين زيني ، الاحصاء الديموغرافي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص٣٣ — ٣٥

شكل (٢)
الوحدات الادارية الثانوية في محافظة ذي قار

المصدر : خارطة العراق الادارية ١٩٨٤ .

تشير الارقام السابقة الذكر الى انخفاض نسبة النمو السنوي لسكان محافظة ذي قار بصورة عامة من ناحية، وبمقارنته بالمعدل العام للنمو في القطر من ناحية ثانية. ويمكن ان يعزى ذلك بالدرجة الأولى الى عامل الهجرة، بسبب تدفق اعداد كبيرة ومتزايدة من سكان المحافظة الى محافظات اخرى، كما سنلاحظ ذلك لدى تناولنا موضوع الهجرة في فقرة قادمة من البحث. اضافة الى ذلك وبسبب تردي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصحية في المحافظة في تلك الفترات، فأن ارتفاع نسبة الوفيات ، ولا سيما وفيات الاطفال يعتبر نتيجة طبيعية تتمخض عن هذا التردي، مما يعني ذلك انخفاض نسبة الزيادة الطبيعية للسكان .

جدول (١)

مجموع السكان ومعدل نسبه النمو السكاني في محافظة ذي قار للفترة ١٩٤٧ — ١٩٧٧

الفترة بين التعدادين	مجموع السكان		الفرق بين التعدادين	معدل نسبه النمو السنوي ٪	
	التعداد الأول	التعداد الثاني		المحافظة	العراق
١٩٤٧ — ١٩٥٧	٣٣٧٠٥٩	٤٥٨٨٤٨	١٢١٧٨٩	٢,١	٢,٧
١٩٥٧ — ١٩٦٥	٤٥٨٨٤٨	٤٩٨٨٥٠	٤٠٠٠٢	١,ـــ	٣,٤
١٩٦٥ — ١٩٧٧	٤٩٨٨٥٠	٦٢٢٩٧٩	١٢٤١٢٩	١,٩	٣,٢

المصدر :

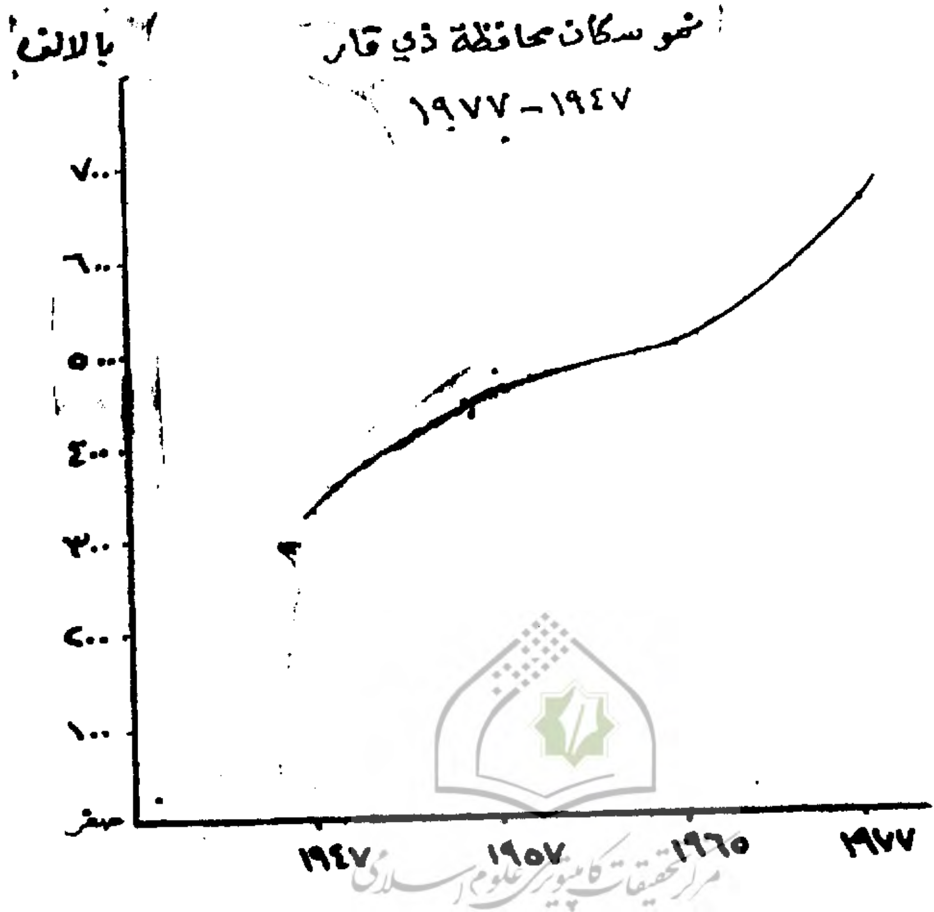
(١) وزارة الشؤون الاجتماعية ، مديرية النفوس العامة ، احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ٥٤ — ١٠٦ .

(٢) وزارة الداخلية ، مديرية النفوس العامة ، المجموعة الاحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧ ، المجلد الثاني ، ج١٣، لواء الناصرية ، ص ٥ .

(٣) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥ ، ص٣٦ .

(٤) ———، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٧ (محافظة ذي‌قار) ،ايلول ١٩٧٨، ص٢٩ — ٣٠ .

(شكل ٣)



ويلاحظ من الجدول (٢) الذي يبين نسبة النمو السكاني في اقضية المحافظة للفترة ١٩٦٥ ــ ١٩٧٧ ، ان اعلى معدل لهذه النسبة كان في قضاء الناصرية (٢,٥٪) ، وذلك بسبب الهجرة المتزايدة الى هذا القضاء من مختلف انحاء المحافظة بالدرجة الأولى ، يليه قضاء الشطرة (٢,٢٪) الذي تتوفر فيه امكانيات للانتاج الزراعي افضل من غيره من اقضية المحافظة من ناحية . ولقربه من مركز المحافظة الذي سهل كثيراً من القيام بالرحلة اليومية للعمل من اعداد كبيرة من سكان القضاء إلى مدينة الناصرية ، في حين ينخفض معدل النمو في بقية الاقضية عن المعدل العام للنمو في المحافظة . ويصل إلى اقل مستوى له في قضاء الرفاعي حيث وصل إلى ٠,٩ ٪ . ان عامل الهجرة يعتبر السبب الاساسي الذي يعزى اليه انخفاض نسبة النمو السنوي في هذه الاقضية ، نتيجة لتردي اوضاعها المختلفة اكثر من غيرها .

جدول (٢)

مجموع السكان ومعدل نسبة النمو السنوي في اقضية محافظة ذي قار للفترة ١٩٦٥ – ١٩٧٧

القضاء	مجموع السكان		الفرق بين التعدادين	معدل نسبة النمو السنوي ٪
	التعداد الأول	التعداد الثاني		
الناصرية	١٤٢٧٥٠	١٩١٥٨١	٤٨٨٣١	٢,٥
الرفاعي	١١٩٦٨١	١٣٢٥٦٣	١٢٨٨٢	٠,٩
سوق الشيوخ	٩٤٦٨٧	١١٧٦٨٤	٢٢٩٩٧	١,٨
الجبايش	٣٩٣١١	٤٨٢٩٦	٨٩٨٥	١,٧
الشطرة	١٠٢٤٢١	١٣٢٨٥٥	٣٠٤٣٤	٢,٢

المصدر :

١– وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥ ، بغداد ، ص ٢٦ – ٢٧ .

٢– ———، ———، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٧ (محافظة ذي‌قار) ، بغداد ، ايلول ١٩٧٨، ص ٢٩ – ٣٠ .

٣ – سكان الحضر والريف :

من الجدول (٣) والشكل (٤) ، يلاحظ ان عدد السكان الحضر ونسبتهم من المجموع الكلي للسكان في زيادة مستمرة ، فقد ارتفعت هذه النسبة من ١٥,٦ ٪ في عام ١٩٤٧ الى ١٨,٧ ٪ في عام ١٩٥٧ ، والى ٢٦,٨٪ في عام ١٩٦٥، والى ٣٩,٨ ٪ في عام ١٩٧٧ . اما سكان الارياف وكما يلاحظ من الجدول ، فأن نسبتهم الى مجموع سكان المحافظة انخفضت بأستمرار من ٨٤,٤ ٪ في عام ١٩٤٧، الى حوالي ٨١,٣ ٪ في عام ١٩٥٧، والى ٧٣,٢ ٪ في عام ١٩٦٥، والى ٦٠,٢ ٪ في عام ١٩٧٧ .

جدول (٣)

توزيع سكان محافظة ذي قار حسب البيئة (ريف وحضر) للفترة ١٩٤٧ ـ ١٩٧٧

السنة	سكان الحضر		سكان الريف		مجموع السكان
	العدد	٪	العدد	٪	
١٩٤٧	٥٢٢٨٠	١٥,٦	٢٨٤٧٧٩	٨٤,٤	٣٣٧,٠٥٩
١٩٥٧	٨٥٦٠٤	١٨,٧	٣٧٣٢٤٤	٨١,٣	٤٥٨٨٤٨
١٩٦٥	١٣٣٣١٧	٢٦,٨	٣٦٥٥٣٣	٧٣,٢	٤٩٨٨٥٠
١٩٧٧	٢٤٧٤٠٣	٣٩,٨	٣٧٥٥٧٦	٦٠,٢	٦٢٢٩٧٩

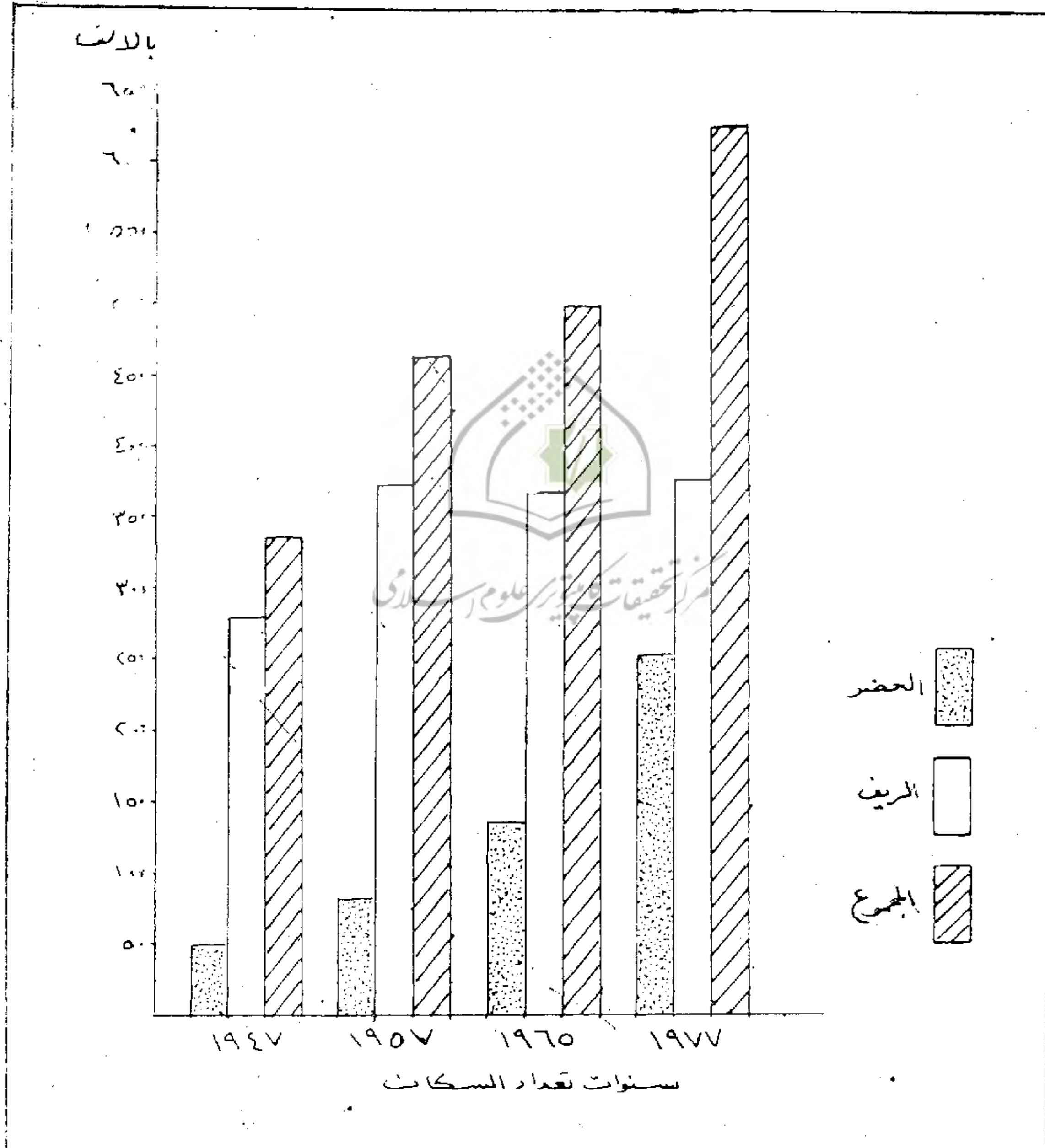
المصدر : التعدادات العامة للسكان للسنوات ١٩٤٧، ١٩٥٧، ١٩٦٥ ، ١٩٧٧ .

ان هذا التغير في النسب يرجع الى عدة اسباب اهمها ، الهجرة من المناطق الريفية الى المناطق الحضرية ، والزيادة الطبيعية للسكان في المدن بنسبة اكبر مما هي بالريف . يضاف الى ذلك التغيرات الادارية التي عملت على استحداث مراكز ادارية جديدة كانت تمثل قرى ثم اصبحت مناطق حضرية على اساس المفهوم الأداري لتصنيف مراكز الاستيطان في العراق ، حيث ان كل مركز اداري يعتبر منطقة حضرية ، كما ان جميع المناطق التي تدخل ضمن حدود بلديات هذه المراكز تعتبر حضرية ايضاً . وبسبب الاجراءات الأدارية التي عملت على توسيع حدود البلديات قبل اجراء تعداد ١٩٧٧ فأن هذا السبب كان وراء الزيادة الكبيرة لنسبة السكان الحضر في هذا التعداد .

ويلاحظ من الجدول (٤) ان اعلى نسبة للسكان الحضر كانت في قضاء الناصرية في تعدادي ١٩٦٥، ١٩٧٧، حيث كانت ٤٤,١ ٪ ، ٥٦,٩٪ على التوالي . وهذا يرجع بالدرجة الاولى الى عامل الهجرة ، حيث تمثل مدينة الناصرية اكبر مركز لجذب السكان في المحافظة لتوفر فرص العمل والخدمات بصورة اكبر وافضل مما هي في بقية مدن المحافظة .

اما في بقية اقضية المحافظة ، فيلاحظ انخفاض نسبة السكان الحضر كثيراً عن نسبة السكان الريف رغم زيادة هذه النسبة خلال الفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٧٧، مما يعني ذلك ان الحياة الريفية لاتزال هي الصفة الغالبة في هذه الأقضية .

شكل (٤)
تطور سكان الريف والحضر في محافظة ذي قار
للفترة ١٩٤٧ - ١٩٧٧



جدول (٤)

توزيع سكان اقضية محافظة ذيقار حسب البيئة (حضر وريف) للفترة ١٩٦٥ ــ ١٩٧٧

القضاء	تعداد ١٩٦٥					تعداد ١٩٧٧				
	سكان الحضر		سكان الريف		المجموع	سكان الحضر		سكان الريف		المجموع
	العدد	٪	العدد	٪		العدد	٪	العدد	٪	
الناصرية	٦٢٨٩٠	٤٤,١	٧٩٨٦٠	٥٥,٩	١٤٢٧٥٠	١٠٩١٣٥	٥٦,٩	٨٢٤٤٦	٤٣,١	١٩١٥٨١
الرفاعي	٢١٠٧٨	١٧,٧	٩٨٦٠٣	٨٢,٣	١١٩٦٨١	٣٦٦٣٦	٢٧,٦	٩٥٩٢٧	٧٢,٤	١٣٢٥٦٣
سوق الشيوخ	١٨٤٩٧	١٩,٦	٧٦١٩٠	٨٠,٤	٩٤٦٨٧	٣٦٤٤٨	٣٠,٩	٨١٢٣٦	٦٩,١	١١٧٦٨٤
الجبايش	٨١٩٢	٢٠,٩	٣١١١٩	٧٩,١	٣٩٣١١	١٩٢٦٩	٣٩,٨	٢٩٠٢٧	٦٠,٢	٤٨٢٩٦
الشطرة	٢٢٦٦٠	٢٢,٢	٧٩٧٦١	٧٧,٨	١٠٢٤٢١	٤٥٩١٥	٣٤,٥	٨٦٩٤٠	٦٥,٥	١٣٢٨٥٥

المصدر : التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥، ١٩٧٧ .

(٤) التركيب النوعي : (*)

ان التركيب النوعي للسكان في الدولة أو المنطقة أو الجماعة له صلة مباشرة بمعدل الزواج ومعدل الوفيات ومعدل المواليد . وفضلاً عن ذلك يتوقف الكثير من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الهامة على وجود توازن بين اعداد النوعين (الذكور والاناث) أو عدم وجوده (١). وهذه النسبة متوازنة عادة في المجتمعات التي لم تمر بظروف غير طبيعية تؤدي الى امتصاص جنس دون آخر (٢) .

ويلاحظ من الجدول (٥) الذي يوضح توزيع سكان المحافظة حسب النوع ، ان نسبة النوع متباينة خلال الفترة ١٩٤٧ — ١٩٧٧ .

ففي عام ١٩٤٧ كانت النسبة منخفضة ، ويمكن ان يعزى سبب هذه الظاهرة الى قلة دقة بيانات السكان لعام ١٩٤٧ ، حيث تم تسجيل الذكور اناثاً أو الامتناع عن تسجيلهم هروبا من التجنيد الاجباري ، ولاسيما سكان الارياف ، حيث كان من الصعب السيطرة على عملية الاحصاء في مثل هذه المناطق . وفي عام ١٩٥٧ ازدادت نسبة النوع عما كانت عليه في التعداد السابق ، رغم بقاء هذه النسبة منخفضة وذلك لأستمرار بقاء نفس الاسباب الموجبة لذلك الانخفاض ولو بدرجة اقل . وفي تعداد عام ١٩٦٥ اصبحت النسبة ٩٦٫٧، في حين انها قلت الى ٩٥٫٤ في تعداد عام ١٩٧٧. فعلى الرغم من ازدياد دقة البيانات في هذين الاحصائين ولاسيما الاحصاء الاخير فأن النسبة لازالت تعتبر منخفضة ، السبب الذي يمكن ان يعزى اليه استمرار وجود هذه الظاهرة هو تدفق اعداد كبيره من المهاجرين

(*) يعبر عن التركيب النوعي للسكان بنسبة الذكور لكل ١٠٠ من الأناث ، وتعرف هذه النسبة بنسبة النوع او الجنس (sex Ratio)

المصدر :

عباس فاضل السعدي ، دراسات في جغرافية السكان ، مطبعة اطلس ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص٢١٢ .

(١) ت. لين سميث ، اساسيات علم السكان ، ترجمة محمد السيد غلاب وفؤاد اسكندر ، المكتب المصري الحديث ، الاسكندرية ، ١٩٧١، ص٢٦٦ .

(٢) فاضل الانصاري ، مشكلة السكان : نموذج القطر العراقي ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٠، ص٢١٦ .

جدول (٥)

توزيع سكان محافظة ذي‌قار حسب النوع للفترة ١٩٤٧ ــ ١٩٧٧

السنة	العدد		مجموع	نسبة النوع	
	الذكور	الأناث	السكان	المحافظة	العراق
١٩٤٧	١٣٠٦٠١	٢٠٦٤٥٨	٣٣٧٠٥٩	٦٣,٢	٨٨,٢
١٩٥٧	٢١٢١٦٧	٢٤٦٦٨١	٤٥٨٨٤٨	٨٦,٠	١٠٠,٣
١٩٦٥	٢٤٥٢٤٥	٢٥٣٦٠٥	٤٩٨٨٥٠	٩٦,٧	١٠٣,٩
١٩٧٧	٣٠٤٢٠٧	٣١٨٧٧٢	٦٢٢٩٧٩	٩٥,٤	١٠٦,٣

المصدر :

(١) وزارة الشؤون الاجتماعية ، مديرية النفوس العامة ، احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ ، ج٣، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص٥٤ ــ ١٠٩ .

(٢) وزارة الداخلية ، مديرية النفوس العامة ، المجموعة الاحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧ ، المجلد الثاني ، ج١٣ ، لواء الناصرية ، ص٥ .

(٣) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥ ، ص٢٦ ــ ٢٧ .

(٤) ـــــ ، ـــــ ، نتائج التعداد العام لسنة ١٩٧٧ (محافظة ذي‌قار) ، ايلول ١٩٧٨ ، ص٢٩ ــ ٣٠ .

من محافظة ذي‌قار الى محافظات اخرى في القطر ، وهي عادة من نوع الهجرة الانتخابية التي ترتفع فيها نسبة المهاجرين الذكور ، لأن السبب الأساس في هجرة هؤلاء هو العمل . وكما يلاحظ من الجدول (٥) ايضاً ، ان نسبة النوع في محافظة ذي‌قار ، وعلى الرغم من استمرار تزايدها خلال الفترة ١٩٤٧ ــ ١٩٧٧ ، الا انها بقيت اقل من النسبة العامة في

العراق في جميع التعدادات السكانية الأربعة . وفي الحقيقة ان عامل الهجرة السكانية من المحافظة وبأعداد كبيرة ومتزايدة هي السبب الاساس الذي يقف وراء انخفاض نسبة النوع في المحافظة .

وكما يلاحظ من الجدول (٦) فأن نسبة النوع في المناطق الحضرية اعلى منها في المناطق الريفية ، حيث كانت في المناطق الاولى ٩٩,٩ و ٩٧,٠، اما في المناطق الثانية فقد كانت ٩٥,٥و ٩٤,٣ على التوالي في تعدادي ١٩٦٥، ١٩٧٧. ان الهجرة من الريف الى المدن ، وهي هجرة انتخابية بدرجة واضحة ، هي العامل الرئيس لأرتفاع نسبة النوع في المناطق الحضرية .

جدول(٦)

نسبة النوع لسكان الحضر والريف في اقضية محافظة ذي قار للفترة ١٩٦٥ ــ ١٩٧٧

	١٩٦٥			١٩٧٧		
القضاء	الحضر	الريف	المجموع	الحضر	الريف	المجموع
الناصرية	١٠٣,٥	٩٣,٧	٩٩,٤	٩٩,٨	١٠٦,٧	١٠٢,٧
الرفاعي	٩٧,٦	٩٥,٤	٩٥,٧	٩٥,٤	٩٢,٨	٩٣,٥
سوق الشيوخ	٩٧,٣	٩٦,١	٩٦,٣	٩٣,٤	٨٧,٦	٨٩,٣
الجبايش	٤٨,٥	٨٨,٤	٨٩,٦	٩٢,٠	٩٠,١	٩٠,٩
الشطرة	٩٦,٧	٩٧,١	٩٧,٠	٩٦,٨	٩٣,٠	٩٤,٣
المحافظة	٩٩,٩	٩٥,٥	٩٦,٧	٩٧,٠	٩٤,٣	٩٥,٤

المصدر : التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥، ١٩٧٧ .

ويلاحظ من الجدول (٦) ايضاً ، ان اعلى نسبة للنوع كانت في قضاء الناصرية (٩٩,٤و ١٠٢,٧) في تعدادي ١٩٦٥و ١٩٧٧ على التوالي ، وهي اعلى من معدل النسبة العامة للنوع في المحافظة . وبأعتبار مدينة الناصرية اكبر مركز جذب للمهاجرين في المحافظة فمن المؤكد ان تكون الهجرة هي العامل الذي يقف وراء ارتفاع النسبة في قضاء الناصرية ويأتي قضاء الشطرة بالدرجة الثانية في نسبة النوع (٩٧,٠و ٩٤,٣) ، رغم ان هذه الارقام تشير الى ان النسبة قد انخفضت في تعداد عام ١٩٧٧ عما كانت عليه في التعداد الذي سبقه . ونفس الشيء يمكن ان يقال عن قضاء الرفاعي وسوق الشيوخ في حين انها كانت متقاربة في قضاء الجبايش لكلا الاحصائين . في الحقيقة ، ان ما يمكن ان يقال في هذا المجال ، هو ان الاختلافات في نسبة النوع بين اقضية المحافظة قد تمخضت عن حركة السكان سواء من الريف الى المدن عبر حدود الاقضية ضمن المحافظة أو من هذه الأقضية الى خارج المحافظة .

٥ ـــ التركيب العمري :

يعتبر التركيب العمري من اهم الخصائص الاساسية للسكان، وانه ضروري لتقادير النمو المستقبلي للسكان. وتحديد عدة أشكال للحياة الاجتماعية والتخطيط الاقتصادي والاجتماعي.

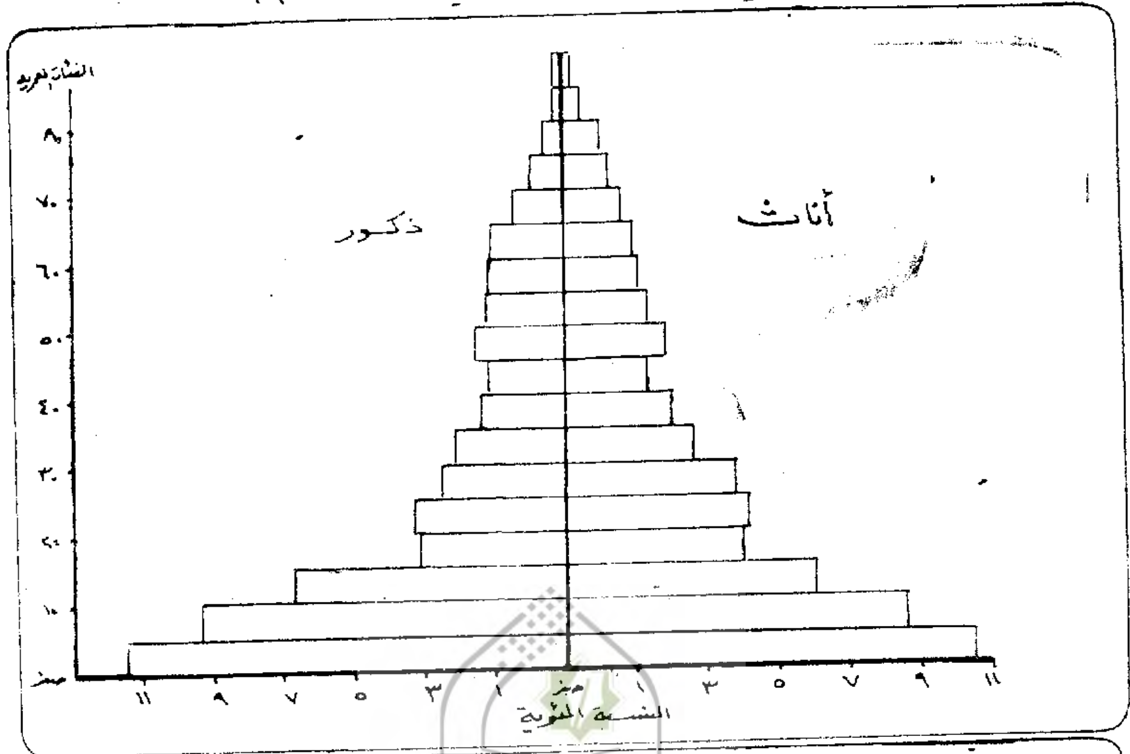
وكما يلاحظ من الاشكال (٥، ٦، ٧) فإن قاعدة الهرم السكاني تبدو عريضة ثم يأخذ الهرم بالتناقص السريع مع زيادة فئات السن. ان مثل هذا الهرم السكاني يعني ان نسبة فئة صغار السن من مجموع السكان تكون عالية لاسيما اولئك الذين هم دون سن ١٠ سنوات (لاحظ الجداول ٧، ٨، ٩) .

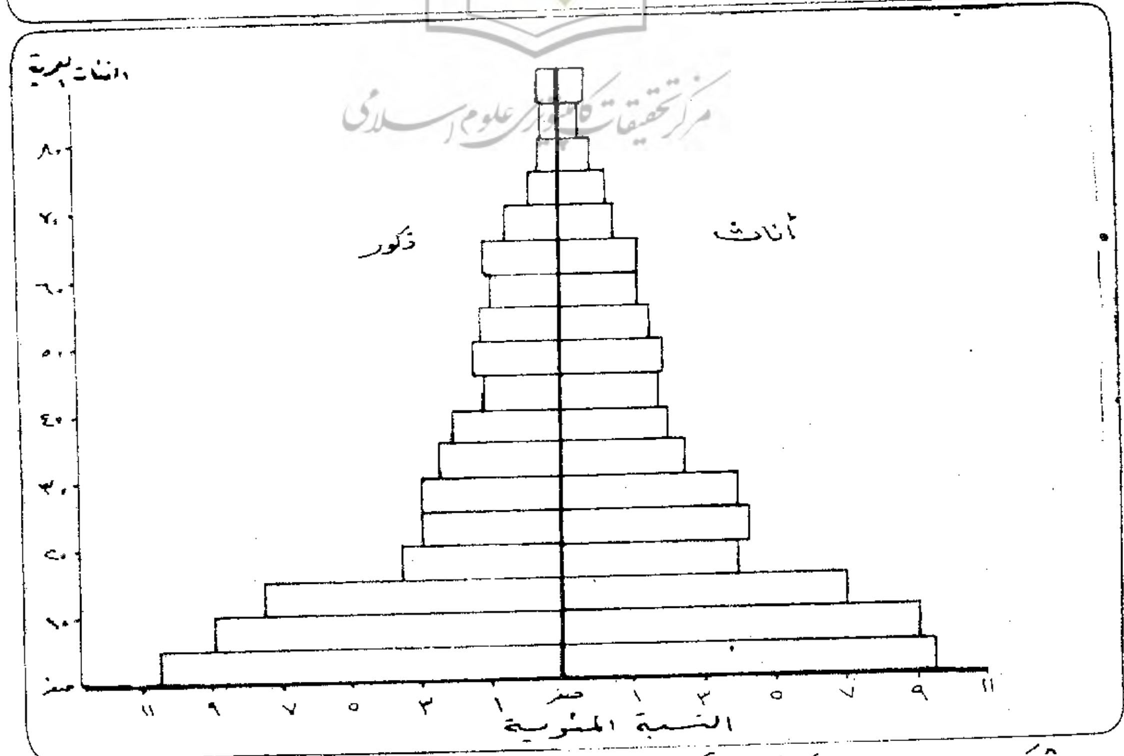
وفي دراسة التركيب العمري، عادة، يقسم السكان الى ثلاث فئات عمرية رئيسة هي: فئة صغار السن (٠ ـــ ١٤سنة)، وفئة الشباب ومتوسطي العمر (١٥ ـــ ٦٤سنة)، وفئة كبار السن الذين تبلغ أعمارهم ٦٥ سنة فأكثر (١).

---

(1) Trwartha, G. T., Ageogaphy of population: World Patterns, John Willey and Sons, Inc., New York, 1969, P. 122.

شكل (٥)
الهرم السكاني لسكان محافظة ذي قار ـ ١٩٧٧ ـ



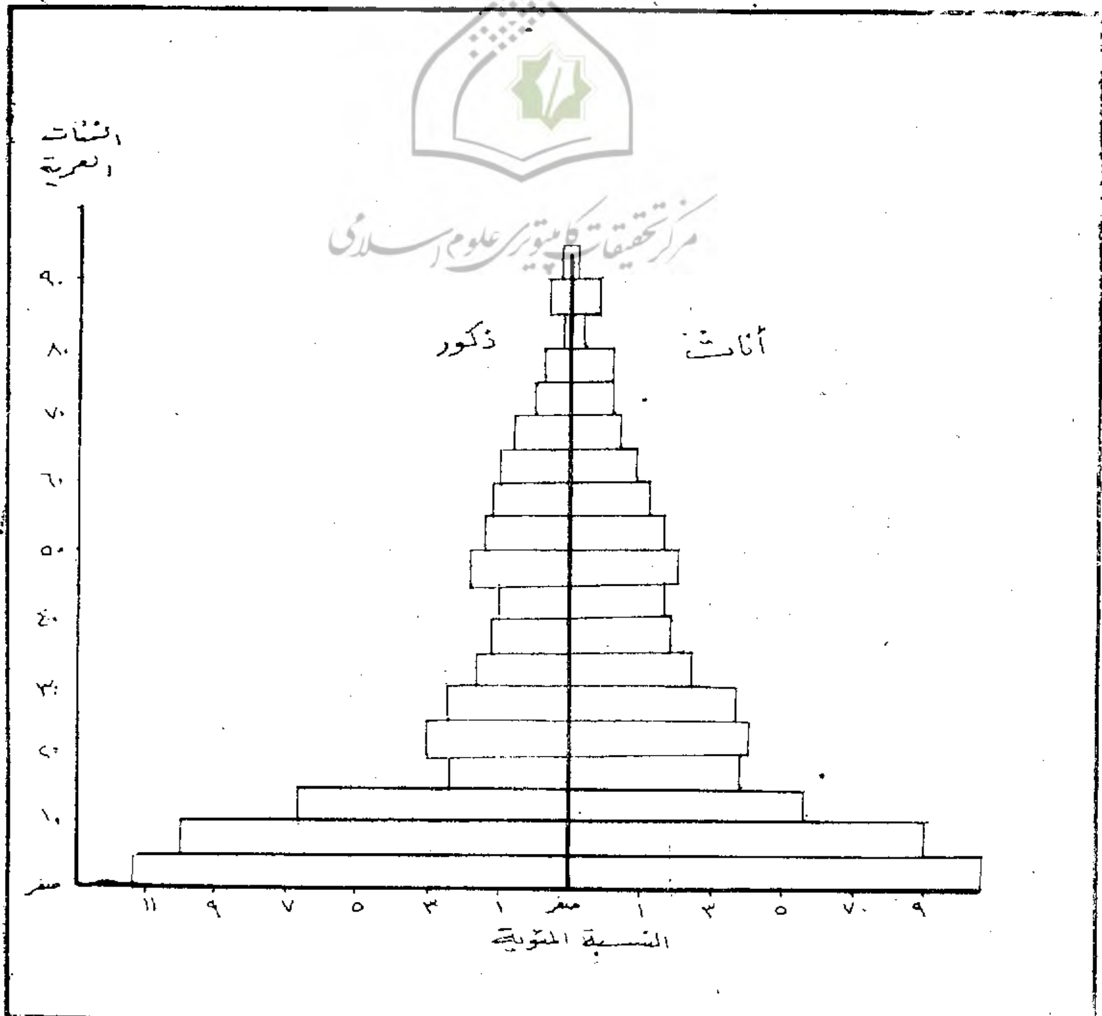


شكل (٦) الهرم السكاني للسكان الحضر في محافظة ذي قار ـ ١٩٧٧ ـ

١ ــ فئة صغار السن :

وتشير الأرقام الواردة في الجداول (١٠، ١١، ١٢) الى ان نسبة هذه الفئة العمرية من السكان في محافظة ذي قار قد ازدادت بأستمرار، فبعد ان كانت تساوي ٤٤,٦ ٪ في عام ١٩٥٧، ارتفعت الى ٤٥ ٪ في عام ١٩٦٥ ، ووصلت الى ٥١,٢ ٪ في عام ١٩٧٧، وهي في هذا العام الأخير كانت اعلى من النسبة العامة في العراق والبالغة ٤٨,٩ ٪. ويمكن ان يعزى ذلك الى استمرار تحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية ولا سيما في السنوات التي سبقت احصاء ١٩٧٧، مما ادى ذلك الى ارتفاع معدل الخصوبة في مقابل استمرار انخفاض معدل وفيات الاطفال ولا سيما الرضع منهم. والى جانب ارتفاع معدل النسبة في المحافظة فأن ارقام الجدولين (١١، ١٢) تشير الى ارتفاعها في المناطق الحضرية والريفية على السواء، وذلك لنفس الاسباب التي اشرنا اليها.

شكل (٧)
الهرم السكاني للسكان الريف في محافظة ذي قار - ١٩٧٧ -



٢ ـ فئة الشباب ومتوسطي العمر :

وكما يلاحظ من الجداول (١٠ ، ١١ ، ١٢) ايضاً، فأن نسبة هذه الفئة العمرية قد تناقصت في المحافظة بصورة عامة، فبعد ان كانت ٤٩,١٪ في عام ١٩٥٧ ، انخفضت الى ٤٣,٦٪ في عام ١٩٧٧ ، وهي اقل من النسبة العامة في العراق (٤٦,٨٪) في العام الأخير. اما في المناطق الحضرية فقد انخفضت النسبة من ٤٩,٣٪ الى ٤٤,٩٪ (في العراق ٤٨,٦ ٪). اما في المناطق الريفية فقد ارتفعت النسبة قليلا من ٣٨,١٪ الى ٤٣٪ (في العراق ٤٣,٦٪) ورغم التباين البسيط في اتجاه تغير النسبة بين المناطق الريفية والحضرية فأن مما يلاحظ من هذه الأرقام ان نسبة هذه الفئة العمرية اقل من نسبة الفئة العمرية السابقة في جميع الحالات ان زيادة ارتفاع نسبة الفئة الأولى هو الذي ادى الى انخفاض نسبة الفئة الثانية.

٣ ـ فئة كبار السن :

مما يلاحظ من الجداول السابقة ، انه بالاضافة الى قلة نسبة هذه الفئة العمرية الى مجموع السكان ومقارنة بالفئتين السابقتين ، فأن هذه النسبة قد انخفضت بأستمرار ، فبينما كانت ٦ ٪ من مجموع سكان المحافظة في عام ١٩٥٧ تناقصت الى ٤,٧٪ في عام ١٩٧٧ (في العراق ٤٪ في عام ١٩٧٧) . اما في المناطق الحضرية فقد انخفضت النسبة من ٥,١٪ الى ٤,٢ ٪ للفترة المذكورة (العراق ٣,٧٪) . اما في المناطق الريفية فقد تناقصت النسبة من ٧,٨ ٪ الى ٥٪ (في العراق ٤,٥٪) . ويمكن ان يعزى ذلك الى ان الهجرة من المناطق الريفية الى المراكز الحضرية تقتصر على عمر معين هو الشباب بالدرجة الاساس.

جدول رقم (٧)

توزيع سكان محافظة ذيقار حسب الفئات العمرية الخمسية ، ١٩٧٧

النسب المئوية	صفر–	٥–	١٠–	١٥–	٢٠–	٢٥–	٣٠–	٣٥–	٤٠–	٤٥–
	الفئات عمرية									
الذكور	١١,٢	٩,٦	٦,٩	٢,٨	٣,٠	٢,١	٢,٧	١,٦	١,٢	١,٨
الاناث	١٠,٧	٨,٨	٥,٨	٣,٨	٤,٠	٣,٦	٢,٤	١,٩	١,٦	١,٩
المجموع	٢١,٩	١٨,٤	١٢,٧	٦,٦	٧,٠	٦,٣	٤,٥	٣,٥	٢,٨	٣,٧

جدول رقم (٨)

توزيع السكان الحضر حسب الفئات العمرية الخمسية ، ١٩٧٧

النسب المئوية	صفر–	٥–	١٠–	١٥–	٢٠–	٢٥–	٣٠–	٣٥–	٤٠–	٤٥–
	الفئات العمرية									
الذكور	١٠,٥	٩,٠	٧,٢	٣,٦	٣,٠	٣,٠	٢,٩	٢,١	١,٣	١,٦
اناث	٩,٥	٨,٨	٦,٥	٤,٠	٤,١	٣,٧	٢,٧	٢,٠	١,٥	١,[illegible]
المجموع	٢٠,٠	١٧,٨	١٣,	٧,٦	٧,١	٦,٧	٥,٦	٤,١	٢,٨	٣,٣

٥٠ –	٥٥ –	٦٠ –	٦٥ –	٧٠ –	٧٥ –	٨٠ –	٨٥ –	غير مبين	المجموع
١,٤	١,٣	١,٣	٠,٨	٠,٥	٠,٣	٠,١	٠,٢	٠,١	٤٨,٩
١,٧	١,٤	١,٢	٠,٧	٠,٦	٠,٥	٠,٢	٠,٣	٠,٠٧	٥١,١
٣,١	٢,٧	٢,٥	١,٥	١,١	٠,٨	٠,٣	٠,٥	٠,١٧	١٠٠,٠



٥٠ –	٥٥ –	٦٠ –	٦٥ –	٧٠ –	٧٥ –	٨٠ –	٨٥ –	غير مبين	المجموع
١,١	١,٠	١,١	٠,٧	٠,٤	٠,٣	٠,١	٠,٢	٠,١	٤٩,٢
١,٥	١,٣	١,٢	٠,٧	٠,٦	٠,٤	٠,٢	٠,٣	٠,١	٥٠,٨
٢,٦	٢,٣	٢,٣	١,٤	١,٠	٠,٧	٠,٣	٠,٥	٠,٢	١٠٠,٠

جدول (٩)

توزيع السكان الريف حسب الفئات العمرية الخمسية في محافظة ذيقار

١٩٧٧

النسب المئوية	الفئات العمرية صفر–٤	٥–	١٠–	١٥–	٢٠–	٢٥–	٣٠–	٣٥–	٤٠–	٤٥
الذكور	١١,٣	١٠,٠	٦,٨	٢,٣	٣,٠	٢,٥	١,٧	١,٣	١,١	١,٩
الاناث	١٠,٦	٩,٠	٥,٥	٣,٧	٣,٩	٣,٥	٢،٣	١,٩	١,٨	٢,٠
المجموع	٢١,٩	١٩,٠	١٢,٣	٦,٠	٦,٩	٦,٠	٤,٠	٣,٢	٢,٩	٢٣،٩

المصدر ، التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٧ .



جدول (٩) ب

٥٠–	٥٥–	٦٠–	٦٥–	٧٠–	٧٥–	٨٠–	٨٥–	غير مبين	المجموع
١,٦	١,٥	١,٤	٠,٨	٠,٥	٠,٤	٠,١	٠,٣	٠,١	٤٨,٦
١,٨	١,٥	١,٣	٠,٧	٠,٦	٠,٦	٠,٢	٠,٤	٠,١	٥١,٤
٣,٤	٣,٠	٢,٧	١,٥	١,١	١,٠	٠,٣	٠,٧	٠,٢	١٠٠,٠



جدول (١٠)
المجموعات العمرية الرئيسية للسكان في محافظة ذي‌قار
١٩٥٧ ـ ١٩٧٧

السنة	الجنس	النسبة المئوية للفئات العمرية		
		٠ ـ ١٤	١٥ ـ ٦٤	٦٥ فما فوق
	ذكور	٢٢,٠	٢١,٥	٢,٦
١٩٥٧	اناث	٢٢,٦	٢٧,٦	٣,٤
	المجموع	٤٤,٦	٤٩,١	٦,٠
	ذكور	٢٣,٣	٢٣,١	٢,٦
١٩٦٥	اناث	٢١,٧	٢٥,٥	٣,٥
	المجموع	٤٥,٠	٤٨,٦	٦,١
	ذكور	٢٦,٨	١٩,٧	٢,١
١٩٧٧	اناث	٢٤,٤	٢٣,٩	٢,٦
	المجموع	٥١,٢	٤٣,٦	٤,٧

المصدر : نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٥٧، ١٩٦٥، ١٩٧٧ .

جدول (١١)
المجموعات العمرية الرئيسية للسكان الحضر في محافظة ذي‌قار
١٩٦٥ ـ ١٩٧٧

السنة	الجنس	النسبة المئوية للفئات العمرية		
		٠ ـ ١٤	١٥ ـ ٦٤	٦٥ فما فوق
	ذكور	٢٣,٤	٢٤,٥	٢,٠
١٩٦٥	اناث	٢٢,٢	٢٤,٨	٣,١
	المجموع	٤٥,٦	٤٩,٣	٥,١
	ذكور	٢٦,٣	٢١,١	١,٨
١٩٧٧	اناث	٢٤,٦	٢٣,٨	٢,٤
	المجموع	٥٠,٩	٤٤,٩	٤,٢

المصدر : نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥، ١٩٧٧ .

جدول (١٢)
المجموعات العمرية الرئيسية لسكان الريف في محافظة ذي‌قار
١٩٦٥ — ١٩٧٧

السنة	الجنس	النسبة المئوية للفئات العمرية		
		٠ — ١٤	١٥ — ٦٤	٦٥ فما فوق
١٩٦٥	ذكور	٢٨,١	٢٧,٢	٣,٤
	اناث	٢٦,٠	١٠,٩	٤,٤
	المجموع	٥٤,١	٣٨,١	٧,٨
١٩٧٧	ذكور	٢٧,٥	١٨,٨	٢,٣
	اناث	٢٤,٥	٢٤,٢	٢,٧
	المجموع	٥٢,٠	٤٣,٠	٥,٠

المصدر : نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥، ١٩٧٧ .

نسبة الاعالة :

تعبر نسبة الاعالة عن العلاقة بين الفئات المنتجة والفئات المستهلكة في المجتمع ،حيث انه يقع على عاتق الفئة الاولى اعالة الفئة الثانية .وعلى اساس المفهوم الديموغرافي لهذه النسبة، وعلى ضوء تقسيم السكان الى ثلاث فئات عمرية رئيسة والتي سبق ذكرها، فأن فئة الشباب ومتوسطي العمر الذين يمثلون السكان في سن العمل ديموغرافياً ، يمثلون الفئة المنتجة ، وعليهم اعالة الفئتين الباقيتين ، فئة صغار السن وفئة كبار السن (١) .

(١) تم احتساب نسبة الاعالة بأستخدام المعادلة التالية =

$$\text{نسبة اعالة السكان} = \frac{\text{الاطفال + الشيوخ}}{\text{السكان في سن العمل}} \times ١٠٠$$

المصدر : ClarKe, J.I., Population GeograPhy, 2nd Edition, Pergamon, Press Oxford, 1972, P.69.

وبأستخدام المعادلة المذكورة تبين لنا بأن نسبة الاعالة في محافظة ذي قار قد بلغت ١٢٨٪ حسب تعداد ١٩٧٧ ، وهذا يعني ان كل فرد من السكان الذين في سن العمل عليه اعالة ٣,١ شخصاً من الاطفال والمسنين ، وهذه النسبة اعلى من النسبة العامة في العراق لذلك العام والذي مقدارها ٦,١٢٢٪ (١) ، لأن محافظة ذي قار تعتبر من المحافظات الطاردة للسكان لاسيما المنتجين منهم للعمل في مناطق او محافظات اخرى مما يؤدي الى خفض نسبة هؤلاء ، وبالتالي ارتفاع نسبة الاعالة للسكان في المحافظة.

الا ان مايؤاخذ على نسبة الاعالة هذه، انها لاتمثل الاعالة الحقيقية للسكان لأنها تقوم على اساس ديموغرافي بحت في حين ان واقع العمل يخالف الى درجة كبيرة الارقام المشتقة من التقسيم الديموغرافي للفئات العمرية للسكان. ولمعالجة مثل هذه المشكلة فأن هناك ما يسمى بنسبة الاعالة الحقيقية أو الأقتصادية للسكان والتي تعتمد على السكان العاملين أو النشيطين اقتصادياً فعلا وما نسميهم بالقوى العاملة او السكان داخل قوة العمل، وعليه فأن هؤلاء السكان هم الفئة المنتجة فعلاً في حين ان السكان خارج العمل يمثلون الفئة المستهلكة في المجتمع والتي تعتمد في اعالتها على الفئة الاولى (٢).

واعتماداً على المعادلة المذكورة ظهر ان نسبة الاعالة الاقتصادية في محافظة ذي قار ٢٧٩٪ وهي مقاربة للنسبة العامة في العراق التي مقدارها ٢٨٠ ٪ في عام ١٩٧٧، وهذا يعني ان كل شخص من السكان في قوة العمل عليه اعالة ٢,٨ شخصاً من السكان خارج قوة العمل،وهي في الواقع تعد نسبة عالية وتعكس انخفاض نسبة القوة العاملة في المحافظة

٦ ـ التركيب الاقتصادي :

التركيب الاقتصادي للسكان يعني توزيعهم حسب النشاطات الاقتصادية في المجتمع ، وهذا التركيب من الاسس المهمة في التخطيط لاسيما في مجال التنمية الاقتصادية أو الخدمات

---

(١) احمد نجم الدين ، جغرافية سكان العراق ، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٢، ص١٥٢.

(٢) لغرض تحديد نسبة الاعالة الاقتصادية تستخدم المعادلة التالية :

$$\text{نسبة الاعالة الاقتصادية} = \frac{\text{عدد السكان المعولين}}{\text{عدد السكان العاملين}} \times ١٠٠$$

المصدر :

فتحي محمد ابو عيانة ، دراسات في جغرافية السكان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٨، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.

العامة. وقبل البدء في دراسة توزيع السكان حسب الأنشطة الاقتصادية لابد من الاشارة للعلاقة بين السكان الذين هم في سن العمل والذين يمثلون فئة الشباب ومتوسطي العمر (١٥ — ٦٤ سنة)، وبين السكان الذين يعملون فعلاً (السكان داخل قوة العمل)، فأذا كانت نسبة السكان في سن العمل قد بلغت في تعداد ١٩٧٧، مامقدارها ٤٣,٧٪ من المجموع الكلي للسكان في المحافظة، فأن نسبة السكان النشطين اقتصادياً أو السكان العاملين كانت تساوي ٢٦,٤٪ فقط، حيث كان عدد هؤلاء السكان قد بلغ ١٦٤٢٩٠ شخصاً (لاحظ الجدولين ١٣، ١٤).

وكما يلاحظ من الجدول (١٣)، فأن عدد السكان الذين هم داخل قوة العمل لايقتصر فقط على عدد السكان الذين هم في سن العمل، انما هناك نسبة لايستهان بها من السكان الذين هم من فئة صغار السن وفئة كبار السن يقومون بالعمل فعلاً. فأرقام الجدول تشير الى ان حوالي ٧,٥٪ و ٦,٢٪ من المجموع الكلي للقوة العاملة أو السكان النشطين اقتصادياً هم الفئتين المذكورتين على التوالي. كما ان المقارنة بين نسبة السكان في سن العمل ونسبة السكان العاملين فعلاً الذين هم في هذا السن توضح انه ليس جميع السكان في سن العمل هم داخل قوة العمل كالطلبة وربات البيوت والمرضى أو العاجزين عن العمل مما يجعلهم يعتمدون في اعالتهم على غيرهم من افراد العائلة. ومما يلاحظ ايضاً ان نسبة الأناث ولأعتبارات اجتماعية من العاطلات كانت لا تزال تعتبر عالية حيث يلاحظ في تعداد ١٩٧٧ ان نسبة الأناث العاملات تساوي ٦,١٪ من المجموع الكلي للسكان في مقابل ٢٣,٣٪ التي هي نسبة الاناث اللواتي هن في سن العمل، كما ان نسبة الأناث العاملات كانت تساوي ٣٧,١٪ من مجموع السكان العاملين في المحافظة.

ويلاحظ من الجدول (١٣) ارتفاع نسبة العاملين الذين هم في الفئتين العمريتين (٠ — ٢٤) و (٢٥ — ٢٩) والتي بلغت ١٣٪ من العاملين، في حين ان نسبة السكان في الفئة العمرية (٦٠ — ٦٤) تنخفض الى ٣,٥٪.

وتشير ارقام الجدول (١٤) الى ان نشاط الزراعة والصيد قد استقطب اكبر نسبة للسكان العاملين والتي بلغت حوالي ٤٨٪ من مجموع القوى العاملة في المحافظة حسب تعداد ١٩٧٧. وهذا يعني ان هذا النشاط كان ولايزال يمثل الحرفة الرئيسة في المحافظة التي تغلب على مناطقها الصفة الريفية. وتأتي الخدمات بالمرتبة الثانية من حيث نسبة العاملين فيها والتي بلغت ١٩,٩٪ يليها نشاط التشييد والبناء الذي يعمل فيه ٩,٨٪، ثم الصناعات

جدول (١٣)

توزيع السكان النشطين اقتصادياً حسب المجموعات العمرية والجنس في محافظة ذي قار ، ١٩٧٧

الجنس	المجموعات العمرية						
	٧–٩	١٠–١٤	١٥–١٩	٢٠–٢٤	٢٥–٢٩	٣٠–٣٤	٣٥–٣٩
ذكور	١٥١	٤٩٢٣	٧٥٩٩	١٦٥٣٥	١٦٤٨٤	١٢٦٥٧	٩٩١٩
اناث	٤٧	٧٢٤٠	٤٧٥٢	٤٦٥٩	٥٠٢٧	٤١٤٩	٣١٥٠٦
المجموع	١٩٨	١٢١٦٣	١٢٣٥١	٢١١٩٤	٢١٥١١	١٦٨٠٦	١٣٤٢٥
٪ من المجموع	٠٫١	٧٫٤	٧٫٥	١٣٫٠	١٣٫٠	١٠٫٣	٨٫٣

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٧ (محفظة ذي قار)، ايلول ١٩٧٨ ، ص ٩٤–٩٥ .

٤٠–٤٤	٤٥–٤٩	٥٠–٥٤	٥٥–٥٩	٦٠–٦٤	٦٥ +	غير مبين	المجموع
٧٤٥٢	١٠٥٢٥	٨١٢٨	٧٢٤٧	٦٨٠٢	٨٢٨٢	٨٦	١١٦٧٩٠
٣٥٤١	٤١٩٦	٣٧٨٣	٢٨٢٠	١٨٦١	١٩٠٢	١٧	٤٧٥٠٠
١٠٩٩٣	١٤٧٢١	١١٩١١	١٠٠٦٧	٨٦٦٣	١٠١٨٤	١٠٣	١٦٤٢٩٠
٦,٦	٩,٠	٧,٢	٦,١	٥,٣	٦,١	٠,١	١٠٠

جدول (١٤)
توزيع سكان محافظة ذي قار حسب الأنشطة الاقتصادية، ١٩٧٧

النشاط الاقتصادي	العدد الكلسي			٪ من مجموع السكان العاملين
	ذكور	اناث	المجموع	
الزراعة والصيد	٤١٧٩٩	٣٧٩٤٧	٧٩٧٤٦	٤٨,٢
التعدين	٢٧٩	١١٠	٣٨٩	٠,٣
الصناعات التحويلية	٨٠٥١	٥٠٩٢	١٣١٤٣	٧,٩
الكهرباء والماء والغاز	١٥١١	٣٤	١٥٤٥	٠,٩
التشييد والبناء	١٦٠٠٣	١٧٦	١٦١٧٩	٩,٨
التجارة	٧٦٤٩	١٢٠٥	٨٨٥٤	٥,٣
النقل والمواصلات	٥٢٨٣	٩٩	٥٣٨٢	٣,٥
التمويل	٦٢٤	٦٤	٦٨٨	٠,٥
الخدمات	٣٠١٧٩	٢١١٨	٣٢٢٩٧	١٩,٩
غير مبينة وعاطلين	٥٤١٢	٦٥٥	٦٠٦٧	٣,٧
المجموع	١١٦٧٩٠	٤٧٥٠٠	١٦٤٢٩٠	١٠٠,٠

المصدر : التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٧ .

التحويلية ٧,٩٪ . اما بقية الأنشطة فأن نسبة العاملين فيها لاتزيد على ٦٪، وهذه النسبة تنخفض الى اقل من ١٪ في بعض الانشطة كالتعدين والكهرباء والماء والغاز والتمويل، بينما هي ٥,٣٪ في التجارة و٣,٥٪ في النقل والمواصلات. ان مثل هذه الارقام تشير الى الاهمية النسبية للانشطة في التركيب الاقتصادي للمحافظة .

وكما يلاحظ من الجدول المذكور، ان هناك تبايناً واضحاً في توزيع السكان الذكور والاناث حسب الانشطة الاقتصادية في المحافظة .وعلى العموم ، فأن نسبة العاملين من الذكور هي اعلى بكثير من نسبة العاملين من الأناث في جميع الانشطة الواردة في الجدول وهذا مما يؤكد حقيقة قلة مساهمة المرأة في مجالات العمل في المحافظة .

٧ ــ الحركة المكانية للسكان (الهجرة) :

من المعروف ان ثمة اتجاهات مختلفة للحركة المكانية للسكان (الهجرة) : وفي محافظة ذي قار ،تجري هذه الحركة بعدة اتجاهات منها الهجرة الخارجية، ومنها الهجرة بين المحافظة والمحافظات الاخرى للقطر ،ومنها الحركة السكانية داخل حدود المحافظة، كالهجرة بين الريف والمدن او بين المدن نفسها.

ورغم أهمية هذه الاتجاهات،الا أنه،ولسوء الحظ لاتتوفر احصاءات عنها جميعاً، سوى عن الهجرة بين المحافظات، حيث توفرت لدينا بعض المؤشرات الكمية التي يمكن ان تلقي بعض الضوء على حجم هذه الهجرة ولهذا سوف يقتصر تناولنا في هذه الفقرة من البحث على هذا النوع من الهجرة السكانيـــة.

من الجدول (١٥)، يلاحظ ان عدد المهاجرين الداخلين والخارجين في تزايد مستمر خلال الفترة ١٩٤٧ــ ١٩٧٧، فبينما كان عدد المهاجرين الداخلين ٩٤٤٤ نسمة في عام ١٩٤٧ ، ارتفع الى ١٧١٣٧ نسمة في عام ١٩٧٧. وارتفع عدد المهاجرين الخارجين من ٢٥٧١٩ نسمة في عام ١٩٤٧ الى ١٥٣٤١٢ نسمة في عام ١٩٧٧ .

وهذا يعني ان صافي الهجرة من المحافظة في تزايد مستمر خلال الفترة المذكورة ،حيث كانت الهجرة ٦١٢٧٥ نسمة في عام ١٩٤٧، ارتفعت الى ١٣٦٢٧٥ نسمة في عام ١٩٧٧. لاحظ الجدول (١٥) والاشكال (٨،٩).

وتشير الارقام السالفة الذكر الى ان عدد المهاجرين الخارجين من المحافظة اكثر بكثير من المهاجرين الداخلين، مما يؤكد ذلك حقيقة ان محافظة ذي قار كانت ولاتزال من المحافظات الطاردة للسكان بدرجة كبيرة وهذا مايجعلنا نؤكد في التحليل على الهجرة الخارجية من هذه المحافظة الى المحافظات الاخـــــرى .

من الجدول (١٦)، نلاحظ ان حركة الهجرة الخارجية تتجه الى مناطق الجذب الرئيسية في القطر والتي تتمثل بشكل خاص بمحافظات بغداد ،البصرة، واسط ، والتأميم. فقد بلغ عدد المهاجرين الى بغداد ٦٤٧٢٠ نسمة في عام ١٩٧٧ وهذا يعادل ٤٢٪ من مجموع المهاجرين الخارجين من المحافظة ،بسبب توفر العمل ،والخدمات في بغداد أكثر من غيرها من مدن العـــــراق .

وتحتل محافظة البصرة المرتبة الثانية في نسبة المهاجرين اليها من محافظة ذي قار. حيث بلغ عددهم ٣٦٥٩٩ نسمة، أو ٢٤٪ من مجموع المهاجرين الخارجين، نتيجة لتوفر فرص العمل والخدمات في البصرة ولو بدرجة اقل من بغداد، اضافة الى عامل المسافة حيث ان المحافظتين متجاورتـــــان .

وتأتي محافظة واسط بالمرتبة الثالثة، فقد بلغ عدد المهاجرين اليها ٨٠٤٠ نسمة او حوالي ٢ و ٥٪ ، لتوفر بعض فرص العمل والخدمات، الى جانب قربها من محافظة ذي قار. اما نسبة المهاجرين الى محافظة التأميم فقد بلغت ٣ و ٢٪ ، والسبب الرئيسي لهجرة هؤلاء السكان الى هذه المحافظة هو توفر فرص العمـــــل .

جدول (١٥)

الهجرة السكانية من والى محافظة ذي قار للفتـــرة

١٩٤٧ — ١٩٧٧

سنة التعداد السكاني	المهاجرون الداخلون	المهاجرون الخارجون	صافي الهجـرة
١٩٤٧	٩٤٤٤	٢٥٧١٩	١٦٢٧٥—
١٩٥٧	١٠٤٨٧	٤٩٢٠٠	٣٨٧١٣—
١٩٦٥	١٦٦٣٢	٧٩٤٣١	٦٣٧٩٩—
١٩٧٧	١٧١٣٧	١٥٣٤١٢	١٣٦٢٧٥—

المصدر: نتائج تعداد السكان عـــام ١٩٧٧.

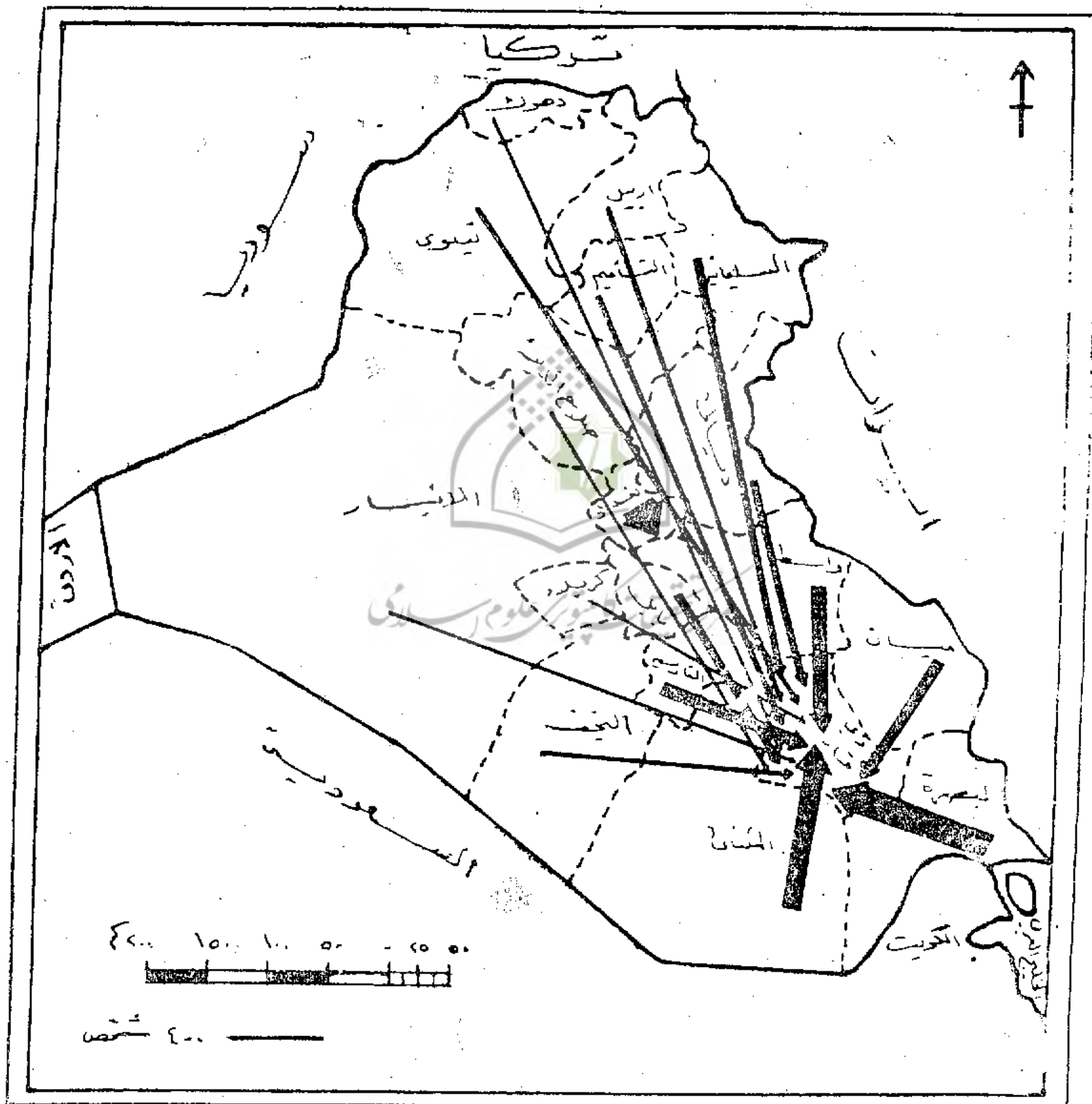
جدول (١٦)

الهجرة الداخلة والخارجة إلى ومن محافظة ذي قار إلى محافظات العراق ، ١٩٧٧.

المحافظة	الهجرة الداخلة	الهجرة الخارجة
دهوك	٢١٠	٣٦٣٦
نينوى	٥٥٩	٢٠٥٩
سليمانية	٧٠٦	٣٧٩٣
التأميم	٦٣١	٧١٦٤
أربيل	٤٥٦	٣١٨٣
ديالى	٦٨٧	٤٠٥٣
الأنبار	٢٩٨	١٦٨٦
بغداد	٣٤٧٩	٦٤٧٢٠
بابل	٧٩٨	٣٢٥٣
كربلاء	٢١٣	١٥١٧
واسط	١٥٧٤	٨٠٤٠
صلاح الدين	١٢٥	١٤٨١
النجف	٤٤١	١٦٠٩
القادسية	١٤٨٥	٥٢٧١
المثنى	١٦٥٤	١٩٢٦
ميسان	١١٧٥	٣١٢٢
البصرة	٢٦٠٨	٣٦٥٩٩
المجموع العام	١٧١٣٧	١٥٣٤١٢

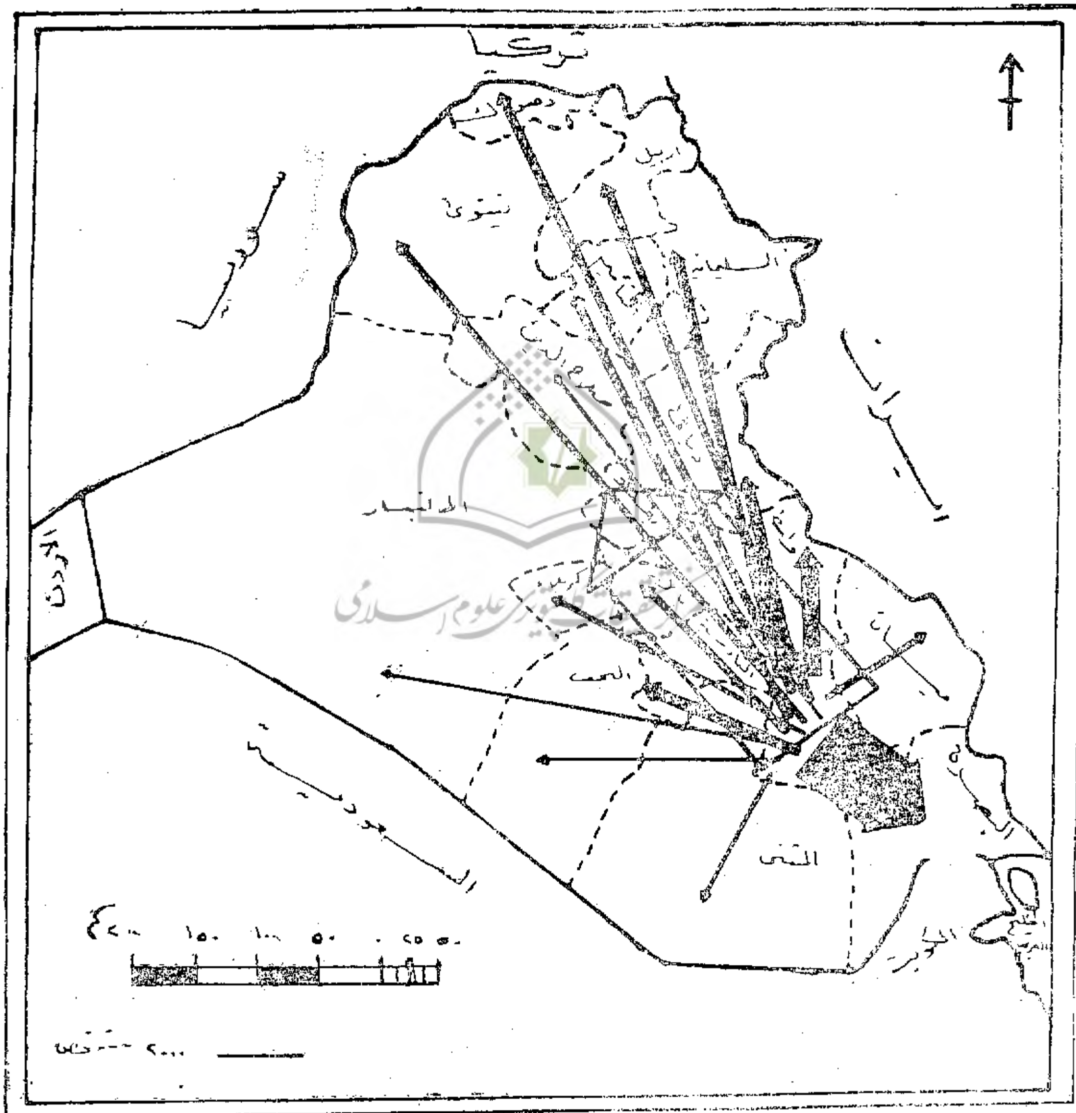
المصدر : نتائج التعداد العام للسكان ، ١٩٧٧ .

الهجرة الداخلة الى محافظة ذي قار



شكل (٨)

الهجرة الخارجة من محافظة ذي قار



شكل (٩)

خلاصة البحث

لقد تبين من البحث ان الهجرة السكانية هي العامل الأساس الذي اثر إلى درجة كبيرة على طبيعة الخصائص السكانية في محافظة ذي قار بحيث جعلتها تمثل الخصائص النموذجية للمناطق الطاردة للسكان ، فتعتبر هذه المحافظة ولا تزال ثاني محافظة في العراق بعد محافظة ميسان من حيث عدد السكان الخارجين منها إلى محافظات اخرى ، كما ان اعداد هؤلاء المهاجرين في تزايد مستمر في التعدادات السكانية الأربعة . ان تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في المحافظة ، هي السبب الأساس لهذه الهجرة التي قلت إلى درجة كبيرة جداً بعد ان تم تنفيذ خطط التنمية الشاملة في القطر وكان نصيب المحافظة من مشاريع هذه الخطط مهماً .

ان من بين النتائج التي تمخضت عن هذه الهجرة هو انخفاض نسبة النمو السنوي لسكان المحافظة الذي وصل إلى ١,٩٪ للفترة ١٩٦٥ — ١٩٧٧ ، كما ان هذا النمو ولجميع الفترات التي تفصل بين التعدادات السكانية الأربعة كان أقل بكثير من المعدل العام للنمو في العراق.

لقد ازدادت نسبة السكان الحضر في المحافظة بشكل ملحوظ خلال الفترة ١٩٤٧ ١٩٧٧ من ١٥,٦٪ إلى ٣٩,٨٪ في مقابل الانخفاض الكبير في نسبة سكان الارياف . ومع ذلك فأن هجرة السكان إلى خارج المحافظة التي حدثت ليس فقط من سكان الارياف وانما ايضاً من سكان مدن المحافظة قد جعلت نسبة السكان الحضر في المحافظة أقل مما هو عليه من المعدل العام في القطر .

أما نسبة النوع ، وعلى الرغم من ازديادها المستمر في المحافظة الا انها بقيت اقل من النسبة العامة في القطر في جميع التعدادات السكانية الأربعة . فهي ، على سبيل المثال ، ٩٥,٤ في تعداد ١٩٧٧ في مقابل النسبة العامة للقطر التي تساوي ١٠٦,٣ . ان عامل الهجرة السكانية من المحافظة وبأعداد كبيرة ومتزايدة هي السبب الأساس الذي يقف وراء انخفاض هذه النسبة لأن مثل هذه الهجرة هي عادة من نوع الهجرة الانتخابية التي ترتفع فيها نسبة المهاجرين الذكور الذين يهاجر قسم كبير منهم للعمل .

وفي التركيب العمري لسكان المحافظة ، لاحظنا من خلال البحث ان نسبة فئة صغار السن عالية وهي اعلى من النسبة العامة لها في العراق من ناحية ، كما انها ازدادت بأستمرار

من ناحية ثانية . ان استمرار تحسن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصحية هو السبب الذي يعزى اليه الارتفاع المستمر لهذه النسبة . كما ان عامل الهجرة ، اضافة إلى ماتقدم ذ الذي ادى إلى خفض نسبة فئة الشباب ومتوسطي العمر ، هو الذي يمكن ان يعزى اليه بالدرجة الأولى ارتفاع نسبة صغار السن ، بحيث اصبحت اعلى من النسبة العامة في القطر ان مثل هذا التركيب العمري للسكان قد انعكس على نسبة الاعالة للسكان في المحافظة ، حيث ارتفعت هذه النسبة فبلغت ١٢٨ ٪ في عام ١٩٧٧ ، وهي بذلك اعلى من النسبة العامة للقطر (١٢٢,٦ ٪) . ان هجرة السكان من المحافظة ولاسيما المنتجين منهم هـو السبب الرئيس الذي يؤدي إلى خفض نسبة هؤلاء وبالتالي ارتفاع نسبة الاعالة للسكان .

واذا كانت هذه النسبة عالية والتي تم تحديدها على اساس ديموغرافي فأن نسبة الاعالة الاقتصادية التي يعتمد في تحديدها على عدد السكان العاملين فعلاً أو الذين هم داخل قوة العمل ، هي اعلى بكثير من النسبة السابقة حيث وصلت إلى ٢٧٩ ٪ في عام ١٩٧٧ .

ومن خلال دراسة التركيب الاقتصادي في المحافظة ، تبين ان نسبة السكان النشطين اقتصادياً أو السكان العاملين يساوي ٢٦ ٪ فقط من المجموع الكلي لسكان المحافظة عام ١٩٧٧ ، في مقابل ٤٣,٧ ٪ وهي نسبة السكان الذين هم في سن العمل ، وهذا يعني ان نسبة القوى العاملة منخفضة في المحافظة . وقد تبين ان هنالك حوالي ١٤ ٪ من مجموع القوى العاملة في المحافظة هم من فئة صغار السن وكبار السن ، في حين ان ليس جميع السكان الذين هم في سن العمل هم داخل قوة العمل كالطلبة وربات البيوت والمرضى أو العاجزين عن العمل والذين يعتمدون في اعالتهم على غيرهم من افراد العائلة ، اضافة إلى ارتفاع نسبة الأناث العاطلات لأعتبارات اجتماعية .

وقد اتضح لنا ايضاً ، انه في تعداد عام ١٩٧٧ ، كان نشاط الزراعة والصيد قد استقطب اكبر نسبة للسكان العاملين في المحافظة التي كانت ٤٨ ٪ من مجموع القوى العاملة ، في حين تأتي الخدمات بالمرتبة الثانية (١٩,٩ ٪) يليها نشاط التشييد والبناء ثم الصناعات التحويلية . اما بقية الأنشطة فأن نسبة العاملين فيها لاتزيد عن ٦٪ . ولوحظ ان هنالك تبايناً واضحاً في توزيع السكان الذكور والاناث حسب الأنشطة الاقتصادية ، وان نسبة العاملين من الذكور اعلى بكثير من نسبة العاملات في جميع الأنشطة .

المصادر

١ ــ ابو عيانة ،فتحي محمد ،دراسات في جغرافية السكان، دار النهضة العربية ، بيــــروت ،١٩٧٨.

٢ ــ الانصاري، فاضل ، مشكلة السكان: نموذج القطر العراقي ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٠.

٣ ــ زيني، عبد الحسين، الاحصاء الديموغرافي ،مطبعة العاني ، بغداد،١٩٦٩.

٤ ــ السعدي، عباس فاضل، دراسات في جغرافية السكان، مطبعة أطلس ، القاهرة ، ١٩٨٠.

٥ ــ سميث، ت . لين، اساسيات علم السكان ، ترجمة محمد السيد غـــلاب وفؤاد اسكندر، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية، ١٩٧١ .

٦ ــ نجم الدين، احمد، جغرافية سكان العراق، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد١٩٨٢

٧ ــ وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء ،نتائج التعداد العام للسكـــان لسنـــة ١٩٦٥.

٨ ــ وزارة التخطيط ،الجهاز المركزي للاحصاء،نتائج التعداد العام للسكان لسنة١٩٧٧ (محافظة ذي قار) ،ايلول ١٩٧٨.

٩ ــ وزراة الداخلية ، مديرية النفوس العامة ، المجموعة الاحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧، المجلد الثاني ،ج١٣ لواء الناصريـــــة .

١٠ ــ وزارة الري، الهيئة العامة للمساحة، بغداد ،١٩٨٤ .

١١ ــ وزارة الشؤون الاجتماعية، مديرية النفوس العامة، احصاء السكان لسنة ١٩٤٧، ج٣ ،بغداد ١٩٥٤ .

(12) Clarke, J.I., Population Geography, 2Pd Edition, Per-gamon ress, Oxford, 1972.

(13) Trewartha, G.T., Ageography of Population: World Patterns, John Willey and Sons, Inc., New york, 1969

جهود الخليفة العباسي المهتدي في التصدي لسيطرة الترك ٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ

الدكتور خليل شاكر حسين
جامعة الموصل / كلية التربية

توطئة :

بدأت بوادر ظهور الجند الترك في الجيش العباسي منذ العصر العباسي الأول . فيذكر بعض المؤرخين أن بدايات استخدامهم كعنصر محارب في الجيش العباسي كانت منذ عهد المنصور ومن بعده من خلفاء بني العباس . لقد لجأ الخلفاء العباسيون الاوائل إلى استخدام العناصر الاجنبية في الجيش امام تطور المجتمع العربي وذلك لظهور مجتمعات المدن التي تضائلت فيها الروح العسكرية . وتجمع المصادر التأريخية ان المعتصم

هو أول خليفة عباسي قد استعمل الاتراك بشكل واسع حتى ضاقت بهم العاصمة بغداد ونفر منهم أهلها واستاءوا من تصرفاتهم وبلغ الوضع سوءاً إلى حد المصادمات مما اضطر الخليفة العباسي إلى ترك مدينة بغداد واختيار موضع جديد شمالها حيث ابتنى له عاصمة جديدة اسماها بسامراء (١) . وقد اصبحت سامراء معسكراً لاجناده الاتراك ومركز الثقل السياسي الجديد للدولة العباسية . ان استخدام المعتصم للجند الاتراك بتلك الدرجة الكبيرة يعد منعطفاً خطيراً في حياة الخلافة العباسية ذلك لأنهم بدأوا يتغلغلون في مراكز الجيش الحساسة والعليا وبرز منهم القادة الكبار الذين شرعوا يؤثرون في سياسة الدولة العليا . وبالفعل فقد ذكر لنا مؤرخونا الاوائل اسماء عديدة لقادة اتراك قد لعبوا ادواراً خطيرة في امور الدولة السياسية والعسكرية في عهد المعتصم ثم في زمن خلفائه . وبلغ هؤلاء القواد شأناً كبيراً بتسنمهم مناصباً ادارية لاقاليم الدولة (٢) . بيد أن عصر المتوكل يعتبر مسرح الصدام الحقيقي بين مؤسسة الخلافة وشرعيتها ومحاولات القادة الاتراك في السيطرة على مقاليد الأمور .

المبحث الأول : محاولات المتوكل في التخلص من هيمنة الاتراك :

تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢هـ بدعمٍ من لدن القادة الاتراك لذا فهم يعتقدون بفضلهم عليه بإيصاله إلى سدة الحكم ، خاصة اذا عرفنا ان تدخلهم في مسألة تنصيب الخليفة العباسي كان مسابقة خطيرة لها من النتائج السيئة على هيبة الخلافة العباسية وشرعيتها . وقد كان الصراع شديداً بين الادارة العباسية التي يمثلها الوزير ابن الزيات ومؤسسة الجيش وربح الجيش المعركة وسقط ابن الزيات مما ادى ذلك إلى ازدياد نفوذ القادة الاتراك (٣) . ولكي يخلق المتوكل قاعدة شعبية له اتبع سياسة دينية تختلف عن اسلافه من خلفاء بني العباس . وحاول جهده ان يسترضي كبار القادة الأتراك مثل ايتاخ ويف الصغير والكبير ووصيف حيث تم تعينهم في مناصب ادارية كبيرة . وبهذا فقد حصل القادة الأتراك على امتيازات كبيرة وبدأوا يشكلون قوة لايستهان بها للضغط على ارادة الخليفة . والجدير بالقول ان المتوكل اصبح يتحسس بوطأتهم عليه وقرر ان يحرر نفسه من نفوذهم .

لذا فقد اتخذ المتوكل دمشق عاصمة جديدة للدولة العباسية وفعلاً انتقل اليها وبدأ البناء فيها ونقل اليها الدواوين . وقد فهم القادة الاتراك مايقصده المتوكل فأشاروا عليه الجند مما اضطره ذلك الى تركها والرجوع الى سامراء (٤). ويبدو أن المتوكل لم يأخذ

بعين الاعتبار تجربة عبد الله بن علي والخليفة الامين عندما اعتمد على اهل الشام فلم يفلحا في استمالتهم. ومما تجدر اليه الاشارة ان العلاقة بين الخليفة والقادة الاتراك. اصبح يسودها الحذر بعد خطوة المتوكل في نقل العاصمة وقد جرت محاولة للتخلص منه من قبل ابنه الكبير وابنه موسى وانكشف تدبيرها للمتوكل ولكنه اظهر العفو عنهما مضطراً حتّى لايثير حفيظة بيته القاده الاتراك ضده .

وعلى الصعيد المالي فأن القادة الاتراك لم يكتفوا بكل الامتيازات التي حصلوا عليها بل انهم استحدثوا ديوان الجند والشاكرية ودبوان الموالي والغلمان لكي يخلقوا لهم قاعدة قوية تساندهم بجانب تعاظم نفوذهم . وقد اثرّت تلك الامتيازات والدواوين الجديدة على خزينة الدولة وواردتها واصبحت مصروفات المؤسسة العسكرية عبئاً ثقيلاً على الخزينة وتؤدي بها الى الافلاس في بعض الاحايين .

ومن الضروري قوله ان المتوكل كان يفكر جدياً في التخلص من القادة الاتراك لأنهم اصبحوا خطراً على الخلافة والادارة العباسية وقد نجح في التخلص من القائد التركي ايتاخ عند ذهابه الى اداء فريضه الحج اثناء مروره ببغداد (٥). بيد ان القادة الاتراك قد فطنوا لإسلوب الخليفة وباتوا يحذرونه. وبناءً على ذلك فأن الخليفة العباسي قد ابتنى له عاصمة جديدة اطلق عليها اسم «المتوكلية» كخطوةٍ للابتعاد عن هيمنة الاتراك .

وكوّن له حرس خاص واعتمد على العرب والصعاليك غير ان المتوكل وقع بخطأ جسيم بأن قسّم الدولة الى ثلاثة اقسام على غرار مافعله الرشيد (٦) من قبل وبدأ سياسة التفضيل والتمايز بين اولاده مما اثار التحاسد بينهم والتباغض فأستغل القادة الاتراك ذلك. واتفقوا مع ولده المنتصر فقتلوه مع وزيره الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧هـ .

المبحث الثاني :

تمزق وحدة الأسرة العباسية الحاكمة :

تعاقب في الحكم خلال هذه الفترة اربعة خلفاء وهم المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي من سنة ٢٤٧ ـ ٢٥٦هـ . فعلى الرغم من جهودهم في اخفاء طابع القوة وبعث الهيبة لمؤسسة الخلافة إلا أنهم جوبهوا بمقاومة القادة الاتراك وفرض ارادتهم ومصالحهم عليهم. وانه لمن المفيد ذكره في هذا المجال هو أن مقتل الخليفة العباسي المتوكل بأتمار من ولده المنتصر مع القادة الاتراك يعد انتكاسه للخلافة العباسية كمؤسسة سياسية وخاتمة سوء

للأسرة العباسية الحاكمة. ولا غرو فأن الخلافة العباسية قد اصيبت بطعنة اضاعت منها تلك الهيبه والجبروت، فأصاب مؤسسة الخلافة الضعف وانعكس ذلك على افراد الاسرة العباسية حيث دبت الفرقة والتنازع بين افراد البيت الواحد. وقد اشتد الأمر سوءً الى درجة التصفية الجدية من أجل ارضاء القادة العسكريين الاتراك ثم لانهاء دور المنافسة والمزاحمة على كرسي الحكم. وبناء على ذلك نرى ان المستعين والمؤيد ثم المعتز يذهبون ضحية من من اجل مصالح ذاتية. وشمل النفي افراداً من البيت العباسي الى البصرة وواسط وسبب ذلك الخشية والخوف المسيطران على نفوس العباسيين يضاف الى ذلك وجود التكتلات والمحاور داخل الاسرة العباسية الحاكمة (٧) وقد وفق القادة الاتراك بأيجاد البغضاء والنفور بين افراد الاسرة العباسية وجعلهم يضربون بعضهم البعض لكي يتم لهم السيطرة على مقاليد الامور وادارة دفتها كما يشتهون .

تعتبر السنوات العشر التي مرت بها الخلافة العباسية من سنة ٢٤٧هـ وحتى ٢٥٦ من اسوأ الفترات في حياة الخلافة العباسية بسبب هيمنة الاتراك على شؤون الخلافة مما حدى ببعض المؤرخين المحدثين الى تسميتها بعصر الفوضى العسكرية والاضطراب السياسي (٨).

جاء المنتصر بعد مقتل ابيه المتوكل الى الحكم واجبر اخويه المعتز والمؤيد على خلع انفسهما ارضاءً لرغبة القادة الاتراك لأنهم يخافون انتقامهما لمقتل ابيهما المتوكل . وقد اغدق العطاء للقادة الاتراك واجنادهم بمنحهم مرتبات عشرة أشهر مقدماً . (٩) ومع ذلك فقد اظهر الندم على مقتل ابيه وبدأت الرغبة في الانتقام من القادة الترك تتحرك في نفسه وكان يلقب الاتراك بقتلة الخلفاء فخافوه على انفسهم ودسوا له السم وقتلوه سنة ٢٤٨هـ بعد ستة اشهر من الحكم (١٠). وتولى الحكم من بعده المستعين الذي لم يستطع ان يغير شيئاً من سيطرة القادة الاتراك امام ثورات الاقاليم في الشام وفارس وشغب الجند في بغداد وسامراء ومطالبتهم بارزاقهم وراح القائد التركي اوتامش ضحية ثورتهم . وقد سادت الاحوال الاقتصادية وارتفعت اسعار المواد الغذائية في سامراء وبغداد وتضاءل وجود العملة مما ادى بالمستعين الى التنازل عن الحكم سنة ٢٥٢هـ والتجأ الى واسط مع اهله لكنه قتل بعد ذلك (١١) وبويع للمعتز بالخلافة وكانت الحالة الاقتصادية سيئة والجند يطالبون برواتبهم ودفعتهم ثورتهم الى قتل القائد التركي وصيف كما قتل من قبله اوتامش وانفسح المجال امام القائد التركي بغا الصغير الشرابي فا صبح المتصرف بالامور وصاحب الحل والعقد واراد قتل المعتز فأنكشف امره مما دعاه ذلك الى الهرب الى الموصل وتم

القضاء عليه. واستقل احمد بن طولون بمصر وسيطر يعقوب بن الليث الصفار على فارس ازاء هذه الحالة المنذرة بالسوء برز قائد تركي آخر وهو صالح بن وصيف وقبض على كتاب المعتز وعذبهم واخذ اموالهم وضياعهم واجبر المعتز نفسه على الخلع سنة ٢٥٥هـ ومات لظروف غامضة يرجحها مؤرخونا بالقتل بعد ايام قليلة من مجيء المهتدي للخلافة(١٢)

المبحث الثالث:

الحالة السياسية الداخلية بعد تولي المهتدي للحكم :

اولاً : ظروف توليه الخلافة :

تولى المهتدي الخلافة بعد خلع المعتز الذي عجز عن دفع رواتب الجند مما اضطر القادة الاتراك الى خلعه واختيار محمد بن الواثق الملقب بالمهتدي والذي تمت مبايعته في رجب عام ٢٥٥هـ. والجدير بالذكر ان المهتدي اعترض على اسلوب بيعته واصر على حضور المعتز بن المتوكل الذي اعترف بعجزه عن القيام بمهام الخلافة امام القواد الاتراك والكتاب وافراد البيت العباسي وكتبت بذلك وثيقة تؤكد عجزه . وكان المعتز اول مبايع للمهتدي عن رضى من نفسه. ومما تجدر اليه الملاحظة في هذا الباب هو أن المهتدي اراد بتلك الخطوة ان يجعل من خلافته اكثر شرعية وباءنها تمت بالرضى وليس بالاكراه والغصب ثم انه اراد ان يجعل نفسه بعيداً عن تأثير الاتراك ومساهمتهم في بيعته حتى لا يكون لاصحاب فضل عليه يطوقونه به مستقبلا (١٣).

ثانياً : حصول الفتنة في بغداد :

ان الفترة التي تولى بها المهتدي الحكم كانت عصيبة. اذ ان مؤسسة الخلافة وا[illegible] ضعفت عن مواجهة الفتن الداخلية والاقطار الخارجية . والحال هذا كان لابد للخ[illegible] من رجل يعيد لها نشاطها ويكون بمستوى المسؤولية . وعليه فأن المهتدي رأى من واجبه تحقيق هذه المهمة الصعبة. وعلى الرغم من انتقال مركز الحكم من بغداد حاضرة الدولة الأولى الى مدينة سامراء فلا زالت تحتفظ بمكانتها ودورها السياسي والاجتماعي والفكري. ولا بد لكل خليفة عباسي ان يأخذ حسابها بعين الاعتبار . وبناء عليه فقد ارسل المهتدي بعد اتمام بيعته في سامراء كتاباً الى نائب عامل بغداد سليمان بن عبد الله بن طاهر يطلب منه اخذ بيعة اهل بغداد له. وكان لوجود ابي احمد بن المتوكل الذي ابعده المعتز الى بغداد المبرر

في اثارة أهل بغداد خاصة عندما طلب سليمان بن عبد الله البيعة منه للخليفة المهتدي باستدعائه الى داره . فتورد مصادرنا التأريخية ان اهل بغداد قد اخذتهم الثورة على ماحدث في سامراء للمعتز واجباره على خلع نفسه واهانته وكانوا لايعلمون بما حدث في سامراء من بيعة المهتدي الا بعد اسبوع من الزمن. لذلك فقد تجمعوا امام دار نائب الوالي واستفسروا منه عما حصل في سامراء. والجدير قوله هنا ان اهل بغداد بخطوتهم تلك قد برهنوا انهم ليسوا بمعزل عن سير الاحداث وان مايجرى في العاصمة العباسية الثانية لازال يهمهم ويقلقهم. واستطاع سليمان بن عبد الله ان يطمأنهم بأنه بانتظار مايصله من اخبار من سامراء وانصرفوا لكي يعاودوا تجمعهم في يوم الجمعة الاتي حيث ذكر اسم المعتز في خطبة الجمعة وهذا يدلل على بقاء هيبة الخلافة في النفوس رغم مشيئة القادة الاتراك واجنادهم وتجمهرت العامة مرة اخرى امام دار سليمان ورفعوا اسم ابي احمد بن المتوكل كمرشح للخلافة والحوا على ان يخرجه سليمان لهم فاظهره لهم ووعدهم خيراً لما يريدون وتلك خطوة ذكية من جانب سليمان لتسكين روع اهل بغداد ولكي يكسب الوقت بدلا من مجابهتهم. وجاءت الاخبار ببيعة المهتدي فسكنت ثائرة اهل بغداد ولعب المال دوره في اسكات الناس بعد ارساله من سامراء. وتمت البيعة للمهتدي في بغداد في اوائل شعبان سنة ٢٥٥هـ وذكر اسمه كخليفة للمسلمين في خطبة الجمعة في شعبان ٢٥٥هـ(١٤) .

ثالثاً : دور الحريم في اثارة المتاعب امام الخلافة :

تمثل ام المعتز الملقبة بقبيحة (١٥) ذلك الصنف من النساء الذي قام بدور مهم في تقرير مصير بعض الخلفاء العباسيين وتصريف امورهم . فكما كان للخيزران وزبيدة في ايام الهادي والرشيد دوراً في شؤون الخلافة فقد أصبح لامهات الخلفاء وزوجاتهم ادواراً لايمكن أغفالها على عظيم أهميتها . يذكر مؤرخونا الاوائل ان الحريم قد بلغن من التأثير على الخلفاء نتيجة للأمتيازات التي حصلن عليها وذلك بأن كون لهن طبقة خاصة مع وصيفاتهن ومواليهن وبعض القواد والكتاب مما شكل ذلك عبئاً مالياً ثقيلاً على خزينة الدولة . لقد مرّ المعتز بوضع مالي صعب للغاية وكان عاجزاً عن سداد مطالب القواد ، الاتراك والجند بدفع ارزاقهم وطالبوه بمبلغ خمسين الف دينار كحد ادنى لاسكات تمرد الجند . وامام هذا الوضع المتأزم طلب المعتز من أمه قبيحة أن تسعفه بالمبلغ المطلوب ولكنها اعتذرت له وتظاهرت بفقرها وانها لاتملك مثل هذا المبلغ . وتؤكد مصادرنا ان ام المعتز كانت غنية جداً بحيث انها كان تمتلك اموالاً ولؤلؤاً وياقوت قدره المؤرخون

بالاف الدنانير. فمن الغريب حقاً ان نراها تفضل خلع ابنها من منصب الخلافة وقتله من ان تنقذه وتنقذ هيبة الخلافة التي بواسطتها قد جمعت هذه الثروة (١٦) والمدهش حتماً انها لم تتمكن من الحفاظ على هذه الثروة فقد أصبحت من نصيب القائد التركي صالح بن وصيف الذي استولى عليها بالقوه . وتركت العراق واقامت بمكة وكانت تدعو على القائد صالح بن وصيف بأنه قد قتل ابنها وهتك سترها واخذ مالها وغربها عن بلدها (١٧) وقد أصاب المهتدي كبد الحقيقة عن انكشاف امر ام المعتز وموقفها الضعيف من استجادة أبنها بقوله : « أما أنا فليس لي أم أحتاج غلة عشرة الاف دينار في كل سنة لجوا يها ، وخدمها المتصلين بها ، ومااريد إلا القوت لنفسي وولدي ومااريد فضلاً الا لاحوتي فان الضائقة قد مستهم » (١٨) .

ان استيلاء القائد صالح بن وصيف على اموال ام المعتز قد فتح باب الفتنة امام الخلافة العباسية في وقت هي بأمس الحاجة لاعادة الأمن والاستقرار وتوكيد هيبتها اذ أثار عمل صالح بن وصيف بقية القواد الاتراك هذه مما سيجر على الخلافة المشاكل والويلات

المبحث الرابع : تردي الحالة الداخلية للدولة العباسية :

اولاً : التطابق بين القادة الأتراك والادارة العباسية :

واجه الخليفة المهتدي وضعاً مأساوياً داخل الدولة العباسية وحاول جهده ان يصلح هذا الوضع المتردي لكن ثمة تحديات ومصاعب وقفت حائلاً امامه وافشلت برنامجه الاصلاحي فمن جهة ، يقف امام المهتدي تحدي القادة العسكريين الاتراك ومطامعهم ومصالحهم ومن جهة اخرى استفحل خطر الفساد الاداري داخل مؤسسات الدولة متمثلا في الكتاب والوزراء والولاة وصنائعهم ان موقف القائد صالح بن وصيف من الكتاب : احمد بن اسرائيل والحسن ابن مخلد وابي نوح لهو دليل ساطع على ذلك الصراع بين الجيش والادارة . لقد قبض صالح بن وصيف على الكتاب وضربهم بالسياط واهانهم امام العامة واستولى على اموالهم والخليفة المهدي لم يحرك ساكناً إلا الاعتراض على اسلوب المحاسبة اذ انه لايرتضي العنف والاهانة وعلق على فعل صالح بالكتاب بقوله : « اما ، عقوبة إلا السوط والقتل اما يكفي الحبس ، انا لله وانا اليه راجعون ... » . (١٨) والجدير بالقول أن الصراع كان قديماً بين الجيش والادارة منذ عصر العباسيين الاوائل ولكن ، بشكل مستتر بسبب قوة الخلفاء العباسيين غير ان هذا الصراع اصبح مكشوفاً ابتداءً من عصر المتوكل الذي ذهب الوزير الزيارات ضحيته .

ثانياً : اندلاع اعمال الشغب في بغداد :

لاتفتأ الحالة ان تعود الى الهدوء في عاصمة الدولة القديمة بغداد حتى تندلع مرة أخرى اعمال الشغب فيها ومن قبل الجند الشاكرية والنائبة ومن الصعاليك . وكان دافع التمرد الاساسي هو المطالبة بالارزاق الذي كان المحرك الرئيسي لتمرد الجند سواء في ، سامراء او بغداد وغالباً مايكون ورقة للضغط على الخليفة العباسي بيد القادة الاتراك . فمما تجدر الاشارة اليه ان حالة الدولة العباسية الاقتصادية قد ضعفت كثيراً وان ايرادات ، الدوله قد قلت بشكل ملحوظ مما جعل ايراد الخزينة لايكفي نفقات الدولة ومتطلبات ، مؤسساتها من ادارة وجيش وبلاط عباسي وحريم وغيرها . لم تعد الدولة العباسية كأيام الرشيد كتلك الدولة المترامية الاطراف الواسعة الموارد . لقد تغيرت الخارطة السياسية لنفوذ الخلافة العباسية المركزية ونتيجة لذلك تقلصت الواردات . وعليه فأن هذا الوضع قد احرج الخليفة المهتدي وسبب له المأزق خاصة امام متطلبات الدولة الضرورية . فتقول مصادرنا التأريخية ان الخليفة العباسي كان عاجزاً عن معالجة الوضع الاقتصادي والامني المتردي في بغداد وهي القريبة من مركز حكمه فكيف الحال بالولايات البعيدة وحدود الدولة القصية . ويعود سبب ذلك الى انغماس قادة الجيش الاتراك في امور السياسة ، وتركهم لمهامهم الاساسية وهي ضبط الامن الداخلي وتأمين حدود الدولة العربية من ، غائلة العدوان الخارجي . لقد أدى ذلك التدخل في اضعاف السلطة المركزية ولذلك فأن الباحث التأريخي لايجد صعوبة في نفي حيرته وتساؤلاته عندما يتعرف على حقيقة موقف القواد الاتراك من السلطة المركزية ودورهم في اضعافها . ومايجري في بغداد لهو مثل على السلوك اللامسؤول من قبل القادة العسكريين فتذكر المصادر التأريخية المتوفرة لدينا أن أهل بغداد والجند فيها ثاروا على محمد بن اوس البلخي لأنه جاء الى بغداد من خراسان ومعه سليمان بن عبد الله بن طاهر قائداً على الجيش المرافق لهما وكان من مواليهم وصعاليكهم وكان عطاء هذا الجيش مخصص في ديوان خراسان وليس من بيت مال بغداد لأن اسماء جند خراسان مسجلة في ديوان خراسان. وكان المتبع سابقاً لمثل هذه الحالات ان يدفع للجند القادمين من خراسان من دخل ضياع ورثة القائد طاهر بن الحسين ثم يرسل الى خراسان بتسليم الوارثين الارزاق من بيت المال كبديل له .

وكانت هذه الصيغة هي القاعدة المعمول بها مسبقاً . بيد ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين عامل بغداد قد استحوذ على المال الموجود في خزينة الورثة وترك بغداد لسليمان

بن عبد الله بن طاهر الذي وجد الخزينة فارغة ، فتحرج موقفه في دفع رواتب جند خراسان والصعاليك وكحل مؤقت دفع رواتبهم من رواتب جند بغداد فثاروا هؤلاء الجند بأعتبار ان ماموجود من ارزاق هو من حصتهم ومن حقهم وليس لإجناد الأقاليم الاخرى الحق في مشاركتهم بذلك .

يضاف الى ذلك أن جند خراسان والداخلين معهم من الصعاليك لم يحترموا اهل بغداد ، بل دخلوها كغرباء فلم يحتشموا في تصرفاتهم واظهروا المحارم . عند ذلك اعلنت العامة يساندها جند بغداد الثورة وكسروا السجن واخرجوا مَنْ به وحدث الصدام بين ابن اوس البلخي وأهل بغداد وجرح في الصدام ونهبت داره ولم تهدأ الحال الى ان غادر بغداد مع جنده من الصعاليك حيث ولاه القائد التركي بايكباك طريق خراسان(١٩) . وبهذا الهدوء المؤقت الذي ساد مدينة بغداد ظهر خطر آخر يهدد استقرار وأمن الدولة وهم الخوارج .

ثالثاً : ظهور خطر الخوارج :

ان احد اسباب تداعي أمن الحالة الداخلية للدولة العباسية هو الخطر الخارجي . فقد ظهر في سنة ٢٥٥هـ زعيم للخوارج يدعى مساور بن عبد الحميد الشاري الذي استغل حالة الفوضى التي تمر بها الدولة العباسية وعجزها عن توكيد الأمن الداخلي فبدأ بنشاطاته العسكرية. وكان هدف مساور الخارجي الموصل واعمالها والطريق التجاري الموصل بين الموصل وبغداد . وقد نجح مساور الشاري في الاستيلاء على اعمال الموصل بغياب عين الدولة وخمول عمالها في التصدي له . وقد ذكرت المصادر الرئيسة أن اتباعه قد كثروا وأصبح خطراً يتهدد مصالح الدولة وخاصة بقطع خراجها . وحاولت الدولة التصدي له بجيش من الموصل بقيادة الحسن بن أيوب العدوي حيث اصطدم جيش الدولة بمساور الخارجي في وادي الريات بالقرب من الزاب واندحر فيها جيش الدولة العباسية وتمكن الحسن بن ايوب من الانسحاب الى احد مدن اربل رغم الخسرة الجسيمة التي تكبدها . وقد اكسبت هذه المعركة مساوراً الكثير من الشهرة والاتباع (٢٠). وتورد بعض مصادرنا ان مساور قد بلغ بجرأته الى حد الاقتراب من سامراء عاصمة الدولة حيث انقطع حبل الامن واضطربت امور الرعية وتضررت مصالحها وظهر قطاع الطرق مما دعا الخليفة المهتدي الى ارسال القائدين موسى بن بغا وبلكياك لمحاربته ولكن بدون نتيجة حاسمة (٢١). وبالتأكيد فأن مساور الخارجي كان يعرف حالة الدولة العباسية فقرر مهاجمة الموصل فنزل في ضواحيها بمكان عند الدير الاعلى . ويبدو ان معنويات الناس وامير الموصل كانت

هابطة بحيث لم يخرج احد لملاقاته.واحسن مساور الخارجي بهذا الأنكسار النفسي فتجرأ على امير الموصل وحرق داره بواسطة اتباعه وعندما تأكد لديه انخذال الناس فيها وعجزهم عن الدفاع عنها دخلها واحتلها لإيام عديدة وصلى فيها الجمعة وخطب في الناس ثم تركها متوجهاً الى مدينة الموصل حيث اختارها كمكان لاقامته وداراً لهجرته (٢٢). ومع ذلك فأن مساور الخارجي قد تعرض الى انشقاق احد اتباعه واسمه عبيدة من بني زهير العمروي حول مسألة اجتهادية وهي قبول توبة المخطي فكان من رأي مساور الخارجي قبولها غير ان عبيدة اصر على عدم قبولها ووصل الخلاف الى لغة القوة ، واندحر عبيدة الذي كان على مايبدو في قلة من اتباعه في مكان بنواحي جهينة بالقرب من الموصل في جمادي الاولى سنة ٢٥٥هـ وقتل عبيدة .

بعد هذه المعركة اشتد امر مساور الخارجي وقويت سلطته على اجزاء من العراق ومنع ذهاب الخراج الى خزينة الدولة . وتوجهت جند الدولة لحسم امره ووصلوا الى منطقة السن بقيادة موسى بن بغا وبايكباك ولكنهم لم يلتقوا به وقفلوا راجعين . وبلغ مساور في نشاطاته العسكرية مدينة بلد واعلن الخليفة التعبئة لمواجهة هذا الخطر المستفحل . وكان الخليفة والقادة الاتراك منشغلين بمسألة اختفاء صالح بن وصيف فلم يخرج القادة الاتراك للتصدي لمساور الخارجي مخافة ان يخرج صالح بن وصيف من مكان اختفائه ويأخذهم على حين غرة (٢٣). وبناءً عليه فأن مصلحة الدولة العليا قد ضاعت امام مصالح هؤلاء القادة العسكريين . وظل خطر مساور الشاري مهدداً أمن الدولة العباسية حتى بعد مقتل الخليفة المهتدي . وشاءت الاقدار ان يبرز في عهد المهتدي خطر آخر في جنوب العراق ساهم بشكل فعال في اضعاف بنية الدولة العباسية وهو خطر الزنج .

رابعاً : اولى بوادر ظهور حركة الزنج :

لعبت حركة الزنج دوراً تخريبياً ضد كيان الدولة العباسية فقد استغرقت اربعة عشر عاماً ونيفاً منذ سنة ٢٥٥هـ وحتى ٢٧٠هـ، وكانت سبباً في هدر الكثير من طاقات الدولة المادية والبشرية التي هي احوج ماتكون في توجيهها الى مرافق أخرى . وقد تصدى الى بحث هذه الحركة من اسباب وظروف ونتائج الكثير من الباحثين وظلت الآراء متباينة حولها(٢٤). فكل باحث ينطلق من رأي يؤمن به غير أن الحقائق التاريخية تظل هي النصل في هذه المسألة ويبقى الحكم للتأريخ من خلال ماتوفر لدينا من معلومات . مامن شك ان هذه الحركة قد اشغلت الدولة العباسية وكان خط سيرها الدائم هو النهب والسلب والتدمير الى أن هيأ

للخلافة ابو احمد الموفق الذي استطاع ببراعته العسكرية والسياسية القضاء عليها بجهود كبيرة وتضحيات جسيمة سنة ٢٧٠هـ. لم يكن عصر المهتدي هادئاً بل كان صاخباً بالاحداث وكانت الأخطار محدقة به من كل صوب ، واحد هذه الأخطار حركة الزنج . فقد قام صاحب الزنج بحركته في منطقة البصرة واستطاع ان يستميل الزنج وهم عمال لكسح الارض السنجة في جنوب العراق ووعدهم بالأمتيازات وبتحريرهم من حالة العبودية التي يرزحون في ظلها (٢٥). وكانت الخلافة العباسية منشغلة بمشاكلها الداخلية والتي كان سببها الرئيسي تدخل القادة العسكريين الاتراك في شؤون الخلافة السياسية . ولو تهيأت الظروف المناسبة للخلافة العباسية منذ عهد المهتدي لتمكن من حشد الطاقات اللازمة للقضاء على حركة الزنج في مهدها ، لكنها انتعشت ونمت بسبب انشغال الخليفة بصراعه مع القواد الاتراك الذين لم يكونوا ليهتموا بمصالحهم الذاتية واستمرار امتيازاتهم.

المبحث الخامس : مواجهة المهتدي للقادة العسكريين الأتراك :

اولاً : مداهمة القائد التركي موسى بن بغا للعاصمة سامراء

كان موسى بن بغا مكلفاً بالحفاظ على امن اقليم الري خاصة بعد اضطرابه نظراً لخروج الطالبين فيه على سلطة الدولة العباسية . فيذكر المؤرخون ان مبرر ترك موسى بن بغا لثغر الري والتوجه لسامراء هو مناظرة القائد صالح بن وصيف ومحاسبته على الاموال التي اخذها من الكتاب وام المعتز . والحالة هذه فأن الشخص الوحيد المؤهل للقيام بمثل هذا الاجراء هو الخليفة المهتدي وليس من اختصاص اي شخص آخر. ومهما يكن الامر فأن القائد موسى بن بغا قد توجه بجيشه نحو سامراء رغم الحاح الخليفة المهتدي بالبقاء في اقليم الري والعمل على ضبطه من عبث الثائرين. وقد جرت مراسلات بين المهتدي وهذا القائد التركي الذي لم يقتنع برأي الخليفة العباسي واستمر في مسيره باتجاه العاصمة سامراء (٢٦) .

واوردت مصادرنا التأريخية نص شكوى الخليفة المهتدي من عناد وتمرد القائد موسى ابن بغا وعدم اصغائه لامر المهتدي الذي كان يدعو عليه في مجالسه بقوله : «اللهم اني ابرأ اليك من فعل موسى بن بغا واخلاله بالثغر واباحته للعدو واني قد اعذرت اليه فيما بيني وبينه ...» (٢٧).

هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان صالح بن وصيف كان يخاف وصول موسى بن بغا حتى لايحاسبه على الاموال التي استولى عليها من الكتاب وام المعتز. وكان يحرض الخليفة المهتدي على القائد موسى بن بغا ويعد مسيره، رغم ارادة الخليفة وبدون رضاه، من باب التخلف والتمرد على سلطة الخليفة المهتدي. ومن جهته، فأن القائد موسى بن بغا كان يظن ان الخليفة والقائد صالح بن وصيف متفقان معاً ضده. وبادر الخليفة المهتدي الى ارسال رسولين هاشميين لغرض اقناع موسى بن بغا بضرورة رجوعه الى الري ولكنهما اخفقا في مهمتهما. وترد اشارة في مصادرنا التأريخية تؤكد بأن القائد موسى بن بغا قد نجح في تعبئة جيشه نفسياً في ضرورة المسير الى سامراء واولوية محاسبة صالح بن وصيف الذي اتهمه موسى بن بغا بقتل الخليفة العباسي المعتز. وصور هذا القائد لعسكره ان الرجوع عن هذه المهمة يعد تقصيراً في اهم واجباتهم. وقد ارسل موسى بن بغا خطاباً الى المهتدي يبرر فيه مسيره نحو العاصمة غير ان هذه المبررات لم تكن مقنعة وان رائحة التآمر تفوح من اسطر الخطاب. وقد اظهر الخليفة بانه يود رؤيته وانه لايأمن غدر جيشه اذا مااراد الرجوع ودليله ماشاهده الرسولان الهاشميان اللذان كادا أن يقتلا من قبل الجيش بمجرد طرح فكرة الرجوع الى الري. ودخل موسى بن بغا الى سامراء في محرم سنة ٢٥٥هـ وهو في حالة تعبئة خوفاً من استعدادات القائد صالح بن وصيف. يبقى أن نتساءل لماذا لم يأخذ القائد صالح بن وصيف الحيطة لنفسه امام قدوم خصمه موسى بن بغا خاصة اذا علمنا ان له جنداً وانصاراً بل آثر الاختفاء عن الأنظار مما يدلل على ضعف موقفه وليس لتجنب الفتنة (٢٨) .

ثانياً : إئتمار القادة الأتراك ضد المهتدي :

انه لمن الضروري قوله ان دخول موسى بن بغا بعسكره في العاصمة سامراء وهو في حالة تعبئة يعتبر من باب الاحتلال العسكري لحاضرة الدولة العباسية . وبالفعل فقد بدأ القائد موسى بن بغا يتصرف وكأنه المتنفذ في الأمور وصاحب القرار السياسي في سامراء. لقد اصبح الخليفة المهتدي امام الامر الواقع واصبح لزاماً عليه ان يتصرف بما يحفظ هيبة الخلافة. والملاحظ ان الخليفة لم يكن يمتلك قوة عسكرية تستطيع أن تدافع عن العاصمة وعلى الأقل اشعار القادة الأتراك بقوة مؤسسة الخلافة من الناحية العسكرية. وبهذه هي نقطة الضعف التي استغلها القادة الاتراك. وعلى أية حال، توجه موسى بن بغا الى مجلس الخليفة حيث يجلس الخليفة المهتدي لرد خلافات الناس ورفع الحيف عنهم كما هي عادته

منذ توليته الخلافة. وعلم المهتدي بخبر وصول القائد موسى بن بغا الذي طلب رؤية الخليفة والتباحث معه حول موقف صالح بن وصيف. وتصرف الخليفة بذكاء بأن تجاهل وجود القائد موسى بن بغا ساعة من الزمن واشعره بوجوب احترام الخلافة ثم سمح لموسى بن بغا بالدخول عليه. لقد ارتكب هذا القائد التركي خطأً كبيراً بأيوائه قائداً متمرداً على السلطة العباسية وهو كنجور وقد طالب الخليفة بتسليمه باعتباره خارجاً على الدولة إلا أن موسى بن بغا منحه حمايته وضمه الى جيشه لكي يتقوى به ضد ارادة الخليفة (٢٩). ومن هذا نستنتج مقصد موسى بن بغا وهو أن جيش هذا القائد التركي هو خدمة اعداء الدولة والمصالح الشخصية وليس للدفاع عنها. وزيادة عن ذلك فأن قائداً آخر هو بايكباك قد التحق بجيش موسى بن بغا وبهذا تكونت ضد الخليفة جبهة مناهضة تهدف فرض ارادتها. ونتيجة لما فعله موسى بن بغا فأنه قد منح نفسه صلاحيات ايواء الخارجين على الدولة العباسية وعطل قدرتها في محاسبة المسيئين لها.

ثالثاً : الخليفة المهتدي محل اتهام القادة الأتراك :

ادرك المهتدي ان دخول موسى بن بغا بعسكره الى العاصمة هو من باب فرض الشروط وقد احرج موقف الخليفة اختفاء صالح بن وصيف عن الانظار. لقد اعتقد القادة الاتراك أن الخليفة يعلم بموضع اختفاء صالح بن وصيف وانه لايريد اخبارهم بذلك. واضافة الى ذلك فان القادة الاتراك لم يصدقوا ما كان يظهره الخليفة من نوايا حسنة تجاههم بل انهم على العكس كانوا يظنون به الظنون. وذهب ظنهم الى حد اعتقدوا به ان الخليفة متفق مسبقاً مع صالح بن وصيف قبل دخولهم سامراء لكي يختفي وانه قد خطط معه للتخلص منهم متى ماسنحت الظروف بذلك. وقد سبق لصالح بن وصيف ان اتهم الخليفة بأنه يكاتب موسى بن بغا سراً للقدوم الى سامراء بينما يتظاهر امامه بالتذمر من مسيره نحو سامراء. وهٰذا فأن الخليفة قد وقع في موقف حرج لاشأن له به. لم يتمكن الخليفة المهتدي من اقناع القادة الاتراك ببرائته الامر الذي دفع بالقادة الى ارغامه بترك مجلسه في دار المظالم والذهاب معهم لكي يلبي رغبتهم لحد انه تذمر من تصرفهم الخشن معه بقوله للقائد التركي موسى بن بغا : «ماتريد ويحك! اتق الله وخفه ، فانك تركب امراً عظيماً» (٣٠). فأجابه موسى بن بغا بأنه لايريد به شراً وحلف بتربة المتوكل كتأكيد على كلامه.

وقد ذكر احد المؤرخين تعليقاً طريفاً مؤداه ان موسى بن بغا لو كان صادقاً لحلف بتربة المعتصم او الواثق وليس بتربة المتوكل الذي ذهب ضحية تآمرهم. وقد اساء القادة الاتراك التصرف مع الخليفة المهتدي ونهبوا جوسق الخلافه وما فيه من حاجات الخليفة والدواب المربوطة حوله. وكان الشك قد غلب على نفوس القادة الاتراك من موقف الخليفة الرصين والهادىء فأصروا على تغيير مكان الاجتماع لئلا يداهمهم صالح بن وصيف فذهبوا بالخليفة الى احد بيوت القادة الاتراك لكي يحاوروه بأمر صالح بن وصيف. وبلغت التجاوزات على هيبة الخليفة حد اتهامه صراحة بأنه يخبي صالح بن وصيف وانه يعلم بمكان اختفائه. وعندما رفض الخليفة بشدة اتهامهم طلبوا منه امرين. الاول: ان لايغدر بهم ولا يتآمر عليهم . والثاني : ان لاينحاز الى جانب صالح بن وصيف ضدهم عند ذاك ، اعطاهم العهد والميثاق على أن يفعل ذلك ، فجددوا عندها البيعة له. والجدير بالذكر انهم كانوا يتحدثون بالتركية بينهم مما يدلل على أنهم كانوا يدبرون امراً فيما لو أنهم لم يصلوا الى اتفاق مع الخليفة المهتدي بشأن صالح بن وصيف. وعلى أية حال، فقد اتفق المهتدي مع القادة الاتراك على السعي لإخراج صالح بن وصيف من مكان اختفائه بغرض محاورته حول مصير الأموال المأخوذة من الكتاب وام المعتز، وقد وعد الخليفة القواد الاتراك بالعمل على تحقيق ذلك الهدف (٣١). ولعل المرء يشم من خلال هذه المحاورة بين الخليفة والقادة الاتراك ان المهتدي كان يعرف بمكان اختباء صالح إبن وصيف. وثمة امر آخر هو أن الخليفة قد ساير القادة الاتراك بهدف اتقاء شرهم وابعاد شكوكهم عنه فيما لو اصر على عناده .

رابعاً : تصدي الخليفة المهتدي لقرار الخلع :

لقد ظن القادة الاتراك بأن الخليفة المهتدي يتآمر ضدهم وينحاز الى القائد المستتر صالح إبن وصيف قبل عملية العثور عليه. فاجتمعوا بدار موسى بن بغا وقرروا بعد مداولات كثيرة ان يخلعوا بالقوة الخليفة المهتدي من منصب الخلافة. وتؤكد المصادر التأريخية المتوفرة لدينا ان المجتمعين لم يكونوا جميعهم على رأي واحد، فقد ظهر خلاف واضح حول قرار الخلع. وكان على رأس المعترضين احد القادة الاتراك المشهورين وقد حذرهم من الاستخفاف بالخليفة بقوله: «انكم قتلتم ابن المتوكل وهو حسن الوجه، سخي الكف، فاضل النفس وتريدون قتل هذا، وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ من غير ذنب والله لئن قتلتم هذا لالحقن بخراسان ولاشيعن امركم هناك » (٣٢) ووصل خبر اجتماعهم

وقرارهم بالخلع الى مسامع المهتدي فلم يرضخ لواقع الأمر بل غضب على تجاوزات القادة الاتراك وتوجه الى دار الخلافة وهو متقلد سيفه ودخل عليه القادة الاتراك وصارحهم بالحقيقة المرة . لقد اورد مؤرخونا تفاصيل موقف الخليفة الجريء الذي اذهل القادة الاتراك وقد نجح المهتدي بتصرفه الشجاع الذي افشل مخطط القواد الاتراك حيث ظهر المهتدي لهم بأنه رجل صلب لايلين عوده. وقد حذر المهتدي القادة الاتراك : بقوله : «انه قد بلغني ماانتم عليه من امري ، ولست كمن تقدمني مثل احمد بن محمد المستعين ولا مثل ابن قبيحة ، والله ماخرجت اليكم إلا وانا متحنط وقد اوصيت الى اخوتي بولدي وهذا سيفي والله لاضربن به مااستمسك قائمة بيدي ، والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن او ليذهبوا بها اكثركم ،اما دين! اما حياء! اما دعه! كم يكون الاجتراء على الخلفاء والاقدام والجرأة على الله!» (٣٣) .

كان الخليفة صادق اللهجة ، حاد النبرة ولم يكن خائفاً من اجتماع القادة الاتراك ضده فقد كان الخليفة جاد في مواجهة القادة الاتراك مهما كلفته من نتائج فلما تحقق القادة الاتراك من قوة موقف المهتدي طلبوا ضمانات على حسن نيته تجاههم اذ انهم كانوا يخافونه على أنفسهم وطلبوا منه ان يحلف لهم فقبل منهم ذلك شريطة ان يحضر الهاشميون والقضاة والوزراء . واجتمعوا في اليوم التالي وكان الجمعة فصلى بهم الخليفة واستقرت الناس وهدأت وأفترقوا متهادنين وكان ذلك في المحرم من سنة ٢٥٦ هـ (٣٤) .

ولابد من ذكر نقطة مهمة هي ان نفوراً قد وقع بين الخليفة المهتدي والقائد التركي بايكباك لأن الخليفة اعلن صراحة عن اشتراك بايكباك مع صالح بن وصيف في اخذ الاموال من الكتاب و ام المعتز .

لقد خشي القادة الاتراك هياج العامة عليهم وكانت الاموال تنقصهم لتسكين ثائرة العامة وقد تبدل الحال فعلاً بوصول الاموال من فارس والاهواز مما دعم ذلك من موقفهم امام الخليفة وكان ذلك في نهاية شهر محرم ٢٥٦هـ (٣١) .

المبحث السادس : الخليفة المهتدي ومحاولات الاصلاح

اولاً : هياج العامة ضد القادة الاتراك :

ان وطأة سيطرة الاتراك على مقاليد الامور السياسية والاقتصادية كانت شديدة على العامة الذين كانوا يتحينون الفرص للثورة عليهم . ولما انتشر خبر خلع القواد الاتراك للمهتدي عن منصب الخلافة هاجت العامة واعتبرت قرار الخلع مساسا في مصالحها . فقد

انتشرت في الجوامع والطرقات في سامراء كتابات تحث الناس الى نصرة الخليفة العباسي ضد تهديد الاتراك للخليفة المهتدي .وقارنت العامة بين سيرة الخليفة العباسي المهتدي وسيرة الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) . وكان تحرك الناس في سامراء والدور في شهر صفر عـــام ٢٥٦ هـ . وقد ارسلوا الى المهتدي بـأنهم يريدون ان يتفاهمون معه ويطلعوه عن مواقفهم فأرسل اخاه عبد الله أبا القاسم ، واجتمعت العامة بأخي الخليفة حيث اخبروه بطاعتهم للمهتدي وانهم على استعداد للدفاع عن حق الخليفة في البقاء في الحكم. وعرضوا لأخي الخليفة سوء حالتهم المعيشية وتأخر ارزاقهم عن موعد وصولها ثم تطرقوا الى موضوع امتيازات الاتراك من ضياع وايرادات مع امتيازات مواليهم ونسائهم. مضافاً الى ذلك ان الخراج اصبح من حصة القادة الاتراك (٣٦) . وكتبوا بذلك الى الخليفة المهتدي فرد عليهم بخطاب بخط يده وتوقيعه وسلّم الرد الى اخيه عبد الله . وقرأ رسول الخليفة رد المهتدي الى العامة والذي يتضمن شكر الخليفـة لموقف العامة المساند له في محنته مع القادة الاتراك . وأكد لهم بأنه سوف يسعى بكل جهده لتحسين حالتهم المعيشية وان اضطره ذلك الى اخذ لقمة اولاده ودفعها لهم . وتناول الخليفة المهتدي مسألة امتيازات الاتراك ومواليهم ونسائهم بالنظر فيها وسوف يتخذ الاجراء المناسب حولها .ومما تجدر اليه الاشارة ان ماطالبه من العامة بشأن الاصلاح السياسي والاقتصادي هو البداية الصحيحة الأولى التي استجاب اليها المهتدي وسعى من اجل تحقيقها. وقد ذكر المؤرخون الاوائل أن القادة الاتراك قد رضخوا لمطاليب العامة مرغمين على الرغم مما يشكله ذلك من تهديد لمصالحهم وامتيازاتهم . وقد توصل الخليفة المهتدي والعامة عبر مراسلاته معهم الى اتفاق أن يكون الخليفة المتصرف بالشؤون العامة والخاصة وان لايتدخل احد في اختصاصاته . وبلاشك فأن العامة تقصد بذلك القادة الاتراك ومواليهم . وبذلك اتفقوا على اعادة رسوم العامة التي كانت جارية في عهد المستعين .

واتفقوا كذلك على تعيين قائد على مجموعات منهم وعلى جراية الارزاق في مواعيدها كل شهرين واوعد الخليفة بالغاء امتيازات القادة الاتراك التي تضر بالصالح العام (٣٧) . واقرّ القادة الاتراك على مضض منهم هذه الاجراءات واعتذروا خطياً عن التجاوزات والاساءات التي لحقت بالعامة من قبلهم ومن قبل مواليهم . وطـالبت العامة تعيين احد اخوة الخليفة كقائد للجيش ويعني هذا المطلب ابعاد العناصر التركية من مراكز الجيش الاعتيادية . واخيراً [illegible]

ولم تستمر الامور بشكلها الطبيعي فسرعان ماتبدلت مواقف العامة ومطاليبها وهو امر يدعو الى الاستغراب . فتمدنا مصادرنا الرئيسية بمعلومات تدعونا الى التأمل حول المستفيد من المطالب الجديدة التي هي متناقضة عن سابقتها . يضاف الى ذلك ان الخلاف قد دب بين العامة ففريق يطالب باجراء معين وفريق ثان يطالب بمطلب آخر .والمدهش حقاً أن المطالب الجديدة تصب في مصلحة القادة الاتراك . وهذا يدعونا الى الاعتقاد أن القادة الاتراك قد اشتروا بالمال بعض الفرقاء من العامة ودسوا من مواليهم بين العامة لكي يطالبوا بالمطاليب الجديدة . وعلى أية حال فان الهرج قد ساد سامراء وكان ذلك في صالح القادة الاتراك . (٢٨) وقد خدمت الاتراك حادثة العثور على صالح بن وصيف الذي حوّل انتباه العامة الى امر جديد .

ثانياً : ظروف مقتل صالح بن وصيف ونتائجه

ظل صالح بن وصيف مستخفياً عن الانظار طيلة شهر دون ان يفلح القادة الاتراك في العثور عليه (٣٩). ولعله من المنطقي ان نتساءل هل أن محاسبة صالح بن وصيف عن الاموال التي استولى عليها من صلاحيات القادة الاتراك ام من اختصاص الخليفة العباسي الذي يعتبر المسؤول الأول في الدولة العباسية . ان مايهم القادة الاتراك هي تلك الاموال التي ظلت بحوزة صالح بن وصيف وليس إحقاق حق يرونه قد هضم . فهؤلاء القادة يرون في هذه الاموال مصدر قوة لصالح بن وصيف يستطيع بواسطتها ان يكسب الاعوان والانصار ويصبح مركزه قوياً عند الخليفة . وبالتالي فان صالح بن وصيف سينافس مركز القادة الاتراك الآخرين وقد يتغلب عليهم وهذا مايخشونه بالدرجة الاساس . لقد كان اول دافع لقدوم موسى بن بغا ومن معه من القواد الاتراك هو المال الذي اصبح تحت تصرف صالح بن وصيف . ومهما يكن من امر ، فقد استمر البحث دون ان يصلوا الى نتيجة مرضية الى ان جاءت رسالة عن طريق امرأة . ويبدو انها كانت واسطة لإيصال الرسالة والدليل على ذلك انها اعطت معلومات كاذبة عن محل اقامتها وبعد التحري لم يجدوا لها اثراً . واطلع الخليفة المهتدي على الرسالة بحضور القادة الاتراك وتبينوا ان كاتب الرسالة هو صالح بن وصيف . وقد أخبرهم بأن سبب اختفائه هو اجتناب الفتنة وانه يخاف على حياته من الغدر وان الاموال لازالت بحوزته وانه ليس بالضعيف كما يتوهمون .

ويُفهم من الرسالة ان صالح بن وصيف كان متأكداً من غدر القادة الاتراك وان غرضه من ارسال الرسالة هو فتح باب التفاوض والتفاهم . وقد فهم الخليفة العباسي المهتدي

مقصده فحث القادة الاتراك باللجوء الى الروية واجتناب اراقة الدماء مما دفع القادة الاتراك الى اتهامه علانية بأنه متواطيء مع صالح بن وصيف ولايريد ان يدلهم على موضعه . وهو تفسير قد يبدو موضوعياً امام ماجاء في الرسالة ومع منطق الخليفة الداعي الى السكينة (٤٠). بيد ان الأقدار قد شاءت لكي تحول هذا الصراع نحو النهاية المحزنة . فقد تم العثور على صالح بن وصيف وتم قتله . ومصادرنا تذكر ان العثور عليه تم من باب الصدفة وانه اقتيد الى القادة الاتراك ولم يقف معه أحد ولم يظهر له مدافع وتم تعذيبه وقتله . ومصدر من مصادرنا التأريخية يورد انه دافع عن نفسه في محل اختفائه بعد انكشافه وتم القضاء عليه. تبقى مسألة نود ذكرها ان المؤرخين لم يذكروا شيئاً حول استجواب القادة الاتراك لصالح إبن وصيف عن مصير الاموال التي استولى عليها ، ولعلهم قد حصلوا عليها وتجاهلت مصادرنا ذكرها . ومهما يكن الامر فأن مسألة العثور عليه يكتنفها الغموض وهي بحاجة الى توضيح . فتذكر المصادر التاريخية ان موضعه اكتشف عن طريق الصدفة لعل اكتشافه تم عن طريق وشاية احد مواليه وانصاره . أوان البحث والتفتيش قد اديا الى معرفة مكان اختفائه . وقد عمد القادة الاتراك الى اسقاط اسم اتباع وموالي صالح بن وصيف من سجل العطاء في عدم تعاونهم او اعطاء معلومات عن مكان صالح بن وصيف(٤١). وهذا اسلوب اقتصادي يستهدف الضغط على اتباع صالح بن وصيف وغرضه ان يتخلوا عنه وان لايساندوه في محنته (٤٢) . وامام تضارب الاخبار التأريخية وعدم ثبوتيتها يلجأ الباحث التأريخي الى التكهن والافتراض من اجل الوصول الى قناعة معينة يجدها مقبولة في نفسه . وبعد مقتل صالح بن وصيف استقرت النفوس وانصرفت الخلافة الى مواجهة الخطر المتمثل بمساور الخارجي الذي سيطر على مناطق الدولة العباسية ابتداءً من سنجار وحتى بلد. فخرج القادة الاتراك موسى بن بغا وبايكباك ومفلح للتصدي له غير ان النوايا كانت غير صالحة خاصة وان المهتدي رأى في وجودهم خطراً يهدد شرعية الخلافة العباسية .

ثالثاً : تدمير الخليفة المهتدي ومقتله :

رأى الخليفة العباسي المهتدي ان لاراحة للخلافة العباسية بوجود القادة الاتراك ، ذلك الوجود الذي يمثل خطراً داهماً للخلافة ، فلابد والحال هذا أن يعمل المهتدي ، بازاحتهم عن طريقه والقضاء على وجودهم مـــــن مسرح السياسة العباسية . وقد اعمل الخليفة المهتدي التدبير والتخطيط بأن يبعد هؤلاء القادة عن عاصمة الخلافة لكي يتاح له الوقت في تطبيق خطته ، وقد خطط المهتدي ان يجعل القادة الاتراك يضرب بعضهم البعض . وواتته الفرصة بخروج بايكباك وموسى بن بغا ومفلح لقتال مساور بن عبد الحميد الشاري الذي هدد بنشاطاته العسكرية أمن الدولة العباسية . ويبدو أن المهتدي كان

متسرعاً بارسال رسالة الى القائد التركي بايكباك يعينه بها اميراً على جيشه وجيش موسى إبن بغا ، والهدف من هذا الاجراء هو اضعاف مركز موسى بن بغا وابعاده عن مركز القيادة العسكرية . ويدلل هذا التعيين كذلك خلق حساسية بين القائدين التركيين وان المستفيد الوحيد هو الخليفة المهتدي لأنه يريد ان يجرد موسى بن بغا من عناصر قوته ووجوده . وهذا القرار له ما يفسره وهو عدم خلوص نية الخليفة تجاه موسى بن بغا والخطوة الاخرى التي لم يدرسها الخليفة المهتدي بشكل عميق تكمن في طلبه من القائد بايكباك ان يتخلص من موسى بن بغا ومفلح (٤٣) . أنه لمن المدهش حقاً ان يقوم الخليفة المهتدي بمثل هذه الخطوة الساذجة التي لايحتاج المرء الى كثير عناء لمعرفة دوافعها واسبابها ، لقد كانت علاقة المهتدي بالقادة الاتراك يسودها التوتر ويغلب عليها الشك والحذر لذا فإن أي تصرف غير مدروس من قبل المهتدي سوف يزيد من شكوكهم ويجعلهم يتربصون به الدوائر . ان وصول كتاب الخليفة الى القائد التركي بايكباك يعني ان جسور الثقة والاطمئنان قد انقطعت بينهم وبين القائم بألامر وهو المهتدي ، وبناءً على ذلك فأن الامر قد وصل الى نقطة الحسم فاما أن يتخلص منهم ، المهتدي واحداً بعد الاخر وإما أن يبادروا فيقضوا عليه . ولكن طرف تدبيره وامكاناته وصل كتاب المهتدي لبايكباك فعرضه على موسى بن بغا واتفقوا على ان يذهب بايكباك الى سامراء باعتبار ان الخليفة يفضله اكثر من موسى بن بغا ، ويضاف الى أن الخليفة قد كاتبه وجعل الخيار بيده واذا مادخل سامراء فان الخليفة قد لايتشكك بنواياه ، ومن جهة موسى بن بغا قرر أن يتجه نحو خراسان حتى يبعد الشك عن نفس المهتدي ، وتقول ، أنه كان يتحرج من قتال المهتدي . وجعلوا أمر التخلص من المهتدي للظروف المناسبة (٤٤). ويبدو ان المهتدي لم يكن غافلا عن تحركاتهم . فهو لم ينخدع بمعاذير بايكباك عندما واجهه الخليفة عن سبب مجيئه وعن دافع تركه قتال مساور الشاري . لقد اتهم المهتدي بايكباك بأنه متواطئ مع موسى بن بغا لأن الضرورة تقتضي أن يكونوا منصرفين لحرب الخوارج . عند ذلك لم يقتنع المهتدي بكلام بايكباك بأن وجوده هو تعزيز للخليفة وقرر التخلص من هذا القائد التركي فجرده من سلاحه وجيشه ينتظره في خارج دار الخلافة وتلك خطوة جريئة اراد بها المهتدي أن يعيد مافعله المنصور بأبي مسلم الخراساني خاصة وقد نصحه احد اقربائه وهو صالح بن علي بن يعقوب بن ابي جعفر المنصور بقتل بايكباك ورمي رأسه الى جيشه الموجود أمام الجوسق فتهدأ عند ذلك ثائراتهم عندما يرون رأس قائدهم ويرضخون امام الامر الواقع (٤٥) . غير ان الامور لم تجري كما كانوا يشتهون لأن الظروف التأريخية كانت مختلفة زماناً ومكاناً وان الرجال ليسوا كرجال العصر العباسي الاول .

فزمان المنصور ليس بزمان المهتدي ورجال الأول واخلاصهم ليسوا كرجال المهتدي فبدلاً من أن يستسلم جيش بايكباك لمقتل قائده ، ثارت ثأرتهم واشتبكوا مع جيش الخليفة المكون من اخلاطٍ من الناس من الاتراك والفراعنة والمغاربة والاشروسنية الذين بايعوا الخليفة على القتال والطاعة (٤٦). ان هذا الخليط الغير متجانس قد خلق معادلة غير متوازنة في جيش الخليفة اذ سرعان ماسوف ينسحب الاتراك المتواجدين في جيش الخليفة وينضموا الى صفوف القادة الاتراك . وانه لمن الضروري القول هنا أن بعض مصادرنا التاريخية تؤكد أن مقتل بايكباك قد وقع في المصادمات عند جسر سامراء بين عسكر الخليفة وعسكر بايكباك (٤٧) . لقد اتحدت جميع جيوش الاتراك وقادتهم ضد المهتدي الذي كان يمتلك جيشاً هابط العزائم ، هش التكوين وعلى الرغم من مناشدة الخليفة جيشه في الثبات وسيفه بيده إلا أن الهزيمة قد حاقت بجيشه فأنسحب الى دار صاحب الشرطة احمد بن جميل والتجأ اليها فلحق به القادة الاتراك ومواليهم واخرجوه واساءوا اليه وعذبوه وقتلوه . والروايات التاريخية تختلف حول كيفية مقتله إلا ان السياق العام يؤدي الى نتيجة واحدة هي انقلاب القادة الاتراك ضد الخليفة وتصديه لهم وهزيمته ومقتله في رجب عام ٢٥٦هـ (٤٨) .

الخاتمة

تجمع كافة مصادرنا التأريخية على أن مدة حكم المهتدي هي أحد عشر شهراً (٤٩). قضاها باحقاق العدل وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز (٥٠). وكان يعيش عيشة الزهاد ويلبس الخشن من الثياب ولايعرف الملاهي ولايشرب الخمر وكان متعبداً صواماً . وحرّم على نفسه مباهج الحياة وانشأ دار المظالم كان يجلس بنفسه لرفع الظلم عن الناس . وكان يراقب عماله ويحاسبهم في امور الرعية . ولم يكن مهملاً الادارة فكـــــان يراقـــب الكتاب والوزراء وكان يجلسهم بين يديه ويراجع حساباتهم (٥١). وحاول جهده اصلاح الفساد الذي دب في الادارة العباسية وان يضع حداً للامتيازات التي كان يتمتع بها القادة الاتراك ومواليهم ونسائهم بيد ان هؤلاء القادة احسوا بخطر اصلاحاته فوقفوا بوجهه وقضوا عليه . ومهما يكن من أمر فأن المهتدي قد أشر بوقفته الجريئة العلة التي اصابت جسم الخلافة العباسية وانه قد ضحى بنفسه من اجل انقاذ مؤسسة الخلافة .

لقد اضاء المهتدي الدرب لمن جاء من بعده من خلفاء بني العباس في وقت كانت المخاطر تحيق فيه بالدولة العباسية والنزعات الاستقلالية والانفصالية على اشدها ، والواقع أن المهتدي قد حكم في فترة عصيبة من تاريخ الخلافة العباسية وحاول أن يعيد للخلافة هيبتها ولكنه حصد ماانخطأ الخلفاء من قبله في زرعه .

الهوامش

(١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ت د . علي حبيبة ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، حيث يذكر الأزدي ان الاختيار كان سنة ٢١٩هـ وابتداء تشيدها كان في سنة ٢٢١ ينظر ص ٤٢٢ .

(٢) ويورد الأزدي كذلك ان المعتصم قد ولى اشناس القائد التركي على مصر والياً ، الأزدي نفس المصدر السابق ، ص٤١٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١١ ، ت : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص١٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٧ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص٣٣ .

(٤) يقول الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، في صفحة ٢١٠ أن المتوكل لم يمكث اكثر من شهرين وان محاولته قد باءت بالفشل امام دسائس القادة الترك .

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص١٦٨ وما بعد .

(٦) نفسه ، ص

(٧) يذكر الطبري ، ج٩ ، ص ، ان ابا احمد بن المتوكل تم ابعاده الى البصرة ثم ارجع الى بغداد وكذلك تم نفي علي بن المعتصم الى واسط . ينظر كذلك ابن الاثير ، نفس المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٨٣ .

(٨) د . فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية خلال عصر الفوضى العسكرية ، بيروت ، ١٩٧٧ ص

(٩) اليعقوبي ، كتاب التاريخ . م٢ ، دار صادر ، بيروت ، ص٥٠٥

(١٠) الطبري ، نفس المصدر السابق ، ج٩ ، ص٢٥٢-٢٥٣ .

(١١) خلع المعتز اخاه المستعين من ولاية العهد في سامراء سنة ٢٥٢هـ واجبر على الاقرار بالخلع بخط يده ثم تلت خطوة الخلع التصفية الجسدية حتى لايكون منافسا المعتز فتم قتله . الطبري ، نفس المصدر ، ج٦ ، ص٣٦٢ - ٣٦٤ .

(١٢) يورد الطبري وابن الاثير ما حصل في الأقاليم من اعمال شغب ، ففي اعمال الموصل حدثت الفتنة سنة ٢٥٢هـ تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٣٨٢ ، ابن الاثير ، نفس المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٨٢ ويذكر الطبري ضعف الخليفة المعتز امام سطوة القادة الترك صالح بن وصيف باخلاء سبيل الكاتب احمد بن اسرائيل لأنه قد رباه وهو صغير ورفض ذلك الالتماس من قبل صالح بن وصيف وكيفية القاء القبض عليه مع احمد بن اسرائيل والحسن بن مخلد وابا نوح عيسى بن ابراهيم واتهامهم بالسرقة والخيانة وتعذيبهم والتشهير بهم واخذ اموالهم . تاريخ الرسل ، ج٩ ، ص٣٨٧ .

(١٣) يقع المؤرخون الأوائل في تناقض ظاهر حول تاريخ مقتل المعتز فمنهم من يقول بأنه قد قتل قبل خلافة المهتدي ومنهم من يؤكد مقتله بعد مجيء المهتدي للخلافة ، غير ان المسعودي واليعقوبي والطبري يؤكدون انه قد مات بعد تسنم المهتدي لدست الحكم . ولتفاصيل البيعة كذلك ينظر : الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص٣٩١ . اليعقوبي ، كتاب التاريخ ، م٢ ، ص٥٠٥ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ت . محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص١٨٣ كذلك ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٩٨ . ويورد الطبري نص الكتاب الذي شهد به المعتز على نفسه بالعجز وبخلع نفسه . نفس المصدر السابق ج٩ ، ص٣٩١ وما بعد .

(١٤) يتحدث ابن الأثير بتفاصيل مفيدة عن ثورة أهل بغداد . ينظر الكامل في التاريخ ، ج٧ ص١٩٨–١٩٩

(١٥) يذكر الطبري وابن الأثير ان المتوكل هو الذي اطلق عليها هذا اللقب لحسنها وجمالها وذلك من باب التضاد .

(١٦) الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص٣٩٤ وما بعد . ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج٩ ص١٩٩ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١ ، ص٢٥٠ .

(١٧) ينفرد ابن كثير بخبر مفاده ان ام المعتز كانت مختبئة عند القائد صالح بن وصيف عدو ابنها ثم انها تزوجته وتمكن بذلك من اخذ مالها وهذا هو سبب دعوتها عليه بتلك الألفاظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، مكتبة المعارف بيروت ، ١٩٧٧ ، ص١٧–١٨.

(١٨) الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص٣٩٦ . ابن الأثير ، نفس المصدر السابق ، ج٧ ص٢٠١ .

ويذكر المسعودي في المروج ج٤ . ص١٨٧ ان احمد ابن اسرائيل وابا نوح قد ضربا بامر المهتدي في باب العامة بسامراء كعقاب لتجاوزاتهما وقد ماتا نتيجة الضرب .

(١٩) الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص٣٩٩ وما بعد .

(٢٠) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٨٨ .

(٢١) المسعودي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨٥ .

(٢٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢٠٥ .

(٢٣) نفسه ، ص٢٢٦–٢٢٧ . كذلك الطبري ، نفس المصدر السابق ، ج٩ ، ص٤٥٢ والمفيد قوله أن رغم اصرار الخليفة بضرورة التصدي لمساور الشاري فأن القادة الاتراك لم ينفذوا اوامره .

(٢٤) ينظر : د . فيصل السامر : ثورة الزنج .
د . فاروق عمر فوزي ، المرجع السابق ، الفصل الخامس بالحركات والانتفاضات
احمد علي : ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد
د . عبد العزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة .

(٢٥) حول تفاصيل هذه الحركة ينظر : المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٦ ، باريس ، ١٩١٦ ، ص١٢٤
كذلك ينظر ابو الفداء ، المختصر ، ج١ ، المطبعة الحسنية ، مصر بلا تاريخ ، ص٤٦
المسعودي ، المصدر السابق ج٤ ، ص١٩٤–١٩٥ وخير مصدر تاريخي هو الطبري ، راجع تاريخ الرسل والملوك ، ج١ ، ص

(٢٦) المسعودي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨٥ ، كذلك السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ت محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٢ ، ص٣٦٢

(٢٧) الطبري : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٤٠٨

(٢٨) نفسه ، ص٤٠٩

(٢٩) نفسه

(٣٠) نفسه ، ص٤٣٩ . ابن اثير ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٢١٨ وما بعد .

(٣١) الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص٤٣٩ . ابن الأثير ، المصدر السابق ج ٧ ص٢١٩ .

(٣٢) الطبري ، نفسه ، ص٤٤٢ . ابن الاثير ، نفسه ، ص٢٢٠

(٣٣) الطبري ، نفسه ، ص٤٤٢–٤٤٣ . ابن الاثير ، نفسه ، ص٢٢٠ .

(٣٤) الطبري ، ايضاً ، ص٤٤٣

(٣٥) الطبري ، نفسه ، ص٤٤٣ . ابن الاثير ، نفسه ، ص٢٢١ .

(٣٦) الطبري ، ايضاً ، ص٤٤٤–٤٤٥ . ابن الاثير ، نفسه ، ص٢٢١ .

(٣٧) الطبري ، نفسه ، ص٤٤٦ . ابن الاثير ، نفسه ، ص٢٢٢ .

(٣٨) الطبري ، نفسه ، ص٤٥٠–٤٥١

(٣٩) ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج١ ، بيروت ، ص١٣٢ .

(٤٠) يذكر المسعودي في مروج الذهب ج٤ ، ص١٨٤ ان صالح بن وصيف قد سبق ان اتهم الخليفة المهتدي بانه يتظاهر بخلاف مايبطن من موقف تجاهه . وان المهتدي قد كاتب سراً موسى بن بغا للقدوم الى سامراء . من هذا يتضح لنا موقف الخليفة المتحرج امام مصالح هؤلاء القادة العسكريين .

(٤١) الطبري ، نفس المصدر السابق ، ج٩ ، ص٤٤٠ وكذلك ص٤٥٢ .

(٤١) الطبري ، نفس المصدر السابق ، ج٩ ، ص٤٤٠ ، وكذلك ص٤٥٢ .

(٤٢) يذكر المسعودي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨٥ ان صالح بن وصيف قد دافع عن نفسه الى أن قتل ولم يستسلم كما جاء في رواية الطبري ، ص٤٥٢ .

(٤٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٥٨

(٤٤) نفسه ، ص٢٥٨

(٤٥) نفسه

(٤٦) نفسه ، المسعودي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨٧ .

(٤٧) المسعودي ، نفسه ، ص١٨٧

(٤٨) الطبري ، المصدر السابق ، ص٤٥٨

(٤٩) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٦ ، ص١٢٤ المسعودي ، المصدر السابق ، ج٤ ص١٨٢

(٥٠) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص١٢٤ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٣٦٢

(٥١) المسعودي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٩٠ . اليعقوبي ، كتاب التاريخ ، م٢ ص٥٠٥



اللجوء الاقليمي
دراسه في ضوء الواقع والقواعد الدولية

سعود محمد حبيب

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

ضاري رشيد الياسين

معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية

تقديم : —

تأتي مشكلة اللجوء الاقليمي في مقدمة المشاكل الدولية التي تواجه المجتمع الدولي ونظراً لتأزم هذه المشكلة وتعقدها ، نتيجة تعدد الاسباب التي تؤدي اليها وتفاقم تلك الأسباب، دفعت المجتمع الدولي للعمل على ايجاد حل لهذه الظاهرة الدولية .

وبالرغم من خطورة هذه المشكلة . فأن الجهود الدولية ، التي بذلت من أجل ايجاد حلول لها ، أوعلى الأقل التقليل من المحن التي يواجهها اللاجئون في بقاع العالم المختلفة ، لم تكن تنسجم مع حجم وخطورة هذه الظاهرة ، كما انها لم تتسم بالشمولية ، خصوصاً في بدء الاهتمام الدولي بمشاكل اللاجئين ، وهذا ناجم عن أن القارة الاوربية كانت محط اهتمام الجهود الدولية ابتدء في وقت كانت معظم الدول خارج تلك القارة : [illegible]

[illegible]

وعندما كادت أن تحل مشكلة اللجوء الاقليمي داخل اوربا اعقاب الحرب العالمية الثانية ، تضاءلت تلك الجهود ، لابل حتى أن التنظيم الدولي تغير من حيث الأهمية الغيت المنظمة الدولية للاجئين وحلت محلها مفوضية لشؤون اللاجئين في وقت كانت ظاهرة اللجوء الاقليمي تتسع وتزداد حجماً في بلدان العالم الثالث . وترمي بثقلها السياسي والاقتصادي والاجتماعي على العديد من تلك الدول .

ان هذا البحث يهدف بالدرجة الأساس الى الكشف عن أهمية وخطورة ظاهرة اللجوء الأقليمي بأعتبارها مشكلة دولية ، وحجمها والأسباب التي أدت الى ظهورها ثم مدى كفاية الضمانات الدولية للاجئين واخيراً ماهي السبل التي من شأنها التخفيف من حدة هذه المشكلة أوفي الأقل التخفيف من الآثار الخطيرة المترتبة عليها ، سواء بالنسبة للاجئين أوالدول التي يلجأون اليها .



الفصل الأول

تطور الحماية الدولية للاجئين

مشكلة اللجوء الاقليمي ، ليست مشكلة طارئة ، رافقت تطور الاحداث الدولية خلال هذا القرن وتفاقمت نتيجة لها ، انما تعود في جذورها الى فترات تأريخية بعيدة وغالباً ماكانت الحروب والصراعات الكبرى المدمرة عبر التأريخ البشري القديم والمعاصر ينجم عنها ظهور جماعات كبيرة من اللاجئين الذين تضطرهم تلك الظروف الى ترك بلدانهم واللجوء الى أوطان أخرى ، تحت وطأة البطش أو الظلم والأضطهاد ، سواء كان ذلك ناجم عن اسباب عرقية أودينية أوسياسية (١) .

ونظرة سريعة الى الوراء يمكننا أن نجد الكثير من الجماعات البشرية التي فرض عليها الاضطهاد الفرار بشكل اعداد كبيرة الى دول أخرى وبالأخص خلال فترة الحروب الدينية في أوربا — كما ان العامل العرفي والقومي كان سبباً واضحاً لبروز هذه الظاهرة (مثل جماعات الأرض في مطلع هذا القرن) وكذلك فان ظهور النظريات العرفية وسيادتها (٢) في بعض دول أوربا في النصف الأول من هذا القرن وفي بقاع أخرى من أسيا وأفريقيا الى ظهور أعداد كبيرة من اللاجئين أضافة الى الاسباب التي ذكرناها في البحث

لقد تفاقمت حدة مشكلة اللجوء الاقليمي منذ مطلع القرن العشرين حتى بلغت أوجهها في السنوات الاخيرة (٣) .

وازاء أزدياد حدة هذه المشكلة وخصوصاً بعد الحرب العالمية الاولى ظهرت جهود دولية، حاولت معالجة اللاجئين ، وذلك باضفاء الطابع الدولي عليها من خلال معالجتها على نطاق دولي ومحاولة ايجاد قواعد قانونية دولية مقبولة ، تحدد من هم الاشخاص الذين يتصفون بهذه الصفة لأجل وضع بعض الحقوق والضمانات الدولية لامثال هؤلاء ، الا ان تلك الجهود لم تسفر عن تعاون دولي في هذا الشأن ، نظراً لحساسية الموضوع ، تعلقه بسيادة كل دولة من الدول سيما وأن مفهوم السيادة ، المطلقة للدولة التي تتمسك به كافة الدول (٤) كانت ترى في اعطاء جماعات اللاجئين الذين يتواجدون فوق أقليمها مسألة داخلية تعود للسلطات المطلق لها ، لانها مسألة تتعلق بسيادة الدولة على كل مايوجد فوق أقليمها . أضافة الى ماتقدم أن ممارسة حق

اللجوء وقبول وان كان قضية ذات طابع أنساني فأنه غالباً مايخضع لاعتبارات شكلية مما يعقد مشكلة اللاجئين .

أن أول أهتمام دولي حقيقي بمشكلة اللاجئين ، يمكن أرجاعه الى الفترة التي تلت عام ١٩٢١ (٥) . عندما أنشأت عصبة الأمم مفوضية عليا للاجئين واعتبرت من ضمن مؤسسات العصبة ،وقد بذلت المفوضية تلك جهود كبيرة إذ تمكنت من أن تستحدث وثيقة سفر دولية يمكن لكل لاجيء الحصول عليها حضيت بموافقة معظم دول العالم وقتذاك (٤٣ دولة) وقد استفاد منها بشكل خاص الروس والأرمن وغيرهم (٦) .

وبالرغم من الأهتمام الدولي الملحوظ لمشكلة اللاجئين ، الأان أية قواعد دولية أتفاقية لم تظهر لمعالجة أوضاع اللاجئين وتوفير الحماية الدولية لهم حتى عام ١٩٣٣ ففي تلك السنة أو بالتحديد في ٢٨ تشرين الثاني منه تمكنت الدول المنتمية للعصبة من التوصل الى اتفاقية خاصة باللاجئين ، هي اتفاقية جنيف للجوء الاقليمي لعام ١٩٣٣ وتعد هذه الاتفاقية نقطة تحول بارزة في تحقيق الحماية الدولية أو ايجاد الضمانات الدولية لهم ولتعالج عن طريق قواعد دولية اتفاقية محددة وبصورة دقيقة تلك الظاهرة الدولية المستمرة الوجود.

و تم التوصل الى هذه الاتفاقية الا أن عدد الدول التي وقعت عليها آنذاك لم تكن تتجاوز ثماني دول فقط ، مما قلل كثيراً من أهميتها وفاعليتها على الصعيد الدولي ، مع تأكيدنا على أن تلك الاتفاقية لازالت تشكل الحجر الاساس لكل الجهود والمحاولات الدولية اللاحقة بخصوص هذا الموضوع .

ان قيام الحرب العالمية الثانية ومانجم عنها من مآسي ودمار شمل كل القارة الاوربية ودول اخرى من قارات العالم أدت بشكل مباشر الى تفاقم مشكلة اللاجئين ، حيث أضطر عشرات الالاف من سكان الدول الاوربية الى الفرار واللجوء الى مناطق أخرى غير أوطانها طلباً للمأوى والأمان مما فرض وبالحاح ضرورة ايجاد الوسائل والسبل لتأمين وضمان حقوقهم وسلامتهم وهذا ماأدى الى انشاء لجنة دولية معنية باللاجئين عام ١٩٣٨ بمبادرة من الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت مهمتها الأساسية تأمين الحماية القانونية لهم .

وبعد قيام المنظمة العالمية للأمم المتحدة أعقاب الحرب العالمية الثانية ، سارعت الامم المتحدة الى انشاء وكالة دولية لهؤلاء وهي «وكالة الأمم المتحدة للاجئين وقد اسهمت هذه الوكالة بصورة مباشرة في تحسين اوضاع اللاجئين ولعل من بين أهم نشاطاتها هي توزيع

نحو مايزيد على مليون لاجيء في انحاء مختلفة من العالم وعملت على استقرارهم وحل مشاكلهم خلال فترة قصيرة نسبياً .

ان عمل هذه الوكالة لم يستمر طويلاً لسببين رئيسيين : —

١ — حساسية هذا الموضوع وكونه يمس سيادة الدول أدى الى أعاقة عمل الوكالة .

٢ — والسبب المباشر هو ان قيام الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي في الفترة التي اعقبت الحرب — وبالتحديد في فترة الخمسينات — والتصدع والتوتر الذي أصاب العلاقات الدولية الذي كان من أبرز نتائج الحرب الباردة واثارها التي تركتها على تلك العلاقات واستغلال دول المعسكر الغربي لنشاط الوكالة للتشهير بالسياسات الداخلية لدول المعسكر الشرقي مما جعل الاخيرة تنظر الى الوكالة وكأنها مؤسسات غربية تعمل ضد سيادة وسياسة الدول الأشتراكية مما أفقدها ثقتها فيها ، وجعلها لاتحظى بتأييد تلك الدول ، رغم ان الوكالة هي منظمة دولية حيادية ذات طابع أنساني محض ، وهذا ماعطل نشاطها ودفع بأتجاه الغائها ، وهذا ماحدث فعلاً . حيث جرى الغاء المنظمة — الوكالة الدولية للاجئين — في عام ١٩٥٠ ، وانيطت صلاحياتها بالجمعية العامة للأمم المتحدة التي انشأت في نفس العام وفي الرابع عشر من كانون الاول من السنة المذكورة (٧) « مفوضية عليا للاجئين » حدد مهماتها (بمراقبة ظروف تطبق المعاهدات الدولية المتعلقة باللاجئين) خصوصاً بعدما أصبحت كل دولة تمنح نفسها صلاحية أختيار عدد اللاجئين ونوعيتهم ممن ترغب في اعانتهم وحمايتهم .

لقد كان الاهتمام الدولي بمسألة اللاجئين ينحصر أساساً في دائرة الاحداث والحروب الاوربية قبل كل شيء . ولم تحاول الدول المنتمية الى عصبة الأمم وبعدها الى منظمة الأمم المتحدة في مرحلتها الاولى ، بذل أية جهود لاعانة اعداد كبيرة من مشردي الحروب الاستعمارية ولاسيما في أفريقيا حيث نجم من أرتحال القبائل الهادية من طغيان العساكر الغازية عدد هائل من اللاجئين وكانت المنظمة العالمية للاجئين تضع في رأس اولوياتها «رعاية ضحايا النظام النازي أو الفاشي او الأنظمة التي وقفت الى جانبها أبان الحرب العالمية الثانية .. في حين كان يرزح آنذاك عام ١٩٤٦ تحت وطأة الحروب الاستعمارية مثل الهند الصينية وفلسطين وغيرها الاف اللاجئين) .

«المبحث الأول»

الاسباب التي تدفع الى اللجوء

بعد ان عرضنا تطور الحماية الدولية للاجئين ، لابد من تسليط الضوء على الاسباب التي تدفع الى اللجوء الاقليمي ، قبل أن يجرنا البحث لتناول الضمانات الدولية للاجئين

ان الاسباب التي تدفع الى ايجاد هذه المشكلة الدولية أومن ثم تفاقمها وتأزمها متعددة وتختلف من حيث القوة والتأثير في حجم وتطور تلك الظاهرة الا أن تلك الاسباب جميعاً أسهمت وبدرجات متفاوته في رسم صورة اللجوء الاقليمي واللاجئين في الوقت الحاضر. إن معرفة الاسباب أمر بالغ الاهمية . اذا ماأريد البحث عن حلول جذرية لهذه المشكلة . وأهم الاسباب هي : —

١ — الحروب والنزاعات المسلحة: —

من البديهي أن يرافق كل نزاع مسلح أوحرب بين دولتين أو اكثر ، فرار العديد من سكان الدول المتحاربة واللجوء الى دول أخرى حيث الأمان والمأوى ولقد صحب كل الحروب الحديثة ومنها الحربين العالميتين وما أعقب ذلك من حروب أقليمية وحروب أستعمارية خاضتها الدول الغربية في اسيا وأفريقيا من أجل السيطرة على شعوبها ظهور الاف من اللاجئين . وكانت هذه الظاهرة ترمي بثقلها على دول الملجأ . وعلى المنظمات الدولية المعنية بهؤلاء وبمسألة اعادتهم الى أوطانهم او اعادة توطنهم في الدول التي استقرو فيها حسب موقف الدول الاخيرة ورغبة اللاجئين . وتعتبر أوربا اعقاب الحرب الكونية الثانية ، وافريقيا وأسيا وامريكا الوسطى حالياً مثالا بارزاً على ماتقدم .

٢ — الحروب الأهلية وحروب الأنفصال: —

اذا كانت النزاعات المسلحة بين الدول سببا مباشر لتفاقم ظاهرة اللجوء الاقليمي فان الحروب الاهلية ضمن الدولة الواحدة وحروب الانهال وماينجم عنها من مصراعات بين مختلف الفئات والقوميات التي يتكون منها شعب ما وقتل وتدمير ، تدفع الالالاف من سكان تلك الدولة للجوء الى دول أخرى و بالدرجة الاساس الى الدولة المجاورة هرباً من الموت والظروف الصعبة التي (١) تؤدي اليها مثل تلك الحروب ، والشواهد كثيرة جداً فقارة أفريقيا تحفل بها وكذلك دول امريكا الجنوبية وبالتحديد دول امريكا الوسطى

وفي أسيا فتعتبر دول جنوب شرق آسيا ودول شبه القارة الهندية ، والشرق الاوسط وفي مقدمتها لبنان من أبرز الامثلة .

٣ - الأنقلابات العسكرية والقمع السياسي والازمات السياسية : -

لأنظمة الحكم وتوجهاتها الفكرية وممارسات السلطة في مختلف دول العالم والأرهاب السياسي ، أثراً مباشراً ومهماً في أيجاد وتصعيد مشكلة اللجوء الاقليمي . فالأنظمة الديكتاتورية وممارسة الاضطهاد والارهاب والملاحقة للمعارضة وانتهاك حقوق الانسان وحرياته الأساسية تدفع بالعديد من المواطنين الى ترك بلادهم واللجوء الى دول أخرى هرباً من البطش والملاحقة واللاجئون السياسيون ينتشرون في دول متعددة من العالم وغالباً مايلجأ هذه النوعيات الى دول تسودها انظمة حكم تتقارب مع توجهاتهم الفكرية وفلسفاتهم السياسية .

٤ - الممارسات الاستعماية والأنظمة العنصرية : -

لازال للممارسات الاستعمارية لاسيما في قارات العالم الثالث دور نشيطاً في تأزم مشكلة اللجوء الاقليمي . فلقد دفعت السياسات الاستعمارية والتدخلات العسكرية في شؤون العديد من الدول ابناء شعوبها للفرار الى دول أخرى ، هرباً من الموت أوالقمع ، ولتنظيم عمليات مناهضة للاستعمار من تلك الدول .

وتشكل الانظمة العنصرية وممارستها ، أحد أبرز العوامل الموجودة لهذه الظاهرة الدولية وتكاد ان تكون منطقتي الجنوب الافريقي - جنوب أفريقيا ، ناميبيا وروديسيا وانغولا سابقاً من المناطق التي تظهر فيها حدة ظاهرة اللجوء .

كما ان لظاهرة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين والكيان العنصري الذي أقيم فيها أدى الى أن يصبح شعب بالكامل لاجئاً يتوزع في العديد من الدول ، ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين بحجمها وظروفها ومداخلاتها الدولية والاقليمية ، لازالت من أعقد مشاكل اللاجئين في العالم لما رافقها من ظروف دولية ومؤثرات داخلية وخارجية زادت في طابعها المأساوي.

ويمكن ملاحظة ظاهرة اللجوء الاقليمي في كل بقاع الارض التي لازالت تخضع بشكل او آخر للسياسات والممارسات الاستعمارية والعنصرية .

٥ ـ العوامل الطبيعية: ـ

وياتي في مقدمتها الجفاف والمجاعة والفيضانات والكوارث الطبيعية الاخرى وابرز نموذج لظاهرة اللجوء بسبب هذه العوامل القارة الافريقية وبالتحديد أفريقيا جنوب الصحراء .

٦ ـ الاضطهاد الديني والعرقي: ـ

رغم ان الشق الأخير من هذا السبب يدخل ضمن العنصرية وممارساتها. ولكن يلاحظ في دول لاتعتبر من الأنظمة العنصرية وتنص دساتيرها على المساواة العرقية والدينية توجد فيها ممارسات للاضطهاد الديني والعرقي، ادت الى ظهور جماعات كبيرة من اللاجئين بسبب حملات القمع والابادة ويمكن ملاحظة ذلك في دول جنوب آسيا ، وفي الفلبين حيث الملاحقة والمطاردة ضد المسلمين في ظل حكم ماركوس كذلك في بعض دول شبه القارة الهندية ، كما يمكن ملاحظة هذا السبب في بعض دول الشرق الاوسط، ومناطق أخرى من العالم .

جميع هذه الأسباب وأسباب اخرى أقل أهمية ، أسهمت جميعها في رسم صورة اللجوء الاقليمي الموجودة الآن في العالم والتي جعلت منها ابرز مشكلة دولية ، لم تجد حلولا ناجحة لها لأسباب سياسية ودولية مما يتطلب جهوداً دولية استثنائية لمعالجة تلك الاسباب ومن ثم ايجاد الحلول لما هو قائم منها. وتعزيز الحماية الدولية للاجئين لحين توفر الفرص لحل مشاكلهم.

المبحث الثاني

الضمانات الدولية للاجئين

ان صيرورة اللجوء الاقليمي مشكلة دولية بالغة التعقيد ، لابد وأن يدفع المجتمع الدولي نحو ايجاد الضمانات الدولية اللازمة لتأمين الحماية الضرورية للاجئين والتقليل قدر الامكان من المحن والصعوبات التي يواجهونها ، وهذا ما دعى المجتمع الدولي ، ومنذ ظهور أول تنظيم دولي المتمثل « بعصبة الأمم » إلى ايجاد القواعد القانونية الدولية والمؤسسات الدولية التي تعنى باللاجئين ولكن لابد من تحديد من هو اللاجىء ابتداء لكي يمكن شموله بالضمانات الدولية .

تعريف اللاجيء : ـ

رغم قدم مشكلة اللاجئين ، فأنها لاتزال مشكلة دولية اكثر الحاحاً ، لم تجد الحلول النهائية لها والفعالة إلى الان لارتباطها بأسباب يصعب القضاء عليها . وبالرغم من الجهود الدولية والاهتمام الدولي الكبير الذي نالته هذه المشكلة من قبل القانون الدولي والمنظمات الدولية بأعتبارها مشكلة انسانية ذات طابع دولي واعتبار اللجوء الاقليمي حقاً من الحقوق المقررة لكل انسان ، وهو مانص عليه الاعلان العالمي لحقوق الانسان في مادته الرابعة عشرة بصراحة على ان لكل فرد الحق في ان يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء اليها هرباً من الاضطهاد (٨) .

وكانت الصعوبة ـ وربما لاتزال ـ تكمن في تعريف من هو اللاجيء ، لغرض تحديد من له حق الاستفادة من هذا الحق والتمتع بالضمانات والحماية الدولية التي يوفرها القانون الدولي لامثال هؤلاء عندما تضمنه الدول في قوانينها وتشريعاتها واللوائح والنصوص التي تنظم هذا الموضوع .

ان الصعوبات التي تكمن وراء عدم تقديم تعريف محدد للاجيء لم تمنع الأتفاقية الدولية بشأن اللاجئين من تقديم تعريف واضح نسبياً حيث نصت المادة الاولى منها على أن اللاجيء هو « الانسان الذي يجد نفسه خارج بلده والـذي لايستطيع اولايرغب في حماية ذلك البلد ، بسبب الملاحقة التي يتعرض لها أما لأصله العرقي ، أو الديني ، أو القومي او لانتمائه الى فئة اجتماعية محددة أو بسبب معتقداته السياسية . ويعتبر لاجئاً كل أنسان لايحمل جنسيته بسبب مغادرته البلاد التي كان يقطن فيها وذلك لاحد الاسباب المذكورة اعلاه » (٩) .

وقد تضمنت الاتفاقية الأفريقية بشأن اللاجئين في القارة المعقودة في ظل منظمة الوحـــدة الأفريقية عام ١٩٦٩ تعريفاً يكاد أن يكون مشابهاً للفريق المذكور اعلاه (١٠) .

الا أن تلك التعاريف لاتشمل كل نوعيات اللاجئين المعروفة في العالم . الذين لابد من توفير الحماية الدولية لهم . ولـذلك لابد من وضع تعريف اكثر سعة وشـمولا بحيـث يشمل جماعات اللاجئين الذين تضطرهم الحروب والعوامل الطبيعية الصعبة للجوء الى دول أخرى ويمكننا أن نقدم تعريفاً أكثر شمولا للاجئ فهو «الشخص الذي ابتعد عن وطنـه الذي ينتمي اليه بجنسيته خشية أو هرباً من الأضطهاد ولاسباب تتعلق بالعرق أو الدين أو

القومية او الرأي السياسي او الانتماء الى فئة اجتماعية محددة او لاسباب قهرية اخرى . ولا يريد ان يضع نفسه تحت حماية بلده الاصلي (١١).

لقد حاولت المفوضية العليا للاجئين التابعة للامم المتحدة ، ومن خلال التطبيق أن تشمل جميع فئات اللاجئين بحمايتها . وان تجعلهم ضمن اللاجئين المشمولين ببرامجها للمساعدات او ان تطالب بالحماية الدولية لهم أسوة بالآخرين المشمولين بتعريف اللاجىء المحدد بمقتضى الاتفاقية الدولية لعام ١٩٥١ والبروتوكول الملحق بها .

كما لابد من الاشارة الى ضرورة التمييز بين اللاجئين والمهاجرين . فاللاجىء غير المهاجر فالاخير هو الشخص الذي يغادر أقليم دولته او الدولة المقيم فيها الى اقليم دولة أخرى بنية الاقامة فيها بصفة دائمة وقد لايكون مضطهداً في بلاده وللمهاجر وضع ومركز قانوني خاص يحكم حالته هذه (١٢) .

الموقف الدولي من اللجوء الاقليمي

كان اللجوء الاقليمي — ولا يزال — لدى العديد من دول العالم — ينظر اليه ولا سيما قبل دولة اللاجىء التي فر منها الى دولة أخرى قبلته وساعدته على اللجوء على أنه عمل غير ودي ، اي ان الدولة التي ينتمي اليها اللاجيء بجنسيته تنظر الى الدولة التي تقبل لجوء مواطنيها اليها ، نظرة شك وريبة ، وقد يفسر في بعض الاحيان على أنه عمل عدائي . ولكن منذ بداية الحرب العالمية الاولى صدرت سلسلة من الوثائق الخاصة باللاجئين وانشئت اجهزة بالتتابع اشتركت فيها الحكومات لضمان حماية دولية للاجئين في البلاد التي لجأوا اليها (١٣) .

وبصدد ماهية حق اللجوء في الفكر القانوني التقليدي ، يمكن القول ان المفهوم التقليدي لهُ ، هو أنه عمل سيادي ، بمعنى ان للدولة الحق في ان تمنح حق اللجوء على أراضيها لأشخاص فارين من بلاد أخرى للأسباب التي ذكرناها ، ولها تبعاً لذلك أن تضع الظوابط القانونية التي تنظم ذلك كما أن للدولة سلطة تقديرية مطلقة في قبول او رفض طلب اللجوء يقيدها في ذلك شرط واحد فقط ، هو انه في حالة رفض مثل تلك الدولة لجوء شخص ما اليها ،عليها أن تسمح له بمغادرة أراضيها الى دولة أخرى يمكن ان يحصل فيها على اللجوء وفي كل الاحوال لايحق لها أن تسلمه الى دولته التي فرَّ منها :

وانطلاقاً من الاساس المتقدم ، أي تعلق قبول اللجوء او رفضه بسيادة الدولة ، فان لمثل تلك الدولة وحدها الحق في اتخاذ أي قرار بالقبول او الرفض ولا يوجد مايقيدها في

ذلك سواء القيد الذي اشرنا اليه ووفقاً لما تقدم فان قيام دولة مايمنح حق اللجوء الى شخص او اشخاص ينبغي الا يفسر من قبل الدولة الاخرى بما فيها دولة اللاجئين على انه عمل ، غير مشروع ، وترك هذا المفهوم آثاره عندما جرى اعداد وصياغة المادة (١٤) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان (١٤) . وغيره من الوثائق الدولية ذات الصلة بموضوع اللاجئين.

اللجوء الاقليمي في الوثائق الدولية

كان موضوع اللجوء الاقليمي محل أهتمام لجنة حقوق الانسان منذ عام ١٩٤٧ .عندما قررت «أن تبحث بأقرب فرصة ممكنة امكانية إدراج احكام خاصة بحكم اللجوء لمن يتعرضون للاضطهاد في وثيقة حقوق الانسان ،او في اتفاقية خاصة تعد لهذا الغرض» وكان للحرب العالمية الثانية وما أفرزته من اعداد كبيرة من اللاجئين داخل القارة الاوربية عاملاً كافياً لتحريك جهود الامم المتحدة بهذا الاتجاه .

ونظراً للصعوبات العديدة ومن بينها صعوبة التوصل الى اتفاق بشأن نوعيات الأشخاص الذين ينبغي منحهم حق اللجوء ، تقرر اعداد إعلان عن حق اللجوء الاقليمي ، ودعت الامم المتحدة من خلال الجمعية العامة (لجنة حقوق الانسان) الى العمل بسرعة لوضع مشروع لهذا الاعلان لمناقشته واقراره (١٥) . وفعلاً جرى اعداد ومناقشة هذا الاعلان واقراره «أعلان حق اللجوء الاقليمي » في ١٤ كانون الثاني عام ١٩٦٧ (١٦) .

اعلان حق اللجوء الأقليمي : Declaration on Territorial Asylum.

يقوم الاعلان على عدة اسس استمدت من مقاصد الامم المتحدة التي من بينها «تعزيز وتشجيع حقوق الانسان والحريات الأساسية للناس جميعاً دون تميز بسبب الأصل أو الجنس او اللغة أو الدين ». وتوكيداً لما نص عليه الاعلان العالمي لحقوق الانسان في المادة (١٤) منه .

ويقرر الاعلان حالة صريحة وواضحة بشأن منح اللجوء الاقليمي فأعتبره عملا سلمياً وأنسانياً حيث يصف في مقدمته عامل هذه النقطة المهمة والذي يستحق التقييم ، ينص في أن منح اللجوء «هو عمل سلمي وانساني ولا يجوز لأية دولة أخرى أن تعتبره عملاً غير ودي» . وذلك بغية التحقيق من نظرة الشك والريبة والاستياء التي تفسر بها دولة اللاجيء موافقة دولة الملجأ على قبول رعايا تلك الدولة القادمين منها .

١ ـ واكدت المادة الاولى منه الرأي التقليدي السائد حول حق اللجوء ، عندما أوصيت على الدول جميعاً احترام الملجأ الذي تمنحه دولة ما ممارسة منها لسيادتها ، للافراد الذين بأمكانهم الاحتجاج بنص المادة (١٤) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان .

وبنص المادة هذه اعطت لكل مضطهد الحق في اللجوء الى بلدان أخرى فــراراً او هرباً من الاضطهاد ، والاضطهاد هنا واسع ، ويمكن ان يكون مضطهداً ـ كما عرفنا من هو اللاجيء ـ من كان محلاً لأنتهاك أو خرق كل أو بعض حقوقه وحرياته لأسباب تتعلق بالعرق أو الدين او الجنسية او الرأي السياسي او الانتماء الى جماعة معينة ....الخ وتؤكد المادة بصريح النص على أن للمناضلين والمكافحين ضد الأستعمار حق التمتع باللجوء الاقليمي .

٢ ـ والمادة الثانية من الاعلان ، أوجبت على المجتمع الدولي أن تهتم بحالة اللاجئين ، الذين ينطبق عليهم هذا الوصف مع عدم المساس بسيادة الدولة وعالجت هذه المادة حالة ما إذا صادق بلد ما صعوبات في منح حق اللجوء او الاستمرار في ذلك فعلى الدول النظر مجتمعة او منفردة أو عن طريق الامم المتحدة فيما ينبغي اتخاذه من الاجراءات الملائمة يدفعها في ذلك روح التضامن الدولي لتخفيف العبء عن كاهل البلد الذي قام بمنح اللجوء .

٣ ـ واهتم الاعلان بالشخص الذي يحاول اللجوء وهو في هذا الصدد واضح جداً فكل شخص يحق له التمسك ضمن المادة (١٤) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان أي كونه مضطهد ـ لايجوز أن يخضع لتدابير منها اجراءات منع اجتياز الحدود واذا كان قد دخل اراضي دولة ما بالفعل فلا يجوز ترحيله او ارغامه على العودة الى دولة قد تكون فها عرضة لأي نوع من انواع الاضطهاد (١٧) . او قد تكون حياته مهـــددة بالخطر .

وتجنب الاعلان تقديم تعريف اللاجيء اولا لصعوبة الاتفاق على تحديد نوعيات الاشخاص الذين يجب منحهم حق اللجوء بالاضافة الى أن واضعي الميثاق لم يريدوا أن يقصروا تطبيق الاعلان على حالات معروفة وقت صياغته واقراره وانما وضع الاعلان بشكل يسمح لدخول فئات جديدة الى اللاجئين لاحقاً كما حدث فعلا (١٨) .

٤ ـ منع الاعلان في الفقرة (٣٢) ، الخروج عن هذا المبدأ من قبل الدول حــتى في الحالات الاستثنائية ، عدا حالة واحدة ، هي عندما تواجه الدوله ما تجبر الملجأ

اسباباً قاهرة تتعلق بأمنها القومي وحماية سكانها كما في حالة تدفق اعداد هائلة من اللاجئين او عند حدوث مثل هذه الحالات وقررت الدولة الخروج على هذا المبدأ وجب عليها النظر في امكانية منح الاشخاص المعنيين وبالشروط التي تراها ملائمة ملجأ مؤقتاً واتخاذ أي تدبير أخر يمكنهم بالتوجه الى بلد أخر يحصلون فيه على حق اللجوء

ولما كان اللجوء عملا سلمياً وانسانياً وغرضه حماية من يتعرضون للاضطهاد منع الاعلان الدول التي يمنح حق اللجوء لمثل اولئك الاشخاص عدم السماح لهم القيام بأية اعمال او نشاطات تتنافى مع أهداف ومباديء الأمم المتحدة (١٩) . لأن من شأن ذلك ان يسيء الى العلاقات بين الدول لاسيما الدولة التي تنمي اليها اللاجئين بجنسية ودولة الملجأ إن اعلان حق اللجوء الاقليمي جاء بمباديء عامة ، وهو توصية موجهة الى جميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة (٢٠) للعمل بموجبها وهو بذلك لايمتلك القوة القانونية الالزامية التي للأتفاق الدولي ولهذا فأن الحصول على الملجأ يبقى عملا متوقفاً على ارادة الدولة ما نحة هذا الحق يحدوها في ذلك مباديء هذا الاعلان والمادة (١٤) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان .

لهذه الاسباب قررت الجمعية العامة في سنة ١٩٧٤ وضع مشروع اتفاقية خاصة باللجوء السياسين بأسرع ما يمكن عملا يوجهه نظير اللجنة التنفيذية للمفوض السامي لشؤون اللاجئين والتي ترى وجوب اعداد مثل هذه الاتفاقية . ولا ندري لماذا لا يصدر وضع مشروع أتفاقية عامة بشأن اللجوء الاقليمي سيما وان اللجوء السياسي صورة من صور اللجوء الاقليمي .وجرى فعلا تشكيل لجنة خبراء لهذا الغرض مكونة من ممثلي (٢٧) دولة قام بتعينها رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ورغم عقد مؤتمر خاص لمفوضي تلك الدول لأستكمال اعداد الاتفاقية لكنها لم تتمكن الى الأن من انجازها !! وهذا يدل على حساسية هذا الموضوع وصعوبة تحديد من هو اللاجيء .

الاتفاقية الدولية بشأن أوضاع اللاجئين
لسنة ١٩٥١

أن الاتفاقية الدولية المتعلقة بأوضاع اللاجئين لسنة ١٩٥١ هي في الحقيقة تجميع ودمج وتوحيد لأتفاقيات دولية سابقة بشأن اللاجئين وتوسيع لأطارها ونطاق [illegible]ها لتشمل اكبر عدد من هؤلا فان هذه الاتفاقية تقوم على مبدأين اساسين هما : --

١ — يجب ان يكون التمييز أقل ما يمكن بين الرعايا الوطنيين من جهة واللاجئين من جهة أخرى

٢ — يجب الايكون هناك تميز على اساس العرق او الدين او دولة الأصل بين اللاجئين .

وتلتزم لدول الأطراف بموجب الاتفاقية أن تطبق على اللاجئين المعاملة التي تطبقها على مواطنيها ، أي المعاملة التي تعامل لها الدولة رعاياها دون تمييز في ذلك ، مع الأخذ بعين الاعتبار بعض الحقوق كحرية الديانة او اللجوء الى القضاء ، والتعليم الأساسي والاعانات العامة .

واستثنت الاتفاقية فئات معينة من الاشخاص من التمتع بالحماية لدولة المنصوص عليها وذلك لتعارضها مع حالة اللجوء ومفهومه ، وهذه الفئات هي المجرمين بحق السلام — مرتكبي الجرائم ضد السلام — والجرائم المرتكبة ضد الانسانية (٢١) . ومرتكبي جرائم الحروب او جرائم حق عام خطيرة او اعمال اخرى متناقضة لمبادىء الأمم المتحدة وتلزم المادة الثانية من الاتفاقية اللاجئين بوجوب احترام القوانين المتعلقة بالأمن العام في دولة الملجأ .

وفيما يخص الاحوال الشخصية للاجئين اخضعت الاتفاقية هذا الموضوع للوضع القانوني السائد في الدول المضيفة (دولة الملجأ) مع الأخذ بنظر الاعتبار جميع الحقوق المكتسبة القديمة لهم . واجازت الاتفاقية للاجئين حق ممارسة النشاط في أطار الجمعيات بمختلف انواعها شرط أن يكون ضمن القانون السائد وتنسجم مع النظام العام لدولة الملجأ (٢٢)

ولجميع اللاجئين — طبقاً للقوانين النافذة — حق العمل والحياة اللائقة في دول الملجأ كما لهم حق ممارسة بعض المهن الحرة والفلاحة ، كما ضمنت الاتفاقية حق اللاجئين في السكن المقبول وفي التربية والتعليم لهم ولا بنائهم والاستفادة من ألمنح كما ان لهم الحق في المعالجة والاعانة والضمان الاجتماعي والخدمات الاجتماعية .

وهناك مسألة مهمة تتعلق بالوجود غير القانوني للاجيء في دولة ما ، فالاتفاقية تنص على وجوب عدم الحاق عقوبات ضد هذا الصنف من اللاجئين من قبل الحكومات والسلطات التي لم تحترم القوانين الجازية في دولها ، كما ليس للدول الأخيرة فرض تضيفات عليهم

الا لاعتبارات أمنية تتعلق بالنظام العام . كما آن تلك السلطات لا تستطيع طرد اللاجئين غير القانونين (٢٣) .

والمادة (٣٣) وهي من بين اهم الاحكام التي نصت عليها الاتفاقية بصدد اللاجئين والتي تنص : —

١ — لن تقوم واحدة من الدول المتعاقدة ، بطريقة من الطرق بطرد او ترحيل لاجيء الى حدود اراضي دولة تكون فيها حياته او حريته مهددة بالخطر ، لسبب عرقه او ديانته او جنسيته او ارائه السياسية ، او انتمائه الى فئة اجتماعية معينة .

٢ — الا أنه ليس للاجيء أن يتمسك بالانتفاع بهذا الحكم ، متى قامت اسباب جديه لاعتباره خطراً على آمن الدولة الموجود فيها ، أو شكل خطراً على المجتمع في هذه الدولة ، بسبب صدور حكم نهائي ضده في جناية أوجنحة بالغة الخطورة (٢٤) .

ان هذا النص أوالقاعدة « مبدأ عدم الترحيل» بل اتفاقية ١٩٥١ بكاملها ، قد أكد المجتمع الدولي الطابع القاعدي لها (٢٥) ، أي انها أصبحت قواعد دولية ، عن طريق العرق ، عندما جرى تأكيدها وقبولها في أكثر من موقف ومناسبة دولية .

فعندما بحثت الجمعية العامة موضوع اللاجئين في دورتها الثامنة عشرة سنة ١٩٦٣ دعت الدول اعضاء الأمم المتحدة جميعاً، ومنظماتها المتخصصة إلى المشاركة في حل مشاكل اللاجئين ، وذلك بتحسين الوضع القانوني لهم بالنسبة لمن يقيم منهم على أراضيها خصوصاً لحالات لاجئين جديدة ودعت الجمعية العامة هذه الجهات لتحقق هذه الغاية القيام بأتخاذ عدة تدابير منها الأنضمام إلى الاتفاقية الخاصة بأوضاع اللاجئين لعام ١٩٥١ ومعالجة مشاكل اللاجئين الجديدة طبقاً لمباديء الاتفاقية وروحها .

ان مبدأ عدم الترحيل أصبح قاعدة دولية عرفية تقيد له الدول جميعاً ، وهذا مايستفاد من العمل الدولي الجاري حول هذه المسألة والامثلة على ماتقدم ، عديدة فلقد اعترف بالمبدأ المذكور صراحة في البيان الختامي للمؤتمر الذي اقر اتفاقية من لاجنسية لهم (عديمي الجنسية) بتاريخ ٢٨ أيلول عام ١٩٥٤ فمع أن الاتفاقية هذه تنظم الوضع القانوني لعديمي الجنسية بأجراءات مماثلة للتدابير المنصوص عليها في اتفاقية عام ١٩٥١ المتعلقة بأوضاع اللاجئين ، لكنها لم تورد نصاً خاصاً يقابل نص المادة (٣٣) منها فقدأوضح المؤتمر السبب في ذلك بالقول : —

« إذ تبين له ان المادة ٣٣ من اتفاقية ١٩٥١ الخاصة باوضاع اللاجئين تعبر عن مبدأ تسلم به عموماً وبمقتضاه لايدع الدولة بطريقة من الطرق طرد او ترحيل الشخص إلى حدود اراضي دولة تكون فيها حياته مهددة بسبب عرقه أودينه أو جنسيته أو آرائه السياسيّة او انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة يعتبر أنه لاحاجة لتضميين الاتفاقية الخاصة بوضع غير معلومي الجنسية مادة تقابل المادة ٣٣ من اتفاقية ١٩٥١ الخاصة بوضع اللاجئين (٢٦) أي كون هذه القاعدة مسلم بها دولياً ولاحاجة لتكرارها .

ورغم وجود اعلان حق اللجوء الاقليمي ، والاتفاقية الدولية الخاصة بأوضاع اللاجئين فأن أوضاع اللاجئين لازالت بحاجة إلى مزيد من الحماية الدولية ولازال الحاجة ملحة لوضع تعريف محدد «للاجيء» بحيث يتسع لأكبر عدد من اللاجئين او تحت الحماية الدولية التي يتوزع القانون الدولي لهولاء وفقاً لاهوائها ومصالحها وسياستها . كما لابد من انشاء وتقوية المؤسسات الدولية التي تعنى باللاجئين لكي يتخذ وضعهم بعداً دولياً انسانياً . وهذا مايمكن ان تقدم الاتفاقية الدولية المزمع اعدادها واقرارها بهذا الصدد، ولذلك تضع امام لجنة الخبراء المكلفه باعداد مشروع الاتفاقية بعض المسائل الضرورية والتي ينبغي أن تنص عليها الأتفاقية الجديدة : —

١ — اقرار تعريف محدد وواضح للاجيء الاقليمي .

٢ — النص على مبدأ عدم الترحيل (الاّ في حالات القوة القاهرة).

٣ — عدم تسليم اللاجيء وبأي الظروف إلى الدولة أو الدول التي يخشى فيها على حياته أو حقوقه أو حرياته .

٤ — ضرورة انشاء مؤسسات لها الصلاحيات والسلطات الفعالة ، لتعنى بشؤون اللاجئين واضفاء الصفة الدولية عليها، لتعالج محنهم وتخفف من الظروف الصعبة والمعقدة التي يواجهونها .

الفصل الثاني

توزيع اللاجئين في العالم

يتوزع اللاجئون على قارات العالم المختلفة ، وتتفاوت حدة هذه المشكلة الدولية من قاره الى أخرى وتأتي القاره الافريقية في المقدمة ثم أسيا ثم تأتي قارات العالم الاخرى في المراتب التالية .

اللاجئون في أفريقيا :ـ

تعود جذور نشأت ظاهرة اللجوء الاقليمي في أفريقيا الى الفترة الاستعمارية وقد أخذت بالتفاقم في مطلع الخمسينات ابتداء في الاقاليم التي كانت خاضعة للادارة البرتغالية وهي كل من مزنبيق ، انغولا ، غينابيساو ، حيث احضر (٦) الاف لاجيء من غينابيساو الى التوطن في السنغال ، كما استوطن ٣٢٥,٠٠٠ لاجيء من انغولا في الكونغو كينشاسا.

وهناك (٢٦,٠٠٠) لاجيء انغولي ايضاً استقروا في زامبيا ، وبالنسبة للاجئين الموزنبيقيين فهناك (٢٤,٠٠٠) لاجيء استقروا في زامبيا وتنزانيا (٢٧) .

وبعد استقلال موزبيق اصبحت هذه الدولة تستقبل اعداد كبيرة من اللاجئين وبالأخص من روديسيا الجنوبية قبل الاستقلال ومن جنوب افريقيا حالياً . وبعد نيل المستعمرات البرتغالية في أفريقيا الاستقلال : حلت مشاكل كل تلك المجاميع من اللاجئين وذلك بعودتهم الى أوطانهم .

وما ان حلت مشاكل اللاجئين في المناطق التي أشرنا اليها ، حتى ظهرت وبصورة اشد في مناطق أخرى من افريقيا كمنطقة القرن الأفريقي والسودان ، بلغت ذروتها في السنوات الاخيرة ، حيث بلغ عددهم في هذا الجزء من افريقيا (٥) ملايين لاجيء نهاية عام ١٩٨٥ (٢٨) . في حين كان لايتجاوز عددهم عام ١٩٧٠ على (٢) مليون لاجيء

لقد اصبح في منطقة القرن الافريقي وحدها عام ١٩٨٢ مليوني لاجيء وبلغ تعداد اللاجئين الذين دخلوا الصومال وحدها اكثر من (٢,٥) مليون وفي جيبوتي اصبح هناك (٤٢,٠٠٠) لاجي وفي أثيوبيا أقل عدد منهم أذ بلغ (١١,٠٠٠) لاجيء . (٢٩)

ويعتبر السودان ثاني دولة من حيث تواجد اللاجئين فيه أذ يبلغ عددهم (٥٠٠,٠٠٠) لاجيء وهو يخضع للزيادة المستمرة وبالأخص بالنسبة اللاجئين من أثيوبيا لقد اصبحت منطقة القرن الافريقي من اكثر مناطق افريقيا معاناة من مشكلة اللاجئين اضافة الى المشاكل

اللاجئون في أفريقيا(*)

الجزائر	١٥٢,٠٠٠	لاجيء من بينهم ١٥٠,٠٠٠ لاجيء من الصحراء المغربية
بوروندي	٢٣٤,٠٠٠	لاجيء
الصومال	٧٠٠,٠٠٠	لاجيء
السودان	٥٥٠,٠٠٠	لاجيء، علماً بأن هذا الرقم غير دقيق والعدد هو اكبر من ذلك بكثير
تانزانيا	١٦٤,٠٠٠	لاجيء منهم ١٥٣,٧٠٠من بوروندي
نيجريا	١٠٥,٠٠٠	لاجيء
الكاميرون	٢٥,٠٠٠	لاجيء تشادي
جيبوتي	٣١,٦٠٠	لاجيء آثيوبي
زائير	٣٦٥,٠٠٠	لاجيء منهم ٢١٥,٥٠٠ من انكولا
زامبيا	٤٠,٥٠٠	لاجيء منهم ٢٩,١٠٠ من انكولا
انكولا	٧٦,٨٠٠	لاجيء منهم ٧٠,٠٠٠ لاجيء من ناميبيا، ١٨٠٠ من زائير و٥٠٠٠ من جنوب أفريقيا

(*) الأحصائية مأخوذة عن أحصائية المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة لعام ١٩٨٢.

الكثيرة الأخرى التي تعاني منها هذه المنطقة ممارمت بثقلها على اقتصاديات تلك الدول التي تعاني اساساً من اختناقات أقتصادية اضافة الى ما ينجم عن هذا العدد الضخم من من اللاجئين من مشاكل سياسية واجتماعية وأمنية (٣٠)

دفع هذا العدد الضخم من اللاجئين في القارة الافريقية منظمة الوحدة الافريقية الى عقد أتفاقية بشأن اللاجئين في أفريقيا عام ١٩٦٩ هي الاتفاقية العامة بشأن اللاجئين في أفريقيا والتي اصبحت سارية المفعول في حزيران عام ١٩٧٤ (٣١) ورغم هذه الاتفاقية والجهود الدولية التي تبذلها المفوضية العليا لشؤون اللاجئين فأن وضعهم في أفريقيا يزداد سوءاً سنة بعد أخرى مع عدم وجود بوادر تشير الى التخفيف من حده هذه المشكلة .

اللاجئون في قارة آسيا (*)

دول الملجأ	ألعدد	الدول التي ينتمي اليها اللاجئون بجنسياتهم
الصين الشعبية	٧٦٥,٠٠٠	لاجيء فيتنامي
هونغ كونغ	١٣,٥٤٢	لاجيء فيتنامي بأنتظار دولة تقبلهم
تركيا	١,٢٥٠,٠٠٠	لاجيء أيراني
أيران	١,٧٠٠,٠٠٠	لاجيء أفغاني
باكستان	٢,٣٧٥,٠٠٠	لاجيء أفغاني
فيتنام	٣٠,٠٠٠	لاجيء كمبودي

(*) الأرقام مأخوذة عن احصائية الأمم المتحدة «المفوضية العليا للاجئين . نقلا عن زهير الزوادي – اللاجئون في العالم – مصدر سبقت الأشارة اليه ، ص٢٨ .

اللاجئون في القارة الأمريكية(٣٢)

امريكا الوسطى	٣١٠,٠٠٠	لاجيء منهم ٢٧٢,٠٠٠ لاجيءمن السلفادور فقط (تضاعف هذا الرقم بين عامي ١٩٧٦ ـ ١٩٨٥)
امريكا الجنوبية	٧٤,٥٠٠	لاجيء منهم ٢٦,٥٠٠ لاجيءمن الارجنتين .
الولايات المتحدة	٨٤٩,٠٠٠	لاجيء من دول مختلفة
كندا	٣٣٨,٠٠٠	لاجيء من دول مختلفة

اللاجئون في استراليا ونيوزلندا والقارة الأوربية

أوربا	٥٨٩,٢٠٠	لاجيء من بينهم ١٤٨,٠٠٠ من الهند الصينية وصلوا أوربا منذ عام ١٩٧٥ .
أوستراليا	٣٠٤,٠٠٠	لاجيء من دول مختلفة
نيوزيلاندا	١٠,٠٠٠	لاجيء من دول مختلفة

وبالنسبة للاجئين الفلسطينين فبالرغم من وجود احصائيات عن الأمم المتحدة وعن منظمة التحرير الفلسطينية، الا أنها تعتمد على التقديرات و ليست هناك احصائية دقيقة بشأنهم.

الا أن الشيء المؤكد ان معظم الشعب العربي الفلسطيني او خصوصاً بعد عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ أصبح لاجئاً، ويزيد عدد اللاجئين الفلسطين اليوم على (٤)ملايين لاجيء .

ولابد من الاشارة الى حالة خطيرة ظهرت بالنسبة للاجئيين الافغان في ايران حيث ذكرنا أن هناك ١,٧٠٠,٠٠٠ لاجيء افغاني يعيشون في ايران قرب الحدود بين الدولتين في أوضاع متردية جداً، وهذه الحالة هي ان السلطات الايرانية أخذت تمارس الضغط عليهم بهدف تجنيدهم وزجهم بالحرب ضد العراق وقد اصدر النظام الايراني يقضي بحبس كل لاجيء افغاني يرفض التوجه الى جبهات القتال مع العراق مما دفع العديد من الالاف منهم الى الهرب من ايران واللجوء الى باكستان او العودة الى افغانستان رغم صعوبة الاوضاع والمخاطر الي تهددهم. (٣٤)

إن اجبار اللاجئيين على الانخراط في صفوف القوات المسلحة لدولة الملجأ يتناقض مع احكام اتفاقية عام ١٩٧٥ ويشكل خرقاً خطيراً لها والضمانات الي قررتها لكل لاجيء.

وهناك اعداد من اللاجئين الذين مايزالون ينتظرون في مخيمات الدولة الي تستقبلهم بنهاية عام ١٩٨٣ (٣٣).

تايلـــــنـــــد	١٣٢,٩٦١
الفلبيـــــــن	١٨,٧١٩
هونغ كونغ	١٢,٧٧٠
ماليزيا	١٠,٠٧٧
أندونيسيا	١٠,٠٧٤
اليابـان	١,٩١١

اللاجئون من جنوب شرق آسيا والدول التي لجأوا اليها (للفترة من ١٩٧٥ – ١٩٨٣) (٣٥)

الدولة	عدد اللاجئين	الدولة	عدد اللاجئين
الولايات المتحدة	١٦٧, ٦٥٤	السويد	٢, ٧٨٥
فرنسا	٩٣, ٢١٨	النمسا	١, ٦٤٦
كندا	٨٩, ٧٧٧	الأرجنتين	١, ٢٨١
أستراليا	٨٤, ٠٧٩	أسبانيا	٩٢٧
المانيا الغربية	٢٢, ٣٨٧	اسرائيل	٣٦٦
المملكة المتحدة	١٦, ٣٨٨	فلندا	٢٥٨
تايوان	١٣, ٣٥٣	ايرلندا	٢٤٤
هونغ كونغ	٦, ٦١٠	اليونان	١٢٠
سويسرا	٧, ٧٨٥	لوكسمبورج	٩٧
نيوزيلاندا	٥, ٣٧٤	البرازيل	٦٨
بلجيكا	٤, ١٨٠	ايسلندا	٣٤
النرويج	٣, ١٤١	لاوس	٣٤
الدنمارك	٣, ١٤١	برغواي	٣٤
ايطاليا	٣, ٠١٣	دول أخرى	٣١
الصين	٢, ٨٥٣		
اليابان	٢, ٧٩٢		

واذا كان العمل الدولي قد أستقر على أن منح حق اللجوء هو عمل سيادي متروك للدولة مانحة هذا الحق لتقدير الأسس والأوضاع التي تمنح بناء عليها حق اللجوء ، ومن ثم لها الحق في رفض قبول جماعات معينة من اللاجئين فان العمل الدولي والقواعد الدولية التي تناولت هذا الحق ، لم تسمح مطلقاً لدولة الملجأ أن تقوم بتجنيد اللاجئين الفارين أساساً من الحروب والأضطهاد أوالتمييز .. طلباً للمأوى والأمان أن تقوم بأجبارهم على الأنخراط في صفوف قواتها المسلحة وزجهم في حروب تخوضها دولة لملجأ أو استعمالهم لتنفيذ سياستها الخارجية لان ذلك يتعارض أساساً مع الأهداف الأساسية التي من أجلها تقرر حق اللجوء

الخلاصة والاستنتاجات

من خلال تعرضنا لتطور الحماية الدولية للاجئين . وجدنا أنه بالرغم من قدم مشكلة اللجوء الاقليمي وكونها ظاهرة دولية ترمي بثقلها واثارها على العديد من الجماعات من دول العالم أضافة الى المآسي التي تتركها على اللاجئين والظروف التي ترافق عملية اللجوء. فأن الأهتمام الدولي والحماية لم تبدأ الافي وقت متأخر .

ويمكن اعتبار الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى ، وكنتيجة لتفاقم مشكلة اللاجئين لسبب الحرب هي الفترة التي شهدت أهتماماً ملحوظاً .وفي عام ١٩٢١ أخذت مشكلة اللاجئين أهتماماً دولياً حقيقاً على أثر انشاء مفوضية عليا للاجئين ضمن مؤسسات عصبة الامم . وبذلك برزت الجهود الدولية من خلال هذا التنظيم الدولي لوضع معايير قانونية دولية تحدد حالات اللجوء وتقدم بعض الضمانات لضحاياها واذا كانت هذه هي البداية الفعلية للاهتمام الدولي لهذه المشكلة الدولية . فأن تطور الحماية الدولية لم تكن موازياً لتطورها وتفاقمها وانتشارها في قارات العالم المختلفة .

فبالرغم من عقد معاهدة جنيف بشأن اللاجئين في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٣٣ والتي عالجت العديد من الجوانب المتعلقة بهؤلاء لكن الوضع الدولي آنذاك لم يسمح بنجاح تلك الجهود ، فلم يوقع على هذه المعاهدة سوى ثماني دول فقط . وبقيام الحرب العالمية الثانية وماخلفته من مآسي ادت الى تفاقم مذهل لمسألة اللاجئين خصوصاً في أوربا ، وهذا مادفع بالمنظمة العالمية للأمم المتحدة التي أنشأت اعقاب الحرب الى فاشيين وكان تابعة لها هي وكالة منظمة الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين والتي حددت مهمتها بالعناية بشؤون اللاجئين المادية فحسب ، أو الحماية القانونية فكانت تضمنها لهم لجنة دولية أخرى أسست سنة ١٩٣٨ بمبادرة من الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت .

ولكن الوكالة لم تستطع أن تلبي متطلبات الاعداد الغفيرة من اللاجئين ، ولجم هذه الظاهرة وتعقدها وسعتها ، أضطرت الأمم المتحدة الى انشاء مؤسسة دولية جديدة هي «المنظمة العالمية للاجئين» وذلك في عام ١٩٤٦ والباحث المتتبع لتلك الجهود الدولية يجد ان جميعها أنصبت اساسا على اللاجئين في أوربا فقط والاهتمام بهم ، ولم تحاول الدول الاوربية المنتمية الى عصبة الأمم ، ومن بعدها الأمم المتحدة في المراحل الاولى من حياتها — بذل أية جهود لمعالجة أوضاع اعداد كبيرة من اللاجئين من مشردي الحروب الاستعمارية ولا سيما في أفريقيا وجنوب شرق أسيا وفلسطين . كما أن جميع الوكالات والمنظمات

الدولية التي انشأت خصيصاً للاهتمام باوضاع اللاجئين . كانت تضع في مقدمة اولوياتها رعاية ضحايا النظام النازي او الفاشي او الانظمة التي وقفت الى جانبها أبان الحرب والجمهوريين الاسبان ضحايا الفاشية ، اي ان نشاطها ودورها على القارة الاوربية فقط في حين كانت اعداد كبيرة من اللاجئين تتوزع في جنوب شرق اسيا ومنطقة الهند الصينية ، وفلسطين ودول أفريقيا ، ترزخ تحت وطأة الحروب الاستعمارية ولا تحظى بأية رعاية او أية حماية دولية .

ويمكن ان نستنتج من دراسة الوثائق والقواعد الدولية النافذة بشأن اللاجئين مايلي :—

١ — ان القواعد الدولية بهذا الخصوص اصبحت قاصرة عن معالجة جميع حالات اللجوء ، فأتفاقية سنة ١٩٥١ والتي هي كما اشرنا لفتح وتوحيد الاتفاقيات سابقة بشأن اللاجئين وتوسيع لأطارها ونطاق تطبيقها لتشمل اكبر عدد منهم ، فأن لتعريف الوارد فيها ، كما هو واضح اصبح قاصراً عن التعبير على نوعيات الاشخاص والجماعات من اللاجئين كما ان القواعد التي تضمنتها تحتاج هي الاخرى الى تعديل وهذا ما يتطلب تعديل الاتفاقية وهو الحل الافضل — عقد اتفاقية دولية جديدة تأخذ بنظر الاعتبار نوعيات الاشخاص والاسباب التي تدفعهم الى اللجوء وتوفير ضمانات اكثر فاعلية لحماية هولاء والمشاركة الدولية لمعالجة هذه المشكلة الدولية وتحد من تفاقمها وخطورتها .

٢ — ضرورة اعادة انشاء «المنظمة العالمية للاجئين» التي سبق وأن انشأتها الامم المتحدة عام ١٩٤٦ . فوجود اعداد هائلة من اللاجئين وفي جميع قارات العالم والذين يزيد عددهم في الوقت الحاضر على (١٠) ملايين لاجيء يملي بالضرورة وجود جهاز دولي (أو منظمة دولية) لها القدرة على معالجة مشاكل وظروف هذا العدد الكبير وأن تكون لها من السلطات والصلاحيات ومصادر التمويل بمقتضى ميثاق انشائها ما يؤهلها للقيام بهذه المهمة .

أن الجهاز الدولي الموجود حالياً وهو «المفوضية العليا للاجئين» هو أداة ضعيفة ولا تمتلك من الصلاحيات ومصادر التمويل (تعتمد أساساً على المساهمات الطوعية) شيئاً يستحق الاشارة اليه أو التقييم . ان المفوضية حددت بالأشراف ومراقبة ظروف تطبق الاتفاقيات الدولية المتعلقة باللاجئين ، ورفع تقارير حول ذلك . ولهذا فلا غرابة في ان نلاحظ أن تقف هذه الاداة عاجزة عن معالجة هذا العدد الضخم من اللاجئين والموزعين بشكل أساس في كل من أفريقيا ، آسيا ، امريكا الجنوبية .

٣ ـ ويبقى موضوع معالجة الأسباب التي تؤدي الى اللجوء أمراً يأتي في مقدمة أية جهود دولية في سبيل حل مشاكل اللاجئين . فالقضاء على العنصرية ومحاربة السياسات الاستعمارية وحل النزاعات الاقليمية ، وتعزيز احترام حقوق الانسان ، وزوال الأنظمة الدكتاتورية ، كلها مسائل تؤدي الى التقليل من حدة هذه المشكلة بأتجاه حلها .

٤ ـ أن أوضاع اللاجئين يمكن وصفها بالمأساوية ، وأن العديد من اللاجئين يتعرضون للقصف والاعتداءآت والملاحقة من قبل دولهم التي ينتمون اليها بجنسياتهم دون أن تنالهم أية رعاية أو أهتمام دولي ، كما أن هناك دول أخذت تفرض على اللاجئين على أراضيها ممارسات يحضرها القانون الدولي كمحاولة أجبارهم على الانخراط في صفوف قواتها المسلحة . أو استخدام تلك الاعداد من اللاجئين في حروبها العدوانية التي تشنها ضد غيرها من الدول ، كما هو الحال بالنسبة للنظام الايراني في تعاملهم مع اللاجئين الافغان .



الهوامش

(١) زهير الزوادي – اللاجئون في العالم – مجلة اليوم السابع ، باريس ، العدد٦٤ في٢٩ – ٧ – ١٩٨٥، ص٢٧ –

– وثائق المؤتمر العالمي الثاني حول اللاجئين في أفريقيا المنعقد في جنيف للفترة من ٩ – ١١ تموز ١٩٨٤ .

– نوار عبد الوهاب – حقوق الانسان – دراسة في افريقيا – رسالة ماجستير غير منشورة كلية القانون والسياسة ، بغداد ١٩٨٥، ص١٢٣ .

(٢) للمزيد من التفاصيل انظر :
ضاري رشيد السامرائي – الفصل والتمييز العنصري في ضوء القانون الدولي العام . منشورات وزارة الاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٣، ص٢٤١٩ .

(٣) أنظر : مجلة الوطن الكويتية – العدد ٨٤٤ الصادر في ١٩٨٤/١/٧، ص٣٤ – ٣٥.

(٤) للتفاصيل انظر :
رينيه جان دوبوي – القانون الدولي العام – ترجمة الدكتور سموحي فوق العادة ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، ص٤٩ – ٥٣ .

(٥) انظر : زهير الزوادي – اللاجئون في العالم – المصدر السابق – ص٢٧ .

(٦) لابد من التنويه الى ان أسناد رئاسة المفوضية العليا للاجئين الى الدكتور نافستان كأول رئيس لها – أثر ايجابياً على عمل المفوضية ونشاطها ، ويعود اليه الفضل في استحداث وثيقة السفر الدولية الخاصة لكل لاجيء كما أن الشخص الذي اعقبه في رئاسة المفوضية ، وهو انستاز نيكولاس بولتيس ، وهو رجل قانون ، شغل منصب وزير الخارجية اليونانية ، والذي اصبح فيما بعد سكرتيراً لعصبة الأمم عام ١٩٣٢، ورئيس معهد القانون الدولي عام ١٩٣٧، لم يكن اقل من سلفه نشاطاً ، فقد عمل على توسيع مفهوم اللجوء ليشمل وصف اللاجئين اوسع الجماعات ، لأجل شمولهم بالضمانات الدولية .

(٧) انظر :
United Nations: V.N and Human Rights Sales, No. E. 78, New york, P 74

(٨) تنص المادة (١٤) من الاعلان العالمي لحقوق الأنسان على أن :
١ – لكل فرد الحق في أن يلجأ الى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء اليها هرباً من الأضطهاد.
٢ – لا ينتفع بهذا الحق في المحاكمات المستندة الى جرائم غير سياسية أو اعمال مخالفة لاغراض ومبادىء الأمم المتحدة .»

(٩) راجع نص الاتفاقية :

Brownlie: Basic Documents on Human Rights, Clarendon press, Oxford, 1971, pp. 135–152.

– كذلك :

S–A.KHAN: Right of Asylume and Article 14 of U.N. D. of human rights, . Com. J. No. 5, march 1970, p32.

(١٠) راجع النص :

Brownlie: Basic Documents on African affairs, Oxford press, London, 1971, p. 20.

– وأنظر نص التعريف في رسالة نوار عبد الوهاب – حقوق الانسان في افريقيا – مصدر سبقت الأشارة اليه – ص١٢١ .

(١١) لكي يكون التعريف اكثر شمولا، لابد ان يشمل جميع حالات اللجوء الاقليمي التي تنجم عن حالات قهرية ، تضطر الأنسان للألتجاء الى دول اخرى .

(١٢) أنظر : الدكتور علي صادق أبو هيف – القانون الدولي العام – الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية ط١٢، القاهرة ١٩٧٥، ص .

(١٣) S.A.KHAN: Right of Asylume, and Article 14 of U.N. D., Op Cit, p. 32.

(١٤) كان النص الأولي الذي صاغته لجنة حقوق الانسان عام ١٩٤٧ تنص «من حق كل شخص.. ازاء الاضطهاد – ان يحاول اللجوء الى بلدان اخرى وان يحصل عليه ... » وعند مناقشة مشروع الاعلان في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، عدل هذا النص فأستبدلت عبارة « أن يحصل عليه بعبارة أن ينتفع بهذا الحق » . أي ان النص الحالي بعد التعديل يحق لكل شخص ان يحاول اللجوء وينتفع بهذا الحق ولكن الحصول عليه ليس من حقه لان هذه النقطة بالذات تتوقف على ادارة الدولة التي يلجأ اليها .

انظر .. S.A.KH, op cit 33

(١٥) انظر قرارات الجمعية العامة : ١٨٣٩ (د–١٧) لسنة ١٩٦٢، ٢١١٠ (د..٢٠) لسنة ١٩٦٥، ٢٢٠٣ (د–٢١) سنة ١٩٦٦. كذلك تقارير الأمين العام عن اعمال الجمعية العامة لدورات انعقاده التاسعة عشرة والعشرون والحادية والعشرون .

(١٦) صدر اعلان حق اللجوء الاقليمي بالقرار رقم ٢٣١٢ في ١٤ كانون الثاني لسنة ١٩٦٧ في دورة انعقاد الجمعية العامة الثانية والعشرين ..

– انظر نص الاعلان : محمد وفيق أبو أتلة – موسوعة حقوق الانسان .

(١٧) راجع نص الفقرة الاولى من المادة الثالثة من اعلان حق اللجوء الاقليمي .

(١٨) Unitnd NatioPs: U.N and Human Rights, op Cit, p 74 .

(١٩) انظر المادة الرابعة من الاعلان المذكور .

(٢٠) أنظر : United Nations, op Cit, 74:

(٢١) جاء في الرأي النهائي للجنة القانونية في سكرتارية الأمم المتحدة بشأن ماقدمته لجنة حقوق الانسان عام ١٩٦٢ عن اهمية مصطلح الاعلان Declaration في تطبيقات الأمم المتحدة أن الاعلان يعتبر وثيقة رسمية مهمة حيث يستخدم في حالات نادرة في تطبيقات . الأمم المتحدة عندما تنشأ بموجبه مبادىء ذات استمرارية وذات اهمية : لايعتبر الأعلان بمثابة المعاهدة الدولية من حيث قوته ، ولكن بالنظر لمكانته وأهميته فمن الممكن النظر اليه فبأسم الهيئة التي اقرته ، وثقتها وتوقعاتها القوية بأن اعضاء المجتمع الدولي سوف يمنحونه مساندتهم ، ومن الممكن ان يتحول الى جزء من العرف الدولي عن طريق تطبيقات الدول راجع : — د. اسماعيل علي السيد — النظرية العامة لقرارات المنظمات الدولية — القاهرة ١٩٧٥ ص٢٩٤ — ٢٩٥ .

(٢٢) راجع النص . —

Brownlie: Basic Documents on Human Rights, Clarendon press, Oxford 1971, pp 135–152

(٢٣) الجرائم ضد الأنسانية والجرائم المرتكبة ضد السلم ، هي جرائم الحرب ، جريمة أبادة الجنس البشري ، ألقرصنة ... الخ

(٢٤) المادة الخامسة عشرة من الأتفاقية .

(٢٥) راجع المواد ١٦ — ٣١ ، في مؤلف براونلي المشار اليه .

(٢٦) للمزيد من التفاصيل أنظر :

– Wies, P: Territorial Asylnm, Indian Journal of International Law, No. 6, 1966. p. 174.

– Vries, H.P. and Novas. J: Territorial Asylum in the A-Americans Latin, Law and practivce of Extradetion, Revista Jurdica Internatica Pa–No. 5. 1963, pp 161–162

(٢٧) أنظر : زهير الذوادي – اللاجئون في العالم – المصدر السابق – ص ٢٨ .

(٢٨) راجع : د. منى عبدالجبار – المنظمات الدولية ومشكلة اللاجئين في أفريقيا ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٢٤ — ٢٥ .

(٢٩) أنظر : مجلة النهضة الكويتية العدد ٨٤٤ في ١٩٨٤/١/٧ .

(٣٠) أنظر : د. منى عبدالجبار – المصدر السابق – ص ٢٥ .

(٣١) راجع النص في مؤلف :

Brownlie, Basic Documents on African affairs, Op Cit, p20.

(٣٢) الأحصائيات مأخوذة عن الأمم المتحدة – آب ١٩٨٢ ، وهي بالتالي ليست دقيقة الان لأن اعداد اللاجئين تزايدت خلال السنوات الأربع الماضية ، وبالأخص في أفريقيا وآسيا ، لا سيما اللاجئين الايرانيين والأفغان ، ومن دول جنوب شرق آسيا .

(٣٣) يوجد ٢٢٩،٧٢٩ من الخمير لا يعترف بهم كلاجئين يعيشون في مخيمات خاصة على الحدود بين كمبوديا وتايلند .

(٣٤) مأخوذ عن تقرير دي فليت الالمانية الغربية في ١٩٨٤/١١/١٦ .

(٣٥) الأرقام مأخوذة عن U.S. Nervs world Report كما أوردتها صحيفة الـوطـن الكويتية في عددها ٣٢٩٤ في ١٩٨٤/٤/٢٣




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

النواعير الاروائية ومحطاتها في اقليم اعالي الفرات في العراق
شاهد جغرافي من التاريخ وللتاريخ

الدكتور سعدي محمد صالح السعدي
كلية الاداب / جامعة بغداد



المقدمة

تتضاءل والى حد التعادم كافة انواع وسائل الري الحديثة امام شموخ الدواليب المائية ومحطاتها – النواعير – عندما تتحقق المقارنة الموضوعية بين النواعير ومحطاتها وبين اكبر محطات الري الحديثة . فاذا كانت وسائل الري الحديثة درجة متقدمة في سلم التطور الحضاري ، فان النواعير ومحطاتها تمثل درجة خلفية في هذا السلم . وبذلك يصبح الشكل الحديث لوسائل الري نتاج التراكم بينما تصبح النواعير ومحطاتها اساس التراكم ذاته الانسان في العصور الغابرة ، وقبل ان يقف ويستعمل المصادر المتعددة للطاقة الفعالة كالكهرباء واستعمالاته ومن دون ان يمتلك الاجهزة والوسائل العلمية الحديثة ذات الفعل الجبار ، اقام صرح محطات النواعير على ضفاف الفرات التي قاومت الطبيعة بشموخ جبار دون ان تنهار امامها ، ولوانها انهارت في النهاية امام الاهمال وضعف الشعور بالمسؤولية نحوها والذي بدأ في العصر الحديث وعلى وجه التحديد امتداداً لعهد التدخل الغربي وبالاخص – الانكليزي ، في التحكم ليس في شؤون البلاد الاقتصادية والاجتماعية

فحسب وانما في تركيب المواطن الفعلي والنفسي وكنتيجة لذلك السلوك ، تجاه الحقائق والمخلفات الحضارية العظيمة في وادي الرافدين ومن بينها محطات النواعير الاروائية في اقليم اعالي الفرات .

كنت اتصور وأنا في سن الفتوة حيث انام على موسيقى النواعير واستيقظ عليها ، اشرب من مائه واستعمله مدرجاً لمسبح طبيعي ، واقضي بمساعدة رذاذه على قيلولة نهار الصيف

كنت أتصور انه – اي الناعور – كان يغني لي وللمستقبل ، للحياة الخضراء الآمنة ، للخير والبركة ، كنت اتصوره بعزف موسيقي ترقص عليها ارواح الاجداد ، ولم اكن اتصور – كما انا اليوم – انه كاد يبكي حاله حيث كان يعرف انه بلغ مرحلة الشيخوخة السائرة الى نهايتها بعد ان عاش اطول فترة شباب استمرت عشرات القرون دون اي امل في البناء .

ولم تكن شيخوخته بسبب اصابته هو بمرض عضال ولكن بسبب المرض العضال الذي اصاب من يهتم به وليس هروباً منه امام بديل ميكانيكي ملوث للبيئة في الصوت والدخان ومستهلك للطاقات والجهود كما يعتقد بعض المتحذلقين في تفكيرهم الحضاري . ويكفيه فخراً أنـــــه :

١ – صناعة وطنية كاملة ١٠٠ ٪ في تصميمها ، ومواد بنائها .

٢ – انه مصنوع بانسجام تام ١٠٠ ٪ من الخشب دون ان تشوه بنائه قطعة واحدة غريبة عنـــــه .

٣ – تتجسد فيه نظريات في الهندسة وفي الفيزياء كثيرة جداً ومطلوب من المختصين في هذه الحقول دراستها . (التصميم ، مواد البناء ، طفو الاخشاب) وعلوم اخرى كالكيمياء والتحليل الكيميائي لمادة «النورة» وتعاملها مع المـــــاء .

٤ – انه استجابة حضارية لنوع ولفعل البيئة وقدرة جبارة لتكييف الطبيعـــة واخضاعها لارادة الانسان، ومطلوب من المؤرخين اجراء التحقيقات القادرة على تقديم البراهين .

٥ — هو شاهد على عظمة وقوة الانسان وقدراته الخلاقة وطول نفسه واصراره وعناده ، شموخه وتواضعــه (*).

Water resorsces management may be takein The modific-ationof the hydrological cycle for the benefit of man kind)(١)

ماهي هذه الظاهرة وماعلاقتها بالظواهر الجغرافية الطبيعية والبشرية؟ .

ماهي متطلباتها الاروائية irrigation requirements. ؟ كم من الظواهر الجغرافية على علاقه بهـــا؟ وأسئلة كثيرة يجيب عليها هذا البحـــث .

القطاع الزراعي في اقليم اعالي الفرات من زاوية علاقته بالنواعير

لقد أكدت احصائيات عام ١٩٧٧ ان العاملين في القطاع الزراعي يمثلون المرتبة الثانية بعد العاملين في قطاع الخدمات ، حيث يشكلون نسبة ٩ , ٢٠ ٪ بينما يشكل العاملون في قطاع الخدمات ٨ , ٤٤٪ ، انظر الجدول التالي (١)



(1) Douglas, Ian (1973), Water resources, Evaluation the Human Environment, P. 57.

(*) شاهداً على قدرات الانسان في تحقيق التحويرات الضرورة على الدورة المائية الطبيعية ، التي انجزها انسان هذا الجزء من العالم من حيث موقع المياه ، ونقل المياه الى حيث بالامكان استعمالها ، لصالح الانسان في استغلال الأرض واعتماد انتاجها لاغراض العيش والتبادل . ان رفع الماء من مجاري نهر الفرات الى الأراضي المحيطة به والتي ترتفع عن مستواه عدة امتار كان المصدر الوحيد لري تلك الأراضي واستثمارها في الوقت الذي . لم تكن هناك أية وسيلة اخرى يمكن بواسطتها رفع المياه الى مناسيب اعـــلى لاغراض الزراعة وهذا هو الابداع الانساني في الادارة المائية .

(١) الجمهورية العراقية ، وزارة الري ، اشراف وزارة التخطيط : التقرير النهائي ، تخطيط اقليم اعالي الفرات واعادة اسكان اهالي خزان حديثة ، الصفحة (١٦—٥) خلاصة تقريري المرحلتين الأولى والثانية ، Planner ، مكتب التخطيط والعمارة والبحوث بغداد ، تشرين الثاني ١٩٧٩ .

جدول رقم (١)

القوى العاملة في اقليم اعالي الفرات عام ١٩٧٧ .

القطاع	القوى العاملة بالآلاف	٪
الزراعة	١٤,٤	٢٠,٩
التعدين	١,٩	٢,٨
الصناعات التحويلية	٣,٠	٤,٤
الانشاء	١١,٩	١٧,٣
الكهرباء والماء والغاز	٠,٤	٠,٦
النقل والمواصلات	٢,٧	٣,٩
التجارة والفنادق	٣,٢	٤,٦
المصارف والتمويل	٠,٥	٠,٧
الخدمات	٣٠,٨	٤٤,٨
المجموع	٦٨,٨	١٠٠,٠

وحسب التعداد الزراعي لعام ١٩٧١ كانت المساحات الزراعية المروية قد بلغت ١٥٩٦٢٨ دونماً بينما كانت الاراضي الديمية خارج حوض النهر قد بلغت حسب نفس الاحصاء ٣٢٤٢٤ دونماً . (١) انظر الجدول التالي .

القضاء	المساحات المروية دونم	المساحات الديمية دونم
الرمادي	٨٥٢١٢	٦١٠٢
هيت	٣٩٤٤٢	١٠٦١
حديثة	١٠٥٥١	٥١٢٨
عنه	١٢٧٦١	٦٥١٦
القائم	٢١٦٦٢	١٣٦١٧
المجموع	١٥٩٦٢٨	٣٢٤٢٤

(١) المصدر السابق ، صفحة (١٩-٠)

مركز محافظة
قضاء
المضخات
الامطار
النواعير
السيح

القائم
عنه
حديثة
هيت
الرمادي

دور النواعير بين وسائل الري الأخرى في أقاليم أعالي الفرات

ان حداثة عهد استعمال المضخات في الري من اقليم اعالي الفرات وفي العراق كل بل وفي العالم اجمع بالقياس الى عمر الزراعة الاروائية في اقليم اعالي الفرات ، يلقي ضوءاً واضحاً على عظم الدور التاريخي الذي لعبته النواعير في الحياة الزراعية عبر آلاف السنين .

واذا كانت نسبة الاراضي الزراعية المروية بالنواعير قليلة بالمقارنة الى المساحات المروية بالمضخات في عام ١٩٧١ (انظر الجدول رقم)(٣)،وهي اليوم أقل بكثير جداً مما كانت عليه عام ١٩٧١، ان لم يكن عهد الارواء بواسطة النواعير قد انتهى في هذا الاقليم فان ذلك لايقلل بأي شكل من الاشكال من عظمة الدور التاريخي الذي لعبته النواعير في الزراعة الاروائيـــة في اقليم اعالي الفرات .

التوزيع الجغرافي للنواعير والعلاقة بالظواهر الجغرافية الطبيعية

توجد في منطقة اعالي الفرات ٥٥٠ دولاباً مائياً «ناعور» حسب الدراسات الميدانية والمسوحات الحقلية التي قامت بها وزارة التخطيط عام ١٩٧٢ لم يبق من هذا العدد في الوقت الحاضر مايستحق الذكر سوى المحطات الواقفة بشموخ على طول امتداد جانبي نهر الفرات في اقليم اعالي الفرات، كما ان الرقم الاحصائي المشار اليه اعلاه لايمثل بالضرورة الحد الاعلى الذي بلغه عدد النواعير في الاقليم ،مثلما لايمثل في الوقت الحاضر اكثر من حقيقية تاريخية اروائية وكان هذا العدد من النواعير يساهم بنسب مختلفة في مقدار الدور الاروائي الذي يلعبه في الاقليم والممثل بالجدول التالي.

(١) جدول نسب الادوار الاروائية التي تلعبها وسائل الري المختلفة في اقليم اعالي الفرات موزعة حسب الاقضيـــة: (٢) .

القضاء	السيح ٪	المضخات ٪	النواعير ٪	الامطار ٪
الرمادي	٥	٨٨	١	٦
هيـــت	—	٧٦	١٤	٤
حديثـــة	—	٥٦	١	٣٢
عنه	—	٥٨	٧	٣٤
القائـــم	—	٦٠	—	٤٠

(١) الجمهورية العراقية — وزارة الري ، التقرير الرئيس—المرحلة الاولى تخطيط اقليم اعالي الفرات واعادة اسكان اهالي خزان حديثة— صفحة ٦٦—٦٨ ، بغداد ، كانون الاول ١٩٧٨ .

(٢) نفس المصدر ص٦٧

ومع ان الجانب الكمي في دور النواعير كما يظهر في الجدول اعلاه ضئيلاً بالقياس الى دور وسائل الري الاخرى، فانه لايعبر الا عن جزء بسيط من الحقيقة الكامنة خلف الارقام والتي تشير عليها الدلائل التاليـــــة: .

١ — ان جميع اراضي اقليم اعالي الفرات كانت تعتمد على النواعير بالدرجة الاولى .

٢ — ان البحث بصدد تقييم الدور النوعي حضارياً وتراثياً للنواعير وهو ماسوف تأتي عليه الاجزاء القادمة من البحث .

٣ — تبلغ مساحة الاراضي المروية بالنواعير في اقليم اعالي الفرات اكثر من ٧٨٠٠ دونماً في (١) عام ١٩٧١ وهي مساحة لابأس بها بالقياس الى ان هذا الاحصاء جاء في وقت كانت سيرة بالنواعير في الارواء في مرحلة ذبولها وتدهورها.

والنواعير عبارة عن شكل هندسي مصنوع كلياً من الاخشاب ذو شكل دائري منتظم يتكون من الاجزاء التاليـــة:

١ — «العابر» وهو قضيب خشبي ضخم يمثل الساق الرئيسي لشجرة التوت بطول يتراوح بين ٤ — ٦ أمتار ، ويمثل المحور الافقي الذي ترتكز عليه اجزاء الناعور الاخرى ويلعب دور الحامل الذي يرتكز على البناء الضخم الذي يمثل القوائم الرئيسة في محطة النواعير المبنية بالصخور من الحجم الكبير نسبياً ومادة النورة كمادة ماسكة تقوم مقام مادة السمنت في عملية البناء ، ويوضع طرفا (العابر) فوق قطعتين ضخمتين من الاخشاب بحيث يسهل الانزلاق فوقها في مركز ثابت لهيكل الناعور بأكمله اثناء الدوران .

٢ — الاعواد (العوادين — جمع عود) وهي عبارة عن انصاف اقطار دائرة الناعور يثبت طرفها الضخم فوق العابر بشكل هندسي يضمن عدم انزلاق هيكل الناعور عن محوره المركزي (العابر) وتثبت بواسطة المسامير الخشبية ببعضها في تشابك ومتانـة .

٣ — اطارين دائريين متوازيين يثبتان في الاطراف الخارجية لانصاف الاقطار الخشبية الموصوفة في الفقرة (٢) اعلاه ويتكون هذين الاطارين من قطع مقوسة يتراوح طولها بين مترين وثلاثة امتار وتربط ببعضها من جهة وبالاعواد القطرية في الناعور بواسطة مسامير خشبية ايضاً .

---

(1) Alsadi, M.S. Sadi (1981), Agricultural development of the upper Euphrates Region of Iraq , Description Analysis Andg olicy, PHDP Thesis, P.258, university of Monchester (U.K.), December 1981.

٤ — الريش الخشبية (الشريحة) وهي صناعة يدوية لشكل مستطيل مصنوع من شضايا طولية من سعف النخيل تربط ببعضها على متماس من الجوانب ومربوطة بالحبال بنظام حياكة يدوية بارعة الى ثلاثة جسور طولية وثلاثة جسور عرضية ونعلق هذه الريش في الاطار الخارجي للناعور وبشكل يتعارض فيه التيار المائي الذي يدفعها فتستجوب بالنتيجة الحركة الكلية للناعور بفضل قوة التيار ، ويختلف العدد الذي يربط بالناعور من هذه الالة البسيطة حسب الظروف الطبيعية التي يقررها مستوى ارتفاع الماء بالنهر وبالتالي مقدار القسم الغاطس في الماء من الناعور و قوة التيار المائي المندفع في الممر المائي الاصطناعي الذي يقام الناعور عليه (انظر الصور المرفقة) .

اما المحطة التي يقام عليها الناعور فهي بناء ضخم يتكون من عدد من الركائز المشيدة من الصخور والتي تثبت اسسها داخل الماء وترتفع الى المستوى الذي يصبح اندفاع الماء الذي يرفعه الناعور الى اعلاها بواسطة الاواني الفخارية الذي تربط عليه وهي اواني اسطوانية مفتوحة من جهة واحدة تمتلىء بالماء اثناء دوران الناعور عندما تكون غاطسة بالماء وتفرغ الماء في اعلى المحطة عندما يصبح في القمة العليا من الناعور . ويختلف حجم المحطة وامتدادها داخل النهر حسب عدد الدواليب (النواعير) المراد اقامتها في تلك المحطة ويتذبذب عدد النواعير في المحطات من ناعور واحد الى ١٥ عشر ناعوراً« انظر الصور والشكل التالي » (١) .

العلاقة بالظواهر الجغرافية الطبيعية

يعتبر هذا الانجاز (النواعير ومحطاتها) انجازاً تاريخياً رائداً لايمكن ان يكون قد حققه انسان العراق في الازمنة الغابرة الا بعد دراسة وتجربة ووعي من جهة وسعة في الافق وقدرة على التأمل التي تتوفر بابناء الصحراء الصافية السماء التي تخلق هذا القدر من التأمل ولاغرابة في ذلك فكل انبياء الارض ولدوا في صحرائنا العربية ، فهي مناخ ملائم للابداع الفكري النظري والتطبيقي كالنواعير ، واهم الظواهر الطبيعية التي تكيف لها هذا الانجاز هي : —

١ — السهول الفيضية على جانبي نهر الفرات واكتافها المرتفعة نسبياً عن النهر الذي قام بارسالها وعن الاراضي البعيدة نسبياً عن النهر والتي كانت مجالا لترسب الذرات الناعمة

(1) Ibid, p. 127.

من الرواسب التي يحملها النهر بينما كانت الاحجام الكبيرة من هذه الرواسب قد ترسبت على حافة النهر مكونة «اكتاف الأنهار الطبيعية Natural Level (١) .

ان ارتفاع محطات النواعير اعلى من مستوى هذه الاكتاف الطبيعية بقليل وارتفاع النواعير قليلاً حوالي متر واحد ، يضمن انسياب الماء على اساس فعل الجاذبية gravity law

٢ ـ التيار النهري وتكيفه والتكثيف له : ـ

ان جميع التطورات والعناصر الحديثة في اعتماد قوة اندفاع التيارات المائية نوعاً من الطاقة واستعمالها مهما بلغ من التنوع والتطور يظل مديناً للانسان العربي في العراق الذي سبق له منذ مئات السنين ان استعمل التيار المائي في دفع الدواليب الخشبية لتحريكها الذي يتفاعل بالتداخل مع التصميم الهندسي للدولاب الخشبي ليحول هذه الحركة إلى قوة ميكانيكية ترفع الماء من النهر إلى ارتفاع يزيد على عشرة امتار حيث يصبح استعماله ممكناً في الري . وحيث ان قوة اندفاع التيار النهري تتوقف على مجموعة من العوامل ، فانها توفرت جميعها في محطات النواعير بالشكل التالي : ـ

١ ـ وجود الجسر الاصطناعي (السكر) الممتد داخل النهر ويشكل مائل يضمن حجز مياه النهر كماً ودفعها باتجاه محطة النواعير حيث تزداد قوة التيار واندفاع الماء بزيادة كمية المياه المتوجهة اصطناعياً نحو محطة النواعير انظر الشكل .

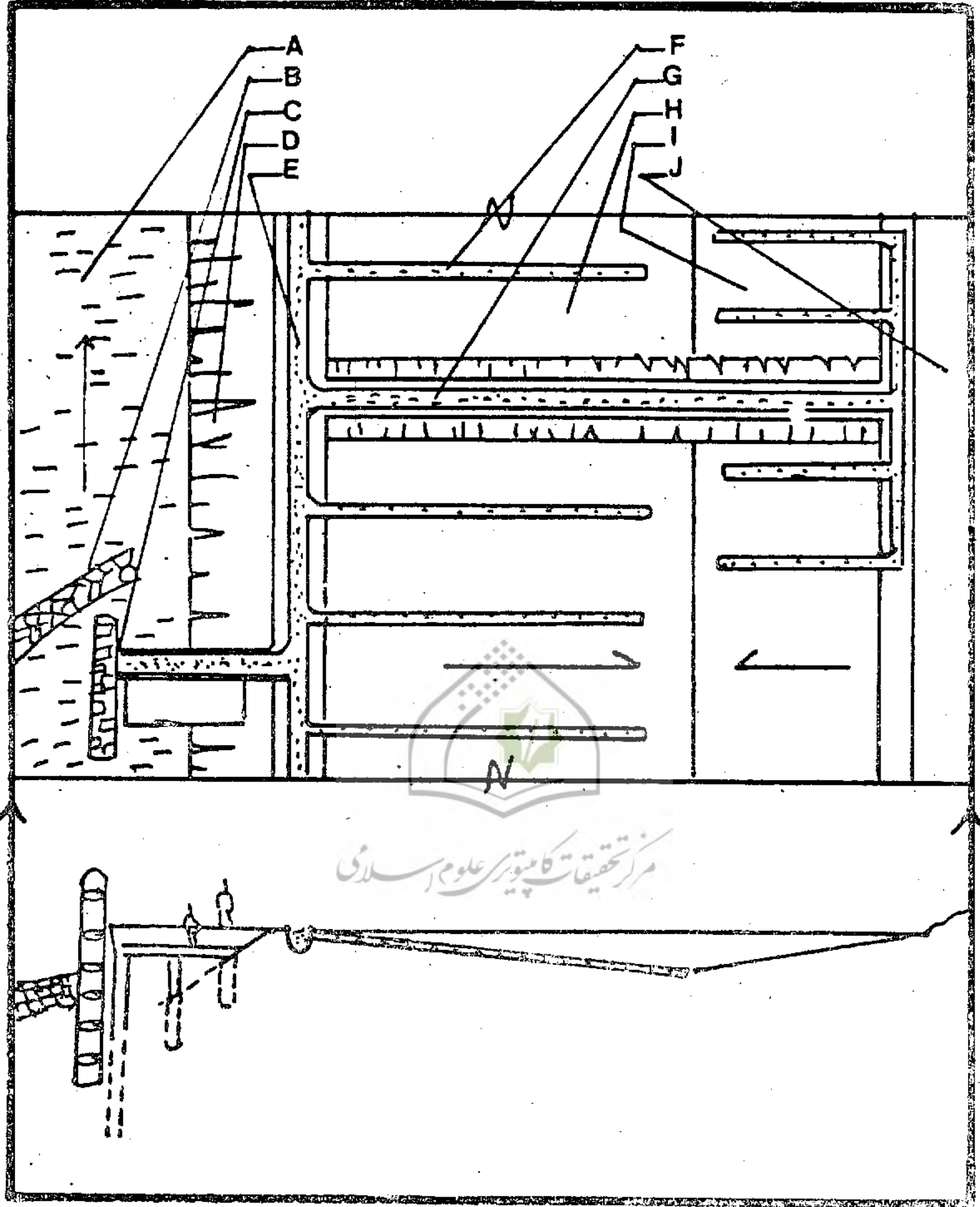
٢ ـ بناء ممر مائي ضيق محصور بين قائمين عموديين ضخمين في هيكل محطة النواعير حيث يتحرك بينهما الناعور بفعل الماء المندفع بينهما (السيب) .

٣ ـ عملية التعميق الاصطناعية (الكري) للمجال الذي يشغله الناعور تتم باستمرار بواسطة القوى البشرية لضمان سرعة دوران الناعور من خلال سرعة اندفاع التيار المائي.

٤ ـ استمرار القدرة في التحكم بالسرعة زيادة او نقصاً حسب مجموعة هذه الظروف الطبيعية المكيفة بزيادة عدد الريش (الشرائج) المشار اليها اعلاه عند انخفاض منسوب الماء في النهر وبتقليلها عن ارتفاع مستوى الماء في اوقات الفيضان .

---

(1) Stratler, Aethurn . (1951) Physical Geoqraphy (Third Edition, P 451 united stat of America 1954.



A.	River	F.	Secondary Canal
B.	Artificial Rocky Dam	G.	Transferring Canal
C.	Water wheel	H.	Irrigation phase
D.	River bank	I.	Stony phase
E.	Main distribution canal	J.	Edge of desert.

مخطط نظام الري التقليدي بواسطة النواعير في منطقة اعالي الفرات

Traditional irrigation method by water wheels in the Upper Euphrates Region.

المتطلبات الاروائية : Irrigation Reqirements

يعتبر الري السطحي من النشاطات التي مارسها الانسان في العراق في العصور القديمة جداً. ونحدد أهمية الري على الارض: (١) .

١ — زيادة الحاصلات وتحسين الصفات النوعية للمحاصيل .

٢ — التحكم في مواعيد البذار وجني الحاصلات في الوقت الملائم طبيعياً واقتصادياً.

٣ — تعميق الدور الذي تلعبه الاسمدة وتحقيقه بافضل صورة .

٤ — تلطيف الجو والتقليل من التأثير السلبي للتطرف الذي قد يحصل في عناصر المناخ.

٥ — تلطيف البيئة المحيطة بجذور النبات من خلال التأثير بنوع التربة المستعملة في عملية الانتاج .

تحقق النواعير ومحطاتها كوسيلة عبقرية من وسائل الري مجموعة من الشروط الفنية والاقتصادية في عملية الري ، ندرج بعضها على سبيل الحصر لا الاطلاق :

١ — العمل الدائمي المستمر للنواعير دون توقف الا في حالات نادرة .

٢ — عدم اصابة هذه الوسيلة بعطل مركزي تترتب عليه خسائر ومضاعفات اقتصادية مثلما الحال في الماكنة الحديثة .

٣ — عدم وجود الحاجة الدائمية الى قوة مخصصة للمراقبة والمتابعة .

٤ — عدم احتياجه الى مواد احتياطية ووقود يستدعي احضارها من خارج المجال القريب جداً منه .

٥ — اجراء الترميمات عليه في فترات متباعدة وبساطة جداً واعادة بناء تتم في فترات متباعدة تزيد على بضع سنين واكثر في حالة الادامة المنتظمة لـه .

---

(1) Schwab and others, Elementory Soil and water Engineering, 2nd edition Arabic Edtion Copyright (1978)

ترجمة : الدكتورة أنجي زين العابدين والدكتور احمد طاهر عبد الصادق مصطفى (المبادىء الأولية لهندسة الارض والمياه ص٣٥٧ ، القاهرة ١٩٧٨ .

(٦) امكانية التحكم في كمية المياه الي يغذي الحقول بها وبشكل يتلاءم مع ابسط الكفاءات الفنية للفلاحين والتجارب الميدانية البسيطة كافية لتدبير أمور الري المختلفة الخاصة به .

وبالاضافة الى ماسبق الاشارة اليه من المتطلبات الاروائية لعمل ونجاح هذه الطريقة في الري تسامت عبقرية انسان وادي الرافدين في التصرف بالمياه التي توفرها محطات النواعير بشبكة من القنوات تلائم شكل الارض ودرجة الانحداروانجاهه من خلال شبكة توزيع رئيسة يوازي اتجاهها مجرى النهر يسير على الاكتاف الطبيعية له Natural level لتوزع المياه على جوانب هذه الاكتاف حيث تنحدر الارض تدريجياً باتجاه النهر من جهة وباتجاه حافة الصحراء من جهة ثانية ولكن الى حد معين وعندما تأخذ الاطراف البعيدة من السهل والاراضي الزراعية شكل الانحدار المعاكس الذي لايتلائم مع إنسياب الماء بفعل الجاذبية gravity Law أبدع الانسان العربي في العراق طريقة يوصل المياه بها الى اعلى نقطة في السهل قرب حافة الصحراء بمجرى مرتفع يتعامد مع قناة التوزيع الرئيسة ليوصل الماء الى نقطة يعود منها باتجاه النهر بفعل الجاذبية محققاً ارواء الاراضي التي ليس سهلا ايصال المياه اليها بواسطة شبكة القنوات السابقة . وتعرف هذه القناة بـ«المحولة» . انظر الشكل الهندسي (١) .

المركب الاروائي — الصناعي Irriga —Iudnstrial Complex

المركب الزراعي الصناعي : Agro—Industrial Complex نموذج متطور للمراكز الخدمية Services Centres التي تستلزمها عمليات التنمية الزراعية الحديثة التي تستطيع ان تلعب دوراً اساسياً في توفير الخدمات الضرورية لعملية التنمية (١) هذا الحديث الولادة في التجارب المتطورة ينطلق اساساً من نوع من التكامل

(1) Alsadi, M.S. Sadi (1981), Agricultural Development of the upper Eaphratis Region of Iraq Description Analysis And policy Phd thesis P. Fiq. Unversity of Manchester (U.K.) December 1981.

(1) United Nations (1979): Problems of the Agricultural Development of Less favoured Areas in Europe, p. xvii, Summary of Discussions and Recommendations, Pullished for the united Nations by Pergamon Press, Printed in Great Britain London 1979.

الضروزي بين الانشطة الزراعية والصناعية بشكل يحقق اتحاد هذه الانشطة والتقائها في نقاط مشتركة يمكن ان تلعب دوراً في تقليل النفقات من جهة وزيادة العائدات من جهة ثانية اضافة الى توفيرات أخرى في الجهود والوقت .

انطلاقاً من المواقع الميدانية المشار اليها اعلاه تمثل محطات النواعير نموذجاً ممثلاً لهذا النوع من التوافق بين الانشطة المختلفة وتلعب نفس الدور ولكن على صعيد النشاطين المتميزين الذي يمكن ان تؤديهما محطات النواعير ، النشاط الاروائي الاساسي ثم يمكن ان تلعب دوراً صناعياً آخر وقد لعبت دور معمل الطحين الحديث في طحن الحبوب وتحويلها الى دقيق معتمدة القوى المحركة لدوران الناعور مع تكييف فيزيائي لاتجاه التأثير العمودي للنواعير بتحويله الى قوة محركة افقياً للطواحين بمساعدة نظام البكرات ثم امكانية استعمال الناعور لتوليد الطاقة الكهربائية بمجرد تكييف اتجاه حركة الناعور للتأثير على المولد افقياً بالاتجاه الضروري لقيامه بفعله ، وكذلك بالنسبة لجميع انواع النشاطات المشابهة . هذا الابداع العلمي الرائع لو ادخل في مضمار العصر الحديث بمعاونة النتاج العلمي في مجالي الطاقة والتكنولوجيا لكان بالامكان تحقيق الكثير من الفوائد والتأثيرات المتبعة التي يظل من خلالها الهدف الاروائي من النواعير قائماً ولكن لايتنافى ذلك مع تحقيق تراكم في مدى الاستفادة Multi-Purpose use (١) بواسطة الاستعمال المتعدد الاغراض لمحطات النواعير . ويتعدى هذا الاستعمال ماتمت الاشارة اليه الى .

١ — تكوين مصائد اسماك نهرية Freshwater Fishing لاغراض اقتصادية او ترفيهية .

٢ — توفير اراضي زراعية محدودة على ضفاف الانهار وعلى شكل جزر صغيرة في وقت الصيهود او انخفاض منسوب الماء في النهر ، ولاغراض اقتصادية محدودة جداً او ترفيهية .

٣ — بقايا النواعير في حالة تحديدها تمثل مواد وقود محلية جيدة جداً لايحصل فيها هدر وانما يمثل اعادة استعمال المواد المستعملة لاغراض جديدة .

---

(1) Douglas Jan watr resources, Ibid p. 64.

ان جميع الاستعمالات المشار اليها كانت مستعملة وقد حققت نجاحات وفوائد لا بأس بها وخاصة ضمن الاقتصاد البدائي لسكان القرى subsistent Economy إن التكييف المحدود للمناخ الصحراوي وخاصة فترات الظهيرة القاسية ضمن ظروف غير متطورة Less developed كان قد حقق فترات قيلولة هادئة ومريحة ضمن المجالات المحدودة وفي ظلال محطات النواعير بالنسبة لكبار السن وكانت بنفس الوقت مجالاً ملائماً للسياحة والنشاطات الرياضية البدائية للاولاد والفتيان. بكل الم اقول ومن مواقع التجربة الذاتية كان عهداً ذهبياً للطفولة في القرى المتناثرة على ضفاف الفرات لقد تمكن الاخرون من تسخير البيئة وتكييفها ولو على نطاق محدود. بينما عجزت المدنية الحديثة » urbanllgahoi من توفير ذلك المناخ الحضاري . Civilized للاجيـــــال .

التوزيع الفلكي للحصص المائية :ـــ

لقد كانت ولازالت ولابد ان تستمر الضوابط والاعراف والقوانين وسيلة تنظيمية رائعة للحقوق والواجبات . وحيث ان محطات النواعير تمثل وحدة انتاجية يمكن ان يشترك فيها اكثر من مستفيد من الملاكين والمزارعين ، فقد اوجدوا الطرق التنظيمية التي تتلائم مع حركتها الدائمية ليـــل نهـــار .

١ ـــ يقوم المالك للناعور او لجزء فيه، باجراء الاعمال الترميمية الضرورية للناعور خلال فترة استفادته هو من المياه، ويحصل ذلك بشكل دوري بحيث لايحصل اي تجاوز لحقوق الغير. الا في الحالات الاستثنائية، التي يلعب التعاون بين جميع الاطراف دوراً بارزاً في تجاوزهـــــا .

٢ ـــ اعتمد في توزيع الحصص المائية في فترات متساوية .لم تكن الساعة الحديثة هي الوسيلة فيها بل كان موعد شروق الشمس وغروبها المرئيتين بالعين المجردة هما اوقات تحويل الماء من شخص لآخر، واستعمل لفظ« الفرد» لاصغر حصة في الناعور. والفرد في هذا المصطلح. اما من غروب الشمس الى شروقها اومن شروق الشمس الى غروبها (اما ليل او نهار) وحصتين تساوي فردين وهما متساويين سواء ابتداء الوجبة بشروق الشمس او بغروبها لانها تعني بالمعنى الحديث٢٤ساعة. اما اذا كانت حصة احدهم هي الاقل فرداً واحداً يعني اما ان يكون ليل واحد اونهار واحد وفي هذه الحالة يأخذ الحصة بالتناوب، مرة يكون الفرد نهار واخرى يكون ليل ، واذا حصل نوع من

التراكم لسبب او لآخر فتكون له فردان ليليين او فردان نهاريين وهكذا لم يترك اختلاف طول الليل والنهار اي فارق بين الشركـــــاء .

٣ — لقد كانت هذه التنظيمات الاجتماعية وهذه الضوابط العرفية وسائل تنظيمية كانت مصدر راحة وسلم اجتماعي خالٍ من الطمع وسبب في ولادة الشعور بالمساواة الانسانية ، كما انه انعكس على مشاركاتهم في التبعيات المرتبطة بمحطات النواعير كالقناة الرئيسة لمحطة النواعير او للمجاري الرئيسة التي تجتاز املاك بعضهم لنقل الماء الى اراضي مجاورة ، وقلما كانت تحصل عمليات التجاوز المعروفة في معظم بلدان العالم في مثل هذا النوع من المشاركة .

وتمثل هذه الاجراءات مجموعة من النظم والطرق الادارية التي لعبت دوراً كبيراً في تنظيم الري وحياة الناس خاصة في آسيا

(Water - Management problemsin Asia-water Thefts)

وهكذا تكون النواعير ومحطاتها قد خلقت نوعاً من التعاضد والتكاتف والتكـــامل الاجتماعي الذي هو ضروري جداً في العمل الزراعي بشكل خاص وفي الاقتصاد الذي سبق اقتصاد السوق (Market Economy) في هذا المجال حيث :

١ — مشاركة معظم الاعمار من ٧ سنوات وحتى مراحل متقدمة في الشيخوخة مثلاً صناعة (١) الزعانف — الريش (الشرائح) .

٢ — ان عملية انشاء محطات النواعير ضمن الظروف البدائية كانت بحاجة الى جهود جبارة لقلع كميات هائلة من الصخور لبناء هيكل المحطة او لمد الجسر الصناعي داخل النهر (السكر) اعتماداً على وسائل بدائية يلعب بها الجهد البشري دور العامل الحاكم

٣ — الصناعات اليدوية الاساسية والفرعية : اعمال التخشيب ، تجارة النواعير ، صناعة الاواني الفخارية الضرورية للنواعير (القوق — مصطلح محلي في هيت) ، صناعة الزعانف ، وصناعة آلة نقل الصخور على الحيوانات (المحمل) الخ .

٤ — وتظل شامخة النظريات الهندسية والفيزيائية التي تتحدد فيها كافة متطلبات وبناء وتشييد محطات النواعير الشامخة تناطح الماء وتيار النهر العظيم آلاف السنين دون تراجع تشيد محطات النواعير الشامخة تناطح الماء وتيار النهر العظيم آلاف السنين دون تراجع . ولو انه تراجعت ولكن ليس امام جبروت الطبيعة وضغوطها ولكن امام التقدم البشري والنشوء الانساني الذي اصاب البعض في العصر الحديث ولوان عمليات المد [illegible] تواجه اليوم عمليات الوقف والتصدي من قبل الثورة العربية المعاصرة وقواتها وقدرتها الخلاقة.

(1) Douglas Ian, water resources , Ibid, pp. 67,68.

نمط في الاستيطان الريفي

يعرف نمط الاستيطان الريفي المكون من مستوطنات ريفية مبعثرة تتكون كل مستوطنة من عدد قليل من البيوت الريفية، بأسم Hamlets ، الممثلة بالنسبة لنا بالقرية الصغيرة جداً، والنسبة العظمى من القرى المنشأة على محطات النواعير هي (١) من هذا النوع او انها نموذج غير متطور لـ Isolated farmsteads عندما تكون المستوطنة من دار او دارين اما لأكثر من مالك او العائلة ريفية كبيرة واحدة Extended Family وفي بعض الاحيان تتسع المستوطنة الريفية لعدد كبير من الدور تصبح فيه تجمعاً سكانياً بعدة مئات من المستوطنين الريفيين فتكون قرية village . ان جميع هذه الانواع من المستوطنات الريفية قائمة في اعالي الفرات بشكل متجمع في أقرب نقطة من محطات النواعير مستفيدين من المجرى الرئيسي المشترك لمحطة النواعير وبشكل يمثل حقل ودور النواعير ومحطاتها في هذا النوع من الاستيطـــــان.

النهاية الحزينة :ـــ

تماماً اشبه بالانتقال من جو صاخب لملعب كرة القدم الى هدوء مغايري وصمت رهيب في مقبرة مجاورة ،يكون الشعور العام عند الذي يقف الآن عند محطة مهجورة للنواعير في المقارنة بين هذه الوقفة الآنية وبين وقفة سابقة وقفها عند محطات النواعيــر نفسها. اطلال صامتة بعد ان كانت عبارة عن فريق موسيقي متحد ومتنوع الآلات . يتبع هذا الاحساس شعور بالالم دقيق ونوع من الخشوع الصامت امام عظمة الانسان الذي شيد هذا الصرح الشامخ لمحطات النواعير التي تقف اطلالها بعناد وتصدي وتحدي للطبيعة وللتيار المائي الضخم لنهر الفرات وكانه تقول له لقد تحديتك آلاف السنين وانا اعزف موسيقى الخير في الربوع الخضراء المجاورة اما الآن ، فليس لي الا ان اقف وأصمـــد ولكنني واثق ان الثقافة باسمة اراها واحسها قريبة جداً مع كثرة عوامل المشاغلة ، سوف تشدلني لتعود اليّ حياة جديدة وجدية تماماً هذه المرة فان جذوري عميقة في الارض لم يبلغها الجفاف بعد ، وستجدني منتزهات واماكن للراحة والاستجمام ومحطات سباحة كبرى ، واظن الموعد قريب .

(1) Pounds , Norman M.A. Ph.D. (1976), Success in Geography : Human and Region al, Pp 67–69, Richard clay (The chuacerpress) Ltd, printed inG. B, 1976.

الاستعمالات الممكنة لمحطات النواعير :

حتى يتم الانتقال في عملية الاحياء التراثي للانسان العربي في العراق من النظرية الى التطبيق ، وحتى لاتصبح هذه العملية ممارسة للشد الى الوراء وانما شداً الى المستقبل مملوءاً بالامل والطموح ، تصبح عملية احياء محطات النواعير شرطاً ضرورياً لمقدار صدق الحركة ، ومع ان الامر بحاجة الى دراسة تخطيطية اقليمية ، الا انني وان كنت اترك هذا الامر لنتائج الدراسة ، لكني من مواقع الاختصاص في التخطيط الحضري والاقليمي استطيع الجزم بان نتائج الدراسة والتحليل والتخطيط سوف تأتي ، بفوائد اقتصادية واجتماعية عظيمة (Economic Profits Social Benefits)

الخاتمة : —

ليس وداعاً للموضوع ولكنه وسيلة رائدة في الري واسلوب متطور في الادارة وعملية دقيقة في الحفاظ على التربة من الاملاح والمياه الزائدة التي تسببها عمليات الري الحديثة . وفي هذا المجال خاتمة البحث لابد تأتي الى حقيقة علمية تم البرهان عليها وهي ان التناسق والتناغم والتقارب في مستوى الوسائل والطرق والادوات المستعملة في العملية الزراعية يجب ان تأتي متلائمة مع مستوى الفلاحين ونظمهم الاجتماعية . حيث ان المصادر العلمية تشهد بان نظام التبوير (٢) (نيرو ميتر) ، وزراعة الاراضي بنظام خاص فيه تناوب فصلي من جهة ، وتناوب في نوع الحاصلات من جهة اخرى ، يعتبر عملا خلاقاً ، وابداعاً اصيلا ، وانجازاً كبيراً يمكن اعتباره افضل مايمكن من حيث ملاءمته للظروف القائمة في ظروفه المكانية والزمانية الخاصة .

وان مايعمل به الفلاحون في طرق ري وزراعة واساليب في التفكير الزراعي ، في الوقت الذي يمثل امتداد لما كان عليه منذ آلاف السنين (١) الا انه في مستوى تحقيق الفائدة الافضل من عمليات التطوير الاحادية الجانب التي امام لكونها اصابت الفلاح دون الالة والنظام او اصابت الآلة والنظام دون ان تصيب الفلاح فتعطي مردودات سيئة كثيرة لاتحصى .

(1) Burinch Dr.P. (1960), Soil and Soil conditions in Iraq P. 71, printed in Nether Lands, 1960.
(2) Ibid, P .68.

مصادر البحث

1— Alsadi Dr . Sadi Ms. (1981) , Agricultural Development Of The Upper Euphrates Region Of Iraq, A Phd. Thesis, Victoria University of Manchester (U.K.)J Centre For Urban and Regional Research, Department of Town and Country planning, December 1981.

2— Buringh Dr. P. (1960)J Soil and Soil Conditions in Iraq Republic of Iraq Ministry Of Agricultural Printe in the Netherlands, Baghdad, Iraq, 1960.

3— Dawson, John A. and Doorn Kamp John . (1973) Evaluating the Human Environment, Essays In applied geography. Printed and boumd in Great Britain at the Pitman press Bath Edward Arnold (Publishers) ltd 1978.

4— Sehwab and others, Elementary Soil and Water Engineering 2nd, Edition.

النسخة العربية .

ترجمة : الدكتورة أنجي زين العابدين والدكتور احمد طاهر عبد الصادق مصطفى ومراجعة الدكتور عبد الله زين العابدين .(المبادىء الاولية لهندسة الاراضي والمياه) . الناشر — دار جون وايلي وابنائه ، نيويورك . قامت الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية بالقاهرة ، بالاشراف على ترجمة واخراج هذا الكتاب ، ١٩٧٨ .

5— Pounds Norman MA. Ph.D. (1976): Success in Geoyraphy Human and Regional Richard clay (The Chaucer press) ltd. Printed in Great Britain by Fletcher and Son ltd Norwich 1976 .

6— Strahier Arthur N. (1951), Physical Geography Third Edition , Printed in the united states of America 1969.

٧ــ الجمهورية العراقية -- وزارة الري - باشراف وزارة التخطيط ، (١٩٧٩) : التقرير النهائي - تخطيط اقليم اعالي الفرات واعادة اسكان اهالي خزان حديثة - PLANNER - مكتب التخطيط والعمارة والبحوث ، بغداد - تشرين الثاني ١٩٧٩ .

7— United Natcins (1979)' Problems of The Agricultural Development of less-Favoured Areas in Europe, A Symposim of the united Nations Economic Commission for Europe and food and Agriculture organization, published. for the united Nations by Pergamon press, printed in Gt. Britain by page Bros (nowich) ltd, Norwich and London First edition, 1979.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نظام القيم لدى الطلبة في جامعة الموصل



عبد الخضر ناصر السواد
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

فاضل محسن الازيرجاوي
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

أهمية الدراسة :

تمثل القيم ركناً اساسياً من اركان الثقافة لاي مجتمع فالثقافة في اساسها مجموعة من الاهداف والقيم والمعايير السلوكية التي تترجم اسلوب حياة الجماعة . (غنيم 1973) ولا يمكن ان يكون هناك مجتمع دون ان تسود بين افراده مجموعة من القيم تعمل على توجيه سلوكهم وتحقيق وحدة الفكر بينهم وهي بذلك تحفظ للمجتمع تماسكه واستمراره وبالقدر الذي يتوحد فيه النظام القيمي للجماعة يتحقق الانسجام في ذلك المجتمع . (1968, Alport)

ويكتسب الفرد قيمة من خلال تفاعله في الحياة الاجتماعية ، وهو بطبيعة الحال لايكتسب كل جوانب وعناصر ثقافة مجتمعه ،فهو لايتعرض الا لعوامل وجوانب منتقاة من ثقافة المجتمع كما تمثلها اسرته والثقافات الفرعية التي يعيش فيها،وتتكون في مواقف المفاضلة هذه ، قيم الفرد وتتقرر نوعية القيم التي تحتل المرتبة الاولى من حيث اهميتها، وكلما زادت خبرات الفرد بهذه المواقف كلما نضجت قيمه واستقرت وكونت له جهازاً شبه مقنن يستخدمه في قياس وتقدير المواقف الاجتماعية والحكم على الاشياء والاحداث (عبد الرحمن ، 1969) ، فهو يعمل كموجه وقائد لسلوكه ليس في مجال التصرف الاخلاقي فحسب ، بل يقوده ايضاً الى الحياة الهادفة ذات المعنى ، ويوفر له حالة التمتع بهذه الحياة والرضا عنها ، ويمكنه بالتالي من مواجهة المصائب والمشكلات التي تعترض حياته (Jourard , 1970) .

وبالرغم من ان القيم تتغلغل في اعماق الطبيعة البشرية الا ان ثباتها هذا ليس مطلقاً اذ قد تتغير اهميتها النسبية مع نمو المجتمع وتعقده ، فقد تستبعد قيم كانت شائعة او يتغير موقعها صعوداً او هبوطاً داخل اطار النظام القيمي للافراد او المجتمع ، وقد تبنى قيم جديدة لم تكن شائعة من قبل (بكر ، 1975) (وقد يؤدي ذلك الى عدم تجانس القيم وتنافرها والى ظهور التناقضات في أحكام القيم كما هو الحال في التناقضات التي تنشأ بين الافراد في الريف والمدينة والتناقضات الواضحة بين الجنسين)(Merril، 1958) وحينما يزداد هذا التناقض والتنافر في القيم بين الجماعات فأن ذلك مدعاة لان يخلق عدداً من الصعوبات قد ترقى الى مستوى المشكلة الاجتماعية .

وتتحمل المؤسسات التربوية وفي مقدمتها الجامعات مسؤولية كبيرة في عملية التنشئة القيمية لرجال المستقبل وتوجيه مساراتها وفق اهداف محددة ،وللجامعات دورها الخاص في هذا المجال ، فهي تضم – بطبيعة تكوينها – افراداً من اصول اجتماعية مختلفة ، ومن مستويات اقتصادية وثقافية متباينة مما يحتم تباين الانظمة القيمة للطلبة المنتمين اليها واختلافها باختلاف هذه المستويات ، وهذا يدعو لان تعمل الجامعة ليس على توفير المهاد العلمي والتقني لتربية الشباب وتنمية شخصياتهم فحسب ، بل أن تعمل ايضاً على احداث التغيرات المرغوبة في المظهر السلوكي لهؤلاء الافراد وفي مضمون الافكار والاتجاهات والقيم السائدة لديهم وتوجيهها وفقاً لاهداف تربوية مرسومة تحقق بينهم التجانس

والانسجام ، ولتقيم دور الجامعات في هذا الجانب المهم اجريت بحوث عديدة استهدفت دراسة نظام القيم المميز للطلبة وكشف الاتجاهات الشاملة التي تنتظم حولها قيمهم وما قد تنطوي عليه هذه القيم من تجانس وتنافر .

وقد كشفت نتائج بعض هذه البحوث عن تجانس اكبر واتساق اعظم في اتجاهات القيم لـدى الصفوف المنتهية في الجامعات . ويمكن الاشارة في هذا الصدد الى دراسة (جاكوب Jacob) عام ١٩٦٩ عن أثر التعليم الجامعي في القيم ، اذ توصل الى ظهور تقارب كبير في سلم القيم بين طلبة كليات الاداب والعلوم والكليات المهنية (بكر 1975) كذلك قام (نيوكومب New Comb وفيلدمان Feldman عام ١٩٧٠م بتحليل نتائج عدد كبير من البحوث التي تدور حول القيم السائدة لدى طلبة الجامعات وتأثير مجتمع الجامعة والحياة فيها على هذه القيم ، وقد أظهرت النتائج ان اتجاهات القيم لدى طلبة الصفوف المنتهية تسير بصورة مضطردة نحو القيم الجمالية بينما ظهر تناقص في نمو القيم الدينية لدى هؤلاء الطلبة (البيرماني ، 1981) ومن جهة أخرى كشفت نتائج دراسات عديدة عن فروق في القيم السائدة للطلبة تعود لمتغيرات الجنس ونوع التخصص الدراسي والاصول الحضرية والريفية للطلبة ، وحالتهم الاجتماعية والاقتصادية ، ومن هـذه الدراسات تلك التي قام بها البورت وفيرنون – Alport Vernon عام ١٩٣١م لمقياسهما المعروف (دراسة القيم Study Of Value) (1956, Anastasi, & Foley) والدراسات التي قام بها Wickert, عام١٩٤٠ و Golden, عـام ١٩٤٠ و Barret عـام ١٩٤٥ عـن تأثير الخبرات الدراسية ونوع التخصص في الاتجاهات القيمية لطلبة الجامعات(1952, Dukes) كذلك قام Reddy عام ١٩٦٦ بدراسة مقارنة بين قيم طلبة الجامعات وفقاً لمتغيرات الجنس والنشأة الحضرية والريفية لهؤلاء الطلبة وقد كشفت الدراسة عن فروقات بينهم وفقاً لهذه المتغيرات (Reddy ،1966 ،) .

وفي البيئة العربية يمكن الاشارة بهذا الخصوص الى البحث المقارن الذي أجراه (هنا) عام ١٩٥٩ على طلبة الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة باستخدام مقياس القيـم (لالبورت – فيرنون – لندزي) ، وقد كشفت النتائج عن فروق بين الجنسين في القيم تعود لتفوق الذكور على الاناث في القيمة النظرية وتفوق الاناث على الذكور في القيمة الجمالية ، بينما لم تظهر فروق بين الجنسين في القيم الاخرى (هنا ، 1962) .

وفي الجامعة الاردنية اجرى (صالح) عام ١٩٧٣ بحثا حول قيم الشباب الجامعي مستخدماً مقياس القيم السابق ايضاً وقد كشفت النتائج عن ان القيمة السياسية تحتل المركز الاول بين القيم السائدة لدى طلبة الجامعة تليها القيمة النظرية كما كشفت الدراسة عن فروق في القيم بين طلبة كليات الجامعة وعن فروق دالة بين الذكور والاناث في القيم الجمالية والاجتماعية والدينية (صالح ، ١٩٧٣) .

وكذلك اجرى (الشيخ) عام ١٩٧٧ دراسة مقارنة بين الجنسين من طلاب وطالبات كلية التربية في (جامعة قطر) مستخدماً مقياس القيم السابق ذكره وقد كشفت الدراسة عن تفوق الذكور على الاناث في القيم النظرية والاقتصادية والسياسية وعن تفوق الاناث على الذكور في القيم الجمالية والدينية ولم يظهر بين الجنسين فرق دال في القيمة الاجتماعية (جابر والشيخ ١٩٧٨) وفي الدراسة الحالية يقوم الباحثان بدراسة نظام القيم المميز لطلبة جامعة الموصل والتعرف على القيم السائدة لدى هؤلاء الطلبة وما قد يظهر بينهم من فروق تعود لمتغيرات الجنس والاصول الحضرية والريفية كمحاولة لتحديد مدى الملائمة النفسية لطلبة هذه الجامعة وتوضيح جانب مهم من الاهداف التي تسعى الجامعة لتحقيقها .

اهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على الجوانب الاتية :

١ ــ القيم السائدة لدى طلبة جامعة الموصل ، والترتيب الذي تتخذه هذه القيم وفقاً لاهميتها النسبية في حياتهم .

٢ ــ الترتيب الذي تتخذه هذه القيم تبعاً لمتغيري الجنس والاصول الحضرية والريفية للطلبة.

٣ ــ الفروق في القيم بين الطلبة تبعاً لمتغيري الجنس والاصول الحضرية والريفية .

حدود الدراسة :

١ ــ تقتصر الدراسة الحالية على القيم الست التي يقيسها مقياس القيم (لالبورت ــ فيرنون ــ لندزي) وهي: النظرية الاقتصادية ، الجمالية، الاجتماعية، السياسية، الدينية.

٢ – يقتصر البحث على الطلبة(*)العراقيين في الصفوف المنتهية في كليات جامعة الموصل، للعام الدراسي ٨٣ – ١٩٨٤م، وقد اختير طلبة الصفوف المنتهية بالذات على فرض ان اتجاهات القيم لدى هؤلاء الطلبة قد بلغت حدا كبيراً من التبلور والوضوح في هذه المرحلة الدراسية.

تحديد المصطلحات :

القيم: وضعت في القيم تعاريف متعددة، فهناك من يرى في القيم نظاماً من الضغوط الجماعية لتوجيه السلوك ومن الافكار والتصورات لتأويل هذا السلوك واعطائه معنى وتبريرا معيناً (Kane ,1962) وهناك من عرفها بانها معايير اجتماعية ذات صبغة انفعالية قوية، عامة، تتصل بالمستويات الخلقية التي تقدسها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية ويقيم منها موازين يزن بها افعاله (السيد 1958) ومن التعاريف الشائعة للقيم، تعريفها بأنها سلوك تفضيلي، فهي لفظ يدل على عملية تقويم يقوم بها الانسان تنتهي باصدار حكم على شيء أو موضوع ما او موقف ما (اسكندر وآخرون ١٩٦٢) وفي البحث الحالي يستخدم الباحثان مصطلح القيمة بالمعنى الذي حدده (هنا) في دراسته عن القيم والذي ينص على ان القيم تنظيمات معقدة لاحكام عقلية انفعالية معممة نحو الاشخاص او الاشياء او المعاني سواء كان التفضيل الناشيء عن هذه التقديرات المتفاوضة صريحاً او ضمنياً، وان من الممكن ان نتصور هذه التقديرات على اساس انها امتداد بين التقبل، ويمر بالتوقف، وينتهي بالرفض (هنا , ١٩٥٩) .

نظام القيم :

يقصد به في هذه الدراسة ،مجموعة القيم المتساندة بنائياً والمتباينة وظيفياً داخل اطار ينظمها ويشملها ويرسم لها تدرجاً خاصاً يتجه من القيم الاقل اهمية الى القيم ذات الاهمية العظمى. ومن الممكن ان نتخذ من اختلاف الافراد او الجماعات في درجة الاتجاهات القيمية لديهم قاعدة اساسية لفهمهم ووصف اي منهم بنمط خاص من القيم بحسب اتجاهات القيم السائدة لديهم (Hjell, Ziegler 1976).

منهج الدراسة :

العينة :

يتكون مجتمع البحث الحالي من طلبة الصفوف المنتهية في كليات جامعة الموصل للعام الدراسي ٨٣ – ١٩٨٤م، وقد تم حصر اعدادهؤلاء الطلبة (ذكوراً وإناثاً) بالرجوع الى

(*) يستخدم الباحثان كلمة (طلبة) للدلالة على الطلاب والطالبات مجتمعين وانما ورد ذلك في البحث الحالي .

التقرير السنوي والنشرة الاحصائية لجامعة الموصل للعام نفسه. ثم اختيرت عينة طبقية عشوائية تمثل ٢٥ ٪ من المجموع الكلي لهؤلاء الطلبة في كل من كليات الجامعة كما هو موضح ادناه :

الكليات	الذكور العدد الكلي	الذكور العينة	الاناث العددالكلي	الاناث العينة	مجموع افراد العينة
الاداب	١٤٤	٣٦	٧٥	١٩	٥٥
الادارة والاقتصاد	١٦٠	٤٠	١٥٢	٤٠	٨٠
الطب البيطري	٤٠	١٠	٩	٣	١٣
الهندسة	٣٠٣	٧٥	٦٣	١٦	٩١
الزراعة	٢٤٦	٦١	٥٦	١٤	٧٥
الطب	١٢٦	٣٢	٦١	١٥	٤٧
العلوم	٢١٨	٥٥	١٣٦	٣٦	٩١
التربية الرياضية	٧٦	١٩	١٢	٣	٢٢
التربية	٣٣٦	٨٤	١٧٦	٤٦	١٣٠
المجموع	١٦٤٩	٤١٢	٧٤٠	١٩٢	٦٠٤

وقد روعي عند اختيار العينة في كل من هذه الكليات ان تمثل طلبة مختلف الاقسام العلمية فيها ، كما تم تحديد اعمار الطلبة واصولهم الحضرية والريفية بالرجوع الى اجوبتهم على الاسئلة المتعلقة بهذه الجوانب ضمن المقياس المستخدم بالدراسة.

هذا وقد تم حذف (١١) استمارة لعدم صلاحيتها للتحليل ، وبذلك اصبحت العينة النهائية للبحث تتألف من ٥٩٢ من طلبة الصفوف المنتهية لكليات جامعة الموصل وهي بذلك تمثل نسبة قدرها ٢٤٫٧٨ ٪ من افراد المجتمع الاصلي للبحث البالغ ٢٣٨٩ طالباً وطالبة.

ويبين الجدول (١) توزيع افراد العينة تبعاً للجنس والأصول الحضرية والريفية للطلبة

جدول (١) العينة النهائية موزعة وفقاً للجنس والاصول الحضرية والريفية للطلبة

الجنس	المنطقة حضر	المنطقة ريف	المجموع
طلاب	٢٤٩	١٥١	٤٠٠
طالب	١٧٩	١٣	١٩٢
المجموع	٤٢٨	١٦٤	٥٩٢

هذا وقد بلغ متوسط اعمار الطلاب في هذه العينة ٢٣,٣٣ سنة بانحراف معياري قدره ١,٦٤ بينما بلغ متوسط اعمار الطالبات ٢٢,٥١ سنة بانحراف معياري قدره ١,١.

الأداة :

استخدم في هذه الدراسة مقياس القيم لالبورت Allport, G. W. وفيرنون Vernon,P.E. وليندزي Lindzey, G. المعروف بدراسة القيم Study Of Values ويقوم هذا المقياس اساساً على التصنيف النمطي الذي اقترحه عالم النفس الالماني سبنجر في كتابيه انماط الرجال Types Of men عام ١٩٢٢ (1976 Hjell Ziegler) وقد اعتمدت في البحث الحالي الصورة التي قام بتعريبها وتعديل بعضاً من عباراتها هنا (عام ١٩٥٩ (غنيم 1973) واستخدمت في دراسات عديدة في مصر وبعض الاقطار العربية . وفي العراق اجرى عبد الرحمن) تعديلات على بعض عبارات المقياس المذكور بما يجعله اكثر وضوحاً للطالب العراقي واكثر ملائمة للثقافة التي يعيش فيها (عبد الرحمن 1976) كما عمل على التحقق من صدق المقياس المذكور وثباته . وقد اعتمدت هذه الصورة المعدلة في الدراسة الحالية ان المقياس هذا يقيس ست قيم اساسية هي : النظرية . وتتميز بسيادة الاتجاهات المعرفية والاهتمام باكتشاف الحقيقة الاقتصادية وتؤكد الاهتمامات العملية والجوانب النفعية في الحياة الجمالية وتتضمن الحكم على الخبرات من منظور الجمال والتناسق والمواءمة الاجتماعية وتتميز بميل سائد نحو محبة الناس وارضائهم واعتبارهم كغايات لاكوسائل لتحقيق مأرب اخرى وهي بذلك تؤكد الايثار والغيرية والنزعة الانسانية السياسية / وتؤكد على الميل الى السيطرة والرغبة في القوة والشهرة الدينية / وتتضمن اهتماماً بالشؤون الدينية والسعي نحوها والاهتمام بفهم ماوراء الطبيعة ومسائل الوجود والرغبة في معرفة اصل الانسان ومصيره .

هذا وقد قام الباحثان بايجاد معاملات ثبات المقياس المذكور بطريقة التجزئة النصفية بعد تطبيقه على عينة تتكون من (١٠٠) من طلبة الصفوف المنتهية في كليات الاداب والعلوم والتربية في جامعة الموصل ، ثم صححت معاملات الارتباط بين الدرجات الزوجية والفردية لكل قيمة من القيم الست باستخدام معادلة (سبيرمان براون) للتصحيح ويوضح الجدول (٢) الاتي معاملات الثبات لهذه القيم : ـ

القيم	النظرية	الاقتصادية	الجمالية	الاجتماعية	السياسية	الدينية
الثبـــات	٠,٨١	٠,٧٥	٠,٧٣	٠,٤٧	٠,٥١	٠,٧٩

وقد وجد ان لجميع هذه المعاملات دلالة احصائية عند مستوى (اقل من ٠,٠١) .

تطبيق المقياس والمعالجة الاحصائية :

استغرقت اجراءات تطبيق المقياس على عينة الدراسة النصف الثاني من شهر نيسان عام ١٩٨٤ وقد قام الباحثان بتطبيق المقياس بأنفسهم في بعض كليات الجامعة كما استعان الباحثان برؤساء الاقسام العلمية وبعض التدريسيين لتطبيق المقياس في كليات أخرى بعد التأكد من فهمهم لتعليمات الاختبار وطريقة تطبيقه .

وقد تم تصحيح الاجابات وتفريغ الدرجات الخاصة بكل قيمة من القيم الست استخراج المتوسطات والانحرافات المعيارية لهذه القيم ثم استخراج قيمة (ت) والدلالات الاحصائية للفروق بين المتوسطات تبعاً لمتغيرات البحث كما هو موضح في القسم الخاص بتحليل النتائج وقد اتخذ مستوى للدلالة الاحصائية قدره (٠,٠٥) فاقل لاعتبار الفروق القائمة بين العينتين ذات دلالة احصائية .

وفيما يلي الوسائل والمعادلات الاحصائية التي تم استخدامها في الدراسة .

١ ـ لايجاد معاملات ثبات المقياس تم حساب معاملات الارتباط بين الدرجات الزوجية والدرجات الفردية لكل قيمة من القيم الست باستخدام معاملات الارتباط لبيرسون حسب المعادلة الآتيـــة :

$$ر = \frac{ن مج\ س ص - مج\ س \times مج\ ص}{\sqrt{((ن مج\ س^{٢} - (مج\ س)^{٢}))((ن مج ص^{٢} - (مج ص)^{٢}))}}$$

حيث ان :

ر = معامل الارتباط بين نصفي الاختبار

س= الدرجات الفردية

ن = عدد افراد العينة

ص=الدرجات الزوجية

كما تم تصحيح معاملات الارتباط لكل قيمة من القيم الست باستخدام معادلة (سبيرمان – براون) الآتية للتصحيح :

$$\text{ر}_{\text{١،١}} = \frac{\text{٢} \times \text{ر}}{\text{١} + \text{ر}}$$

٢ – للتعرف على العلاقة بين ترتيب القيم بالنسبة لمتغيرات البحث تم استخراج معاملات الارتباط باستخدام معادلة سبيرمان (لحساب معامل ارتباط الرتب) : – .

$$\text{ر} = \text{١} - \frac{\text{٦ مج ف}^{\text{٢}}}{\text{ن(ن}^{\text{٢}} - \text{١)}}$$

حيث ان :

ر = معامل الارتباط الناتج .

ن = عدد القيم

كما تم استخراج مقياس (ت) لمعامل الارتباط باستخدام المعادلة الاتية :

$$\text{ت} = \text{ر} \sqrt{\frac{\text{ن} - \text{٢}}{\text{١} - \text{ر}^{\text{٢}}}}$$

٣ – استخدم اختبار (ت) لقياس مدى دلالة الفروق بين متوسطي العينتين في القيم حسب المعادلة الاتية :

$$\text{ت} = \frac{\text{م}_{\text{١}} - \text{م}_{\text{٢}}}{\sqrt{\frac{\text{ن}_{\text{١}}\text{ع}_{\text{١}}^{\text{٢}} + \text{ن}_{\text{٢}}\text{ع}_{\text{٢}}^{\text{٢}}}{\text{ن}_{\text{١}} + \text{ن}_{\text{٢}} - \text{٢}} \left(\frac{\text{١}}{\text{ن}_{\text{١}}} + \frac{\text{١}}{\text{ن}_{\text{٢}}} \right)}}$$

حيث ان :

م١ = متوسط قيم العينة الاولى

م٢ = متوسط قيم العينة الثانية

ن١ = عدد افراد العينة الاولى

ن٢ = عدد افراد العينة الثانية

ع١ = الانحراف المعياري للعينة الاولى

ع٢ = الانحراف المعياري للعينة الثانية

النتائج ومناقشتها

ترتيب القيم لدى طلبة الجامعة :

يبين الجدول (٣) قيم الطلبة مرتبة تنازلياً ، ويتضح من الجدول المذكور ان القيمة السياسية تحتل مكان الصدارة لدى هؤلاء الطلبة ، تليها القيمة النظرية ثم القيمة الدينية ثم الاجتماعية فالاقتصادية ، وتأتي القيمة الجمالية في المركز الاخير في هذا الترتيب .

جدول (٣) ترتيب القيم لدى طلبة جامعة الموصل ن = ٥٩٢

الترتيب	القسم	المتوسط
١	السياسية	٤٢,٧٩
٢	النظرية	٤٢,١١
٣	الدينية	٤١,٤١
٤	الاجتماعية	٤٠,٢٧
٥	الاقتصادية	٣٨,٣٤
٦	الجمالية	٣٥,١٣

ويلاحظ من بيانات الجدول المذكور ان متوسط استجابات الطلبة في القيمتين السياسية والنظرية متقاربة جداً ، ومن الممكن القول ان القيم السائدة لدى طلبة الجامعة تتجه نحو تعظيم شأن القوة والتأثير في الاخرين والاهتمام بالبحث عن المعرفة وتنظيمها والتعرف على ماهية الاشياء والقوانين التي تتحكم فيها ، ولاشك ان هذه الاهتمامات تعكس اتجاهاً سليماً يتسق وطبيعة المرحلة التاريخية التي يمر بها القطر ، والامة العربية ويعبر عن استيعاب الشباب الجامعي لطبيعة هذه المرحلة ومتطلباتها . وتتفق هذه النتيجة من ناحية اخرى مع ما توصلت اليه الدراسات التي اجريت في مجال قيم الشباب الجامعي

في بعض الاقطار العربية ، ومنها دراسة (صالح) في الجامعة الأردنية اذ احتلت القيمــة السياسية المركز الاول في ترتيب قيم الطلبة تليها القيمة النظرية ، وجاءت القيمة الجمالية في المركز الاخير (صالح , ١٩٧٣) وفي دراسة (هنا) في مصر جاءت القيمة الجماليـــة في المركز الاخير أيضاً (هنا , ١٩٦٢) .

ترتيب القيم لدى الطلاب والطــالبــات:

توضح بيانات الجدول (٤) ترتيب القيم لدى كل من الطلاب والطالبات ومنه يتضح ان القيمة السياسية احتلت مركز الصدارة بالنسبة لترتيب قيم الطلاب، تليها القيمة النظرية بينما احتلت القيمة الدينية مركز الصدارة في ترتيب قيم الطالبات تليها القيمة السياسية ، وقد احتلت القيمة الجمالية المركز الاخير بالنسبة لترتيب القيم في كلاالعينتين ، ولتحديد مدى الاتفاق في ترتيب للقيم لدى الجنسين تم حساب معامل ارتباط ترتب بينهما ووجد انــه يساوي ٨٣ ر. ولـــه دلالـة احصائية

جدول (٤) ترتيب القيم لدى الطلاب والطالبات

الطلاب ن= ٤٠٠			الطالبات ن= ١٩٢		
الترتيب	القيم	المتوسط	الترتيب	القيم	المتوسط
١	السياسية	٤٢,٩٦	١	الدينية	٤٢,٩٤
٢	النظرية	٤٢,٩٠	١	السياسية	٤٢,٤٦
٣	الدينية	٤٠,٦٥	٣	النظرية	٤٠,٤٦
٤	الاجتماعية	٤٠,٢٢	٤	الاجتماعية	٤٠,٣٤
٥	الاقتصادية	٣٨,٩٢	٥	الاقتصادية	٣٧,٣٠
٦	الجمالية	٣٤,١٧	٦	الجمالية	٣٦,٣٨

عند مستوى ٠٥ ر٠و (٤ درجات حرية) (ت=٩٨ر٢) مما يدل على ان هناك تشابهاً بين طلاب وطالبات الجامعة في الترتيب الذي تتخذه القيم حسب اهميتها في حياتهم.

ترتيب القيم تبعاً للاصول الحضرية والريفية لطلبة الجامعـــة :

يوضح الجدول (٥) ترتيب القيم لدى الطلبة الذين ينتمون لاصول حضرية والطلبة الذين ينتمون لاصول ريفية ،ويلاحظ من بيانات الجدول المذكور ان القيمة السياسية احتلت

المرتبة الاولى لدى كل من طلبة الحضر وطلبة الريف كما احتلت القيمة النظرية المرتبة الثانية لدى طلبة العينتين ، وجاءت القيمتين الاقتصادية والجمالية في الترتيب الاخير لدى طلبة العينتين ايضاً .

جدول (٥) ترتيب القيم لدى طلبة الحضر وطلبة الريف

طلبة الحضر ن = ٤٢٨			طلبة الريف ن = ١٦٤		
الترتيب	القيم	المتوسط	الترتيب	القيم	المتوسط
١	السياسية	٤٢,٥٠	١	السياسية	٤٣,٤٩
٢	النظرية	٤١,٧٧	٢	النظرية	٤٢,٩٦
٣	الدينية	٤١,٧٦	٣	الاجتماعية	٤١,٠٤
٤	الاجتماعية	٤٠,٠٦	٤	الدينية	٤٠,٤٧
٥	الاقتصادية	٣٨,٥١	٥	الاقتصادية	٣٨,٠٠
٦	الجمالية	٣٥,٢٨	٦	الجمالية	٣٣,٨٨

ولتحديد مدى الاتفاق بين طلبة العينتين في ترتيب القيم تم حساب معامل ارتباط الرتب بينهما ، وقد بلغ هذا المعامل ٠,٩٤ وله دلالة احصائية عند مستوى اقل من ٠,٠١ وأربع درجات حرية (ت = ٥,٥١) وتشير هذه النتيجة الى تقارب كبير بين طلبة العينتين في الترتيب الذي تتخذه القيم حسب اهميتها في حياتهم .

يمكن ان نستخلص من المقارنات السابقة ان طلبة الجامعة رغم مابينهم من فروق جنسية واختلافهم في الأصول الحضرية والريفية التي ينتمون اليها فأنهم يمثلون قطاعاً واحداً من حيث نظام القيم السائد لديهم .

الفروق بين الجنسين في القيم :

يبين الجدول (٦) الدلالة الاحصائية للفروق بين متوسط استجابات الطلاب والطالبات في كل قيمة من القيم الست التي يقيسها الاختبار المستخدم في هذا البحث ، ويظهر من هذا التحليل ان الطلاب يتفوقون على الطالبات في قيمتين هما : النظرية والاقتصادية في حين تفوقت الطالبات على الطلاب في القيمتين الجمالية والدينية ، وكانت الفروق بينهما في الحالتين ذات دلالة احصائية قوية (اقل من ٠,٠١) . وهذه النتيجة تنسجم الى حد

كبير والاتجاهات النفسية لكل من الذكور والاناث نحو الاهتمامات التي تعكسهـــــا القيم المذكورة ، ويلاحظ ان دراسات عديدة اجريت في مجال الاتجاهات والقيم كشفت عن مثل هذا التمايز بين الجنسين في الاتجاهات القيمية ، ففي دراسة البورت — فيرنون Alport – vernon لمقياسهما المعروف للقيم ظهر ان استجابات الذكور كانت اعلى في القيم النظرية .

جدول (٦) الفروق في القيم بين الطالبات والطلاب .

القيم	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	الفرق بين المتوسطات	قيمة (ت)	الدلالة الاحصائية اقل من
النظرية	طلاب	٤٢,٩٠	٦,٨٠	١,٤٤	٤,١٢٢	٠,٠٠١
	طالبات	٤٠,٤٦	٦,٥٨	—		
الاقتصادية	طلاب	٣٨,٩٢	٦,٢١	١,٦٢	٢,٩٨	٠,٠١
	طالبات	٣٧,٣٠	٦,١٢	———		
الجمالية	طلاب	٣٤,١٧	٦,٩٢	—	٣,٤٩	٠,٠٠١
	طالبات	٣٦,٣٨	٧,٧٦	٢,٢١		
الاجتماعية	طلاب	٤٠,٢٢	٥,٣٧	—	٠,٢٥	—
	طالبات	٤٠,٣٤	٥,٨٠	٠,١٢		
السياسية	طلاب	٤٢,٩٦	٥,٥٩	٠,٥٠	١,٠١	—
	طالبات	٤٢,٤٦	٥,٦٩	—		
الدينية	طلاب	٤٠,٦٥	٩,١٨	—	٢,٨٨	٠,٠١
	طالبات	٤٢,٩٤	٨,٧٣	٢,٢٩		

والاقتصادية والسياسية ،وتعكس هذه القيم ميلا شديداً للذكور الى المعرفة المجردة والفهم وتعد دافعاً الى النجاح العلمي والرغبة في الحصول على مكانة مرتفعة بينما ظهر من ناحية اخرى ان معدل استجابات الاناث كان اعلى في القيم الجمالية والدينية والاجتماعية(جابر الشيخ) كما توصل الى النتيجة نفسها Parmes Reddy ١٩٧٨ في دراستها للقيم السائدة لدى طلبة الجامعات في الولايات المتحدة.) (1966 Reddy,Parmes).
كذلك توصلت دراسة (الشيخ)في جامعة قطر الى تفوق الذكور على الاناث في القيم النظرية ، والاقتصادية والسياسية ، وتفوق الاناث في القيمتين الجمالية والدينية (جابر والشيخ ١٩٧٨.

ويلاحظ من بيانات الجدول (٦) ايضا ان متوسط استجابات الطلاب لم يختلف عن متوسط استجابات الطالبات في قيمتين هما ، الاجتماعية ، السياسية اذ لم تظهر للفروق بينهما دلالة احصائية في المستوى المطلوب ، وهي نتيجة متوقعة تعكس بوضوح طبيعة المرحلة التاريخية التي يمر بها القطر ومارافق ذلك من ازدياد في الوعي الاجتماعي والسياسي لافراد المجتمع كافة وبوجه خاص شباب الجامعات ذكوراً واناثاً على حد سواء .

الفروق في القيم بين الطلبة الذين هم من أصول حضرية والذين هم من أصول ريفية :

يبين الجدول (٧) الفروق في القيم بين الطلبة الذين ينتمون لاصول حضرية والطلبة الذين ينتمون لاصول ريفية ، ويظهر من بيانات هذا الجدول ان الفرق بين متوسط العينتين كانت ذات دلالة احصائية في قيمتين هما : القيمة النظرية اذ تفوق فيها طلبة الريف على طلبة الحضر . والقيمة الجمالية ، وفيها تفوق طلبة الحضر على طلبة الريف .

جدول (٧) الفروق في القيم بين طلبة الحضر وطلبة الريف

طلبة الحضر ن = ٤٢٨   طلبة الريف ن = ١٦٤

القيم	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	الفروق بين المتوسطات	قيمة (ت)	الدلالة الاحصائية أقل من
النظرية	حضر	٤١,٧٧	٦,٣٥	—	٢,٠٤	٠,٠٥
	ريف	٤٢,٩٦	٦,٢٩	١,١٩		
الاقتصادية	حضر	٣٨,٥١	٦,٦٣	٠,٥١	٠,٨٧	—
	ريف	٣٨,٠٠	٥,٥٦	—		
الجمالية	حضر	٣٥,٢٨	٧,٥١	١,٤	٢,١٠	٠,٠٥
	ريف	٣٣,٨٨	٦,٥٣	—		
الاجتماعية	حضر	٤٠,٠٦	٥,٥٧	—	١,٩٤	—
	ريف	٤١,٠٤	٥,٣٢	٠,٩٨		
السياسية	حضر	٤٢,٥٠	٥,٦٥	—	١,٩٣	—
	ريف	٤٣,٤٩	٥,٣٦	٠,٩٩		
الدينية	حضر	٤١,٧٦	٩,٤٩	١,٢٩	١,٥٥	—
	ريف	٤٠,٤٧	٧,٨٧	—		

وكانت الدلالة الاحصائية في الحالتين في مستوى اقل من (٠,٠٥) وتشير هذه النتيجة الى ان طلبة الريف اكثر ميلا من طلبة الحضر الى الافكار المجردة والاهتمامات العقلية والكشف عن الحقيقة بالنسبة للظروف المحيطة بهم ، في حين ان طلبة الحضر اكثر اهتماما بالمظاهر الجمالية للاشياء ، وما فيها من حسن وتناسق كما انهم اكثر ميلا لتذوق الاداب والانتاجات الفنية من طلبة الريف ، وقد تأكدت هذه النتيجة ايضا في البحث المقارن الذي قام به Reddy اذ كشفت النتائج عن ان طلبة المناطق الريفية اكثر اتجاها نحو القيم النظرية من طلبة المدن ، والمناطق الصناعية . (Reddy, Parmes 1966)

اما بالنسبة للقيم الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والدينية فلم تظهر بين طلبة العينتين فيها فروق دالة احصائيا ، مما يشير الى تقارب كبير بين طلبة العينتين في هذه القيم ، ولعل هذه النتيجة تمثل احدى مظاهر التطور الاجتماعي والاقتصادي الشامل الذي يمر به القطر في المرحلة الراهنة ، اذ تضاءلت بطبيعة الحال الكثير من الفوارق الثقافية ، والاختلافات في وجهات النظر بين الافراد في البيئتين الحضرية والريفية . يضاف الى ذلك ان الطلبة في الريف والحضر يخضعون لظروف تعليمية واحدة او متشابهة في المراحل الدراسية المختلفة قبل التحاقهم في الجامعة ، كما ان اندماجهم بعد ذلك في الحياة الجامعية وتعرضهم لتأثيراتها العلمية والثقافية المختلفة عوامل اساسية في احداث هذا التقارب .

تلخيص :

قامت الدراسة الحالية بهدف دراسة نظام القيم المميز لطلبة جامعة الموصل والتعرف على الفروق في هذه القيم وفقا لمتغيرات الجنس (طلاب — طالبات) والاصول الحضرية والريفية لهؤلاء الطلبة ، وتقيس الدراسة الحالية ست قيم تضمنها مقياس القيم المستخدم في هذه الدراسة وهي ، النظرية — الاقتصادية — الجمالية — الاجتماعية — السياسية الدينية ، وفيما يلي تلخيص للنتائج التي تم التوصل اليها .

١ — ترتيب قيم الطلبة في جامعة الموصل ترتيباً تنازلياً حسب اهميتها النسبية في حياتهم وقد احتلت القيمة السياسية المركز الاول في هذا الترتيب تليها في ذلك القيمة النظرية ثم الدينية ، ثم الاجتماعية ، فالاقتصادية ، وتأتي القيمة الجمالية في المركز الاخير في هذا الترتيب .

٢ — لم تظهر اختلافات واضحة في نظام ترتيب القيم بين طلاب الجامعة وطالباتها، كما لم يظهر مثل هذا الاختلاف بين طلبة الحضر وطلبة الريف، مما يؤكد انتماء هؤلاء الطلبة رغم اختلاف جنسهم واصولهم الريفية والحضرية إلى نظام واحد من حيث ترتيب القيم السائدة لديهم.

٣ — اتضح من المقارنة الاحصائية بين متوسط استجابات الطلاب والطالبات في القيم

(آ) تفوق الطلاب على الطالبات في القيمتين النظرية والاقتصادية، وكان للفروق في الحالتين دلالة احصائية.

(ب) تفوق الطالبات على الطلاب في القيمتين الجمالية والدينية وكان للفروق في الحالتين دلالة احصائية.

(ج) لم يظهر فرق دال احصائياً بين الجنسين (الطلاب والطالبات) في القيمتين، الاجتماعية والسياسية.

٤ — كشفت المقارنة الاحصائية بين قيم الطلبة الذين ينتمون لاصول حضرية وقيم الطلبة الذين ينتمون لاصول ريفية ما يأتي.

(آ) تفوق طلبة الريف على طلبة الحضر في القيمة النظرية وكان لهذا الفرق دلالة احصائية.

(ب) تفوق طلبة الحضر على طلبة الريف في القيمة الجمالية، وكان لهذا الفرق دلالة احصائية.

(ج) لم يظهر فرق دال احصائياً بين طلبة الحضر وطلبة الريف في القيم الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والدينية.

مراجـــع البحـــث :

١ — اسكندر، نجيب(وآخرون) قيمنا الاجتماعية واثرها في تكوين الشخصية ، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٦٢ . ص ١٠ .

٢ — بكر ، محمد الياس ، دراسة مقارنة في القيم بين طلبة الجامعة والثانوية (رسالة ماجستير) غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٧٥ . ص ٧ ، ٣٦ .

٣ — البيرماني ، كواكب صالح حميد ، الاثر القيمي لمنظمة الفتوة ، (رسالة ماجستير) غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٨١ . ص ٧٥ .

٤ — جابر ، جابر عبدالحميد ، والشيخ ، سليمان الخضري ، دراسة نفسية في الشخصية العربية ، عالم النشر ، القاهرة ١٩٧٨ . ص ٢٨١ ، ٣٢٣ ، ٢٨١ .

٥ — السيد ، فؤاد البهي ، علم النفس الاجتماعي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٨ ص٢٩٤ .

٦ — صالح ، هاني عبد الرحمن ، الشباب ، الازمة والعلاج ، المؤسسة الصحفية عمان ، الاردن ١٩٧٣. ص٦٧،٦٦ .

٧ — عبد الرحمن ، انور حسين ، علاقة الميول المهنية بالقيم لدى طلبة المرحلة. الثانوية في مدينة بغداد (رسالة ماجستير) غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩ ص٩٤ — ١٠٥ .

٨ — عبد الرحمن ، سعيد ، اسس القياس النفسي والاجتماعي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦٧ . ص١٠ .

٩ — غنيم ، سيد محمد ، سيكولوجية الشخصية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٣. ص١٠٨ .

١٠ — هنا ، عطية محمود (دراسات حضارية مقارنة في القيم في) : لويس كامل ملكية ، قراءات في علم النفس الاجتماعي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢. ص٦١٢،٦٠٤،٦١٢ .

١١ — هنا ، عطية محمود ، التوجيه التربوي والمهني ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ ص١٨٧ .

(12) Alpert, E.m., *Value System, International Encuclopedia of The Social Sciences,* Vol: 16, Macmillan Co. The Free Press, 1968. P. 288.

(13) Anastasi, Anne. & Foley J.P., *Differential Psychology.* The Macmillan Co. New York, 1956. P. 665.

(14) Dukes, W.F., *Psychological Studies Of Values,* Psycological Bulletin: Vol. 52, 1955. P.28 .

(15) Hjell, L,A, & Ziegler; D.J., *Personality Theories,* NewYork McGraw- Hill Book, Co. 1976. P. 205. P.202 .

(16) Jourard, S.M. *Personal Adjustment.* The Macmillan Co Collier- Macmilan Limited, London, 1970. P. 2[illegible].

(17) Kane, T.S. *Social Problems;* Printice- Hall Inc. 1962. P. 27.

(18) Merril: F.E.: *Society and Caltuer,* U.S.A. 1958. P. 55[illegible]

(19) Reddy, K.M. ParamesWaran, E.G.:*Somo Factors Influencing The Value Patterns Of College Students.* Psy. Abstracts, Vol. 40 No. 7.1966. P. 726, 726. 726.

التسجيل المايكروفلمي «تطبيقات عملية»

ظافر عبد القادر عبد الجبار (مدرس مساعد) مدير عام المكتبة المركزية/ جامعة بغداد

حسن النجـــار دائرة المكتبة المركزية/ جامعة بغداد

المقــدمـــــة

المصغــرات الفلميـــة : Microforms

لكون المصغرات الفلمية من التقنيات الحديثة والمهمة خصوصا في مكتباتنا ومراكز المعلومات والتوثيق في الوطن العربي ولسهولة تداولها ولسعرها المناسب اذا ماقورنت بالتقنيات الحديثة الاخرى حيث فرضت المصغرات الفلمية نفسها في الاونة الاخيرة شأنها في ذلك شأن باقي التقنيات الحديثة لما تتميز به من الخصائص التالية : —

١ — القدرة على البقاء لفترة زمنية طويلة

٢ — صغر الحيز الذي تشغله

٣ — سرعة وسهولة الاسترجاع

٤ — السرعة التامة في حفظ الوثائق والمعلومات .

كما وتعددت التعريفات لتحديد مفهوم المصغرات الفلمية اذكر منها تعريف صلاح القاضي في كتابه المرجع في المايكروفلم بانها «مساحة فيلمية ذات خصائص معينة ، تسجل عليها كمية من المعلومات تقرأ وتطبع على ورق خاص وافلام خاصة بواسطة اجهزة قراءة وطباعة معينة» (١٠) اما اشكال المصغرات الفلمية فهي متعددة ولتبسيط الشرح يمكن ان نقسمها الى

قسمين هما الاشكال الملفوفة (Roll Forms) والاشكال المسطحة (Flat Forms)
فالاشكال الملفوفة تتضمن افلام باحجام مختلفة (١٦ملم ــ ٣٥ملم ــ ٨٢,٥ملم ــ ١٠٥ملم) ولكن الاكثر استخداماً هما حجم ١٦ ملم و ٣٥ ملم . ونجد هذه الافلام ملفوفة على بكرة مفتوحة Open Reel او داخل كاسيت Cassette او كارترج Cartridge
اما الاشكال المسطحة فتتضمن « الجاكيت ــ المايكروفيش ــ البطاقة ذات الفتحة ــ الالترافيش ــ المايكرواوبك » ولكن الاكثر استعمالا المايكروفيش والجاكيت .
ويعتمد في اختيار الاشكال التي استعرضتها على عوامل متعددة اذكر منها : ــ

١ ــ مساحة الوثيقة المطلوب تصويرها
٢ ــ اسلوب الحفظ والاسترجاع المعتمد
٣ ــ طبيعة المعلومات التي تحتويها الوثائق فيما اذا كان هناك اضافة او حذف

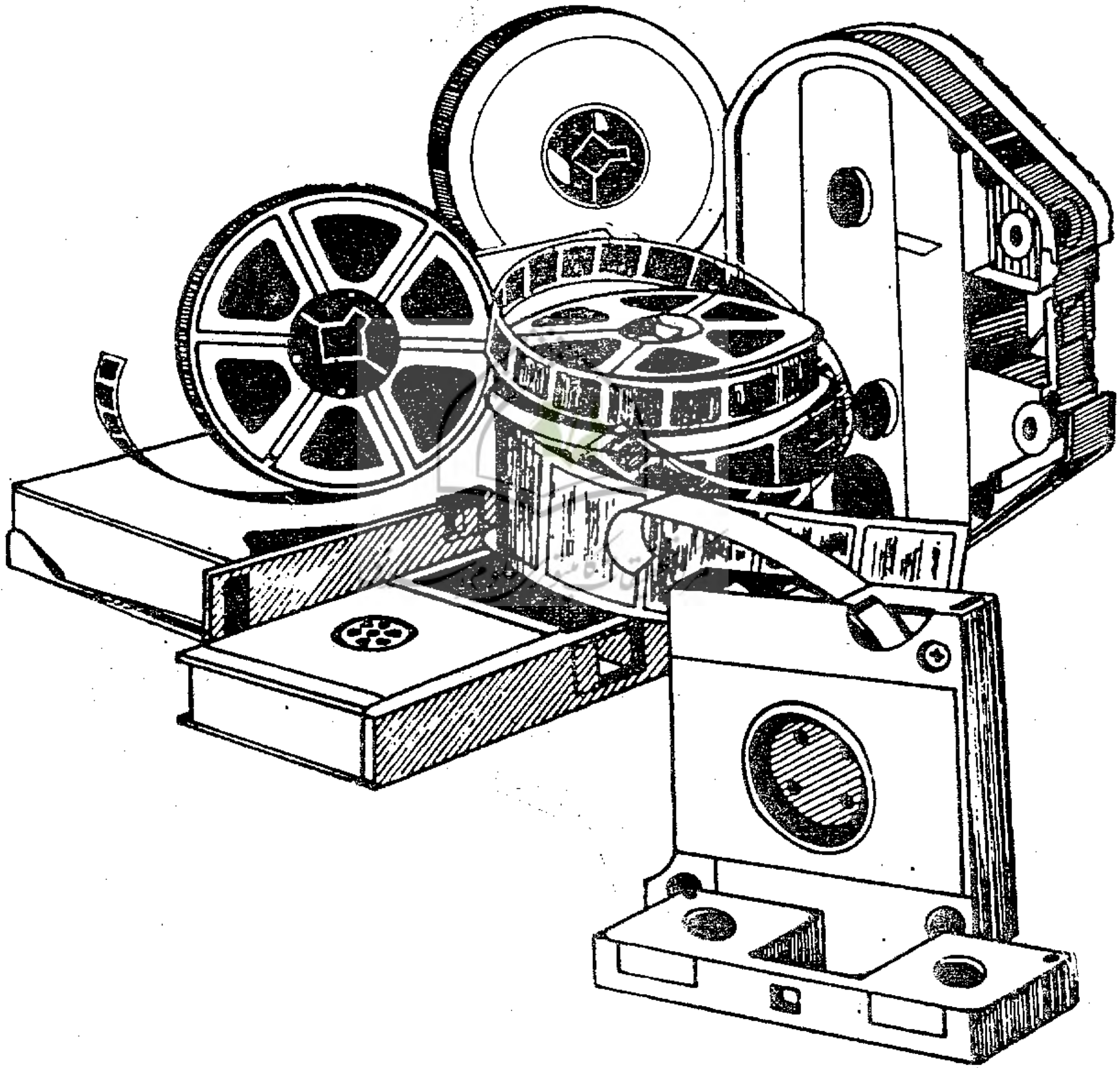
وللتسجيل المايكروفلمي اجهزة متعددة ومتباينة من حيث المواصفات وطرق التشغيل .
فللحصول على التسجيلات الفلمية المصورة تمر الوثائق المراد تصويرها عبر مجموعة من الاجهزة ودون الخوض في التفصيلات لمواصفات هذه الاجهزة اذكر منها بشكل عام :ــ

١ ــ اجهزة التسجيل (التصوير) انواع الكاميرات
٢ ــ اجهزة التحميض (المعالجة) تظهير الافلام
٣ ــ أجهزة الفحص البصري (القاريء) } يمكن ان يكون جهاز واحد يسمى قاريء طابع
٤ ــ اجهزة الاستنساخ (الطابع) }

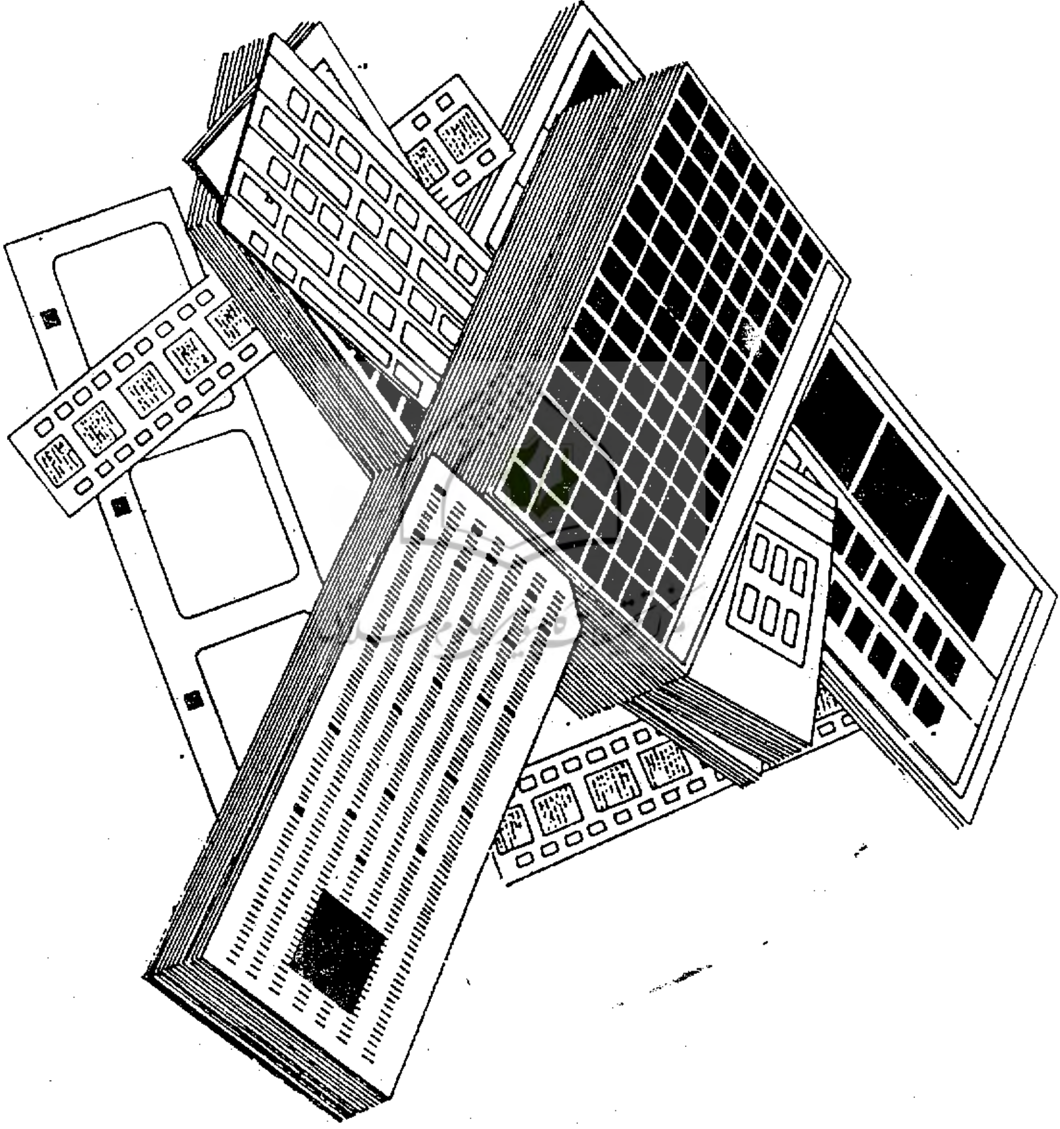
اجراءات تحويل الوثيقة الى مصغرات فلمية (مايكروفورم)

ان عملية تحويل المواد المراد تصويرها (الوثائق) الى مصغرات فلمية تمر عبر مراحل معينة وهي : ــ

١ ــ التصوير
٢ ــ التحميض
٣ ــ الفحص



الاشكال الفلمية الملفوفة



الاشكال الفلمية المسطحة

٤ ــ التقطيع والتعبئة
٥ ــ الاستنساخ

سأتطرق الى كل مرحلة على حده من الناحية العملية والتطبيقية وعدم الخوض في الشرح النظري التفصيلي لان معظم الكتب التي تبحث في موضوع التوثيق المايكروفلمي قد اسهبت وتوسعت في الشرح النظري ولكون هذه الكتب متوفرة في الاسواق المحلية سأكتفي بتقديم المراحل العملية فقط .

وقبل ان نبدأ بشرح المرحلة الاولى وهي التصوير لابد من تهيئة الوثيقة واعدادها للتصوير . وهذا يعني التأكد من اكتمال المجموعة المعدة للتصوير وعدم وجود اي نقص فيها . واستبعاد الوثائق المكررة في اجراء معين من الناحية الادارية ، وكذلك التأكد من خلو المجموعة من الصفحات المشوهه او الممزقة ثم بعد ذلك التأكد من ان شكل الوثيقة يكون مسطح ومستوى ومن ثم التخلص من كل مايعيق عملية التصوير من دبابيس او خيوط وماشابه ذلك .

التصوير

ان استيعاب عملية التصوير يجب ان تسبقها معرفة بأشكال المصغرات الفلمية وانواع الافلام المستخدمة في التصوير وكذلك الاجهزة الخاصة بالتصوير ، وطرق التصوير .
لقد تم اعطاء فكرة موجزة عن اشكال المصغرات الفلمية في المقدمة ولاحاجة لاعادة ذكرها ثانية .

اما بالنسبة لانواع الافلام المستخدمة في التصوير فهناك ثلاثة انواع ، الاول هو السلفر هلايد ، وهو الفلم المستخدم في عملية التصوير الاولى اي تحويل الوثيقة الورقية الى شكل مايكروفلمي ويسمى ذلك بانتاج الجيل الاول او الفلم الاساسي او الاصلي ويتكون من قاعدة مصنوعة من مادة السللوز مطلية بمادة بروميد الفضة او هاليدات الفضة او نترات الفضة ، اما النوعان الاخران فهما الديازو والفسكيولار .

وسأتحدث عنهما في عملية الاستنساخ لكونهما يستخدمان لذلك على وجه العموم .

هذا مايتعلق بالافلام ، اما الاجهزة فهناك نوعان اساسيان من اجهزة التصوير المايكروفلمي النوع الثابت والنوع الدوار . فجهاز التصوير الثابت يستخدم عادة لتصوير كافة انواع المطبوعات الورقية والشفافة وتتم عملية التصوير فيها يدويا لقطة لقطة ، اما النوع الثاني

فيكون التصوير فيها اوتوماتيكيا وتتاز بالسرعة وتصور عليها وجهها وظهرها كما في الصكوك والمستندات الرسمية ويكون حجمها ثابتا كذلك .

طرق التصويـــــر :

هناك ثلاثة طرق للتصوير الاولى : هي طريقة التصوير المفرد وهي بنوعين . النوع الاول عبارة عن لقطات فردية عمودية متتابعة او لقطات افقية متتابعة .

اما الطريقة الثانية هي طريقة التصوير الثنائي والتي بموجبها يتم تنصيف الفلم الى نصفين يصور على النصف الاول ومن ثم يصور على النصف الثاني من الفلم بعد ارجاعه الى البداية مرة ثانية . والطريقة الاخيرة هي طريقة التصوير المزدوج وبهذه الطريقة يتم تصوير وجهي الوثيقة في آن واحد وبشكل متجاور على عرض الفلم .

عمليـــة التصويـــــر :

بعد أن قمنا بتعريف موجز بالاشكال والانواع والاجهزة وطرق التصوير اصبحنـا الان مهيئين للبدء في عملية التصوير الفعلية والتي ستكون حسب الخطوات التالية :

١ — ملاحظة تاريخ انتهاء الفلم والمثبت على غلافه .

٢ — عدم استعمال الفلم مباشرة عند اخراجه من مكان الحفظ (المكان البارد) . لان كونه محفوظ في درجة حرارة منخفظة يجعله قليل التحسس .

٣ — قراءة مقياس جودة الاضاءة للقطة : لان هناك وثائق متشابهة عند التصويـر او قد تكون مختلفة باحجامها والوانها .

٤ — ترك مجال قبل البدء في التصوير في بداية الفلم .

٥ — التأكد من كون الوثيقة مسطحة ومستوية .

٦ — يفضل تدوين المعلومات الخاصة بتصوير الوثائق في بداية الفلم : —

(آ) عنوان الوثيقة .

(ب) معلومات عن الوثيقة .

(ج) الزمن (التاريخ) الذي تم به التصوير .

(د) اسم المصور .

٧ — الانتباه إلى نوع الاضاءة لان الاضاءة يمكن تقسيمها إلى نوعين :

(آ) الفلورسنت (النيون) حيث تكون شدة الأضاءة ثابتة .

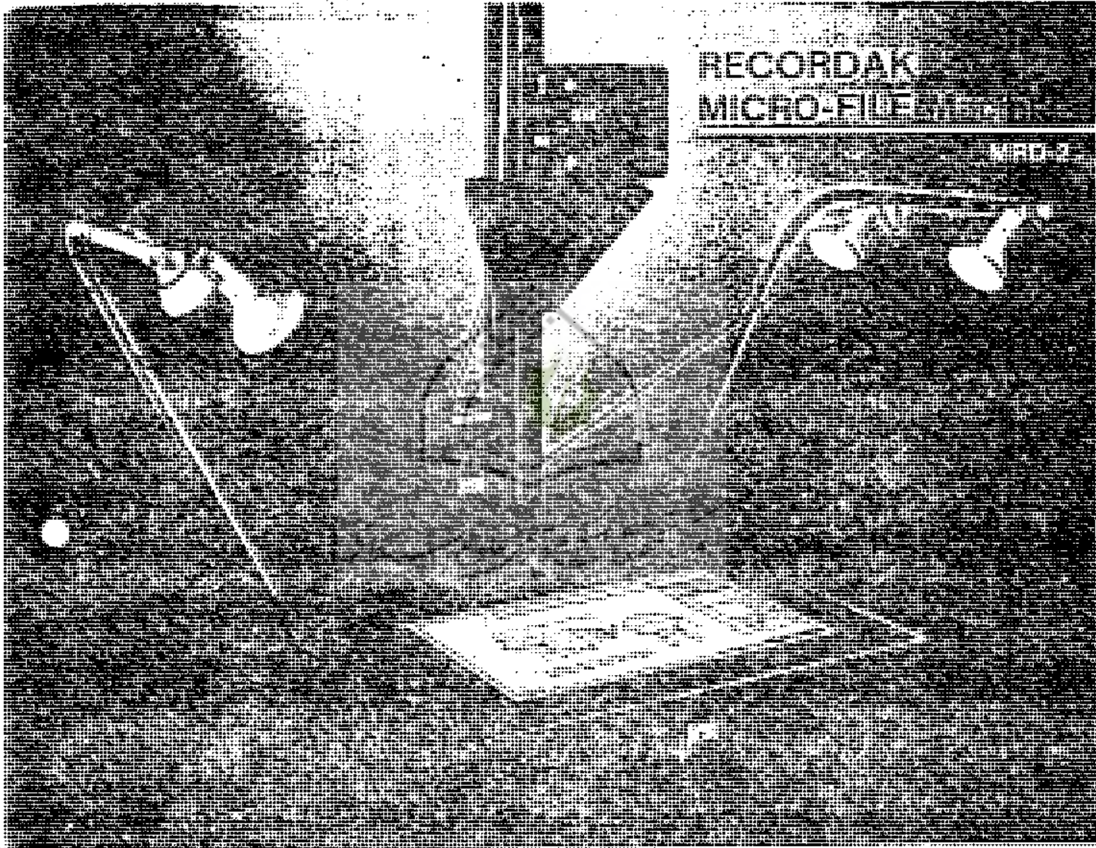
(ب) التنكستن (الاعتيادي) حيث تكون شدة الاضاءة متغيرة .

٨ ــ التأكد من عدم وجود انعكاسات ضوئية خلال عملية التصوير .

صيانة جهاز التصويــــر :

١ ــ مسح الجهاز .

٢ ــ مسح العدسات .



جهاز تسجيل الوثائق · حجم ٣٥ ملم



جهاز تسجيل وثائق على الفيش

٣ ـ تغطية الجهاز

٤ ـ عدم استعماله من قبل الآخرين .

٥ ـ عدم الضغط على الجهاز في العمل .

التحميـــــض :

ان عملية التحميض هي المرحلة الثانية بعد التصوير ويمكن ان تجري في جهاز منفصل او تكون مرتبطة بجهاز التصوير .

وتتم عملية التحميض بثلاث مراحل هي : ـ

١ ـ الاظهار
٢ ـ التثبيت
٣ ـ التجفيف

وهناك مرحلة أخرى يمكن اضافتها الى المراحل الثلاثة وهي الغسل . وعملية الغسل يمكن ان تجري مرتين او مرة اثناء عملية التحميض باكملها . فقد تتم غسل الفلم بعد خروجه من محلول الاظهار وانتقاله الى محلول التثبيت وكذلك غسله عند خروجه من محلول التثبيت الى عملية التجفيف . وقد تختصر هذه الى عملية غسل واحدة تكون بعد التثبيت فقط حسب نظام جهاز التحميض .

بعد هذه الفكرة الموجزة نبدأ في عملية التحميض الفعلية والتي ستكون حسب الفقرات التالية : ـ

١ ـ تسخين الماء المخصص لغسل الفلم بواسطة سخان معد لهذا الغرض الى درجة حرارة تتراوح من ٩٠ ـ ١٠٠ ف وحسب المواصفات .

٢ ـ تسخين محلول الاظهار بواسطة الجهاز نفسه (جهاز التحميض) الى درجة حرارة من ٩٥ ـ ١٠٠ ف حسب المواصفات ايضا . حيث يوجد جهاز ثرموستات فعند بلوغ درجة الحرارة الى الحد المطلوب تظهر كلمة الاستعداد على الجهاز (Ready) .

٣ ـ التأكد من سلامة تركيز المحلول والمثبت فمثلا اذا كان حجم الحوض المستعمل ١٧٠٠ ملتر تكون النسبة كالاتي : ـ

محلول مظهر ٥٠٠ ملتر يضاف ١٢٠٠ ملتر ماء .
محلول مثبت ٦٠٠ ملتر يضاف ١١٠٠ ملتر ماء .
وتتغير هذه النسبة حسب جودة الفلم والحوامض المستخدمة
ان عملية اضافة الماء الى المحلول لتخفيف نسبة التركيز تعتمد على مايلي

(آ) درجة الحرارة

(ب) كثافة المحلول

(ج) سرعة الجهاز (الوقت المستغرق لمرور الفلم)

٤ ــ اضافة قطعة فلم كدليل تسمى (ليدر) الى بداية الفلم الذي يراد تحميضه كي يقود الفلم من خلال البكرات الى داخل احواض التحميض . تضاف هذه القطعة لضمان وصول الفلم الى الاحواض لكونها صلبة وتتحمل الانطواءات .

٥ ــ في حالة استعمال فلم ١٦ ملم مزدوج يفضل ادخال فلم واحد فقط في بداية التحميض لحين مرور بداية الفلم في الاحواض ومن ثم المباشرة في ادخال الفلم الثاني كي لايحدث أي تداخل بين الاثنين .

٦ ــ تجري عملية التحميض اتوماتيكيا داخل جهاز التحميض وتستغرق عادة حوالي ٣٥ دقيقة لفلم طوله ١٠٠ قدم .

٧ ــ يبدل المحلول بعد تحميض كل خمسة او سبعة افلام وذلك لترسب نترات الفضة.

صيانـــة جهـــاز التحميـــض:

تجري عملية الصيانة بعد عملية التحميض وتكون على نوعين :

١ ــ صيانة يومية

٢ ــ صيانة دورية

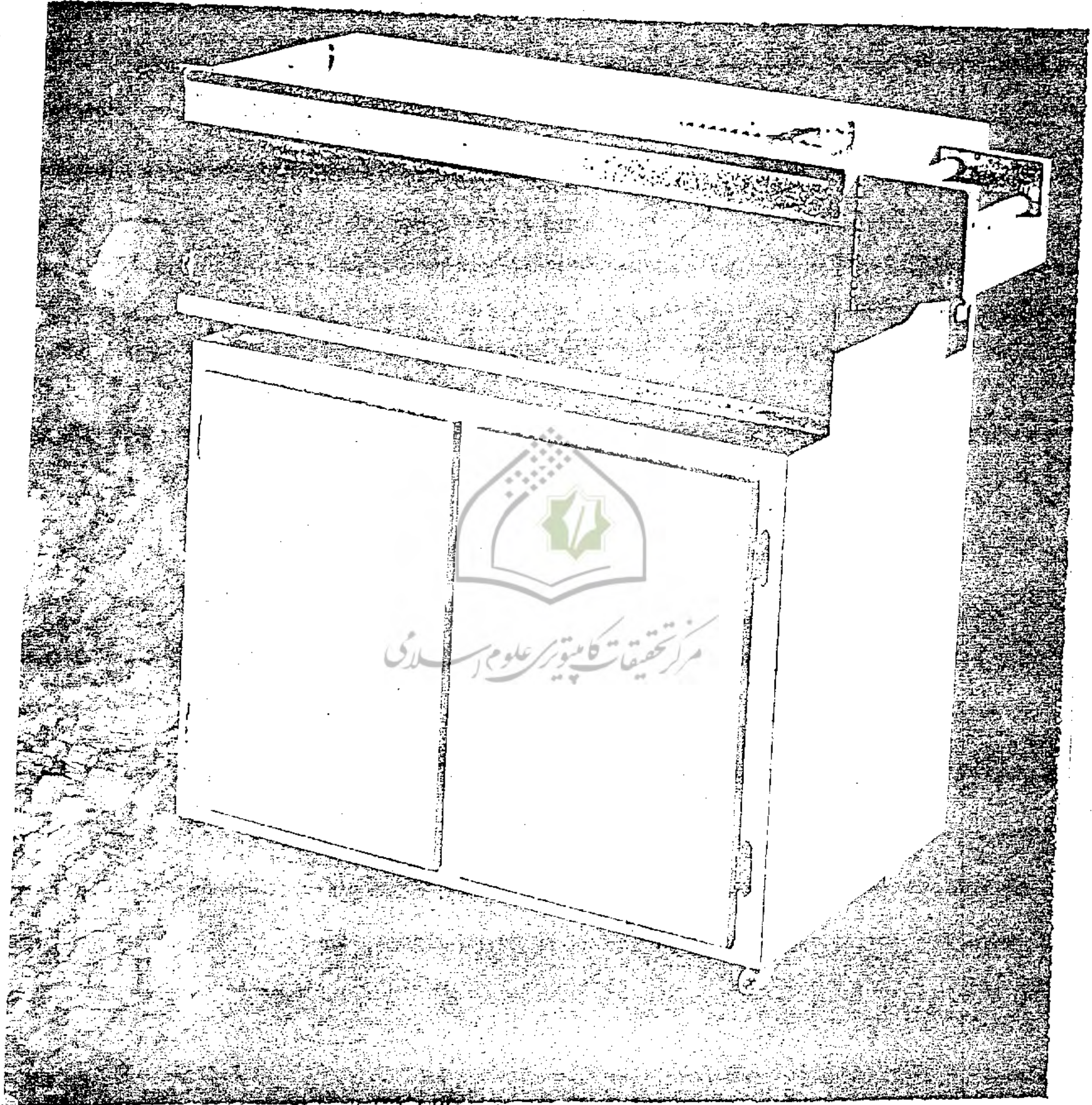
الصيـــانـــة اليوميـــة:

بعد الانتهاء من عملية التحميض وقبل ترك الجهاز لليوم التالي ، يجب مراعاة مايلي : ــ

١ ــ ترك الجهاز فترة من ٥ ــ ١٠ دقائق حتى تعود درجة الحرارة الى حالتها الطبيعية وحسب طبيعة الجو .

٢ ــ التأكد من الفقرة الاولى اي عودة درجة حرارة الجهاز الى طبيعتها قبـــل التشغيل بوسطة مقياس الحرارة ثرموستات .

٣ ــ فتح الصنابير الخاصة بالمحاليل والماء .



جهاز تحميض الافلام حجم ٣٥ ، ١٦ ملم

٤ ـ غلق الصنابير بعد التفريغ .

٥ ـ ملء الاحواض جميعها بالماء ومن ثم تشغيل الجهاز حتى تتم عملية الغسل .

٦ ـ فتح الصنابير مرة ثانية لخروج الماء بعد عملية الغسل .

٧ ـ سحب الرولات (البكرات) كافة من الجهاز وتجفيفها (تركها في الهواء) .

٨ ـ مسح الاحواض بقطعة قماش نظيفة .

الصيانـــة الدوريـــة:

تجري عملية الصيانة الدورية بين فترة واخرى حسب استعمال الجهاز وذلك عند ظهور ترسبات نترات الفضة على ظهر الرولات (البكرات) وقد تجري الصيانة كل ستة أشهر أو سنوياً ويجري التنظيف على الشكل التالي : ـ

١ ـ استعمال احد محاليل التنظيف اما ان يكون على شكل سائل او مسحوق يذاب في الماء وبدرجة حرارة تتراوح من ٩٥ ـ ١٠٠ف حيث توضع البكرات (الرولات) داخل وعاء مملوء بالمحلول وتحرك داخله .

٢ ـ تغسل البكرات بالماء بعد اخراجها من المحلول .

٣ ـ تترك لتجف .

الفحـــص:

يتم فحص المصغرات الفلمية قبل التصوير وبعد التصوير .

قبل التصوير يتم فحص .

١ ـ الفترة الزمنية المحددة لصلاحية الفلم .

٢ ـ حالة الفلم ان كان صالحا او تالفا .

بعد التصوير يتم الفحص بواسطة اجهزة خاصة للتأكد من :

١ ـ جودة التصوير والتحميض .

٢ ـ قياس مدى وضوح المعلومات .

٣ ـ صحة ترتيب الصفحات المصورة .

٤ ـ خلو الفلم من بقايا المواد الكيمياوية العالقة به من خلال التحميض .

وللتأكد من سلامة الفلم من الفقرات الاربعة اعلاه يجب ان نقوم بالعمليات التالية : ـ

١) فحص قاعدة الفلم :

والمقصود بقاعدة الفلم هو بداية الفلم اونهايته او الفجوات بين اللقطات بمعنى جزء الفلم الخالي من اللقطات .

تقاس القاعدة بواسطة جهاز خاص يسمى (دنستوميتر) لقياس شدة الضوء . وهناك ارقام خاصة لقياس شدة الضوء اوصت بها شركات الانتاج ، والارقام هي مابين ٠,٠٧ – ٠,٠٨ حيث تعتبر هذه الارقام قراءات مثالية لقياس نسبة مرور الضوء خلال القاعدة (وتسمى نسبة الشفافية) . وتعتمد هذه النسبة على مايلي :

(آ) نسبة تركيز المظهر وجودته

(ب) الحرارة

(ج) سرعة مرور الفلم في المظهر

٢) فحص الحافة:

ويقصد بالحافة المساحة المصورة للوثيقة او قاعدة الورقة الخالية من الحروف المطبوعة (مابين الحروف) ويفضل استخدام حافة مناسبة للقراءة وتكون القراءة المثالية بجهاز القياس (دنستوميتر) مابين .90–.19. 1 أو 1.20

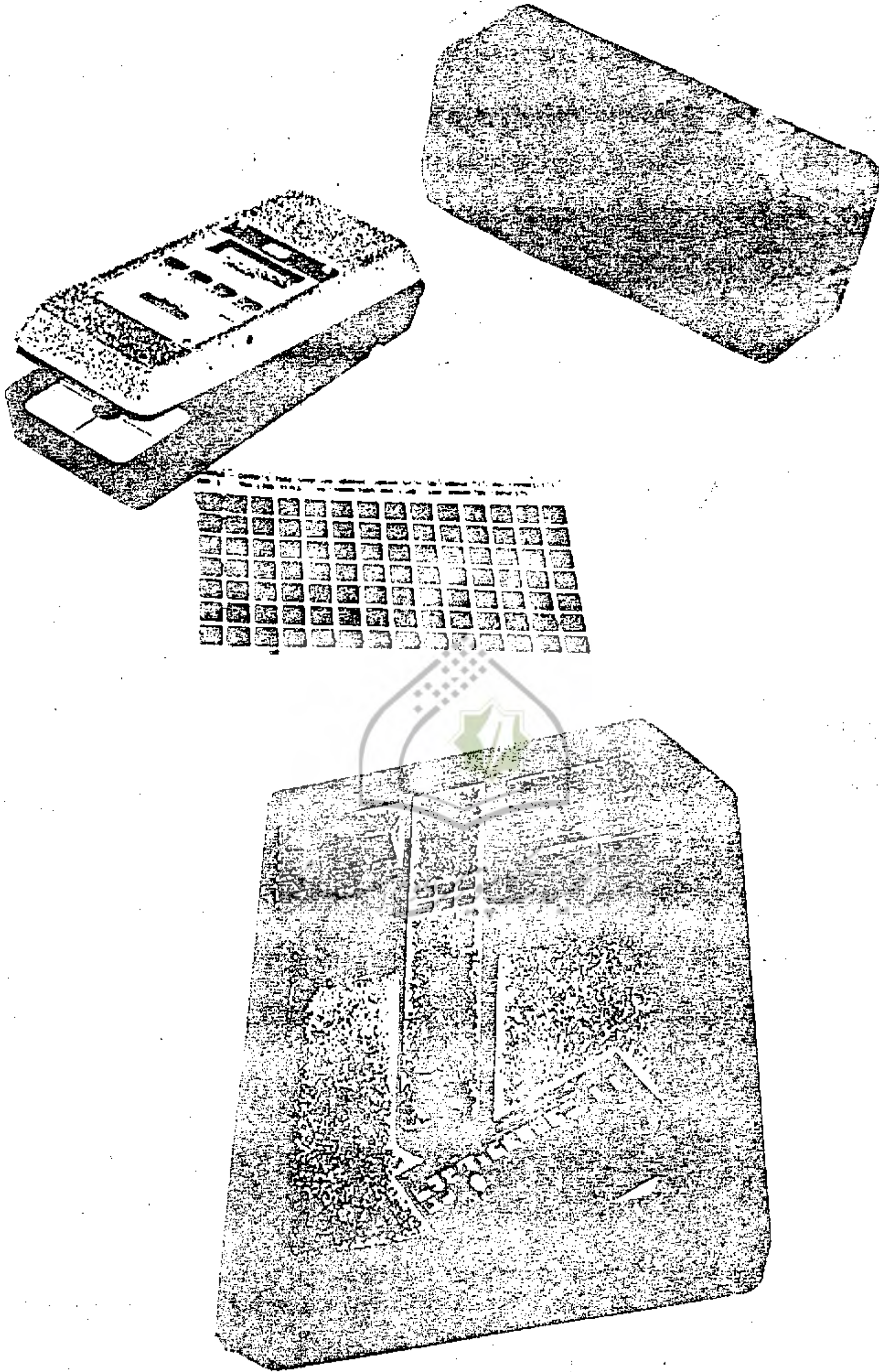
ويوصى باتباع مايلي –

الكثافة	نوع الفلم
1.00– 1.30	سلفر هلايد
0.25 – 1.40	فازيكولر
1.10– 1.30	ديازو (اسود)
1.30– 1.50	ديازو ازرق

٣) الفحص المايكروسكوبي :

ويقصد به قياس مدى وضوح المعلومات المصورة وثباتها حيث يستعمل جهاز مايكروسكوب خاص للتأكد من وضوح اللقطة

ويكون الفحص دوري للمصغرات المحفوظة للتأكد من صلاحيتها وسلامتها ويستحسن فحص الافلام الاصلية (ماسترفلم) كل ستة اشهر اوكل سنة للتأكد من سلامتها . ،



جهاز فحص كثافة اللقطة

وتعتمد صلاحية الفلم وسلامته على عدة عوامل اذكر منها :

(آ) التركيز المناسب للحوامض التي تم تحميض الفلم بها .

(ب) درجة حرارة الحفظ يجب ان تكون بين ٢٢ – ٢٥مْ

(ج) الخزن الجيد مع مراعاة الرطوبة والضوء واستعمال التبريد الجاف .

(د) الغسل الجيد بالماء بعد المثبت (الفكسر)

(هـ) تجنب الغبار عند الخزن

(و) يفضل فرش ارضية منطقة الخزن بأبسطة واستعمال مكنسة كهربائية لتفادي تصاعد الغبار .

أستنساخ الأفــــلام

ان معظم اشكال المايكروفلم تتطلب الى نسخ وذلك لتوزيعها على المستخدمين لها وكذلك للاحتفاظ بها كنسخ ثواني

١ – اجهزة التصوير التي تتكون من كامرتين لتصوير وثيقة واحدة .

٢ – استنساخ فلم الى فلم من الفلم الاساس (السلفر هلايد) .

(آ) سلفر الى سلفر

(ب) سلفر الى ديازو

(ج) سلفر الى فازيكولر

٣ – بطاقة الى بطاقة

(آ) على الديازو بطريقة يدوية او ذاتية

(ب) على الفازيكولر بطريقة يدوية او ذاتية

٤ – رول الى كارت

(آ) على فلم ديازو بصورة يدوية

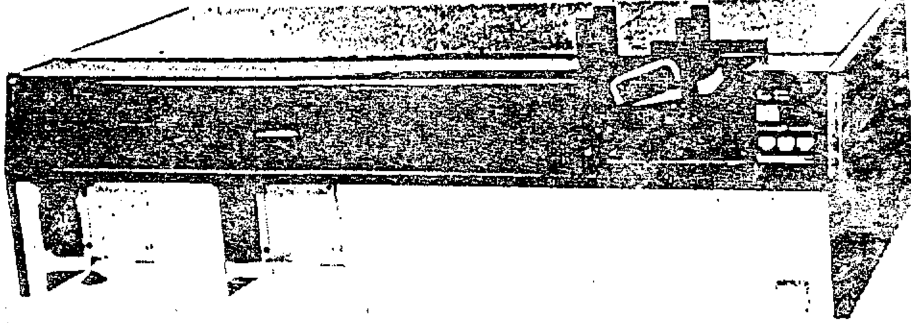
(ب) على فازيكولر بصورة يدوية

٥ – كارت الى رول

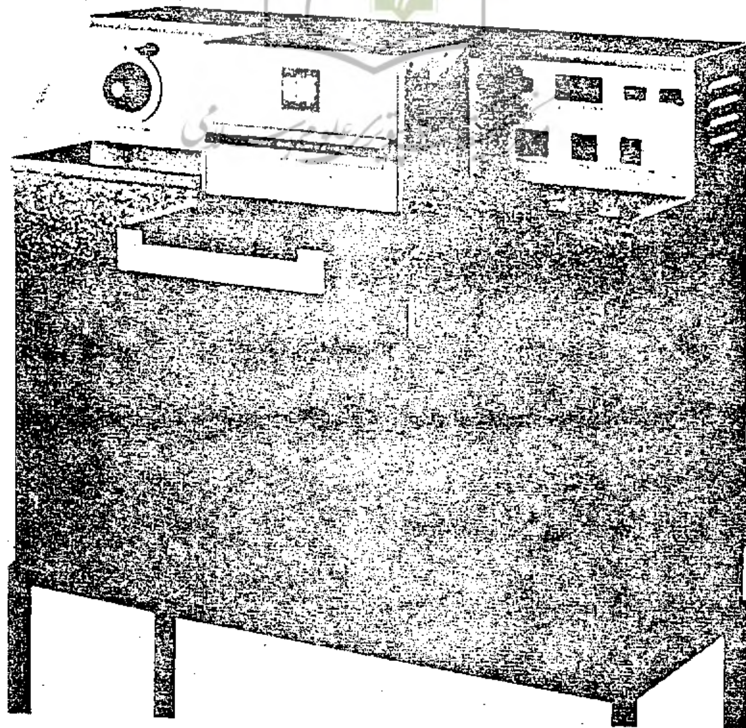
(آ) على سلفر فلم بصورة يدوية

(ب) على ديازوفلم بصورة يدوية

(ج) على فازيكولر فلم بصورة يدوية

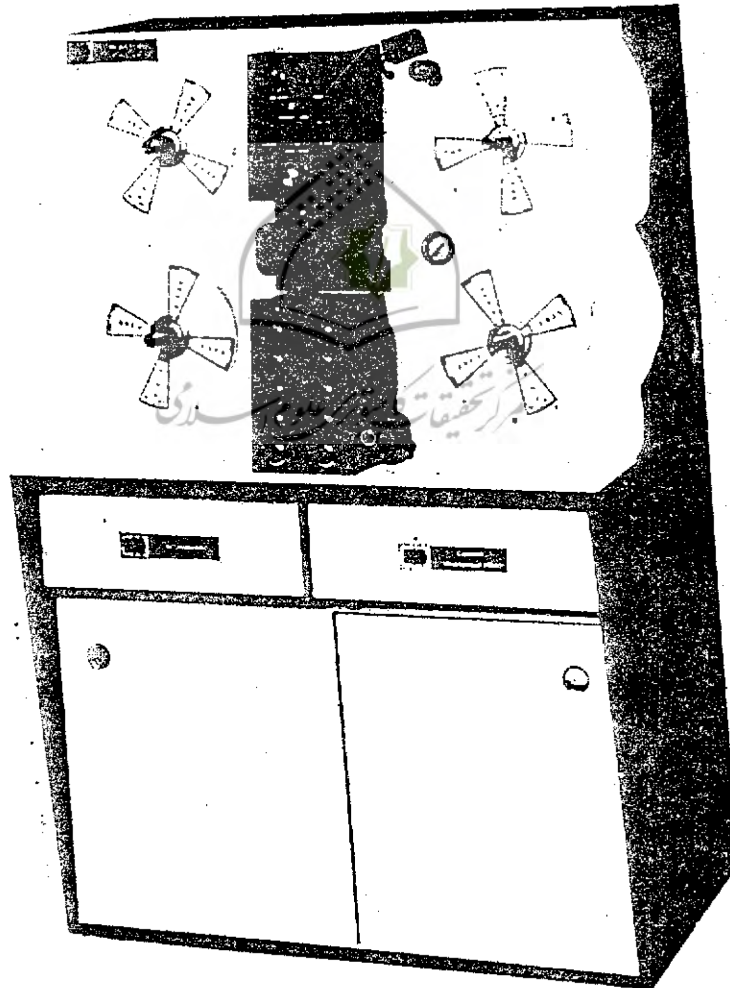


جهاز تحويل الفلم الى جاكيت

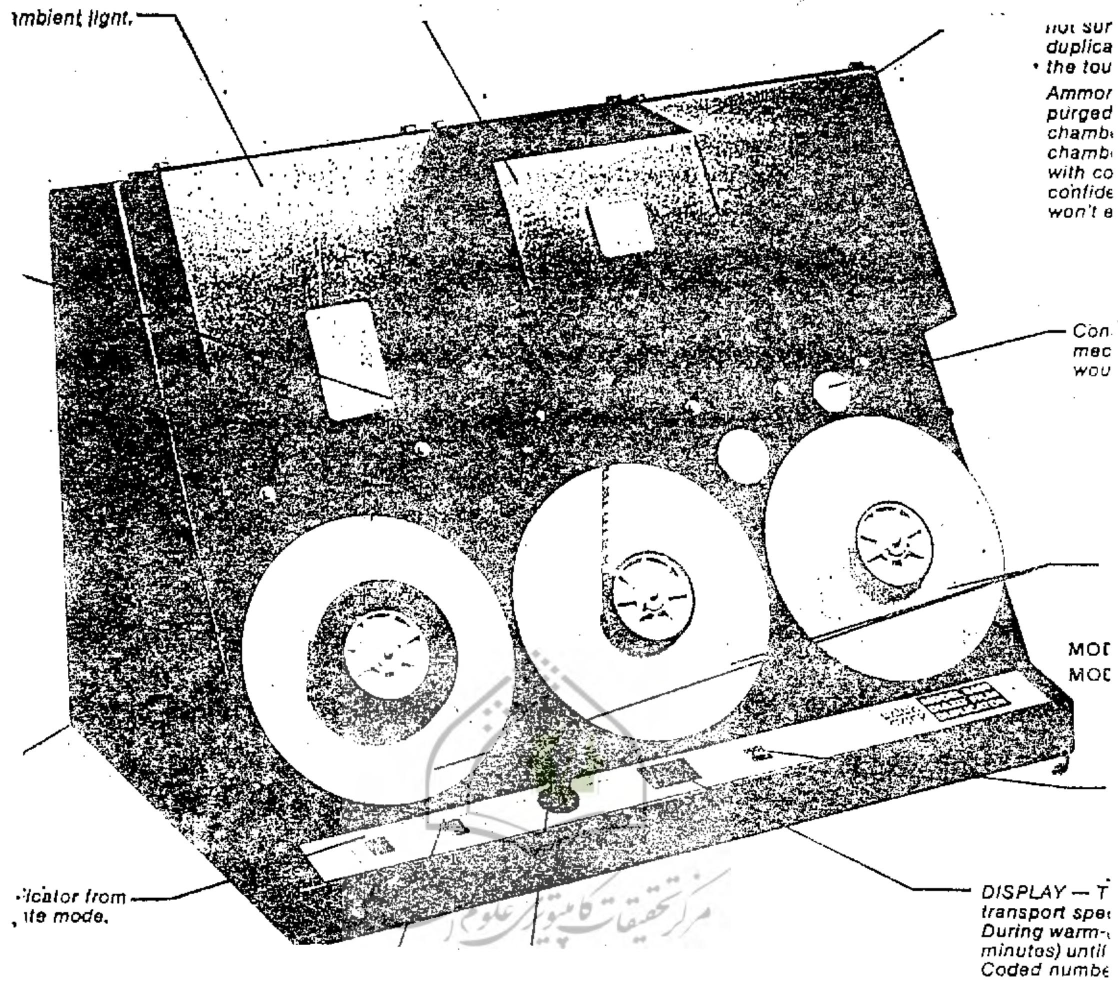


جهاز تحويل الجاكيت الى فلم

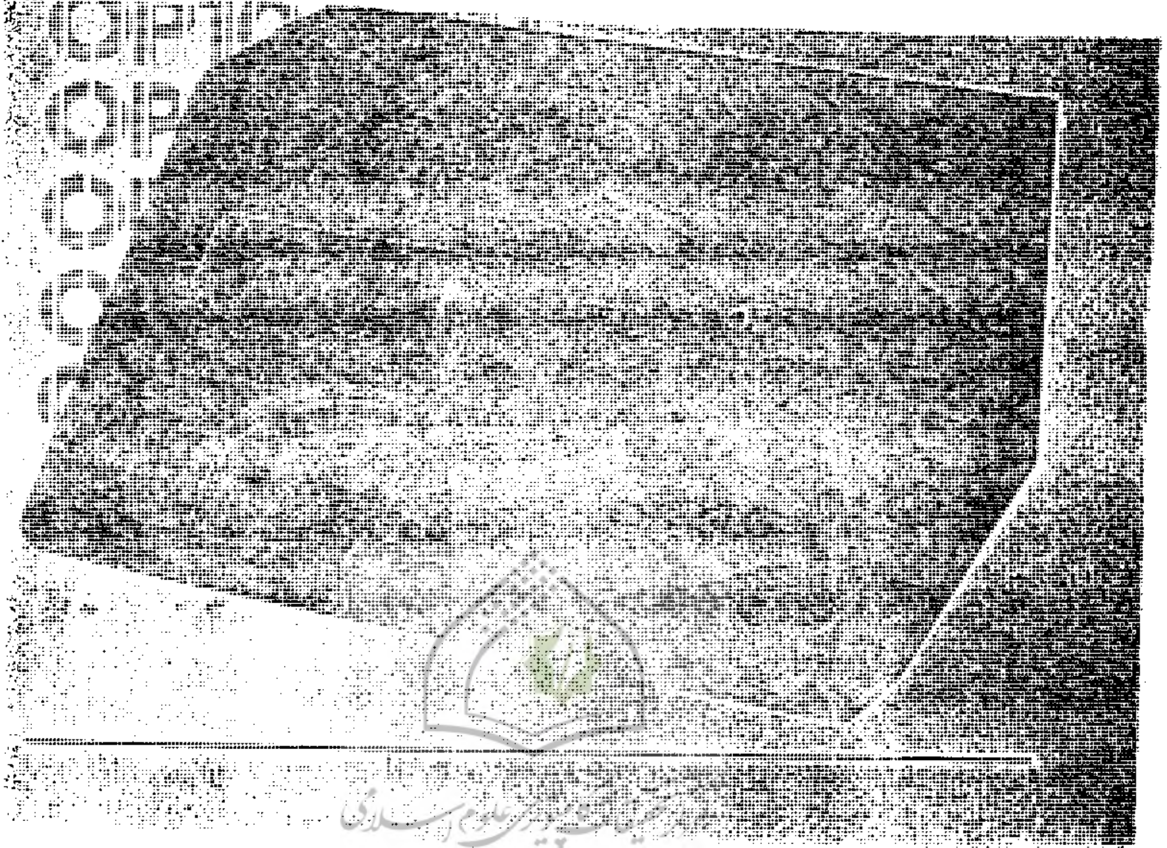
ان اول الافلام التي استخدمت في الاستنساخ كانت افلام السلفر هلايد لانتاج جيد ثاني منها على شكل افلام بوزاتيف ايضا وكذلك لانتاج المايكروفيش بعد تقطيعها وادخلها في الحوافض . وفي الوقت الحاضر بدأت أفلام الديازوو الفازيكولر تستعمل بصورة واسعة في الاستنساخ على شكل فيش اورول . ويكون الطبع بواسطة التصاق الوجه الحساس للفلم المعرض مع الوجه الحساس للفلم الغير معرض أي ان الضوء يمر من خلال الفلم المعرض الى الفلم الغير معرض ويناسب مع كثافة الفلم عند التعرض ..
بعد التعرض يعالج الفلم بطريقة مناسبة له (ان ذلك يعتمد على التجربة للحصول على نتائج جيدة).



جهاز استنساخ افلام السلفر هلايد حجم ١٦,٣٥ ملم



جهاز استنساخ افلام ديازو حجم ٣٥ و ١٦ ملم



جهاز استنساخ الفيش (ناز تكولر)

خطوات تعبئة الفلم الملفوف

في الجاكيت

١ — ملاحظة الوجه الحساس للفلم المعالج قبل تثبيته على الجهاز ويكون للاسفل.

٢ — تقوم بتثبيت الفلم على محور موجود خارج الجهاز .

٣ — ايصال الطاقة الكهربائية للجهاز وعند ذاك تثار شاشة العرض .

٤ — سحب الفلم بواسطة اليد الى مدولبات الاستلام البلاستيكية قبل سكين القطع

ملاحظة . يجب استخدام الكفوف القطنية حتى لاتنتقل بصمات الاصابع الى الفلم او اي مادة دهنية عالقة باليد وبالتالي تؤدي الى تلفه .

٥ — دفع قاعدة الجاكيت الى الامام وذلك بالضغط عليها من الجزء المخصص لذلك ويكون على الجهة اليسرى منها حتى يتوقف .

٦ — قبل وضع قطعة الجاكيت ملاحظة الطبقة الاقصر منها حيث تكون الى الاعلى كذلك المنطقة الخاصة بتدوين المعلومات والتي تكون اعلى الجاكيت .

٧ — وضع قطعة الجاكيت وتتم كما يلي .

(آ) الضغط على الجزء الحامل للجاكيت وعند ذاك نثبت الجاكيت وذلك بدفعه من جهة اليسار الى اليمين حتى يأخذ محله . وهناك ثقوب في الجاكيت تستقر في النتوءات الموجودة على قاعدة الجهاز (في بعض الاجهزة)

(ب) التأكد من وضع الجاكيت بصورة صحيحة عن طريقة تحريكه داخل القاعدة في كل الاتجاهات .

(ج) رفع الضغط عن حامل الجاكيت عند ذاك تكون الطبقة الاطول للجاكيت قد ثبتت بين قاعدة الجاكيت (المتحركة) وقاعدة الجهاز (الثابتة) .

٨ — دفع الفلم الى الجاكيت عن طريق عتلة تسيطر على المدولبات وذلك بادارتها الى جهة الجاكيت مرورا بسكين القطع وعدسة العرض التي تنقل الصورة عن طريق المرآة العاكسة الى الشاشة .

٩ — نتوقف عن دفع الفلم الى داخل الجاكيت عند الخط المؤشر على قاعدة الجاكيت .

١٠ ـ عند هذه النقطة يجب النظر الى شاشة العرض والتأكد من ان الصورة المعروضة تكون في وسطها والاّ فستعرّض اخر لقطة للقطع .

١١ ـ ان المسافة المتروكة بين الخط ونهاية الجاكيت تمثل نفس المسافة بين السكين وبداية الجاكيت .

١٢ ـ نقطع الفلم وذلك بالضغط على عتلة القطع .

١٣ ـ يدفع الفلم مرة ثانية الى داخل الجاكيت حتى يصل الى نهاية الجاكيت وعند ذاك يكون الجاكيت قد احتوى على ١٢ لقطة .

١٤ ـ نسحب الفلم خارج الجاكيت وذلك بادارة عتلة المدولبات الى الخلف وذلك لفسح المجال لتعبئة الخط الثاني .

١٥ ـ الضغط على قاعدة الجاكيت مرة ثانية وسحبه للخلف حتى يتوقف (هناك خمس عتلات وتوجد اسفل القاعدة وكل سحبة تمثل تهيئة لتعبئة خط ويجب عدم سحب القاعدة بقوة .

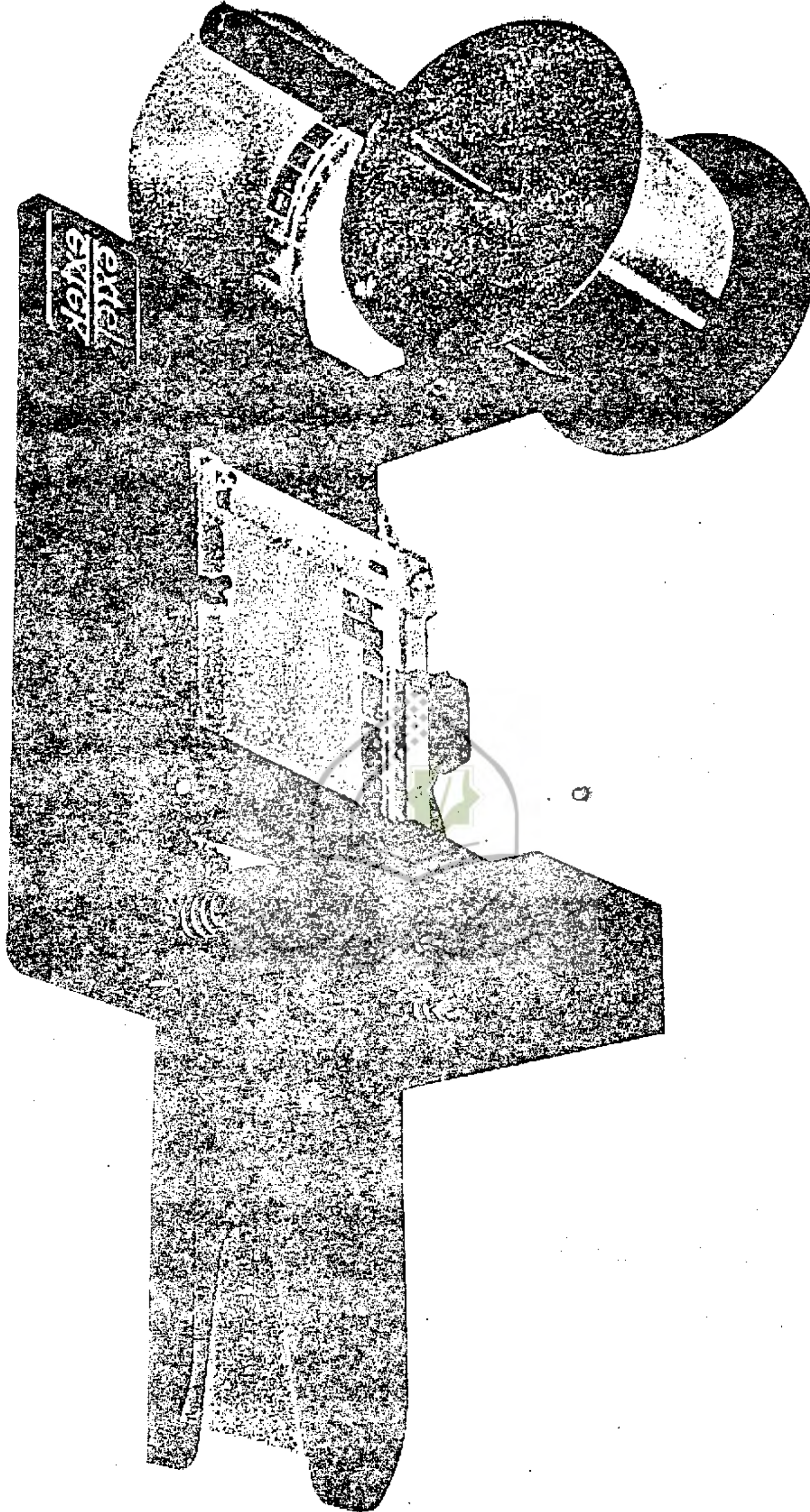
١٦ ـ من الممكن ملاحظة وجود الخط الثاني للجاكيت بصورة صحيحة وذلك عن طريق النظر اليه لتعديل موقعه ان احتاج ذلك .

١٧ ـ تعاد العمليات اعلاه حتى نصل الى الخط الخامس .

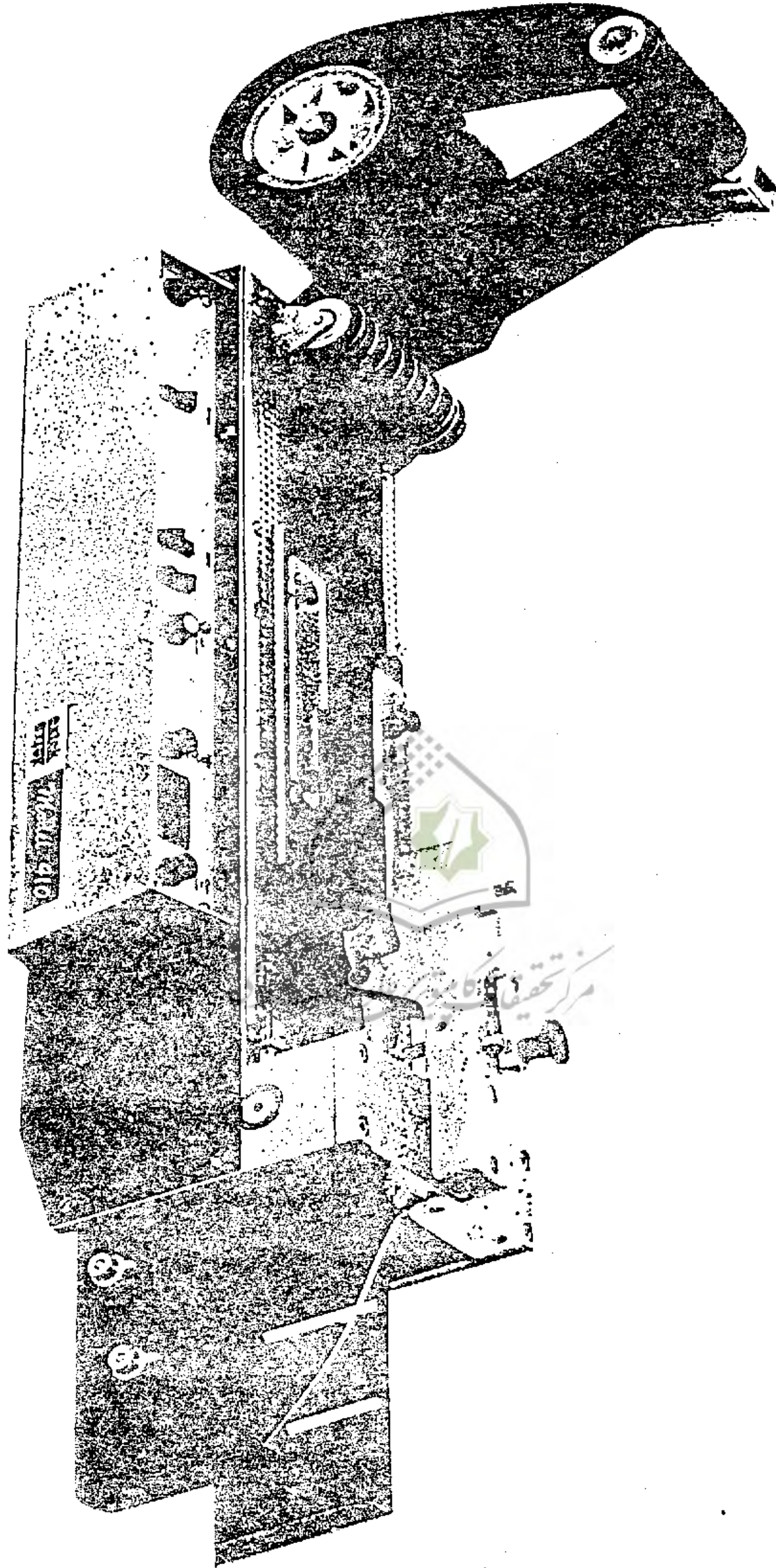
١٨ ـ بعد تعبئة اخر خط في الجاكيت (الخامس) نرفعه عن قاعدة الجهاز وذلك بالضغط عليها لتعبئة جاكيت اخر .

(ب) الحوافظ

الحوافظ عبارة عن قطعتين من البلاستيك الشفاف ملتصقتين مع بعضهما من ثلاث جوانب وفي فواصل متعددة من السطح مكوناً مسارات أو جيوبا افقية مفتوحة من جهة واحدة ، لغرض ادخال لقطة او عدد من اللقطات الفلمية المصغرة سواء كانت حجم ١٦ ملم أو ٣٥ ملم وتستعمل الحوافظ بكثرة لانتاج البطاقات المسطحة الشفاف (المايكرفيش) من الافلام المصغرة الملفوفة بعد تقطيعها وتعبئتها في داخل الحوافظ ومن ثم تحويلها الى ،، المايكروفيش بواسطة اجهزة الاستنساخ المختلفة وتمتاز الحوافظ عن المايكروفيش والمايكروفلم :



جهاز تقطيع و تعبئة الجاكيت اليدوي



جهاز تقطيع وتعبئة الجاكيت الاوتوماتيكي

١ ــ امكانية تحديث المعلومات والبيانات المصورة عليها .

٢ ــ امكانية اضافة وتغيير المعلومات المصورة بمجرد سحب اللقطات المطلوب تغييرها من الفتحة الجانبية ودفع اللقطات الجديدة او اضافة كلما جد جديد .

٣ ــ تستخدم في حفظ ملفات القصاصات والوثائق الورقية والملفات الادارية وفهارس المكتبات وكافة المطبوعات المصورة مايكروفلميا والتي تتكاثر او تتغير بسرعة وبشكل مستمر .

الاشكال المايكروفلميه المسطحة

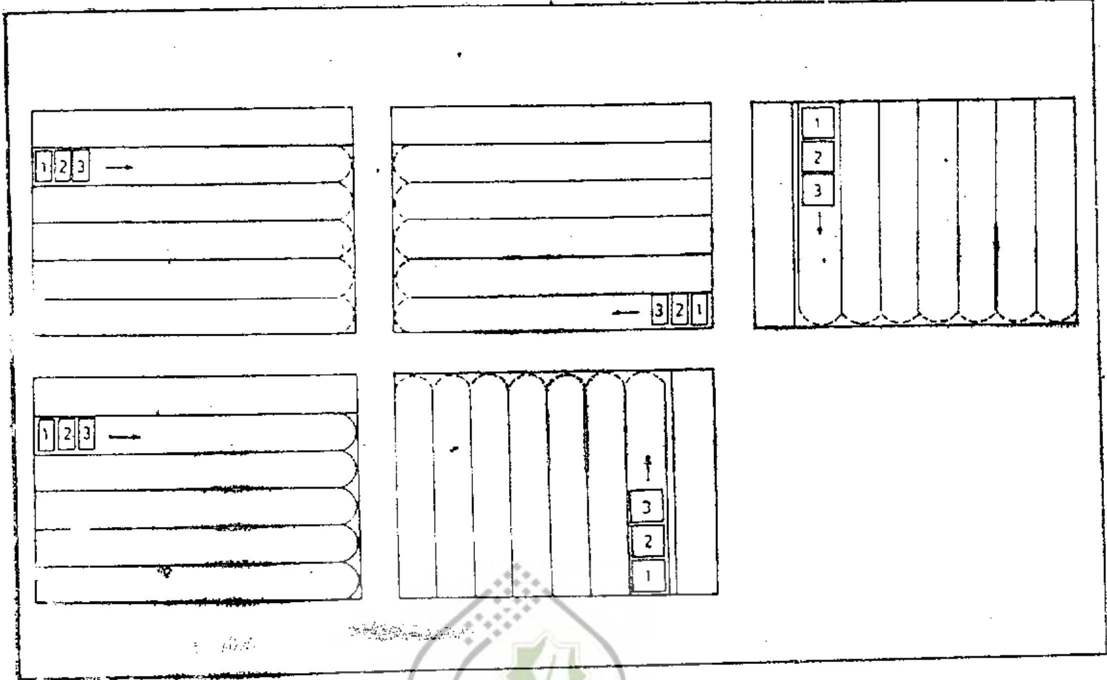
المايكروفيش

عبارة عن بطاقة شفافة ومسطحة من فلم مصغر ترتب فيه اللقطات على شكل خطوط افقية وعمودية ويكون حجم البطاقة الواحدة الاعتيادي منها ١٠٥ملم ×١٤٨ملم أي٦ × ٤انج تكون عدد اللقطات والاطر (frams) الموجودة في البطاقة الواحدة مامجموعه ٦٠ أو ٩٨ لقطة او اطار في اغلب الحالات . وبالامكان زيادة عدد اللقطات والاطر في حالة زيادة نسبة التصغير الا ان ذلك يعتمد على وضوح الاصول الورقية ونوع الاجهزة المستخدمة اضافة الى نسبة التصغير .

فكلما ارتفعت نسبة التصغير كلما حصلنا على لقطات فلمية اكثر على نفس البطاقة المسطحة وكما هو موضح في الجدول ادناه .

حجم المايكروفيش	حجم الاصول الورقية	نسبة التصغير	عدد الاسطر عمودياً	عدد الاسطر افقياً	عدد اللقطات
١٠٥ ×١٤٨ملم	٢١٠ ×٢٩٧ملم	×٢٠	٥	١٢	٦٠
١٠٥ ×١٤٨ملم	٢١٠ ×٢٩٧ملم	×٢٤	٧	١٤	٩٨
١٠٥ ×١٤٨ملم	٢١٠ ×٢٩٧ملم	×٤٢	١٣	٢٥	٣٢٥
١٠٥ ×١٤٨ملم	٢١٠ ×٢٩٧ملم	٤٨	١٥	٤٨	٧٢٠

وقد تصل نسبة التصغير احيانا الى ١٥٠ × حيث يمكن تصور ٣٠٠ لقطة مصغرة على البطاقة الاعتيادية حجم ١٠٥×١٤٨ملم وتعرف (بالالترافيش) او البطاقة ذات اللقطات المتناهية الصغر .



الطرق المختلفه لتعبئة الجاكيت

مميزات المايكروفيش :

١ — سهولة استعماله وتداوله

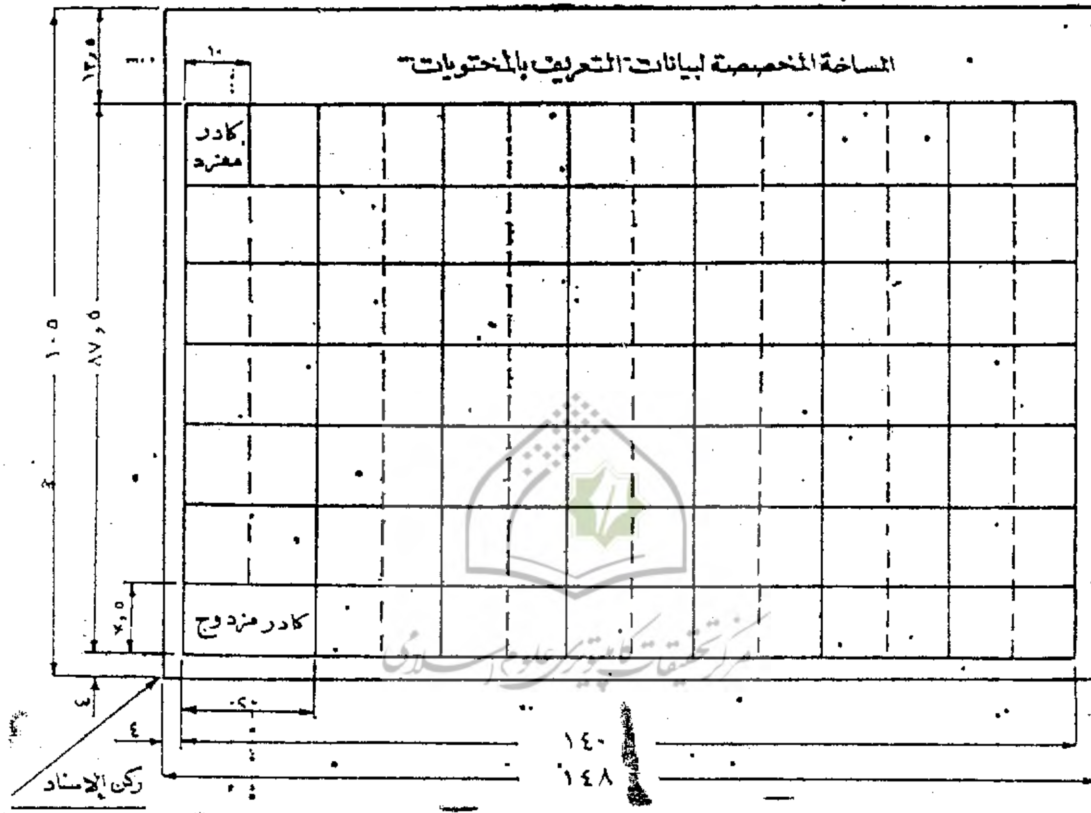
٢ — استرجاع المعلومات بسرعة

٣ — صغر المساحة التي يحتلها

٤ — امكانية تدوين المعلومات والبيانات الخاصة باللقطات الفلمية المصورة على الجزء العلوي منه والتي يمكن قرأتها بالعين المجردة كالعنوان والموضوع والاعداد والسنوات وغيرها .

الميكروفيش الشفاف مقاس A6 ذو التقسيم الموحد ـ الطريقة رقم (٢) لترتيب الصور

الأبعاد بالمليمترات



المراجـــع العربيـــة والأجنبيـــة:

١ ــ اسماعيل العملة ــ دليل استخدام جهاز المايكروفيش .

٢ ــ الحافظ ، صبيح ، المايكروفلم وعصر المعلومات .

٣ ــ السامرائي ، ايمان فاضل . التوثيق المايكروفلمي ــ بغداد ــ مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي ــ ١٩٨٥ ص(٥٠، ٥٣)

٤ ــ العلي ، عبد الستار محمد . نظم المعلومات على الحاسبة الالكترونية . البصرة . جامعة البصرة ١٩٨٥ .

٥ ــ القاضي ، صلاح ، الراجع في المايكروفلم ، القاهرة . مكتبة الانجلو . ١٩٧٦ . ٢ج(١٦٦٢ص) .

٦ ــ قنديلجي ، عامر ابراهيم وايمان فاضل السامرائي . التقنيات والأجهزة في مراكز المعلومات بغداد ، دار الرشيد للنشر . ١٩٨٢ .

٧ ــ محاضرات علمية القاها الباحثان في الكثير من الدورات الخاصة بالمايكروفلم لمؤسسات الدولة التعليمية .

8- Diaz , Albert J. Microforms and library catalogs . London 1977.

9- Cuide to Microforms in print, auther, title annual .

10- Marlys Cybalski . Microform reference. 1974.

11- Nelson , Carl Erwin. Microfilm Technology. New York, 1965.

12- Suzanne, Cates Dodson. Microform research collection, 1978.

13- Veary, H.R. Microcopying methods . London. 1967.

مكتبتنا العربية



تقييم مناخ الاردن لغرض الاصطياف

د . عادل سعيد الراوي
كلية الادارة والاقتصاد/الجامعة المستنصرية

تمهيد

الاردن قطر عربي شقيق يقع الى الغرب من العراق والى الجنوب من سوريا والى الشمال من المملكة العربية السعودية والى الشرق من فلسطين .

المساحة والسكان :

تبلغ مساحة الاردن ٨٩٢٠٦ كيلو متراً مربعاً او ما يعادل ٪ ٤, ٢٠ من مساحة العراق. اما سكان الاردن فقد بلغ ٠٠٠, ٣٢٢, ٢ نسمة و بذلك بلغت الكثافة السكانية ٢٦ شخصاً في الكيلو المربع الواحد لعام ١٩٨٠ يتركز سكان الاردن في محافظة عمان بالدرجة الاولى حيث بلغت نسبة مجموع السكان في هذه المحافظة ٢٦, ٥٥ من مجموع سكان الاردن تليها إربد ، فالبلقاء ، فالكرك واخيرا معان ، كما يوضحها الجدول التالي :

جدول (١)

توزيع سكان الاردن على محافظاته الخمس لعام ١٩٨١

المحافظة	مجموع السكان	
١ — عمان	٩٠٠, ٢٨١, ١	٢, ٥٥
٢ — إربد	٥٠٠, ٦٥٩	٤, ٢٨
٣ — البلقاء	٦٠٠, ١٦٢	٠, ٧
٤ — الكرك	٠٠٠, ١٣٧	٩, ٥
٥ — معان	٠٠٠, ٨١	٥, ٣
المجمـــوع	٠٠٠, ٣٢٢, ٢	٠, ١٠٠

المصدر : المملكة الاردنية الهاشمية ، دائرة الاحصاءات العامة ، الاردن في ارقام ١٩٨١ ص ١ .

هدف البحث :

يعود اهتمام الباحث في موضوع تقييم مناخ الاردن سياحياً الى جملة من العوامل هي.

١ - موقف الاردن القومي الاصيل من الحارب العدوانية التي فرضها نظام خميني بالتعاون مع الصهيونية العالمية على العراق . والذي شجع على البحث والاستقصاء لجزء مهم من صناعة الاردن الشقيق .

٢ - فقدان الاردن جزءاً مهماً من ارضه ومن مصادره السياحية نتيجة العدوان الصهيوني عام ١٩٦٧ . والذي من نتيجته ضمت مناطق سياحية كثيرة الى العدو الصهيوني اضافة الى الارض والمصادر الاخرى وبالتالي وضعت الاردن في موقف اقتصادي صعب (١) . حيث يشير الميزان التجاري الى عجز مستمر منذ عام ١٩٥٠ وحتى الوقت الحاضر (٢) .

٣ - نمو عدد السائحين الاجانب الى الاردن بصورة ملحوظة حيث يظهر من الجدول رقم (٢) ان عدد السائحين الاجانب زاد بمقدار ١٣,١ ٪ عام ١٩٧٨ مقارنة بعام ١٩٧٧،و١٠,٦ ٪عام ١٩٧٩ مقارنة بعام ١٩٧٨و٢٣,٦ ٪عام ١٩٨٠ مقارنة بعام١٩٧٩.

جدول رقم (٢)

نمو اعداد السائحين الاجانب للاردن للفترة ١٩٧٧ - ١٩٨٠

السنة	العدد	٪
١٩٧٧	٩٦١,٩٧٢	—
١٩٧٨	١,٠٨٧,٥٨٤	١٣,١
١٩٧٩	١,٢٠٣,٠٠٢	١٠,٦
١٩٨٠	١,٤٨٦,٨١٠	٢٣,٦

(1) H., Robinson, A Geography Of Tourism, Macdonald & Evans Ltd., London 1976, PP. 414- 416 .

(2) Hashemite Kingdom of Jordan, National Planning Concil, Five Year Plan For Ecoaomic And Sosial Development 1980- 1985, Amman .

وانظر ايضاً-فوزي صادق، اقتصاديات السياحة في الاردن ١٩٥٠-١٩٧٦، عمان ١٩٧٨ ص٦٤.

المصدر :

(أ) المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة السياحة والاثار ، دائرة التسويق ، احصاءات سياحية ١٩٧٨ (مطبوع بالرونيو) .

(ب) المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة السياحة والاثار ، دائرة التسويق ، احصاءات سياحية ١٩٧٩ ، (مطبوع بالرونيو) .

(ج) المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة السياحة والاثار ، دائرة التسويق ، احصاءات سياحية ١٩٨٠ ، (مطبوع بالرونيو) .

٥ — تطور الاغراض السياحية المعتمدة مباشرة على المناخ ومنها ، التزلج على الماء ، الغطس في منطقة العقبة بصورة خاصة . والصيد والقنص في منطقة الازرق ، والاستحمام شتاءاً في منطقة الاغوار وديين (١) .

فرضيات البحث :

سنحاول في هذا البحث مناقشة فرضيتين اساسيتين ترتبطان بصلاحية المناخ للاصطياف والتي تعمل على جذب السائحين في فصل الصيف فقط وهاتين الفرضيتين هما :

اولا : يصلح مناخ الاردن بالمقياس العالمي للاصطياف ولمناخه قدرة على جذب السائحين العالميين ، مع عدم تأثير العوامل الاخرى على الجذب بنفس الوقت — او حيث تكون قيمتها صفراً

ثانياً : يصلح مناخ الاردن بالمقياس المكاني للاصطياف نتيجة تباين الظروف المناخية فيه بتأثير العوامل المكانية ، مع استمرار عدم تأثير العوامل الاخرى او حيث تكون قيمتها صفراً اي لاتدخل ضمن معادلة واحدة .

منهج البحث :

لامتحان هاتين الفرضيتين وللتحقق من صدقها لابد من بناء البحث على قاعدة كمية متبعين منهج التحليل الكمي . لذلك فالقاعدة التي سيقوم عليها البحث سوف تعبر عنها المعادلة التالية :

$$THI = 0.4\ (td+tw)+15$$

(1) أ — H., Robinson, Op Cit, P414

ب — فوزي صادق ، اقتصاديات السياحة في الاردن ، مصدر سابق ، ص ١٦ — ١٧

حيث ان: (THI) يشير الى الحروف الاولى من دليل الحرارة والرطوبة

Temperature Humidity Index

td = حرارة الهواء الجاف .

tw = حرارة الهواء الجاف مطروحاً منهـا مقـدار الحـرارة المستهلكة في عملية التبخر ابتكر توم THOM هذه المعادلة عام ١٩٥٨ كمقياس لعدم الراحة Discomfort لمناخ الولايات المتحدة (١).

قسم الدليل الى ثلاث مراتب كما يلي:

١ ــ عندما يساوي الدليل (THI). ٧٠ فان ١٠ ٪ من سكان الولايات المتحدة يشعرون بضيق او عدم الراحة uncomfortable

٢ ــ ترتفع النسبة الى ٥٠ ٪ من سكان الولايات المتحدة مع (THI) يساوي ٧٥

٣ ــ تصل النسبة الى ١٠٠ ٪ من سكان الولايات المتحدة مع (THI) يساوي ٧٩

مع ملاحظة ان مراتب الدليل تتأثر بعملية التكيف او التأقلم Acclimatization المناخي لذلك يكون الحد الادنى (٧٠) هو الحد الفاصل لصلاحية المناخ للاصطياف بالنسبة للفرضية الاولى باعتبار السائح اجنبي غير متأقلم على مناخ منطقة الزيارة Tourist Destination Area بينما يكون الدليل بقيمه الثلاثة حدوداً فاصلة للمفاضلة بين المواقع بالنسبة للفرضية الثانيـــة.

تقييم الاصطياف

الاصطياف بمعزل عن جميع العوامل الاخرى (٢). وعندما يرتبط بعامل المناخ (بجميع عناصره ــ الحرارة ــ الرطوبة ــ الرياح ــ الامطار والضغط الجوي) يرتبط اساساً بالراحة

(1) Smith, Keith. Principles Of Applied Climatology, McGraw- Hill Company, London 1975, P. 166 .

(٢) القصد من العوامل الاخرى هو العوامل الدافعة لغرض الاصطياف سواء منها مايتعلق بالرغبة القدرة على السفر ، الدخل ، النقل او نحوها ، ففي هذا البحث لاعلاقة لها ، فالبحث لم يهتم بحساب تأثيرها وذلك لاعطاء الاختلافات المناخية وزنها في عملية الاصطياف دون مؤثر اخر : او بعبارة اخرى كيف تتنافس المناطق والاقاليم او الدول على جذب السائحين بقوة عامل المناخ فقط .

الطبيعية Physiological Comfort للجسم البشري (١) . وحيث ان جسم الانسان يكون في قمة نشاطه عندما تكون درجة الحرارة الداخلية CoreTemperature ، 37°C لذلك فان فاعليه الجسم او قدرته على النشاط خارج المساكن out doors (بمعزل عن عمليات التكييف المناخي) سوف ترتبط بمقدار مايؤثر المناخ مباشره على تلك الدرجة. اي عندما يعمل المناخ على رفع او خفض درجة الحرارة الداخلية فان فاعلية الجسم تضعف في كلا الحالتين ويبدأ عندها الجسم بعمليات فزيولوجية لغرض الموازنة للحرارة الجسدية وتكون في العادة على حساب جسم الانسان نفسه. لان عملية الموازنة الحرارية للجسم تهدف دائماً الى جعل كل مايكتسب من حرارة ، او يفقد يساوي صفرا كما في المعادلة التالية(٢).

$$M+R+C-E=\phi$$

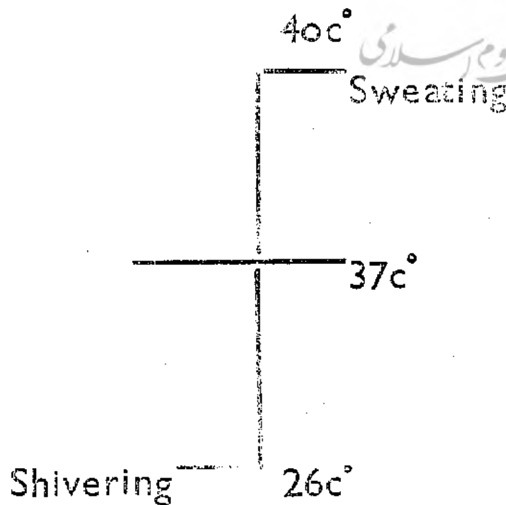
حيث ان M الحرارة المتوالدة داخل جسم الانسان .

R الحرارة المفقودة عن طريق الاشعاع الجو الخارجي .

C الحرارة المكتسبة بفعل الجو الخارجي .

E الحرارة المفقودة بفعل التبخر .

ولايضاح العلاقة بين الحرارة الطبيعية مع المؤثرات المناخية والعمليات الكيمياوية والميكانيكية التي يقوم بها جسم الانسان لغرض الموازنة الحرارية.



مخطط (١)

نلاحظ المخطط رقم (٢) وفنه يتضح ان درجة الحرارة المثالية هي 37c° والمدى الحراري المسموح به يكون صغيراً بين 26°c كادنى حد مسموح به و 40°c كأقصى حد ممكن(٣) المؤثرات الجوية

اما ان ترفع درجة حرارة الجسم الطبيعية او تخفضها وفي كلا الحالتين يحاول الجسم المقاومة والتكيف

(١) القصد هو عدم استخدام أي نوع من أنواع التكيف كالمراوح والمبردات ونحوها.

(٢) Smith, Keitlt, Op cit, P. 164.

(٣) سجلت حدودا ابعد من ذلك وصلت إلى 18c° الادنى و 43·5c° الحد الاعلى. نفس المصدر ، ص ١٦٥

لمنع زيادة المدى ومحاولة لجعل الحرارة الداخلية في صورتها المثالية (37c°) او الى اقرب ماتكون منها ففي الحالة الاولى ، اي عندما يعمل الجو على رفع درجة حرارة الجسم ، تحدث عملية التعرق Sweating وهي عبارة عن عملية تبريد ميكانيكية (Cooling Mechanism) تهدف الى خفض حرارة الجسم الداخلية بعد ارتفاعها نتيجة المؤثرات الجوية الخارجية اذا استمر الجو الخارجي بالعمل على رفع درجة حرارة الجسم فان عملية التعرق تستمر مع ارتفاع درجة الحرارة الى الحد الذي يحتم على الانسان الابتعاد عن المؤثرات الجوية اما بالمكوث داخل المسكن واستخدام اجهزة التبريد أو إستخدام الماء البارد عن طريق السباحة او الابتعاد بعض الوقت الى موقع مايكون فيه المناخ اقل تأثيراً. ودون ذلك يعرض الانسان نفسه لخطر الموت في حالة استمرار الحرارة واستمرار التعرق .

في الطرف الثاني من المخطط يحدث الفعل نفسه في حالة عمل الجو على خفض الحرارة حيث تكون مقاومة الجسم هنا عن طريق عملية الرجفة Shivering وهي تحدث كمحاولة من الجسم للزيادة في توليد الحرارة الداخلية كعملية تعويض للحرارة المفقودة بفعل الجو تستمر هذه العملية ايضاً ، مع استمرار تناقص حرارة الجسم بفعل المؤشرات الجوية. وتحدث الخطوة نفسها مع استمرار هبوط حرارة الجسم بفعل الجو.

عمليتا التعرق والرجفة تكون على حساب قوة ومناعة الجسم ففي الحالة الاولى استهلاك للسوائل وارتفاع نسبة الاملاح في الجسم والثانية استهلاك للهيموكلوبين وبعض الخلايا الاخرى. لذلك يضطر الانسان لاستخدام وسيلة ما للحد من العمليتين.

وباستثناء استخدام اجهزة التكييف فان العمليات الاخرى ترتبط بالسياحة نفسها سواء هدفت للحد من عملية التعرق والبحث عن مناخ مريح او الهروب من المناطق الباردة ، للاستمتاع بمناخ دافـــــــئ .

يلاحظ ان العملية الاولى ، الاصطياف ،أكثر شيوعاً وضرورة لجسم الانسان من عملية البحث عن المناخ الدافيء في المشاتي. والسبب يعود الى ان جسم الانسان يكون اكثر قدرة على تعويض الحرارة المفقودة ، بفعل الجو الخارجي عن طريق الحركة والملابس، اما حالة ارتفاع الحرارة تكون اكثر خطوزة لان قدرة الجسم تضعف ويميل الانسان الى قلة الحركة والنشاط كمحاولة لتقليل تولد الحرارة الداخليـــــة .

على هذا الاساس سيكون المناخ السياحي هو الذي يوفر اقصى حد ممكن من راحة الانسان او حيث لاتعمل المؤثرات المناخية على رفع حرارة الجسم الاعتيادية. او بعبارة اخرى حيث تكون للنسبة المئوية لسكان الموقع مع دليل الحرارة لذلك الموقع تساوي صفراً أي ان دليل الحرارة يكون (٦٩) فاقل لاشهر الصيف الثلاثة ، حزيران ، تموز وآب ، وبين هذه الدرجة للدليل والحد الاعلى المسموح به (٧٩) سوف تتنافس المواقع في افضليتها.

امتحان الفرضيات

يتطلب امتحان الفرضيات توفر نوعين من الاحصاءات هما :

١ — درجة حرارة الهواء الجاف : Dry- bulb Temperature (td)

٢ — درجة حرارة الهواء الجاف — مقدار مااستهلك في عملية التبخر Wet- bulb Temperature (wt)

كلا الدرجتين الحراريتين بالمقياس الفهرنهايتي وهذا مالا توفره الاحصاءات المناخية الاردنية مما تطلب تحويلها من الدرجات المئوية الى الفهرنهايتية ، اضافة الى ذلك احصاءات المناخ لاتوفر النوع الثاني من درجات الحرارة لذلك اشتقاقها تطلب معرفة ناحيتين هما :

١ — الرطوبة النسبية لكل شهر.

٢ — مقدار الانخفاض Depression لحرارة الهواء الجاف .

وباستخدام جداول مقياس الرطوبة الجوية (١) . Hygrometric Tables

ثم اشتقاق درجة حرارة الهواء الرطب (Wt) .

نتائج العمل وضعت في الجداول (٣أ ، ب ، ج) .

ومنها يتضح مايلي :

اولا : من مجموع المحطات المناخية والبالغة (٢٩) محطة اظهرت (٩) محطات فقط صلاحيتها للاصطياف بالقياس العالمي ، حيث بلغ مقدار الدليل بين (٦٢) و(٦٩) .

ثانياً : وقعت هذه المحطات الصالحة للاصطياف بالقياس العالمي في اقليم المرتفعات حيث تركزت على هذا الاقليم (٨) محطات مناخية هي :

(1) Meteorological office, Hygrometric Tales , Part I , Siath ed.. Hermajesty's Stationary Office, Lohdoh, 1964, PP. V- 70 .

١ . رأس منيف
٢ . الجبيهة
٣ . محطة ارسال ناعور
٤ . مادبا
٥ . الربه
٦ . محطة الحسن الزراعية
٧ . الشوبك
٨ . القرين

ويعود سبب ذلك الى عاملين اساسيين هما :

١. عامل الارتفاع فقد مثلت المحطات المناخية الثمانية اعلى المناطق إرتفاعاً في الاردن حيث بلغ ادنى ارتفاع لها في مادبا ٧٨٥ متراً و١٥١٠ متراً فوق مستوى سطح البحر في القرين .

٢ . انخفاض معدل الرطوبة النسبية مما يسمح بتسرب الحرارة وانعكاسها وقلة تأثيرها .



جدول رقم (٣ —

دليل الحرارة والرطوبة لمنطقة غور الاردن

المسلسل المحطة	J.	F.	M.	A.	M.	J.	J.	A.	S.	O.	N.	D.	Yearly
(1)	60.4	62.5	65.6	70.4	74.4	77.5	80.5	81.6	78.7	74.6	67.9	66.1	71.6
(2)	59.0	60.6	63.5	67.8	68.6	76.4	78.9	79.2	77.9	74.0	67.7	60.8	70.0
(3)	57.7	59.3	62.1	66.8	71.7	75.9	78.6	79.2	77.1	72.5	65.7	59.7	69.1
(4)	57.0	58.9	61.5	66.4	66.4	75.0	77.9	78.4	76.2	72.[illegible]	6.0	59.4	68.4
(5)	57.6	59.5	62.3	66.8	71.7	76.0	78.8	79.4	77.3	79.5	65.8	59.5	68.9
(6)	604	62.4	65.4	70.1	74.3	77.4	79.5	80.0	77.4	73.7	68.0	62.1	70.9
(7)		0.5	63.8	68.4	72.9	76.3	77.8	78.4	76.4	72.4	66.0	59.7	69.5

١) غور الصافي
(٢ علا
(٣ ر اليابس
(٤ ا الشمالية
٥ مستوت الباقورة
(٦) ميناء العقبة
(٧) مطار العقبة

جدول رقم (٣ ـ ب)

دليل الحرارة والرطوبة لمنطقة المرتفعات الشرقية

تسلسل المحطة	J.	F.	M.	A.	M.	J.	J.	A.	S.	O.	N.	D.	Yearly
(1)	51.4	53.1	56.0	61.3	65.6	69.8	68.0	72.6	0.47	66.4	60.0	53.2	62.8
(2)	50.0	54.4	55.6	60.8	66.1	70.9	72.0	72.0	69.6	65.6	59.2	52.7	62.4
(3)	54.0	56.4	58.9	63.1	68.0	67.9	75.0	74.9	73.6	70.0	62.0	57.0	65.4
(4)	46.4	50.6	51.7	56.0	62.0	65.2	68.0	67.2	65.5	61.9	55.6	50.2	58.7
(5)	48.0	50.0	53.2	57.7	62.6	66.1	68.4	68.5	71.0	63.5	56.5	50.3	59.6
(6)	49.9	51.9	54.8	59.5	64.6	68.6	70.8	70.8	65.2	64.9	58.0	51.9	61.5
(7)	51.6	54.0	57.1	61.5	66.0	69.7	71.9	71.3	69.3	66.9	60.4	54.1	63.1
(8)	48.5	50.8	53.6	57.8	62.4	65.9	68.0	68.0	66.4	63.3	56.5	51.0	59.7
(9)	50.6	53.1	55.2	59.6	63.8	66.4	69.6	69.4	68.4	64.4	58.4	50.2	60.8
(10)	54.8	54.7	65.8	66.5	66.5	69.0	71.0	71.6	70.5	67.1	61.6	55.3	63.7
(11)	49.9	51.7	54.5	58.9	63.2	66.8	68.8	69.0	67.3	64.3	58.4	52.0	60.4
(12)	47.5	50.3	53.0	58.0	63.4	66.1	89.7	68.4	66.4	62.7	55.8	50.2	59.4
(13)	44.8	47.0	50.0	55.2	58.9	62.1	64.3	64.5	62.4	58.4	52.4	46.8	53.2
(14)	47.0	48.5	52.0	56.6	60.5	63.6	66.6	66.8	64.6	60.9	54.4	48.4	52.9

(١) مستنبت اربد

(٢) الرمثا

(٣) الطيبة

(٤) راس منيف

(٥) الجبيهة (الجامعة الاردنية)

(٦) عمان (المطار المدني).

(٧) عمان (المدرج الروماني)

(٨) محطة (ارسال ناعور

(٩) مادبا

(١٠) وادي والا

(١١) الربه

(١٢) محطة الحسن الزراعية

(١٣) الشوبك

(١٤) القرين

جدول رقم (٣ — ح)

دليل الحرارة الرطوبة لمنطقة الصحراء

تسلسل المحطة	J.	F.	M.	A.	M.	J.	J.	A.	S.	O.	N.	D.	Yearly
(1)	50.8	53.4	56.9	61.6	66.2	69.5	71.6	71.4	70.2	65.4	58.5	52.8	62.8
(2)	50.1	52.9	56.1	61.1	65.7	69.4	71.7	72.0	70.1	69.4	57.5	51.8	66.3
(3)	50.0	52.4	56.3		67.4	71.4	73.9	73.9	71.2	66.3	58.6	52.0	63.3
(4)	49.4	52.1	52.1	61.3	66.4	70.3	72.9	72.8	68.3	65.4	57.6	51.5	62.4
(5)	49.4	51.9	54.8	59.8	64.4	67.7	70.3	70.5	68.9	64.3	57.3	51.4	58.0
(6)	49.0	49.4	53.8	58.8	62.6	65.7	68.0	67.8	66.4	64.4	58.3	50.4	59.6
(7)	49.1	51.8	55.6	60.8	65.3	68.9	70.9	71.3	69.6	65.2	57.6	50.3	61.6
(4)	49.1	51.6	54.7	60.2	64.8	68.1	70.7	70.0	68.4	64.0	56.8	50.9	61.0

(١) الـزرقـاء

(٢) وادي الضليل

(٣) H5

(٤) H4

رق

(٩) الجيـزة

(٧) الجـفـر

(٨) معـان — المطار —

اما المحطة الاخرى فقد وقعت في اقليم الصحراء في الجيزة ويعود ذلك الى كونها تأتي اعلى محطة في اقليم الصحراء اضافة الى انخفاض الرطوبة النسبية في مقدمات الجبال الشرقية.

ثالثاً: جميع محطات الغور بدون استثناء تجاوزت الحدود المسموح بها للدليل بين (٧٥) و (٨١,٦) . وهذا يعود الى عامل رئيسي هو انخفاض مستوى المحطات حيث وقعت بين ٣٥٠ مترا دون مستوى البحر و٥١ مترا فقط .

رابعاً: سجلت بقية محطات اقليم المرتفعات (باستثناء المحطات الثمانية السابقة الذكر) المرتبة الثانية في قيمة الدليل فلم يصل الدليل الى (٧٢) باستثناء محطة الطيبة ، لذلك يمكن اعتبارها منافسة بدرجة كبيرة لبقية المناطق الاخرى الاردنية على الصعيد المحلي .

تحقق الفرضيات :

١ ــ تكون الفرضية الاولى قد تحققت على المستوى العالمي في الاردن في (٨) محطات مناخية انتشرت على اقليم المرتفعات من امتداده الشمالي الى الجنوبي .

٢ ــ تحقق الفرضية الثانية في نفس الاقليم في المناطق الاقل ارتفاعا .

التوصيات :

١ ــ استناداً الى تحقيق الفرضيتين لذلك فأن صناعة السياحة الاردنية تكون اكثر نجاحاً اذا توجهت تلك الصناعة لبناء متطلباتها في اقليم المرتفعات لغرض الاصطياف لتطوير السياحة الاردنية من الضروري ان توجه لاستغلال هذا الاقليم سياحياً . ومما يساعد على نجاح استغلال هذا الاقليم كونه مثل الناحيتين في الاصطياف ، على المستوى العالمي في المناطق الاكثر ارتفاعاً يدعمها المستوى المحلي في المناطق الاقل ارتفاعاً .

٢ ــ استغلال منطقة الغور لاغراض السياحة الشتوية فيما يخص دفء المناخ فقط أي ممكن ان تجذب سائحين على المستويين العالمي والمحلي للاستمتاع بدفء المناخ حيث اظهر الدليل انها من افضل المحطات المناخية شتاءاً .

المصادر

١ ــ صادق ، فوزي اقتصاديات السياحة في الاردن ١٩٥٠ ــ ١٩٧٦ ، عمان ١٩٧٨

٢ ــ المملكة الاردنية الهاشمية ، دائرة الاحصاءات العامة ، الاردن في ارقام ١٩٨٩

٤ ــ المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة السياحة والاثار ، دائرة التسويق ، احصاءات سياحية ١٩٧٩

٥ ــ المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة السياحة والاثار ، دائرة التسويق ، احصاءات سياحية ١٩٨٠

(6) Hashemite Kingdon of Jordan, National Planning Council, Five year Plan For Economic and Social Development 1981- 1985, Amman .

(7) Metcorological Dep., Statistics Division, Table I, Mean Monthiy Air Temocrature .

(8) Metcorological office, Hygrometvic Tables, Partl, Siath Ed., Hermajest'ys Stationary Office, 1964.

(9) Robinson, H., A Geograony Of Tourism Macdonald & Evans Ltd., London 1976 .

(10) Smith, K., Principles Of Spplied Climatology, McGrow Hill Book Company Ltd. , London 1975 .

ملحق احصائي (١) الاحصاءآت الأوليه Raw Data التي استخدمت في البحث

١ – وادي الغور

المحطة المناخية	الارتفاع «متر»	E °	E ′	N °	N ′	معدل الحرارة (م) كانون الثاني	شباط	مارت
غور الصافي	-350	35	28	31	02	15.7	17.5	20.2
دير علا	-224	35	37	32	13	14.7	15.9	18.2
وادي اليابس	-200	35	35	32	37	13.0	14.3	16.5
الشونة الشمالية	-200	35	36	32	37	12.8	14.3	16.2
مستنبت الباقورة	-170	35	37	32	38	13.3	14.7	16.9
ميناء العقبة	2	35	00	29	31	16.0	17.6	20.2
مطار العقبه	51	35	00	29	33	14.5	16.6	19.5
٢ – المرتفات الشرقية								
مستنبت إربد	616	35	51	32	33	8.6	9.9	12.2
الرمثا	590	35	59	32	35	7.5	10.8	11.9
الطيبة	373	35	43	32	32	10.5	12.4	14.4
راس منيف	1,150	35	45	32	22	5.2	8.5	9.0
الجبيهة	980	35	53	32	01	6.0	7.7	10.2
مطار عمان المدني	766	35	59	31	59	7.5	9.2	11.6
عمان (المدرج الروماني)	750	35	57	31	57	8.8	10.8	13.4
محطة ارسال ناعور	910	35	52	31	54	6.2	8.1	10.3
مادابا	785	35	48	31	43	.2	10.1	11.8
وادي الوالا	450	35	47	31	33	10.1	11.3	13.9
الربة	920	35	45	31	16	7.6	9.1	11.4
محطة الحسن الزراعية	1,200	35	43	30	47	6.1	8.2	10.5
الشوبك	1,365	35	32	30	31	3.8	5.5	8.0
القرين	1,510	35	28	30	06	5.5	7.0	10.0

نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	ايلول	تشرين اول	تشرين ثاني	كانون اول
24.6	28.1	31.1	33.0	33.5	30.7	27.4	22.1	17.0
22.2	26.4	29.4	31.1	31.1	29.8	26.7	22.0	16.1
20.7	25.2	28.3	30.1	30.2	28.6	25.1	19.7	14.5
20.6	24.0	27.5	29.4	29.7	28.1	25.4	20.3	14.8
20.7	25.0	28.2	30.0	30.3	28.8	25.3	20.1	14.7
24.1	27.8	39.2	31.5	31.6	29.5	26.6	22.0	17.2
23.7	27.9	30.6	32.0	31.8	29.6	26.2	20.9	15.7
16.1	20.5	23.5	24.8	24.9	23.5	20.7	15.4	10.2
16.3	20.9	23.4	24.8	24.4	22.7	20.1	15.1	9.6
18.0	22.2	24.9	26.9	26.6	25.4	23.4	17.3	12.7
12.8	17.9	20.2	22.0	20.9	19.5	17.9	12.8	7.3
14.0	18.4	21.2	22.7	2.6	21.2	18.6	12.9	7.7
15.6	20.2	23.4	24.9	24.7	23.0	19.8	14.2	9.0
17.4	21.6	24.7	26.2	25.4	23.8	21.8	16.4	10.7
14.0	18.0	20.9	22.7	22.1	20.7	18.7	13.0	8.3
15.5	19.5	22.1	23.8	23.6	22.4	19.5	14.5	7.8
18.1	21.9	24.6	25.7	25.6	24.3	21.6	16.9	11.7
15.1	19.0	21.8	23.3	23.2	21.6	19.3	14.4	9.2
14.7	18.7	21.4	23.3	22.8	21.1	18.4	12.7	8.0
11.9	15.2	18.0	19.8	19.7	17.8	14.8	9.7	5.3
13.9	17.4	20.2	22.4	22.5	20.6	17.4	1.5	6.8

								٣ – الصحراء
13.0	10.6	8.3	32	05	36	07	555	الزرقاء
12.6	9.8	7.5	32	09	36	17	580	وادي الضليل
13.3	10.0	7.8	32	12	37	08	672	H5
13.3	9.9	7.5	32	30	38	12	683	H4
11.6	9.0	7.1	32	22	36	15	686	المفرق
10.9	8.7	6.8	31	43	35	59	715	الجيزة
12.8	9.4	7.3	30	17	36	09	865	الجفر
12.1	9.5	7.4	30	10	35	47	1,069	مطار معان

table No: I Mean Monthly Air Temperature



9.8	14.7	20.3	24.0	25.2	25.6	24.2	21.6	17.3
8.8	13.6	19.9	23.8	25.3	25.5	23.9	21.1	16.8
9.3	14.9	21.5	25.9	27.8	28.3	26.4	23.0	18.1
9.1	14.3	21.0	25.5	27.8	28.3	26.2	22.7	18.1
8.6	13.6	19.2	22.5	23.9	24.1	22.6	20.0	15.8
7.8	12.7	17.8	20.6	21.8	22.2	20.6	18.2	14.8
8.5	13.8	20.0	24.0	25.9	25.9	24.3	21.5	17.4
8.8	13.5	19.7	23.6	25.3	25.9	23.9	21.0	17.0

Meterological Department, Statisics Division,

مكتبتنا العربية



الزمان في فكر البعث

محمد محمود الكبيسي
معهد الدراسات القومية والاشتراكية / الجامعة المستنصرية

المقدمة

اذا كان الزمان من الموضوعات الحيوية التي شغل امرها الفكر الانساني عامة ، كما سيتبين بعد ، في الفقرة الاولى من هذا البحث ، فان من الضروري السؤال فيما اذا كـــان البعث قد اهتم بموضوع الزمان ، ومدى ذلك الاهتمام ، وطبيعته ، والغاية منه . اوقل ، مدى مساهمته في حل هذه المشكلة ، وطبيعة ذلك الحل ، طالما ان للبعث افكاره ومواقفه.

وحين يظهر السؤال مهما ، فلابد من البحث عن الجواب . ولكن ، ماينبغي قوله ، ههنا ، هو ان اهمية السؤال ، لاتكفي ان تكون سببا يبرر البحث عن الجواب اذا كانت الدراسات السابقة قد انجزت المطلوب من السؤال . اذ ما القيمة من ان يكرر الانسان غيره ، فيضيع زمنا ينبغي ان يوظفه في البحث عن الجديد ، فلا يخضع لاحكام الاستنساخ والتقليد .

وفيما يتعلق بهذا البحث ، فان الكتب ، والابحاث ، والدراسات ، والمقالات التي تناولت فكر البعث ، لم تدرس هذا الموضوع ، بحسب ماأعلم . على الرغم من كثرتها وتنوعها . اي ان الجواب عن هذا السؤال غير متحقق في دراسة سابقة تسلب البحث الذي يأتي بعدها اهميته واذن فالجواب مهم مبرر مثلما هو السؤال ، وفي ذلك مايكفي ان يؤيد البحث في ان تتمثل مشكلته العلمية بعنوانه الموسوم (الزمان في فكر البعث)، وحل المشكلة عنده هو الهدف ، والهدف ايضاح موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من الزمان .

ولاجل تحقيق هدف البحث ، جاءت خطته تتضمن بالاضافة الى هذه المقدمة ، ثمان فقرات . اهتم البحث في الفقرة الاولى ، بتقديم موجز عن طبيعة معالجة الفكر الانساني للزمان . اما في الفقرة الثانية ، فقد هدف الى تسمية الالفاظ الزمانية التي وردت في النصوص البعثية من اجل ايضاح مايتعلق منها بالفكر البعثي. واما في الفقرة الثالثة ، فانه سعى الى تحديد مفهوم الزمان. بينما اوضح في الفقرة الرابعة، الزمن التاريخي. ووظف الفقرة الخامسة ، للحديث عن ابعاد الزمان وهي الماضي والحاضر والمستقبل ، وبيان تعريفاتها والعلاقة بينها . وقد بين في الفقرة السادسة كيفية توحيد ابعاد الزمان في الفكر البعثي ، من خلال الحديث عن الزمن الثوري . وتناول في الفقرة السابعة العلاقة بين الحركة الانقلابية والزمان واوضح في الفقرة الاخيرة ، وهي التاسعة اهمية الزمن في المنهج البعثي .

واخيرا فان من خطة البحث انه تضمن ، ايضا ، خاتمة اوجز فيها موقف البعث من الزمان ، استنادا الى المعطيات التي توصل اليها في ثنايا البحث ، كما تضمن قائمة بالمصادر والمراجع .

وفي الختام ، لابد من القول ، ان الكمال في البحث غاية لاتدرك . فعسى ان يكون البحث قد ادرك منها مايجعله عملا ناجحا .

والله الموفق

اولا: تمهيد في معالجة الفكر الانساني للزمان :

عرف الانسان الزمان من خلال ملاحظته للظواهر الطبيعية الحادثة بانتظام ، فاعتمده في تنظيم حياته . وقد اهتم بهذه الكلمة التي تتردد على لسانه بمعان متعددة اهتماماً كبيراً ، فكانت ولا تزال موضوعاً حيوياً شغل امره الفكر الانساني عامة ، من اجل سبر غوره وحل المشكلات التي يثيرها ، فانتج بذلك مادة غزيرة عن الزمان ، كما يتبين في الكتب ، والابحاث ، والدراسات ، والمقالات الكثيرة التي تناولته في شتى حقول المعرفة .

لقد اهتم الباحثون بدراسة المادة المتوفرة عن الزمان في المعاجم اللغوية والكتب السماوية ، لايضاح المعنى اللغوي والديني له (١) . كما تناولوه في الفلسفة للكشف عن الادلة التي تثبت وجوده ، والعوامل الفاعلة في ذلك ، ومن ثم تعريفه ، وبيان طبيعته ، ومشكلة التناهي واللاتناهي فيه ، وغيرها الكثير مما يتعلق بهذه المشكلات (٢) . واهتموا بالتعرف على كيفية ادراك الانسان لمفهوم الزمان منذ وجوده على هذه الارض ، ومحاولة تفسيره من خلال التصور الاسطوري والشعبي له (٣) . والحديث عن الزمن الانساني ، اي وجود الانسان في الحياة . عن بداية وجوده في الكون . عن تاريخه الذي يحمل قصته في هذا العالم (٤) . وتناولوه في الادب محاولين تحديد معناه فيه واثره على العمل الادبي ، وبيان

(١) انظر : الدكتور امام عبد الفتاح ، الزمان في القرآن ، مجلة الثقافة الليبية ، العدد الرابع ، السنة الثالثة (ليبيا ١٩٧٦) ص٤٢ وما بعدها . كذلك : كاظم فتحي الراوي ، الفاظ الزمان بين اللغة والقران ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد الرابع (بغداد ١٣٩٩/١٩٧٩ ص٢٥٧ — ٢٨٩) .

(٢) انظر : الدكتور عبد الرحمن بدوي ، الزمان الوجودي ، ط٣ (بيروت ١٩٧٣). كذلك : الدكتور حسام الالوسي ، الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ، ط١ (بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠) . ايضا : محمد محمود الكبيسي ، نظرية الزمان في فلسفة الغزالي ، رسالة ماجستير ، (بغداد ١٩٨٣) .

(٣) انظر : الدكتورة نبيلة ابراهيم ، الانسان والزمن في التراث الشعبي ، مجلة الاقلام ، العدد الثامن ، السنة الحادية عشرة (بغداد ١٩٧٦) ص٢ — ٨. كذلك : كمال صفوت ، مفهوم الزمان بين الاساطير والمأثورات الشعبية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الثاني (الكويت ١٩٧٧) ص٢١١ —٢٣٤ .

(٤) انظر : الدكتور قاسم عبدة قاسم ، مفهوم الزمن عند المؤرخين المسلمين ، مجلة قضايا عربية ، العدد الاول، السنة السادسة (بيروت ١٩٧٩) ص١١٣ — ١٢٠ .

رؤية الادباء له ، واثر تلك الرؤيا في اثارهم ومواقفهم (٥) . كما هدفوا إلى معرفة الكيفية التي تستخدم فيها الجماعة الحضارية مفهوم الزمن الاجتماعي ، ومقدار تأثير القيـــم الاجتماعية في هذا الاستخدام (٦) . ومن منظور سياسي للزمان ، بحث للتأكيد عــلى (الاحداث الراهنة) والسيطرة الفكرية على الان ، والكيفية التي يتحدد بها العمل السليم (٧). ومن وجهة نظر معاصرة بحث الزمان في ديمومة علاقة العرب بحضارتهم ، بفعل استحضار الزمن التاريخي ، وهو موضوع هذا البحث .

اما في مجال العلوم ، فقد بحث الزمان من قبل علماء الفيزياء ، فذهب نيوتـن إلى «ان الزمن الرياضي الحقيقي المطلق ، بنفسه وبطبيعته الذاتية ، يجري بالتساوي دون أية علاقة بأي شيء خارجي» (٨) . اما الزمان النسبي «فانه محسوس وله علاقة بشيء خارجي فهـو مدة الحركة» (٩) ، بينما يرفض آينشتين الذي جعل الزمان بعداً رابعاً ، ان يكون للزمان المطلق وجود ، انه نسبي «وهو يطول ويقصر حسب امرين ، الامر الاول حسب السرعة (اي) كلما زادت السرعة زاد التباطؤ ، الامر الثاني حسب الكتلة ، فالزمن يسير ببـطء عند الكتل الكبيرة» (١٠) . كما تحدث الباحثون عن الزمان البيولوجي ، او الزمان الباطن ، أو قل ، الساعة البيولوجية التي بواسطتها تضبط الكائنات غير المدركة الزمان الظاهر او الطبيعي فبه تحدد فترات زمنية معينة ، تنشط فيها لتستمر حياتها (١١) . كما اهتم علمـاء

(٥) انظر : هانز مير هوف ، ترجمة الدكتور اسعد رزوق . (القاهرة ١٩٧٠) . كذلك : الدكتور جلال الخياط ، الشعر والزمن (بغداد ١٩٧٥) ايضا : عبد الاله الصائغ ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام (بغداد ١٩٨٢) .

(٦) انظر : فجر جودة ، القيم الحضارية واثرها في استخدام الزمن ، رسالة ماجستير (بغداد ١٩٨٢) .

(٧) انظر : ريجيس دوبري ، الزمن والسياسة ، ترجمة مصطفى نادر (بيروت بلا تاريخ).

(٨) انظر : الدكتور عبد الرحيم بدر ، الكون الاحدب ، ط٣ (بيروت ١٩٨٠) ص٢٨ .

(٩) Bobert M , Hutchins (ed) *Great Books The World Western* Vol III *The Great Ideas* (Chicago 1952) PP . 898– 899.

(١٠) انظر : عبد الرحيم بدر ، المرجع السابق ، ص٣٥، ٣٦، ٣٧. وللمزيد عن اراء اينشتين في الزمان ، انظر : برتراندرسل ، الف باء النسبية ، ترجمة فؤاد كامل (دار الثقافة العربية للطباعة ١٩٦٥) ص٤١ — ٤٧ . كذلك : الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا ، اينشتين والنظرية النسبية ، ط٧ (بيروت ١٩٧٤) ص٥٨ وما بعدها .

(١١) انظر : عبد المحسن صالح ، الزمن البيولوجي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الثاني (الكويت ١٩٧٧) ص٩ — ٦٤ .

النفس بموضوع الزمان عند الطفل في مراحل نموه المختلفة ، وكيفية تولد فكرة الزمان عنده (١٢) .

اما من الناحية الحضارية، فقد «عنيت الامم المتحضرة من قدم الزمان بقياس الزمن وتحديد الضوابط الفلكية والرياضية له. لما في ذلك من وثيق الارتباط بحاجاتهم الروحية ومصالحهم المعاشية، وقد سجل العلماء من قدماء المصريين (والبابليين) والكلدانيين والرومان وغيرهم نظرياتهم المختلفة ونتائج حساباتهم في نظم راسخة اطلقوا عليها (التقاويم) ثم وضع المتأخرون الفهارس والمراجع الضخمة دونوا فيها ثمرة تراث المتقدمين وفصلوا فيها ما وسعته هممهم العالية من حساب الزمن سنة سنة وشهراً شهراً الى المستقبل البعيد» .

وبعد هذه النظرة الموجزة في طبيعة معالجة الفكر الانساني لموضوع الزمان، يتوجه البحث في الفقرة اللاحقة الى تسمية الالفاظ الزمانية التي وردت في النصوص البعثية، بغية ايضاح تلك التي يتعلق منها بالفكر البعثي.

ثانياً: الفاظ زمانية:

ان الالفاظ الزمانية التي وردت في بعض النصوص البعثية هي الزمن او الزمان، (١٣) الزمن الاصطلاحي، (١٤) الزمن المجرد، (١٥) زمن حسابي (١٦)، الزمن الرياضي (١٧)

---

(١٢) محمد عبد الحافظ ،عوض ، معالم التقاويم ومفتاح النتيجة السنوية ،ط١ (دار الفكر العربي ١٩٦٠) ص٥ .

(١٣) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ط١٩ (بيروت ١٩٧٦) ص٣٧، ٧١، ٧٣، ١١٨، ١٦٠، ١٦٦، ٢٧٤، ٢٨٣؛ كذلك : البعث والوحدة ، ط٣ (بيروت ١٩٧٥) ص١٣، ١٨، ٧٢؛ ايضا معركة المصير الواحد، ط٧ (بيروت ١٩٧٥) ص٣٣، ٣٤، ٩٩، ١٦١؛ كذلك : نقطة البداية ، ط٥ (بيروت ١٩٧٥) ص٤٦؛ ايضا : في السياسة العربية ، ط٣ (بيروت ١٩٧٦) ص٢٢، ٢٣. وانظر : صدام حسين ، نضالنا والسياسة الدولية (بغداد بلا تاريخ) ص١٤، ٢١، ٣٠. كذلك: الثورة والنظرة الجديدة (بغداد بلا تاريخ) ص٧٧ .

(١٤) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٥٥ .

(١٥) انظر : صدام حسين ، نضالنا والسياسة الدولية ، ص١٧ .

(١٦) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٩ .

(١٧) انظر : الثورة العربية ، الجريدة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، العدد العاشر، السنة الثالثة عشرة (بغداد ١٩٨١) ص٦ .

الزمن النفسي (١٨)، الزمن البيولوجي (١٩)، الزمن الوجودي (٢٠)؛ الزمن التاريخي (٢١) الزمن الثوري، (٢٢) الزمن المضاف، (٢٣) الزمن الضائع، (٢٤) الزمن القريب (٢٥)، الزمن البعيد (٢٦)، زمن الحركة الانقلابية (٢٧)، زمن النضال الوطني (٢٨)، زمن العباسيين (٢٩)، زمن الفرنسيين (٣٠)، زمن الدكتاتورية (٣١)، زمن فاروق (٣٢) زمن الملكية (٣٣)، الماضي (٣٤)، ماضي الحزب (٣٥)، ماضي العرب (٣٦)،

(١٨) انظر : ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ص١٥٥، كذلك: الثورة العربية، ص٦، ٩.

(١٩) انظر : الثورة العربية، ص٦، ٩.

(٢٠) انظر : الثورة العربية، ص٩.

(٢١) انظر : الثورة العربية، ص٥، ٦، ٧، ٨، ١١.

(٢٢) انظر : الثورة العربية، الجريدة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي، العددان السابع والثامن، السنة الثالثة (بغداد ١٩٧١) ص١١٢.

(٢٣) انظر : صدام حسين، الثورة والنظرة الجديدة، ص٩١.

(٢٤) انظر : ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ص٧٢.

(٢٥) انظر : ميشيل عفلق، نقطة البداية، ص٧٢.

(٢٦) انظر : ميشيل عفلق، نقطة البداية، ص٧٢.

(٢٧) انظر : ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ص٧٣.

(٢٨) انظر : ميشيل عفلق، البعث والوحدة، ص٢٣.

(٢٩) انظر : صدام حسين، الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة، ط١ (بغداد ١٩٧٩) ص١٦.

(٣٠) انظر : ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ص٢٤٩. كذلك : البعث والوحدة، ص٢٥.

(٣١) انظر : ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ص٢٤٩. كذلك : البعث والوحدة، ص٢٥.

(٣٢) انظر : ميشيل عفلق، الشعب العربي في معركة التحرر، ط٢ (بيروت ١٩٧٥) ص٥٢.

(٣٣) انظر : ميشيل عفلق، الشعب العربي في معركة التحرر، ص٥٢.

(٣٤) انظر : ميشيل عفلق، البعث والوحدة، ص٤٩. كذلك : نقطة البداية، ص٤٦، ١١٦.

(٣٥) انظر : ميشيل عفلق، البعث وتحديات المستقبل (بغداد ١٣٩٦/١٩٧٧) ص٥، ١٠.

(٣٦) انظر : الدكتور الياس فرح، مستقبل العمل الثوري العربي، ط١ (بيروت ١٩٧٣) ص٥٧.

ماضي الأمة (٣٧) ، ماضي الامم الأخرى (٣٨) ، الحاضر العربي (٤٠) ، الحاضر المطبوع بالعجز (٤١) ، الحاضر المزيف (٤٢)، الحاضر الغريب عن حقيقتنا (٤٣)، المستقبل (٤٤) المستقبل العربي (٤٥) ؛ المستقبل العربي المنشود (٤٦) ، مستقبل الامة العربية (٤٧) مستقبلنا القريب والبعيد (٤٨) ، مستقبل الاجيال القادمة (٤٩) ، مستقبل هذا النضال (٥٠)

---

(٣٧) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٧٤ .

(٣٨) انظر : ميشيل عفلق ، معركة المصير الواحد ، ص١٢٦. كذلك : البعث والوحدة، ص٥٠ .

(٣٩) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨، ٣٠، ٣٧، ٧٠، ٩٨، ٩٩. كذلك : معركة المصير الواحد ، ص١٠١. ايضا : البعث وتحديات المستقبل، ص٥، ١٠. كذلك : في السلوك الحزبي ، ط١ (بيروت ١٩٧٤) ص٣٤، ٣٩. وانظر : صدام حسين، الملكية الخاصة ومسؤولية الدولة (بغداد بلاتاريخ) ص٩. كذلك: الدكتور الياس فرح، في الثقافة والحضارة (بغداد ١٩٧٩) ص٣٨، ٧٨ .

(٤٠) انظر : ميشيل عفلق ، البعث وتحديات المستقبل ، ص٥ .

(٤١) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٤٨ .

(٤٢) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨٣ .

(٤٣) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨٣ .

(٤٤) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٣، ١٩، ٣٤، ٣٩، ٦٦، ٧٤، ٨٥، ٨٨، ٩٩، ١٥٤، ١٦٠. كذلك : معركة المصير الواحد ، ص٣٥، ٨١. ايضا : نقطة البداية، ص٤٦، ١١٦. كذلك : البعث وتحديات المستقبل ، ص١٠. ايضا : في السلوك الحزبي، ص٣٢. كذلك : البعث والوحدة ، ص١٥، ٧٢. ايضا في السياسة العربية ، ص١٤، ٢٣، ٨٠ ، وانظر : صدام حسين ، المطلوب تضحيات اكثر ودقة في العمل (بغداد بلا تاريخ) ص٢٩، ٥٤. كذلك : صدام حسين ، نضالنا والسياسة الدولية ، ص٣٠ ايضا : نكسب الشباب لنضمن المستقبل (بغداد بلا تاريخ) ص٣. وانظر : الثورة العربية ، العدد العاشر، ص٥، ٦، ١٠، ١١.
وانظر : الدكتور الياس فرح ، مستقبل العمل الثوري، ص٦١. كذلك : في الثقافة والحضارة ، ص٣٨. ٧٨ .

(٤٥) انظر : ميشيل عفلق ، في السلوك الحزبي ، ص٣٦ .

(٤٦) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٥٣ .

(٤٧) انظر :ميشيل عفلق ، في السياسة العربية ، ص١٦٤. كذلك: في السلوك الحزبي ، ص٣٦

(٤٨) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٥٩ .

(٤٩) انظر : صدام حسين ، المطلوب تضحيات اكثر ودقة في العمل ، ص٢٩ .

(٥٠) انظر : ميشيل عفلق ، في السياسة العربية ، ص١٦٤ .

مستقبل امتنا المشرق (٥١) ، المستقبل المشرق (٥٢) ، المستقبل المبدع (٥٣) المستقبل الزاخر بالممكنات (٥٤) ، المستقبل الجديد (٥٥) ، المستقبل الواسع (٥٦) ، وقت (٥٧) ، الوقت الحاضر (٥٨) ، الان (٥٩) ، الاونة الاخيرة (٦٠) ، برهة (٦١) اللحظة (٦٢) ، اللحظة الاولى (٦٣) ، لحظات اليوم (٦٤) ، اللحظة الانتخابية (٦٥) ، اللحظة التاريخية (٦٦) ، اللحظات القومية المقدسة (٦٧) ، مرحلة زمنية (٦٨) ، المرحلة

(٥١) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٣٣ .

(٥٢) انظر : ميشيل عفلق ، في السياسة العربية ، ص٧٠ .

(٥٣) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٣٦ .

(٥٤) انظر : ميشيل عفلق ، معركة المصير الواحد ، ص٤٨ .

(٥٥) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٥٣ .

(٥٦) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٥٩ .

(٥٧) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١١. كذلك : في السياسة العربية ، ص٨١. وانظر : صدام حسين ، نضالنا والسياسة الدولية ، ص١٧ .

(٥٨) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٩ .

(٥٩) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٧،٨، ١٣، ١٩، ٢٧، ٣٠، ٣٦، ٥٤، ٦٧. كذلك : البعث والوحدة ، ص٥٦. ايضا : في السياسة العربية ، ص٨. وانظر : صدام حسين ، نضالنا والسياسة الدولية ، ص١٤ .

(٦٠) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والاشتراكية ، ط١ (بيروت ١٩٧٣) ص٢٠ .

(٦١) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٢٧ .

(٦٢) انظر : ميشيل عفلق ، في السلوك الحزبي ، ص٣٣ .

(٦٣) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والتراث ص١٥١ .

(٦٤) انظر : الثورة العربية ، الجريدة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة (بغداد ١٩٧١) ص٥٧ .

(٦٥) الثورة العربية ، العددان السابع والثامن ، ص١١٢ .

(٦٦) انظر : ميشيل عفلق ، البعث وتحديات المستقبل ، ص٨ .

(٦٧) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والوحدة ، ص٥٦ .

(٦٨) انظر : ميشيل عفلق ، معركة المصير الواحد ، ص٩٠ .

الحاضرة (٦٩) المرحلة الراهنة (٧٠) مرحلتنا الحاضرة (٧١) ، الأمد (٧٢) ، مدة طويلة (٧٣) ، حين (٧٤) ، القرن (٧٥) ، القرون (٧٦) القرون الكاملة من السنين (٧٧) ، عام (٧٨) سنة (٧٩) ، سنين (٨٠) ، في السنين الماضية (٨١) ، في السنوات السابقة (٨٢) اشهر (٨٣) الاشهر الاخير (٨٤) ، يوم (٨٥) ، يوم التحرير (٨٦) ، ايام الشباب (٨٧) ، ساعة (٨٨) دقيقة (٨٩) ، السرعة (٩٠) ، البطء (٩١) ، الخلود (٩٢) .

---

(٦٩) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٤٢ .
(٧٠) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٥ .
(٧١) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٦٥ .
(٧٢) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨ .
(٧٣) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٣٥ .
(٧٤) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٤٣ .
(٧٥) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والوحدة ، ص٤٠ .
(٧٦) انظر : ميشيل عفلق ، نقطة البداية ، ص٦٥ .
(٧٧) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨ .
(٧٨) انظر : ميشيل عفلق ، في السلوك الحزبي ، ص٣٥
(٧٩) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والوحدة ، ص٤٠ .
(٨٠) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٩ .
(٨١) انظر : ميشيل عفلق ، نقطة البداية ، ص١٢٨ .
(٨٢) انظر : ميشيل عفلق ، نقطة البداية ، ص١٢٨ .
(٨٣) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٩ .
(٨٤) انظر : ميشيل عفلق ، في السلوك الحزبي ، ص٢٥ .
(٨٥) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨ ، ١١ ، ١٣ ، ٨٨ . كذلك : في السياسة العربية ، ص٨٠ ، ٨١ .
(٨٦) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والاشتراكية ، ص٣٤ .
(٨٧) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والاشتراكية ، ص٢٣ .
(٨٨) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٣ ، ١١٨ .
(٨٩) انظر : ميشيل عفلق ، نقطة البداية ، ص٤١ .
(٩٠) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٧ ، ٧١ ، ٧٢ .
(٩١) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٧٣ .
(٩٢) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٠٥ .

ثالثا: تعريف الزمان :

ان عبارات من مثل : في هذا الزمن الذي كثرت فيه الدعوات والادعاءات(٩٣) . لم نعرف في تاريخنا زمناً كثر فيه الكلام وطغى على كل شيء مثل هذا الزمن الذي نعيش فيه (٩٤) . ينال من الحركة الزمن (٩٥) . الصمود للزمن (٩٦) . ، صامداً للزمن (٩٧) لاتصمد للزمن (٩٨) ، لايؤثر فيهم الزمن (٩٩) ، يشق حجب الزمن (١٠٠) وحشة الزمان (١٠١) ، وما نسجه الزمن (١٠٢) ، ما يستحيل على الزمن وعلى القوى الاستعمارية الغاشمة مهما اشتدت ان تطفيء هذه الشعلة (١٠٣) . عدم ترك الزمن يسيطر على مقدرات الامور (١٠٤) . ان الزمن قد يكون معاكساً لها ، وانها يجب ان تفرض نفسها على الزمن (١٠٥) . زمناً طويلا (١٠٦) . بعد زمن طويل (١٠٧) . نختصر الزمن (١٠٨) . لم يستغل الزمن (١٠٩) . اقول ، ان مثل هذه العبارات تجعل البحث ازاء صفات الزمن التي منها أنه يؤثر ، ويغير ويسيطر ، وينال ، ويطفيء ، ويعاكس ، وهو طويل ، قصير ، ويختصر .. الى غير ذلك من خصائص وسمات يمكن استنتاجها من عبارة الزمن يفعل فعلا سلبياً وايجابياً ، هذه العبارة المستخلصة من العبارات سالفة الذكر .

(٩٣) انظر : ميشيل عفلق ، في السياسة العربية ، ص٢٢ .
(٩٤) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٢٢ .
(٩٥) انظر : ميشيل عفلق ، نقطة البداية ، ص٤٦ .
(٩٦) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٠١ ، ١٠٢ .
(٩٧) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والوحدة ، ص١٨ .
(٩٨) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٠٤ .
(٩٩) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٢٧٤. كذلك : البعث والوحدة ، ص٧٢.
(١٠٠) انظر : ميشيل عفلق ، البعث والوحدة ، ص٧٢ .
(١٠١) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٠١، ١٠٢ .
(١٠٢) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١١٨ .
(١٠٣) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٢٧٥ .
(١٠٤) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٧١ .
(١٠٥) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٢٦ .
(١٠٦) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٤ .
(١٠٧) انظر : صدام حسين ، نضالنا والسياسة الدولية ، ص٣٩ .
(١٠٨) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٣٩ .
(١٠٩) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٧٣ .

واذا كان الامر هكذا ، فان سؤالا مهما شغل امره الفكر الانساني عامة ، وهو مـا الزمان ؟ ينبغي البحث عن جوابه في الفكر البعثي .

ان الزمن عند البعث ، ليس هو الزمن بالمعنى الفلسفي او الرياضي او البيولوجي ، الى غير ذلك من المعاني التي تمثل حلولا مختلفة لمشكلات الزمان . اي ان هذه الحلول ليست هي الحل البعثي ، ولا الزمان الذي يمكن استخدامه مقياساً للاشياء ، استناداً الى هذه المعاني ، هو المقياس للحياة العربية التي ينشدها البعث وفقاً لمعاني الزمن التاريخي التي ستتبين بعد ، ذلك ان «الزمن الرياضي ، المتساوي الابعاد ، الالي الايقاع ، والذي يجزيء الوجود الى ومضات . ولحظات متراصفة متقطعة محسوبة حساباً رياضياً ، باعتبارها أنات متساوية » .

ان هذا الزمن الوصفي الموضوعي الآلي ، لم يعد مقياساً لحياة العراق ، ومعركته وثورته وروح الانبعاث التي تميزه ،ولا حتى الزمن البيولوجي الذي يتخذ من ايقاع التطـور الحيوي مقياسا ، او الزمن النفسي المستوعب للصلة بين الشعور واللاشعور من جهة وبين العالم الموضوعي من جهة اخرى . او الزمن الوجودي ، الذي يتخذ من المعاناة الكليـة للذات الانسانية اساساً للتعامل مع الزمن . لان الزمن التاريخي الذي دخل الى حيـاة العراقيين من خلال تجربة البعث الثورية ،قد تجاوز تلك المقاييس التقليدية للزمن (١١٠)»

ان البحث ، ههنا ، ازاء معاني جديدة للزمان ، تلك التي يجدها في النصوص البعثيـة ابتداء بنصوص كتاب (في سبيل البعث) التي لاحظ على بعضها الدكتور الياس فرح ، انها اعطت للزمان مفهوماً جديداً ، كما يتضح ، على سبيل المثال لا الحصر ، في مقالة (حول الرسالة العربية) التي ظهرت في عام ١٩٤٦ حيث «نلاحظ تصحيحاً لمفهوم الزمـن وانقاذاً لابعاده وصيرورته ، من آثار المفاهيم اللاهوتية والفلسفية (١١١)»،ومن ثم فان «مثل هذا التصحيح يأخذ ابعاداً جديدة في مقالة (المستقبل) عام ١٩٥٠ حيث يتابع الفكر العربي الثوري الجديد مهمته في انقاذ هذه المفاهيم من النظرات التي تفتقر الى الفهم العلمي الثوري للواقع العربي وللمرحلة الراهنة للمجتمع العربي . فهو بعد ان يحرر مفهوم الزمـن من النظرات اللاهوتية والفلسفية .

---

(١١٠) الثورة العربية ، العدد العاشر ، ص٩ .

(١١١) الدكتور الياس فرح ، قراءة منهجية في كتاب في سبيل البعث ، الجزء الأول ، ط١ (بيروت ١٩٨١) ص٨٩ .

يمضي في تحديد المفهوم الجديد للزمن محرراً اياه من الفهم الوضعي الجزئي والسطحي ، مؤكداً المفهوم العلمي الثوري الجديد (١١٢)». فما هو هذا المفهوم العلمي الثوري الجديد للزمان ؟

قبل الجواب على هذا الاستفهام ، ينبغي استخلاص النظرة العامة للزمان دونما ربط الزمان بعنصر او بفئة او بحزب او بفكر معين ، وتلك تعني ، ان الزمان : هو المناخ الذي تخلقه الظروف الطبيعية ، وغير الطبيعية من سياسية ،واجتماعية ، واقتصادية ، وفكرية ونفسية ، وغيرها فيؤثر في تحقيق فعل الانسان الفرد والمجتمع ودورهما في المصير العام للانسانية .وعليه فان الزمان بهذا المعنى ،اما ان يكون سلبياً فيعمل على تعزيز الفعل السلبي للانسان ويلغي دوره الحقيقي في الحياة ، ويفقده معنى انسانيته بسلبه اياها ، واما ان يكون ايجابياً فيعزز الفعل الايجابي للانسان ويحضر دوره الحقيقي في الحياة ، ويحقق له معنى انسانيته . وعلى هذا الاساس يمكن تفسير الازمنة المتعلقة بالانظمة التي اشير اليها من قبل ، وذلك استناداً الى هذا المفهوم للزمن ، فتكون ازمنة سلبية او ايجابية ، ومنها زمن الدكتاتورية في انه زمن سلبي لانه يلغي الدور الحقيقي للانسان .

وبعد هذا التحديد العام لمفهوم الزمن ، يكون البحث قد اتاح لنفسه فرصة الاجابة عن السؤال الذي سبق ان اجل الحديث عنه والمتعلق بالمفهوم العلمي الثوري الجديد للزمان وذلك يكون من خلال الحديث عن الزمن التاريخي .

رابعاً: الزمن التاريخي:

يذهب التعريف البعثي الى ان «الزمن التاريخي ، هو المناخ الذي تتحقق فيه شخصية الانسان الفرد ، وشخصية المجتمع ، تحققاً انسانياً عميقاً ، فهو الزمن الذي يوحد ابعاد الماضي والحاضر والمستقبل ويطلق القوى المبدعة في الامة ويعزز فعلها الايجابي في المصير العام للانسانية (١١٣)» .

هذا هو الزمن التاريخي الذي يرى البعث انه «عندما يغيب ... ، تنقطع الصلة بين التاريخ وبين المعنى الانساني للتقدم ، اي الصلة بين التاريخ وبين المعنى الانساني للتقدم ، اي الصلة بين الثقافة والحضارة . لان الغياب يكون عندئذ في الفعل الانساني اي في قدرة الانسان على الربط بين الانتاج والابداع ، وبين العمل والفن ، بين القوة والمبدأ الخلقي ،

(١١٢) الدكتور الياس فرح ، قراءة منهجية ، ص٨٩ــ ٩٠ .
(١١٣) الثورة العربية ، العدد العاشر ، ص٥ .

وكذلك في عجز الانسان والمجتمع ، عن حمل رسالة الحرية وعن تحمل المسؤولية التاريخية (١١٤)» ، وعليه فان «منذ غاب الزمن التاريخي في حياة العرب ، انقطع العرب عن حضاراتهم ، وابتعدوا عن ذواتهم ، وغرقوا في الضياع . واصبحت مرحلة الانحطاط نوعاً من الحياة خارج اطار التاريخ الحي ، اي نوعاً من الديمومة اللاتاريخية لوجود فقد اصالته وكثافته وفعاليته (١١٥)» .

ان النصوص السابقة تشير الى عنصر رئيس في تحقق معنى الزمن التاريخي ، الا وهو الفعل الانساني الذي يتصف بـ(الجدية والنضالية والابداع ، والالتزام المبدئي ، والتمسك بالقيم والتطلع نحو مستقبل يضعه النضال المعبر عن حقيقة الامة (١١٦)» ذلك الفعل الذي لايمكن ان يكون حين يفقد الانسان ذاته ، ويعيش في حالة اغتراب عنها ، فلا يفهم لوجوده معنى ، بل ولا يرى ذلك ، فيغرق في الضياع الذي يفقده السيطرة على الحركات الكثيرة والمتنوعة في عالم الحركة والزمان . فلا يستطيع الاستغراق في فعل ايجابي يؤدي به الى انتاج وخلق وابداع جميل مفيد ، او مفيد جميل فينقطع عن ماضيه وحاضره ومستقبله . لذلك يعمل البعث على استحضار الزمن التاريخي ، من اجل استحضار الفعل الانساني ، وتحقيق شخصية الفرد والمجتمع . وتجديد الصلة الحية بماضي الامة وحضارتها ، وتوحيد ابعاد الزمن بما يكفل تحقيق نهوض حضاري جديد . فما هي ابعاد الزمن ؟ هذا ما ستجيب عليه الفقرة اللاحقة .

خامساً: ابعاد الزمان :

ان ابعاد الزمان هي الماضي والحاضر والمستقبل ، فماذا تعني هذه الابعاد ؟

١ — الماضي

يذهب التعريف الذي يحدد ماهية الماضي في الفكر البعثي الى ان الماضي هو الزمن الذي تحققت فيه الروح العربية ، وهذا يتبين في نصين ، يقول اولهما : «ان الماضي الذي تحن اليه الامة وتجد فيه ثروة لها وقوة ، هو الزمن الذي تحققت فيه روحها(١١٧)» ، اي

(١١٤) الثورة العربية ، العدد العاشر ، ص٥ .

(١١٥) الثورة العربية ، العدد العاشر ، ص٥ .

(١١٦) الثورة العربية ، العدد العاشر ، ص٩ .

(١١٧) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٦٠ . نلاحظ ان هذا النص قد ورد في مقالة (العرب بين ماضيهم ومستقبلهم) التي ظهرت عام ١٩٥٠ .

كما يقول النص الثاني : «اننا نقصد بالماضي ذلك الزمن الذي كانت فيه الروح العربيـــة متحققة (١١٨)» . فما معنى هذا التعريف ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تعني ايضاح معنى الزمن والروح ، ومعنى عبارة (تحققت فيه الروح العربية) ، فلنبدأ بمعنى الروح وما تدل عليه تلك العبارة ، طالما ان البحث قد بين مفهوم الزمن ، من قبل .

ليس للروح دلالة غيبية في الفكر البعثي ، وانما «هي تعبير عن نزوع الانسان ونزوع الجماعة سواء اكانت حركة نضالية ام امة بكاملها الى تحقيق المثل والى الانسجام في الحياة مع المثل الاخلاقية الرفيعة (١١٩) وهذا النزوع الذي كان يتميز به الانسان العربي في الماضي ، قد حقق هدفه لذلك يورد البحث ههنا نصاً يؤكد هذه الحقيقة ويكشف معاني العبارة سالفة الذكر ، وبما يسمح بتحديد معنى الماضي ، وهذا النص يقول «اما الماضي الحقيقي فهو الذي يدعونا حنيننا اليه، الى ان نسعى ونجد، ونناضل ونرتفع. هذا هـــو الماضي الروحي الحر السليم الذي كان للعرب .

لقد كان هذا الماضي عهداً تحققت فيه الروح العربية، اي انه كان هو نفسه انقلاباً بلغ فيه الفكر حريته واستقلاله ونضارة احساسه بالحياة وبالعالم فابدع ونظم،وانسجم مع قوانين الحياة والطبيعة ، وبلغت فية الشخصية حريتها وفرديتها وجديتها ومسؤولياتها فانطلقت تعمل اعمالاً حرة، وتقف مواقف بطولية وتتجاوز حدود الانانية الى الانسجام مع الارادة العامة والانسجام مع المجموع ، وبلغت فيه الروح ينبوعها الصافي فأمتلأ ت خصباً وتجدداً ،وعرفت قدرها الازلي فاشبعت بالايمان» (١٢٠) .

يظهر من هذا النص ان المعاني التي يعبرعنها تدل على معاني الزمن التاريخي الذي من مقومات وجوده الفعل الانساني الايجابي ، انها تعبر عن انسان مؤمن، مريد ، مدرك، حر مستقل ، منسجم، مبدع ، خالق، منتج، مسؤول.... الخ ،فهو فاعل باتجاه مايحقق شخصيته وشخصية المجموع ، بأيمانه بالحياة والوجود، وادراكه لهما، واحساسه بقيمتها التي تعني ايمانه بذاته ،وبوجوده، وبذوات الاخرين وبوجودهم وبأنسجامه مع قوانين الحياة الطبيعية ،وبايمانه بارادته التي لاتتعارض مع الارادة العامة للمجموع ، بل تنسجم

---

(١١٨) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨٣ . يلاحظ ، ايضا، ان هذا النص قد ورد في مقالة (معاني الانقلاب) التي ظهرت عام ١٩٥٠ .

(١١٩) ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، ص٢٠ .

(١٢٠) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨٥، ص٨٨ — ٨٩ .

معها ، بحريته واستقلاليته ، بابداعه ، وخلقه وانتاجه ، بكل هذا وذاك الذي يجعل منه انساناً فاعلاً في الحياة ، حاضراً فيها غير غائب ، وحيا غير ميت ، لاغائباً وهو حاضر وميتاً وهو حي ، انه الحضور الروحي الذي حقق به الانسان العربي نهوضاً حضارياً فكان الماضي بهذا المعنى زمناً تاريخيـــــاً.

مماتقدم يتبين ان الماضي بعد زماني ايجابي ، فهو الزمن التاريخي الذي تحقق فيه النهوض الحضاري للامة العربية ، لذلك فهو يتضمن تراثاً عريقاً للامة ، اوقل انه التراث ، لان القراءة المتفحصة للنصوص البعثية تؤدي الى ان الماضي في الفكر البعثي يعني التراث(١٢١).

وعليه فقد سجل البعث موقفه المؤمن بالماضي ، الذي تضمن نقداً للمواقف التي ترفضه(١٢٢) او التي تؤمن به وتستنسخه استنساخــاً بدلاً مـــن ان تفهمه فهماً ابداعياً يخدم الحاضر والمستقبل ، «لانه اذا اردنا ان نفهم الماضي فهماً ابداعياً فيجب ان نأخذ منه الروح والجوهر . الذي يعني الثورة ، فاذا كنت مؤهلا للابداع تتمكن أن تعطي أشياء يختلف ظاهرها كل الاختلاف عن الماضي ، ولكنها على العموم ، التعبير الأمين عن تأثرك بالتراث فقد أخذت من الماضي الجوهر الذي هو في حقيقته الثورة على البالي ، على الضـــار ، وعلى الفساد من أجل تحديد الحياة » ، (١٢٣) أي التعامل مع الماضي بصيغ تدعـــو إلى

---

(١٢١) انظر : ميشيل عفلق ، البعث وتحديات المستقبل ، ص١٠. كذلك : الدكتور الياس فرح ، مستقبل العمل الثوري العربي ، ص٦١ .

(١٢٢) للمزيد من التفاصيل عن نظرة الحزب الى الماضي والحاضر والمستقبل ، وموقفه النقدي من الذين يرفضون التراث ، انظر : على سبيل المثال لاالحصر ، ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٩، ٢٠، ٣٣، ٣٤، ٤٦، ٦١، ٦٣، ٧٤، ٨٣، ٨٥، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ، كذلك : البعث وتحديات المستقبل ص ٥-٦ ، ٨ ، ١٠ ايضا : في السلوك الحزبي ، ص٣٩. كذلك : نقطة البداية، ص١١٦. ايضا : الشعب العربي في معركة التحرر ، ص٢٣، ٨٣، ١٦٦. وانظر : صدام حسين ، الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة ، ص١٦. كذلك : مستقبل الأمة الوضاء الجديد (بغداد بلا تاريخ) ص٤٠ ايضا: نظرة في الدين والتراث ،ط١ (بغداد ١٩٧٨) ص٣. كذلك . حول كتابة التاريخ (بغداد ١٩٧٨) ص١٧. وانظر : الدكتور الياس فرح ، تطور الايديولوجية العربية الثورية ، ط٦ (بيروت بلا تاريخ) ص٣١ كذلك : مستقبل العمل الثوري العربي ، ص٦١، ٦٤. ايضا: الاشتراكية في الوطن العربي ، ط١ (بيروت ١٩٧٧) ص٥٧ .

(١٢٣) ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، ص٩٠ .

الابتكار ورفد الحياة بالجديد ، لا إلى التقليد الذي لايضيف لها شيئاً ، اذ « نحن لاننسخ الماضي ، ولا نستنسخ عن الماضي ، انما نستلهم روحه بصيغة جديدة من التطور » (١٢٤) .

٢ — الحاضر :

اذا كان الماضي في منظور حزب البعث العربي الأشتراكي ، هو الزمن الذي تحققت فيه الروح العربية ، فان الحاضر هو الزمن الذي غابت فيه الروح العربية حين غاب فعل الانسان العربي الايجابي بغياب الزمن التاريخي .

ويظهر الحاضر في الفكر البعثي ضدا ونقيضاً للماضي والزمن التاريخي ، فهو الحاضر العربي المزيف المطبوع بالعجز الغريب عن حقيقتنا (١٢٥) ، الذي عاد فيه الانسان العربي إلى وحشته ويأسه بعد ان فقد الشعور بالوحدة القومية والكيان القومي والتجانس القومي (١٢٦) التي كانت متحققة حين كان الاسلام الذي غير نظرة العربي إلى الزمن وابعاده ، ذلك ان « الحاضر الذي كان النقطة الوحيدة التي يتمسك بها الجاهلي وينقذ بها نفسه من النسيان والعدم . اصبحت في نظرة العربي الجديد المسلم هي النقطة المظلمة وحدها وكل ماعداها مضيء : لانها هي مكان التجربة والامتحان ، والهوة السحيقة التي لاتجتاز الا على جسر من الجهاد والتقوى .

لقد تبدل القلق الخارجي في نفس العربي الجديد وحل محله القلق الداخلي، كما تبدلت عزلة المكان ووحشة الزمان بعزلة الفكر ووحشة في النفس والضمير» (١٢٧) . وبهذا اعقبت فترة الجاهلية «فترة قصيرة تحققت فيها مطالب الروح في الحرية والمساواة وفي انطلاق النفس العربية والفكر العربي الى ما هو اثبت واوسع من القيم النسبية الواهية فارتبطت بقيم مطلقة ثابتة شعر العربي بالارتياح اليها والاطمئنان فاعطى كل ماعنده. ولما فقد الكيان القومي عاد الفرد الى الوحشة واليأس (١٢٨).

ان عودة الانسان العربي الى هذه الحالة السلبية جعلته ينقطع عن حضارته وماضيه الروحي، ويفقد بعد آزمانياً ايجابياً، ويعيش في بعد زماني سلبي، هو الحاضر غير الروحي

(١٢٤) صدام حسين ، حول كتابة التاريخ ، ص١٧ .
(١٢٥) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨٣ .
(١٢٦) انظر : ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٠٣ .
(١٢٧) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٠٢ .
(١٢٨) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٠٣ .

الذي يهدف البعث الى تجاوزه بتوحيد ابعاد الزمن، وتحقيق المستقبل ،فما المستقبل؟ .

٣ ـ المستقبل :

للاجابة عن السؤال السابق، ماالمستقبل؟ يعتمد البحث على نصوص وردت في كتاب (في سبيل البعث) مع مراعاة التسلسل التاريخي لظهور تلك المقالات التي وردت فيها تلك النصوص، كشفاً عن تطور معنى المستقبل عند البعث.

ولاجل تحقيق ذلك الغرض. يبتدأ البحث بتلك النصوص الواردة في مقالة «الجيل العربي الجديد» الصادرة عام ١٩٤٤. والتي يظهر فيها ان المستقبل يعني الجيل الجديد ، كما يتبين في النص الذي يقول : «فالغيرة على الجيل الجديد اي على المستقبل.... » (١٢٩) فماذا يقصد من هذا التعريف؟ اوقل ماذا يعني الجيل الجديـــد.؟ .

دون الدخول بالتفصيلات التي يمكن لمن يرغبها ان يرجع الى تلك المقالة ، يسوق البحث نصاً يحدد معنى الجيل الجديد بقوله : «اننا اذ نذكر الجيلالعربي الجديد نعني به جيلا لم يتحقق بعد وان تكن له في واقعنا ممكنات ، ومن العبث ان ننتظر ظهور هـذا الجيل اذا لم تظهر فكرته . فالصفة المميزة له انه فكرة كله ، وان عمله اشعاع لفكرته، فاذا لم تكن لم يكن» (١٣٠) . وبهذا تحدد العلاقة الجدلية بين الفكرة والانسان العربي الذي يحملها ، ومعالم المستقبل الذي لم يتحقق بعد ، ذلك ان المستقبل لايعني الفكرة التي لايجسدها شخص هو شرط في نموها وتحققها ، ولا هو الشخص الذي لايؤمن بالفكرة فهو خال منها ، انه الفكرة الانسان ، والانسان الفكرة ، اذ «لايفهم من الجيل الجديد انه جيل الشباب اذ ليس الشباب فكرة بل هو شرط مناسب لنموها ، وقد يكون من الشباب من هم اشد من الشيوخ عداوة ومناقضة للجيل الجديد ، لذلك لن تتحقق الفكرة العربية الجديدة الا في نوع معين من الشباب » (١٣١) . وتأسيساً على ما سبق يتبين «أن الجيل الجديد لن يكون الا بانفصاله عن الجيل القديم لافي الزمن الاصطلاحي ، بل في الزمن النفسي والجوهر ، اي في اصل الفكرة ونظام تكونها وصلتها العضوية بمعتنقيها. هكذا نعتبر اصغر تلميذ قابل لان تتجسد فيه الفكرة العربية الجديدة اثمن وانفع لامتـــه

---

(١٢٩) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص(١٥٤) .

(١٣٠) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٥٢ .

(١٣١) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٥٢ -١٥٣ .

من اكبر سياسي حافل العمر بالحوادث والتجارب والخدمات» (١٣٢) . واذن فان المستقبل زمن نفسي ، وسوف تتجلى معاني هذا الزمن بصورة اكثر وضوحاً ، في مقالة (المستقبل) الصادرة عام ١٩٥٠ .

لقد جاء في مقالة المستقبل ما نصه : «ليس بيننا وبين المستقبل الذي يتحدث عنه البعث العربي والذي هو موضوع عملنا ونضالنا زمن حسابي يقدر بالاشهر والسنين . انه زمان نفسي نستطيع ان نحققه منذ الان وان نملكه فنملك به الخلود» (١٣٣) . وفي هذا النص ما يكشف حقيقة المستقبل التي ينكر البعث ان تكون زمناً حسابياً ينبغي انتظار مجيئه ، وانما هو المستوى الذي يحقق على الصعيد النفسي والفكري ، اذ «ليس المستقبل هو الزمان الذي سيأتي بل المستوى النفسي والفكري الذي علينا ان نصل اليه في الوقت الحاضر (١٣٤) وتحقيق هذا المستقبل مرهون بادراك الفرد ذاته المثالية ووعيه وتصميمه على تحقيق المستقبل اذ «لسنا بحاجة الى سنين ولا الى اشهر ، فقد يصل المرء الى هذا المستقبل في ثانية واحدة عندما يدرك الفرد ذاته المثالية ويعي ويصمم» (١٣٥) ، اي «ان يحقق هذا المستقبل منذ الان وان نحياه بيننا» (١٣٦) ، وذلك يكون بتحقيق الانقلاب العربي الذي يجسد الحياة البعثية في المستقبل ، بمعنى ان «المستقبل الذي يمثله البعثي هو الصورة عن حياة امتنا عندما يتحقق البعث ، اي عندما يتحقق الانقلاب العربي . انه صورة الامة العربية في حياتها السليمة المقبلة فعلى هذه الصورة ان تتحقق منذ الان في البعث العربي حتى ينجح» (١٣٧).

وفي المقالات التي تتعلق بمفهوم الانقلاب ، الصادرة بين عامي ١٩٤٩ — ١٩٥٥ ، وهي (حزب الانقلاب : ١٩٤٩) و (البعث العربي هو الانقلاب : ١٩٥٠) و (التنظيم الانقلابي ٢٣ شباط ١٩٥٠)و (الزمن والحركة الانقلابية : نيسان ١٩٥٠) و (الصلة بين العروبة والحركة الانقلابية : ١٩٥٠) و (من معاني الانقلاب : شباط ١٩٥٠) و (حول الانقلاب ١٩٥٠) و (علاقة التنظيم بالعمل الانقلابي : تموز ١٩٥٥) ، يجد القاريء اهتماماً كبيراً بالروح ويقظتها ، وبالادوات التي تحققها بواسطة النضال الذي يعبر عملياً عن الانقلاب ، لذلك وجد البحث ، ههنا ان المستقبل يعني الزمان الذي تتحقق فيه الروح

---

(١٣٢) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٥٥ .

(١٣٣) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٨ .

(١٣٤) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٨ .

(١٣٥) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ص ١٨

(١٣٦) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٨ .

(١٣٧) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٨ .

العربية ، وذلك يتضح في مقالة (البعث العربي هو الانقلاب) ، التي تنص على ان «المجتمع العربي المنشود والمستقبل الذي تنشده والذي تتحقق فيه الروح العربية ويتحقق فيه العدل وسلامة التركيب بين افراد الامة وطبقاتها ، هذا المستقبل يجب ان تهيأ له ادوات حية من البشر تكون من نوعه وجوهره حتى تكون امنيته في تطبيقه ، واعية لاساليبه وطرقه(١٣٨) اما في مقالة (معاني الانقلاب) التي تؤكد وجود حقيقة الامة بواسطة الانقلاب الذي «هو مغالبة المستقبل للحاضر» (١٣٩) ، فيصاغ تعريف المستقبل على النحو الذي نجده في النص الذي يقول : «اننا نقصد بالماضي ذلك الزمن الذي كانت فيه الروح العربية متحققة . وماذا نقصد نحن بالمستقبل ، وما هو هذا المستقبل الذي يغرينا ويدفعنا الى النضال ان لم يكن هو الزمن الذي يجب ان تتحقق فيه روحنا الاصيلة» (١٤٠) .

وفي عام ١٩٥٤ ، يتحدد معنى المستقبل في أنه المثل العليا كما يتبين في النص التالي : «ايها الاخوان ، تصورت البعثي دوماً على هذه الصورة لانه يجمع النقيضين ويعلو فوق النقيضين لانه يعيش في المستقبل اي يعيش في المثل العليا ويملأ الحاضر ، بمستقبله أي يملأ الحاضر بمثله العليا» (١٤١) .

واخيراً لابد ان يسجل البحث تلك النظرة البعثية المتفائلة ، والمؤمنة بتحقيق المستقبل ، التي لايخلو نص بعثي يتحدث عن المستقبل منها ، حتى انه قيل : « من لايرى المستقبل ويؤمن بانه ات لاريب فيه ليس من البعث العربي الاشتراكي» (١٤٢) .

٤ ــ العلاقة بين أبعاد الزمان :

تبين من قبل ، ان الماضي بعد زماني ايجابي فهو الزمن التاريخي الذي تحققت فيه الروح العربية والنهوض الحضاري للامة وظهر ان الحاضر بعد زماني سلبي غابت فيه الروح العربية ، وانقطع العرب عن حضارتهم وتوضح ان المستقبل هو الزمن الذي ينبغي ان تتحقق فيه الروح العربية لتحقيق النهوض الحضاري العربي الجديد فما هي العلاقة بين ابعاد الزمـــان ؟ .

---

(١٣٨) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٦٦. وقارن : مقالة (حول الانقلاب) ص٨٩ .

(١٣٩) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨٣ .

(١٤٠) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨٣ .

(١٤١) ميشيل عفلق ، الشعب العربي في معركة التحرر ، ص٢٣. ويلاحظ ان هذا النص ورد ضمن الكلمة التي القيت بمناسبة نجاح مرشح الحزب في دمشق في الانتخابات النيابية (البعث ٣ تشرين الأول ١٩٥٤) .

(١٤٢) ميشيل عفلق ، الشعب العربي في معركة التحرر ، ص٢٣. للوقوف على النصوص البعثية=

ان العلاقة متلازمة بين ابعاد الزمان في الفكر البعثي ، وذلك ان «الحاضر لاينفصل عن الماضي »(١٤٣) وان ماضي الامة يؤلف وحدة حية مع حاضرها ومستقبلها (١٤٤) ومن ثم فان «حركة البعث ...لاتفصل بين الحاضر والمستقبل،بل تسهر على ان تظهر صورة المستقبل العربي المنشود من خلال الحاضر الذي نبنيه»(١٤٥)ذلك ان المستقبل يولد من الحاضر» (١٤٦)،وهذا يعني ان البعث يريد ان «تتفاعل بذور المستقبل مع الحاضر وان ينبيء الحاضر عن ملامح المستقبل ويوصل اليه» (١٤٧)، غير ان هذا لايعني ان الحاضر هو الهدف البعثي وانما «الحاضر وسيلة ومرحلة يجب ان تسخر لهذا المستقبل الغني بالقوى والامكانات» (١٤٨).

وعليه فان «على العرب ان يحيوا حاضرهم حتى يستطيعوا ضمان حياة مستقبلهم لان المستقبل لن يأتي مالم نتوصل الى ان نحيا حاضرنا بالامة ومآسيه» (١٤٩) .

ولابد من الاشارة الى ان هذه النظرة البعثية التي لاتفصل بين ابعاد الزمان لاتعني الايمان في ان الماضي هو البعد الرئيسي للزمان الذي ينبغي البقاء عنده وتبني كل ما يتضمنه من تراث، او الاستمساك بالحاضر الذي ظهر انه بعد زماني سلبي، او الاستسلام له، وانما تعني الاهتداء بالماضي الروحي الذي حقق العرب فيه نهوضاً حضارياً وإعتبار الحاضر وسيلة الى المستقبل طالما ان الوصول اليه لايرتبط بزمن حسابي وانما بالحياة العربية التي تعبر عن معانيه ، كل ذلك من اجل تحقيق المستقبل العربي المنشود الذي يمثل نهوضاً حضارياً جديداً للعرب وتوحيد الشخصية العربية بتوحيد ابعاد الزمان وهذا يعني ان «نظرة الايديولوجية العربية الثورية الى كل من الماضي والمستقبل.. نظرة ترفض

= التي تؤكد الثقة والتفاؤل بتحقيق المستقبل ، انظر ، على سبيل المثال ، ميشيل عفلق ، في سبيل البعث، ص١٣. كذلك: السياسة العربية، ص٧٠.ايضا: البعث والاشتراكية، ص٥٩ ـ ٩٣. وانظر : صدام حسين ، المطلوب تضحيات اكثر ودقة في العمل ، ص٥٤. كذلك: التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي ، ص٢٣٨

(١٤٣) ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، ص٨ .

(١٤٤) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٩٩ .

(١٤٥) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٥٣ .

(١٤٦) ميشيل عفلق ، الشعب العربي في معركة التحرر ، ص١٩٦. وقارن : في السياسة العربية، ص٢٣ ـ ٢٤. ايضا : نضال البعث ، ج٣، ط٣ (بيروت ١٩٧٦) ص١٤ .

(١٤٧) ميشيل عفلق ، معركة المصير الواحد ، ص١٠١ .

(١٤٨) ميشيل عفلق ، الشعب العربي في معركة التحرر، ص٨٣ .

(١٤٩) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٠٤ .

الانغلاق على الماضي، كما ترفض ان تكون عبثاً على مستقبل الحضارة ..... ترفض النظرية التي تحجب الواقع لانها تكون نظرتها الثورية الحضارية من خلال استيعاب تناقضات هذا الواقع مع ماضي الحضارة ومستقبلها، في آن معاً فهي لاتنطلق من الماضي المستقبل عن حركة الزمن، وترفض ان يكون الماضي هو قطب الزمن. كما ترفض، في الوقت نفسه ان يكون المستقبل مقطوع الجذور عن الماضي لانها ترفض الذكرى التي تجمد الحياة وترفض الخيال الذي يبقيها في الحلم فالحاضر هو مركز اهتمامها والصلة الجدلية بين اطراف المعادلة هي الاساس» . (١٥٠) .

وهكذا يظهر انها «في تأكيدها على الربط بين ماضي الامة العربية وحاضرها يتجلى الحرص على وحدة الشخصية العربية وعلى استقلالها . وهي من جهة اذ تؤكد على ضرورة الثورة على الواقع الذي يتمثل في الحاضر، تأخذ بعين الاعتبار المستقبل كبعد زماني تاريخي ينطوي على الاستعداد الدائم في التجربة العربية للانفتاح على التجارب الثورية العالمية الاخرى، وبذلك يتأكد البعد الاممي الانساني للتجربة القومية العربية المعاصرة» (١٥١) .

مما تقدم يتجلى بوضوح الهدف الذي يسعى البعث إلى تحقيقه من خلال تأكيده على العلاقة المتلازمة بين الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك هو توحيد ابعاد الزمان من اجل تحقيق الزمن التاريخي بكل ما يمتلكه من معاني تعيد للعرب دورهم الفاعل في الحياة. «ما دامت عملية خلق الحضارة الجديدة والمتطورة قد توقفت منذ زمن العباسيين لذلك تقع علينا مسؤولية بناء الحضارة التي تحقق الشروط الوطنية والقومية والانسانية، بما يليق بدور العرب حاضراً، وبما يضمن التواصل الصحيح من ماضيهم المجيد وبين دورهم حالياً والمستقبل الذي ينتظرهم ويسعون اليه» (١٥٢) .

سادساً: توحيد ابعاد الزمان :

ان توحيد ابعاد الزمان يعني تحقيق الزمن التاريخي. «والزمن التاريخي لا يمكن استرجاعه، الا بعمل تاريخي، صانع للحضارة» (١٥٣)، ولن يكون ذلك الا بالفعل الايجابي للانسان والامة . ولكي يتحقق ذلك الفعل لابد من تكوين شخصية الانسان والأمة

(١٥٠) الدكتور الياس فرح، في الثقافة والحضارة، ص٢٣٤ .
(١٥١) الدكتور الياس فرح، تطور الايديولوجية العربية الثورية، ص٣٩ .
(١٥٢) صدام حسين، الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة، ص١٦ ..
(١٥٣) الثورة العربية، العدد العاشر، ص٥ .

تكويناً خاصاً يجعلها تؤمن بالفعل الايجابي وتسعى إلى تحقيقه. ولا ريب ان هذا التكوين وفق المنظور البعثي ، يقوم على اساس الاهداف التي يؤمن بها حزب البعث العربي الاشتراكي ، والسبل المؤدية الى تحقيقها. وهذا يعني التكوين البعثي لشخصية الانسان والامة ، اي ، تحقيق الشخصية البعثية للانسان العربي ، وذلك باستحضار الزمن الثوري فما الزمن الثوري؟ .

قبل استخلاص معنى الزمن الثوري وتحديده ، يرى البحث ان يسوق مجموعة من النصوص البعثية التي تسهم في تحقيق ذلك الغرض ، وهذه النصوص هي :

١ — «ان شرط المبدأ التنظيمي (الانتخاب) هو الدورة الانتخابية. بمعنى انه انتخاب واعادة انتخاب وبين الانتخاب واعادة الانتخاب تقوم الفاصلة الزمنية الضرورية. ان انتخاب عضو قيادي مثلا هو ثمرة اتفاق الاغلبية في زمن محدد وفي ظل وضع سياسي وسايكولوجي احتمالي يخلق الارادة الانتخابية ولكن ليس هناك اي شرط قسري يجعل من العضو القيادي محل اختيار دائم. فامكانات العضو القيادي وقدرته على التطور وطبيعة علاقاته الحزبية والجماهيرية كلها تساهم في تحديد جانبي اللحظة الانتخابية ، وهذه المسائل مرهونة بالزمن الثوري وبلاشك » (١٥٤).

٢ — «اني اتصور دوماً قضيتنا بانها تتألف من ثلاثة عناصر (الامة .. والحزب .. والمناضل البعثي) ، الامة هي الاصل والحزب وليد آلامها ومعاناتها وتفجر طاقاتها الكامنة ، تشوقها الى النهوض والانبعاث... والمناضل البعثي هو الذي يجسد الامة والحزب في افكاره وفي سلوكه وفي اخلاقه وتطوره ومسيرته ونضجه» (١٥٥).

٣ — «اننا لانؤمن بتجزئة الشخصية ولانؤمن بالتفكيك ، العمل الثوري كل موحد وحاضر في اذهاننا في كل لحظة ، وانما التحقيق يتجزأ يحقق منه الآن جزءاً وستتحقق اجزاء في المستقبل ، كما حققنا اشياء في الماضي لكن هو دوماً ماثل امامنا ، كذلك البعثي ، شخصيته هي صورة عن الحزب بكامله وليس هو جزءاً صغيراً من الحزب» . (١٥٦) .

ان هذه النصوص وغيرها الكثير مما سيرد بعضها في حديث البحث عن علاقة الزمن بالحركة الانقلابية ، بعد ، أقول ان هذه النصوص تكشف عن العناصر الرئيسة لمفهوم

---

(١٥٤) الثورة العربية ، العددان السابع والثامن ، ص١١٢ .

(١٥٥) ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، ص٣٥ — ٣٦ .

(١٥٦) ميشيل عفلق ، البعث والتراث ، ص٥٥ .

الزمن الثوري . وقبل تحديد تلك العناصر ، لابد من القول ، ان وصف الزمن في أنـــه ثوري يعني حمل سمة الثورية عليه ، أي انه يعبر عن معنى الثورة والثورة عند التدقيق في الفكر البعثي ، تعني الانقلاب ، كما ان الانقلاب الذي «هو التغيير الحاسم في مجرى، حياة الامة» (١٥٧) ، يعني الثورة وعليه فان الزمن الثوري زمن انقلابي ، غير انه لــن يتحقق الا بالنضال ، لان «النضال ... هو التعبير العملي عن فكرة الانقلاب » (١٥٨) ولا نضال الا بوجود المناضلين الذين يدركون حقيقة الانقلاب ويؤمنون به ويعملون من أجل تحقيقه ، ولن يكون ذلك الا بوجود التنظيم الانقلابي ، لان «الحركة الانقلابية اذا لم تقم على تنظيم متين واع ، تبدأ عملها ثم تتبعثر جهودها وتضيع بيــن . شتى الاعمال الارتجالية ، وتمضي دون ان تخلق اثرا في حياة الامة ، فالتنظيم شيء اساسي وحيوي يرافق العمل الانقلابي بل هو من طبيعة هذا العمل ويستمد من فكرتــه الانقلابية» (١٥٩) .

وهكذا يظهر من هذا الحديث والنصوص التي ذكرها البحث ، ان المناضل البعثي الذي يخلقه التنظيم الانقلابي ، والافعال التي يسعى الى تحقيقها وفقاً لاهداف ذلك التنظيم والسبل التي يسلكها وصولا الى تلك الاهداف ، تمثل العناصر الرئيسة في تحقيق الزمن الثوري . وبتعبير اخر ان الزمن الثوري يرتبط بالمناضل البعثي والعمل الثوري الذي يسعى المناضل بجد الى انجازه ، طالما انه حاضر في ذهنه في كل لحظة ، اي ان حضور العمل الثوري المستمر في ذهن المناضل البعثي ونضاله الدائم من اجل انجازه ، هـــي الشروط الرئيسة في وجود الزمن الثوري الذي يمثل التراث الثوري للمناضل البعثي داخل التنظيم الحزبي وخارجه بما يحققه من افكاره واراء واعمال وافعال ثورية ، تعبر عــن. حقيقة تجسيده الامة والحزب في افكاره وفي سلوكه وفي اخلاقه وفي مسيرته وتطوره ونضجه ، من . اجل تحقيق الانقلاب الذي يهدف الى التغيير الجذري في حياة الامة العربية لتحقيق نهوضها الحضاري

ان النتيجة التي تترتب على ما تقدم ، هي ان غياب الزمن الثوري يعني غياب الفعل الثوري، الذي يحققه المناضل البعثي ، وبالتالي غياب الشخصية المبدعة للفرد والامة ، اي غياب، الزمن التاريخي ، وبمعنى اخر عدم توحيد ابعاد الزمان وعدم تحقيق المستقبل ، وعــلى

(١٥٧) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٨٧ .

(١٥٨) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٦٢ .

(١٥٩) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٩١ .

العكس من ذلك فان حضور الزمن الثوري يعني العمل على خلق المناخ الذي تتحقق فيه شخصية الانسان الفرد ، وشخصية المجتمع ، تحققاً انسانياً عميقاً ، وبالتالي توحيد ابعاد الزمان ، الماضي والحاضر والمستقبل ، واطلاق القوى المبدعة في الامة وتعزيز فعلها الايجابي في المصير العام للانسانية ، اي تحقيق الزمن التأريخي ، الذي يدل على تحقيق المستقبل ومن ثم الخلود ، لان «الخلود ليس شيئاً بعيداً في الافق او خارج نطاق الزمن ، انه ينبعث من اعماق الحاضر ، فاذا فهمه العرب وعاشوه باخلاص فانهم سيؤدون رسالتهم الخالدة» (١٦٠) ، اي ان يحيا الانسان العربي حاضره وفق معاني المستقبل ، او قل يجسد المستقبل في حياته الحاضرة فيكون في نطاق الخلود ، ذلك ان الخلود ، ههنا ، يعني الحياة الدائمة في الحاضر وفق معاني المستقبل ، ان «الخلود ليس سير الحاضر الى المستقبل بل نقل المستقبل الى الحاضر . وان ابطال العروبة في الماضي المجيد لم يخلدوا لانهم قاموا بالاعمال العظيمة بل قاموا بالاعمال العظيمة لانهم كانوا في حياتهم يعيشون في نطاق الخلود» (١٦١) .

سابعاً: الحركة الأنقلابية وعلاقتها بالزمن:

تبين في الحديث عن توحيد ابعاد الزمان ، ان الزمن الثوري يخلق المناخ الذي يؤدي الى تحقيق الزمن التاريخي ، كما اتضح ان هذا المناخ لايكون الا بالنضال الذي هو التعبير العملي عن فكرة الانقلاب ، والذي يمارس النضال هو المناضل البعثي الذي يجسد الروح الانقلابية في نفسه من اجل تحقيق الانقلاب العربي المنشود وتحقيق المستقبل ، ذلك «ان تحقيق الانقلاب العربي المنشود رهن بتجسيد الروح الانقلابية في نفوس اعضاء البعث العربي وعقولهم» (١٦٢) . وعليه فان تحقيق الانقلاب يؤدي الى توحيد ابعاد الزمان ، ومن ثم تحقيق الزمن التاريخي ، فما الانقلاب ؟ وما علاقة الحركة الانقلابية بالزمن ؟ .

سبق ان اشير الى ان الانقلاب هو التغير الحاسم في مجرى حياة الامة ، فهو يهدف الى «بناء مستقبل جديد يختلف عن الحاضر اختلافاً جوهرياً» (١٦٣) ، ويسعى الى تحقيق اليقظة الحقيقية للروح العربية التي كانت متحققة في الماضي وغابت في الحاضر ، واذن فان «الانقلاب هو مغالبة الحقيقة للواقع ، لان للامة حقيقة رغم تخلفها

---

(١٦٠) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص١٥٩ .

(١٦١) المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(١٦٢) المصدر السابق ، ص٦٨ .

(١٦٣) المصدر السابق ، ص٨٨ .

وتشوهها ، وهذه الحقيقة تعلن عن نفسها مهما تكن سيطرة الواقع . والانقلاب هو هذا الاعلان ، هذا الاثبات لوجود الحقيقة . الانقلاب هو مغالبة المستقبل للحاضر ، لان اهدافنا المستمدة من اعماقنا ومن روحنا شعت وانطلقت تسبقنا ، لتغرينا بالسير نحوها والتسابق اليها ، هذا هو المستقبل فالانقلاب هو اذن مغالبة المستقبل ، الذي هو حقيقة انفسنا واهدافنا ، للحاضر المزيف ، للحاضر الغريب عن حقيقتنا» (١٦٤) ..

ولكي يتحقق الانقلاب لابد من وجود الحركة الانقلابية التي تسيطر على الزمن ، لان «الحركة الانقلابية بتعريفها تعني عدم ترك الزمن يسيطر على مقدرات الامور (١٦٥) ». وعليه فـ« ان النضال القومي يجب ان يكون على مستوى فكري علمي وحضاري يستطيع ، السيطرة على الزمن » (١٦٦) .

ولاجل السيطرة على الزمن فانعلى الحركة الانقلابية ان تكون سريعة غير بطيئة ،لان، «فكرة السرعة هي من صميم الحركة الانقلابية ،وهذا يفترض ان تكون هناك حركة تستطيع السيطرة على الزمن وتعجيله ، ووجود هذه الحركة يتطلب بحد ذاته بعض الزمن (١٦٧). غير ان الايمان بالسرعة ينبغي ان لايستدعي تجاوز الشروط الرئيسة للحركة الانقلابية ، فلايتحقق الهدف من وجودها . فتصبح فكرة السرعة ضد الحركة الانقلابية في الوقت الذي يجب ان تكون في خدمتها ، وعند ذلك يكون التعامل مع الزمن غير صحيح ، لان « الشروط اللازمة للحركة الانقلابية تقوم على الوعي اولا ، وعلى الشعور بالمسؤولية ثانياً وعلى الايمان اخيراً ، ولابد ان تتحقق هذه الشروط لكي تخلق الحركة الصحيحة ، وكل عمل يستهتر بهذه الشروط ببعضها بحجة الاسراع ، هو عمل متناقض وزائف ، اذاً ما الفائدة من السرعة اذا اوصلتنا الى النتائج القديمة نفسها الا وهي عدم القدرة على مجابهة الاخطار ... فالزمن الذي يصرف في تهيئة الشروط الاساسية ليس هوبالزمن الضائع»(١٦٨).

واستناداً إلى كل ما تقدم ، تأتي أهمية النظير الثوري والتنظيم الثوري والممارسة الثورية. التي تؤدي إلى خلق جيل جديد يوظف كل لحظة من حياته من اجل تحقيق المستقبل ، لان

(١٦٤) المصدر السابق ، ص٨٣ .
(١٦٥) المصدر السابق ، ص٧١ .
(١٦٦) الدكتور الياس فرح ، تطور الأيديولوجية العربية الثورية ، ص٧٠ .
(١٦٧) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٧١ .
(١٦٨) المصدر السابق ، ص٧٢ .

«الثقافة تعزز الثقة والامل بمستقبل نضال الحزب ومستقبل امتنا» (١٦٩) ، والا ف«ان اهمال التثقيف سيؤدي الى انغمار الحزبيين في الاعمال اليومية او الادارية واغفال مهمات المستقبل» (١٧٠)،اي ان يحيوا لحظات اليوم بصورة منقطعة عن المستقبل ، بدلا من أن تكون متصلة به وتعبيراً عنه وتجسيداً حياله،وهذا يعني غياب الزمن الثوري الذي يقتضي من البعثي ان يكون العمل الثوري حاضراً في ذهنه غير غائب وعليه ف«ان زمن الحركة الانقلابية يرجع آخر الامر الى نشاطها والى صدقها وجديتها، فاذا كانت مقدرة لمسؤوليتها فانها لن تضيع اية لحظة، فعملها، في السطح او العمق يتطلب تحقيقاً عادياً مستمراً ، وتثبيتاً للمبادىء في النفوس وترسيخاً لها. اما اذا ضعفت في الحركة صفتها الجدية فانها تصبح عندئذ بطيئة، فتحسب ان مجرد البطء يساعد على ترسيخ الافكار والمبادىء في نفوس» . الاعضاء .(١٧١) واذن على الحركة الانقلابية ان تستغل الزمن، وتسيطر عليه لانه «اذا لم يستغل الزمن لانماء كفاءات الحزبيين اصبح مضيعة للجهد وقتلا للكفاءات نفسها. فالحركة الانقلابية هي وحدها الحركة السريعة» (١٧٢):

ثامناً: اهمية الزمن في المنهج البعثي:

تتطلب القراءة المنهجية للنصوص البعثية شروطاً عديدة حتى تكون قائمة على اسس من الموضوعية والعمق والشمول، ومبتعدة عن العفوية والسطحية والجزئية، ومن هذه الشروط «الانتباه الى الظروف الزمانية والمكانية للنصوص الحزبية» (١٧٣) التي من شأنها ان تحدد ، السياق التاريخي للنص البعثي الذي يسهم بايضاح معنى النصوص بصورة تراعي العلاقة بينه وبين الظروف التي ولد فيها حتى لايفقد حقيقته ، ذلك ان «الاطارين الزماني والمكاني يكسبان النص حياة وينقذانه من التجريد». (١٧٤).

(١٦٩) الثورة العربية ، الجريدة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، المجلد التاسع ، .العدد الثاني (بغداد ١٩٧٧) ص١٠ .

(١٧٠) الثورة العربية ، العدد الرابع ، ص٥٨ .

(١٧١) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص٧٣ .

(١٧٢) المصدر السابق ، ص٧٣ .

(١٧٣) الثورة العربية ، الجريدة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، العددان التاسع والعاشر، السنة الثالثة (بغداد ١٩٧٢) ص١٥ .

(١٧٤) المصدر السابق ، ص١٦

ومما يؤكد حقيقة تركيز الفكر البعثي على اهمية مراعاة الباحث في فكر الحزب ، الظروف الزمانية والمكانية للنصوص البعثية، النص الذي يقول: «اننا نظلم فكر الحزب ظلماً كبيراً عندما نتجاهل الظروف الزمانية والمكانية للنصوص المعبرة عنه لاننا نعزله عندئذ من مستواه الحقيقي كفكر ثوري معجون بالنضال غير منفصل عن الحدث الثوري ، وننحدر به الى مستوى الفكر المجرد المعزول عن حركة النضال الحي» .(١٧٥) .

ان هذا التأكيد على مراعاة الظروف الزمانية والمكانية للنصوص البعثية تابع من النظرة المنهجية للبعث التي تذهب الى ان اية حركة لابد وان تتأثر بالظروف الزمانية والمكانية حتى ان هذا التأثرهو الذي يحدد نوعية الحركة. ولتوثيق هذه الحقيقة يوردالبعث نصين يقول اولهما: «ان الحركات التي تنشأ في مجتمع ما ، اما ان تكون سطحية وقتية واما ان تكون جدية اصيلة، وكلا النوعين لابد ان يتأثر بظروف المكان والزمان المحيطة به ، ولكن نوعية هذا التأثر بظروف الزمان والمكان هو الذي يعين نوع الحركة ، فاذا تأثرت الحركة تأثراً منفعلاً سلبياً استنفد كل امكانياتها وقواها حتى غرقت في ظروفها، ، ، اعتبرناها من الحركات السطحية الآنية العابرة ،واذا استطاعت الحركة ان تتأثر بالظروف المحيطة بها دون ان تغرق فيها بل احتفظت بالسيطرة عليها لتوجهها ، كانت من الحركات الجدية الاصيلــــة». (١٧٦)ويقول النص الثاني الذي يؤكد ماجاء به النص الاول :«ان التأثر بالزمان والمكان واقع لامحالة، انه شيء لامفر منه ولايمكن ان توجد حركة تستطيع التأثير في مجتمع ما دون ان تتأثر بهذا المجتمع نفسه،ولاوجود للحركات النظرية المجردة التي تعيش في الفضاء بين الارض والسماء لاتلامس الواقع ولاتتصل به (١٧٧) .

وهذه المنهجية التي تراعي موضوع الزمن في قراءة النصوص البعثية ، تسري على دراسة الشخصيات والاعمال التي يراد بحثها، ابتعاداً عن الصيغ المجردة في البحث التي لاتراعي الظروف الزمانية والمكانية المحيطة بتلك الشخصية او ذلك العمل، فـ«لكي نشير الى عظمة انسان ما، او عمل ما لايكفي ان نتحدث عن ذلك بصيغ مجردة معزولة عن الزمن ومراحله، وعن تفاعلات الاحداث .انما يجب ان تربط ذلك بمجموعة العوامل المتصلة بالزمن وبالامكانيات الذاتية، والعوامل المتصلة بالظروف المحيطة به ،لكي تبرز

---

(١٧٥) المصدر السابق ، ص١٦ .

(١٧٦) ميشيل عفلق ، معركة المصير الواحد ، ص٣٣ .

(١٧٧) المصدر السابق ، ص٣٤ .

عظمته في اطارها الصحيح» (١٧٨).

ومن اجل صياغة نظرية قومية ووطنية في موضوع ما، فلابد من الابتعاد عن النقل والتقليد للنظريات التي انتجها الفكر الانساني، وانما التفاعل معها من اجل اضافة الافكار التي تؤكد الخصوصية الوطنية والقومية. وعليه فان من الضروري في هذا الموضوع مراعاة عامل الزمن، لان «الزمن المضاف هو عوامل مضافة مع كل التطورات الحاصلة بالمجتمع، فما لم نحسب الزمن المضاف، بارتباطه بالعوامل المضافة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً و وسايكولوجياً ايضاً، فان عملية النقل، اذا كان لها بعض الفائدة احياناً، تضيع فائدتها هذه في حالة عدم ادراك التطور الحاصل في ظل الزمن المضاف». (١٧٩).



(١٧٨) صدام حسين، الثورة والنظرة الجديدة، ص٧٨.
(١٧٩) المصدر السابق، ص٩١.

الخاتمة:

ان تفصيل القول في موضوع الزمان في فكر البعث، لا يلغي الدور الذي يلعبه تقديم مجمل موجز عن الموضوع يكشف الخطوط العامة له. لذلك الاحظ، هنا أن، يكون المنهج الذي اتبعته في هذا البحث مدخلا واطارا للقضايا التي تدرج في هذه الخاتمة.

١ — عرف الأنسان الزمان من خلال ملاحظته للظواهر الطبيعية الحادثة بانتظام، فاعتمده في تنظيم حياته. وقد اهتم بهذه الكلمة التي تتردد على لسانه بمعان متعددة اهتماماً كبيرا، فتناولها بالبحث، والدراسة من النواحي اللغوية، والفلسفية، والاجتماعية والسياسية، والنفسية والبيولوجية، وفي الاساطير وعند المؤرخين، لذلك تعددت اراؤه، ومواقفه، وحلوله التي تتعلق بها. ومن هاتيك الحلول، تلك التي قدمها حزب البعث العربي الأشتراكي، في موقفه الخاص من الزمن، ذلك الموقف الذي ينسجم تماماً مع الاهداف التي يسعى البعث إلى تحقيقها في المجتمع العربي.

٢ — واذا كان للفكر الانساني حلوله المختلفة لمشكلة الزمان، فان لحزب البعث العربي الأشتراكي خصوصيته في موقفه من هذا الموضوع، ذلك ان الزمان عند البعث، ليس هو الزمان بالمعنى الفلسفي أو الرياضي او البيولوجي، وغير ذلك من المعاني التي تمثل حلولا مختلفة لمشكلات الزمان، أي ان هذه الحلول ليست هي الحل البعثي، ولا الزمان الذي يمكن استخدامه مقياساً للاشياء، استنادا إلى هذه المعاني، هو المقياس للحياة العربية التي ينشدها البعث وفقاً لمعاني الزمن التاريخي.

٣ — ان الزمان هو المناخ الذي تخلقه الظروف الطبيعية، وغير الطبيعية من سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وفكرية، ونفسية، وغيرها، فيؤثر في تحقيق فعل الأنسان الفرد والمجتمع ودورهما في المصير العام للانسانية، وعليه فان الزمان بهذا المعنى، اما أن يكون سلبياً فيعمل على تعزيز الفعل السلبي للانسان ويلغي دوره الحقيقي في الحياة ويفقد معنى انسانيته بسلبه اياها، واما أن يكون ايجابيا فيعزز الفعل الايجابي للانسان ويحضر دوره الحقيقي في الحياة، ويحقق له معنى انسانيته.

٤ — ان الزمان الذي يؤمن به البعث هو الزمان الذي يعزز الفعل الايجابي للانسان، لذلك يهدف الى استحضار الزمن التاريخي لانه المناخ الذي تتحقق فيه شخصية الانسان

الفرد ، وشخصية المجتمع ، تحققاً انسانياً عميقاً ، فهو الزمن الذي يوحد ابعاد الماضي والحاضر والمستقبل ، ويطلق القوى المبدعة في الامة ، ويعزز فعلها الايجابي في المصير العام للانسانية ، ويعقد الصلة بين العرب وحضاراتهم التي حققوها في الماضي وانقطعوا عنها في الحاضر .

٥ ـ ان ابعاد الزمان في فكر البعث هي الماضي والحاضر والمستقبل . فالماضي هو الزمن الذي تحققت فيه الروح العربية ، فتحقق النهوض الحضاري للامة . واما الحاضر فهو الزمن الذي غلبت فيه الروح العربية حين غاب الفعل الانساني الايجابي بغياب الزمن التاريخي ، واما المستقبل فهو الزمن الذي ينبغي ان تتحقق فيه الروح العربية من اجل ان يتحقق النهوض الحضاري لها من جديد ، وذلك في ان يحيا الانسان العربي حاضره وفق معاني المستقبل التي تعبر عن روح الماضي ، لان العلاقة متلازمة بين ابعاد الزمان ، فالحاضر ، لاينفصل عن الماضي ، والماضي يؤلف وحدة حية مع الحاضر والمستقبل .

٦ ـ ولاجل توحيد ابعاد الزمان فان البعث يهدف الى التكوين البعثي لشخصية الانسان العربي بفعل استحضار الزمن الثوري ، الذي هو زمن انقلابي يرتبط بالمناضل البعثي والعمل الثوري الذي يناضل من اجل انجازه طالما انه حاضر في ذهنه في كل لحظة . فالزمن الثوري يمثل التراث الثوري للمناضل البعثي داخل التنظيم الحزبي وخارجه ، بما يحققه من افكار واراء واعمال وافعال ثورية تعبر عن حقيقة تجسيد الامة والحزب في افكاره وفي سلوكه وفي أخلاقه ومسيرته وتطوره ونضجه ، من اجل تحقيق الانقلاب الذي يهدف الى التغيير الجذري في حياة الامة لتحقيق نهوضها الحضاري ، لذلك فان الزمن الثوري يعمل على خلق المناخ الذي تتحقق فيه شخصية الانسان الفرد وشخصية المجتمع تحققاً انسانياً ، وبالتالي توحيد ابعاد الزمان ، واطلاق القوى المبدعة في الامة ، وتعزيز فعلها الايجابي في المصير العام للانسانية ، اي تحقيق الزمن التاريخي .

٧ ـ واذا كان الهدف من الانقلاب بناء مستقبل جديد يختلف عن الحاضر ، فهو مغالبة المستقبل للحاضر . فان على الحركة الانقلابية ان تستخدم الزمن لصالحها وتسيطر عليه لانها تعني عدم ترك الزمن يسيطر على مقدرات الامور . وذلك يكون بفعل خلق جيل جديد يوظف كل لحظة في حياته من اجل تحقيق المستقبل .

٨ ـ وتظهر اهمية الزمن في المنهج البعثي في أنه عامل من العوامل التي ينبغي ان

تراعي في الدراسات التي تتعلق بالفكر والشخصيات والاعمال موضوع البحث ، ذلك ان الانتباه الى الظروف الزمانية والمكانية لموضوع الدراسة ضرورة منهجية تكشف عن الحقيقة بصورة صحيحة .

٩ — واخيراً ، لابد من القول ان الزمان في الفكر البعثي موضوع مهم وهدف كبير ذلك ان المعاني التي يعبر عنها ، تعبر عن هدف عزيز يناضل البعث من اجل تحقيقه ، الا وهو النهوض الحضاري للامة العربية ، الذي يقوم على اساس تحقيق روحها من جديد . لذلك نجد ان مفهوم الروح الذي يمثل النقطة الجوهرية التي يرتكز عليها الفكر البعثي ، في هذا الموضوع ، تدخل عنصراً مهماً في تحديد مفهوم الزمان .



المصادر والمراجع

الاوسي ، الدكتور حسام :

— — الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم

ط١ ، بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠ .

سام عبد الفتاح امام الدكتور

— الزمان في القرآن ،

مجلة الثقافة الليبية ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، ليبيا ١٩٧٦ .

حزب البعث العربي الاشتراكي :

— التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع .

ط١ ، بغداد ١٩٨٣ .

— الثورة العربية ،

القيادة القومية — المكتب الثقافي ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، ١٩٧١ .

— الثورة العربية ،

القيادة القومية — المكتب الثقافي ، العددان السابع والثامن ، السنة الثالثة ، ١٩٧١ .

الثورة العربية ،

القيادة القومية — المكتب الثقافي ، العددان التاسع والعاشر ، السنة الثالثة ، ١٩٧٢

الثورة العربية

القيادة القومية — المكتب الثقافي — العدد الثاني ، المجلد التاسع ، ١٩٧٧

— الثورة العربية ،

القيادة القومية — مكتب الثقافة والاعلام ، العدد العاشر ، السنة الثالثة عشرة تشرين الاول ، ١٩٨١ .

نضال البعث ، الجزء الثالث ،

ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٦

دوبري ، ريجيبس :

- للزمن والسياسة ،
ترجمة مصطفى نادر ، بيروت ، بلا تاريخ .

الراوي، كاظم فتحي :

- الفاظ الزمان بين اللغة والقرآن ،
مجلة آداب المستنصرية ، العدد الرابع ، بغداد ١٣٩٩/١٩٧٩

رسل، برتراند:

- الف باء النسبية،
ترجمة فؤاد كامل، دار الثقافة العربية للطباعة، ١٩٦٥.

الصائغ ، عبد الله . .

- الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام . ،
بغداد ، ١٩٨٢.

صدام حسين :

- الثورة والنظرة الجديدة . ،
بغداد ، بلا تاريخ ، .

- حول كتابة التاريخ ،
بغداد ، ١٩٧٨.

- الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة. ،
ط١ ، بغداد، ١٩٧٩.

- مستقبل الامة الوضاء الجديد،
بغداد، بلا تاريخ .

- المطلوب تضحيات اكثر ودقة في العمل،
بغداد ، بلا تاريخ .

- الملكية الخاصة ومسؤولية الدولة،
بغداد ، بلا تاريخ .

نظرة في الدين والتراث.
ط ١، بغداد، ١٩٧٨.

— نكسب الشباب لنضمن المستقبل.
بغداد ، بلا تاريخ.

عبد الرحمن بدوي، الدكتور:

— الزمان الوجودي،
ط٣، بيروت، ١٩٧٣.

عبد الرحيم بدر، الدكتور:
— الكون الاحدب،
ط٣ ،بيروت، ١٩٨٠.

عبد المحسن صالح .:

— الزمن البيولوجي،
مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الثاني، ١٩٧٧.

فجرجودة :

— القيم الحضارية واثرها في استخدام الزمن،
رسالة ماجستير محفوظة في مكتبة الدراسات العليا، ١٩٨١، كلية الاداب
جامعة بغداد .

قاسم عبدة قاسم ،الدكتور:

— مفهوم الزمن عند المؤرخين المسلمين ،
مجلة قضايا عربية، بيروت، السنة السادسة ،العدد الاول، ١٩٧٩.

الكبيسي، محمد محمود :
نظرية الزمان في فلسفة الغزالي ،
رسالة ماجستير محفوظة في مكتبة الدراسات العليا، ١٩٨٣، كلية الاداب
جامعة بغداد .

كمال صفوت،

— مفهوم الزمن بين الاساطير والمأثورات الشعبية،

مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الثاني، ١٩٧٧.

محمد عبد الحافظ معوض.:

— معالم التقاويم ومفتاح النتيجة السنوية،
ط١، دار الفكر العربي، ١٩٦٠.

محمد عبد الرحمن مرحبا، الدكتور:

— آينشتين والنظرية النسبية،
ط٩، بيروت، ١٩٧٤.

ميشيل عفلق:

— البعث والاشتراكية،
ط١، بيروت، ١٩٧٣.

— البعث وتحديات المستقبل،
بغداد، ١٣٩٧ — ١٩٧٧.

— البعث والوحدة،
ط٣، بيروت، ١٩٧٥.

— الشعب العربي في معركة التحرر،
ط٢، بيروت، ١٩٧٥.

— في سبيل البعث،
ط١٩، بيروت، ١٩٧٦.

— في السلوك الحزبي،
ط١، بيروت ١٩٧٤

— في السياسة العربية،
ط٣، بيروت، ١٩٧٦.

— معركة المصير الواحد،
ط٧، بيروت، ١٩٧٥

— نقطة البداية،
ط٥، بيروت، ١٩٧٥.

نبيلة ابراهيم، الدكتورة :

— الانسان والزمن في التراث الشعبي ،

مجلة الاقلام ،وزارة الاعلام ــ بغداد، السنة الحادية عشرة ،العدد الثامن ،

أيار ، ١٩٧٦.

الياس فرح، الدكتور :

— الاشتراكية في الوطن العربي،

ط١ ،بيروت، ١٩٧٦.

— تطور الايديولوجية العربية الثورية،

ط٦ ،بيروت، بلا تاريخ .

— في الثقافة والحضارة ،

بغداد ،١٩٧٩.

— قراءة منهجية في كتاب في سبيل البعث ،الجزء الاول .

ط ١، بيروت ١٩٨١.

— مستقبل العمل الثوري العربي،

ط١، بيروت، ١٩٧٣.



البحث والتخطيط التربوي

الدكتور نوري عباس عبد الله العلواني
كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

المقدمة

خضعت العملية التربوية منذ قديم الزمان للدراسة والبحث وتزايد الاهتمام في العراق بالابحاث والخطط التربوية بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ على اعتبار ان العملية التربوية تلعب دوراً رئيسيا خطرا في تقدم المجتمعات ونهضتها وفي احداث التنمية الشاملة التي يخوضها القطر حالياً معتمداً في هذه المسيرة المتطورة على التخطيط العلمي المبني على اساليب البحث التربوي .

ان الاهتمام حالياً بالتعليم الذي هو اساس في العملية التربوية وله القوة الفعالة في بناء صرح الحضارة والتقدم وفي بناء وتلبية حاجات المجتمعات على اسس علمية وهناك عدة امور تبرز هذه الاهمية ويأتي في مقدمة هذه الامور ضرورة الاستعانة بالاساليب العلمية على معالجة المشكلات التربوية واتخاذ القرارات المناسبة في ضوئها ان الهدف الاسمى للبحث التربوي هو الكشف عن المعرفة الجديدة ومن خلال ذلك يقدم لنا الحلول والاجابات

والبدائل التي تساعدنا في تعميق الفهم للابعاد العلمية المختلفة . اما التخطيط التربوي فهو الطريق الوحيد لتطبيق سياسة تربوية للدولة وحل المشاكل التربوية بحيث تتفق مع طموحات قيادة الحزب والثورة ومع الاغراض والطموحات للمجتمع في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وتتفق ايضاً مع الاغراض الحربية والاجتماعية والاقتصادية للقطر حالياً .

وخلال القرن التاسع عشر حصل تطور في المؤسسات التربوية في الغرب رافقها بعض اشكال التخطيط التربوي المتعلق بالابنية المدرسية وتأهيل المعلمين ويعتبر التخطيط فكرة حديثة وانه تنظيم للاهداف وتقييمها ولاختيار طرق استغلالها ومهمة المخطط عند رسمه السياسة التعليمية في البلد وذلك بالاحاطة التامة باوضاع البلد من حيث السكان والوضع الاقتصادي والتربوي والاجتماعي والاطلاع على تجارب الامم والشعوب ليأخذ ويسترشد هذا الخبر والتجارب في الخطة .

اهداف البحث التربوي :

(أ) مفهوم البحث التربوي : — يعني البحث التربوي كما ورد في قاموس كود للتربية (Good) « بحث ودراسة المشاكل التربوية في جميع حقول التربية والمعرفة . من هذا المفهوم الواضح يتوجب على الباحث التربوي او المربي الأستزادة بالمعرفة» (١) والطرق الأكثر فعالية التي توصله لحل المشاكل التربوية التي تصادفه في الصف والمدرسة أو الجامعة .

(ب) مفهوم التخطيط التربوي : كما ورد ايضاً تعريف التخطيط التربوي في قاموس كود للتربية (Good)(تخطيط ودراسة طبيعة البرامج المحددة والمهمة حالياً وكذلك تخطيط البرامج المستقبلية (٢) .

واكد الدكتور الدائم على أن التخطيط التربوي هو التنبؤ بسير المستقبل في التربية والسيطرة عليه من أجل الوصول إلى تنمية تربوية متوازنة وإلى تحقيق التنمية التربوية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة (٣) .

---

(1) Good, Carter V. Editor dictionary of eduction I mc Graw Hill Book Company New Yourk 1973 P.494.

(2) Good, Carter V. Editor dictionary of eduction I Mc Graw Hill Book Company New Yourk 1973 p.494.

(٣) د . عبد الله الدائم : التربية في البلادالعربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها ١٩٧٤ ص١٢

انواع البحوث التربوية :

١. البحث الأساسي Basic Research
٢. البحث التطبيقي Appliedresearch
٣. البحث الموقفي (١) Basic Research

١ ــ البحث الاساسي: نوع من البحوث التي تعني بالامور النظرية أو الوضعية التي يمكن للباحث التوصل إلى الحقائق والنتائج التي يمكن عن طريقها اصدار القرار او الحكم على العملية التربوية وتقييمها .

٢ ــ البحث التطبيقي او التجريبي : من البحوث الدقيقة والمستخدمة في العملية التربوية فالباحث يتوصل إلى الحقائق والنتائج الدقيقة من خلال وضع الفرضيات وفي النتيجة يعمم ماتوصل اليه إلى العمليات الاكثر والاكبر تعقيدا إلى مجاميع أخرى.

٣ ــ البحث الموقفي: Action Research

يستخدم المدرس في الكلية والمدرسة البحث الموقفي لحل المشاكل التربوية التي تصادفه في الصف والمختبر وهو مشابه للبحث التطبيقي في كثير من الحالات الا أنه يختلف عنه بعدم تعميم النتائج التي توصلوا اليها ويمكن استخدام البحث الموقفي من قبل مجموعة من المدرسين لحل المشاكل التربوية في الكلية والمدرسة ويستفاد من هذا النوع في برامج التدريب أثناء الخدمة وذلك للتزود بمعلومات ومهارات جديدة أثناء دخول دورات التدريب وذلك لحاجتهم الماسة لحل المشكلات التي تجابههم في حياتهم اليومية داخل القاعات والدروس .

انواع البحث في مجال التخطيط التربوي :

أ ــ البحث الأساسي
ب ــ البحث التطبيقي (٢)

ان البحوث الأساسية في مجال التخطيط التربوي تعتمد على البيانات المثبتة على الواقع فالمخطط لايستطيع أن يقوم بدراسة مشكلة تربوية دون أن يملك بيانات ومعلومات صحيحة مثبتة لكي يتمكن من دراسة هذه الظاهرة وتلك في الحياة المدرسية أو الجامعية ويملك

(١) د. عبد الغني المغوري : اساسيات البحث التربوي مؤتمر العربي للبحوث التربوية لدول الخليج مكتبة التربية لدول الخليج ١٩٨٢ ص٢٩-٣٠

(٢) ترجمة منير عزام : التخطيط التربوي نظرة عامة الى المشكلات والتوقعات ١٩٧٣ ص٢٣٦ ٢٤٧

ايضـ المنهجية الحقة مثلاً في دراسة ظاهرة التسرب او الرسوب في المراحل التربوية المختلفة في استخدامه البحث الاساسي ومردود هذه الظواهر السلبية على التربية من الاتفاق على مجمع العملية التعليمية لحياة الطالب ومردوده الناتج على دخل الفرد والدخل القومي للامة ..

اما البحوث التطبيقية : تدخل في مجال التخطيط في المؤسسات الجامعية والاقليمية والدولية

اهداف التخطيط التربوي :

ان الاهداف التربوية تعكس في الحقيقة نظرة المجتمع الى المستقبل وان اي نظام ليس له اهداف واضحة لايستطيع رسم سياسة تربوية في الحاضر والمستقبل وعلى المربين، والمخططين ان يدركوا المؤشرات والعوامل التي تؤثر في رسم السياسة التربوية للبلد .

ومن أهداف التخطيط التربوي(١) :

(أ) التخطيط التربوي يريد ان يقبض على زمام التطور الذي حصل في التنمية الشاملة وعن طريق البحث التربوي يمكننا حل المشكلات المستقبلية سواء في اعداد الطلبة او الحاجة الى البيانات .

(ب) التخطيط التربوي لايكتفي بالتنبؤ بما سيقع في المستقبل بل يريد ان يتحكم فيه.

(ج) التحكم في طراز توسع التربية في المستقبل وتحقيق توسع سليم متوازن لكل انواع التعليم بمعنى صنع وبناء المستقبل لتفكير الانسان في الحاضر من خلال المستقبل .

(د) الربط بين تنمية التربية وبين التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

(هـ) الاستخدام الامثل يستهدف التخطيط ان يوصلنا الى مردود اكبر بنفس القدر من الامكانات المادية والمالية.

اهداف البحث التربوي :

يعتمد البحث التربوي على اهداف تربوية واضحة ويتبع الباحث التربوي الطرق العلمية لتحقيق تلك الاهداف المرسومة .

١ ـ يستطيع الباحث التربوي التوصل عن المعارف والمعلومات الجديدة والتي تساعد المسؤولين والمدرسين في فهم الاحداث والمشكلات التربوية.

---

(١) د.عبد الله عبد الدائم : التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها ص١١٧.

٢ — كذلك عن طريق البحث التربوي يمكن تشخيص نواحي القوة والضعف في المشكلات التربوية واتخاذ القرار المناسب في معالجتها. مشكلات الرسوب والتسرب مثلا في المراحل المختلفـــــة.

٣ — يساعدنا البحث التربوي في التوصل الى تحقيق الاهداف التربوية في استخدام افضل الطرق التربوية في الاساليب الحديثة في قاعات الدرس وتطوير الجوانب النوعية والكمية التي تدخل في العملية التعليميـــة.

(أ): اهم الطرق والاجراءات العملية في التخطيط التربوي:

١ — تحديد الاهـــــداف.

٢ — تحـــديد المشكلـــة.

٣ — تشخيـــص المشكلـــة.

٤ — وضـــع مقدمـــة

٥ — البحث عن الحلول الممكنــــة.

٦ — اختيار الحلول الممكنـــــة (١).

(ب) اما خطة البحث التربوي:

١ — اعداد مقدمة توضح فيها الباحث اهمية البحث الذي يروم القيام به وما يتضمنه من جـــديـــد.

٢ — تحديد الاهــــداف.

٣ — بيان الادوات التي تستخدم في البحث التربوي

٤ — وصف الخطة

٥ — بيان الطريقة التي يستخدمها الباحــــث.

٦ — تحليل البيانات والمعلومات المتحققة من البحـــث.

مشكلات البحث والتخطيط التربوي:

١ — ان اهم المشاكل التي يعاني منها الباحث التربوي :

— كثرة العوامل والمتغيرات التي تدخل في العملية التربوية وتؤثر فيها .

— في الغالب الباحث التربوي عند حصوله على النتائج تكون غير دقيقة وصحيحة وذلك عند اجراء ، بحث معين على الطلبة في المعاهد والكليات .

(1) D.KENT HALSTEAD STATEWIDE PLANING in higher Ede 1974 p.14.

٢ ـ احياناً القائمين بالبحوث التربوية هم من الكوادر غير متخصصة وينعكس على العملية التربوية .
هناك عدة عوامل على الباحث ان يشخصها قبل اجراء البحث اوالدراسة : معرفته البيئة التي يعيش فيها الطالب سواء البيتية او المدرسية والطرق التي يستخدمها المدرس اثناء الدرس .

(ب) وضوح طريقة البحث سواء من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية لذا نلاحظ ان البحث التجريبي يعاني من مشكلة معرفة الطالب او المبحوث دوره في التجربة ويسلك سلوكاً مغايراً عن سلوكه الطبيعي قبل اجراء التجربة مما تعتبر عملية شاقة لاجراء البحث التربوي والتوصل الى الدقة في قياس هذه .

(ج) الحالات السلوكية : ـ وقد يكون الباحث التربوي غير ملم وعارف لطرق البحث وكيفية حصوله على المعلومات .
اما مشكلات التخطيط التربوي هي : ـ

١ ـ قلة المختصين والعاملين في مجال التخطيط التربوي وخاصة في البلدان العربية وينجم عن هذا مشكلات منهجية وعلمية وفنية فالمعلومات والبيانات ينقصها الدقة في المجالات النظرية وفي تحليلها .

٢ ـ عدم وجود خطط تربوية ثابتة سواء قصيرة او بعيدة المدى .

٣ ـ يتعرض التخطيط التربوي لمؤثرات سياسية واقتصادية تعتمد على النظام القائم ومدى ايمانه بالتخطيط التربوي وظروف ذلك البلد من النواحي المالية لان الجانب المادي يلعب دور في عملية انجاح الخطة .

مشاكل التخطيط والبحث التربوي في البلاد العربية :

١ ـ عدم توفر الاحصاءات الدقيقة في الجوانب النوعية والكمية والتي تدخل ضمن الخطط القصيرة والبعيدة المدى في العملية التربوية.

٢ ـ تعرض التخطيط التربوي لمؤشرات سياسية واقتصادية مثلاً قوانين التعليم وتشريعاته .مجاني الزامي كل هذه ترتبط بالنظام السياسي القائم بالبلد.

٣ ـ صعوبات التمويل للخطط التربوية في بعض الاقطار العربية.

٤ ـ تواجه انظمة التربية العربية نقل تجارب بلدان متقدمة في مجال التخطيط. والبحث التربوي يختلف عن واقع وتقاليد هذه البلدان.

مستويات التخطيط (١) :

١ — التخطيط في المستوى المحلي: —

ان مميزات هذا النوع من التخطيط الوقوف على حاجات المجتمع الموارد البشرية والخبرات الفنية المدربة ومن الصعوبة القيام بهذا النوع من التخطيط والتنفيذ يجب ان تأخذ بعين الاعتبار التصورات والامكانات المتاحة لذلك المجتمع لكي نحقق الاهداف المستقبلية وفق الحاجة.

٢ — التخطيط على المستوى القومي : —

ان هذا النوع من التخطيط اكثر انتشاراً وشيوعاً يمكن في مجال هذا التخطيط ان نهيأ الفرص للكوادر المدربة في مجال التخطيط التربوي ان توزع في المؤسسات التربوية والتخطيطية لكي نحقق ماتصبوا اليه في الخطة ومن الصعوبات بنا من الاحتياجات والتطلعات والامال المستقبلية ويمكن التغلب عليها في مبدأ لامركزية التنفيذ وترتيب الاحتياجات لكل مجتمع وفق نموه الحضاري وتطلعه في اطار الخطــــــة.

٣ — التخطيط في المستوى العالمـــــي : — .

هذا النوع من التخطيط الامثل والاعلى الذي ترتجيه الانسانية في تعاونها من اجل تحقيق مجتمع الرفاهية لبني البشر على اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم ويتطلب هذا النوع من التخطيط .

١ — وعي كامل من جانب دول الاعضاء في مجال التخطيط ومردوده على الانسانية من تقدم علمي وحضاري

٢ — تعاون دول الاعضاء وذلك بتزويد المنظمات التربوية العالمية بتزويـــــدها باحصائيات وارقام واقعية لكي تبنى الخطط المستقبلية وفق حاجات المجتمعات .

مبررات التخطيط والبحث التربوي في العراق :

١. حصل زيادة في اعداد المتعلمين بعد ثورة ١٧ — ٣٠ تموز القومية التقدمية وذلك بتطبيق قوانين للتربية مخطط لها منها مجانية والزامية التعليم .

٢. ان الزيادة الحاصلة في اعداد الطلبة (٢) ايضاً زاد ماينفق من اموال من قبل الدولة على مراكز البحث والتخطيط التربوي لكي تتمكن هذه المراكز في استخدام افضل واحسن طرق البحث والتخطيط والتي تساعدنا في التطوير العلمي الحالي والمستقبلي كذلك

---

(١) محمد جمال برعي / التخطيط للتدريسيين في مجالات التنمية ،مكتبة القاهرة، ١٩٦٨ .

(٢) د. عبدالله عبد الدائم : التربية في البلاد العربية ،دار العلم للملايين، ١٩٧٦ .

نلاحظ المركز في جامعات القطر وفي كافة الكليات التابعة ومراكز البحوث التربوية التابعة لها والتي يقضي الاساتذة معظم وقتهم بالبحث بالاضافة إلى تدريس الطلبة

٣. زاد الاهتمام من قبل المسؤولين على العملية التربوية في البحث والتخطيط التربوي. وذلك للتطور العلمي العالمي في كافة مجالات المعرفة والتكنولوجيا والكومبيوتر اصبحت بين ايدي الطلبة في المراحل الأولى من الدراسة في البلدان المتقدمة ، مما يسهل على الطالب اختصار الوقت والجهد في الوصول إلى النتائج .

لابد أن نشير أن العراق بعد ثورة ١٧ — ٣٠ تموز ١٩٦٨ اعطى اهتماماً كبيراً للبحث والتخطيط التربوي ادراكاً من قيادة الحزب والثورة من اثر فعال في نهضة العراق الجديد وما تجربة محو الأمية والزامية ومجانية التعليم الا نتاج البحث والتخطيط السليم وقد. تأسست مؤسسات علمية واكاديمية لهذا الغرض لاجراء الدراسات والبحوث في تعجيل عملية التنمية في القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية . ان تشكيل وزارة التعليم العالي عام ١٩٧٠ كان عاملاً في نمو مؤسسات البحث العلمي والتخطيط التربوي سواء في وزارتي التعليم العالي والتربية لاعداد الخطط التربوية والبحوث العلمية والتي تسهم في التطور العلمي في القطر الا أنه يحتاج لكي نحقق نجاحا في البحث والتخطيط التربوي إلى مايلي : —

١ . يجب أن يكون المشرفين على التخطيط من حملة الشهادات العليا في التخطيط التربوي .

٢. يجب أن يكون من العناصر الفنية والمدربة والمؤهلة تشرف وتسهم في وضع الخطط والبرامج التربوية .

٣. تأهيل العناصر غير المدربة في وزارتي التعليم العالي والتربية بادخالهم بدورات تدريبية وذلك لرفع كفائتهم في مجال البحث والتخطيط التربوي .

٤. الجانب المالي يعتبر مهم في تطوير البحث العلمي والتخطيط التربوي وذلك بتخصيص مبالغ مالية لمراكز البحوث والدوائر المشرفة على التخطيط لكي تسهم بشكل فعال في البحث والتخطيط العلمي

٥. الأستفادة من الخبرات العربية في مجال البحث والتخطيط بارسال مختصين للاستفادة من البحوث والدراسات المتكاملة

ان علاقة البحث والتخطيط التربوي باعتبار انهما يشكلان ركناً اساسياً في مجمل العملية التربوية وقد تكون لها خصائص مشتركة منها وضوح الاهداف وفي جمع المعلومات عن المشكلة المراد بحثها وذلك بالتحري والاستقصاء ولكل منهما يستخدم طرق القياس الحديثة وحسب طبيعة المشكلة . لذا يعتبر البحث التربوي اساسي من وجهة نظر المخططين التربويين لانه يعني بدراسة العوامل التطبيقية المؤثرة فالباحث يجمع البيانات والمعلومات للكشف عن المشكلة وايضاً لهذا السبب يعتبر الاداة الفعالة في التخطيط العلمي السليم والذي يتوجب على المخطط التربوي في تحقيق طموحات الحاضر والتنبؤ بالصورة المستقبلية في تحقيق أمال وحاجات المجتمع واتخاذ القرارات والحلول اللازمة ...

المصادر :

١ — صالح عبد العزيز — التربية وطرق التدريس ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ .

٢ — د. عبد الجليل الزوبعي ومحمد احمد الفتاح ، مناهج البحث ، الجزء الاول سنة ١٩٧٤ .

٣ — د. عبد الله عبد الدائم التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٤.

٤ — د. عبد الله عبد الدائم — التخطيط التربوي دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٢

٥ — محمد جمال برعي — التخطيط للتدريب في مجالات التنمية. مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٨.

٦ — منير عزام — التخطيط التربوي نظرة عامة المشكلات والتوقعات. دمشق ١٩٧٣ .

٧ — د. حامد عمار في اقتصاديات التعليم مركز تنمية المجتمع في العالم العربي — سرسي اللبان ١٩٦٤ ص ١٢١ — ١٢٥ .

٨ — د. فؤاد البهي — البحث التربوي اهدافه وانواعه ومشكلاته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٢.

٩ — محاضرات الدورة التمهيدية الثانية في البحث التربوي المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج في الكويت ١٩٨٢.

مكتبتنا العربية

1- Good, Carter V. (Ed.) Dictienary of Education. New yourk C Graw Hill Book Co., 1973. P.220.

2- Furtmer Education of Teachers in service in Asia: Aregianal survey, unesco regioml office for education in asia Bankok 1973.

3- Rubin. louis. Thein–service Education, teachers, NLLYN and Bacon Inc., Boston 1978.

4- KENT HALSTEAD STATE WIDE planning in higher eduction 1974 P.14.



في ترجمة الشعر

د . عبد الصاحب مهدي علي
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية



لم يعد الحديث في ترجمة الشعر والترجمة الادبية عموماً بالامر الجديد في ميدان الثقافة العربية والعالمية. فهذا موضوع تعاورته اقلام الادباء من نقاد وشعراء ومترجمين منذ زمن ليس بالقصير. وان كانت الترجمة بمفهومها العام ابعد غوراً في التاريخ البشري من عملية اخضاع النصوص المترجمة للتحليل النقدي والدراسة المقارنة بغية تقويمها وابراز مافيها من جوانب الاخفاق والنجاح. ولايخفى على المتتبع لما يكتب او يقال في ترجمة الشعر أنّ هذا موضوع لم تستقر الآراء بشأنه على قرار. فهناك من يرى ان الشعر لايترجم إلا شعراً. وهناك من يجد في الترجمة النثرية سبيلاً انجع وامثل ، وهناك ايضاً من يتوسط في الحالتين ويظن أنه قد أوفى وانصف — فيدعو الى اللجوء للنثر الايقاعي (Rhythmic Prose) وبين هذا وذاك يتبلور صراع آخر حول وسائل المترجم في نقل أو ترجمة افكار القصيدة الأصلية وظلال المعاني فيها وصورها وموسيقاها، وغير ذلك مما يمثل جسم القصيدة وروحها، أو ، بعبارة أخرى، شكلها ومضمونها . ولكي لانطيل الوقوف عند هذه النقطة من حديثنا فنزيد الطين بلة ، لابد لنا ان نسارع الى تبيان هدفنا من الدخول في حلبة هذا الصراع معترفين قبل كل شيء بأننا نورد أنفسنا مورداً صعباً.

فحسبنا ان نقول أن محاولتنا هذه تستهدف استجلاء حقيقة الامر فيما نقرأ ونسمع من اراء حول ترجمة الشعر ،واننا فيسعينا الى هذا الهدف نسترشد بهدي الحقائق التي اسفرت عنها الدراسات اللغوية والادبية عن طبيعة اللغة، التي هي اداة المترجم والشاعر، وخصائصها وعلاقاتها المتشعبة بالفكر والثقافة والبيئة والمجتمع .

كما ننتهل من معين الخبرة الواسعة والتجربة الغنية لدىالبارزين من اعلام الترجمة واللغة والادب ثم اننا سنقوم بعد ذلك بأجراء دراسة مقارنة لثلاثة نصوص عربية مترجمة عن نص انكليزي واحد.

ويمثل احد هذه النصوص الثلاثة محاولة قام بها كاتب هذا البحث لترجمة النص المذكور.

تجدر الاشارة هنا إلى اننا عند حديثنا عن ترجمة الشعر سنتجنب الوقوف طويلا ، مالم يكن ذلك امراً ضرورياً ، عندما اصطلح عليه بـ« مزالق الترجمة » ، تلك الاخفاقات والسقطات التي يقع فيها بعض المترجمين لقصر باعهم في جانب او اكثر من جوانب عملهم . فذلك امر يتعلق بدرجة كفاءة المترجم وخبرته وثقافته ، وليس بالاداة التي يستخدمها أو الاصول والمباديء التي ينبغي عليه مراعاتها عند نقله لنص ما من لغة إلى أخرى . هذا اضافة إلى ان مثل تلك السقطات لم ولن تسلم من تصدي النقاد لها بين حين وآخر (١)، وهذا امر غاية في الضرورة لكي لاتتحول الترجمة إلى عملية مسخ او حقل تجريب .

لابد لنا ونحن نقترب من ميدان الصراع المنوه عنه اعلاه ان نلقي بعض الضوء على طبيعة العمل الذي يمارسه المترجم ، هذا الكاتب الذي هو بحق كاتب من نوع خاص.

طبيعة عمل المترجم :

يتسم عمل المترجم بخصائص تميزه عن غيره من الكتاب : فهو الذي يعمل ذهنه وقريحته وذاكرته في عملية خلق وولادة كان قد تمخض عنها رحم اخر ، فتراه يبحث عن كلمات سبقه في البحث عنها والعثور عليها كاتب غيره ؛ ويفتق ذهنه عن افكار هي ليست من عندياته ؛ ويلج ابواباً في المعرفة الانسانية والخلق الفكري كانت قد طرقتها اكف غيره ؛ ويشحذ قريحته ويستنزل عروس (اوشيطان) الشعر ليقول شعراً سبقهُ إلى صياغته شاعر اخر ؛ ويحلق في دنيا الخيال والالهام ولكن باجنحة من سبقه إلى هذه الدنيا . ورغم كل ذلك فليس لنا ان نقول ان المترجم هو مجرد ناقل او مقلد ، والا

لما استعصت الترجمة على كل من تعلم لغة ثانية ، ولما كان عدد المجيدين فيها قليلا . فعملية اعادة بناء الاثر الادبي عند ترجمته من لغته الاصلية إلى لغة اخرى تتطلب قدراً من البراعة لا توفره معرفة اللغة المنقول منها فحسب . فلابد للمترجم ان يمتلك ، إلى جانب ذلك ، جملة من المهارات والملكات ، وان يؤسس بناءه على مبادىء واصول تمكنه من ترجمة ذلك الاثر بامانة ودونما اخلال بقيمته الادبية المستمدة من خصائص لحمته وسداته في لغته الاصلية التي يحاول ، بل يحرص على ايجاد مايضارعها في اللغة التي يترجم اليها . وهكذا نجد اننا اذا سلمنا بأن للشاعر في لغته الاصلية عروساً للشعر تحاوره وتوحي اليه بما يقول ، فلسنا مغالين ان قلنا أن للمترجم ضعف ما للشاعر . وليس في ذلك ترف للمترجم ، اذ ما اكثر ماينشب داء الضرائر بين تينك العروسين فيقع المترجم في حيرة من امره ويختلط عليه الوحي ولا تكون له منجاة من ذلك الا اذا استطاع بحكمته واناته أن يؤلف بين عروسيه ويستجلي حقيقة الامر في نزاعهما . فيكون والحالة هذه «فيه الخصام وهو الخصم والحكم» .

صعوبات ترجمة الشعر

الحديث عن صعوبات ترجمة الشعر هو الى حد كبير حديث عن الشعر باعتباره لغة خاصة لها مايميزها عن لغة النثر من نواح عدة . اما ما عدا ذلك فيتمثل بمقدرة المترجم وملكته الادبية وبأمور تتعلق بطبيعة اللغة وخصائصها البنائية وامكانياتها الدلالية . ويبدو ان الخصائص التي تتميز بها لغة الشعر هي ذاتها مكامن الصعوبة الاساسية التي يكابد من جرائها مترجموه عنتاً شديداً . لهذا سنتناول فيما يلي من حديثنا تلك الخصائص التي من شأنها ان تجعل الترجمة امراً صعباً .

١ — المشكلة الاساسية في ترجمة الشعر ، بل الترجمة عموماً ، تتمثل في حقيقة ان اللغات تختلف عن بعضها اختلافات جذرية من حيث خصائصها البنائية والاسلوبية والدلالية والموسيقية . وقد ذهب البعض الى انه من المستحيل على المترجم ان يبلغ في ترجمته مابلغه المؤلف الاصلي من القدرة والكفاية في ايصال افكاره الى قارئيه . . .

فقد نقل عن هامبولت قوله : «تبدو الترجمة لي عموماً أنها مجرد محاولة لحل مشكلة لا حل لها» (٢) . ومع ان الدراسات الانثروبولوجية تشير الى ان هناك الكثير مما يؤلف بين بني البشر ويكون اساساً للتواصل حتى في حالة اللغات والثقافات التي تتباعد بينها

شقة الاختلاف ، فان هذا القاسم المشترك من التجربة الانسانية وطرق التعبير عنها لا ينفي وجود الاختلافات الجوهرية بين اللغات . وعلاوة على ذلك يبدو أن أوجه الاختلاف ، كما يرى يوجين نايدا (Eugine A.Nida) ، لاتفوق اوجه التشابه فحسب وانما تخلق من العقبات في الفهم اكثر مما تستطيع اوجه الشبه ازالة غموضه (٣) .

وقد تتميز لغة ما بوفرة مفرداتها وتنوعها ، كما هو الحال بالنسبة للغة العربية . وفي حين ان من شأن ذلك ان يسهل عمل المترجم بمنحه مجالاً ارحب للتعبير ، الا أنه في الوقت نفسه يزيد من صعوبة الترجمة ، لان المترجم مضطر للبحث عن افضل وانسب مايمكن من البدائل العديدة والمتنوعة التي بين يديه .

وما قد يجده مناسباً من حيث المضمون والدلالة قد لايكون كذلك من حيث الجرس والقيمة الجمالية في الصياغة الشعرية . فقد يتعمد الشاعر الاصلي مثلاً ايجاد صلة صوتية بين كلمتين أو أكثر من كلمات البيت الواحد اضافة الى صلتها الدلالية . كقول امرىء القيس :

افادَ فجادَ وسادَ فـــــزادَ وقادَ فذادَ وعادَ فأفضل (٤)

٢ ــ تعرف اللغة عموماً بانها نظام من الرموز الصوتية التي يستخدمها اعضاء المجتمع الواحد في تفاعلهم وتعايشهم . وفي الغالب لاترتبط هذه الرموز بمسمياتها برابطة طبيعية او مباشرة وانما يصطلح الناس عليها اصطلاحاً . ولبعض هذه الرموز (الكلمات) مسميات لها وجود مادي نستطيع ان ندركه ونتبين طبيعته وابعاده بحواسنا مثل : (نهر) و(بيت) و(رأس) ، وللبعض الآخر مسميات لايمثلها في الوجود واقع مادي مثل : (الصدق) و(الحب) و (الفضيلة) .

ولو تفحصنا لغة الأدب عامة والشعر خاصة لوجدنا اننا نعتمد في صياغتها على النوع الثاني من الكلمات . وليس من عجب في ذلك فالشعر عالم الوجدان والروح والتجريد . ويجدر بنا ان ندرك ان النوع الاول من الكلمات لايسعفنا اسعافاً تاماً في الدلالة على مانريد التعبير عنه أو الاشارة اليه ، فهي تقصر عن تحديد ما لمسمياتها من اشكال او صفات احجام بحيث يصعب ان نحدد على وجه الدقة مثلاً متى يكون النهر نهراً ومتى يكون جدولا واذا كان الامر كذلك بالنسبة للكلمات ذوات المسميات المادية ، فما بالك اذاً بتلك التي نرمز بها الى عالم الشعر الذي يلفه الغموض والابهام ويكون الخيال عنصراً اساسياً في بنائه؟

وليس ثمة شك في ان الامر يزداد صعوبة عند ترجمة الشعر من لغة الى اخرى ، خاصة اذا علمنا ان التكافؤ او التماثل اللفظي التام بين اللغات امر يكاد يكون مستحيلاً .

فقد تختلف الالفاظ في لغة معينة عما يظن انها مقابلاتها من لغة اخرى في وجه او اكثر من اوجه الوظيفة الدلالية او القوة التعبيرية أو الدلالة الايحائية او المناسبة السياقية ، ناهيك عن البنية الصوتية .

تلك اذاً واحدة من الصعوبات التي يواجهها مترجم الشعر ، بل الشاعر نفسه . ولعلنا نجد في هذا تفسيراً للجوء الشعراء منذ القدم الى وسائل واساليب تعينهم على تلافي ماادركوه في لغتهم من قصور . فقد «أحسوا أنهم يعيشون في عالم مبهم وان رموز اللغة لاتستطيع اداء معانيهم اداءً حقيقياً ، ومن ثم لجأوا الى المجاز وما يتصل به من تشبيهات واستعارات وكنايات يحاولون بذلك ان ينقلوا الينا احاسيسهم الغائمة ، وكأنهم يفسرون الرمز بالرمز حتى يمثلوا لنا عالمهم وما يتراءى لهم فيه من احلام» (٥) ، حتى ان بعضاً منهم صار اسيراً لتلك الوسائل بعد ان عتقته من قيود الاستعمال الحرفي والمباشر للكلمات . وليس ادل على ذلك في العربية من بيت يزيد بن معاوية المشهور :

وامطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت ورداً وعضت على العُنّاب بالبرد

أو هذا المقطع للشاعر الانكليزي توماس كامبيون Thomas Campion :

(From The Fourth Book Of Ayres)
There is a garden in her face,
Where Rases and white Lillies grow;
A heav'nly paradice is that place,
Where in all pleasant fruits doe flow.
There Chenries grow, which none may buy
Till Cherry ripe themselves doe cry. (6)

٣ — ولغة الشعر بناء رمزي ايحائي بالغ التعقيد . وتلك الخصيصة في بناء القصيدة هي التي تجعلها أكثر تعبيراً واوسع دلالة وايحاءً من النص غير الشعري . والكلمة الرمزية في ذاتها لاتختلف من الناحية المبدئية عن الكلمة اللارمزية ، ولكنها في القصيدة تدخل مع السياق في علاقات تعبيرية وفكرية معقدة . فمجيء كلمتين او اكثر على نحو من المصاحبة او الترابط غير مألوف احياناً ، يؤدي الى تحرير عدد كبير من عناصر الدلالة في الكلمة الرمز . وهذا التحرير لعناصر الدلالة من شأنه ان يكثف ظلال المعاني التي توحي بها الكلمات الرمزية من جهة ، ويضيق حدود امكانيتها على الدلالة المباشرة والحقيقة (٧) فتأمل مثلا

مايوحي به استعمال المتنبي للكلمتين « نظر » و «اسمعْت» في البيت الاتي ، ومايتكشف حولهما من ظلال دلالية غير مباشرة نتيجة لمجيئهما في علاقات ترابطية لاتخضع لقانون المنطق وبالتالي فهي ليست مألوفة في سياقات الاستعمال الاعتيادي للغة :

أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي واسمعت كلماتي من به صمم

لوكان المتنبي قد قصد اعطاء الدلالة المباشرة لهاتين الكلمتين لجاز لنا القول انه ارتكب مغالطة ، ولو صدق حكمنا عليه ، لصدق ايضاً على يزيد بن معاوية الذي احال العيون نرجساً وامطرها لؤلؤاً سقاه للورد بدلاً من الخد ، واستبدل الشفتين بالعناب والاسنان بالبرد .

ولا شك ان عملية الترجمة تزداد صعوبة كلما ابتعد النص المترجم عن اللغة المباشرة وأوغل في الرمزية وتوسع في الدلالة الايحائية . اضف الى ذلك الصعوبة المتمثلة في ايجاد السياقات اللغوية المناسبة والقادرة على توظيف البناء الرمزي في اللغة المترجم اليها على نحو يمكن من خلق علاقات تعبيرية وفكرية وتوليد ظلال دلالية كتلك التي نجدها في النص الاصلي .

٤ — تعتبر الموسيقى أو الايقاع العروضي من الخصائص المهمة التي تتميز بها لغة الشعر ، وهي في الوقت نفسه احدى الصعوبات التي واجهها المترجم . فنحن نعلم أن لامناص من تغيير البناء العروضي للقصيدة عند نقلها من لغة الى اخرى لاختلاف اللغات عن بعضها في الاوزان الشعرية والانماط العروضية التي تحتويها . فهناك من انواع التفعيلات مانجده في اللغة العربية مثلاً دون اللغة الانكليزية ، والعكس بالعكس (٨) . ولما كانت موسيقى القصيدة من العناصر الاساسية في بنائها الشكلي ، فان ضياعها أو تغييرها عامل مهم في عدم بلوغ الترجمة الحد المطلوب من الامانة والكفاية .

٥ — ومن خصائص لغة الشعر ايضاً الخروج على ماهو مألوف في نظم الكلمات word-order ، من قبيل قول الشاعر العربي :

لاطيب للعيش مادامت منغصة
لذاته بادكار الشيب والهرم

واذا كانت طبيعة اللغة العربية تساعدنا في معرفة المراد في هذا البيت (اي تقدم خبر «مادام» على اسمها بواسطة الحركات الاعرابية فيها ، فليس هناك ما يسعفنا في اللغات الانكليزية .

في هذا المجال لعدم كونها لغة اعرابية.خذ مثلاً قول توماس غراي(Tomas Gray):

And all the Air a solemn Stillness holds (9)

فليس بوسعنا ان نعلم من قراءة هذا البيت ان كان الفاعل متمثلاً بكلمة (Air) أو كلمة (Stillness) ، الامر الذي يزيد من صعوبة الترجمة .

٦ — والصورة الشعرية عنصر آخر من عناصر الصياغة التي يقوم عليها بناء القصيدة وهي مكمن آخر من مكامن الصعوبة في الترجمة . والصعوبة هنا تنشأ عن كون الصورة الشعرية ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة التي تنسج فيها . فالشاعر — وهو الرسام بالكلمات — يعتمد على ماتوفره له لغته من ادوات ، وعلاوة على ذلك فهي (اللغة) لاتقف منه موقف المتفرج ، بل تتفاعل معه وتعينه وغالباً ما توفر له حلولاً قد يتعذر توفرها في لغة اخرى . وهذا مايفسر حيرة المترجم وشدة معاناته حين يقف عاجزاً حيال صورة يحاول نقلها من لغتها الاصلية الى لغة اخرى مع استيعابه لها في اللغة الاصلية .

ومما يزيد الامر تعقيداً ان الصورة الشعرية ، فضلاً عن ترابطها مع تركيب اللغة المعينة فانها تأتي متضمنة في نسيج معقد من التقاليد والمعتقدات والاعراف والقيم الادبية والجمالية والاجتماعية الخاصة بمجتمع تلك اللغة . ففي خلال عملية التطور الحضاري والثقافي للامة وبمرور الزمن تتحول صور معينة الى رموز او معايير قياسية يقرها العرف العام ، وغالباً ماتجد طريقها الى الادب الشعبي (١٠) . فنستعمل في لغتنا العربية كلمة «البوم» مثلاً للدلالة على الشؤم ، بينما يستعملها الانكليز كرمز للحكمة والوقار ، ويتغزل شاعرنا العربي بعيني حبيبته فيشبههما بـ «عيون المها» ، بينما نجد الشاعر الكازاخستاني أنهما تشبهان عيني «جمل فتي» ؛ وفي حين يشبه العربي الشفتين بـ «العناب» يرمز لهما الانكليزي بثمر الكرز (cherries) . وهكذا يتضح لنا ان لبعض الصور دلالات رمزية تختلف من بيئة الى بيئة ، ومن شعب الى آخر ، ومن لغة الى أخرى .

٧ — ورب قائل يقول ان خصائص لغة الشعر التي تحدثنا عنها لاتقتصر على لغة دون باقي اللغات ، فالشعراء في كل امة يمتلكون القدرة على توظيف مافي لغاتهم من وسائل وادوات في صياغة شعر موزون يعبر عن عواطفهم وافكارهم وما يتراءى لهم من صور وما يدور في خلدهم من احاسيس . فأين اذاً مكمن الصعوبة في ترجمة الشعر ؟ وما الذي يحول دون بلوغنا درجة الكفاية والكمال في ترجمته ؟

يرى سافوري (Savory) أن مايفسد الكمال النظري للترجمة يكمن في اننا عند قيامنا بالترجمة نقصر عن ايصال شيء ما اراد الشاعر الاصلي ايصاله الى قارئه . ويحدث هذا القصور عندما تتضمن الكلمات الاصلية شيئاً مضافاً لمعانيها الاعتيادية . وقد نجد هذا الشيء الاضافي في الانسجام والتوافق بين اللفظ والمعنى ، أو في جناس استهلالي رقيق ، او اسلوب

ادبي . وفي غياب هذه الاشياء قد ينطوي النص المنظوم على بساطة متعمدة نجد اننا عند ترجمتها لانقصرعن بلوغ اثرها في التعبير ، كما هي الحال في الشعر التعليمي أو مايوضع في قالب شعري ليكون سهل الحفظ والاستذكار . غير ان الشعر بصفته فناً ادبياً ابداعياً لايقوم عادة على مثل هذه البساطة ، وان جوانب الابداع في الصياغة الشعرية هي ذاتها الخصائص التي تستعصي على الترجمة (١١) . فحين يختار الشاعر كلمات قصائده يكون اهتمامه بجرسها واصواتها اكثر مما هو مألوف أو ضروري في الكتابة النثرية . ومن قبيل مايمكن ان نستشهد به في هذا المقام بيت امريء القيس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وليس من شك فيما يعتري الاصوات من تغيير كبير في الترجمة ، وليس ثمة قدرة او وسيلة يمكن بواسطتها جعل الكلمات في لغة ما تحدث نفس الاثر السمعي الذي تحدثه في لغة اخرى .

لهذا نجد ان البعض يعزي عدم امكانية ترجمة الشعر من الناحية النظرية الى ان القصيدة تمثل «كلاً لايتجزأ» ، اذ ليس بالامكان الفصل بين محتواها ، اي ما تحمله من معان وافكار وشكلها الذي تمثل الاصوات والموسيقى عنصراً مهماً فيه . لذلك يرى جاكوبسون (Jackobson Roman) ان الشيء الوحيد الذي يمكن فعله هو ان تنقل القصيدة الى اللغة الثانية نقلاً يقوم على الابداع والخلق ، لا المحاكاة والتقليد (١٢) . وفي حين يؤكد جاكوبسون على العلاقة العضوية بين الشكل والمضمون وصعوبة المحافظة على تلك العلاقة عند ترجمة الشعر الى لغة اخرى ، نلاحظ ان الجاحظ يغفل الاشارة الى تلك العلاقة ويعتبر استحالة نقل الوزن فحسب هي السبب الاساس في تعذر الترجمة . فهو يقول ان «حكمة العرب» — الشعر — لو حولت الى لغة اخرى «لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن مع انهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكره العجم في كتبهم» (١٣) . ومن الشعراء الكبار الذين اشاروا الى العلاقة الانسجامية بين عنصري الشكل والمضمون وصعوبة مضارعة ذلك الانسجام في اللغة المترجم اليها ، الشاعر دانتي الذي قال : «يعلم الجميع ان شيئاً مما اجتمعت عرائس الشعر على حبكه لايمكن نقله من لغة الى اخرى دون افساد مافيه من عذوبة وانسجام »(١٤) .

ومن ناحية اخرى يرى آخرون عدم امكانية ترجمة الشعر إلا في حالة التنازل عن مبدأ «الكل الذي لايتجزأ» أو «الوحدة العضوية للقصيدة» . ومن هؤلاء جاكسون ماتيوز (Jackson Mathews) الذي يرى «ان ترجمة قصيدة ما ترجمة كاملة يعني نظم

قصيدة أخرى . والترجمة الكاملة هي التي تكون امينة من حيث نقلها للمادة (المضمون الفكري والدلالي) وتقترب من شكل الاصل ، وتمتلك حياة خاصة بها ، والتي هي صوت الشاعر» (١٥) . وهكذا يعطي ماثيوز المترجم حرية اكثر أو الحق بالتصرف عند نقلـه لموسيقى النص الذي يترجمه ، ولعله بهذا يسلم بأن «لكل شعب من شعوب الله التي بثها في ارضه موسيقاه اللغوية التي تحكي مزاجه وثقافته وطبقته،حكايتها لاصله ووراثاته(١٦).

بين الترجمة الشعرية والترجمة النثرية

تتباين آراء الكتاب والنقاد ، قدمائهم ومحدثيهم ، تبايناً كبيراً حول مسألة الصيغـة التي ينبغي ان تتخذها ترجمة الشعر ، ويتبلور هذا التباين بشكل واضح في اتجاهـين رئيسين ؛ يرى الأول منهما ان يترجم الشعر نثراً ، ويرى الثاني ان يترجم الشعر شعراً ، ولكل فريق حججه وآراؤه .

فيرى أصحاب الرأي الأول ان الجهد والمهارة التي تتطلبها الترجمة النثرية هي اقل من تلك التي تقتضيها الترجمة الشعرية فالذين يكابدون الترجمة الشعرية يدركون مدى العنت الذي يواجهونه عند ترجمة بضعة ابيات وعلى مدى ايام أو حتى اسابيع . وعن هذه المعاناة في ترجمة الشعر شعراً يتحدث محمد عبدالغني حسن عن تجربته في ترجمة قصيدة للشاعر الامريكي كلارنس داي عنوانها «دنيا الكتاب» والتي حاول فيها التقيد بالاصل لفظاً وفكرة ؛ تلك التجربة التي خلص منها الى القول انه وجد من العناء ماصرف معه النظر عن محاولة ترجمة الشعر الى شعر مرة ثانية (١٧) .

كما يرى هؤلاء ان الترجمة الشعرية تفرض على المترجم قيوداً تحد من امكانيته في تلبية حاجات اساسية في فنه ؛ فالقافية واحدة من تلك القيود التي تحدد حريته فياختيار الكلمات.

ويتجلى ذلك في ان الترجمة الشعرية تغفل احياناً شيئاً مما قاله الشاعر الاصلي ، أو تأتي متضمنة شيئاً لم يقله ذلك الشاعر احياناً اخرى . وان هذه الصعوبة المتمثلة في استعمال القافية قد يكون من الممكن التغلب عليها لو ان جميع اللغات امتلكت عدداً غير محدد من الكلمات ونسبة اكبر من الالفاظ المترادفة ترادفاً تاماً وكانت جميعها مطاقة المرونة . غير اننا لانجد لغتين متطابقتين بهذا الشكل .

ومن رأيهم ايضاً ان القافية قد فقدت قدراً كبيراً من الحتمية التي اكسبها اياهـا التقليد والعرف المتوارث ، مما كان له نتائج لايمكن التقليل من شأنها عند الحديث عن

ترجمة الشعر . فلم يعد المعاصرون من كتاب الشعر النثري أو النثر الشعري خاضعين لاستبداد القافية ، واستطاعوا بذلك ان يوفروا لانفسهم الفرصة لأن ينقلوا عن طريق الترجمة معنى القصيدة وحركتها من لغة إلى اخرى (١٨) .

اما القائلون بالترجمة الشعرية فيرون انها اكثر شبهاً بالاصل من الترجمة النثرية من حيث البناء والصياغة الشكلية . فهي توفر الفرصة لاستخدام الاساليب البلاغية كالاستعارة والتشبيه والمجاز ، كما تمنح المترجم القدرة على محاكاة مافي القصيدة الاصلية من تنوع في اسلوب نظم الكلمات ، وهو مايحرص المترجمون على تحقيقه كلما امكن ذلك . ويمكن القول عموماً ان الشعر اقدر من النثر على استثارة العواطف والمشاعر وابعد منه اثراً في ولوج دنيا الخيال . ولذا فان اعتماد الترجمة النثرية يعني الحد من قدرة المترجم على استثمار تلك الوسائل والتضحية بجانب من فاعليته في التأثير وقبل بدئه بالترجمة . ويصدق ذلك بشكل خاص على الشعر الغنائي .

كما ان ترجيح كفة الترجمة الشعرية على الترجمة النثرية قد يعتمد بشكل كبير على ذوق القاريء وما يهدف اليه من قراءته للنص المترجم . فالقاريء الذي يبحث عن الموسيقى والروعة المتمثلة في الصياغة الشعرية هو القاريء الذي لا يجد ضالته في ترجمة نثرية . وقاريء كهذا يكون غرضه الرئيس من قراءة الشعر هو الشعر ذاته .

ومن ناحية اخرى يدافع المنادون بالترجمة الشعرية عن وجهة نظرهم بالقول بان الترجمات الشعرية لكثير من القصائد قد حققت نجاحاً كبيراً ولاقت استحساناً لدى ، الادباء والنقاد واحياناً الشعراء اصحاب القصائد المترجمة انفسهم ، لرباعيات الخيام. التي ترجمها شعراً مالايقل عن ثمانية شعراء في العربية ، وكذلك قصيدة « البحيرة » للامارتين التي ترجمها الشعراء، محمود طه ونقولا فياض وابراهيم ناجي ، وترجمة شارل لايل لبعض المعلقات ، وترجمة جون اربري للشعر المعاصر .

ثلاث ترجمات لقصيدة واحدة :

فيما يلي من حديثنا سنتناول ثلاث ترجمات عربية لنص انكليزي هو احدى المقطوعات أو السونيتات (Sonnets) لشكسبير . والترجمات الثلاث هي (١) ترجمة الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا (١٩) ، (٢) ترجمة الشاعرة فطينة النائب (٢٠) ، و(٣) ترجمة كاتب البحث . سنحاول في دراستنا لهذه الترجمات تسليط الضوء على الطريقة التي

اتبعها كل من المترجمين المذكورين في التعامل مع السونيته المنوه عنها ، اضافة إلى جملة امور كنا قد تعرضنا لها عند تناولنا للجوانب النظرية فيما سلف من حديثنا . ولكننا سنبدأ اولا بالتعرف على النص الاصلي للسونيتة المترجمة :

Shall I compare thee to a Sommer's day?................ A
Thou art more lovely and more temperate............. B
Rough windes do shake the darling buds of Maie,.... A
And Sommers lease hath all too short a date: .... B
Sometime too hot the eye of heaven shines, ... C
And often is his gold complexion dimm'd, ... D
And every faire from faire some-time declines, ... C
By chance, or natures changing course untrim'd ..... D
But thy eternall Sommer shall not fade, ... E
Nor loose possession of that faire thou ow'st .... F
Nor shall death brag thou wandr'st in his shade, ... E
When in eternall lines to time thou grow'st, ... F
So long as men can breath or eyes can see, ... G
So long lives this, and this gives life to thee(٢١) ...... G

يتبين من هذه المقطوعة الشكسبيرية انها تتكون من الناحية الشكلية من ثلاث رباعيات وثنائية اخيرة مقفاة حسب الترتيب الاتي :

ا ب ا ب
ج د ج د
هـ و هـ و
ي ي

اما من ناحية المضمون فانها قصيدة حب تفيض بالعواطف .

والان لنلقي نظرة على ترجمة الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا لهذه المقطوعة :

أبيوم من أيام الصيف أُشبهك ؟
انك اكثر جمالا واشدّ اعتدالاً .
فالرياح العتية في ايار تجني على براعمه الحبيبة
وعقد الصيف ما اقصر اجله !

وعين السماء آناً تشرق بقيظ ملتهب
آناً في صفحتها البهية يخبو البريق ،
وكل حسن عن الحسن يوماً يفترق
بصرف الدهر أو بمجرى الطبيعة العلب :
اما صيفك الابدي فلن يسري فيه الذبول
ولن يفقد الحسن الذي تمتلكه ،
ولن يفخر الموت بانك تطوف في ظله ،
حين تعاصر الازمان في هذه الابيات الخالدة :
فما دام في الناس رمق وفي العيون بصر

من الملاحظ على ترجمة الاستاذ جبرا انه توخى فيها الدقة التامة في نقل المضمون ، ولقد أجاد في ذلك اجادة كبيرة . الا أنه لم يلتزم بشكل المقطوعة الاصلية ، فلقد اعتمد اسلوب الترجمة النثرية دون مراعاة للوزن او القافية . وهو بهذا قد خرج عن المبدأ المتمثل في كون المقطوعة الشعرية «كلا لايتجزأ» أو «وحدة عضوية» يكون فيها الشكل والمضمون عنصرين أساسيين لايمكن الفصل بينهما.

ولعل الاستاذ جبرا قد تحاشى الترجمة الشعرية ليكون اكثر حرية في نقل المضمون غير ان ترجمته مع ذلك تقصر عن بلوغ الاثر الذي تحدثه المقطوعة الاصلية في النفس والمشاعر من خلال الترابط العضوي بين مضمونها وشكلها المتمثل في الصياغة الشعرية وما تقوم عليه من بناء موسيقي وتناغم صوتي يضفي على عناصر المضمون رقة وشفافية فوق ماهي عليه.

لننتقل الان الى ترجمة الشاعرة فطينة النائب.

منذا يقارن حسنك المغري بصيف قد تجلى ...	...أ
وفنون سحرك قد بدت في ناظري اسمى واغلى؟	...أ
تجني الرياح العاتيات على البراعم وهي جذلى	...أ
والصيف يمضي مسرعاً اذا عقده المحدود ولى	...أ
كم اشرقت عين السماء بحرها تتلهب	...ب
ولكم خبا في وجهها الذهبي نور يغرب	...ب
لابد للحسن البهي عن الجميل سيذهب	...ب

فالدهر تغيير واطوار الطبيعة قلب ...ب
لكن صيفك سرمدي مااعتراه ذبول ...ج
لن يفقد الحسن الذي ملكت فهو بخيل ...ج
والموت لن يزهو بظلك في حماه يجول ...ج
ستعاصرين الدهر في شعري وفيك أقول ...ج
مادامت الانفاس تصعد والعيون تحدق ...د
سيظل شعري خالداً وعليك عمراً يغدق ...د
سيحيا هذا القصيد ، وينفخ فيك الحياة

تجدر الاشارة اولا الى اننا نفهم من ترجمة السيدة فطينة النائب ان السونيتة التي نحن بصددها موجهة الى فتاة، بينما يرى الاستاذ جبرا، وكما تشير ترجمته ، ان عدداً من سونيتات شكسبير ، بضمنها السونيتة الحالية ، موجهة الى شاب فتي ، الامر الذي توصل اليه من خلال دراسته المعمقة لآثار هذا الاديب وحياته .. وعلى كل حال فان هذا الامر لايدخل في صلب موضوعنا المتمثل في دراسة الاسلوب المتبع في الترجمة، وانما اشرنا اليه لسنوح الفرصة للتنويه به .

يتضح من ترجمة السيدة فطينة انها اعتمدت اسلوب الترجمة الشعرية محاولة بذلك نقل المقطوعة الاصلية الى اللغة العربية شكلا ومضموناً . ولكن لابد من الاعتراف بانها لم تحقق المستوى المطلوب من الكفاية والدقة في كلا الحالتين . فمن ناحية الشكل جاء ترتيب القوافي في ترجمتها على النحو الاتي :

أ أ أ أ

ب ب ب ب

ج ج ج ج

د د

وهذا لايتفق وترتيب القوافي في السونيتة الاصلية ، اضف الى ذلك ان اسلوب المترجمة لم يكن على قدر كاف من القوة البلاغية ، والتأثير الجمالي . فلقد تضمنت الترجمة ابياتاً ركيكة ، كالبيت الاخير في الرباعية الاولى ، والثالث في الرباعيتين الثانية والثالثة .

اما من ناحية المضمون ، فلا شك ان السيدة المترجمة لم تكن دقيقة دقة الأستاذ جبرا في ترجمته التي سبق الحديث عنها ¨ والقارىء الكريم مدعو لالقاء نظرة على الترجمتين أو مقارنتهما بالنص الاصلي . ولكن لابد لنا ان نشير الى ان تحقيق الدقة التامة في نقل المضمون مع اعتماد اسلوب الترجمة الشعرية امر في غاية الصعوبة ان لم يكن مستحيلا .

الان وبعد ان اطلعنا على ترجمتي الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا والشاعرة فطينة النائب ، ننتقل الى الترجمة الثالثة وهي ترجمة كاتب البحث ، وهنا نود ان نبين للقارىء الكريم جملة ملاحظات حول هذه الترجمة والدوافع التي حدت بنا الى القيام بها.

اولا : لقد اتبعنا في ترجمة هذه السونيتة الشكسبيرية اسلوب الترجمة الشعرية لاننا نرى ان جمال القصيدة الشعرية وقوتها التعبير ية تستمد من الانسجام والتلاحم العضوي بين عنصريها الاساسيين : الشكل والمضمون . ويصدق هذا بشكل خاص على الشعر الغنائي الذي تتمثل السونيتة المذكورة نموذجاً منه . ونحن نتفق مع الدكتور صفاء خلوصي في ان «التوصل الى سلاسة التعبير في ترجمة الشعر ولا سيما الغنائي ايسر منه في النثر اذ ان الشعر الغنائي يجيز حرية في التصرف اكبر واعظم مما في اي صنف من صنوف الشعر الاخرى» ، وان محاولة ترجمة هذا النوع من الشعر ترجمة نثرية قد تعطي صورة مشوشة عن الاصل «اذ ينقلب كل ماهو من المحسنات في الشعر الى مصائب في النثر فالاخيلة الشعرية الرائعة تمسي في النثر مجرد هذيان وصور مبعثرة لارابط بينها» (٢٢).

ثانياً : لاندعي اننا في ترجمتنا لهذه السونيتة قد بلغنا حد الكمال او الدقة التامة في نقل النص الاصلي ، فالكمال في الترجمة وخاصة ترجمة الشعر ، غاية لاتدرك ، ولكننا حرصنا قدر الامكان على الاقتراب من النص الاصلي ، روحاً وقالباً مجنبين انفسنا في الوقت نفسه خطر الانزلاق في مهاوي الترجمة الحرفية لادراكنا ان مهمتنا لاتقتصر على ترجمة لغة الى لغة اخرى بل شعر الى شعر .

ثالثاً : لقد حاولنا في هذه الترجمة ان نتجنب المآخذ التي اشرنا الى بعضها في ترجمة الشاعرة فطينة النائب بأن نضفي على النص المترجم روحاً شفافه رقيقه تحاكي تلك التي ينبض بها النص الاصلي .

رابعاً : اشرنا سابقاً الى ان الاستاذ جبرا يرى ان السونيتة موجهة الى فتى وليس فتاة ، بينما ترى الشاعرة فطينة عكس ذلك . اما نحن فنذهب الى ماذهب اليه الاستاذ جبرا وعلى كل حال فان ترجمتنا يمكن قراءتها على كلا الوجهين .

خامساً : ارتأينا في ترجمتنا أن نعوض عن كلمة «الصيف» الواردة في النص الاصلي وكلا الترجمتين السابقتين بكلمة «الربيع» لكون الثانية تعبر في لغتنا وبيئتنا عن نفس المفهوم الذي تؤديه الكلمة الاولى في لغتها وبيئتها . والملاحظ ان الآراء تختلف حول مشروعية مثل هذا التصرف من قبل المترجم ؛ فهم بين مؤيد له ومعترض عليه . ولهذا وجدنا من الضروري الاشارة الى الكلمة الاصلية (الصيف) في هامش يوضح استعمال الشاعر الاصلي لها .

وفيما يلي نص الترجمة الثالثة للسونيتة :

أأقولُ اشبهت الربيعَ(١) الطلقَ حسنا	أ
وطباعك الاحنى وانت الأجملُ	ب
تذوي البراعمُ في لظى الريح وتفنى	أ
وربيعُ ذي الدنيا قصيرٌ زائلُ	ب
عين السما حيناً يشعُّ لهيبها	ج
ويغيبُ احياناً سناها الذهبي	د
ويزولُ عن ذات الجمال جمالها	ج
فكذا سجيةُ دهرنا المتقلب	د
لكنْ ربيعك خالدٌ بروائه	ه
ويظل حسنك فيه اغلى الحلل	و
والموتُ لن يلق عليك بظله	ه
فلأنت صنو للزمان الأزلي	و
مادام في الناس رمقٌ أو في نواظرهم ألق	ي
سيظل شعري خالداً ويمد طيفك بالعبق	ي

لابد لنا في ختام حديثنا عن هذه الترجمات الثلاث ان نقول ان الحكم على الترجمة الادبية عموماً ، على العكس من بعض انواع الترجمة الاخرى كالترجمة العلمية مثلاً ، غالباً مايكون متأثراً بعوامل ذاتية كذوق القارىء الشخصي ، وحسه اللغوي ، ودرجة ثقافته . فهو اذا ليس حكماً مجرداً يخضع لمقاييس محددة ومعايير ثابتة . ولكن هذا لايعني انعدام الرؤيا الواضحة والقدرة على التشخيص الصائب لمواطن الضعف والقوة وجوانب الاخفاق والنجاح . وليس من شك في ان ترجمة الشعر هي اكثر انواع الترجمة صعوبة

وهي صراع بين عبقرية المترجم وعبقرية الشاعر . وسواء كانت ترجمة الشعر نثرية ، ام تفسيرية ، ام شعرية ، فانها تبقى قاصرة عن بلوغ حد الكمال في محاكاة النص الاصليّ من حيث وحدة بنائه المستمدة من الترابط الجدلي بين عناصر شكله ومضمونه من جهة ومن طبيعة لغته وخصائصها التركيبية والاسلوبية والصوتية الذاتية في التعبير عن المعاني، من جهة أخرى . ويتحدد نجاح المترجم او اخفاقه في ترجمته بدرجة اقترابه او ابتعاده عن النص المترجم روحاً وقالباً .



الهوامش والمراجع

(١) للاطلاع على امثلة من ذلك انظر :

١ — ابراهيم زكي خورشيد ، « الاصول الفنية للترجمة وادواتها » في مجلة الفيصل ، العدد ٩٥ ، شباط ١٩٨٥ . دار الفيصل الثقافية ، الرياض ص ٤٧ —٥٠ .

٢ — د. سلمان الواسطي ، « في نقد الترجمة » ، الثقافة الاجنبية ، العدد الاول ، ١٩٨٠ دار الجاحظ ، بغداد ، ص ٢٧٥ —٢٨٨ .

٣ — ياسين طه حافظ ، « اشكالات ترجمة الشعر » ، الاقلام ، ٧ ، ١٩٨٤ بغداد ، ص ٣٨ — ٤٥ .

(٢) انظر :

Theodore ;Savory, *The Art Of Translation* (2nd ed.), Jonathan Cape L.T.D., London, 1968, p. 75.

(٣) انظر :

Eugine A. Nida, *Toward A Science Of Translating*,E .J .Brill Leiden, Netherlands, 1964, p. 2.

(٤) انظر : حسن السندوبي ، شرح ديوان امريء القيس ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ ، ص ١٩٤ .

(٥) د. شوقي ضيف ، في النقد الادبي (ط ٥) دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١١١

(٦) انظر :

The Penguin Book of English Verse, ed. John Hayward, Penguin Books. 1966, p. 51.

(٧) انظر :

Bohuslav Ilek"On Translating Images"in *The Nature of Translation*, by James S. Holmes (ed). pp. 135–138 see p. 135.

(٨) انظر :

Majed Al— Najjar, *Translation as a correlative of Meaning*: *cultural and Linguistic Transfer between Arabic and English*,(unpublished thesis). Bloomington: Indiana University, 1984, P 269 .

(٩) انظر :

Thomas Gray, "An *Elegy Written In A Country Churchyard*," in *The Penguin Book of English Verse*; Op.Cit., p. 225

(١٠) انظر :

Bohuslav Ilek, Op. Cit., p. 135

(١١) انظر

Theodore Savory, Op. Cit., p. 78.

(١٢) انظر :

Roman Jackobso n,"On Linguistic Aspects of Translation," in Reuben A. Brower ced.),*On Translation*, Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1959, p. 238.

(١٣) انظر، الجاحظ : كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون الجزء الاول ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٧٥

(١٤) انظر :

O.F. Babler,"Poe' s'Raven' and the Translation of Poetry" in *The Nature of Translation*, ed. James S.Holmes, pp. 192–200, page of quotation 192.

(١٥) انظر

Jackon Mathews,"Third Thoughts on Translating Poetry" in Reuben A. Brower ced.),*On Translation*, Op. Cit., p. 67.

(١٦) انظر : محمد عبدالغني حسن، فن الترجمة في الادب العربي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مارس ١٩٦٦ ، ص ١٢٣- ١٢٤

(١٧) انظر نفس المصدر ، ص ١١٠ - ١١١

(١٨) انظر

Theodore Savory, Op. Cit., p. 85

(١٩) انظر : جبرا ابراهيم جبرا « سبع وعشرون سونيتة لشكسبير » ، الثقافة الاجنبية العدد الاول ، ١٩٨٠، ص ١٠٦ - ١٢٤ . رقم الصفحة التي نشرت فيها السونيتة المعنية هي ١٠٩.

(٢٠) وردت ترجمة الشاعرة فطينة النائب في كتاب فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة الدكتور صفاء خلوصي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، ١٩٨٢، ص ٣٥

(٢١) انظر .

The Penguin Book & English Verse, p. 59.

(٢٢) انظر : د. صفاء خلوصي ، فن الترجمة ، ص ٣٧ .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية
ببغداد (٢٩٣) لسنة ١٩٨٧

طبع بمطابع جامعة الموصل
مديرية دار الكتب